

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلامة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني

(١٢٨٢هـ - ١٣٥٨هـ)

علي وشيعته هم الفائزون

تحقيق

السيد مرتضى مير سجادي

الجزء الثالث

منهاج الشريعة
في الردّ على ابن تيمية

تأليف

آية الله المجاهد الكبير

العلاّمة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني قدّس سرّه

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٨ هـ)

الجزء الثالث

تحقيق

السيد مرتضى ميرسجّادي

سرشناسه	:	کاظمی قزوینی، محمد مهدی ، ۱۸۶۵ - ۱۹۳۹م.
عنوان قراردادی	:	منهاج‌السنة‌النبویه فی نقض‌الشیعة‌القدریه. شرح
عنوان و نام پدیدآور	:	منهاج الشریعة فی‌الرد علی‌ابن‌تیمیه/ تالیف محمدمهدی الکاظمی‌القزوینی؛ تحقیق سیدمرتضی میرسجادی.
مشخصات نشر	:	قم: محلاتی، ۱۳۸۸-
مشخصات ظاهری	:	ج.
شابک	:	دوره ۸-۷۱-۷٤۵۵-۹٦٤-۹۷۸ ؛ ج۱: ۱-۷۰-۷٤۵۵-۹٦٤-۹۷۸ ؛ ج۲ ۵-۸۵-۷٤۵۵-۹٦٤-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی	:	فیپا
یادداشت	:	عربی.
یادداشت	:	کتاب حاضر ردیه‌ای است بر کتاب ((منهاج السنه النبویه فی‌نقض کلام الشیعه والقدریه)) ابن تیمیه که آن خود ردیه‌ای است که ابن تیمیه بر کتاب ((منهاج الکرامه فی‌معرفه الامامه)) علامه حلی نوشته است.
یادداشت	:	ج.۳ (چاپ اول: ۱۳۹۶) (فیپا).
موضوع	:	علامه‌حلی، حسن‌بن‌یوسف، ۷۲۶-۶۴۸ق. منهاج‌الکرامة فی معرفة‌الامامه -- نقد و تفسیر
موضوع	:	ابن‌تیمیه، احمدبن عبدالحلیم، ۶۶۱- ۷۲۸ ق . منهاج‌السنة‌النبویه فی نقض‌الشیعة‌القدریه -- نقد و تفسیر
موضوع	:	امامت -- دفاعیه‌ها
موضوع	:	Imamate -- Apologetic works
موضوع	:	ائمه اثناعشر
موضوع	:	Imams (Shiites)
موضوع	:	شیعه -- دفاعیه‌ها
موضوع	:	Shi'ah -- Apologetic works
شناسه افزوده	:	میرسجادی، مرتضی
شناسه افزوده	:	علامه‌حلی، حسن‌بن‌یوسف، ۷۲۶-۶۴۸ق. منهاج‌الکرامة فی معرفة‌الامامه. شرح
شناسه افزوده	:	ابن‌تیمیه، احمدبن عبدالحلیم، ۶۶۱- ۷۲۸ ق . منهاج‌السنة‌النبویه فی نقض‌الشیعة‌القدریه. شرح
رده بندی کنگره	:	۲۲۳BP /ع۷۵م۸۰۲۸۱۳۸۸
رده بندی دیویی	:	۲۹۷/۴۵
شماره کتابشناسی ملی	:	۶۳۳۲۰۱۲

هوية الكتاب:

الكتاب: منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية ج٣

تأليف: العلامة السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني

تحقيق: السيد مرتضى ميرسجادي

الناشر: محلاتي

المطبعة: طاهر

التنضيد والاخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام

الطبعة: الأولى ١٣٩٦ هـ ش ـ ١٤٣٩ هـ ق

العدد: ٢٠٠ نسخة

شابك: ٥ ـ ٨٥ ـ ٧٤٥٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

شابك الدورة: ٨ ـ ٧١ ـ ٧٤٥٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين سيّما بقيّة الله في الأرضين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ كُنْ لوَلِيِّكَ الحجة بن الحسن صلواتك عَلَيه وَعَلى آبائه في هَذه السَّاعَة وَفي كُلِّ سَاعَة وَليّاً وَحَافظاً وَقَائداً وَنَاصراً وَدَليلاً وَعَيْناً حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً

قال السني

والرفضة أشبهت النصارى في غلوهم بأئمّتهم بجعلهم أرباباً خارجين عن أصلي الدين وهما التوحيد والنبوة مكذبين فيما أخبر به الرسول من توبة الرسل واستغفارهمﷺ فتجدهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه من الصلاة فيها جماعة ويعظمون المشاهد التي بنيت على القبور ويحجّون اليها ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة فيعكفون عليها مشابهة للمشركين وقد ثبت في الصحاح لعن الله اليهود والنصارى باتخاذ قبور أنبيائهم مساجد ونقل بمعناه عن مسند أحمد وصحيحي مسلم وابن حبان وقد صنف شيخهم ابن النعمان المفيد كتاباً سماه مناسك المشاهد جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة وقد علم بضرورة الدين ان النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولم

يشرّع مناسك عند قبور النبيين والصالحين بل ذلك من دين المشركين قال ابن عباس: من ذكرهم سبحانه من ودّ ويغوث ويعوق ونسرهم سابقا قوم صالحون في قوم نوح فلما قبضهم الله سبحانه عكف القوم على قبورهم ثم صوّرت تماثيلهم فعبدوهم وقد نهىﷺ عن الجلوس على القبور والصلاة إليها وقد بعث عليا لتسوية القبور المشرفة وطمس التماثيل فساوى بينهما وقال شر خلق الله من جعل المساجد على القبور وصور صور أهلها فيها والله سبحانه ندب في كتابه المجيد إلى تعمير المساجد ولم يذكر المشاهد فالرفضة بدلت دين الله عمرت المشاهد وعطلت المساجد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وقد علم بالضرورة أنّ النبيﷺ شرع تعمير المساجد بالصلاة اليومية وصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك ولم يشرع جعل مسجد على قبر نبي وغيره وتعمير مشهد على قبر ولم يبن مشهد على قبر على عهدهﷺ ولما قدم المسلمون الشام غير مرة ومعهم علي بن ابي طالب وعمر و عثمان وغيرهم لفتح بيت المقدس ثم لوضع الجزية ثم لما قدم إلى سرغ وفي جميع هذه لم يقصد احد منهم زيارة قبر الخليل ولم يكن هناك مشهد بل كان الصحابة ينهون من يجعل المسجد على القبر ولما ظهر قبر دانيال بتسر امر عمر بسرّه مخافة أن يفتتن الناس وكان عمر ينهاهم إن وجدهم يتناوبون مكانا يصلون فيه لكونه موضع نبي ويقول انما هلك من قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فيه فليصل وإن لم تدركه فليذهب

وبهذه السيرة ومثلها يحققون التوحيد ويتبعون السنة، والدين بني على أصلين عبادة الله وحده وعبادته بما شرّعه، فالنصارى والمبتدعون من الرفضة وغيرهم خارجون عنهما والنصارى تزعم بأفضلية صحابة عيسى من رسل الله ابراهيم وموسى وغيرهما وأنّهم رسل شافههم الله بالخطاب من حيث زعمهم أنّ المسيح هو الله والرفضة تجعل أئمتها افضل من السابقين وغاليتهم يجعلونهم افضل من المرسلين فإنهم يعتقدون إلهيّتهم

والرفضة تزعم أنّ الدين مسلّم إلى أئمتهم فما حلّلوه محلّل وما حرّموه محرّم مثل النصارى في زعمهم أنّ الدين مسلّم إلى أحبارهم ورهبانهم

فإن قيل ما وصفت به الرفضة من غلوهم في أئمتهم موجود كثير منه فيمن ينتسب إلى السنة فانّ الكثير منهم غالون في مشايخهم ومبتدعون لطاعات غير مشروعة وكثير منهم يقصد قبر من يحسن الظن به أمّا ليسأل حاجاته وإمّا ليسأل الله به وامّا لظنه أنّ دعائه مستجاب عنده وفيهم من يفضّل زيارة قبور مشايخهم على الحج ومنهم من يجد عند قبره من الرقّة والخشوع ما لم يجده في المساجد والبيوت وغير ذلك مما يوجد عند الشيعة ويروون في ذلك احاديث مكذوبة من جنس احاديث الرفضة قيل هذه جميعها مما نهى الله عنه ورسوله ولكن ذلك وغيره في الرفضة أكثر منه في أهل السنة فالخير في الرفضة اقل من الخير في اهل السنة والشر فيهم اكثر و هذه حال المسلمين بالنسبة إلى أهل الكتاب وقد ثبت بالنقول

المتظافرة أنّ الرفضة الذين يسبّون الصحابة يمسخون قردة وخنازير مثل أولئك وقد صنّف في ذلك محمد المقدسي كتاباً ذكر فيه حكايات من ذلك وأنا أعرف حكايات لم يذكرها. انتهى نقله بالمعنى ملخصاً [١]

(١) انظر منهاج السنة ج١: ص ٤٧٤ ـ ٤٨٧

قلت:

وهو على خروجه فيه عن محل البحث فيه من العجائب والمفتريات مانبيّنها بوجوه حفظا للغفلة من التردّي في ظلمات الباطل وترويجاً للحق.

احدها: ما زعمه من تشبيه الرفضة بالنصارى من زعمهم بألوهية غير الله سبحانه فانّه تدليس منه، إنّ الفرقة التي قابلها السنّي في الردّ عليها تعتقد بإمامة من تقدّم ذكرهم من أهل البيت عليهم السلام (١) دون اُلوهيتهم فذكر الفرقة

---

(١) فإنّ الشيعة الامامية هم الذين اقتدوا بأئمة أهل البيت عليهم السلام في أفعالهم وأقوالهم ومعتقداتهم وامتثلوا أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وانتهوا عن نواهيهما، وبذلك عظموا حرمة القرآن وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فالتزموا بما جاء من قبل الله تعالى على لسان نبيه حيث قال تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ (سورة الشورى: ٢٢) فبامتثالهم الصادق لأوامر الله ورسوله أصبحوا شيعة أهل البيت عليهم السلام كما جاء ذكرهم في النصوص وقد روى السيوطي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليٌّ فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. (الدر المنثور ج٦: ص٣٧٩) و عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين (الدر المنثور ج٦ : ص٣٧٩) وروى الهيثمي بسنده أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت وشيعتك تردون عليَّ الحوض رواة مرويّين مبيضّة وجوهكم، وإنّ أعداءك يردون عليَّ الحوض ظماء مقمحين (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣١) وفي رواية المناوي: يا علي أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض وروداً (كنوز الحقائق للمناوي: ص ١٨٨) وروى الحافظ أبونعيم بسنده عن الشعبي عن عليّ قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: أنت وشيعتك في الجنة (حلية الأولياء ج٤: ص ٣٢٩) وروى الامام احمد

←

التي تعتقد ألوهيتم في المقام غشّ للغفلة وتدليس عليهم حيث يريهم أنّ من ردّ عليهم هي هذه عقيدتهم[1].

➔

في الفضائل بسنده عن عمرو بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس إيّاي فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرارينا خلف أزواجنا وشيعتنا من ورائنا (فضائل الصحابة ج٤: ص٣٢٩) وإلى غير ذلك من الروايات الدالة على أنّ شيعة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد بشّرهم النبي صلى الله عليه وآله بالجنة فالشيعة هم التابعون والمقتدون والمتميزون باتباعهم واقتدائهم الكامل بالامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام والائمة المعصومين من ولده بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، فهم يروون بأنّ الامامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله منحصرة بأئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام ويستدلون على ذلك بأقوى الحجج والبراهين والأدلة الواضحة الصحيحة عند المسلمين قاطبة، وسوف نذكر هذه الأدلة إن شاء الله تعالى في محلها.

إذن فالشيعة هم الذين يأخذون معالم دينهم في العقيدة والفقه والأخلاق وغيرها من العترة الطاهرة الذين هم عدل القرآن وترجمانه، فمذهب أهل البيت قائم بذاته وبأدلته في كل ما يعتقدونه أو يعملون به إلّا أنهم ابتلوا في تاريخهم بمثل ابن تيمية وأضرابه الذين امتلأت قلوبهم بالحقد والكراهية بالنسبة إلى الشيعة وعقولهم بالجهل وبأساليب مفتراة وهي سنة اتباع الخلفاء، ليحدثوا الفتنة بين المسلمين ويمنعوا من انتشار معارف أهل البيت عليهم السلام فيتّهمون الشيعة باتهامات مكذوبة ويرمونهم بالرفض والكفر والشرك ونحو ذلك، ليوهموا على الناس أنهم على ضلال ولكن أدلة الشيعة واضحة كالشمس في رائعة النهار فإن كلّ باحث منصف لو درس كتب الشيعة بلا تعصّب فسوف تتضح له الحقيقة.

(١) لا شك أنّ عقيدة الشيعة الامامية في التوحيد واضحة ومذكورة في كتبهم ومؤلفاتهم،

➔

→

فهم يوحّدون الله ويطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، ويشهدون بأنّ محمّد بن عبد الله عبده ورسوله، وخاتم النبيين ولا نبي بعده إلى قيام يوم الدين ويعتقدون بأن، علي بن أبي طالب ولي الله وعبده الصالح اتخذه النبي صلى الله عليه وآله أخاً وأوصى إليه وجعله خليفته من بعده، كل ذلك بأمر من الله تبارك وتعالى ويعتقدون بإمامة الحسن المجتبى عليه السلام بعد أبيه المرتضى ومن بعده بأمر الله الحسين الشهيد عليه السلام ثم التسعة من اولاد الحسين عليهم السلام نصّ عليهم رسول الله بأمر الله صلى الله عليه وآله وعرّفهم بأوصافهم وصفاتهم (انظر فرائد السمطين ج٢: ص ١٣٢ وينابيع المودة ج٣: ص ٢٨١)

فالشيعة أخذت معالم دينها من أئمتهم الطاهرين المعصومين وعلى سبيل المثال فانّ التوحيد عند الشيعة هو التوحيد عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فانّ الامام عليه السلام قد بيّن أصل التوحيد الذي تعتمد عليه الشيعة في تحديد رؤيتها تجاه هذه القضية، وطرح الإمام دقيق في مدلولاته مطابق في كل جوانبه القرآن والأحاديث المروية عن طريق آل البيت عليهم السلام، ويعدّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من خاض في المعارف الالهية من أمّة محمد صلى الله عليه وآله وأول من أوضح معالمها والمتأمل في نهج البلاغة يكتشف إنّ مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يكون منسوباً الّا للامام امير المؤمنين عليه السلام لا يمكن أن يكون الّا نتاج مدرسة النبوة. فالامام عليه السلام في طرحه هذا اعطى مساحة للعقل وألزمه بالنص في آن واحد وهذا من وجوه الاعجاز البلاغي في طرحه، فعندما يتحدّث الامام عليه السلام عن استحالة رؤية الله عقلاً يقول: وامتنع على عين البصير. ثم يقول: ولا تحيط به الأبصار ولا تراه النواظر (نهج البلاغة ج١: ص ١١٥ الخطبة رقم ١٨٥) فكلامه عليه السلام هذا يطابق العقل كما يطابق النص الواضح من قوله تعالى: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ (سورة الانعام: ١٠٣) وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ (سورة الاعراف: ١٤٣) فالامام عليه السلام أكّد على استحالة الرؤية وقد جعل ذلك قاعدة كليّة وبيّن بأنّ عدم الرؤية لا يعني أبداً عدم وجوده فهو سبحانه المعروف من غير رؤية وأحق وأبين مما تراه العيون (نهج البلاغة الخطبة رقم ١٥٥).

ويؤكد الامام عليه السلام وحدانية الله وتفرده سبحانه في وصيته للامام الحسن عليه السلام بقوله: اعلم يا

←

➔

بنيّ أنّه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لايضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، ولم يزل (نهج البلاغة ج ٣: ص ٤٤ من وصيّة له لولده الحسن الوصية رقم ٣١) فبأدق الألفاظ وأكمل العبارات وأوجز الكلمات يطرح الامام قضية توحيد صفات الله بقوله: فمن وصفه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ... فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه... فلسنا نعلم من كنه عظمتك إلاّ أنّا نعلم أنك حيّ قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ... لم ينته اليك نظر ولا يدركك بصر (نهج البلاغة الخطبة رقم ١) وقد سئل الامام عليه السلام : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام أفأعبد ما لا أرى؟ فقال السائل وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان ... قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلّم بلا رؤية، مريد لا بهمّة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته (نهج البلاغة ج٢: ص ٩٩ من كلام له عليه السلام برقم ١٧٩) فالامام عليه السلام يؤكد الصفات الثبوتية لله سبحانه وتعالى مثل الارادة والبصر، ويؤكد بأنهما من صفاته الذاتية التي هي عين ذاته ولا يجوز فصلها عنه، فهي أساس كمال الذات وعدم تشبيهه بالمخلوقات ونفي النقص عن الذات، وأمّا اللطف والصنع والرحمة فهي من صفات الأفعال الحادثة على ذاته تعالى مثل الرزق ولا يجوز القول بأنّها عين الذات؛ لأنّ ذلك يستلزم حدوث الذات. فقول الامام عليه السلام هذا يلخص عقيدة الشيعة في الأسماء والصفات. وإلى غير ذلك من مباحث التوحيد والعقيدة التي جاءت في كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والائمة المعصومين عليهم السلام. ولمن أراد أن يعرف نظر الشيعة في التوحيد فليراجع خطب الامام عليه السلام في نهج البلاغة حول التوحيد وليراجع مناظرات أئمتنا عليهم السلام وحواراتهم مع المادّيين والدهريّين المنكرين لوجود الله عزوجل ليعرف كيف ردّوا شبهات الملحدين وأثبتوا وجود الخالق وتوحيده على أحسن وجه، وليراجع كتاب توحيد المفضل وتوحيد الصدوق وكتاب التوحيد من موسوعة

➔

←

بحار الأنوار للعلامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه) والكتب الاعتقادية في هذا المجال من تصانيف محمد بن محمد بن النعمان المفيد (طاب ثراه) من أكبر علماء الشيعة وكذلك كتاب الاحتجاج للشيخ الجليل أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي رحمه الله وغيرها من الكتب القيمة من مصنفات علماء الشيعة في علم الكلام.

ثم نطلب من القارئ الكريم أن يذهب إلى أصح كتب أهل السنة والجماعة التي أجمعت علمائم على صحتها لا سيّما صحيح البخاري وصحيح مسلم اللذين هما أصح الكتب عند القوم بعد القرآن الكريم والتي تدور حولهما عقائد أهل السنة فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أنّ النار تزفر وتتقيظ شديداً فلا تسكن حتى يضع الرب قدمه فيها فتقول: قطّ قطّ (صحيح البخاري ج٦: ص ٤٨ كتاب التفسير تفسير سورة الذاريات) ورواه مسلم في صحيحه ج٨: ص ١٥١ كتاب صفات المنافقين باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ أناساً سألوا النبي صلى الله عليه وآله قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي صلى الله عليه وآله نعم، هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا، قال وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس سحاب قالوا: لا قال النبي صلى الله عليه وآله ما تضارون في رؤية الله عزوجل يوم القيامة كما تضارون في رؤية احدهما ... (صحيح البخاري ج٥: ص ١٧٩ كتاب تفسير القران باب بعد باب لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها... ورواه مسلم في صحيحه ج١: ص ١١٥ من كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية

أقول أليس هذا يدل على التجسيم؟ أليس التجسيم تحديداً ومن حدّد الأشياء فقد جعلها محدثة؛ لأنّ كلّ محدود معدود في الذوات المحدثة؟ ولذلك نجد الردّ على ذلك في قول مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فيمن يصف الله تعالى فقال عليه السلام: من أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده ... (نهج البلاغة الخطبة رقم ١) وإذا لم تكن هناك أدّلة على بطلان هذه الروايات وأمثالها وعدم جواز رؤية الباري عزوجل لكفى قوله

→

وثانيها: ما بيناه فيما مضى من عدم لياقة الثلاثة لصيرورتهم أئمة على الخلق من حيث جهلهم بالشريعة ومخالفتهم لنبذة منها وتبديل نبذة منها حسبما يأتي بيان الكثير من ذلك (١). ممن جعلهم أئمة فقد شاقّ الله

➔

تعالى: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾(سورة الانعام: ١٠٢) وفي قصة موسى بن عمران عليه السلام وقومه إذ طلبوا منه رؤية الله تعالى وهو يقول لهم: لا يجوز لكم هذا الطلب، ولكنهم أصرّوا فقال: ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي** ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣).

إذن فمن يعتقد برؤية الله تعالى سواء في الدنيا أم في الآخرة يلزم أن يعتقد بالجسمية له عزوجل وبأنه محاط ومظروف، ويلزم أن يكون مادة حتى يرى بالعين المادية، وهذا كفر كما صرح به علماء الفريقين، وقد أثبت القاضي البيضاوي والزمخشري عدم جواز الاعتقاد برؤيته تعالى عقلاً في ذيل هذه الآية المباركة في تفسيرهما وسنذكر هذا البحث مفصلاً ان شاء الله تعالى في محله.

(١) ونحن نشير هنا إلى شيء من تلك الموارد على نحو الإجمال لأنّ مجال البحث هنا واسع جداً يتطلب تأليف مجلدات كبيرة لبيان تلك الموارد المذكورة في كتب أهل السنة من صحاحهم ومسانيدهم وسننهم وتاريخهم وغير ذلك، فنذكر شيئاً يسيراً من تلك الموارد كنموذج يوضح ما ذكره الماتن رحمه الله فنقول: أما جهل الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالعلوم الشرعية والأحكام الفقهية والعقائد الدينية فهو مما امتلأت به كتب المسلمين وصحفهم، ويكفي بذلك اعترافهم وإقرارهم بذلك من أنفسهم، فقد قال أبوبكر في خطبة له: أقيلوني فلست بخيركم وعليٌّ فيكم (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ : ص ٢٢ وكنز العمال للمتقي الهندي ج٥: ص ٥٨٨ ح ١٤٠٤٦ وتاريخ الطبري ج٣: ص ٢١٠ وغيرهم) وقد خطب عمر في الناس يوماً فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن

➔

←

يسأل عن المال فليأتني، فانّ الله تعالى جعلني خازناً (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٢٧١) وقد صحّح هذا الحديث الذهبي في الهامش ثم إنّ عمر اعترف بأن المنتهى إليه في العلوم الثلاثة أولئك النفر المذكورين فحسب وليس للخليفة إلّا أنه خازن مال الله، وهل ترى من المعقول أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله على امته في شرعه ودينه وكتابه وسنته وفرائضه فاقداً لهاتيك العلوم؟!!! فهل هذا شأن الخليفة الثاني الذي اعتبره علماء أهل السنة خليفة رسول الله في أمر الدين والدنيا وما وجه الاختصاص به؟!!

ثم إنّ من المسلّمات في كتب القوم أنّ عمر كان اعلم وأفقه من عثمان رغم أنّ عمر كان يقول كل الناس أفقه من عمر (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٤: ص ٢٨٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٨٢ والمجموع للنووي ج١٦: ص ٣٢٧ والمبسوط للسرخي ج١٠: ص ١٥٣ وفقه السنة للشيخ سيد سابق ج٢: ص ١٥٨ وغيرهم) فهو أعلم من عثمان وأفقه منه وأنّ عثمان أشدّ تذبذباً من عمر أمام النصوص القرآنية والسنة والنبويّة والاجتهاد بالرأي قبالها

والجدير بالذكر عجز الخلفاء الثلاثة وجهلهم أمام علماء الأديان من اليهود والنصارى، فنذكر للقارئ الكريم هنا بعض النماذج من تلك الموارد الكثيرة، فعن أنس بن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبي أو وصي نبي، فقال أبوبكر: سل عما بدا لك، قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله؟ فقال أبوبكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي، وهمّ أبوبكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عباس: ما أنصفتم الرجل، فقال أبوبكر: أما سمعت ما تكلّم به؟ فقال ابن عباس: إن كان عندكم جوابه وإلّا فاذهبوا به إلى علي رضي الله عنه يجيبه فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، قال: فقام أبوبكر ومن حضره حتى أتوا علي بن أبي طالب فاستأذنوا عليه فقال أبوبكر: يا أبا الحسن: انّ هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة، فقال علي: ما تقول يا يهودي؟ قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبي أو وصي نبي، فقال

←

←

له: قل، فرد اليهودي المسائل: فقال علي رضي الله عنه: أمّا ما لا يعلمه الله قولكم يا معشر اليهود: إنّ العزير ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد، وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس له شريك، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وأنك وصي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، فقال أبوبكر والمسلمون لعلي عليه السلام: يا مفرج الكرب (انظر كتاب المجتبى لابي بكر بن دريد: ص ٣٥ وكتاب علي إمام المتقين لعبد الرحمن الشرقاوي ج١: ص ٧٢ (ط مكتبة غريب الفجالة) وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني ج٥: ص ٢٩١ وكتاب علي بن ابي طالب إمام العارفين لأحمد بن صديق الغماري: ص ٩٩).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لما قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه اجتمعت النصارى إلى قيصر ملك الروم فقالوا: أيها الملك إنّا وجدنا في الانجيل رسولاً يخرج من بعد عيسى اسمه أحمد، وقد رمقنا خروجه وجائنا نعته، فأشر علينا فإنّا قد رضيناك لديننا ودنيانا، قال: فجمع قيصر من نصارى بلاده مائة رجل وأخذ عليهم المواثيق أن لا يغدروا ولا يخفوا عليه من امورهم شيئاً وقال: انطلقوا إلى هذا الوصيّ الذي من بعد نبيهم فسلوه عما سئل عنه الأنبياء عليهم السلام وعما أتاهم به من قبل والدلائل التي عرفت بها الأنبياء، فإن أخبركم فآمنوا به وبوصيه واكتبوا بذلك إليّ، وان لم يخبركم فاعلموا أنه رجل مُطاع في قومه، يأخذ الكلام بمعانيه ويرده على مواليه، وتعرّفوا خروج هذا النبي، قال: فسار القوم حتى دخلوا بيت المقدس واجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا له مثل مقالة النصارى بقيصر، فجمع رأس الجالوت من اليهود مائة رجل، قال سلمان: فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة (يعني يوم الجمعة، قال: قديماً كان يسمى الجمعة بيوم العروبة أو يوم عروبة، والأفصح ترك الألف واللام) وأبوبكر قاعد في المسجد يفتي الناس، فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصارى واليهود فأذن لهم بالدخول فدخل عليه رأس الجالوت فقال: يا أبا بكر إنّا قوم من النصارى واليهود جئناكم لنسأل عن فضل دينكم فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه وإلّا فديننا أفضل؟ فقال

←

➔

أبوبكر: سل عما تشاء أجبك إن شاء الله، قال: ما أنا وأنت عند الله؟ قال أبوبكر: أما أنا فقد كنت عند الله مؤمنا وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري ما يكون بعد فقال اليهودي: فصف لي صفة مكانك في الجنة وصفة مكاني في النار، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني، قال: فأقبل أبوبكر ينظر إلى معاذ مرة وإلى ابن مسعود مرة، وأقبل رأس الجالوت يقول لأصحابه ـ بلغة أُمَّته ـ ما كان هذا نبياً، قال سلمان: فنظرت إلى القوم، قلت لهم: أيها القوم ابعثوا إلى رجل لوثنيتم الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم ولأهل الانجيل بإنجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل القرآن بقرآنهم ويعرف ظاهر الآية من باطنها وباطنها من ظاهرها، قال معاذ: فقمت فدعوت علي بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى، فأقبل حتى جلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال ابن مسعود: وكان علينا ثوب ذلّ، فلّما جاء علي بن أبي طالب كشفه الله عنا. قال علي: سلني عما تشاء أخبرك إن شاء الله، قال اليهودي: ما أنا وأنت عند الله؟ قال: أما أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى الساعة فلا أدري ما يكون بعد، فقال رأس الجالوت: فصف لي صفة مكانك في الجنة وصفة مكاني في النار فأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني. قال علي: يا يهودي: لم أر ثواب الجنة ولا عذاب النار فأعرف ذلك. ولكن كذلك أعدّ الله للمؤمنين الجنة وللكافرين النار، فإن شككت في شيء من ذلك فقد خالفت النبي صلى الله عليه وآله ولست في شيء من الإسلام، قال: صدقت رحمك الله؛ فإنّ الانبياء يوقنون على ما جاؤوا به فإن صدقوا آمنوا وإن خولفوا كفروا قال: فأخبرني أعرفت الله بمحمد أم محمداً بالله؟ فقال علي: يا يهودي ما عرفت الله بمحمد ولكن عرفت محمداً بالله لأنّ محمداً محدود مخلوق وعبد من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه، وألهم الله نبيه كما ألهم الملائكة الطاعة، وعرّفهم نفسه بلا كيف ولا شبه، قال: صدقت، قال: فأخبرني الرب في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال علي: إنّ «في» وعاءٌ، فمتى ما كان (بـ«في») بفي كان محدوداً ولكنه يعلم مافي الدنيا والآخرة وعرشه في هواء الآخرة، وهو محيط بالدنيا والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر وإن أخرجته لم يستقم مكانه هناك، فكذلك الدنيا

🡐

➔

وسط الآخرة، قال: صدقت قال: فأخبرني الرب يَحمل أو يُحمل؟ قال علي بن أبي طالب: يَحمل، قال رأس الجالوت: فكيف؟ وانا نجد في التوراة مكتوباً ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، قال علي: يا يهودي إنّ الملائكة تحمل العرش، والثرى يحمل الهواء والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ قال اليهودي: صدقت رحمك الله. (لاحظ: زين الفتى في شرح سورة هل أتى تأليف أبي حاتم أحمد بن علي العاصمي الشافعي من أعلام القرن الرابع ج ١: ص ٣٠٦ ح ٣١٩).

وروى أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتاب العرائس في قصص الأنبياء: إنّه لمّا ولي عمر بن الخطاب الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا: يا عمر أنت وليّ الأمر بعد محمد وصاحبه، وإنّا نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أنّ الإسلام حق وأنّ محمداً كان نبياً وإن لم تخبرنا به علمنا أنّ الإسلام باطل وأنّ محمداً لم يكن نبياً، فقال: سلوا عما بدا لكم، قالوا: أخبرنا عن أقفال السماوات ما هي؟ وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو؟ وأخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس؟ وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الأرحام؟ وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟ وما يقول الديك في صراخه؟ وما يقول الفرس في صهيله؟ ويقول الضفدع في نفيقه؟ وما يقول الحمار في نهيقه؟ وما يقول القنبر في صفيره؟ قال: فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال: لا عيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وأن يُسئل عما لا يعلم، فوثب اليهود وقالوا: نشهد أنّ محمداً لم يكن نبيّا وأنّ الإسلام باطل، فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود: قفوا قليلاً، ثم توجّه نحو علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال: يا أبا الحسن: أغث الإسلام، فقال: وما ذاك؟ فأخبره الخبر، فأقبل يرفل في بردة رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا نظر إليه عمر وثب قائماً فاعتنقه وقال: يا أبا الحسن: أنت لكل معضلة وشدة تُدعى، فدعا عليّ كرم الله وجهه اليهودي فقال: سلوا عما بدا لكم فانّ النبي صلى الله عليه وآله علمنّي ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب،

🡐

➔

فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه: إنّ لي عليكم شريطةً إذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم؟ فقالوا: نعم، فقال: سلوا عن خصلة خصلة قالوا: أخبرنا عن أقفال السماوات ما هي؟ قال: أقفال السماوات الشرك بالله؛ لأنّ العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل، قالوا: أخبرنا عن مفاتيح السماوات ما هي؟ قال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق الفتى، قالوا: فأخبرنا بقبر سار بصاحبه؟ فقال: الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبع، فقالوا: أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس؟ قال: هي نملة سليمان بن داود التي قالت ﴿**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ قالوا: فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الأرحام؟ قال: ذلكم آدم و حواء وناقة صالح و كبش ابراهيم و عصى موسى قالوا: فأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟ قال: يقول: الرحمن على العرش استوى قالوا: فأخبرنا ما يقول الديك في صراخه؟ قال: يقول: اذكروا الله يا غافلين قالوا: اخبرنا ما يقول الفرس في صهيله؟ قال: يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين إلى الجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين، قالوا: فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه؟ قال: يقول: لعن الله العشار وينهق في أعين الشياطين قالوا: فأخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه؟ قال: يقول: سبحان ربي المعبود المسبح في لحجج البحار، قالوا: فأخبرنا ما يقول القنبرة في صفيره؟ قال يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم: نشهد أن لا اله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال: يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خصلة واحدة أسألك عنها، فقال: سل عما بدا لك، فقال: أخبرني عن قوم في أوّل زمان ماتوا ثلاثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم؟ قال علي رضي الله عنه يا يهودي هؤلاء أصحاب وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصّتهم وإن شئت قرأت عليك قصّتهم؟ فقال اليهودي: ما أكثر ما قد سمعنا قرآنكم، إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم

🡐

➔

واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أوّلها إلى آخرها... (فأجابه الامام علي بن أبي طالب بجميع ذلك) وقصّ عليهم قصة أصحاب الكهف وفسّر الآيات النازلة في ذلك ثم قال الامام عليه السلام: سألتك بالله يا يهودي، أوافق هذا ما في توراتكم؟ فقال اليهودي ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن: لا تسمّني يهودياً، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّك أعلم هذه الأمة (العرائس في قصص الأنبياء: ص ٤١٣ ـ ٤١٩ الطبعة الرابعة دار الرائد العربي بيروت).

أقول: هذا يسير من كثير مما ورد في جهل الخلفاء الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام الذي رواه علماء أهل السنة، فإنّ الباحث لو أمعن النظر فيها يجد بوضوح أنه لولا دفاع الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن كيان الإسلام وناموسه لهُدّمت أسس الدين وقواعده التي بناها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله بسبب جهل الخلفاء الغاصبين، ومن الواضح لدى الخبير أنّ أحد مسؤوليات إمام الحق والعدل أن يقف أمام كل التحديات التي تهدّد كيان الإسلام مهما كانت خطيرة وصعبة، فإنّ انفصال الامام المنصوب من قبل الله تعالى عن الحكم والرئاسة لا يمنع إجراء هذه المسؤولية. وأمّا مخالفة الخلفاء الثلاثة الذين غصبوا حقّ الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهي كثيرة جداً لا تعدّ ولا تحصى، ولا يخفى على أحد أنّ أهمّ شروط الامامة في الخلافة هي أن يكون الإمام والخليفة حافظاً للدين وصائناً للشريعة ومنفّذاً لقوانين القرآن وتشريعاته.

وهذا ما أوضحه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن بيان لشروط الإمامة فقال: ولا المعطّل للسنة فيهلك الأمة. (نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٣١) والتاريخ يروي لنا أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا على عكس هذا تماماً، فكانوا يلجأون إلى التزوير والتحريف وتغيير معالم الدين وأحكامه حسب ما تهواه أنفسهم، ثم التابعين لهم كانوا يسمّون التحريف اجتهاداً، وخلف ستار الاجتهاد دسّو تحريفاتهم ومخالفاتهم للدين الحنيف في أوساط المجتمعات الإسلامية، بينما الخبير يعلم أنّ الاجتهاد في الواقع أمرٌ ومخالفة التعاليم الاسلامية من القرآن والسنة النبوية أمرٌ آخر وبهذه المناسبة يقول مولانا أمير

➔

→

المؤمنين عليه السلام قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين بخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عنّي جندي حتى لو أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزوجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ... إذن لتفرّقوا عنّي، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي، يا أهل الاسلام غيّرت سنة عمر؛ ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً!... (مستدرك نهج البلاغة ج٢: ص ٦٢ الخطبة رقم ١٥/١١٣) والكافي ج٨: ص ٥٨ فإحصاء الأحكام التي غيّرها الخلفاء الثلاثة والمخالفات الصريحة لأوامر الله ورسوله صعب جداً، لكثرة مواردها وقد جاء ذكر بعضها في كتب الحديث والتفسير والسيرة.

ومن تلك الموارد: ما ذكره المؤرخون والمحدثون أنّه لما توطأ الأمر لأبي بكر بعث خالد بن الوليد في جيش وقال له: وقد علمت ما قال ابن نويرة في المسجد على رؤوس الأشهاد وما أنشد من شعره ولسنا نأمن أن ينفتق علينا منه فتق لا يلتأم، والرأي أنك تخدعه وتقتله وتقتل من كان يبارزك دونه وتسبي حريمهم فإنّهم قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة، فسار خالد فلّما رأى مالك بن نويرة الجيش قد أقبل نحوه لبس لامة حربه واستوى على متن جواده وكان مالك شجاعاً من شجعان العرب يعدّ بمائة فارس فلما رآه خالد قد برز في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع خاف منه وهابه، فغدر بهم وقال لهم: ضعوا أسلحتكم فلم يقبل مالك حتى أعطى خالد العهود والمواثيق على الأمان فلم يركن إليه مالك، فحلف خالد له بالأيمان المغلّظة أنّه لا يغدر به، فرجع مالك ونزع لامة حربه وأضافهم تلك الليلة وقد أذّنوا وأقاموا وصلّوا. فأمر خالد بن الوليد فأخذوا مالكاً وقومه أسرى وكتّفوهم ثم قتله خالد بن وليد غدراً لغضاضة كانت بينهما في الجاهلية، وقطع رأسه وشرب الخمر في قحف رأسه ودخل بزوجته أم تميم بنت المنهال في ليلته، وأمر بقتل جنوده بأجمعهم بليلة واحدة غدراً بعد أن أكرمه مالك وأكرم جنده بالطعام والشراب وغيرهما، ولذلك لما

←

➔

رجع خالد بجنوده إلى الخليفة الأول استشاط الخليفة الثاني غضباً عليه وقال: عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته! وهـمّ بقتله قصاصاً عـن جنايته وسـائر منكراتـه ولكن منعه الخليفة الأوّل معتذراً بأنّ خالداً ناصره وسيفه وعـضده ومشيّد خلافته (انظر تفسير الثعلبي ج ٧٩ تفسير الآية ٥٤ من سورة المائدة) وبالجملة فلا شبهة في أنّ الـذين امتنعوا عن دفع الزكاة لـم يكونـوا مرتـدّين بـل كـانوا أهـل الـشهادتين قـائمين بوظـائفهم الدينية من الصلاة وغيرها ولم ينكروا وجوب الزكاة أبداً كي تصدق عليهم عنـوان الـردّة ولذلك أخرج البخاري في صحيحه بسنده عـن أبـي هريـرة قـال: لما تـوفّي النبـيﷺ واستخلف أبوبكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبـابكر كيـف تقاتـل النـاس وقـد قال رسول اللهﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله فمن قال لا إله إلّـا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقّه وحسابه علـى الله؟ (صـحيح البخـاري ج٢: ص ١٠٩ بـاب وجوب الزكاة).

أقول: إذا كان بتصريح عمر بن الخطاب أنّ رسـول اللهﷺ قـال مـا نقلـه عنـه وأقـره أبـوبكر بعدم ردّه عليه ذلك فهل يبقى توجيه لفعل أبي بكر وخالد ومن تبعهما ومن صحّح فعلهما في قتل الأبرياء الذين طبّق عليهم عمر بن الخطاب قول رسول اللهﷺ بأنهم أهـل لا إلـه إلا الله؟!

ومن الموارد أيضاً ما رواه الطبري: قال عمر لأبي بكر: إنّ في سيف خالد رهتـاً فـإن لـم يكـن هـذا حقّـاً حـق عليـه أن تفيـده، وأكثـر عليـه فـي ذلـك وكـان أبـوبكر لا يقيـد مـن عمالـه ولاوزعته فقال: هيه يا عمر، تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالـد (تـاريخ الطبـري ج٢: ص ٥٠٣).

ثم هل لنا أن نسأل عمر بن الخطاب عن سر اقتناعه بقتال المسلمين الذين شهد هـو نفـسه بـأنّ رسول اللهﷺ حرّم قتالهم بمجرد قولهم: لا اله إلاّ الله، وقد عارض هو نفسُه أبابكر بهـذا الحديث؟ فكيف انقلب فجأة واقتنع بقتالهم وعرف انّه الحق بمجرد أن قال أبـوبكر: ارفـع لسانك عن خالد فاني لا اثيم سيفاً سلّه الله علـى الكفـار؟!! (الطبقـات لابـن سـعد ج٧: ص

➔

➔

٢٩٦) وكيف رآها عمر دون سائر الناس؟ وهل أنّ المسلم الغيور الذي يعتبر نفسه ملتزماً بأوامر الرسولﷺ يتعامل مع أمر رسول اللهﷺ مثل ما تعامل معه الخليفتان؟!! وكيف شرح الله صدور قوم بمخالفتهم لأمر رسول الله ولاحكام رسمها الله على لسان نبيهم بحرمة التعرض للمسلم لاسيما في مسألة الدماء والأعراض؟ وأما دعوى المدافعين عن الخليفتين بأنّ مالك بن نويرة وقومه ارتدّوا عن الإسلام فهذا أمر باطل بأدلّة واضحة من القرآن والسنة القطعية المتّفقة بين جميع المسلمين، فأنّ من له أدنى اطلاع على الأحكام الشرعية والتاريخ يعرف ذلك بكل وضوح حيث إنّ الطبري ذكر بأنّ ابابكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا، وإن لم تسمعوا أذانا فشنّوا الغارة فاقتلوا واحرقوا، وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبوقتادة الحارث بن ربعي أخو سلمة، وكان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها و كان يحدّث أنّهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا إنا المسلمون، قالوا: ونحن المسلمون، قلنا فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها ثم صلّينا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله: أنه قال وهو يراجعه: ما إخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا، قال: أوماتعدّه لك صاحباً؟! ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٥٠٣) فإنّ من يقرأ التاريخ ويبحث عن جميع جوانب هذه القضية يعرف بوضوح أنّ مالكاً كان من المسلمين حقاً وكان يصلي ومن أهل الشرع ومراعاة جميع الأحكام الشرعية وآدابها، فلم يبق عذر لخالد بن الوليد كي يقتله. حتى إنّ الأخبار ليس فيها طلب لمطالبة الزكاة إنّما جاء في بعض الروايات أنّ أبابكر قال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإنّ الزكاة حق مال ... (صحيح البخاري ج٢ : ص ١١٠ كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة) وليس في ذلك تصريح بأنّ مالك بن نويرة امتنع عن اعطاء الزكاة

وعلى فرض أنّه امتنع عن اعطاء الزكاة لمبعوث أبي بكر فإنّ المستفاد من الأدّلة أن ما لكاً لم

🡐

➔

تثبت عنده شرعية خلافة أبي بكر فإذا كان كذلك فإنّه كان من الصحابة الأجلاء الذين يعرف الأحكام وضوابطها فكان من المفروض أن يناظر معه في هذه الجهة لا أن يقتلوه ظلماً وعدواناً، وعلى فرض أنه رفض خلافة أبي بكر فإنه كسائر المسلمين الذين رفضوا خلافته كسلمان ومقداد وعمار وغيرهم من الصحابة، فهل سمّوا هؤلاء مرتدين؟!!!

ولو كان من المرتدين لماذا دفع أبو بكر ديته من بيت المال؟ فقد أخرج الطبري أنه قدم أخو مالك متمم بن نويرة ينشد أبابكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له برد السبي... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٥٠٣) وفي تاريخ مدينة دمشق: فكره ذلك أبوبكر وعرض الدية على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق أمرأة مالك ولم يرَ أن يعزله ... (تاريخ مدينة دمشق ج١٦: ص ٢٧٤) والمرتد لا يعتذر عن قتله ولا تدفع عنه الدية من بيت المال.

ثم انّه لم يقل أحد من علماء الاسلام أن مانع الزكاة مرتد عن الإسلام، حتى إنّ البخاري نفسه لما أراد أن يكتب عنوان الباب الذي أخرج فيه حديث مانعي الزكاة عنونه بهذا العنوان: باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة (صحيح البخاري ج٨: ص ٥) وهذا دليل على أن البخاري نفسه لم يكن يعتقد برد تهم كما لا يخفى من هذا البيان.

وثانياً: انّه اتّفق هذه الحادثة وقعت سابقاً في حياة رسول الله ﷺ في رجل من الأنصار وهو ثعلبة بن حاطب الذي دعا له النبي ﷺ حتى صار غنياً (وقصته معروفة) ولما أرسل النبي ﷺ عامله إلى ثعلبة ليأخذ منه الزكاة لم يدفع إليه وبخل في ذلك، ولكن لم يسمع أحد من النبي ﷺ يقول إن ثعلبة كفر. (انظر تفسير الآيات ٧٥ إلى ٧٨ من سورة التوبة).

وثالثاً: لقد أثبت في الصحاح حرمة دم من قال لا إله إلّا الله كما نقلنا الحديث من البخاري.

ورابعاً: لو كانت الزكاة حق المال فإنّ الحديث يبيح في هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوة من مانعها دون قتله وسفك دمه، ولكن ما ارتكبه خالد بن الوليد بأمر من أبي بكر من الطامات والجرائم الكبيرة التي تتنزّه عنها ساحة كلّ معتنق للإسلام وتضادّ نداء القرآن الكريم والسنة الشريفة ويتبرّأ منها وممن اقترفها من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ (سورة القيامة: ٣) ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ**

🡐

←

أَحَدٌ﴾ (سورة البلد: ٥) ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ (سورة العنكبوت: ٤) فبأيّ كتاب وأي سنة ساغ للرجل سفك الدماء الزكية من الذين آمنوا بالله ورسوله واتبعوا سبيل الحق وصدّقوا بالحسنى وأذّنوا واقاموا وصلّوا وقد علت عقيريتهم ينادون بأنّا مسلمون، فما بال السلاح ملكه؟ ﴿**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة آل عمران: ١٨٨).

وقد استعمل رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مالك بن نويرة على صدقات قومه، وعدّ من أشراف أهل الإسلام فبأي جرم قتل والقرآن ينادي بأعلى صوته ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ (سورة المائدة: ٣٢) وما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الاسلام وتعذيب رؤوس الامة الاسلامية؟ ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ (سورة الزمر: ٢٢) ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ (سورة الزخرف: ٦٥).

أيسلب الرجل المسلم بامتناعه عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وعرضه ويجعله عدل الكفرة الفجرة الذين حق على النبي الطاهر صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شنّ الغارة عليه، ويحكم عليه بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون والنزو على حرائره؟!!!

ثم يفي جاز للخليفة أنّ يسلّط أمثال خالد شارب الخمور وصاحب الفجور على الانفس والدماء وعلى الأعراض ونواميس الإسلام وعهد إليه أن يغدر بمالك حتى فعل خالد تلك الطامات والجنايات الفاحشة وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً عندهم؟! وإذا كان الأمر غير مقبول عند الحليفة لِمَ لم يقتص من خالد قصاص القاتل؟ ولِمَ لم يقم عليه جلدة الزاني؟ ولِمَ لم يضربه حد المفتري، ولِمَ لم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي اولئك المسلمين؟ ولِمَ لم يعزل خالداً وقد كره ما فعله ثم عرض الدية على متمم بن نويرة أخي مالك؟ وأمر خالداً بطلاق أمرأة مالك.

→

➔

دع هذه كلّها، فلا أقلّ من النهي عن المنكر وتوبيخ الرجل وعتابه على تلك الجرائم، وأقل الأنكار كما قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: ان تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة (الكافي ج١: ص ٦٠ ح ٧) وما للخليفة يتلعثم ويتلعذم في الدفاع عن خالد وجناياته فيرى تارة أنّه تأوّل وأخطأ ويعتذر اخرى بأنه سيف بن سيوف الله، وينهى عمر بن الخطاب عن الوقيعة فيه ويأمره بالكف عنه وصرف اللسان عن مغالطته؟! ونحن اقتصرنا بهذا المختصر في المقام من باب ذكر المصداق وهو كاف لما نحن بصدده، وامّا بالنسبة إلى التغيير في الشريعة المقدسة والبدع التي أحدثها الحكام والخلفاء الغاصبين في الدين الحنيف فهي مما لا تعد ولا تحصى فإنّ التاريخ والكتب الإسلامية أكبر شاهد على ذلك حيث إنّ ما ظهرت على الساحة الإسلامية من الأحكام المخالفة لكتاب الله وسنة رسولهصلى الله عليه وآله ـ أخذاً من الأحبار والرهبان ـ كثير جداً فهي مما لا يحصيه إلّا الله وهي مما لا تنفك عن التلاعب بالدين وتحكيم الهوى في الشريعة والعبث بشريعة الرسول الأمين، ومن جملة ذلك: صلاة التراويح التي هي بدعة عمر بن الخطاب، فإنّ النصوص الإسلامية تدلّ صراحة على أنّ أوّل من سنّ الجماعة في نوافل شهر رمضان هو عمر بن الخطاب، فلم يكن ذلك في زمن الرسولصلى الله عليه وآله ولا في زمن أبي بكر بل إنّ عمر رأى ذلك واستحسنه وحرّض المسلمين عليه وقد اعترف هو بأنّ ذلك بدعة منه (انظر إلى ارشاد الساري في شرح البخاري ج٤: ص ٤٥٧) وقد أخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلّي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاة الرهط،... فقال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون: يريد آخر الليل. وكان الناس يقومون أوّله. (صحيح البخاري ج٢: ص ٢٥٢ كتاب (الصوم، باب صلاة التراويح).

قال العيني: وإنما دعاها بدعة لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله لم يسنّها لهم ولا كانت زمن أبي بكر .... (عمدة القاري ج١١: ص ١٢٦).

🡐

←

وقال ابن قدامة: ونسبت التراويح إلى عمر بن الخطاب؛ لأنه جمع الناس على أبيّ بن كعب فكان يصلّيها بهم. (مغني المحتاج ج٢: ص ١٦٦) وقال القلقشندي في الأوليات: عمر هو اوّل من سنّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على امام واحد في التراويح وذلك في سنة أربع عشرة. (مآثر الاناقة في معالم الخلافة ج٢: ص ٣٣٧ ط عالم الكتب بيروت) هذا وقد نص الباجي والسيوطي والسكتواري وغيرهم أيضاً على أنّ أوّل من سن التراويح هو عمر بن الخطاب وصرحوا أيضاً: بأن إقامة النوافل بالجماعات في شهر رمضان من محدثات عمر (انظر محاضرات الأوائل: ص ١٤٩ وص ٩٨ وشرح المواهب للزرقاني ج٧: ص ١٤٩وطرح التثريب ج٣: ص ٩٢) وقال ابن سعد في ترجمة عمر: هو أوّل من سن قيام شهر رمضان بالتراويح وجمع الناس على ذلك، وكتب به إلى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة. (الطبقات لابن سعد ج٣: ص ٢٨١) وقال ابن عبد البر في ترجمة عمر: وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الاشفاع فيه. (الاستيعاب ج٣: ص ١١٤) وقال أبو الوليد حمد بن الشحنة عند ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من الهجرة: هو أوّل من نهى عن بيع أمهات الأولاد... وأوّل من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح.

أقول: إنّ قول عمر حين رأى الناس يصلّون بصلاة قارئ واحد كما تقدم في رواية عبد الرحمن بن عبد القاري: نعم البدعة هذه، على ما رواه البخاري دليل ليس بعده دليل على أنها سنّة ابتدعها عمر بن الخطاب فهي لم تكن موجودة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في عهد أبي بكر، وهذه لا تخلو من صورتين:

الأولى: أنّ قوله: نعم البدعة هذه، لأنّ لها أصلاً في الكتاب والسنة، فعندئذ يكون عمل الخليفة إحياء لسنة متروكة سواء أراد إقامتها جماعة أو جمعهم على قارئ واحد، وحينئذٍ لا يصحّ قوله نعم البدعة، حيث إنها مسنونة لكنّه أكّد عليها. اذن لا يمكن الدفاع عنه بهذا التبرير.

الثانية: إن قوله: نعم البدعة دليل على أنّ فعله هذا ليس له أصل في المصدرين، لا لإقامتها جماعة ولا لجمعهم على قارئ واحد، وإنّما كره عمر تفرّق الناس فرأى إقامتها جماعة

→

➔

أحسن فأمر بذلك أو بقارئ واحد، وعندئذ تكون هذه بدعة من عمر. وهذه هي البدعة القبيحة المحرّمة عند كلّ المسلمين، حيث إنّ البدعة عبارة عن إحداث أمر في الدين ممّا ليس فيه بزيادة أو نقصان والتصرف في التشريع الإسلامي، فهذه البدعة التي أحدثها بناءً على هذا لا يمكن أن تكون إلاّ أمراً محرماً ومذموماً ولا يصح توصيفها بالحسنة بعد كونها محرمة وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى الاستدلال. إذن لا يصح تقسيم البدعة إلى الحسنة والقبيحة، إذ كل ما يكون مقابلاً للسنة فهو بدعة وكل بدعة محرّمة وكل فعل محرم قبيح عقلاً وشرعاً.

وممّا يؤيد ذلك أنّ هناك اعتراضات هائلة على فعل عمر نذكر بعضها بإيجاز:

منها: ما عن أبي امامة الباهلي أنّه قال: أحدثتم قيام شهر رمضان ولم يكتب عليكم، انما كتب عليكم الصيام (الاعتصام للشاطبي ج١: ص ٢٩١).

ومنها: عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال: إنّ ابن عمر كان لا يصلّي خلف الامام في شهر رمضان (نصب الراية للزيلعي ج٢: ص ١٥٤)

ومنها: نهي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خلافته الناس عن أداء صلاة التراويح جماعة لأنّها بدعة. (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص ٢٨٣) وحسبُ القارئ اللبيب أن يرى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يصف الاجتماع في شهر رمضان على غير الفريضة بدعة

هذا وقد صرّحوا أنفسهم جميعاً بأنّ العبادات توقيفيّة بمعنى أنّه لا يجوز لأحد أن يشرّع شيئاً منها إلّا بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرَّع فتشريعه بدعة مردودة، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد (صحيح البخاري ج٣: ص ٢ كتاب البيوع باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع وج ٨: ص ١٥٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب إذا اجتهد العاهل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص ١٣٢ كتاب الأقضية باب بيان خير الشهود وغيرهما) وقال ابن حجر: «ليس عليه أمرنا» والمراد به أمر الدين... (فتح الباري

➔

ورسوله.... [(١)] وغالى فيهم بجعلهم سادة مطاعين وهم رعايا لغيرهم ليس

➔

ج٥: ص ٢٢٣) وقال النووي: (فهو رد) قال أهل العربية، الرد هنا المردود، ومعناه فهو باطل غير معتدّ به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه صريح في ردّ كل البدع والمخترعات ... (شرح مسلم ج١٢: ص ١٦) وقال المناوي: في شرح الحديث: (ليس عليه أمرنا): أي حكمنا وإذننا (فهو رد) أي مردود عليه فلا يقبل منه وفيه دليل للقاعدة الاصولية أنّ مطلق النهي يقتضي الفساد لأنّ المنهي عنه مخترع محدث وقد حكم عليه بالردّ المستلزم للفساد... (فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٦: ص ٢٣٧) وقال ابن كثير في تفسيره عند ذكر قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾(سورة البقرة: ١١٢) أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وآله فإنّ للعمل المتقبّل شرطين أحدهما أن يكون خالصاً لله وحده والآخر أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبّل، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ. (رواه مسلم من حديث عائشة عنه صلى الله عليه وآله) فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنّهم مخلصون فيه لله فإنّه لا يتقبّل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسولالمبعوث اليهم وإلى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنْثُورًا**﴾ وقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾(تفسير ابن كثير ج١: ص ١٥٩) وإلى غير ذلك.

(١) قال الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر: ٤) فإنّ المشاقة عبارة عن المخالفة بالعناد حيث إنّ أصله من الشق، فالشقاق بمعنى الانفطار والانفصال، وبما أنّ المخالف والعدو يبتعد عمن يقابله ويعارضه فقد سمّي عمله شقاقاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ**

➔

لهم حق الطاعة على غيرهم [١] بل قد عرفت شمول آية ﴿ومن يشاقق

➔

مَصيراً﴾ (سورة النساء:١١٥) فالشقاق بمعنى المخالفة الصريحة المقرونة بالحقد والضغينة حيث إن جملة «من بعد ما تبين له الهدى» تدل على أن من يخالف الحق بعد ما تبين له حقيقة الأمر وهو مصرّ على المخالفة ومستمرٌّ في عناده ومحاربة الحق، فاستمراره في طريق الضلالة يؤدي الى عداء وبغضاء وكراهية ونفور ضدّ الحق بحيث لا يمكنه اتخاذ الموقف السليم، بل دائماً يكون في حال تزوير الحقائق وترويج الباطل والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، إلى غير ذلك مما يؤدّي إلى العداء المستحكم.

ثم إنّ الآية الكريمة تقول: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ أي من اتبع طريقا غير طريق التوحيد والخضوع لله وحده والتسليم لأوامر الله ورسوله الذي هو مبدأ الإسلام فان مصيره إلى ما اتبعه من الشيطان وأعداء الله ورسوله ويستفاد من قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بأنّ مشاقّة الرسول مشاقّة الله لأنّ أمر الرسول واجب الاتباع كالأوامر الالهية كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧) وهذه الآية ذات حكم كلّي في وجوب الالتزام بأوامر النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، ومعناه تأكيد الأمر على أن لا نضع قوانين الشرع من تلقاء أنفسنا، بل في كل مجال لابد من اتباع التعاليم المحمدية وإطاعة أوامر الرسولصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ واجتناب ما نهى عنه، خصوصاً أنّ الله تعالى هدّد في نهاية الآية بأنّ جميع المخالفين لتعاليمه الحكيمة يصلهم العذاب الشديد، فلاحظ.

(١) فقد تخلّف الشيخان أبو بكر وعمر عثمان وابن الجراح وغيرهم من الأنصار والمهاجرين عن جيش أُسامة بعد ما عبّأهم رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وجعلهم تحت أمر أُسامة بن زيد في مرض وفاته يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١١ من الهجرة، فالخلفاء الثلاثة كانوا من جملة رعايا أسامة بن زيد، فقد روى صاحب الطبقات الكبرى: إنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عقد لأسامة بن زيد لواءً بيده ثم قال: (اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله) فخرج وعسكر

🡐

➔
بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة وفيهم أبوبكر وعمر بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وغيرهم (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص ٢٤٩) وقال ابن سيد الناس: أمر النبيﷺ بحملة اسامة يوم الاثنين فلما كان يوم الأربعاء بدأ برسول اللهﷺ وجعه فحُمّ وصدع. (عيون الأثر ج٢: ص ٢٨١) فكان اسامة بن زيد مولاهم وأميرهم فلم يزل يكرّر النبيﷺ الأمر بالخروج مع اسامة حتى قال: جهزوا جيش اسامة لعن الله المتخلف عن جيش اسامة (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٣ والسيرة الحلبية ج٣: ص ٢٠٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ٥٣ والكافي في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص ٢١٥ وغيرهم) والحاصل إنّا لا نعلم كيف جاز لأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم ممن تخلفوا عن جيش اسامة وشملهم لعن النبيﷺ أن يعتبروا أنفسهم ولاة المسلمين مع أنهم كانوا رعايا متخلّفين عن أوامر أميرهم.

ومن الطريف في هذا المجال ما جاء من احتجاج أُسامة على أبي بكر عندما أرسل أبوبكر رسالة إلى اسامة يطلب منه فيها البيعة لنفسه فكتب إليه اسامة: من اسامة بن زيد عامل رسول اللهﷺ على غزوة الشام أمّا بعد: فقد أتاني منك كتاب ينقض أوله آخره، ذكرت في أوله أنك خليفة رسول اللهﷺ وذكرت في آخره أنّ المسلمين قد اجتمعوا عليك فولّوك أمرهم ورضوك فاعلم أنّي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضيناك ولا ولّيناك أمرنا، وانظر أن تدفع الحق إلى أهله وتخليهم واياه فانهم أحق به منك، فقد علمت ما كان من قول رسول اللهﷺ في علي يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى! انظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ورسوله وتعصي من استخلفه رسول اللهﷺ عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتى قبض رسول اللهﷺ، وإنّك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتما في المدينة بغير إذن (الاحتجاج ج١: ص ٨٧).

أقول: إنّ هذه الرسالة وإن كانت منقولة في كتب الشيعة ونحن نقلناها من كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي أعلى الله مقامه الشريف الّا أنّ فيها حقيقة واضحة مما حدث في التأريخ
➔

الرسول...﴾[1]

➔

مما لا يمكن الجواب عنه، وهذا الاحتجاج منقول في التاريخ، فبغضّ النظر عن كونه من كتب الشيعة فهو وارد على أبي بكر، ثم إنّه وارد على جميع الخلفاء الثلاثة الذين تخلفوا عن جيش اسامة فهم كانوا رعايا له وقد تخلّفوا عن أمره كما تخلّفوا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمر الله سبحانه وتعالى إذ يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ (سورة النساء: ٥٩) فأمر الرسول واجب الاطاعة من دون أيّ قيد أو شرط كما هو ظاهر الآية، فهي تدلّ بالصراحة على أنّ جميع أوامر النبي صلى الله عليه وآله ونواهيه واجبة الاطاعة. وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦) فانّ روح الاسلام التسليم فيجب أن يكون التسليم لأمر الله تعالى بدون قيد أو شرط، وقد ورد هذا المعنى في آيات مختلفة من القرآن الكريم وبعبارات مختلفة وهذه الآية المباركة منها والتي تقول: يجب على جميع المؤمنين والمؤمنات أن يجعلوا إرادتهم تبعاً لإرادة الله وإرادة الرسول، صلى الله عليه وآله ومن البديهي أنّ إرادة الرسول نفس إرادة الله، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً، أي سوف يضلّ طريق السعادة ويسلك طريق الضلال والضياع؛ لأنّه لم يعبأ بأمر رب العالمين وبأمر رسوله، الأمر الضامن لسعادة الانسان ونجاته من الضلالة.

(١) قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾(سورة النساء: ١١٥) فالمشاقّة من الشقّ هو القطعة المبانة من الشيء، فالمشاقة في الآية الكريمة هي المباينة على وجه العداوة؛ لأنّ معنى الشقاق هو كون كلٍّ من الطرفين المخالفين في شقّ، غير شقّ الآخر من أجل المخالفة والعداوة التي بينهما، فالشقاق كناية عن المخالفة والعداء، والمعنى في المقام أنّ من يخالف رسول الله ويعاديه من بعد ما تبين له الهدى أي ظهر له الحق

🡐

➔

والاسلام وقامت له الحجة وصحت الأدّلة بثبوت نبوته ورسالته ثم يتبع طريقاً وسبيلاً غير سبيل المؤمنين الذين آمنوا به حقاً يكون مشمولاً للآيةّ، فالمراد بسبيل المؤمنين طاعة الرسول فانَّ طاعته طاعة الله كما يقول تعالى: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ** ﴾ (سورة النساء: ٨) أي لا انفصال بين الطاعتين، وذلك لأنّ النبيﷺ لا يخطوا أية خطوة خلافاً لإرادة الله عزّوجلّ، فكلّ ما يصدر منه من فعل أو قول أو تقرير إنما يطابق إرادة الله سبحانه ومشيئته، فالتابعون على وجه الحقيقة لسبيل الرسولﷺ هم المؤمنون حقاً وهم الذين يجتمعون على الإيمان، والإيمان الحقيقي هو الاجتماع على طاعة الله ورسوله.

وإنّ شئت فقل: هم مجتمعون على طاعة الرسول الحافظ لوحدة سبيلهم، وأنّ من يطع الرسول فقد أطاع الله، فمع طاعة النبيﷺ تحصل الوحدة في طريق واحد كما قال تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(سورة ال عمران: ١٠١) فالآية الكريمة تلزم جميع المؤمنين بأنّ لايتخذوا إلا طريق الحق وهو الطريق المستقيم الذي رسمه الله تعالى لجميع المؤمنين في القرآن الكريم وعبّر عنه بالصراط المستقيم وبيّنه رسول الله ﷺ في أحاديث متواترة كما سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى، ومن هنا كان الصراط المستقيم في المفهوم القرآني هو الدين الإلهي في الجوانب العقائدية والعملية؛ وذلك لأن هذا الدين أقرب طريق للارتباط بالله تبارك وتعالى، ومن هنا يلزم أن نقول: بأنّ الدين الحقيقي واحد لا أكثر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ (سورة ال عمران: ١٩) وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (سورة الانعام: ١٥٣) فالآية الكريمة تقول إنّ طريق الله واحد بينما طرق المنحرفين متعددة ومتناثرة ولذا فقد وردت عبارة الصراط المستقيم في القرآن الكريم بصيغة المفرد وسبل المنحرفين بصيغة الجمع.

والنتيجة أن من يتبع سبيل الله ورسوله فهو على الصراط المستقيم أي أنّه من المؤمنين

🡐

وآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا....﴾[1] وآيات ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا

➔

الحقيقيين الذين يسلكون الصراط المستقيم وهو طريق واحد وهو طريق التوحيد وطريق العدل وطريق الحق وطريق الطهر والتقوى وهو طريق لا يؤدي إلى الانحراف عن الله. إذا فالإسلام متكفل لجميع ما يحتاج إليه الناس، فالسالك في الطريق الإلهي الذي ليس فيه اعوجاج فهو يأخذ الأحكام والعقائد ومعارف دينه من منبعه الأصلي ولا ينحرف يميناً ولا شمالاً.

وخلاصة الكلام أنّ الذين هم على صراط المستقيم هم من اتبعوا الرسول اتباعاً حقيقياً، أي اتبعوا من بعده أوامره وجعلوها نصب أعينهم في حياته وبعد مماته فلم يميلوا إلى الغاصبين لحقوق الله ورسوله وأهل بيته الأئمة الهداة، فإنّ الغاصبين لا فضل لهم بل هم من المنافقين ومن جهلة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كما سنوضّحه إن شاء الله في محله.

(١) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٩) هذه الآية الكريمة تتحدث عن الذين يكتمون ما أنزله الله تعالى من البينات والهدى. والبينات جمع «بينة» وهي الدليل والحجة، والمراد بالهدى ما تضمّنه الدين الإلهي من المعارف والأحكام التي تهدي تابعيه إلى السعادة. ومن الواضح أنّ ما بيّنه الله تعالى أعم ممّا بيّنه في الكتاب أو بيّنه بواسطة نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله، كما قال في القرآن الكريم: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة النحل: ٤٤) فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد بيّن للناس مسؤولياتهم تجاه آيات الله، وعلى هذا الأساس فالآية تقول بأنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من الآيات البينات، فإنّ الكتمان عبارة عن الإخفاء والإخفاء أعمّ من إخفاء أصل الآية وعدم إظهارها للناس لعدم معرفتهم بها أو الإخفاء بالتأويل وصرف الدلالة بالتوجيه كما كان دأب العلماء المنحرفين، فإنّهم كانوا يعلمون الحقيقة ولكن لا يظهرونها للناس، وإذا كان الناس يعرفون شيئاً من ذلك يؤوّلونه ويصرفون أنظار الناس عن الحق ويبدون

➔

أَنزَلَ اللّهُ.... ﴾[1]

➔

ماشاؤوا بدل ما أنزله الله تعالى للناس.

ثم إنّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي جعله الله تعالى معلماً لكتابه العزيز كما يقول تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (سورة الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤) ويقول تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة ال عمران: ١٦٤) وجعل باب تبيين الكتاب مفتوحاً بما أقام في أُمته عترته الطاهرة لما بعد وفاته في حديث متفق عليه بين الفريقين حيث قال: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً) وقد صدق الله نبيه في علمهم بالقرآن حيث قال عزوجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(الأحزاب: ٣٣) وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (سورة الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨) وقد كانت طريقة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نفس طريقة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في التعليم والتفسير وتبيين الآيات، ولذلك فإنّ الخلفاء الثلاثة الغاصبين لحقوق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كتموا ما بيّنه الله ورسوله من الآيات والحجج الباهرة من الكتاب والسنة الشريفة فشملتهم لعنة الله ولعنة الملائكة والمؤمنين أجمعين.

وبعبارة أخرى: كلّ أنصار الحق يغضبون على من كتم الحق، وأية خيانة للحاكم أكبر من محاولة العلماء كتمان أيات الله المودعة عندهم من أجل مصالحهم الشخصية ولتضليل الناس؟ والذي يلفت النظر أن الفعل «يلعن» قد تكرر في الآية الكريمة للتأكيد والاستعمال بصيغة المضارع لبيان استمرار اللعن لأنّ صيغة المضارع تدلّ على الحال والمستقبل ومن هنا فإنّ لعنة الله ولعنة اللاعنين تلاحق الكاتمين لآيات الله باستمرار.

(١) قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(سورة المائدة: ٤٤). وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة

←

وغيرها لهم ولمتابعيهم[1] فمن هذه حالهم كيف يغالى فيهم إلى حدٍّ

➔

المائدة: ٤٥) وقال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٧)

وهذه الآيات الثلاث تتضمن الحكم الصارم والحازم على الذين يحكمون خلافاً لما أنزل الله فسجّلت عليهم الكفر والظلم والفسق، ولعلّ الوجه في ذلك أنّ المراتب في ذلك مختلفة، فقد يكون ذلك موجباً لإنكار التوحيد أو إنكار وجود الله، وقد يكون ذلك موجباً للظلم والعدوان على الاخرين، وقد يكون ذلك موجباً للعصيان دون إنكار التوحيد فالأول يشمله قوله تعالى ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والثاني يشمله قوله تعالى ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والثالث يشمله قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فكلّ صفة من الصفات الثلاثة المذكورة قد تكون إشارة إلى واحد من الجوانب الثلاثة؛ لأنّ الذي لا يحكم بما أنزل الله قد تجاوز القانون الإلهي بشكل خاص فيكون مشمولاً لصفته الخاصّة.

وخلاصة الكلام أنّ الثلاثة الذين غصبوا الخلافة من أهل بيت النبيﷺ قد حكموا بغير ما أنزل الله وتشملهم الآيات الثلاث وتنطبق عليهم الصفات الثلاث لأنّهم من ناحية قاموا بتكذيب الله ورسوله وهذا ينتهي إلى الكفر، ومن ناحية: إن فعلهم يؤدي إلى ظلم الآخرين فينطبق عليهم عنوان الظالمين، ومن ناحية ثالثة: إن في فعلهم مخالفة صريحة للدين وأحكامه الشرعية فينطبق عليهم عنوان الفاسقين فانطباق كلّ هذه العناوين لها أدلّة واضحة كما تقدم.

(١) فانّ من اعتقد بحاكمية الخلفاء الثلاثة وسعى في تقوية حكمهم وسلطنتهم فقد تحاكم إلى الطاغوت كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ (سورة النساء: ٦٠) فإنّ الطاغوت مشتقة من الطغيان وهي بمعنى التجاوز والتعدي وكسر الحدود وتجاهل القيود، وكلّ شيء يكون

←

➔

وسيلة للطغيان والتمرّد محكوم بالطاغوت والحاكم بالباطل يتعدى القوانين الإلهية وقوانين الحق والعدل في مقابل الحكومة الالهية وهي الحكومة التي على رأسها من يدعو المؤمنين إلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر والتحاكم إلى الكتاب والسنة الشريفة وعلى كل حال فإنّ الآية الكريمة تنهى المسلمين عن أن يراجعوا في الحكم والقضاء وغير ذلك إلى الحكّام الطواغيت، وهذا حكم عام يبيّن قانوناً خالداً لجميع المسلمين في جميع العصور والدهور ويحذرهم من مراجعة الطواغيت وطلب الحكم منهم، وأنّ ذلك لا يناسب الإيمان بالله والكتب السماوية.

هذا مضافاً إلى كون الرجوع إليهم يضلّ الانسان عن طريق الحقّ ويجعله بذلك في الطريق الذي يريده الشيطان فيضله ضلالاً بعيداً، ولاشك في وجود مفاسد وتبعات لمثل هذه الأقضية والأحكام التي تصدر عن الطواغيت، فإنّها تحطّم كيان المجتمع البشري وتخرب العلاقات والروابط الاجتماعية وتهدم الأسس الأخلاقية، وهذا مما لا يخفى على أحد ولذلك ورد في بعض أحاديثنا عن عمر بن الحنظلة قال: سألت أبا عبد الله الصادقعليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قالعليه السلام : من تحاكم إليهم في حق أو باطل تحاكم إلى الجبت والطاغوت المنهي عنه، وما حكم له به فإنّما يأخذ سحتاً وان كان حقه ثابتاً له؛ لأنّه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله عزوجل أن يكفر به... (بحار الأنوار ج١٠١: ص ٢٦١).

وأخرج الواحدي النيسابوري في تفسيره عن ابن عباس أنّ هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق بل نأتي كعب بن الأشراف وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت، فأبى اليهودي إلّا أن يخاصمه إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله فلما رآى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله فاختصما إليه فقضى رسول اللهصلى الله عليه وآله لليهودي، فلّما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلا إلى عمر فقال اليهودي: اختصمنا أنا وهذا إلى محمد فقضى له عليّ فلم يرض بقضائه وزعم أنّه مخاصم إليك وتعلق به فجئت إليك معه، فقال

➔

يُفضَّلون على عامة خير أمة وتوجب طاعتهم!؟[1] فانظر إلى غلوّهم وتبصّر

➔

عمر للمنافق أكذلك؟ قال: نعم، ... (أسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري: ص ١٠٧).

أقول: للباحث أن يبحث في علّة ركون هذا المنافق إلى عمر بن الخطاب بعد قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله، هل كان يعتبره ملجأ لأمثاله؟ وهل يمكن لأحد أن ينقض حكم رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا من عنده الجرأة على المخالفة ومن يراه المنافق على مسلكه وبهذا وأمثاله نعرف سبب اتباع المنافقين للخلفاء الثلاث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) لا يخفى على الخبير أنّه ليس من العسير معرفة حال الصحابة؛ إذ التاريخ مع ما فيه من الخبط والخلط ومع ما كان فيه من الغث السمين، ومالعبت به الأهواء المضلّة بالتحريف والاختلاف، وما دسّ فيه عباقرة الإفك والافتعال فإنّه قد وصل إلينا شيء قليل من تلك الموارد الكثيرة. ومن تلك الموارد ما رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه: قال: كان من البلاء العظيم الذي ابتلى الله عزوجل به قريشاً بعد نبيّها صلى الله عليه وآله ليعرّفها أنفسها ويجرح شهادتها على ما ادّعته على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته ودحض حجتها وكشف غطاء ما أسرّت في قلوبها وأخرجت ضغاينها لآل الرسول صلى الله عليه وآله أجمعين وأزالتهم عن إمامتهم وميراث كتاب الله فيهم ما عظمت خطيئته وشملت فضيحته ووضحت هداية الله فيه لأهل دعوته وورثة نبيه صلى الله عليه وآله، وأنارت به قلوب أوليائهم وغمرهم نعمه وأصابهم بركاته، أنّ ملك الروم لمّا بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وخبر أمته واختلافهم في الاختيار عليهم وتركهم سبيل هدايتهم، وادّعائهم على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يوص إلى أحد بعد وفاته صلى الله عليه وآله وإهماله ايّاهم يختاروا لأنفسهم وتوليتهم الأمر بعد الأباعد من قومه، وصرف عن أهل بيته وورثته وقرابته، دعا علماء بلده واستفتاهم فناظرهم في الأمر الذي ادّعته قريش بعد نبيها صلى الله عليه وآله وفيما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فأجابوه بجوابات من حججهم على أنّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله فسأل أهل مدينته أن يوجّههم إلى المدينة لمناظرتهم والاحتجاج عليهم، فأمر الجاثليق أن يختار من أصحابه وأساقفته، فاختار منهم مائة رجل، فخرجوا

🡐

➔

يقدمهم جاثليقٌ لهم قد أقرّت العلماء له جميعاً بالفضل والعلم متبحراً في علمه، يُخرج الكلام من تأويله ويردّ كلّ فرع إلى أصله، ليس بالخرق ولا بالترق ولا بالبليد ولا الرِّعديد ولا النّكل ولا الفشل، ينصت لمن يتكلم ويجيب إذا سئل ويصبر إذا منع. فقدم المدينة بمن معه من خيار أصحابه حتى نزل القرم عن رواحلهم، فسأل أهل المدينة عمن أوصى إليه محمدﷺ ومن قام مقامه فدلّوه على أبي بكر فأتوا مسجد رسول اللهﷺ فدخلوا على أبي بكر وهو في حشدة من قريش فيهم عمر بن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعثمان بن عفان وانا في القوم، فوقفوا عليه فقال زعيم القوم: السلام عليكم، فردّوا عليه السلام فقال: أرشدونا إلى القائم مقام نبيكم فإنّا قوم من الروم وإنّا على دين المسيح عيسى بن مريمعليهما السلام فقدمنا لمّا بلغنا وفاة نبيكم واختلافكم نسأل عن صحة نبوته ونسترشد لديننا ونتعرف دينكم، فإن كان أفضل من ديننا دخلنا فيه وسلمّنا قبلنا الرشد منكم طوعاً وأجبناكم إلى دعوة نبيكمﷺ، وان يكن على خلاف ما جاءت به الرسل وجاء به عيسى بن مريمعليهما السلام رجعنا إلى دين المسيح فإنّ عنده من عهد ربّنا في أنبيائه ورسله دلالة ونوراً واضحاً، فأيّكم صاحب الأمر بعد نبيكمﷺ فأشار عمر بن الخطاب إلى أبي بكر وقال: هذا صاحبنا ووليّ الأمر بعد نبينا.

قال الجاثليق: هو هذا الشيخ؟ فقال: نعم، فقال: يا شيخ أنت القائم الوصي لمحمدﷺ في أمته؟ وأنت العالم المستغني بعلمك مما علَّمك نبيك من أمر الامة وما تحتاج إليه؟ قال أبوبكر: لا ما أنا بوصي، قال له فما أنت؟ قال عمر: هذا خليفة رسول الله، قال النصراني: أنت خليفة رسول الله استخلفك في أمته؟ قال أبوبكر: لا، قال: فما هذا الاسم الذي ابتدعتموه بعد نبيكم؟! فإنّا قد قرأنا كتب الأنبياء فوجدنا الخلافة لا تصلح إلّا لنبي من أنبياء الله، لأنّ الله تعالى جعل آدم خليفة في الأرض، فرض طاعته على أهل السماء والأرض، ونوّه باسم داودعليه السلام فقال: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** ...﴾ (سورة ص: ٢٦) فكيف تسميت بهذا الاسم؟ ومن سمّاك به؟ أنبيّك سمّاك به؟ قال: لا، ولكن تراضوا الناس فولوني واستخلفوني. فقال: أنت خليفة قومك لا نبيك، وقد قلت إنّ

➔

➔

النبي لم يوص إليك وقد وجدنا في كتب من سنن الأنبياء أنّ الله لم يبعث نبياً إلّا وله وصي يوصي إليه ويحتاج الناس كلّهم إلى علمه وهو مستغن عنهم، وقد زعمت أنّه لم يوص كما أوصت الأنبياء، وادّعيت أشياء لست بأهلها، وما أراكم إلا وقد دفعتم نبوة محمد وقد أبطلتم سنن الأنبياء في قومهم، قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه وقال: إنّ هؤلاء يقولون إنّ محمداً لم يأتهم بالنبوة وإنّما كان أمره بالغلبة، ولو كان نبياً لأوصى كما أوصت الأنبياء وخلّف فيهم كما خلّفت الأنبياء من الميراث والعلم، ولسنا نجد عند القوم أثر ذلك، ثم التفت كالأسد فقال: يا شيخ أمّا أنت فقد أقررت أنّ محمّداً لم يوص إليك ولا استخلفك وإنّما تراضوا الناس بك، ولو رضي الله عزوجل برضى الخلق واتباعهم لهواهم واختيارهم لأنفسهم ما بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وآتاهم الكتاب والحكمة ليبينوا للناس ما يأتون ويذرون وما فيه يختلفون لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فقد دفعتم النبيين عن رسالاتهم واستغنيتم بالجهل من اختيار الناس عن اختيار الله عزوجل الرسل للعباد واختيار الرسل لأممهم، ونراكم تعظمون بذلك الفرية على الله عزوجل وعلى نبيكم ولا ترضون إلّا أن تتسموا بعد ذلك بالخلافة، وهذا لا يحل إلّا لنبي أو وصي نبيّ، وإنما تصحّ الحجّة لكم بتأكيدكم النبوة لنبيكم وأخذكم بسنن الأنبياء في هداهم، وقد تغلبتم فلابدّ لنا أن نحتجّ عليكم فيما ادعيتم حتّى نعرف سبيل ما تدعون إليه ونعرف الحق فيكم بعد نبيكم، أصواب ما فعلتم بإيمان أم كفرتم بجهل؟ ثم قال: يا شيخ أجب، قال: فالتفت أبوبكر إلى أبي عبيدة ليجيب عنه، فلم يحر جواباً، ثم التفت الجاثليق إلى أصحابه فقال: بناءُ القوم على غير أساس ولا أرى لهم حجة، أفهمتم؟ قالوا: بلى، ثم قال لأبي بكر: يا شيخ أسألك؟ قال: سل، قال: أخبرني عنّي وعنك ما أنت عند الله وما أنا عند الله؟ قال: أما أنا فعند نفسي مؤمن، وما أدري ما أنا عند الله فيما بعد، وأما أنت فعندي كافر وما أدري ما أنت عند الله، قال الجاثليق: أما أنت فقد منيتنفسك بالكفر بعد الإيمان وجهلت مقامك في إيمانك أمحقٌّ أنت فيه أم مبطل، وأمّا أنا فقد منيتني الإيمان بعد الكفر فما أحسن حالي وأسوأ حالك عند نفسك، إذ كنت لا توقن

➔

➔

بمالك عند الله فقد شهدت لي بالفوز والنجاة وشهدت لنفسك بالهلاك والكفر، ثم التفت إلى أصحابه فقال: طيبوا نفساً فقد شهد لكم بالنجاة بعد الكفر، ثم التفت إلى أبي بكر فقال: يا شيخ أين مكانك الساعة من الجنة إذا ادعيت الإيمان، وأين مكاني من النار؟ قال: التفت أبوبكر إلى عمر وأبوعبيدة مرة أخرى ليجيبا عنه فلم ينطق أحدهما، قال: ثم قال: ما أدري أين مكاني وما حالي عند الله؟ قال الجاثليق: يا هذا أخبرني كيف استجزت لنفسك أن تجلس هذا المجلس وأنت محتاج إلى علم غيرك؟ فهل في أمة محمد من هو أعلم منك؟ قال: نعم قال: ما أعلمك وأياهم إلّا وقد حمّلوك أمراً عظيماً وسفهوا بتقديمهم إيّاك على من هو أعلم منك، فان كان الذي هو أعلم منك يعجز عما سألتك كعجزك فأنت وهو واحد في دعواكم، فأرى نبيّكم إن كان نبيّاً فقد ضيّع علم الله عزوجل وعهده وميثاقه الذي أخذه على النبيين من قبله في إقامة الأوصياء لأمّتهم، حيث لم يقم وصيّاً ليتفرّغوا إليه فيما يتنازعون في أمر دينكم. فدّلوني على هذا الذي هو أعلم منكم فعساه في العلم أكثر منك في محاورة وجواب وبيان وما يحتاج إليه من أثر النبوة وسنن الأنبياء، ولقد ظلمك القوم وظلموا أنفسهم فيك. قال سلمان رضي الله عنه: فلّما رأيت ما نزل بالقوم من البهت والحيرة والذلّ والصغار وما حلّ بدين محمدﷺ وما نزل بالقوم من الحزن، نهضت ـ لا أعقل أين أضع قدمي ـ إلى باب أمير المؤمنينعليه السلام، فدققت عليه الباب فخرج وهو يقول: ما دهاك يا سلمان؟ قال: قلت: هلك دين محمدﷺ وهلك الإسلام بعد محمدﷺ وظهر أهل الكفر على دينه وأصحابه بالحجة، فأدرك يا أمير المؤمنين دين محمدﷺ والقوم قد ورد عليهم مالا طاقة به لا بدّ ولاحيلة، وأنت اليوم مفرّج كربها وكاشف بلواها وصاحب مِيسمها وتاجها ومصباح ظلمها ومفتاح مبهمها. قال: فقال عليعليه السلام ما ذاك؟ قال: قلت: قد قدم قوم من ملك الروم في مائة رجل من أشراف الناس من قومهم يقدمهم جاثليق لهم لم أر مثله! يورد الكلام على معانيه ويصرفه على تأويله ويؤكد حجته ويحكم ابتدائه، لم أسمع مثل حجته ولا سرعة جوابه من كنوز علمه، فأتى أبابكر فأبطل دعواه بالخلافة وغلبهم بادعائهم تخليفهم مقامه،

➔

➔

فأورد على أبي بكر مسألة أخرجه بها عن إيمانه وألزمه الكفر والشك في دينه، فعلتّهم لذلك ذلة وخضوع وحيرة، فأدرك يا أمير المؤمنين عليه السلام دين محمد فقد ورد عليهم ما لا طاقة لهم به. فنهض أمير المؤمنين عليه السلام معي حتى أتينا القوم وقد ألبسوا الذلة والمهانة والصغار والحيرة، فسلّم علي عليه السلام ثم جلس، فقال: يا نصراني أقبل عليّ بوجهك واقصدني بمسائلك فعندي جواب ما يحتاج الناس إليه فيما يأتون ويذرون وبالله التوفيق. قال فتحوّل النصراني إليه وقال: يا شاب إنا وجدنا في كتب الأنبياء أنّ الله لم يبعث نبياً قط إلّا وكان له وصي يقوم مقامه، وقد بلغنا اختلاف أمّة محمّد في مقام نبوته وادعاء قريش على الأنصار وادّعاء الأنصار على قريش واختيارهم لأنفسهم، فأقدَمَنا ملكنا وداً وقد اختارنا لنبحث عن دين محمد صلى الله عليه وآله ونعرف سنن الأنبياء فيه والاستماع من قومه الذين ادّعوا مقامه أحقّ ذلك أم باطل قد كذبوا عليه كما كذبت الامم بعد أنبيائها على نبيها ودفعت الأوصياء عن حقّها؟ فإنّا وجدنا قوم موسى عليه السلام بعده عكفوا على العجل ودفعوا هارون عن وصيّته واختاروا ما أنتم عليه، وكذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فَقَدِمنا فأرشدنا القوم إلى هذا الشيخ، فادّعى مقامه والأمر له من بعده، فسألنا عن الوصية إليه عن نبيّه فلم يعرفها وسألناه عن قرابته منه، إذ كانت الدعوة في إبراهيم عليه السلام فيما سبقت الذرية في إمامته أنّه لا ينالها إلا ذريّة بعضها من بعض ولا ينالها إلّا مصطفى مطهر، فأردنا أن نتبين السنة من محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به النبيون عليهم السلام واختلاف الأمة على الوصيّ كما اختلف على من مضى من الأوصياء، ومعرفة العترة فيهم، فإن وجدنا لهذا الرسول وصيّاً وقائماً بعده وعنده علم ما يحتاج إليه الناس ويجيب بجوابات بيّنة، ويخبر عن أسباب البلايا والمنايا وفصل الخطاب والأنساب وما يهبط من العلم في ليلة القدر في كل سنة وما ينزل له الملائكة والروح إلى الأوصياء صدّقنا بنبوته وأجبنا دعوته واقتدينا بوصيّته وآمنا به وبكتابه وبما جاءت به الرسل من قبله، وإن يكن غير ذلك رجعنا إلى ديننا وعلمنا أنّ محمداً لم يبعث، وقد سألنا هذا الشيخ فلم نجد عنده تصحيح نبوّة محمد صلى الله عليه وآله وإنّما ادّعوا له وكان جبّاراً غلب على قومه بالقهر وملكهم ولم

➔

➔

يكن عنده أثر النبوة ولا ما جائت به الأنبياءعليهم السلام قبله وأنه مضى وتركهم بهماً يغلب بعضهم بعضاً وردّهم جاهلية جهلاء مثل ما كانوا يختارون بآرائهم لأنفسهم أيّ دين أحبّوا وأيّ ملك أرادوا، وأخرجوا محمداًصلى الله عليه وآله من سبيل الأنبياء وجهّلوه في رسالته ودفعوا وصيته وزعموا أنّ الجاهل يقوم مقام العالم، وفي ذلك هلاك الحرث والنسل وظهور الفساد في الأرض في البر والبحر، وحاشا الله عزوجل أن يبعث نبياً إلّا مطهَّراً مسدداً مصطفى على العالمين، وإنّ العالم أمير علي الجاهل أبداً إلى يوم القيامة، فسألته عن اسمه فقال الذي جنبه: هذا خليفة رسول الله، فقلت: إنّ هذا الاسم لا نعرفه لأحد بعد النبي إلّا أن يكون من اللغات! فأمّا الخلافة فلا تصحّ إلّا لآدم وداود عليهما السلام، والسنة فيها للأنبياء والأوصياء، وإنّكم لتعظمون الفرية على الله ورسوله. فانتفى من العلم واعتذر من الاسم وقال: إنّما تراضوا الناس بي فسمّوني خليفة، وفي الأمّة من هو أعلم منّي. فاكتفينا بما حكم على نفسه وعلى من اختاره، فقدمت مسترشداً وباحثاً عن الحق، فإنّ وضح لي اتّبعته ولم تأخذني في الله لومة لائم، فهل عندك أيها الشابّ شفاء لما في صدورنا؟ قال عليعليه السلام: بلى عندي شفاء لصدوركم، وضياء لقلوبكم وشرح لما أنتم عليه، وبيان لا يختلجكم الشك معه، وإخبار عن أُموركم، وبرهان لدلالتكم فأقبل عليّ بوجهك، وفرّغ لي مسامع قلبك وأحضرني ذهنك وَعِ ما أقول لك، إنّ الله بمنّه وطوله وفضله ـ له الحمد كثيراً دائماً ـ قد صدق وعده، وأعزّ دينه ونصر محمداً عبده ورسوله، وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، إنّه تبارك اختصّ محمداًصلى الله عليه وآله واصطفاه وهداه وانتجبه لرسالته إلى الناس كافة برحمته، وإلى الثقلين برأفته، وفرض طاعته على أهل السماء والأرض، وجعله إماماً لمن قبله من الرسل، وخاتماً لمن بعده من الخلق، وورّثه مواريث الأنبياء، وأعطاه مقاليد الدنيا والآخرة واتّخذه نبياً ورسولاً وحبيباً وإماماً ورفعه إليه وقرّبه عن يمين عرشه بحيث لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، فأوحى الله إليه في وحيه ما أوحى ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ (سورة النجم: ١١) وأنزل علاماته على الأنبياء وأخذ ميثاقهم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال: ثم قال: ﴿ **أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ**

🡐

➔

عَلَى ذَلكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهدينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨١) وقال: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عندَهُمْ فِي التَّوْرَاة وَالإِنْجيل يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَر وَيُحلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِه وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧) فما مضىصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حتى أتمّ الله مقامه وأعطاه وسيلته ورفع له درجته، فلن يُذكر الله تعالى إلّا كان معه مقروناً، وفرض دينه ووصل طاعته بطاعته فقال: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾(سورة النساء: ١١) وقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(سورة الحشر: ٧) فأبلغ عن الله عزوجل رسالته وأوضح برهان ولايته وأحكم آياته وشرّع شرائعه وأحكامه، ودلّهم على سبيل نجاتهم، وباب هدايته وحكمته، وكذلك بشّر به النبيونعليهم السلام قبله، وبشّر به عيسى روح الله وكلمته إذ يقول في الإنجيل: أحمد العربي النبي الأمّي صاحب الجمل الأحمر والقضيب، وأقام لامّته وصيّه فيهم وعيبة علمه وموضع سرّه، ومحكم آيات كتابه وتاليه حق تلاوته، وباب حطّته، ووارث كتابه، وخلّفه مع كتاب الله فيهم، وأخذ فيهم الحجة، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وقد خلّفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهما الثقلان: كتاب الله الثقل الأكبر حبل ممدود من السماء إلى الأرض سبب بأيديكم وسبب بيد الله عزوجل، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فلا تَقَدَّموهم فتمرقوا ولا تأخذوا عن غيرهم فتعطبوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم وأنا وصيه والقائم بتأويل كتابه والعارف بحلاله وحرامه، وبمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وأمثاله وعبره وتصاريفه، وعندي علم ما يحتاج إليه أمّته من بعده، وكلّ قائم ومُلتوٍ، وعندي علم البلايا والمنايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ومولد الإسلام ومولد الكفر وصاحب الكرّات ودولة الدول، فاسألني عما يكون إلى يوم القيامة وعمّا كان على عهد عيسىعليه السلام منذ بعثه الله تبارك وتعالى، وعن كلّ وصيّ وكلّ فئة

➔

➔

تضل مائة وتهدي مائة وعن سائقها وقائدها وناعقها إلى يوم القيامة، وكلّ آية نزلت في كتاب الله في ليل نزلت أم نهار وعن التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، فانّهﷺ لم يكتمني من علمه شيئاً ولا ما تحتاج إليه الأمم من أهل التوراة والإنجيل، وأصناف الملحدين وأحوال المخالفين وأديان المختلفين، وكانﷺ خاتم النبيين بعدهم، وعليهم فرضت طاعته والإيمان به والنصرة له، تجدون ذلك مكتوباً في التوراة والإنجيل والزبور وفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، ولم يكن ليضّيع عهد الله في خلقه ويترك الأمّة تائهين بعده، وكيف يكون ذلك وقد وصفه الله بالرأفة والرحمة والعفو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة القسطاس المستقيم، وإنّ الله عزوجل أوحى اليه كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده وكما أوحى إلى موسى وعيسى، فصدّق الله وبلّغ رسالته وأنا على ذلك من الشاهدين، وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا من كُلِّ أمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا** ﴾ (سورة النساء: ٤١) وقال: ﴿**كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ (سورة الرعد: ٤٣) وقد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة اليه وإلى الله عزوجل فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾(سورة التوبة: ١١٩) فنحن الصادقون وأنا أخوه في الدنيا والآخرة، والشاهد منه عليهم بعده، وأنا وسيلته بينه وبين أمّته وأنا ووُلدي ورثته، وأنا وهم كسفينة نوح في قومه من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق، وأنا وهم كباب حطّة في بني إسرائيل وأنا بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعده وأنا الشاهد منه في الدنيا والآخرة ورسول الله على بيّنة من ربّه، ويعرض طاعتي وصحبتي بين أهل الإيمان وأهل الكفر وأهل النفاق، فمن أحبّني كان مؤمناً ومن أبغضني كان كافراً. والله ما كذبت ولا كُذّبت ولا كُذّب بي ولا ضللت ولا ضُلّ بي وإنّي لعلى بيّنة بيّنها ربّي عزوجل لنبيّهﷺ فبيّنها لي، فاسألوني عمّا كان وعمّا يكون وعمّا هو كائن إلى يوم القيامة.

قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه وقال: هذا هو والله الناطق بالعلم والقدرة، الفاتق الراتق، ونرجو من الله تعالى أن نكون صادفنا حظّنا ونور هدايتنا، وهذه والله حجج الأوصياء من

🡐

➔

الأنبياء على قومهم.

قال: فالتفت إلى عليّ عليه السلام : فقال: كيف عَدَلَ بكَ القومُ عن قصدهم إيّاكَ، وادّعوا ما أنت أولى به منهم؟! ألا وقد وقع القول عليهم، قصّروا في أنفسهم وما ضرَّ ذلك الأوصياء مع ما أغناهم الله عزّ وجلّ به من العلم واستحقاق مقامات رسله، فأخبرني ـ أيّها العالم الحكيم ـ عنّي وعنك ما أنت عند الله؟ وما أنا عند الله؟

قال عليّ عليه السلام : أمّا أنا فعند الله عزّ وجلّ مؤمن وعند نفسي مؤمن متيقّن بفضله ورحمته وهدايته ونعمه عليّ، وكذلك أخذ الله جلّ جلاله ميثاقي على الإيمان وهداني لمعرفته لا أشكّ في ذلك ولا أرتاب، ولم أزل على ما أخذ الله تعالى عليّ من الميثاق، ولم أُبدّل ولم أُغيّر وذلك بمنّ الله ورحمته وصنعه، أنا في الجنّة لا أشكّ في ذلك ولا أرتاب، لم أزل على ما أخذ الله تعالى عليّ من الميثاق ـ فإنّ الشكّ شركٌ ـ لما أعطاني الله من اليقين والبيّنة، وأمّا أنت فعند الله كافرٌ بجحودك الميثاق والإقرار الذي أخذه الله عليك بعد خروجك من بطن أُمّك وبلوغك العقل ومعرفة التمييز للجيّد والرديء والخير والشرّ، وإقرارك بالرسل، وجحودك لما أنزل الله في الإنجيل من أخبار النبيّين عليهم السلام ما دمت على هذه الحالة، كنت في النار لا محالة.

قال: فأخبرني عن مكاني من النار ومكانك من الجنّة؟

فقال علي عليه السلام: لم أدخلها فأعرف مكاني من الجنّة ومكانك من النار، ولكن أُعرّفك ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ: إنّ الله جلّ جلاله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ، وأنزل عليه كتاباً: ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ (سورة فصلت: ٤٢) أحْكَمَ فيه جميع علمه، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن الجنّة بدرجاتها ومنازلها، وقسّم الله جلّ جلاله الجنان بين خلقه لكلّ عامل منهم ثواباً منها، وأحلّهم على قدر فضائلهم في الأعمال والإيمان، فصدّقنا الله وعرفنا منازل الأبرار، وكذلك منازل الفجّار، وما أعدّ لهم من العذاب في النار، وقال: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾(سورة الحجر: ٤٤) فمن مات على كفره وفسوقه وشركه ونفاقه وظلمه فـ ﴿ **لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ**

🡐

➔

جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ سورة الحجر: ٤٤)، وقد قال جلّ جلاله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (سورة الحجر: ٧٥) وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو المتوسّم، وأنا والأئمّة من ذرّيتي المتوسّمون إلى يوم القيامة.

قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه وقال: قد أصبتم إرادتكم وأرجو أن تظفروا بالحقّ الذي طلبنا، إلاّ أنّه قد نصبت له مسائل فإن أجابني عنها نظرنا في أمرنا وقبلت منه.

قال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فإنْ أجبتك عمّا تسألني عنه وفيه تبيان وبرهان واضح لا تجد له مدفعاً ولا من قبوله بُدّاً أن تدخل في ديننا؟

قال: نعم.

فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: الله عليك راع وكفيل إذا وضح لك الحقّ وعرفت الهدى أن تدخل في ديننا أنت وأصحابك؟

قال الجاثليق: نعم، لك الله عليّ راع وكفيل أنّي أفعل ذلك.

فقال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فخُذْ على أصحابك الوفاءَ.

قال: فَأَخذَ عليهم العهد.

ثم قال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَلْ عمّا أحببت.

قال: خبّرني عن الله عزّوجلّ أحَمَل العرش أم العرش يحمله؟.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: الله حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر: ٤١).

قال: أخبرني عن قول الله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة: ١٧) فكيف ذلك؟ وقلتَ إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض؟

قال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر ـ أحمّرت منه الحمرة ـ، ونور أخضر ـ أخضرّت منه الخضرة ـ، ونور أصفر ـ اصفرّت منه الصفرة ـ، ونور أبيض ـ ابيضّ منه البياض ـ وهو العلم الذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من عظمته،

➔

➔

فبعظمته ونوره ابيضّت قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض ـ من جميع خلائقه ـ إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتّتة، وكلّ محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وكلّ شيء محمول والله عزّوجلّ الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما وبما فيهما من شيء، وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ (الاسراء: ٤٣).

قال: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو؟.

قال عليه السلام: هو هاهنا.. وهاهنا.. وهاهنا.. وهاهنا..، وهو فوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ (سورة المجادلة: ٧)، والكرسيّ محيط بالسماوات والأرض: ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥) فالذين يحملون العرش هم العلماء، وهم الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلقه الله تعالى في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفيائه، وأراه الله عزّوجلّ خليله عليه السلام، فقال: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ (سورة الأنعام: ٧٥) فكيف يحمله حملة العرش وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته وانقادوا؟!

قال: فالتفت الجاثليق إلى أصحابه، فقال: هذا هو ـ والله ـ الحقّ من عند الله عزّ وجلّ على لسان المسيح والنبيّين والأوصياء عليهم السلام.

قال: أخبرني عن الجنّة في الدنيا هي أم في الآخرة؟ وأينَ الآخرة والدنيا؟.

قال عليه السلام: الدنيا في الآخرة، والآخرة محيطة بالدنيا، إذا كانت النقلة من الحياة إلى الموت ظاهرة، كانت الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون ، وذلك أنّ الدنيا نقلة والآخرة حياة ومقام، مثل ذلك النائم وذلك أنّ الجسم ينام والروح لا تنام، والبدن يموت والروح

➔

➔

لا تموت، قال الله عزّ وجلّ: (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(سورة العنكبوت: ٦٤)، والدنيا رسم الآخرة، والآخرة رسم الدنيا، وليس الدنيا الآخرة ولا الآخرة الدنيا، إذا فارق الروح الجسم يرجع كلّ واحد منهما إلى ما منه بدأ، وما منه خُلق، وكذلك الجنّة والنار في الدنيا موجودة وفي الآخرة موجودة، لأنّ العبد إذا مات صار في دار من الأرض، إمّا روضة من رياض الجنّة، وإمّا بقعة من بقاع النار، وروحه إلى إحدى دارين: إمّا في دار نعيم مقيم لا يموت فيها، وإمّا في دار عذاب أليم لا يموت فيها، والرسم لمن عقل موجود واضح، وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(التكاثر: ٥ ـ ٨)، وعن الكفّار فقال إنّهم: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (سورة الكهف: ١٠١)، ولو علم الانسان عِلْمَ ما هو فيه مات حبّاً، من الموت، ومن نجا فبفضل اليقين.

قال: فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الزمر: ٦٧)، فإذا طويت السماوات وقبضت الأرض، فأين تكون الجنّة والنار وهما فيهما؟.

قال: فدعا بدواة وقرطاس ثمّ كتب فيه: الجنّة والنار، ثمّ درج القرطاس ودفعه إلى النصرانيّ، وقال له: أليس قد طويت هذا القرطاس؟ قال: نعم. قال: فافتحه... ففتحته قال: هل ترى آية النار وآية الجنّة أمحاهما القرطاس؟ قال: لا. قال: فهكذا في قدرة الله تعالى إذا طويت السماوات وقبضت الأرض لم تبطل الجنّة والنّار كما لم تُبطل طيّ هذا الكتاب آية الجنّة وآية النار.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة القصص: ٨٨) ما هذا الوجه؟ وكيف هو؟ وأين يؤتى؟ وما دليلنا عليه؟

قال عليّ عليه السلام: يا غلام! عَلَيَّ بحطبٍ ونارٍ، فَأَتى بحطب ونار، فأمر أن تضرم، فلمّا استوقدت

🡐

➔

واشتعلت، قال له: يا نصرانيّ هل تجد لهذه النار وجهاً دون وجه؟ قال: لا، حيثما أتيتها فهو وجه.

قال عليه السلام: فإذا كانت هذه النار المخلوقة المدبّرة في ضعفها وسرعة زوالها لا تجد لها وجهاً فكيف من خلق هذه النار ـ وجميع ما في ملكوته من شيء أجابه ـ كيف يوصف بوجه أو يحدّ بحدّ، أو يدرك ببصر، أو يحيط به عقل، أو يضبطه وهم، وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(سورة الشورى: ١١).

قال الجاثليق: صدقتَ ايّها الوصيّ العليم الحكيم الرفيق الهادين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً، وأنّك وصيّه وصدّيقه ودليله وموضع سرّه وأمينه على أهل بيته ووليّ المؤمنين من بعده، من أحبّك وتولّاك هديته ونوّرت قلبه وأغنيته وكفيته وشفيته، ومن تولّى عنك وعدل عن سبيلك ضلّ وغبن عن حظّه واتّبع هواه بغير هدىً من الله ورسوله، وكفى هُداك ونورك هادياً وكافياً وشافياً.

قال: ثمّ التفت الجاثليق إلى القوم فقال: يا هؤلاء! قد أصبتم أمنيَّتَكُم وأخطأتم سنّة نبيّكم، فاتّبعوه تهتدوا وترشدوا، فما دعاكم إلى ما فعلتم؟! ما أعرف لكم عذراً بعد آيات الله والحجّة عليكم، أشهد أنّها سنّة الله في الذين خلوا من قبلكم ولا تبديل لكلمات الله، وقد قضى عزّ وجلّ الاختلاف على الأمم والاستبدال بأوصيائهم بعد أنبيائهم، وما العجب إلّا منكم بعدما شاهدتم، فما هذه القلوب القاسية، والحسد الظاهر، والضغن والإفك المبين؟!

قال: وأسلم النصرانيّ ومن معه وشهدوا لعليّ عليه السلام بالوصيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالحقّ والنبوّة، وأنّه الموصوف المنعوت في التوراة والإنجيل، ثم خرجوا منصرفين إلى مَلكهِمْ ليردّوا عليه ما عاينوا وما سمعوا.

فقال عليّ عليه السلام: الحمد لله الذي أوضح برهان محمّد صلى الله عليه وآله وأعزَّ دينه ونصره، وصدّق رسوله وأظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله.

🡐

➔

قال: فتباشر القوم بحجج عليّ عليه السلام وبيان ما أخرجه إليهم، فانكشفت عنهم الذلّة، وقالوا: جزاك الله يا أبا الحسن في مقامك بحقّ نبيّك، ثمّ تفرّقوا وكأنّ الحاضرين لم يسمعوا شيئاً ممّا فهمه القوم والذين هم عندهم أبداً، وقد نسوا ما ذُكّروا به، والحمد لله ربّ العالمين.

قال سلمان الخير: فلمّا خرجوا من المسجد وتفرّق الناس وأرادوا الرحيل أتوا عليّاً عليه السلام مسلّمين عليه ويدعون الله تعالى له واستأذنوا، فخرج إليهم عليّ عليه السلام فجلسوا، فقال الجاثليق: يا وصيّ محمّد وأبا ذريّته، ما نرى الأمّة إلّا هالكة كهلاك من مضى من بني إسرائيل من قوم موسى وترْكهم هارون وعكوفهم على أمر السامريّ، وإنّا وجدنا لكلّ نبيّ بعثه الله عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يفسدان على النبيّ دينه، ويهلكان أُمّته، ويدفعان وصيّه، ويدّعيان الأمر بعده، وقد أرانا الله عزّ وجلّ ما وعد الصادقين من المعرفة بهلاك هؤلاء القوم، وبيّن لنا سبيلك وسبيلهم، وبصرّنا ما أعماهم عنه، ونحن أولياؤك وعلى دينك وعلى طاعتك فمُرْنا بأمْرِك إن أحببت أقمنا معك ونصرناك على عدوّك، وإن أمرتنا بالمسير سرنا وإلى ما صرفتنا إليه صرنا، وقد نرى صبرك على ما ارتكب منك، وكذلك شِيَمُ الأوصياء وسنّتهم بعد نبيّهم، فهل عندك من نبيّك عهد فيما أنت فيه وَهُم؟

قال عليّ عليه السلام: نعم والله إنّ عندي لعهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا هم صائرون إليه، وما هم عاملون، وكيف يخفى عليّ أمرُ أُمّته وأنا منه بمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة شمعون من عيسى؟! أوَ ما تعلمون أنّ وصيّ عيسى شمعون بن حمون الصفا ـ ابن خاله ـ اختلفت عليه أُمّة عيسى عليه السلام وافترقوا أربع فرق، وافترقت الأربع فرق على اثنين وسبعين فرقة، كلّها هالكة إلّا فرقة واحدة؟ وكذلك أُمّة موسى عليه السلام افترتق على اثنين وسبعين فرقة، كلّها هالكة إلّا فرقة واحدة، وقد عهد إليّ محمّد صلى الله عليه وآله أنّ أُمّته يفترقون على ثلاث وسبعين فرقة، ثلاث عشرة فرقة تدّعي محبّتنا ومودّتنا، كلّهم هالكة إلّا فرقة واحدة، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، وإنّي عالم بما يصير القوم إليه، ولهم مدّة وأجل معدود، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (سورة الأنبياء: ١١١) وقد صبر عليهم القليل لما هو بالغ أمره وقدره المحتوم فيهم، وذكر نفاقهم وحسدهم وأنّه

➔

➔

سيخرج أضغانهم ويبيّن مرض قلوبهم بعد فراق نبيّهم قال الله عزّ وجل: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ**﴾(سورة التوبة: ٦٤) أي تعلمون ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾ (سورة التوبة: ٦٥ـ ٦٦) فقد عفا الله عن القليل من هؤلاء ووعدني أن يظهرني على أهل الفتنة ويردّوا الأمر إليّ ولو كره المبطلون، وعندكم كتاب من رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في المصالحة والمهادنة على أن لا تُحْدِثوا ولا تؤووُا محْدِثاً، فلكم الوفاء على ما وفيتم، ولكم العهد والذمّة على ما أقمتم على الوفاء بعهدكم، وعلينا مثل ذلك لكم، وليس هذا أوانُ نصرنا ولا يسلّ سيف ولا يقام عليهم بحقّ ما لم يقبلوا أو يعطوني طاعتهم، إذ كنت فريضة من الله عزّ وجلّ ومن رسوله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ مثل الحجّ والزكاة والصوم والصلاة، فهل يقام بهذه الحدود إلّا بعالم قائم يهدي إلى الحقّ وهو أحقّ أن يتّبع؟! ولقد أنزل الله سبحانه: ﴿**قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾(سورة يونس: ٣٥) فأنا ـ رحمك الله ـ فريضة من الله ورسوله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عليكم، بل أفضل الفرائض وأعلاها، وأجمعها للحق، وأحكمها لدعائم الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يحتاج إليه الخلق لصلاحهم ولفسادهم ولأمر دنياهم وآخرتهم، فقد تولّوا عنّي، ودفعوا فضلي، وفرض رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إمامتي وسلوك سبيلي، فقد رأيتم ما شملهم من الذلّ والصغار من بعد الحجّة.

وكيف أثبت الله عليهم الحجّة وقد نسوا ما ذكّروا به من عهد نبيّهم، وما أكّد عليهم من طاعتي وأخبرهم من مقامي، وبلّغهم من رسالة الله عزّ وجلّ في فقرهم إلى علمي وغناي عنهم وعن جميع الأمّة بما أعطاني الله عزّ وجلّ، فكيف آسى على من ضلّ عن الحقّ من

➔

➔

بعدما تبيّن له و ﴿**اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (سورة الجاثية: ٢٣) إنّ هداه للهدى، وهما السبيلان: سبيل الجنّة وسبيل النار والدنيا والآخرة، فقد ترى ما نزل بالقوم من استحقاق العذاب الذي عُذّب به من كان قبلهم من الأُمم، وكيف بدّلوا كلام الله، وكيف جرت السنّة فيهم من الذين خلوا من قبلهم، فعليكم بالتمسّك بحبل الله وعروته، وكونوا من حزب الله ورسوله، والزموا عهد رسول الله وميثاقه عليكم، فإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وكونوا في أهل ملّتكم كأصحاب الكهف، وإيّاكم أن تفشوا أمركم إلى أهلٍ أو ولدٍ أو حميمٍ أو قريبٍ، فإنّه دين الله الذي أوجب له التقيّة لأوليائه، فيقتلكم قومكم، وإن أصبتم من الملك فرصةً ألقيتم على قدر ما ترون من قبوله. وإنّه باب الله وحصن الإيمان لا يدخله إلّا من أخذ الله ميثاقه، ونوّر له في قلبه وأعانه على نفسه. انصرفوا إلى بلادكم على عهدكم الذي عاهدتموني عليه، فإنّه سيأتي على الناس بعد برهةٍ من دهرهم ملوكٌ بعدي وبعد هؤلاء يغيّرون دين الله عزّ وجلّ، ويحرّفون كلامه، ويقتلون أولياء الله، ويُعزّون أعداء الله، وبهم تكثر البدع، وتدرس السنن، حتى تملأ الأرض جوراً وعدواناً وبدعاً، ثمّ يكشف الله بنا أهل البيت جميع البلايا عن أهل دعوة الله بعد شدّة من البلاء العظيم حتى تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ألا وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الأمر صائر إليّ بعد الثلاثين من وفاته وظهور الفتن، واختلاف الأمّة عليّ، ومروقهم من دين الله، وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، فمن أدرك منكم ذلك الزمان وتلك الأمور واراد أن يأخذ بحظّه من الجهاد معي فليفعل، فإنّه والله الجهاد الصافي، صفّاهُ لنا كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فكونوا ـ رحمكم الله ـ من أحلاس بيوتكم إلى أوان ظهور أمرنا، فمن مات منكم كان من المظلومين، ومن عاش منكم أدرك ما تقرّ به عينه إن شاء الله تعالى.

ألا وإنّي أخبركم أنّه سيحملون عليّ خُطّة جهلهم، وينقضون علينا عهد نبيّنا صلى الله عليه وآله لقلّة علمهم

➔

➔

بما يأتون ويذرون، وسيكون منكم ملوك يدرس عندهم العهد، وينسون ما ذُكّروا به، ويحلّ بهم ما يحلّ بالأمم حتى يصيروا إلى الهرج والاعتداء وفساد العهد، وذلك لطول المدّة وشدّة المحنة التي أمرت بالصبر عليها، وسلّمت لأمر الله في محنة عظيمة يكدح فيها المؤمن حتى يلقى الله ربّه، وواهاً للمتمسّكين بالثقلين وما يعمل بهم! وواهاً لفرج آل محمّدﷺ من خليفة متخلّف عتريف مترف، يقتل خلَفي وخلَف الخَلَف، بلى اللّهمّ لا تخلو الأرض من قائم بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو باطناً مستوراً لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته. ويكون محنة لمن اتّبعه واقتدى به، وأين أولئك؟ وكم أُلئك؟ أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله خطراً، بهم يحفظ الله دينه وعلمه حتى يزرعها في صدور أشباههم، ويودعها أمثالهم، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، واستروَحوا روح اليقين، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، واستلانوا ما استوعر منه المترفون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملأ الأعلى، أولئك حجج الله في أرضه، وأُمناؤه على خلقه، آه.. آه شوقاً إليهم وإلى رؤيتهم، وواهاً لهم على صبرهم على عدّوهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنّاتِ عدنٍ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم.

قال: .. ثمّ بكى.. وبكى القوم معه وودّعوه وقالوا: نشهد لك بالوصية والإمامة والأخوّة، وإنّ عندنا لصفتك وصورتك، وسيقدم وفد بعد هذا الرجل من قريش على الملك، ولنخرجنّ إليهم صورة الأنبياء وصورة نبيّك وصورتك وصورة ابنيك الحسن والحسين عليهما السلام وصورة فاطمة عليها السلام زوجتك سيّدة نساء العالمين بعد مريم الكبرى البتول، وإنّ ذلك لمأثور عندنا ومحفوظ، ونحن راجعون إلى الملك ومخبروه بما أودعتنا من نور هدايتك وبرهانك وكرامتك وصبرك على ما أنت فيه، ونحن المرابطون لدولتك، الداعون لك ولأمرك. فما أعظم هذا البلاء، وما أطول هذه المدّة، ونسأل الله التوفيق بالثبات، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. (ارشاد القلوب للديلمي ج٢: ص ٩٢ ـ ١٠٨) وأخرجه الحافظ أبوحاتم أحمد بن علي العاصمي الشافعي في كتاب (زين الفتى في شرح سورة هل أتى ج١: ص ٣٠٦

➔

➔

ح ٣١٩) مع اختلاف في اللفظ، فالرواية ممّا اتفقت الشيعة وأهل السنة على نقلها، وفيها دلالة واضحة على أنّه لولا حضور أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأمّة لما بقي من الإسلام شيء. فهل يسوغ للأمة أن تقدّم على هذه الشخصية العظيمة أحداً؟! فإنّ الامام هو ركن الإسلام وأساسه في وجوده وكيانه كلّه، لأنّ بالإمام يحفظ أساس الإسلام وأصوله، ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام لكلّ شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت (شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٣ ص ٨) فإنّ من آثار الحبّ الطبيعية انجذاب المحبّ نحو المحبوب والاستجابة له والحبّ الحقيقي ليس بالعلاقة القلبية فحسب بل يجب فيه أن يظهر المحبّ آثار حبّه في عمله، وإنّ من يدعي حب الله فعليه أن يبيّن آثار هذا الحبّ في أعماله قال الله تعالى: (**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)(سورة آل عمران: ٣١) فمن يدعي حب الله فعليه أوّلاً اتباع الرسول إذ كيف يمكن لشخص أن يدّعي حب الكمال المطلق ومع ذلك يعصي أوامر حبيبه وتعاليمه؟! ولا شكّ أنّ من عصى أمر الرسول فلا يمكنه أن يدّعي انّه يحبّه بل ذلك دليل على أنّ حبّه غير حقيقي، فالذي يحبّ الله حقيقةً لابّد أن يكون قلبه مليئاً بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وحبّ أمير المؤمنين عليه السلام وحبّ الأئمة الطاهرين عليهم السلام، لأنّ بهؤلاء قام الإسلام وثبتت الأحكام وتوطّدت أركانه، وبهم تحقّقت أهداف الإسلام وبهم هدمت أركان الكفر وهزمت جيوش الشرك والإلحاد، ولولا هم لم يبق من الإسلام اسم، فإنّهم حفظة الدين الذي هو أساس سعادة الإنسان وهم حملة القرآن الذي هو مرقاة إلى الرتب العالية بل هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة ولنعم ما قال الخطيب أبوالفضل الحصفكي يحيى بن سلامة المتوفى سنة ٥٥٣:

⬅

وتعجّب من رميهم للشيعة الذين عرفت جريهم على ما وردت به الشريعة، بانّهم غالون [١].

➔

يـا سـائلي عـن حـبّ أهـل البيـت هـل	أقـــرّ إعلانـــا بـــه أم أجحـــد
هيهـــات ممـــزوج بلحمـــي ودمـــي	حـــبّهم وهـــو الهـــدى والرشـــد
حيـــدرة والحـــسنان بعـــده	ثـــمّ علـــيٌّ وابنـــه محمّـــد
وجعفـــر الـــصادق وابـــن جعفـــر	موســـى ويتـــاوه علـــيّ الـــسيد
أعنـــي الرضـــا وإبنـــه محمّـــد	ثـــمّ علـــيٌّ وابنـــه المـــسدد
الحـــسن التـــالي يتلوتلـــوه	الحجّـــة بـــن الحـــسن المفتقـــد

(أعيان الشيعة ج١٠: ص ٢٩٧)

(١) لا شكّ أنّ الغلو في الأشياء والأشخاص والإغراق في المدح والذم لا يسوّغ للانسان، لأنّ الإغراق في التمجيد وخلق الفضائل المفتراة كذب وخلاف للواقع، فالمدح بالغلوّ أو الذمّ بالغلو لا يجوز شرعاً هذا ما يستفاد من معنى الغلوّ لغةً (انظر صحاح اللغة ج٦:ص ٢٤٤٨ (مادة غلو) والمصباح المنير ج٢: ص ٤٥٢ (مادة غلو) وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾(سورة النساء: ٤): إنّ الخطاب في الآية لليهود والنصارى فإنّ اليهود غلت في حطّ عيسى عليه السلام حتّى رموه بأنّه ولد لغير رشدة، والنصارى غلوا في رفعه حتى اتّخذوه إلها (انظر انوار التنزيل ج١: ص ٤٠٣) فالغلو مجاوزة الحدّ في المدح والذم بحيث يفتح المجال للغالي أن يخرج عن حدّه في التمجيد وأو الطعن ولذلك نجد في التاريخ والقصص والأساطير التي نسجتها أيادي الغلو في فضل بعض الرجال أو في قدحهم.

ولا شك أنّ الإسلام قد نهى عن هذا الفعل القبيح فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا

➔

➔

وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾(سورة المادة: ٧٧) وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ﴾(سورة النساء: ١٧١) فإنّ الله تبارك وتعالى نهى عن القول بغير الحقّ وتجاوز الحدّ في الأشياء والأشخاص لأنّ ذلك يوجب الإضلال. ومن البديهي أنّ هذا الأمر لايختصّ بأهل الكتاب وإن كان الخطاب في القرآن خاصاً بهم لأنّ المورد لا يكون مخصّصاً كما ثبت في محلّه، لعموم الحكم وإطلاقه، فإنّ المورد المذكور هو أحد أفراد العام الذي ذكر هنا من باب المثال فالمستفاد من الآيتين أنّ القول بغير الحقّ وتجاوز الحدّ في الأشياء والأشخاص منهيّ عنه.

وقد ورد النهي في السنة الشريفة أيضاً، فعن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: «أيها الناس إيّاكم والغلّو في الدين فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلّو في الدين» (سنن ابن ماجة ج٢: ص ١٠٠٨ ح٣٠٢٩ وسنن النسائي ج٥: ص ١٦٨ و السنن الكبرى له ج٢: ص ٤٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥: ص ١٢٧ ومسند أبي يعلى الموصلي ج٤: ص ٢١٦ ح ٢٤٢٧ وغيرها من المصادر) قال النووي: روى هذا الحديث النسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم (انظر المجموع ج٨: ص ١٧١). ونحن نذكر هنا للقارئ الكريم مورداً واحداً من موارد غلوّ أهل السنة في شأن بعض خلفائهم وذلك من باب المثال ليعرف الناس مذهب المخالفين كيف يغالون في أئمّتهم ويختلقون الحديث في سبيل ذلك وينسبون الكذب إلى الله والرسول كي يرفعوا من شأن خلفائهم، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ابن عمر عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص ٥٣) ورواه أبوداود في سننه ج٢: ص ٢٠ والحاكم في المستدرك ج٣: ص ٨٧ والبيهقي في سننه الكبرى، غيرهم وقد صححه الذهبي في هامش المستدرك).

أقول: لاشكّ أنّ هذا الحديث مخالف لكتاب الله وسنة رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لأنّ أرباب الصحاح والمسانيد من أهل السنة والجماعة رووا بأسناد صحيحة أنّ عمر بن الخطاب خالف نصّ القرآن وسنة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في التيمم، وإليك نصّ الحديث من صحيح مسلم فقد

➔

→

أخرج سنده عبد الرحمن بن أبزي: أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماءً فقال: لا تصلّ، فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سريّة فأجنبنا فلم نجد ماء فأمّا أنت فلم تصلّ وأمّا أنا فتمكّعت في التراب وصلّيت ـ وفي سنن النسائي: فتمرّغت في التراب ـ فقال النبيﷺ إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثمّ تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك؟ فقال عمر: اتّق الله يا عمّار قال: إنّ شئت لم أحدّث به (صحيح مسلم ج١: ص ١٩٣) ورواه البخاري في صحيحه ج١ ص ٨٧ كتاب الطهارة باب التيمم ومسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٢٦٥ وسنن ابن ماجة ج١: ص ١٨٨ ح ٥٦٩ و سنن النسائي ج١: ص ١٦٦ و ص ١٧٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج١: ص ٢٠٩ وغيرهم.

فهذا الخبر المتفق على صحته عند أهل السنة والجماعة يدلّ بالصراحة على أنّ عمر بن الخطاب خالف النصّ الصريح من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ (سورة النساء: ٤٣). بالرغم من أنّ الآية صريحة في وجوب الصلاة حتّى مع التيمم عند فقد الماء لكن عمر بن الخطاب خالف هذا النصّ الصريح ولم يكتف بمعارضة نصّ القرآن بل حاول منع الصحابة من معارضته في رأيه عندما اعترض عليه عمّار بن ياسر وذكّره بقول النبيﷺ فلم بذلك. ومعنى ذلك انّه خالف السنّة النبوية أيضاً، بل اشتد على عمّار حتّى اضطرّ إلى أن يعتذر من الخليفة بقوله: إن شئت لم أحدّث به، ومعناه إجبار الآخرين على مخالفة الله ورسوله أو إظهارهم قبول المخالفة.

ثمّ العجب من أنّ علماء أهل السنّة والجماعة ممن يدافعون عن عمر بن الخطاب حيث تغافلوا عن هذا النصّ الصريح من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، بل جعلوها وراء ظهورهم حفظاً لكرامة عمر بن الخطاب!!!

نعم بعضهم قال: إنّ عمر بن الخطاب نسي الحكم المنصوص في القرآن والرواية الصحيحة، ولكن هذا الادعاء باطل لظاهر الحديث الذي رواه مسلم حيث إنّ الرواية ظاهرة في عدم

←

→

اقتناع عمر بقول عمار، بل إنّه كان مصرّاً على رأيه ومخالفته للقرآن والسنة النبوية حتى مات على هذه الحالة. والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب التيمم عن شقيق قال: كنت جالساً مع عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري فقال أبوموسى: يا أبا عبد الرحمن أرأيت لو أنّ رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً كيف يصنع بالصلاة؟ فقال عبد الله:لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً!!! فقال أبوموسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فقال عبد الله: لو رخّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد، فقال أبو موسى لعبد الله: ألم تسمع قول عمار: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله في حاجة ما فأجنبت فلم أجد الماء فتمرّغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك له فقال: إنّما يكفيك أن تقول بيدك هكذا، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفّيه ووجهه؟ فقال عبد الله: أو لم تر عمر لم يقتنع بقول عمار؟ (صحيح مسلم ج١: ص ١٩٢) وأخرجه البخاري في صحيحه ج١: ص ٩٠ وفيه أنّه لما سأل أبوموسى عبد الله بن مسعود عمّن أجنب ولم يجد ماء قال عبد الله في جوابه لا يصلي حتّى يجد الماء فقال أبو موسى:فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي صلى الله عليه وآله كان يكفيك قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك فقال أبو موسى فدعنا من قول عمّار، كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبد الله ما يقول!!! فقال: إنّا لو رخّصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء يدعه ويتمم.

أقول: الرواية صريحة في أنّ عمر بن الخطاب إلى أخر عمره قد خالف القرآن والسنة النبوية في وجوب التيمم عند فقد الماء. ونحن نسأل جميع علماء أهل السنة: ما هو حكم من خالف نصّ القرآن والسنّة النبويّة ألم ينسب عمر بن الخطاب إلى الله ورسوله الكذب؟ وقد قال الله تعالى في حقّ نبيّه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم: ٣)، وأمّا الحديث المختلق إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه، أليس هذا الحديث مخالف لصريح الآية؟ فكيف يجوز لهم بأن يقولوا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله جمع بين المتناقضين: بين قوله

←

➔

بوجوب التيمم عند فقد الماء وتعليمه لعمار، وإنكار عمر لذلك؟ لأنّ عمر بن الخطاب كان يدّعي الخلافة وكان الناس يعتبرون قوله قول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كانوا يعتقدون بخلافته، فأهل السنة والجماعة كيف يجمعون بين الأمرين؟!! ثم يقول النبي صلى الله عليه وآله إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه؟! وهل يجوز نسبة الباطل إلى النبي صلى الله عليه وآله ؟!! وكيف يجوز لهم أن يسمّوا الباطل حقّاً وينسبون ذلك إلى أوّل شخصية في عالم الوجود في الصدق؟! حاشاه من هذا الكلام الباطل الفاسد.

وأمّا مخالفة الخبر المذكور للسنّة القطعيّة فلجملة من الروايات المتفق عليها بين جميع المسلمين منها: ما أخرجه جميع أهل صحاح من أهل السنة ومسانيدهم وسننهم وسيرهم وتاريخهم وهو أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفّي فيه: ايتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر بن الخطاب: إنّ النبي غلب عليه الوجع (أو) هجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله... (صحيح البخاري ج٧: ص ٩ كتاب المرضى والطبّ باب قول المريض قوموا عنّي وج٤: ص ٣١ وكتاب الدعاء باب هل يستشفع إلى أهل الذمة وج٥: ص ٣٨ وكتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وآله) ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص ٧٦ كتاب النذر باب الأمر بالقضاء وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص ٢٢٥ وغيرهم، فأكثر المحدثين والمؤرخين من أهل السنة رووا هذا الحديث وذكروا بأنّ عمر بن الخطاب قال: تلك الجملة، ولاشك أنّ بهذه المعارضة والمخالفة والتجاسر على النبي صلى الله عليه وآله قد أثار عمر بن الخطاب الدهشة والحيرة، وحرّك أحاسيس ومشاعر كلّ مؤمن غيور، وجرح عواطفهم بما صدر منه من كلمات سخيفة والمنع عن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي كانت تضمن هداية الأمّة بأجمعها إلى يوم القيامة، فانّ كلّ مسلم غيور حين يسمع هذا الخبر الصحيح المتواتر لدى جميع المسلمين يتأسّف ويتألّم حزناً على إيذاء النبي صلى الله عليه وآله، كما حدث ذلك لعبد الله بن العباس ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله حبر الأمّة كلمّا تذكرّ ذلك اليوم وكان يأسف ويبكي حتّى يبتل الحصى من دموع عينيه فكان يقول: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب

←

وثالثها: ما ذكره من أنّ أصلي الدين التوحيد والنبوة، فإنّه سيأتي منه ما يخالفه في المقام وقد مضى بيان أنّ اصول الدين خمسة [(١)] .

➔

لهم ذلك الكتاب ... (صحيح البخاري ج٥: ص ١٣٨ كتاب المغازي باب مرض النبيﷺ). ثم إنّ الذهبي يعترف بأنّ من يقول حسبنا كتاب الله فهو من الخوارج (انظر تذكرة الحفاظ ج١: ص٣) أي إن هذا القول ينجرّ إلى الكفر لا محالة.

ونحن نسأل جميع علماء أهل السنة المادحين والمدافعين عن عمر بن الخطاب: هل بعد ثبوت هذه الرواية وقول عمر إنّ النبيّ يهجر ـ والعياذ بالله ـ حسبنا كتاب الله، يصحّ أن ينسب إلى رسول اللهﷺ بأنّه قال: إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر و قلبه؟!! فإنّ من يقول ذلك إنّما ينسب إلى رسول اللهﷺ الكذب، لأنّ لازمه نسبة التناقض إلى رسول اللهﷺ لأنّه إذا كان عمر بن الخطاب قال هجر رسول اللهﷺ وحسبنا كتاب الله، ومن ناحية أخرى تقول إنّ رسول الله قال في حق عمر إنّ الله جعل الحقّ على لسانه! فمعناه أنّ رسول الله مع ما كان يدري أن عمر يقول الباطل بالصراحة قال إنّه يقول الحقّ!! وهل هذا الكلام حق أم باطل؟ ولا يشكّ عاقل بأنّ هذا الكلام باطل فكيف يصحّ أن ينسب إلى رسول اللهﷺ أن يقول في حقّ رجل يذكر الباطل على رؤوس الأشهاد، قولا مخالفاً للقران والسنّة النبويّة؟!

ثمّ إنّ قول عمر: إنّ رسول الله هجر، حسبنا كتاب الله، تكذيب لكتاب الله عزوجل حيث قال في وصف رسولهﷺ: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى**﴾ (النجم: ١ ـ ٤) فهل يكون مخالفة نصّ القرآن حقاً؟!! وكيف يجوز لأهل السنّة والجماعة أن ينسبوا إلى رسول اللهﷺ هذا الخبر الكذب ؟!! لأنّه جاء في جميع صحاحهم أنّ عمر بن الخطاب خالف القرآن وخالف الرسولﷺ بالصراحة، فلاحظ.

(١) إنّ اصول الدين عند الشيعة الإماميّة خمسة منذ اليوم الأول وثبت ذلك بالحجّة القاطعة

➔

➔

والبرهان الساطع بحيث يطمئنّ به القلب وترتاح له النفس؛ لأنّ ما يستدلّ به الشيعة الإماميّة من المسلّمات عند جميع الناس وينطلق من الضروريات الأولية التي لا يمكن اللبس فيها ولا الغموض، وخلاصة ذلك أنّ القرآن الكريم الثابت حجّيّته عند جميع المسلمين قد بيّن هذه الأصول الخمسة بأحسن بيان، فبيّن دلائل الربوبيّة والوحدانيّة ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبيّن دلائل نبوّة أنبيائه، وبيّن لزوم استمرار دعوة الأنبياء في المعصومين، وبيّن المعاد من جهة إمكانه والقدرة عليه، وكذلك وقوعه بالأدلة والبرهان، فكان بيان الله لأصول الدين الحقّ هو المذهب المتّبع عند الشيعة الإمامية، فهذه الأصول ظاهرة بيّنة واضحة تجعل أهل الإسلام في الأمن من الضلالة التي ضلّت الأمم السابقة بسبب عدم مراعاتها لأصول دينها ولكن الله سبحانه وتعالى قد منّ على المسلمين بإكمال دين الإسلام وإتمام النعمة عليهم لئلا يلتبس الحق بالباطل، وعدهم بأنّ من تمسك بالإسلام وعمل بما جاء في القرآن وما جاء به النبيﷺ تكون له حياة طيبة وسعادة أبدية والنجاة من العذاب كما قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (سورة النحل: ٩٧) هذه الآية الكريمة تبيّن أنّ الحياة الطيبة لا تحصل إلّا بالإطمئنان، فانّ الدنيا وما فيها من الزخارف لا تستقيم إلا بالطمأنينة والرضا، وهي بالذات المقدسة الإلهية أبديّة أزليّة؛ لأنّ طبيعة الحياة الماديّة هي الفناء والهلاك فإنّ أقوى الأبنية وأكثر الحكومات دواماً وأشدّ البشر قدرة لا يعدون أن يصيروا في نهاية أمرهم إلى الضعف فالفناء، وكلّ شيء في معرض التلف إلّا وجهه تبارك وتعالى، فلو تمكّنت الكائنات أن توجد لها ارتباطاً بالذات المقدسة فتبقى خالداً كما أنّ الله تعالى أبديّ أزليّ، فالأعمال الصالحة بشرط الإيمان تبقى خالدة، لأنّها تحمل الصبغة الإلهيّة فالباعث الإيماني الذي ارتوت جذور شجرة عمله الصالح من ماء التوحيد والإيمان بالله هو الذي يبقي العمل خالداً ليس فيه العجب والرياء والغرور والتزوير والمنّة وغير ذلك من المصالح الشخصيّة والمنافع الماديّة، ولذلك ترى القرآن الكريم غالباً يربط بين الإيمان والعمل الصالح .

🡐

ورابعها: ما نسبه إلى الشيعة من تكذيبهم بتوبة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين واستغفارهم؛ فإنّه من عجيب فريته عليهم وشنيعها، فهذه كتبهم قد فاضت بذلك حتى ورد من طرقهم بالنسبة إلى سيد الرسل صلى الله عليه وآله أنّ سيرته جرت على أنّه يستغفرالله ويتوب إليه في كل يوم سبعين مرة [1]؛

➔

وإذا أردنا أن نوضح المسألة بالمثال نقول: لو افترضنا شخصين أرادا بناء مستشفى أحدهما يدفعه الباعث الإلهي لخدمة خلق الله، والآخر هدفه التظاهر بالعمل الصالح والحصول على السمعة والمكانة الاجتماعية المرموقة، فلو أمعنّا النظر في عملهما لوجدنا أنّهما مختلفان من جهات متعددة، فعلى سبيل المثال: الشخص الأوّل سيختار مكاناً لمستشفاه يكون قريباً من أكثر المناطق فقراً وربما يكون في منطقة غير معروفة ومنزوية، وأمّا الشخص الثاني فإنّه سيبحث عن منطقة أكثر شهرة حتّى وإن كانت حاجتها للمستشفى قليلة، وإلى غير ذلك من الموارد التي سيحاول الأوّل أن يكون نافعاً فيها لخلق الله، والثاني ما تكون فيه مصالحه الظاهرية، فالعمل يصطبغ بصبغة النية فلاحظ.

(١) فإنّ حديث استغفار النبي صلى الله عليه وآله أخرجه العامّة والخاصّة، فقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والله إنّي لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرّة (صحيح البخاري ج٧: ص ١٤٥ كتاب الدعوات باب استغفار النبي صلى الله عليه وآله في اليوم والليلة).

وأخرجه الكليني بسنده عن زيد الشحام عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عزوجل في كل يوم سبعين مرة، فقلت: أكان يقول: استغفر الله وأتوب إليه؟ قال: لا ولكن كان يقول: وأتوب إلى الله، قلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب ولا يعود ونحن نتوب ونعود، فقال: الله المستعان (الكافي ج٢: ص ٤٣٨) فالرواية جاءت في المصادر له الإسلامية غير أنّ ما ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد جاء فيه التوضيح لما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وآله .

⬅

➔

والمهم أنّ هذين الحديثين يدلّان على الترغيب في التوبة ولكن لا يخفى على الخبير أنّ التوبة من رسول الله صلى الله عليه وآله مع علوّ مقامه ورفعة شأنه وكماله في صفاته لا تنافي عصمته المطلقة كما هو اعتقاد جميع الشيعة وبعض أهل السنة؛ لأنّ الاستغفار الصادر من النبي صلى الله عليه وآله انّما هو لوجوه ذكر ها كبار علماء من هذه الأمّة في كتبهم، منها: ما ذكره صاحب كشف الغمّة كبار علماء: إنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولة بالله تعالى وقلوبهم مملوئة به وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى وهم أبداً في المراقبة كما قال عليه السلام: (اعبد الله كانك تراه فان لم تره فانّه يراك) فهم أبداً متوجّهون إليه ومقبلون بكلامهم وعملهم عليه، فمتى انحطّوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واعتقدوه خطيئة واستغفروا منه، ألا ترى أنّ بعض عبيد الدنيا لو قعد أكل وشرب ونكح وهو يعلم أنّه بمرأى من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصّراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكه فما ظنّك بسيد السادات وملك الأملاك (كشف الغمة ج٣: ص ٤٧).

وقيل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد به تعليم الناس كيفية التوبة والاستغفار من الذنوب وهناك أقوال أخرى في وجه استغفار النبي والمعصومين عليهم السلام ذكرها علماء الفريقين نتركها رعاية للاختصار

واعلم أنّ التوبة في اللغة عبارة عن الرجوع إلى الله عزوجل وإن لم يكن من الذنب، يقال: تاب وآب وأناب إذا رجع إلى الله، وإن لم يكن الإنسان مذنباً، لأنّ العبد لا يستغني عن ربّه في حال من الأحوال، فرجوعه إلى الله والاستعانة به وطلب الرحمة منه بأن يشمله ويشمل غيره من المؤمنين أمر مطلوب سواء كان الإنسان مذنباً أم لم يكن مذنباً، قال صاحب القاموس في معنى التوبة: أي رجع عليه بفضله وقبوله، ومن هنا نعرف قوله تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ**﴾ (سورة التوبة: ١١٧) فتشير الآية الكريمة إلى الرحمة اللامتناهية التي شملت النبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين والأنصار في اللحظات الحساسة في وقت اشتدت فيه الحوادث والضغوط والاضطرابات إلى الحدّ

🡐

←

الذي أوشكت أن تزل فيه أقدام بعض المسلمين عن جادة الصواب وصمّموا على الرجوع من تبوك، فتقول الآية: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١١٧)، ثم توكّد مرّة أخرى على أنّ الله سبحانه قد تاب عليهم، فالرحمة الإلهية قد شملتهم حتى الثلاثة الذين تخلّفوا عن القتال والمشاركة في ساحة الجهاد حيث قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ إلاّ أنّ اللطف الالهي لم يشمل هؤلاء المتخلّفين بهذه السهولة، بل عندما عاش هؤلاء في حال مقاطعة الناس لهم ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (سورة التوبة: ٢٥) أي بسعتها ضاقت عليهم لأنهم له لم يجدوا فيها مقرّاً تطمئن إليه نفوسهم من شدّة الرعب حيث لم يكلّمهم الرسول ﷺ ولا اخوانهم ولا اهلوهم فضاقت عليهم المدينة والمهم أنّ المراد بالتوبة في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ الرجوع إلى الله بالرحمة والرعاية على عباده، إذ لا يوجد في هذا المعنى أثر للتزلزل أو المعصية، كما قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة النساء: ٢٦) ففي هذه الآية الكريمة والتي قبلها لم يرد حديث عن التزلزل والمعصية بل الكلام عن تبيين الأحكام والإرشاد إلى سنن الماضين القيمة المفيدة، وهذا بنفسه يوضح أنّ التوبة هنا بمعنى شمول الرحمة من الله سبحانه وتعالى لعباده لا المعنى المصطلح.

وثانياً: أنّ الآية تحصر الانحراف عن طريق الحق والتخلّف عنه بجماعة من الناس مع أنّها تصرّح بأنّ الرحمة الإلهية تعمّ الجميع، وهو بنفسه يبيّن أنّ توبة الله هنا ليست بمعنى قبول عذر العباد، بل هي الرحمة الإلهية الخاصّة التي أدركت النبيﷺ وكلّ المؤمنين بدون استثناء في اللحظات الحسّاسة وثبّتت أقدامهم لتطيب قلوبهم وبهذا تظهر النكتة في تكرار ذكر التوبة في هذه الآية والآية التي بعدها، ومن هنا يعرف أيضاً معنى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾

→

وذلك غير مناف لعصمته وعصمتهم من الذنوب؛ فإنّهم قد يستغفرون من جهة صدور بعض المباحات وبعض المستحبات التي هي دون غيرها في الفضل[(١)] وقد روى في الدر المنثور في تفسير قوله سبحانه! ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

➔

(سورة غافر: ٥٥) ليس الاستغفار من الذنب لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله معصوم لم يرتكب ذنباً ولا معصية، حيث إنّ بعض الأعمال المباحة بل الحسنة بالنسبة إلى الناس العاديين تعدّ من الأنبياء والمعصومين ذنباً، فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقربين، فاستغفار النبي صلى الله عليه وآله إنّما هو من أجل تلك اللحظة التي اشتغل فيها بالمباحات الدنيويّة حيث إنّ النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين المقرّبين إلى الله تعالى يعدّونها ذنباً بالنسبة إليهم وان لم تكن في الواقع ذنباً، أي لم تكن مخالفة ومعصية لله تبارك وتعالى، وإنّما يستغفرون الله لأنّ أوقاتهم انشغلت بفعل من الأفعال المباحة الدنيويّة.

فالأنبياء عليهم السلام والائمة المعصومون عليهم السلام لا تصدر منهم معصية أبداً فإنّهم قائمون قولاً وفعلاً بالتبليغ في جميع حالاتهم، ومن يكون حاله كذلك لابدّ أن يكون معصوماً في جميع حالاته من أوّل يوم يولد إلى يوم يموت وإلّا لا معنى لافتراض طاعتهم فإنّ افتراض طاعتهم إنّما يصح إذا كان الشخص معصوماً، وأمّا من لا يؤمَن من المعصية فلا تصح طاعته، فالأمر بالاستغفار بالنسبة إلى الأنبياء لا يكون بمعنى الاستغفار من مخالفة الأمر المولوي الذي يعد عصياناً فإنّ استغفار الأنبياء والأوصياء المعصومين إنّما هو من ترك دوام الذكر عن مقام الشهود قال العيني: إنّما كان النبي صلى الله عليه وآله يستغفر هذا المقدار ـ أي سبعين مرّة ـ مع أنّه معصوم ومغفور له لأنّ الاستغفار عبادة، أو هو تعليم لأمّته، أو استغفار من ترك الأولى ... (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعيني ج٢٢: ص ٢٧٩)

(١) وتوضيح المقام: إنّ الأحكام الشرعيّة تنقسم إلى الواجب والحرام والمستحب والمكروه والمباح، ولا محيص عن الإتيان بالواجب وترك الحرام، نعم هناك رخصة في ترك المستحب والإتيان بالمكروه ولكن قد يرجح فعله على تركه أو العكس بعنوان ثانوي،

➔

➔

فانّ العارف بعظمة الربّ يتحمّل من المسؤوليّة مالا يتحمله غيره، فيكون المترقَّب منه غير ما يُترقَّب من الآخرين، ولو صدر منه ما لا يليق، وتساهل في هذا الطريق فإنّه يتأكّد منه الاستغفار وطلب المغفرة، لا لصدور الذنب منه، بل من باب قياس عمله إلى علوّ معرفته وعظمة مسؤوليّته وإن شئت قلت: إنّ المعصومين كانوا يعتبرون أنّ الانشغال بالمباحات معصية، فكما أنّ مخالفة أمر المولى والعمل بالمحرّمات لغير المعصوم معصية فكذلك الانشغال بالمباحات للمعصوم، فاستوضح ذلك من ملاحظة حال المتحضّر والبدوي، فالمرجوّ من الأوّل القيام بالآداب والرسوم الرائجة في الحضارات الإنسانية، ولكن المرجوّ من الثاني أبسط الرسوم والآداب، فما ذلك إلّا لاختلافهما من ناحية التربية والمعرفة، كما أنّ المتوقّع من نفس المتحضرين مختلف جداً، فالمأمول من المثقّف أشدّ وأكثر من غيره، كما أن الانضباط المرجوّ من الجندي يغاير المتوقَّع من غيره، والغفلة القصيرة من العاشق تعدّ جرماً وخلافاً في منطق العشق، وليست كذلك إذا صدرت من غيره وهذه الأسئلة ونظائرها الوافرة تثبت الأصل الذي أوعزنا إليه في صدر البحث من أنّ عظمة الشخصية وكبر المسؤولية متقارنان وأنّ الوظائف لا تنحصر في الإتيان بالواجبات والتحرز عن المحظورات بل هناك وظائف أخرى، وكلّما زاد العلم والعرفان توفرت الوظائف وتكثرت المسؤوليات، ولأجل ذلك تُعدّ بعض الغفلات أو اقتراف المكروهات من الأولياء ذنبا، وهو في الواقع ليس ذنباً بالنسبة إليهم مطلقاً بل ذنب إذا قيس إلى ما أعطوا من الإيمان والمعرفة، ولو قاموا بطلب المغفرة والعفو فانّما هو لأجل هذه الجهات.

ولذلك نرى أنّ شيخ الأنبياء نوحاًعليه السلام يقول: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾(سورة نوح: ٢٨) ويقتفيه ابراهيمعليه السلام ويقول: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ (سورة ابراهيم: ٤١) ويقول النبي الأعظمصلى الله عليه وآله: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ (سورة البقرة: ٢٨٥)

والمنشا الوحيد لهذا الطلب هو وقوفهم على أنّ ما قاموا به من الأعمال والطاعات وإن كانت

🡐

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾... عن الحكيم الترمذي، والطبراني وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله ـ آخره ـ فإنّا وأهل بيتي مطهَّرون من الذنوب[1] فليس استغفارهم وطلبهم التوبة ينافي العصمة من الذنوب، فإنّهم يعدُّون ما نبّهنا عليها ذنوباً فيستغفرون ويتوبون من ذلك[2].

في حدّ نفسها بالغة حدّ الكمال لكن المطلوب والمترقّب منهم أكمل وأفضل منه.

وعلى ذلك لابدّ لأهل السنة والجماعة من حمل ما رواه مسلم في صحيحه عن المزني على هذا المعنى كما هو واضح عند المتأمّل وهو ما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لَيُغانُ على قلبي واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (صحيح مسلم ج٨: ص ٧٣ باب استحباب الاستكثار منه) ورواه ابن أبي الجمهور الأحسائي في درر اللآلي ج١: ص ٣٢ وقد ذكر المحدثون حول الحديث نكات عرفانية وكلمات لا يمكننا استقصائها، ومن أراد التعرّف عليها فليرجع كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وكتاب مرآة العقول للعلاّمة المجلسي ج٤: ص ٣٠٨، وكتاب شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج١٠: ص ١٧١ وغيرها.

(١) الدر المنثور ج٥: ص ١٩٩.

(٢) فإنّ مقتضى علوّ مقام الأنبياء ومنزلتهم الرفيعة ومعرفتهم العالية ومراقبة النفس في جميع الحالات مراقبة شديدة باعتبار أنّ التكاليف المتوجهة إليهم خاصة بهم تتناسب مع مستوى الكمالات التي يتّصفون بها من الفضائل النفسانية والمكارم الأخلاقية والآداب العقلائية والكمالات الروحية وغيرها من محامد الأوصاف ودرجات القرب إلى الله، فالعصيان والمخالفة بالنسبة إلى هؤلاء المعصومين ليست هي المخالفة للقوانين الدينية بمعنى مخالفة الأمر المولوي؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام كلّهم معصومون لم يصدر منهم أيّ ذنب

➔

ومعصية بهذا المعنى.

من أجل توضيح المقام نقول: إن الخطيئة التي ينبغي للانسان أن يستغفر منها لها مراتب تتقدّر بحسب حال العبد في عبوديّته فمرّة تكون بمعنى مخالفة القانون الإلهي والأوامر والنواهي الإلهية فهذه تعدّ من العصيان والخروج عن حدّ الشرع. وأخرى تكون من جهة الاشتغال بالعمل الصالح وترك ما هو خير منه، فاستغفار الأنبياءعليهم السلام من هذه الجهة حيث إنهم قد ينشغلوا بعمل مستحب وبذلك يفوت منهم العمل الأفضل فهم يؤاخذون في درجات القرب من جهة ترك الأولى وهو أن يترك الانسان فعل ما هو الأفضل، ولا يعدّ هذا خطيئة عند الناس العاديّين بل هو فعل حسن عندهم ولكن يعتبر عند الأنبياء ذنباً لعلوّ مقامهم ومنزلتهم عند الله، وهذا أمر عقلائي من الاعتبارات الصحيحة العرفية يعرفها كلّ أحد، فإنّ من المتعارف لدى العرف توقّع عدم صدور بعض الأفعال من الشخصيات الفذة الاجتماعية، مع عدم وجود هذا التوقّع من غيره.

وعلى كل تقدير فإنّ الشيعة الإماميّة تعتقد بعصمة جميع الأنبياء وما جاء من آيات عن توبة الأنبياء واستغفارهم محمول على هذا المعنى العقلائي العرفي.

ولكن قد جنح أتباع مدرسة الخلفاء الظالمين إلى الإفراط إلى درجة الإسائة إلى مقام الأنبياء، فنسبوا إلى ساحتهم المقدسة ارتكاب الذنوب والمعاصي بمعنى مخالفة أوامر الله وعصيانه ـ والعياذ بالله ـ ولم يراعوا الأدب الذي رعاه الله تعالى في تعبيره عن نبيّه الأكرمصلى الله عليه وآله حيث قال في حقّه: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ (سورة النجم: ١ ـ ١٧) وغيرها من

🡐

وخامسها: ما نسبه إلى الشيعة من تعطيل المساجد وتعظيم المشاهد، فإنّه كذب بيّنٌ عليهم، فإنّهم حسبما هو مشاهد من حالهم وسيرتهم يعظّمون المشاهد والمساجد ويعملون بوظائف كلٍّ منهما[1]، وهذه كتبهم الفقهيّة

➔

الآيات والروايات الدالّة على المقام فلاحظ.

(١) لاشكّ ولا شبهة في أنّ الشيعة الإماميّة يحضرون المشاهد المشرّفة والبقاع المقدسة ويعظمونها من باب تعظيم الشعائر الإلهية قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّه فَإِنَّهَا من تَقْوَى الْقُلُوب**﴾ (سورة الحج: ٣٢) فتقول الآية: إنّ تعظيم الشعائر من تقوى القلوب أي من خشيتها، وإنّ تقوى القلوب من أعظم الأمور وأشرفها وإنّها مما يستغنى عن ذكر فضله وبيان علو مقامه وشرف منزلته عند الله، وبيان ذلك أنَّ الله تعالى بعد أن بيّن جملة من الأحكام في سورة الحجّ، أمر بالتوحيد والإخلاص والتبرّي من الشرك بقوله: ﴿**حُنَفَاء للَّه غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِه**﴾ (سورة الحج: ٣١) ثم نبّه على الإشراك بالله وعاقبته بقوله: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّه فَكَأَنَّمَا خَرَّ منَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِه الرِّيحُ في مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ (سورة الحج: ٣١) ثم نبه على علامة التوحيد والإيمان بقوله: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّه فَإِنَّهَا من تَقْوَى الْقُلُوب**﴾ تنبيهاً على أنّ علامة من خلص قلبه من الشرك وتحلّى بزينة الإيمان، واستنار بنور التوحيد تعظيم شعائر الله، وذلك لأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ كلّ ما يختص به وينتسب إليه. وهذا أمر مشاهد بالوجدان، ومؤيَّد بالعقل والنقل، فالمؤمن بسبب معرفته بالله وحبّه له يحبّ كلّ شيء يضاف إلى الله سبحانه وينتسب إليه تعالى بخصوصية ويمتاز بها عما سواه، ولهذا تتفاوت مراتب التعظيم بتفاوت مراتب إيمان المؤمن وحبّه والإخلاص لله تعالى وتفاوت مراتب الشيء المنتسب إلى الله تعالى في الخصوصيات والأسباب التي أوجبت انتسابه إلى الله واختصاصه به.

فتحصّل ممّا تقدم أنّ كلّ ما كان له انتساب خاصّ إلى الله تعالى يكون له شرف، وكان من جملة شعائر الله وكان تعظيمه تعظيماً لشعائر الله: وهذا معنى الخضوع لله والتسليم لأوامره

➔

تدلّ على شدّة تعظيمهم لهما [١].

→ ونواهيه، فإنّ الخضوع للمخلوق بأمر الله تعالى كالخضوع للنبيﷺ وأوصيائه المرضيين عليهم السلام وماله عند الله منزلة وحرمة كالمسجد والقرآن والحجر الأسود وغير ذلك خضوع لأمر الله تعالى، فإنّ الشعور بالمسؤولية وإطاعة الأوامر الإلهية من دون أيّ اعتراض يدخل الإنسان في المتّقين، وهذه هي الحالة التي تسمّى بالتقوى التي صرّحت بها الآية الكريمة، لأنّ حقيقة التقوى التحرّز والتجنّب عن سخط الله والتورّع عن محارمه، وأيّ شيء أهمّ من الاهتمام بالامتثال لأوامر ربّ العالمين والتسليم المطلق له والانقياد لطاعته والتذلل أمام طلبه.

وهذا الأمر المعنوي يرجع إلى القلب والنفس ولذلك قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ وإظهار العبودية من العبد الحقيقي هو طاعته المحض لأوامر الله تعالى، فإذا أمره الله تعالى بتعظيم مخلوق يلزم عليه أن يعظّمه كذلك، ولا يخفى أنّ التعظيم في أمثال هذه الموارد إنّما هو طاعة لله تبارك وتعالى لأنّ التعظيم تحقّق بأمر الله سبحانه، فالخضوع الذي تحقق بأمر الله موجب للقرب الى الله عزّ وجلّ و وسيلة للتقرب اليه كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ (سورة المائدة: ٣٥) فإنّ أشرف الوسيلة عند الله محمّد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فالتوسّل بهم إلى الله من أبرز مصاديق الوسيلة التي يتقرب بها إلى الله تعالى من خلال مودّتهم وموالاتهم اللازمين لصحة الاعتقاد، وهذا عين العبوديّة والتوحيد لأنّها امتثال لأمر الله.

(١) لقد ذكر فقهاء الشيعة استحباب زيارة النبيﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام بعد ذكر مناسك الحجّ في كتبهم الفقهيّة وأفردوا لذلك باباً خاصاً وعنونوه بباب المزار وذكروا فيه الروايات الواردة في الزيارات والسرّ في تأكّد استحباب زيارة النبيّﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام مع ما فيه من صلتهم وبرّهم وإجابتهم وإحياء لأمرهم وإعلاء كلمتهم والحثّ والتوكيد والترغيب الشديد لزيارتهم بل وبعضهم أفرد كتابا خاصاً لهذا المقام، ←

←

منهم الشيخ الأقدم أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفّى سنة ٣٦٨ في كتابه كامل الزيارات، وغيره ولمن أراد الاطلاع عن ذلك فليرجع إلى كتاب الذريعة ج٢٠: ص ٣١٦ ـ ٣٢٢ ونحن نذكر هنا بعض الكتب الفقهيّة لفقهاء الشيعة (أعلى الله مقامهم الشريف) الذين ذكروا استحباب زيارة المشاهد المشرَّفة في كتبهم من باب المثال لا الحصر، فراجع كتاب المقنعة للشيخ المفيد: ص ٤٥٨، والكافي لأبي الصلاح الحلبي: ص ٢٢٤، والنهاية للشيخ الطوسي: ص ٢٨٥، والمهذّب للقاضي ابن البرّاج ج١: ص ٢٧٤، والوسيلة لابن حمزة الطوسي: ص ١٩٦ والسرائر لابن إدريس الحلّي ج١: ص ٦٥٤، و شرائع الاسلام للمحقّق الحلّي ج١: ص ٢٠٩، وإرشاد الأذهان للعلامة الحلّي ج١: ص ٣٣٩، وتحرير الأحكام له ج٢: ص ١١٧، وتذكرة الفقهاء له ج ٨: ص ٤٤٩، وقواعد الأحكام له ج١: ص ٤٤٩، ومنتهى المطلب له ج٢: ص ٤٧٤، وإيضاح الفوائد لابنه فخر المحقّقين ج١: ص ٣١٨، والدروس للشهيد الأوّل ج٢: ص ٥، وذكرى الشيعة له ج٣: ص ١١٥، والدرّ المنضود لابن طيّ الفقعاني: ص ٩١، وجامع المقاصد للمحقّق الكركي ج٣: ص ٢٧٣، ورسائل الكركي له ج٢: ص ١٦٢، ومسالك الأفهام للشهيد الثاني ج٢: ص ٣٨٢، ومجمع الفائدة والبرهان للمحقق الأردبيلي ج٧: ص ٤٢٦، ومدارك الأحكام للسيد محمد العاملي ج٨: ص ٢٧٧، وذخيرة المعاد للمحقّق السبزواري ج١: ص ٧٠٦، وكشف اللثام للفاضل الهندي ج١: ص ١٥١ وج٦: ص ٢٧٢ والتحفة السَّنية للسيد عبد الله الجزائري: ص ١٩٦، والحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج١٧: ص ٤٠١، وجواهر الكلام للشيخ الجواهري ج ٢٠: ص ٧٩، وجامع المدارك للسيد الخوانساري ج٢: ٥٥٣، وغيرها من الكتب الفقهيّة لفقهائنا العظام من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وقد استدلّوا فيها بالروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك ومن تلك الروايات ما رواه الصدوق بسنده عن معلّى بن أبي شهاب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال الحسن بن علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنيّ من زارني حيّاً و ميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة فأخلّصه من ذنوبه

←

فانظر إلى المثوبات التي يذكرونها في تعمير المساجد[(١)] والصلاة فيها

➔

(علل الشرائع ج٢: ص ٤٦٠ ح ٥ وعنه في البحار ج ١٠٠: ص ١٤٠ ح٧، وكامل الزيارات: ص ٩١ ح ٩٢، وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٦: ص ٤٠ ح ١، و غيرهم.

(١) لا يخفى أنّ من الأمور المستحبة الأكيدة عند الشيعة الإماميّة تعمير المساجد وتعظيم شأنها كما جاء الحثّ العظيم على ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ (سورة التوبة: ١٨) والروايات الكثيرة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام منها: قول النبي صلى الله عليه وآله: (إنّ من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنّة) (مستدرك وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٨١ ح ٢).

ومنها ما ورد عن أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن العلّة في تعظيم المساجد فقال عليه السلام: إنّما أمر بتعظيم المساجد لأنّها بيوت الله في الأرض) (وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٥٦ ح ١) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام الدالّة على تعظيم المساجد وتعميرها وحفظ المشاهد التي هي من مشاعر الإسلام، ولذلك تجد الشيعة الإمامية يصّرون على الحفاظ على مدفن النبي صلى الله عليه وآله ومدافن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام لأنّ في تلك المراقد المشرّفة تشييداً للدين وتقوية لشوكة المؤمنين والمراد بالعمارة بناءها وإصلاح ما يستهدم منها وتزيينها وفرشها وإزالة ما تنفره النفس منها بكنسها والإسراج فيها.

وقيل: المراد من التعمير ايجاد العبادة فيها مثل الصلاة وذكر والدعاء وتلاوة القرآن ودراسة العلوم الدينية، والتجنّب فيها عن أعمال الدنيا واللهو واللعب، وغير ذلك. وعلى أيّ حال فإنّ فقهاء الشيعة قد تعرضوا لذكر تعمير المساجد في كتبهم الفقهية، ونحن نشير هنا إلى بعض كتب الشيعة التي فيها هذا الموضوع بشكل علميّ دقيق فراجع كتاب المهذّب للقاضي ابن البرّاج ج١: ص ٧٧، وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج٢: ص ٤٢٢، ونهاية

➔

جماعة[1] وجُمعة عند من يرى رجحان فعل الجمعة زمان الغيبة[1]، وإلى

الأحكام له ج١: ص ٣٥١، وذكرى الشيعة للشهيد الأوّل ج٣: ص ١٢٠، وزبدة الأحكام للمحقّق الأردبيلي: ص ٧٨، ومجمع الفائدة والبرهان له ج٢: ص ١٤٧، ومدارك الأحكام للسيد محمد العاملي ج٤: ص ٣٩٠، ومفتاح الفلاح للشيخ البهائي: ص ٣١، وذخيرة المعاد للمحقق السبزواري ج٢: ص ٢٤٨، والتحفة السّنيّة للسيد عبد الله الجزائري: ص ١٢٤، والحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج٧: ص ٢٦٣، ورياض المسائل للسيد علي الطباطبائي ج٤: ص ٣٨٠، وغنائم الأيام للميرزا القمي ج٢: ص ٢٣٥، وجواهر الكلام للشيخ الجواهري ج ١٤: ص ٧٣، ومستمسك العروة الوثقى للسيد محسن الحكيم ج٥: ص ٥٢١، وغيرهم. فلو لم تقم الأدلّة الشرعية على تعمير المساجد وتعظيمها واحترامها لما كان علماء الشيعة يتوسّعون في ذلك بالبحث في كتبهم وللباحث إن يراجع كتبهم حيث أنّ هناك باباً خاصاً لأحكام المساجد وفيه مسائل مربوطة بتعمير المساجد وتعظيمها فلاحظ.

(١) لاشكّ ولا شبهة في أفضليّة صلاة الرجل جماعةً في المسجد عند الشيعة الإمامية وقد ورد في ذلك روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام منها: ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله رحمه الله في كتابه المجالس والأخبار بسنده عن زريق قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صلاة الرجل في منزله جماعة تعدل أربعاً وعشرين صلاة، وصلاة الرجل جماعة في المسجد تعدل ثمانياً وأربعين صلاة مضاعفة في المسجد، وإنّ الركعة في المسجد الحرام ألف ركعة في سواه من المساجد، وإنّ الصلاة في المسجد فردا بأربع وعشرين صلاة، والصلاة في منزلك فرداً هباء منثور لا يصعد منه إلى الله شيء، ومن صلّى في بيته جماعة رغبة عن المسجد فلا صلاة له ولا لمن صلّى تبعه إلّا من علة تمنع من المسجد (المجالس والاخبار: ص ٧٥ ورواه صاحب الوسائل عنه في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥١٢ ح٥).

←

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن زريق قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: رفع إلى أمير المؤمنين بالكوفة أنّ قوماً من جيران المسجد لا يشهدون الصلاة جماعة في المسجد فقال عليه السلام: ليحضرنّ معنا صلاتنا جماعة أو ليتحولنّ عنّا ولا يجاورونا ولا نجاورهم (المجالس والاخبار: ص ٧٥ ووسائل الشيعة ج٣: ص ٤٧٩ ح ٧)

ومنها: ما رواه ايضاً بسنده عن زريق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها فأوحى الله عزوجل إليها: وعزّتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة واحدة ولا أظهرت لهم في الناس عدالة ولا نالتهم رحمة ولا جاوروني في جنّتي (المجالس والاخبار: ص ٧٥ ووسائل الشيعة ج٣: ص ٤٧٩ ح٨)

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن زريق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين بلغه أنّ قوماً لا يحضرون الصلاة في المسجد، فخطب فقال: إنّ قوماً لا يحضرون الصلاة معنا في مساجدنا فلا يؤاكلونا ولا يشاربونا ولا يشاورونا ولا يناكحونا ولا يأخذوا من فيئنا شيئاً أو يحضروا معنا صلاتنا جماعة وإنّي لأوشك أن آمر لهم بنار تشعل في دورهم فأحرق عليهم أو ينتهون، قال: فامتنع المسلمون عن مؤاكلتهم ومشاربتهم ومناكحتهم حتّى حضروا الجماعة مع المسلمين. (المجالس والأخبار: ص ٧٥ و وسائل الشيعة ج٣: ص٤٧٩ ح٨) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام. وقد أفتى فقهاء الشيعة رضوان الله تعالى عليهم بأفضلية الصلاة جماعة في المسجد في كتبهم الفقهية فراجع المبسوط للشيخ الطوسي ج١: ص ١٥٢ والنهاية: ص ١١١، والمهذّب للقاضي ابن البّراج ج١: ص٧٨، والوسيلة لابن حمزة الطوسي: ص ١٠٥، وغنية النزوع لابن زهرة للحلبي: ص ٨٧، والسرائر لابن إدريس الحلي ج١: ص ٢٧٧ وإشارة السبق لابي المجد الحلبي: ص ٩٦، وشرائع الإسلام للمحقق الحلي ج١: ص ٩٦، والجامع للشرائع ليحيى بن سعيد الحلي: ص٩٧، وتحرير الأحكام للعلامة الحلي ج١: ص ٣١٢، والتذكرة له ج٤: ص ١٦، ومختلف الشيعة له ج٣: ص ٤٨، والبيان للشهيد الاول: ص ١٢٨، والدروس له ج١: ص٢١٧، والذكرى له ج٤، والمهذّب البارع لابن فهد الحلي ج١: ص ٢٤٤، ورسائل

→

←

الكركي للمحقّق الكركي ج١: ص ١٢٥، ومسالك الأفهام للشهيد الثاني ج١: ص ٣٠٥، ومجمع الفائدة والبرهان للمحقّق الأردبيلي ج٢: ص ١٥٨، وكفاية الأحكام للمحقق السبزواري ج١: ص ١٥١، وكشف اللثام للفاضل الهندي ج٤: ص ٤٤٠، وغير ذلك.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ علماء الشيعة الامامية قد اختلفوا في حكم صلاة الجمعة حال غيبة الإمام المعصومعليه السلام والأقوال في المسألة ثلاثة، الأوّل: أنّ المتعين يوم الجمعة صلاة الظهر وصلاة الجمعة غير مشروعة فلا تجزئ عن الظهر. الثاني: أنّ الواجب يوم الجمعة صلاة الجمعة تعييناً. الثالث: أنّ المكلّف مخيّر يوم الجمعة بين الظهر والجمعة، وهذا الاختلاف إنّما هو بعد تسالمهم على وجوب صلاة الجمعة ومشروعيتها في عصر حضور المعصوم عليه السلام إذا أقامها هو أو من ينصبه الإمام المعصوم عليه السلام لذلك خاصة، بل إنّ وجوبها بهذا المعنى من ضروريّات الدين ولم يخالف فيها أحد من المسلمين إلّا أنّ الشيعة الامامية اختلفوا في حكمها بالنسبة إلى عصر الغيبة، فالمشهور منهم ذهبوا إلى عدم وجوب الجمعة تعييناً في عصر الغيبة، بل الظاهر من كلام بعضهم عدم مشروعيتها في عصر الغيبة لاشتراطهم حضور الإمام المعصومعليه السلام أو من نصبه الإمام لذلك، قال الشيخ الطوسي في الخلاف: من شرط انعقاد الجمعة الإمام أو من يأمره الإمام من قاض أو أمير ونحو ذلك، ومتى أقيمت بغير أمره لم تصحّ... دليلنا أنّه لا خلاف أنّها تنعقد بإمام أو بأمره وليس على انعقادها إذا لم يكن إمام ولا أمره دليل... فإنّهم لا يختلفون في أنّ من شروط الجمعة الإمام أو أمره... (الخلاف ج١: ص ٦٢٧ المسألة رقم ٣٩٧)

وقال ابن زهرة وأمّا الاجتماع في صلاة الجمعة فواجب بلا خلاف إلّا أنّ وجوبه يقف على شروط، وهي: الذكوريّة والحريّة... وحضور الإمام العادل أو من نصبه و جرى مجراه... ويسقط فرض حضورها عمّن عدا من ذكرناه ... كل ذلك بدليل الاجماع (غنية النزوع: ص ٩٠

وقال المحقق الحلي: مسألة: السلطان العادل أو نائبه شرط وجوب الجمعة وهو قول علمائنا (المعتبر ج٢: ص ٢٧٩). وإلى غير ذلك من أقوالهم (رضوان الله تعالى عليهم) الدالّة على

←

→

أنّ صلاة الجمعة مشروطة بعصر حضور الإمام المعصوم عليه السلام والمستفاد منها أنّه لا تصح صلاة الجمعة في غير عصر الحضور أو من ينصبه الإمام لذلك، لأنّ المشروط ينتفي بانتفاء شرطه وقال صاحب الجواهر: لقد أفرط آخرون في الحرمة وأنّه لا يجوز لأحد عقدها في عصر الغيبة ... (انظر جواهر الكلام ج١١: ص ١٧٩)

ولكنّ المشهور عند الشيعة اعتبار صلاة الجمعة في عصر الغيبة عند اجتماع بقية الشرائط. قال العلاّمة الحلي: أمّا في حال الغيبة فالأقوى أنّه يجوز لفقهاء المؤمنين إقامتها لقول زرارة: حثنا الصادق عليه السلام على صلاة الجمعة حتّى ظننت أنه يريد أن نأتيه فقلت: نغدوا عليك؟ فقال: لا، إنما عنيت عندكم (وسائل الشيعة ج٥: ص ١٢ ح١) وقال الإمام الباقر عليه السلام لعبد الملك: مثلك يهلك ولا يصلّي فريضة فرضها الله، قلت: كيف أصنع؟ قال: صلّوا جماعة يعني صلاة الجمعة... (نهاية الأحكام ج٢: ص ١٤) بل قال الشهيد الأول: تجب صلاة الجمعة ركعتين بدلاً من الظهر بشرط الإمام أو نائبه وفي الغيبة تجمع الفقهاء مع الأمن، وتجزئ عن الظهر على الأصحّ ... (الدروس ج١: ص ١٨٦) وقال الشهيد الثاني في رسالته التي وضعها في هذه المسألة: اتفق الإمامية على وجوب صلاة الجمعة عينا مع حضور الإمام أو نائبه الخاص وإنّما اختلفوا فيه في حال الغيبة وعدم وجود المأذون له فيها على الخصوص، فذهب الأكثر حتى كاد أن يكون إجماعاً، أو على قاعدتهم المشهورة من أنّ المخالف إذا كان معلوم النسب لا يقدح فيه، إلى وجوبها أيضاً مع اجتماع باقي الشرائط غير إذن الإمام. وهو بين مطلق للوجوب كما ذكرناه و بين مصرّح بعدم اعتبار شرط الإمام أو من نصبه، وربما ذهب بعضهم إلى اشتراطها بحضور الفقيه الذي هو نائب الإمام على العموم، وإلّا لم يصح. وذهب قوم إلى عدم مشروعيتها أصلاً حال الغيبة مطلقاً، والذي نعتمده من هذه الأقوال ونختاره وندين الله تعالى به هو المذهب الأوّل. (رسائل الشهيد الثاني: ص ٥١) واختار صاحب المدارك قول الشهيد الثاني في المقام (انظر مدارك الأحكام للسيد محمد العاملي ج٤: ص ٢٦) وتبعهما على ذلك جماعة. وقد نقل صاحب الحدائق كلمات القائلين بالوجوب التعييني من مشاهير علماء

←

➔

الشيعة الأبرار رضوان الله تعالى عليهم ومتقدّميهم ومتأخّريهم وبدأ من الشيخ المفيد إلى العلامة المجلسي صاحب البحار، ثمّ أورد عليهم الإيرادات والملاحظات، ولمن أراد الوقوف عليه فليرجع إلى الحدائق الناضرة ج٩: ص ٣٧٨ ـ ٤١٩. ثم إنّ صاحب الجواهر قد استظهر من كلمات الشهيد الثاني أنّه كتب تلك الرسالة الخاصّة بصلاة الجمعة حال صغره وإبّان شبابه ثمّ تغيّر رأيه في كتبه الأخرى المستحدثة بعد ذلك، وقد أظهر فيها رأيه وقال بأنّ وجوبها تخييري (انظر جواهر الكلام ج١١: ص ١٧٤) وهناك بحث طويل لفقهاء الشيعة الإمامية في هذا المجال لا نتعرّض له رعاية للاختصار، ولمن أراد التفصيل فليراجع التحقيق حول البحث للسيد الخوئي قدس سره في تقريرات درسه ج٦: ص ١٢ ـ ٥٨)

واما القول الثالث في المسألة فهو القول بالوجوب التخييري، والمراد به أنّ للناس الخيار بين إقامة صلاة الجمعة وصلاة الظهر، واستدلّوا على هذا القول بأدلّة ذكرها العلماء والفقهاء من الشيعة في كتبهم انظر (الحدائق الناضرة ج ٩: ص ٤١٩) وغيره من كتبهم (رضوان الله تعالى عليهم) وللمسألة بحث طويل وإنما أردنا في هذا المجال أن نشير إلى الأقوال الموجودة في هذه المسألة، فهي محلّ خلاف وبحث بين علماء الشيعة وأساطينهم، نشأ هذا الاختلاف من الروايات الواردة في المقام عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي كثيرة جداً، وقد قال المحدّث الكبير الشيخ محمد تقي المجلسي والد العلامة المجلسي في رسالة مبسوطة ألّفها في تحقيق هذه المسألة وإثبات الوجوب العيني من غير اشتراط، وقد أبلغ الكلام فيها غايته وذكر فيها الآيات الكريمة والأخبار الكثيرة ووجوه دلالتها فقال (رضوان الله تعالى عليه): فذلكة فصار مجموع الأخبار مائتي حديث، فالذي يدلّ على الوجوب بصريحه من الصحاح والحسان والموثقات وغيرها أربعون حديثاً، والذي يدلّ بظاهره على الوجوب خمسون حديثاً، والذي يدلّ على المشروعية في الجملة أعمّ من أن يكون عينيّاً أو تخييريّاً تسعون حديثاً، والذي يدلّ بعمومه على وجوب الجمعة وفضلها عشرون حديثاً، ثم الذي يدلّ بصريحه على وجوب الجمعة إلى يوم القيامة حديثان، والذي يدلّ على عدم اشتراط الإذن بظاهره ستة عشر حديثاً... (ثم يقول) : فظهر من هذه

➔

حرمة تلويثها بالنجاسة ووجوب تطهيرها منها في الفور لو تلوّثت بها [1]

➔

الأخبار المتواترة الواضحة التي لا يشوبها شك ولا يحوم حولها شبهة من طرف سيد الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين): أنّ صلاة الجمعة واجبة على كلّ مسلم عدا ما استثني... (انظر الحدائق الناضرة ج٩: ص ٢٩٠ نقلاً عن المجلسي الأول).

أقول: إنّما ذكرنا خلاصة الأقوال في هذه المسألة ليعرف القارئ الكريم توضيح قول المصنّف رحمه الله في المقام على نحو الاجمال وأنّ المسألة محل اختلاف بين فقهاء الشيعة أعلى الله مقامهم الشريف وصلاة الجمعة تقام في بلاد الشيعة وبناءً على جوازها في زمن الغيبة، ولعلّ المشهور بينهم هو القول الثالث وبذلك يظهر كذب ابن تيميّة فيما نسبه إلى الشيعة الإمامية، فلاحظ

(١) لا خلاف في وجوب إزالة النجاسة عن المساجد عند الشيعة الإمامية، وكذا لا إشكال ولا خلاف في حرمة تنجيسها عندهم وإنّ وجوب الإزالة عنها عندهم كفائي كوجوب الصلاة على الميّت وتجهيزه؛ فإنّه يعمّ من علم بها من المكلّفين القادرين، ولا يختص الحكم بمن نجسّها أو كان سبباً لتنجيسها، كما أنّ وجوبها عندهم فوريّ فتجب المبادرة اليها بمجرد تحقّق النجاسة في داخلها وسطحها وسقفها وجدرانها، فيجب تقديم الإزالة عندئذ على سائر الواجبات الموسّعة كالصلوات اليوميّة وغيرها، لأنّ مقتضى القاعدة تقديم الفوريّ على الموسع، بل قد أفتى بعض الفقهاء من الشيعة ببطلان الصلاة إذا أتى بها المكلّف وترك الإزالة وكان وقت الصلاة موسّعاً؛ لأنّ الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضدّه، فلمضادة الفعل الجاري في الصلاة الموسع وقتها في ظرف الإزالة يكون منهياً عنه والنهي في العبادة موجب للفساد وإن كان هناك بحث طويل بين فقهاء الشيعة (رضوان الله تعالى عليهم) في هذه المسألة لكن المهمّ أنّ جميع فقهاء الشيعة أجمعوا على وجوب إزالة النجاسة عن المساجد وجوباً فورياً كفائيّاً، وكذا أفتوا بحرمة تنجيسه، وهذا حكم

➔

➔

قطعيّ عندهم.

ثم إنه يمكن الاستدلال على حرمة تنجيس المسجد بوجوه، الأول: قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**﴾ (سورة التوبة: ٢٨) فإنّه تبارك وتعالى حكم بنجاسة المشركين ونهى أن يقربوا المسجد الحرام، فجعل تعالى علّة عدم دخولهم المسجد نجاستهم حيث فرّع تعالى حرمة دخولهم فيه على نجاستهم ومتى ثبت التحريم في المسجد الحرام ثبت في غيره من المساجد لعدم القائل بالفصل عندهم

الثاني: قوله تعالى: ﴿**أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) وظاهر الآية الكريمة تعمّ التطهير سواءً كان ظاهريّاً أم معنويّاً، أي تطهير البيت من لوثة وجود الأصنام ومن الدنس الظاهر كالدم وأحشاء الذبائح التي كان يلقي بها الجهلة في البيت فالظاهر أنّ المطلوب هو التطهير من كل أنواع التلويث. وعليه فالآية تدلّ على وجوب تطهير المسجد الحرام وعدم تنجسيه، وهذا الحكم مختصّ بالمسجديّة حيث قال تعالى ﴿**طَهِّرَا بَيْتِيَ**﴾ فإنّ كل ما صدق عليه هذا العنوان يجب تطهيره، والمساجد كلّها متعلقة لله سبحانه فيجب أن تجنّب النجاسات عنها.

الثالث: قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «جنّبوا مساجدكم النجاسة» (وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٠٤ ح٢) فأمر النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بتجنيب المساجد عن النجاسات والأمر ظاهر في الوجوب فيجب عدم تنجيس المسجد و كذا تطهيره.

الرابع: ما رواه الكليني رَحِمَهُ اللهُ بسنده عن محمد بن الحلبي قال: نزلنا في مكان بيننا و بين المسجد زقاق قذر، فدخلت على أبي عبد الله الصادقعَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: أين نزلتم؟ فقلت: نزلنا في دار ملوك، فقال: إنَّ بينكم وبين المسجد زقاقاً قذراً ـ أو قلنا له: إنّ بيننا وبين المسجد زقاقاً قذراً ـ فقال: لا بأس ـ الأرض تطهّر بعضها بعضاً... (الكافي ج٣: ص ٣٠٨ ح٣) يستفاد من هذه الرواية أنّه لولا مطهريّة الأرض بعضها لبعض لما جاز ذلك، لأنّه يوجب تلوث المسجد بالنجاسة. فحرمة تنجيس المسجد مفروغ عنه في هذه الرواية. فأصل طهارة المسجد كان أمراً مطلوباً عند الأئمّة الطاهرينعَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وشيعتهم، فالأمر من مرتكزات

➔

➔

الشيعة الإمامية.

الخامس: ما رواه علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفرعليه السلام قال: سألته عن الدابة تبول فيصيب بولها المسجد أو حائطه، أيصلى فيه قبل أن يغسل؟ قال: إذا جفّ لا بأس (وسائل الشيعة ج٢: ص ١٠١٢ ح ١٨) ويستفاد من هذا الحديث أيضاً وجوب إزالة النجاسة عن المسجد وأنّ هذا الحكم ممّا هو مفروغ عنه عندهم بحيث تحيّر علي بن جعفرعليه السلام في ذلك وزعم أنّ بول الدواب من النجاسات التي تجب إزالتها عند الدخول في المسجد وكونها مزاحمة للصلاة، فسئل عن جواز الصلاة في المسجد قبل الإزالة.

السادس: ما رواه الكليني بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقرعليه السلام في حديث طويل... (إلى أن قال): فأوحى الله عزوجل إلى نبيهصلى الله عليه وآله أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل، و مر بسدّ أبواب من كان له في مسجدك باب إلّا باب عليّ ومسكن فاطمة عليها السلام... (الكافي ج٥: ص ٣٤٠ ح١) وهذا الحديث أيضاً يدلّ على وجوب تطهير المسجد وحرمة تنجيسه مضافاً إلى وجوب عدم دخول الجنب فيه.

السابع: ما رواه عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن المكان يكون فيه حشا زماناً فينظّف ويتّخذ مسجداً؟ فقال: ألق عليه من التراب حتّى يتوارى، فإنّ ذلك يطهّره إن شاء الله (وسائل الشيعة ج٣ ص ٤٩١ ح٤) وهذا الحديث مضافاً إلى دلالته على حرمة تنجيس المسجد يدلّ على أنّه لا يجوز بناء المسجد على النجاسة، بل لابدّ أن يكون ظاهر ذلك المكان طاهراً ولو بأن يطعم تلك الأرض حتى توارى النجاسة.

الثامن: ما رواه الصدوق بسنده عن كليب عن الإمام الصادقعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله قال: في التوراة مكتوب: إنّ بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إنّ على المزور كرامة الزائر. (وسائل الشيعة ج١: ص ٢٦٧ ح٤) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام والتي تدلّ على وجوب إزالة النجاسة عن المساجد وحرمة تنجيسها وإن كانت دلالة بعضها في الجملة، أو كانت محلّ البحث عند فقهاء الشيعة ولكن المستفاد من مجموعها هو حرمة التنجيس ووجوب الإزالة بعد

➔

وغير ذلك من وظائفها من استحباب ذكر الله فيها [(١)] وصلاة ركعتين لمن يدخل فيها المسماة بتحية المسجد [(٢)] ومن مكروهية التكلّم فيها بأمور

←

نجاسته، فلاحظ.

(١) فإنّ من آداب المساجد ـ عند الشيعة الإماميّة ـ الاشتغال فيها بذكر الله وقرائة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل، فهم يعتقدون بأنّ المساجد بنيت لذكر الله ولذلك تجد كتبهم مليئة بذلك وتصريحهم بأن لا يجوز أن تتّخذ المساجد للأمور الدنيويّة (انظر المبسوط للشيخ الطوسي ج١: ص ١٦٢ والنهاية له: ص ١١٠، والسرائر لابن إدريس الحلّي ج١: ص ٢٧١، وتحرير الاحكام للعلامة ج١: ص ٣٢٣) وغيرها من كتب فقهائنا العظام فإنّهم يعتقدون أنّ لعَمَار المساجد معنيين: العمار بذكر الله وعمار البناء و على كلّ تقدير فإنّ الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال كثيرة جداً نذكر هنا بعضها من باب التيمّن والتبرّك، فمنها ما عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا دخلت المسجد وأنت تريد أن تجلس فلا تدخله إلّا طاهراً وإذا دخلته فاستقبل القبلة ثم ادع الله وسلْه، وسمِّ حين تدخله، واحمد الله وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله» (وسائل الشيعة ج٣: ص ٥١٦ ح٢)

ومنها ما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا دخلت المسجد فاحمد الله وأثن عليه وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله» (وسائل الشيعة ج٣: ص ٥١٦ ح٣) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام.

(٢) لا شكّ في استحباب صلاة تحيّة المسجد عند الشيعة الإمامية، وأفرد فقهاء الشيعة باباً لهذه الصلاة ضمن آداب دخول المسجد (انظر المبسوط للشيخ الطوسي ج١: ص ٩٠، والمهذّب لابن البرّاج ج١: ص ١٥٣، ومنتهى المطلب للعلامة الحلّي ج٤: ص ١٥٤، وذكرى الشيعة للشهيد الأوّل ج٣: ص ١٢٢، والرسائل العشر لابن فهد الحلّي: ص ١٠٠، والحدائق الناضرة للمحقّق البحراني ج١٠: ص ٥٤٥، وغير ذلك من كتبهم (رضوان الله تعالى عليهم) فإنّهم استدلّوا على ذلك بالروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة من

←

الدنيا[(١)]

➔

أهل البيت عليهم السلام، ومن تلك الروايات ما رواه الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث المناهي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تجعلوا المساجد طرقاً حتّى تصلّوا فيها ركعتين» (من لا يحضره الفقيه ج٤: ص ٤).

وما رواه في معاني الأخبار والخصال بإسناده عن أبي ذر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في المسجد جالس فقال لي: «يا أبا ذر إنّ للمسجد تحية، قلت: وما تحيّته؟ قال: ركعتان تركعهما» (الخصال للشيخ الصدوق: ص ٥٢٣ و معاني الأخبار له: ص ٣٣٣)

وروى الشهيد الأول في الذكرى عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع، وليدع الله تعالى عقيبهما وليصلّ على النبي صلى الله عليه وآله، وإن لم يصلّ جلس مستقبل القبلة وحمد الله وصلّى على النبي ودعا الله وسأل حاجته» (ذكرى الشيعة ج٣: ص ١٢٢) ورواه مسلم في صحيحه ج٢: ص ١٥٥ كتاب الصلاة باب استحباب تحيّة المسجد، وإلى غير ذلك من الروايات. والمشهور بين الفقهاء أنّ هذه الصلاة قبل الجلوس استحباباً، وهو الظاهر من فحوى الأخبار والروايات وإن لم تدلّ عليه صريحاً (انظر الحدائق الناضرة ج١٠: ص ٥٤٦).

(١) لا شكّ أنّ المساجد بنيت لذكر الله فيكره فيها التحدّث بأمور الدنيا ورفع الصوت والضحك وأمثال ذلك، حتّى ورد في حديث عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا: فضّ الله فاك، إنّما نصبت المساجد للقرآن. (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٩٢ ح١) ولا شكّ أنّ من الواضح أنّ الانشغال بأمور الدنيا والتكلّم فيها ينافي التذلّل والخشوع والخضوع أمام ربّ العالمين وقد روى ابن شهرآشوب في باب زهد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام : «إنّه إذا توضّأ الحسن بن علي عليه السلام ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك؟ فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله، وكان عليه السلام

➔

والنوم فيها [(١)]

➔

إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: «إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»(مناقب ال أبي طالب لابن شهر أشوب ج٣: ص ١٨٠) والى غير ذلك من الروايات. وهكذا علّمنا أئمة أهل البيتعليهم السلام في التعامل مع الله سبحانه وتعالى.

(١) لقد صرّح فقهاء الشيعة الإماميّة رضوان الله تعالى عليهم في كتبهم بكراهة النوم في المساجد، قال الشيخ الطوسي: ويكره النوم في المساجد كلّها وخاصّةً في المسجد الحرام ومسجد النبيصلى الله عليه وآله، وإذا احتلم في أحد هذين المسجدين تيمّم في مكانه وخرج واغتسل، وليس عليه ذلك في غيرها... (المبسوط ج١: ص ١٦٣). ومثله ذكر في النهاية (انظر النهاية: ص ١٠٩)، ومثله ذكر ابن ادريس في السرائر ج١: ص ٢٧٩ وكذا المحقق الحلي في الشرائع ج١: ص ٢١١.

وقال العلامة: ويكره النوم في المساجد ويتأكّد فيه ـ أي في المسجد النبوي ـ ويستحب لمن أقام بالمدينة أن يصوم ثلاثة أيام للحاجة: الأربعاء والخميس والجمعة ويكون معتكفاً في المسجد ويصلّي ليلة الاربعاء عند أسطوانة أبي لبابة، وهي أسطوانة التوبة ويقيم عندها يوم الأربعاء. ويأتي ليلة خيمس الأسطوانة التي تلي مقام رسول اللهصلى الله عليه وآله ومصلاه، يصلي عندها. ويصلي ليلة الجمعة عند مقام النبيصلى الله عليه وآله... (تحرير الأحكام ج٢: ص ١١٨)

وقال: ويكره النوم في المساجد؛ لأنّه مظنّة الحدث والجنابة، ولأنها مواطن العبادة، وسئل الصادقعليه السلام عن قوله تعالى: «﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ قال: سكر النوم...» (نهاية الأحكام ج١: ص ٣٥٧) وقال الشهيد الثاني: ويكره النوم في المساجد وتتأكد الكراهة في مسجد النبيصلى الله عليه وآله (مسالك الأفهام ج٢: ص ٣٨٥) ومثله صاحب المدارك في مدارك الأحكام ج٨: ص ٢٨٤ ومثله الفاضل الهندي في كشف اللثام ج٦: ص ٢٨١، وغيرهم من علماء الشيعة الإماميّة (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) وقد استدلوا على

➔

والتنخّم فيها [١] إلى غير ذلك، وهي عندهم على ما ورد لديهم من طرق أهل البيتعليهم السلام [٢] على درجات من الفضل، فأفضلها مسجد الكعبة المعظّمة فإنّ الصلاة فيه تعادل ألف ألف صلاة [٣]، ودونه في الفضل مسجد

←

ذلك بالروايات الكثيرة الواردة عن أئمّة أهل البيتعليهم السلام ومن أراد الوقوف عليها فليراجع وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٩٦ ب ١٨ من أحكام المساجد.

(١) التنخّم والتنخّع هو إخراج البلغم من الصدر أو الرأس (انظر لسان العرب ج١٢: ص ٥٧٢ (مادة نخم) قال صاحب الجواهر: ويكره التنخّم والبصاق فيها ـ أي المساجد ـ أيضاً كما ذكره غير واحد من الأصحاب، بل نسب إلى الشيخ ومن تأخّر عنه ممّن تعرّض لأحكام المساجد ـ عدا العجلي ـ للأمر بتوقير المسجد الذي قد لعن تاركه، وبالتعظيم المعلّل بأنها بيوت الله في أرضه، ولا ريب في حصولها بتركهما، بل لاريب في هتكهما حرمته، وللتعليل في وجه بأنّها إنّما نصبت للقرآن أو لغير هذا، ولما فيه من تنفير المترددين بل أذيّتهم، ولخبر الحسين بن يزيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي قال: نهى رسول اللهصلى الله عليه وآله عن التنخّع في المساجد وهو التنخّم إذ النخاعة النخامة كما في المجمع... (جواهر الكلام ج١٤ : ص ١٢٧) أقول: الروايات الواردة في هذا المجال عن أئمة أهل البيتعليهم السلام كثيرة جداً (راجع وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٩٩ ب ٢٠ من أحكام المساجد).

(٢) راجع وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٧٧ ـ ٥٥٧ ومستدرك الوسائل ج٣: ص ٣٥٥ ـ ٤٤٩.

(٣) لم أعثر عليه بهذا النص، نعم روى ابن قولويه بسنده عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد اللهعليه السلام لأبن أبي يعفور: «أكثر من الصلاة في مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله فإنّه قال: صلاة في مسجدي هذا كألف صلاة في مسجد غيره إلّا المسجد الحرام فإنّ الصلاة في المسجد الحرام تعدل ألف صلاة في مسجدي» (كامل الزيارات: ص ٦٠ ح ٤٠) ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه ج١: ص ٢٢٨، والشيخ الطوسي في التهذيب ج٦: ص ١٥ ح ٣٠

←

←

وروى الشيخ الطوسي أيضاً بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في المسجد الحرام والصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله في الفضل سواء؟ قال: نعم الصلاة فيما بينهما تعدل ألف صلاة (تهذيب الأحكام ج٣: ص ٢٥٠ ح٦) وهناك روايات كثيرة وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد نصّوا فيها على أنّ الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره، منها ما رواه الكليني بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة (الكافي ج٤: ص ٥٢٥ ح٦).

وروى القاضي النعمان المغربي بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة... (دعائم الإسلام ج١: ص ١٤٨)

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن زريق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صلاة الرجل في منزله جماعة تعدل أربعاً و عشرين صلاة، وصلاة الرجل جماعة في المسجد تعدل ثماني وأربعين صلاة مضاعفة في المسجد، وإنّ الركعة في المسجد الحرام ألف ركعة في المساجد ... (الأمالي: ص ٦٩٦ ح٢٩) ورواه صاحب الوسائل ج٣: ص ٥١٢ مع اختلاف يسير في اللفظ.

ثم إنّ الروايات عن طرق أهل السنة والجماعة والتي تنص على أنّ الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة والتي توافق الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرة ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن جابر قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام، والصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه(مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٤٥١) وأخرج النسائي بسنده عن عبد الله بن معبد بن عباس قال: إنّ ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت: من صلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا مسجد الكعبة» (سنن النسائي ج٢: ص ٣٣) وروى الهيثمي بسنده عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف

←

الرسولﷺ فالصلاة فيه تعادل خمسين ألف صلاة [(١)] ودونه المسجد

➔

صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة... (مجمع الزوائد ج٤: ص ٧) وإلى غير ذلك من الروايات والنتيجة أنّ ما ذكره ابن قولويه موافق لما ذكره المصنفرحمه الله ومدلوله أعلى ثواباً ممّا جاء في الروايات المتّفقة بين الشيعة وأهل السنة في ذكر الثواب فلاحظ.

(١) لم أعثر عليه في المصادر الإسلامية المختلفة بعد البحث والفحص في مظانّ وجوده، نعم ورد في بعض الروايات أنّ الصلاة في مسجد رسول اللهﷺ تعادل عشرة آلاف صلاة في غيره، منها ما رواه الكليني بسنده عن أبي الصامت قال: قال أبو عبد الله الصادقعليه السلام: «الصلاة في مسجد النبيﷺ تعدل بعشرة آلاف صلاة » (الكافي ج٤: ص ٥٥٦ ح١٢، ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات: ص ٦٠ ح ٣ والشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٤٣ ح٣. ومنها: ما رواه الصدوق بسنده عن مسعدة بن صدقة عن الامام الصادقعليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللهﷺ: صلاة في مسجدي تعدل عشرة الاف صلاة في غيره (ثواب الاعمال: ص ٣٠) ورواه الشيخ الحرالعاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٣٦ ح٥ وفي بعض الروايات أنّ الصلاة في مسجد رسول اللهﷺ تعادل ألف صلاة في غيره، منها: ما رواه معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله الصادقعليه السلام: هل قال رسول اللهﷺ ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنّة؟ فقال: نعم، وقال: بيت علي و فاطمةعليهما السلام ما بين البيت الذي فيه النبيﷺ إلى الباب الذي يحاذي الزقاق إلى البقيع، قال: فلو دخلت من ذلك الباب والحائط مكانه أصاب منكبك الأيسر، ثمّ سمّى سائر البيوت، وقال: قال رسول اللهﷺ: «الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره إلّا المسجد الحرام فهو أفضل» (الكافي ج٤: ص ٥٥٥ ح٨) ورواه الشيخ الطوسي في كتابه تهذيب الأحكام ج٦: ص ٨ ح٨ والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٤٢ ح ١.

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن معاوية بن وهب عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: قال رسول

←

القدس ومسجد الكوفة فإنّ الصلاة فيهما تعادل فضل عشر ما تقدّمهما من

➔

الله صلى الله عليه وآله «الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره إلّا المسجد الحرام فإنّه أفضل منه» (تهذيب الأحكام ج٦: ص ١٥ ح ١١) ورواه الشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٤٣ ح ٥.

ومنها: ما رواه معاوية بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سأله ابن أبي يعفور كم أُصلّي؟ فقال: صلّ ثمان ركعات عند زوال الشمس فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة في مسجدي كألف في غيره إلّا المسجد الحرام...» (تهذيب الأحكام ج٦: ص ١٤ ح ١٠) ورواه الشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ج٦: ص ٥٤٤ ح ٦.

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كم تعدل الصلاة فيه؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره إلّا المسجد الحرام» (تهذيب الاحكام ج٦: ص ١٥ ح ١٣)، ورواه الشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٤٤ ح ٧.

ومنها: ما رواه الشيخ بسنده عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في المدينة هل مثل الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، إنّ الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ألف صلاة، والصلاة في المدينة مثل الصلاة في سائر البلدان (تهذيب الأحكام ج٣: ص ٢٥٤ ح ٢١)، ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات: ص ٥٨ ح ١. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام بهذا المضمون، وقد ورد مثل هذه الروايات في كتب أهل السنة: منها ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الصلاة في مسجدي خير من ألف صلاة أو كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا أن يكون المسجد الحرام» (صحيح مسلم ج٤: ص ١٢٥ كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي بمكّة والمدينة) ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٥: ص ٢٤٦ وغيرهم.

مسجد الرسولﷺ(١)، ومسجد الجامع من كلّ بلد تعادل الصلاة فيه مائة

---

(١) لم أجد رواية بهذا النص في المصادر الإسلامية وإنّما وجدنا ما هو قريب من هذا المضمون بعبارات مختلفة، منها: ما رواه الصدوقرحمه الله بسنده عن السكوني عن الإمام الصادقعليه السلام عن آبائه عن عليّعليه السلام قال:الصلاة في البيت المقدس تعدل ألف صلاة، والصلاة في مسجد الأعظم مائة صلاة... (ثواب الأعمال: ص ٣٠) ورواه الشيخ الطوسي في التهذيب ج٣: ص ٢٥٣ و الشيخ الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ص ٣٣٨ والقاضي نعمان المغربي في دعائم الإسلام ج١: ص ١٤٨ والشيخ الحر العاملي في الوسائل ج٣: ص ٥٥١ ح٢.

ومنها: ما رواه الصدوق أيضاً بسنده عن الامام أمير المؤمنينعليه السلام قال: صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة وصلاة في المسجد الأعظم تعدل مائة ألف صلاة... (من لا يحضره الفقيه ج١: ص ٢٣٤ ح ٧٠٢) ورواه الشيخ الطوسي في التهذيب ج٣: ص ٢٥٣ والفتال النيسابوري في روضة الواعظين: ص ٣٣٨ والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٥١ ح٢).

ومنها: ما رواه السيد فضل الله الراوندي بسنده عن ابن عباس عن النبيﷺ قال: إنّ الله تبارك وتعالى اختار من الكلام أربعاً ... إلى أن قال.. :ومن البقاع أربعاً ـ إلى أن قال ـ: وأمّا خيرته من البقاع مكة والمدينة وبيت المقدس، وفار التنور بالكوفة، وإنّ الصلاة بمكة بمائة ألف صلاة، وبالمدينة بخمس وسبعين ألف صلاة، وببيت المقدس بخمسين ألف صلاة، وبالكوفة بخمس وعشرين ألف صلاة (نوادر الراوندي: ٢٦١) ورواه العلاّمة المجلسي عنه في بحار الأنوار ج٩٧: ص ٤٧ ح٣٤، والمحدّث النوري في المستدرك على الوسائل ج٣: ص ٤٣١ ح٣، وروي في جامع أحاديث الشيعة ج٤: ص ٥٦١ ح٣

ومنها:مارواه الشيخ الطوسي بسنده عن خالدالقلانسي قال:سمعت أباعبدالله الصادقعليه السلام يقول: «الصلاة في مسجد الكوفة بألف صلاة (التهذيب ج٦: ص ٣٣ ح٧، ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات ص٧٣ ح٥، والشيخ الحرّ العاملي في الوسائل ج٣: ص٥٢٤ ح١١

←

صلاة في غيره [(١)]، ومسجد القبيلة الصلاة فيه تعادل خمساً وعشرين صلاة في غيره [(٢)]

➔

ومنها: ما رواه الصدوق عليه السلام في ثواب الأعمال بسنده عن الفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: صلاة في مسجد الكوفة تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد (ثواب الأعمال: ص ٣٠ ورواه الشيخ الحر العاملي في الوسائل ج٣: ص ٥٢٦ ح ١٩

ومنها: ما رواه الصدوق أيضاً بسنده عن محمد بن سنان قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: الصلاة في مسجد الكوفة فرداً أفضل من سبعين صلاة في غير جماعة (ثواب الأعمال: ص ٣٠) ورواه الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٢٧ ح ٢٤ .

ومنها ما رواه الحميري بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: صلاة في مسجد الكوفة الفريضة تعدل حجّة مقبولة، والتطوّع فيه يعدل عمرة مقبولة (انظر كامل الزيارات: ص ٣٠ ح ١٢) ورواه الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة ج٣: ص ٥٢٧ ح ٢١.

ومنها: ما رواه ابن قولويه بسنده عن سليمان بن مولى طربال وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: نفقة درهم بالكوفة تحسب بمائة درهم فيما سواه، وركعتان فيها تحسب بمائة ركعة (كامل الزيارات: ص ٧٠ ح ٢) ورواه الشيخ الحر العاملي في الوسائل ج٣: ص ٥٢٦ ح ٢٠.

(١) انظر ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ٣٠، وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٣: ص ٢٥٣، وروضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص ٣٣٨ ودعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ج١: ص ١٤٨، ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج١: ص ٢٣٤، ووسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي ج٣: ص ٥٥١ ح ٢.

(٢) انظر من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج١: ص ٢٣٤ ح ٧٠٣، وثواب الأعمال له: ص ٣٠، وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٣: ص ٢٥٣ ح ١٨، وروضة الواعظين: ص ٣٣٨، ووسائل الشيعة ج٣: ص ٥٥١ ح ٢ ، و مستدرك الوسائل ج٣: ص ٤٣٠ ح ١.

ومسجد السوق اثني عشر صلاة [(١)].

ثم ليعلم السنيّ أنّه قد ورد من طرق أهل بيت النبوةعليهم السلام الذين قد عرّفهم أهل السنة بأنّهم حفظة الشريعة وحملتها ومن وجب على غيرهم متابعتهم والتعّلم منهم حسبما دلّ على ذلك ما مضى من خبر الثقلين [(٢)] وغيره وما

---

(١) انظر ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ٣١، ومن لا يحضره الفقيه له ج١: ص ٢٣٥ ح٧٠٣، والمحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١: ص ٥٧ ودعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ج١: ص ١٤٨ وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٣: ص ٢٥٣ ح١٨، وروضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ص ٢٣٨، ووسائل الشيعة ج٣: ص ٥٥٠ ح٢، ومستدرك الوسائل ج٣: ص ٤٣٠ ح١.

(٢) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث الثابتة الصحيحة عند علماء المسلمين ومحدّثيهم، وقد رواه كبار علماء السنة من محدّثيهم ومفسّريهم ومؤرّخيهم في كتبهم وصحّحوها عن النبيصلى الله عليه وآله بأسانيد وطرق عديدة قال ابن حجر عند تعرضه لحديث الثقلين في الآية الرابعة من الآيات الواردة في أهل البيتعليهم السلام وهي قوله تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ (سورة الصافّات: ٢٤): الحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسّك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة، ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (الصواعق المحرقة: ص ٢٣٠).

وذكر المناوي نقلاً عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة، وكلّهم قد رووا هذا الحديث ـ أي حديث الثقلين ـ (فيض القدير ج٣: ص ١٤)

وقال السيد الفيروزآبادي: إنّ سند الحديث قويّ جداً فإنّ حديث الثقلين صحيح متواتر قد رواه أجلاّء الصحابة ومشاهيرهم عن النبيصلى الله عليه وآله كعليّعليه السلام وأبي ذر وجابر وزيد بن أرقم وأبي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وحذيفة بن أسيد وعبدالله بن حنطب وأبي هريرة وغيرهم كثير ... (فضائل الخمسة ج٢: ص ٦١) وقد أفرد السيد ناصر حسين في ←

➔

تتميم موسوعته العظيمة الموسومة بـ«عبقات الأنوار» لوالده السيد حامد حسين اللكهنوي مجلداً كاملاً وضمّ إليه حديث السقيفة، وكان حصيلة بحثة أنّ حديث الثقلين رواه أربعة وعشرون صحابياً عن النبيصلى الله عليه وآله وروى عنهم تسعة عشر تابعياً، ثمّ ذكر الطبقات من بعدهم العلماء والمحدثين والرواة قرناً بعد قرن، وأثبت في كلّ طبقة تواتر الحديث. وسنتعرّض ـ في محله ـ لأسناد الحديث من طرق أهل السنة إن شاء الله تعالى.

ثم إنّ هذا الحديث ورد في كتب المسلمين بألفاظ متقاربة والمعنى واحد وإليك بعض متونها من كتب أهل السنة والجماعة:

فمنها: ما رواه الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ثم قال الترمذي: وفي الباب عن أبي ذر و أبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أُسيد (انظر سنن الترمذي ج٥: ص ٣٢٧ ح ٣٨٧٤) ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «إنّي أوشك أن أدعى فأجيب وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وانّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا بم تخلفون» (مسند أحمد ابن حنبل ج٣: ص ١٧)

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول اللهصلى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول اللهصلى الله عليه وآله عشية فصلّى ثمّ قام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه، وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم قال: أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي، ثم قال: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرّات، قالوا: نعم، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١١٠).

🡐

➔

ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن زيد بن أرقم قال: نزل النبيﷺ يوم الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّي لا أجد لنبي إلّا نصف عمر الذي قبله وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نصحت، قال: أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الجنة حقّ والنار حقّ وانّ البعث بعد الموت حقّ؟ قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره ثم قال: وأنا أشهد معكم، ثم قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: فإني فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض وإنّ عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرف بيد الله (عزوجل) وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا، والآخر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. ثمّ أخذ بيد عليّ (رضي الله عنه) فقال: من كنت أولى به من نفسي فعليّ وليه. اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه (المعجم الكبير ج٥: ص ١٦٦).

ومنها: ما رواه مسلم بسنده عن زيد بن أرقم قال: قام رسول اللهﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب ثم قال: أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي ... (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٢ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام).

وغيرهم ممّن نقل هذا الحديث بسنده عن رسول الله ﷺ.

فالحديث من جهة الدلالة واضح، وفيه النكات الدقيقة التي تضمنتها بيانات الرسول الأعظمﷺ، ونحن نكتفي بالإشارة إلى بعضها ومن تلك النكات: دلالة جملة «إنّي قد

🡐

➔

تركت» على أنّ الكتاب والعترة تركة وميراث من النبي الأكرمﷺ إلى أمّته؛ لأنّ نسبة النبيﷺ إلى أمّته نسبة الأب إلى ولده، وذلك أنّ الإنسان موجود مركّب من الجسم والروح، ونسبة الروح إلى الجسم نسبة المعنى إلى اللفظ واللبّ إلى القشر، والرسول الأعظم ﷺ أخبر أمّته عن رحيله، وأنّ ربّه تعالى سيدعوه إلى جواره فيجيبه ويفارقهم (كأنّي قد دعيت فأجبت) وأكّد عليهم أنّي تركت فيكم حصيلة عمري وثمرة وجودي شيئين (كتاب الله وعترتي) فالكتاب هو رابط الأمّة بربّها، والعترة هي رابطة الأمّة بنبيّها، فانقطاع الأمّة عن القرآن انقطاع عن الله تعالى، وانقطاعها عن العترة انقطاع عن النبيﷺ، والانقطاع عن النبيﷺ انقطاع عن الله سبحانه أيضاً.

وكان يكفي لبيان عظمة القرآن والعترة مجرد إضافتها إلى الله تعالى و رسولهﷺ؛ لأنّ المضاف يأخذ قيمته من المضاف إليه، ولكن مع ذلك وصفهما ﷺ بالثقلين ليدلّ على جوهرهما الغالي ووزنهما الثقيل، فنفاسة القرآن الكريم، وثقل وزنه المعنوي فوق إدراك العقول؛ لأنّ القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي الذي هو تبيان لكلّ شيء، وهو النور الذي أنزله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو النور والضياء الذي يبدّد للبشرية ظلمات الكفر والحيرة، ويحدّد لهم المنهج الصحيح في بيداء الضلالة ليرشدوا ويسعدوا.

ثمّ إنّ وصفه العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أنّ العترة في كلامهﷺ عدل للقرآن وشريك للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلاً للقرآن ـ في كلام النبيﷺ ـ إلّا إذا كانت العترة فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النحل: ٨٩) شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ (سورة الفصلت: ٤٢) شريكاً في عصمته.

ويدلّ قولهﷺ: «لن يفترقا» أو «لن يتفرّقا» على التلازم الدائم بين القرآن والعترة الطاهرة بحيث لا ينفكّ أحدهما عن الاخر، وذلك أنّ القرآن الكريم كتاب أنزله الله لكافة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابليّاتهم، فكانت عباراته للعوام وإشاراته للعلماء ولطائفة

🡐

سيأتي أنّ الصلاة عند قبر علي عليه السلام تعادل مأتي الف صلاة [(١)] وفضل

➔

للأولياء وحقائقه للانبياء عليهم السلام، فيلزم من جملة «لن يفترقا» أن تكون العترة كذلك وفي بعض صيغ حديث الثقلين «لن تضلّوا إن اتبعتموهما» واهتداء الانسان لا يتيسّر إلا بالتعليم والتربية بالوحي الإلهي. وبقانون التناسب والسنخيّة، لابدّ أن يكون لكتاب الوحي الإلهي الذي يمثّل مجموعة أسرار الكون بصورة مدّونة من معلّم يعلم معالمه وحدوده.

وفي تفسير قوله صلى الله عليه وآله «لا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» نكتفي بذكر ما قاله ابن حجر في وصف أهل البيت عليهم السلام: وتميّزوا عن بقية الصلحاء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ... (إلى أن قال): ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه)، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبوبكر: عليٌّ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما قلنا، وكذلك خصّه بما مرّ يوم غدير خمّ. (الصواعق المحرقة: ص ١٥٩) فأراد أن يبين رسول الله صلى الله عليه وآله مصداق العترة وأن يعرّف الذي لا يفترق القرآن عنه ولا يفترق عن القرآن لئلاّ تبقى أية شبهة لأحد من الأمّة، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه...

فمع أنّ الحجّة كانت تامّة ببيان الكبرى لانطباقها على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مطابقة لعلمه وعصمته ـ بشهادة الكتاب والسنة ـ فقد أكّدها رسول الله صلى الله عليه وآله بإثبات ولايته على كلّ مؤمن لعلي بن أبي طالب عليه السلام لئلّا يتخلّف أحد عن دائرة هدايته العامّة وولايته المطلقة وخلافته بلافصل فلاحظ.

(١) لقد ورد في المحكيّ عن كتاب مدينة العلم للشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه الشريف) بسنده عن منصور بن حازم أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن مجاورة النجف وعن الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إنّ مجاورة ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من عبادة سبعمائة عام... وإنّ الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام مائتي ألف صلاة» (انظر كتاب بحر المعارف للسيد عبد الصمد الحسيني الهمذاني: ص ٤٨٧ مخطوط)

➔

الصلاة عند قبور ولده [(١)]

➔

ولا يخفى على الخبير أنّ كتاب مدينة العلم للشيخ الصدوق من الكتب المهمة بمنزلة الكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه ولكن مع الأسف ضاع وحرم العلماء من الاستفادة منه والنقل عنه. قال ابن شهر آشوب: هذا الكتاب في عشرة أجزاء (انظر معالم العلماء: ص ١٤٧) وقد ذكر الشيخ الحسين بن عبد الصمد الحارثي والد الشيخ البهائي: وأصولنا الخمسة الكافي والفقيه ومدينة العلم والتهذيب والاستبصار (وصول الأخيار إلى اصول الاخبار: ص ٤٤). فيا للأسف على ضياع هذه النعمة العظمى من بين أيدينا من لدن عصر والد الشيخ البهائي إلى يومنا، وقال المجلسي الأوّل في شرح المشيخة: كان يذكر شيخنا البهائي ـ رضي الله عنه ـ: أنّ عندنا كتاب مدينة العلم وهو أكبر من «من لا يحضره الفقيه» وذكر أبوه في الدراية أنّ أصولنا خمسة: الكتب الأربعة وكتاب مدينة العلم، لكن لم نره. والظاهر أنّه كان عندهما وضاع كما ضاع أكثر كتبهما، وكان يذكر كثيراً أنّ كتبي ألف كتاب تقريباً، وبعد فوته ظهر منها قريب من سبعمائة كتاب (انظر روضة المتقين ج١٤: ص ١٥ ووصول الأخيار: ٤٤)

وقد ذكر العلامة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة نقلاً عن بعض العلماء: أنّ العلامة المجلسي صرف أموالاً جزيلة في طلب الكتاب ولكن لم يظفر به (انظر أعيان الشيعة ج٩: ص ١٨٣).

ثم إنّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء قد صرّح في كتابه أنّه: روي أنّ الصلاة عند قبر علي عليه السلام بمائتي الف صلاة ... (كشف الغطاء ج١: ص ٢١٠).

(١) لقد وردت روايات كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في الحثّ على الصلاة عند قبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام منها: ما رواه المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام (في حديث طويل في زيارة الحسين عليه السلام): ثمّ تمضي ـ يا مفضّل ـ إلى صلاتك ولك بكل ركعة تركعها عنده ثواب من حجّ ألف حجّة واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، وكأنّما

➔

وغيرهم من الرسل والصالحين عليهم السلام دون ذلك [1] فالشيعة إنّما يعمرون

➔

وقف في سبيل الله ألف مرّة مع نبيّ مرسل (تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٦: ص ٧٣ ح٩) ورواه الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة ج١٠: ص ٤٠٦ ح٢). وغيرها من الروايات، انظر كامل الزيارات: ص ٤٢٤، ومستدرك الوسائل ج١٠: ص ٣٢٦، وجامع الأحاديث ج٤: ص ٣٨١.

(١) لا شك أنّ الصلاة عند قبور الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين كالصلاة عند قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إنّما هو لأجل التبرّك بمن دفن، ولا غرو فيه وقد أمر الله سبحانه الحجيج باتخاذ مقام إبراهيم مصلّى فقال سبحانه: ﴿**وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ (سورة البقرة: ١٢٥) لا شكّ أنّ الصلاة لله (تبارك وتعالى)، ولكنّ الأمر بإقامتها في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام نوع من التكريم لذلك النبيّ العظيم، فالصلاة عند قبور الأنبياء كالصلاة عند مقام إبراهيم الخليل عليه السلام غير أنّ جسد النبي إبراهيم عليه السلام لامس هذا المكان مرّة أو مرّات عديدة، ولكن مقامات الأنبياء ومقابرهم احتضنت أجسادهم التي لا تبلى أبداً.

ثانياً الصلاة في المسجد الذي به ضريح أحد الأنبياء عليهم السلام أو الصالحين صحيحة ومشروعة وقد تصل إلى درجة الاستحباب وقد يدل عليه من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾ (سورة الكهف: ٢١) ووجه الاستدلال بالآية الكريمة أنّها أشارت إلى قصة أصحاب الكهف حينما عثر عليهم الناس، فقال بعضهم: نبني عليهم بنياناً، وقال الآخرون: لنتّخذنّ عليهم مسجداً، والسياق يدلّ على أنّ الأوّل قول المشركين، والثاني قول الموحّدين. والآية عرضت القولين دون استنكار، ولو كان فيهما شيء من الباطل لكان من المناسب أن تشير إليه، وتدلّ على بطلانه بقرينة ما. ففيه تقرير لما فعله الموحّدون وإمضاء من الشريعة لهم. بل إنّما عرضت في الآية الكريمة بسياق يفيد المدح منه، وذلك

🡐

➔

بقرينة المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول الموحّدين قاطعاً (لنتّخذنّ) نابعاً من رؤية إيمانية، فليس المطلوب عندهم مجرّد البناء بل إنّما المطلوب هو المسجد، وهذا القول يدلّ على أنّ أولئك القوم كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة. وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: أي نعبد الله فيه ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد (تفسير الفخر الرازي ج١١: ص ١٠٦).

وقال الشوكاني: ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأنّ هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وقيل هم أهل السلطان والملك من القوم المذكورين فانّهم الذين يغلبون على أمر من عداهم. والأوّل أولى وقال الزجاج: هذا يدلّ على أنّه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لأنّ المساجد للمؤمنين... (فتح القدير للشوكاني ج٣: ص ٢٧٧) والى غير ذلك من أقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة.

والحاصل أنّه يكفي في حصول الثواب الرجحان وكذلك يكفي التبرّك بالمكان المدفون فيه النبيّ أو الوليّ ذي الجاه عند الله، كالتبرّك بمقام إبراهيم عليه السلام وغيره من الأمكنة التي فيها قبور الأنبياء عليهم السلام أو الصالحين، فالصلاة فيها والدعاء إلى الله عندها مستحبة لشرفها بمن دفن فيها، فتكون صلاتهم لله فيها أقرب للقبول، كما أنّ دعائهم عندها أرجى للإجابة وأقرب للاستجابة، كالدعاء في المسجد الحرام والكعبة المشرّفة أو أحد الأمكنة أو الأزمنة التي شرّفها الله تعالى. أفلا يكون المكان الذي بورك بضمّه جسد نبيّ من أنبياء الله أو وليّ من أولياء الله أو صالح من الصالحين مباركاً مستحقاً لأن تستحبّ عنده الصلاة وتندب فيه عبادة الله؟

ثمّ إنّ ما يذكر في كتب القوم من الكرامات والخوارق للعادة التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الملائكة والأنوار وتوقّي الشياطين وغير ذلك ليس لها تأثير بالتبرّك بالصلاة في تلك البقعة المباركة مع ما فيها من الامتيازات؟!

المساجد والمشاهد لما ثبت عندهم من الفضل في ذلك[١]. ومن تسمّى

---

(١) لا شكّ أنّ عمران المساجد والمشاهد المشرّفة عند أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام إنّما يتحقّق بأمرين.

الأوّل: بناءها وإصلاح ما يستهدم منها، وإزالة ما يكره النفس عنها مثل كنسها، والإسراج فيها وغير ذلك.

الثاني: تشغيلها بالعبادة مثل الصلاة والذكر وتلاوة القرآن وقراءة الدعاء وتعليم العلوم الدينية وغير ذلك، فإنّ تعظيم شأن المساجد يتحقّق بهذين الأمرين، وإنّ في قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ (سورة التوبة: ١٨) إشارة إلى هذين المعنيين إذ المقصود من العمران في الآية الكريمة ـ استناداً إلى الروايات الصريحة ـ ليس هو تشييد البناء فحسب، بل الحضور فيها وإحيائها بالعبادة والصلاة والذكر وغير ذلك من الأمور الدينية ، بل ذلك من أهمّ أنواع العمران، وقد أشارت الروايات إلى هذه الجهة نذكر بعضها على سبيل المثال، منها: ما ورد عن النبيصلى الله عليه وآله قال: يا أباذر إنّ الله تعالى يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكلّ نفس تنفّست درجة في الجنّة وتصلّي عليك الملائكة وتكتب لك بكلّ نفس تنفّست فيه عشر حسنات وتمحي عنك السيئات (بحار الأنوار ج٧٤: ص ٨٥). وما ورد عن الإمام الصادقعليه السلام عن آبائه الطاهرين عليهم السلام قال: إنّ الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال: لولا الذين يتحابّون فيّ ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالأسحار، لولاهم لأنزلت عذابي (وسائل الشيعة ج٥: ص ٢٠٤) فالمقصود إذن من عمران المساجد تفعيل المساجد بالعبادات والطاعات وتوفير وسائل التوعية فيها لإقامة مجتمع صالح، إذ أنّ العبادات والتلاوات والطاعات تحيي القلوب وتشيد اليقين، ولا شكّ أنّ القلوب العامرة بالإيمان تستعدّ لتنفيذ أوامر الله سبحانه والدفاع عن الحقّ. فالشيعة الإمامية يعتقدون بهذا الاعتقاد الراسخ الذي أكّد عليه القرآن الكريم والسنن النبوية العطرة ولا يخافون في ذلك لومة لائم

←

بأهل السنة من حيث جهلهم بكثير من الشريعة فانّهم شطر من فضلها الذي

➔

ومن المؤسف أنَّ عصرنا الحاضر يشهد ظهور مجموعة جاهلة متعصّبة متعنّتة بعيدة عن المنطق، تطلق على نفسها اسم الوهابية أو السلفية تسعى في تخريب المساجد بحجّة إحياء التوحيد. هؤلاء عمدوا إلى تخريب المساجد المبنيّة على قبور الأئمّة والصالحين والتي كانت مركزاً للذكر والدعاء والارتباط بالله وبخط الصالحين من آل الله.

ومن الغريب أنّهم يمارسون هذه الاعمال تحت عنوان مكافحة الشرك، مرتكبين بذلك أفظع الكبائر. ولو افترضنا حدوث ما يخالف الشرع في بعض هذه الأمكنة الدينيّة من قبل الجهلة فيجب الوقوف بوجه مثل هذه الأعمال، لا أن تتجه الجهود إلى تخريب هذه القواعد التوحيديّة، فهذا عمل يشبه عمل المشركين الجاهلين فإنّهم بذلك خالفوا ضرورة الإسلام، إذ كثير من الاعمال العبادية شرّعت في الإسلام وله أصل تاريخيّ في الأديان السابقة، فمثلاً إنّ هاجر أم إسماعيل لقد بلغت مرتبة عند الله بسبب صبرها وتحمّلها المتاعب في سبيل الله حتى جعل الله موضع أقدامها محلاً للعبادة، وأوجب على حجّاج بيته الحرام أن يسعوا فيها كما سعت هاجر بين جبلي الصفا والمروة فنسأل إذا كان صبرها على المكاره وتحمّلها المتاعب في سبيل الله قد منحها الكرامة من الله لمواضع أقدامها وأوجب على المسلمين أن يتعبّدون في ذلك المكان بالسعي بين الصفا والمروة، فلماذا لا يكون قبر النبيﷺ والأئمّة الطاهرينعليهم السلام مباركاً ومقدّساً في حين أنّهم تحمّلوا أنواع المصاعب والمصائب والمكاره من أجل إصلاح المجتمع وإرشاده؟ قال ابن قيّم تلميذ ابن تيميّة: إنّ عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه (زاد المعاد في هدي خير العباد ج١: ص ٨٤).

منه فضل تعمير المشاهد بالصلاة وغيرها من الطاعات [(١)]. فأيّ أحمق يصير

---

(١) فإنّ عمارة المساجد بذكر الله أشرف من عمارتها ببنيان ظاهرها، إذ به تظهر شعائر الإسلام ومعالم الإيمان وسائر الأمور العبادية والمعنوية وهي المظاهر التي توحد صفوف المسلمين، كما أنّ الظاهر من قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّه أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة البقرة: ١١٤) ليس الخراب الظاهري وهدم بناء المساجد فقط، إذ من الضروريّ أنّ كلّ عمل يؤدي إلى القضاء على دور المسجد في المجتمع مشمول لهذه الآية الكريمة ويكفي في شمولهم قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ**﴾ (سورة الاعراف: ٤٥) فالآية الكريمة صريحة في أنّ الذين يمنعون الناس بمختلف الأساليب عن سبيل الله هم الذين يصدون عن سبيل الله فمرّة عن طريق إلقاء الشبهة، ومرّة بالتهديد وأحيانا عن طريق الإغراء والتطميع، وجميع هذه الأساليب ترجع إلى أمر واحد وهو الصدّ عن سبيل الله، إذ أنّهم يحرفون الناس فيصرفونهم عن سلوك الصراط المستقيم فهؤلاء هم المعاندون للحقّ وهم الذين لا يذعنون بيوم الحساب كي يعملوا له، وإنّما يعملون للدنيا، ويسلكون من طرق الحياة ما يتمتعون به للدنيا المادية فحسب.

ولا شكّ أنّ الصراط المستقيم هو الدين الحقّ، والدين الحقّ يجب أن يؤخذ عن طريق الوحي والنبوّة، ونحن نجد أنّ من يقول بأنّ بناء المسجد على المشاهد المشرّفة حرام وشرك انّما خالف بذلك ضرورة الإسلام، إذ المسجد الحرام والكعبة الشريفة التي نصلّي اليها ونطوف حولها مليئة بقبور الأنبياء والأولياءعليهم السلام، بل إنّ حجر إسماعيلعليه السلام الذي أمرنا النبيصلى الله عليه وآله أن ندخله في طوافنا، ما هو إلاّ محوط أقامه إسماعيلعليه السلام على قبر أمّه هاجر (رضي الله عنها) حتّى لا تدوس القبر أقدام الطائفين، ثمّ وصّى إسماعيلعليه السلام أن يدفنوه في الحجر (انظر اخبار مكّة للأرزقي ج١: ص ٦٨ وج٢: ص ١٣٤، ومعجم البلدان ج٢: ص ٢٢١) وفي الحديث عن الإمام الباقرعليه السلام: إنّ ما بين الركن والمقام لمشحون من

←

في الغري ويمضي إلى مساجدها ليصلي فيها وهو قادر على الصلاة عند قبر علي عليه السلام [(١)] ومثله القول في حق من هو في مكّة المعظمة والمدينة المنورة

→

قبور الأنبياء (الكافي ج٤: ص ٢١٤ ح٧) وعن الإمام الصادق عليه السلام: دفن ما بين الركن اليمانيّ والحجر الأسود سبعون نبياً (الكافي ج٤: ص ٢١٤ ح١٠).

فجميع المسلمين وقبلهم أتباع ملّة ابراهيم عليه السلام كانوا يطوفون حول تلك القبور ويصلّون عندها، فهل يقول أتباع ابن تيمية وهم في الواقع أتباع بني أميّة أنّ هؤلاء اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فهم ملعونون؟ وهل يفتون لأنفسهم وأتباعهم بترك الحج والصلاة إلى القبلة بسبب حديث البخاري الذي يخالف القرآن والسنة النبوية وسيرته العطرة.

وقد استفاضت مصادر التاريخ والحديث عند الشيعة وأهل السنة بوجود قبر هاجر وإسماعيل وقبور الأنبياء عليهم السلام حول الكعبة الشريفة قال الطبري في تاريخه: وعاش اسماعيل فيما ذكر مائة وسبعاً وثلاثين سنة ودفن في الحجر عند قبر أمّه هاجر (تاريخ الطبري ج١: ص٢٢١)

وقال القرطبي في تفسيره: ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً، جاؤوا حجّاجاً فقبروا هنالك صلوات الله عليهم أجمعين (تفسير القرطبي ج٢: ص ١٣٠)

وقال السيوطي: وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما، قبر إسماعيل وشعيب عليهما السلام، فقبر إسماعيل في الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود (الدر المنثور ج٣: ص ١٠٣)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم، وهل يمكن لهم أن يقولوا بأنّ كلّ المسلمين الذين يطوفون حول تلك القبور ويصلّون عندها مشركون ملعونون لأنّهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد كما ورد في البخاري بهذا المضمون؟!!

(١) لاشكّ أنّ من البديهيّ عند العقل بطلان ترجيح المرجوح على الراجح؛ لأنّ كلّ عاقل يعلم علماً قطعياً بأنّ الراجح أفضل من المرجوح، فالصلاة عند قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من الصلاة في غير ذلك المكان في النجف الأشرف، لأنّ الصلاة

←

➔

عند قبر الامام أمير المؤمنين تعدل بمائتي ألف صلاة في غيره كما ورد في الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام (انظر كتاب بحر المعارف: ص ٤٨٧). كما أنّ الصلاة في المشاهد المشرفة عند قبور الأئمة الطاهرينعليهم السلام أفضل وأرجح من الصلاة في المساجد كذلك قبور الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم المرضيّين، لأنّ المشاهد المشرّفة مضافاً إلى كونها مسجداً من مساجد الله تكون مشهداً من مشاهد طاعة الله التي تستوجب الصلاة فيها عظيم الثناء وجميل المحامد، فالثواب في المشاهد المشرفة أعظم من الثواب في المساجد، لأنّ الصلاة عند المشاهد المشرّفة تتضمّن التبرّك بصاحب القبر، وهذا أرجح من الثواب المختصّ بالمسجد فقط، فإنّ العقلاء يرجّحون الثواب الأكثر على الأقلّ.

وفي رواية عن المفضّل بن عمر عن الامام الصادقعليه السلام قال: الغَرِيّ قطعة من الجبل كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلا، واتخذ محمداً حبيباً، وجعل للنبيين صلوات الله عليهم سكنا (بحار الانوار ج٩٧: ص ٢٣٢).

وعن أبي بكر الحضرمي عن الإمام الباقرعليه السلام قال: قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله ورسوله؟ فقال: الكوفة يا أبابكر هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبيين والمرسلين وغير المرسلين والاوصياء الصادقين وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلّا وقد صلّى فيه وفيها يظهر عدل الله وفيها يكون قائمة القوام من بعده وهي منازل النبيّين والاوصياء والصالحين (تهذيب الأحكام ج٦: ص ٣١ ح١) ووسائل الشيعة ج٣: ص ٥٢٤

وعن محمّد بن الفضيل بن بنت داود الرقي قال: قال الصادق: أربع بقاع ضجّت إلى الله من الغرق أيام الطوفان: البيت المعمور فرفعه الله إليه، والغريّ، وكربلاء، وطوس (وسائل الشيعة ج١٠: ص ٤٤١ ح٢).

وعن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلّا أهل الكوفة، وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلّي عنده أربع ركعات إلاّ رجّعه الله مسروراً بقضاء حاجته (كامل الزيارات: ص ٣١٣ ح ٥٣٠)

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة

➔

وغير ذلك، فإنّ العاقل يلحق زيادة رضى الله سبحانه في تقديم ما هو أفضل عند القدرة عليه[(١)]. وليس في كلّ بلد فيه شيعة قبر إمام معصوم أو نبيّ أو

➔

وإنّه لينزل كلّ يوم وليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعموز فيطوفون بهه، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فسلّموا عليه ثم أتوا قبر أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ فسلّموا عليه ثم أتوا قبر الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ فسلّموا عليه، ثم عرجوا و ينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة. وقال: من زار أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ عارفاً بحقّه غير متجبّر ولا متكبّر، كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وبعث من الآمنين وهوّن عليه الحساب وتستقبله الملائكة، فإذا انصرف شيّعوه إلى منزله، فإذا مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار عليه (مستدرك الوسائل ج١٠: ص ٢١٣).

(١) وتوضيح المقام أنّ المستفاد من القرآن الكريم أنّ أفضل الاعتقاد بتوحيد الله هو نيل رضا الله، قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّه أَكْبَرُ﴾ (سورة التوبة: ٧٢)، إذ لو بلغ الإنسان هذه المرتبة حيث لا يريد الإنسان إلّا ما فيه رضى الله لأحس بلذة لا ترقى إليها لذلة ولهانت في نظر الإنسان سائر اللذات. عندما يرتبط الإنسان بالله ولا يفكّر بما سواه فهي مرتبة يعجز القلم واللسان عن وصف سمّوها وأبعادها، فإنّ هذه الخصوصيّة من أوصاف المؤمنين الحقيقيّين.

وبعبارة أخرى: إنّ اللذّة المعنويّة والإحساس الروحيّ الذي يحسّ ويلتذّ به الإنسان عند شعوره برضا الله سبحانه وتعالى عنه لا يمكن أن يصفه أيّ بشر، وعلى قول بعض المفسّرين فإنّ لحظة من هذه اللذّة الروحيّة تفوق نعم الجنّة كلّها ومواهبها المختلفة والمتنوّعة واللامتناهية.

ومن الطبيعيّ أنّنا لا نستطيع أن نجسّم ونرسم صورة تلك النعمة العظيمة، حيث إنّا في قفص الحياة الدنيا وحياتها المحدودة، فكيف نصل إلى تلك النعمة العظيمة التي تعجز العقول عن إدراكها.

➔

➔

نعم يمكن إيجاد تصوّر ضعيف عن تلك المواهب المعنويّة بتصور النعم المادية في هذه الدنيا بتبديل غير المحسوس بالمحسوس، ومقارنة اللذّة المعنويّة بالماديّة وإن كان بينهما بون بعيد إلّا أنّ ذلك لأجل عدم امكان تصوّر ذلك للبشر العاديين، فإنّ التصوّر الاجمالي لثواب المحسنين يتخلّص في حقيقة التوحيد، وإنّ جميع الحسنات تعود إلى جذر واحد وهو توحيد الله فهم يبتغون من الثواب رضا الله فإنّ هدفهم في جميع أعمالهم رضا الله قال الله تعالى: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّه وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُود ذَلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة الفتح: ٢٩) وقال الله تعالى: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّه وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (سورة الحشر: ٨).

فانّ المستفاد من هذه الآيات المباركة وغيرها أنّ حقيقة التوحيد نيل رضا الله عزّ وجلّ. فمن جعل هدفه النهائي رضا ربّ العالمين فقد وصل إلى حقيقة التوحيد، لأنّ الإيمان وجميع الأمور الدينية مقدّمة لكسب رضا الله تعالى قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّه وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا**﴾ (سورة المائدة: ٢) فإنّ الآية الكريمة أوجبت على المؤمنين توفير الحريّة التامّة لحجاج بيت الله الحرام أثناء موسم الحجّ، الذي تزول خلاله كلّ الفوارق القبليّة والعرقيّة والطبقيّة، ونهت عن مضايقة المتوجّهين إلى زيارة بيت الله الحرام ابتغاءً لمرضاته، فتفيد الآية الكريمة العناية الشديدة بحرمات الله وشعائره حيث يتبين منها أنّ الهدف الأساسي من الأعمال والنسك هو رضا الله، لأنّ جميع ما يفعله الإنسان يكون في طلب ذلك، وهو واضح يعرف به المؤمن الحقيقي، فإنّ تحمّل كلّ تلك الصعوبات هو في سبيل حصول رضاه تعالى.

⬅

عالم تقيّ أو عبد متّقي، بل هم حينئذٍ يصلّون في المساجد حسبما يشاهد ذلك غيرهم منهم في غالب مدن العجم ومدن العرب ومدن الهند والقرى؛ فإنّه ما من بلد وفيها جماعة من الشيعة هي خالية من مسجد تقام فيه جماعة، سوى نادر من حيث قلّتهم وعدم وجود من يعتمدون في الصلاة خلفه فيصلّون حينئذٍ في مسجدهم بغير جماعة. وقد يبذلون المال الخطير في جلب من يعتمدون عليه في الصلاة خلفه ويبقونه عندهم ويقومون بمصارفه من جهة تحصيل هذه الفضيلة وجماعات فهم يبعثون منهم جماعات لتحصيل العلم في النجف الأشرف وغيره ليأتوهم عالمين فيقتدون بهم في الصلاة ويتعلّمون منهم الدين، فتدّبر فيما جرت عليه سيرة الشيعة طبقة بعد طبقة في تعمير المساجد والمشاهد وفيما رماهم به السني من هجرهم المساجد! ومن ينظر إلى مدنهم الكبار مثل طهران وتبريز واصبهان وطوس وكرمانشاهان وكرمان وغيرها فإنّه يجدها كثيرة المساجد، وفي كلّ مسجد منها صلاة جماعة. وهذه حال ما هو دونها في الكبر، فقد يشتمل البلد على مائة مسجد و ما يزيد وما ينقص وهي بأجمعها معمورة بالصلاة جماعة

➔

وعليه فمن دخل مكّة المكرّمة أو المدينة المنوّرة إذا كان في طلب رضا الله ورسوله يسعى إلى الإتيان بالأعمال التي تكون محبوبة ومطلوبة للمولى عزّ وجلّ ومن تلك الأعمال المطلوبة الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبويﷺ، فقد ورد في الحديث عن جابر أنّ رسول اللهﷺ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام والصلاة في مسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه (سنن ابن ماجة ج١: ص ٤٥١ ح ١٤٠٦).

وغيرها [١].

---

(١) وخلاصة الكلام أنّ اهتمام الشيعة الإمامية بالصلاة في المساجد والمشاهد المشرّفة من الواضحات البديهيّة المتسالم عليه عند الناس جميعاً، ولا يحتاج إلى بحث أكثر من هذا إذ أكبر دليل على كلّ شيء وجدانه، وذلك للروايات الكثيرة الواردة في ثوابها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام منها: ما رواه الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «يا فضل لا يأتي المسجد من كلّ قبيلة إلّا وافدها، ومن كلّ أهل بيت إلّا نجيبها، يا فضل لا يرجع صاحب المسجد بأقلّ من إحدى ثلاث خصال: إمّا دعاء يدعو به يدخله الله به الجنّة، وإمّا دعاء يدعو به فيصرف الله عنه به بلاء الدنيا، وإما أخ يستفيده في الله... » (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٧٧ ح٢).

ومنها: ما رواه زريق عن أبي عبد الله الصادق قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بلغه أنّ قوماً لا يحضرون الصلاة في المسجد، فخطب فقال: إنّ قوماً لا يحضرون الصلاة معنا في مساجدنا فلا يؤاكلونا ولا يشاربونا ولا يشاورونا ولا يناكحونا ولا يأخذوا من فيئنا شيئاً أو يحضروا معنا صلاتنا جماعة، وإنّي لأوشك أن آمر لهم بنار تشمل في دورهم فأحرق عليهم أو ينتهون» (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٧٩ ح٩).

ومنها: ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله كونوا في الدنيا أضيافاً واتخذوا المساجد بيوتاً، وعوّدوا قلوبكم الرقّة (مستدرك الوسائل ج٣: ص ٣٥٥ ح١).

ومنها ما رواه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من أحبّ الله فليحبّني، ومن أحبّني فليحبّ عترتي، إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ومن أحبّ عترتي فليحبّ القرآن، ومن أحب القرآن فليحبّ المساجد، فإنّها أفنية الله أبنية أذن في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون أهلها، مزيّنة مزيّن أهلها، محفوظة محفوظ أهلها. هم في صلاتهم والله في حوائجهم، هم في مساجدهم والله من ورائهم (مستدرك الوسائل ج٣: ص ٣٥٥ ح٢).

ومنها ما رواه الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان يقول من اختلف إلى المسجد ←

→

أصاب إحدى الثمان، أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو يسمع كلمة تدلّ على هدى، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تَردّه عن ردى، أو يترك ذنباً خشية أو حياءً (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٨٢ ح١).

ومنها ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنّة، لأنّ الجنّة فيها رضى نفسي والجامع فيه رضى ربّي (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٨٢ ح ٦).

ومنها: ما عن المقنع أنّه روي أنّ في التوراة مكتوباً: إن بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لمن تطهّر في بيته وزارني في بيتي (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٨٢ ح٥).

ومنها: ما ورد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: إمام عادل وشابّ نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجل قلبه متعلّق بالمسجد إذا خرج منه حتّى يعود إليه، ورجلان كانا في طاعة الله عزّ وجلّ فاجتمعا على ذلك وتفرّقا، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال: إنّي أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما يتصدّق بيمينه (وسائل الشيعة ج٣: ص ٤٨١ ح٤) وإلى غير ذلك من الروايات الوارده عنهم عليهم السلام

وقد أفتى فقهاء الشيعة الإمامية بتأكيد استحباب صلاة الفرائض في المساجد واستحباب صلاة النوافل في المنزل وخاصّة نوافل الليل (انظر كتاب المبسوط للشيخ طوسي ج١: ص ١٦٣ وكتاب النهاية له: ص ١٠٩ وكتاب المهذّب للقاضي ابن البراج ج١: ص٧٧ وكتاب السرائر لابن إدريس الحلّي ج١: ص٢٧٩ وكتاب الرسائل التسع للمحقّق الحلّي: ص٢٥٦ والمختصر النافع له: ص٤٩ وشرائع الإسلام له ج١: ص٩٨ وإرشاد الأذهان للعلاّمة الحلّي ج١: ص ٢٥٠ وتحرير الأحكام له ج١: ص٣٢٣ وتذكرة الفقهاء له ج٢: ص٤٢٢ وقواعد الأحكام له ج١: ص٢٦٠ ومختلف الشيعة له ج٣: ص٩٢ ومنتهى المطلب له ج١: ص٣٨٦ ونهاية الأحكام له ج١: ص٣٥١ وايضاح الفوائد لفخرالمحققين ابن العلامة ج١: ص٩١ والبيان للشهيد الأول: ص٦٧ والدروس له ج١: ص١٥٥ وذكرى

←

➔

الشيعة له ج٣: ص١٠٧ وجامع المقاصد للمحقّق الكركي ج٢: ص ١٤٠ وروض الجنان للشهيد الثاني: ص ٢٣١ وشرح اللمعة له ج١: ص٥٤٧ ومسالك الأفهام له ج١: ص ٣٣٠ وزبدة البيان للمحقق الأردبيلي: ص٧٦ ومجمع الفائدة له ج٢: ص١٤٤ ومدارك الأحكام للسيد محمد العاملي ج٤: ص٣٩٤ وذخيرة المعاد للمحقّق السبزواري ج١: ص٢٤٨ وكفاية الأحكام للمحقّق السبزواري ج٢: ص ٥٦١ وكشف اللثام للفاضل الهندي ج٣: ص٣١٥ والتحفة السنيّة للسيد عبدالله الجزائري: ص١٢٤ والحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج٧: ص٢٦٤ ومفتاح الكرامة للسيد محمد جواد العاملي ج٦: ص٢٢٦. وكشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء ج١: ص٢١٤ ورياض المسائل للسيد علي الطباطبائي ج٤: ص٢٨٣ وغنائم الأيام للميرزا القمي ج٢: ص٢٣٥ ومناهج الأحكام له: ص٤٢٣ ومستند الشيعة للمحقّق النراقي ج٤: ص٤٧٢ وجواهر الكلام للشيخ الجواهري ج١٤: ص٦٩ وكتاب الصلاة للشيخ الأنصاري: ص٣١٦ والعروة الوثقى للسيد اليزدي ج٢: ص٤٠١ ومستمسك العروة للسيد الحكيم ج٥: ص٥١٩ وجامع المدارك للسيد الخوانساري ج١: ص٥١٥ وكتاب مستند العروة للسيد الخوئي ج٢: ص٢٢٢ ومصباح الفقيه للمحقّق الهمداني ج١٦: ص٤٤٩ وغيرها من كتبهم رضوان الله تعالى عليهم. فإنّهم أكّدوا على استحباب الصلاة في المساجد، وأفضلها مسجد الحرام فإنّ الصلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة، ثم مسجد النبيﷺ فإنّ الصلاة فيه تعدل ألف صلاة، ثم مسجد الكوفة وفيه تعدل ألف صلاة، ثم مسجد الأقصى ثم المسجد الجامع. ويستحب أن يجعل الإنسان في بيته مسجداً، أي مكاناً معدّاً للصلاة فيه وإن كان لا يجري عليه أحكام المسجد. هذا كلّه بالنسبة إلى الرجال وأمّا النساء فالأفضل الصلاة في بيوتهنّ، وأفضل البيوت المخدع أي بيت الخزانة فيه، وكذلك يستحبّ الصلاة في مشاهد الأئمّة الأطهارعليهم السلام وهي البيوت التي أمر الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه. بل هي أفضل من المساجد عندهم بل قد ورد في الحديث أنّ الصلاة عند عليعليه السلام بمائتي ألف صلاة. وكذا يستحبّ في روضات الأنبياء ومقام الأولياء والصلحاء والعلماء. هذا ما ورد في

➔

وسادسها: ما زعمه من جعل بعضهم الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى الكعبة المعظمة فانّه فرية منه مشتملة على تلبيس[(١)].

الكتب الفقهيّة.

(١) لاشكّ ولا شبهة في أنّ الحجّ عند الشيعة الإثني عشريّة كسائر المسلمين ركن من أركان الدين وتركه مع الاعتراف بثبوته معصية كبيرة ،كما أنّ إنكار أصل الفريضة قد يصل إلى الكفر، قال الله تعالى: ﴿**وَلِلّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْه سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (سورة آل عمران: ٩٧) فالآية الكريمة واضحة الدلالة على أنّ الحجّ يجب على كلّ انسان مستطيع في العمر مرّة واحدة، لأنّ الحكم في الآية المباركة مطلق، وهو يحصل بالامتثال مرّة واحدة، وانّ الشرط الوحيد الذي ذكرته الآية الكريمة هو الاستطاعة المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْه سَبِيلاً**﴾، نعم قد فُسّرت الاستطاعة في الأحاديث الاسلامية والكتب الفقهيّة بالزاد والراحلة وتخلية السرب والرجوع بالكفاية. والحقّ أنّ جميع هذه الأمور موجودة في الآية الكريمة، اذ لفظة (استطاع) تعني القدرة العقليّة والإمكان الذي يشمل كلّ هذه المعاني والجهات. ثمّ إنّه قد ورد في الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام قال: من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً (الكافي ج٤: ص٢٦٨ح١) فمناسك الحجّ التي جاءت ذكرها في القرآن وروايات أهل البيتعليهم السلام نفس مناسك الحجّ التي يأتي بها المسلمون وهي لا تتحقّق إلّا في مكّة المكرّمة، كما هي مدوّنة في كلّ منسك من مناسك المسلمين، ولا يتعارض أصل واجبات الحجّ عندهم مع العرف الإسلامي، والشاهد على ذلك أولاً: الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيتعليهم السلام في باب الحجّ وثانياً: الكتب الفقهيّة لفقهاء الشيعة وثالثاً: عمل الشيعة أيّام الموسم في جميع الأعصار من الصدر الأوّل إلى اليوم، فانّ منسك الحجّ عندهم كما هو ظاهر غير خفي على أحد كمنسك بقية المسلمين مع وجود بعض

فأما الفرية فهي تخصيصه لذلك ببعضهم فانّهم متفقون على كون زيارة قبور أهل البيت العصمةعليهم السلام أفضل من زيارة الكعبة ندباً وهذه كتبهم تنادى لذلك[(١)].

➔

الاختلاف في بعض اجزائه فمثلاً، إنّ الشيعة الإمامية يأتون بحجّ التمتّع، وهذا النوع من أقسام الحجّ يختصّ بكلّ من كان على مسافة ٤٨ ميلاً فصاعداً من مكّة المكرّمة (أي ١٦ فرسخاً وما يعادل ٩٦ كيلومتراً تقريباً) والخلاصة أنّه يتألّف من عبادتين تسمى أولهما بالعمرة والثانية بالحجّ، وقد يطلق حجّ التمتّع على الجزء الثاني، كما قد تسمّى الأولى بعمرة التمتّع فيجب على المسلم الإتيان بهما في العمر مرّة واحدة وخلاصة المنسك هو الإتيان بالعمرة قبل الحجّ، ثم يبدأ الحجّاج يوم الثامن من ذي الحجّة بالمبيت في منى - وهي منطقة قريبة من حدود الحرم المكي- ويسمّى بيوم التروية. ثم الوقوف بعرفات في اليوم التاسع من ذي الحجّة، ومن بعدها ينفر الحاجّ إلى المشعرالحرام (المزدلفة) ويبيتوا في هذه البقعة من طلوع الفجر وحتّى طلوع الشمس، ويقام ما يعرف بجمع الجمرات، وهي عبارة عن حصيات أصغر من حبّة الفول وأكبر من حبّة الحمّص، على أن يجمعون ٧١ حصاة ليتمّ رميها في اليوم الأول من أيّام التشريق واليوم الثاني والثالث منها، ثمّ الذبح بمنى يوم العيد، ثم الحلق، ثمّ الطواف، وصلاة الطواف، ثم السعي، ثمّ طواف النساء وصلاة الطواف. فكلّ هذه الأعمال مذكورة في كتب فقهاءالشيعة ومناسك الحجّ لهم، فما بال ابن تيمية ينسب إلى الشيعة الحجّ بغير ما جاء في كتاب الله؟ ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ (سورة النحل:١٠٥)؟ ولايخفى على الخبير أنّ الشيعة الإمامية إنّما يزورون قبور المعصومين والمشاهد المشرّفة، والفرق بين الزيارة والحجّ أوضح من أن يخفى على أحد. فما ذكره ابن تيمية فرية واضحة ومشتملة على تلبيس فلاحظ.

(١) فإنّ زيارة المشاهد المشرّفة لا سيّما زيارة العترة الطاهرة من الأمور المستحبّة التي دلّت

➔

←
على رجحانها النصوص الكثيرة، ففي حديث عن الإمام الرضاعليه السلام قال: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وانّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة (وسائل الشيعة ج١٠: ص٢٥٣ ح٥).

وفي بعض الروايات أنّ ثواب زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة تعدل حجّة مع النبي صلى الله عليه وآله، كما جاء في حديث فضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبور الشهداء وزيارة قبر الحسين صلوات الله عليه تعدل حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله (وسائل الشيعة ج١٠: ص٢٥٥ ح١٣).

وفي بعضها أنّ من زارهم وجبت له الجنّة كما في حديث عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: بينا الإمام الحسين بن علي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة (وسائل الشيعة ج١٠: ص٢٥٧ ح١٧).

وفي حديث آخر عن محمد بن سنان عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عليّ، من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلّصه من أهوالها وشدائدها حتّى أصيّره معي في درجتي (وسائل الشيعة ج١: ص٢٥٧ ح١٦).

وعن يزيد بن عبد الملك عن أبيه عن جدّه قال: دخلت على فاطمة الزهراء سلام الله عليها فبدأتني بالسلام ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة، قالت: أخبرني أبي وهو ذا أنّه من يسلّم عليه وعليّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة، قلت: في حياته وحياتكِ؟ قالت: نعم وبعد موتنا (وسائل الشيعة ج١٠: ص٢٨٧ ح١).

وفي بعض الروايات أنّ زيارتهم عليهم السلام تعدل حجة وعمرة بل أكثر من حجة وعمرة فعن عمر بن عبد الله بن طلحة النهدي عن أبيه قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال: يا
←

➔

عبدالله بن طلحة ما تزور قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: بلى إنّا لنأتيه، قال: أتأتونه في كلّ جمعة؟ قلت: لا، قال: فتأتونه في كل شهر؟ فقلت: لا، فقال: ما أجفاكم إنّ زيارته تعدل حجة وعمرة، وزيارة أبي علي عليه السلام تعدل حجتين وعمرتين (وسائل الشيعة ج١٠: ص٢٩٧ ح١).

وعن أبي شعيب الخراساني قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام أيّما أفضل زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام أو زيارة الحسين عليه السلام؟ قال: إنّ الحسين قتل مكروباً فحقيق على الله عزوجل أن لا يأتيه مكروب إلّا فرّج الله كربه، وفضل زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام على زيارة الحسين كفضل أمير المؤمنين على الحسين عليهما السلام (وسائل الشيعة ج١٠: ص٢٩٧ ح٢).

وأمّا بالنسبة إلى زيارة قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام فإنّ الروايات الواردة في استحبابها كثيرة جدّاً، فعن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: وكّل الله بقبر الحسين عليه السلام أربعة الآف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة فمن زاره عارفاً بحقّه شيّعوه حتّى يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوة وعشيّة، وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلى يوم القيامة. (وسائل الشيعة ج١٠:ص٣١٨ح١).

وعن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فدخل رجل من أهل طوس، فقال: يا ابن رسول الله ما لمن زار قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام؟ فقال: من زار قبر الحسين وهو يعلم أنّه إمام من قبل الله مفترض الطاعة على العباد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وقبل شفاعته في خمسين مذنباً، ولم يسأل الله عزّ وجلّ حاجة عند قبره إلّا قضاها له (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٢٢ ح١١).

وعن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبوعبدالله الصادق عليه السلام: لو أنّ أحدكم حجّ دهره ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله تعالى واجبة على كلّ مسلم (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٣ ح١).

وعن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام في كلّ

🡐

وأمّا التلبيس، فإنّه لم يبيّن مورد أفضلية زيارة مقابر أهل البيت عليهم السلام بل أطلق ذلك، ويظهر منه ذهابهم إلى أفضلية زيارتها حتّى ممّا وجب من الحج إلى الكعبة، وليس فيهم قائل بذلك[1].

➔

شهر من الثواب؟ قال له: من الثواب ثواب مأة ألف شهيد، ومثل شهداء بدر (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٤١ ح٤).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجّة مقبولة وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٤٧ ح١).

وعن زيد الشحام عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: زيارة قبر الحسين عليه السلام تعدل عشرين حجّة وأفضل من عشرين عمرة وحجّة (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٤٧ ح٢).

وعن الحسين بن علي بن ثوير بن أبي فاخته قال: قال لي أبوعبدالله الصادق عليه السلام: يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حسنة وحطّ بها عنه سيئة، وإن كان راكباً كتب الله له بكلّ حافر حسنة وحط عنه بها سيئة، حتّى إذا صار بالحائر كتبه الله من الصالحين (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٤٢ ح١).

وعن جابر المكفوف عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحى عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة ... (وسائل الشيعة ج١٠: ص٣٤٣ ح٣).

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام الدالّة على استحباب زيارة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، لاسيّما قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام فانّ الثواب المذكور فيها أكثر من ثواب الحجّ كما تقدم فلاحظ.

(١) وذلك لامتناع التخيير بين الواجب والندب؛ فانّ الواجب ليس فيه رخصة ترك العمل،

➔

←

بخلاف الندب فإنّه طلب مقيّد بالرخصة في تركه، ولا تزاحم بين الأمرين؛ لأنّه لا تزاحم بين اللزوم وعدم اللزوم فإنّ زيارة المشاهد المشرّفة والقبور المطهّرة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام أمر مستحبّ يجوز تركه، وأمّا حجّ البيت فواجب وفريضة إلهية لمن استطاع اليه في العمر مرّة واحدة، فالمستطيع يجب عليه الحجّ، ولا يجوز له ترك هذا الواجب والقيام بعمل مستحبّ غيره. قال السيد الخوئي: يجب الحجّ على كلّ مكلّف جامع للشرائط الآتية، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنّة القطعيّة، والحجّ ركن من أركان الدين ووجوبه من الضروريات، وتركه ـ مع الاعتراف بثبوته ـ معصية كبيرة، كما أنّ أنكار أصل الفريضة ـ إذا لم يكن مستنداً إلى شبهة ـ كفر ... (المعتمد في شرح المناسك ج٣: ص ٨).
وقال أيضاً: مسألة ١. لا خلاف في أنّ وجوب الحجّ بعد تحقّق شرائطه فوريّ، بمعنى أنّه يجب المبادرة اليه في العام الأوّل من الاستطاعة فلا يجوز تأخيره ... (المعتمد في شرح المناسك ج٣: ص١٣).

أقول: ما أفاده قدّس سرّه أمر مسلّم متّفق عليه بين جميع فقهاء الإماميّة؛ إذ من الواضح أنّ الحجّ مشروط بشرائط خاصة من حيث الزمان والمكان، فإذا تحقّقت شرائطه صار وجوبه فعليّاً في حقّ المكلّف ولا يجوز تركه؛ لأنّ تركه يعدّ تركاً للواجب الشرعيّ سواء قام بعمل مستحبّ آخر في ظرف الوجوب أم لم يقم. ولذلك قال السيد الخوئي: مسألة٢٥: إذا كان عنده مقدار من المال يفي بمصارف الحجّ وكان بحاجة إلى الزواج أو شراء دار لسكناه أو غير ذلك ممّا يحتاج إليه فإن كان صرف ذلك المال في الحجّ موجباً لوقوعه في الحرج لم يجب عليه الحجّ، وإلّا وجب عليه (المعتمد في شرح المناسك ج٣: ص ٥٢) لأنّ الميزان في سقوط الواجب الدليل الشرعي، فإذا قام دليل شرعي على سقوط الواجب كأدلّة (لا حرج) فعند ذلك يرفع الحكم الشرعي، لتحقّق عنوان الحرج الذي هو موضوع الدليل الشرعي، فيكون سقوطه بأمر الشارع، وإلّا فإنّ الوجوب لا يسقط إلّا بإتيان العمل الواجب. فإنّ وجوب الحجّ في المقام ثابت في حقّ المكلّف، والزواج أمر مستحبّ مؤكّد، فلا تزاحم وجوب الحجّ والزواج، لأنّه لا تزاحم بين الوجوب

→

بل من قال به فقد خالف ضرورة الدين كيف تـصير مرتبـة الوجـوب دون مرتبة الندب؟! فالتفضيل عندهم بـين المنـدوبين[(١)]. ومـا الـدليل للـسنّي

➔

والاستحباب، كما لا تزاحم بين وجوب فعليّ ووجوب لم يتحقّق شرائطه ولم يـصل إلـى درجة الفعليّة، كما لو نذر زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة ثم استطاع، فقـد قـال الـسيد الخوئي: إذا نذر أن يزور الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفـة ثـمّ اسـتطاع بعـد ذلـك وجـب عليه الحجّ وانحلّ نذره، وكذلك كلّ نذر يزاحم الحجّ (المعتمد فـي شـرح المناسـك ج٣: ص٩٨). وذلك لأنّ وجوب الحجّ في هذه المسألة وأمثالها صار فعليّـاً فـي حـقّ المكلّـف، وحيث إنّ وجوب الوفاء بالنذر في المقام مزاحم لوجوب الحجّ، فانّ وجوب الحـجّ يمنـع الوفاء بالنذر شرعاً، وانّ المانع الشرعيّ كالمانع العقليّ يمنع المكلّف عن الإتيـان بالعمـل، وحيث إنّ المكلف ليس له القدرة على إتيان العمل المنـذور ويكـون عـاجزاً بالنـسبة إليـه عقلاً فينحلّ نذره ويجب عليه الإتيان بالحجّ، فلاحظ.

(١) وذلك مثلما يرى المكلّف نفسه مخيّراً بين الإتيان بـالحج الاسـتحبابي وبـين زيـارة الامـام الحسين عليه السلام يوم عرفة، فإنّ ثواب زيارة الحـسين عليه السلام يـوم عرفـة أكثـر مـن ثـواب الحـجّ الاستحبابي، كما تدلّ عليه النصوص والروايات الواردة عن أئمّة أهـل البيـت عليهم السلام. فمنهـا: ما رواه بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ربما فاتني الحجّ فأعرّف عند قبر الحسين عليه السلام قال: أحسنت يا بشير، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفـاً بحقّـه فـي غيـر يوم عيد كتب الله له عشرين حجّة وعشرين عمرة مبرورات متقبّلات، وعشرين غـزوة مـع نبيّ مرسل أو امام عادل. ومن أتاه يوم عيد كتب الله له مائة حجّة ومائة عمرة. ومائة غزوة مع نبيّ مرسل وإمام عادل. ومن أتاه في يوم عرفـة عارفـاً بحقّـه كتـب الله لـه ألـف حجـة وألف عمرة متقبّلات، وألف غزوة مع نبيّ مرسل أو إمـام عـادل... (كامـل الزيـارات: ص ٣١٦، ب ٧٠ ح١).

ومنها: ما رواه عبد الله بـن مـسكان قـال: قـال أبـو عبـد الله الـصادق عليه السلام إنّ الله تبـارك وتعـالى

➔

←

يتجلّى لزوّار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفّعهم في مسائلهم، ثمّ يأتي أهل عرفة فيفعل ذلك بهم (كامل الزيارات: ص ٣١٨ ح٣

ومنها: ما رواه يونس بن يعقوب بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من فاتته عرفة بعرفات فأدركها بقبر الحسين عليه السلام لم يفته، وإنّ الله تبارك وتعالى ليبدأ بأهل قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ثم يخاطبهم بنفسه (كامل الزيارات: ص ٣١٨ ح٥).

ومنها: ما رواه حنان بن سدير عن أبيه عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم عرفة اطّلع الله تعالى على زوار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال لهم: استأنفوا فقد غفرت لكم ثم يجعل إقامته على أهل عرفات (كامل الزيارات: ص ٣١٩ ح٧).

ومنها: ما رواه عمر بن الحسن العرزمي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم عرفة نظر الله إلى زوار قبر الحسين عليه السلام فيقول: ارجعوا مغفوراً لكم ما مضى، ولا يكتب على أحد منهم ذنب سبعين يوماً من يوم ينصرف (كامل الزيارات: ص ٣١٩ ح٨).

ومنها: ما رواه يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجّة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعتق ألف ألف نسمة، وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسمّاه الله عزّ وجلّ: عبدي الصديق آمن بوعدي، وقالت الملائكة: فلان صديق، زكّاه الله من فوق عرشه وسمّي في الارض كروبيّاً (كامل الزيارات: ص ٣٢١ ح ١٠).

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام وهي كثيرة جداً بالغة عن حدّ التواتر كما أنّ الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في أفضلية ثواب زيارة سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام من الحجّ الندبي كثيرة جداً. وإليك بعض ما ورد في هذا المجال فمنها: ما رواه أبووهب البصري قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبدالله الصادق عليه السلام فقلت: جعلت فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام قال: بئس ما صنعت، لولا أنّك من شيعتنا مانظرت إليك. ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون؟! قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك، قال: فاعلم أنّ امير المؤمنين عليه السلام أفضل

←

عند الله من الأئمة كلّهم وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا (كامل الزيارات: ص ٨٩ ح ١).

ومنها: ما رواه المفضّل بن عمر قال: دخلت على أبي عبد الله الصادقعليه السلام، فقلت: إنّي أشتاق إلى الغريّ، قال: فما شوقك إليه؟ قلت له: إنّي أحبّ أن أزور أمير المؤمنينعليه السلام قال: فهل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا يابن رسول الله، فعرّفني ذلك، قال: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين فاعلم أنّك زائر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم عليّ بن أبي طالبعليه السلام قلت: إنّ آدم هبط بسرنديب في مطلع الشمس، وزعموا أنّ عظامه في بيت الله الحرام فكيف صارت عظامه بالكوفة؟! قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى الى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله تعالى أن يطوف، ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله تعالى للارض: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾(سورة هود: ٤٤) فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها، وتفرّق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغريّ وهو قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتخذ عليه محمداً حبيباً، وجعله للنبيّين مسكناً. والله ما سكن فيه بعد أبويه الطاهرين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنينعليه السلام. فإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّك زائرٌ الآباء الأوّلين ومحمّداًصلى الله عليه وآله خاتم النبيّين وعليّاًعليه السلام سيد الوصيّين، فإنّ زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته فلا تكن عن الخير نواماً (كامل الزيارات: ص٨٩ ح٢).

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في ثواب زيارة قبور أئمّة أهل البيتعليهم السلام، فإنّ الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جدّاً لا يسعنا المجال لذكرها في المقام. ولمن اراد الوقوف عليها فليرجع إلى كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمّي المتوفّى سنة ٣٦٨ فإنّه قد جمع فيه الروايات الواردة في استحباب زيارة الأئمّة الاطهارعليهم السلام، وما فيها من الفضل.

على تقديم المندوب من الحج على زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام، وقد تظافر عن حملة الشريعة تقديم زيارة قبورهم في الفضل على زيارة بيت الله ندبا[١].

➔

وقد أجمعت الشيعة الإماميّة على هذه الفضيلة العظيمة التي ليس فوقها فضيلة حتّى حجّ البيت، فلاحظ.

(١) لقد ورد عن الحسن بن علي الوشاء قال: قلت للرضا عليه السلام ما لمن أتى قبر أحد من الأئمة عليهم السلام؟ قال: له مثل ما لمن أتى قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام (ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٩٨).

والظاهر من هذا الحديث أنّ ثواب زيارة الامام الحسين عليه السلام كان من الأمور المعلومة عند المؤمنين ولذلك اكتفى الامام الرضا عليه السلام بذكر «المثل»، حيث إنّ ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام كان معلوماً عند الراوي، لأنّ الروايات الواردة عن الأئمة الأطهار في زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأفضليتها من الحجّ الندبي بالغة حدّ التواتر وإليك بعض ما ورد في هذا المجال: منها ما رواه زيد الشحّام عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: قال: زيارة الحسين تعدل عشرين حجّة وأفضل من عشرين حجّة. (كامل الزيارات: ص ٣٠٢ ح١).

ومنها: ما رواه أبو سعيد المدائني قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقلت: جعلت فداك آتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: نعم يا أبا سعيد ائت قبر الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أطيب الأطيبين وأطهر الطاهرين وأبرّ الأبرار، فإنّك إذا زرته كتب الله لك به خمسة وعشرين حجّة (كامل الزيارات: ص٣٠٣ ح٣).

ومنها: ما رواه شهاب بن عبد ربّه عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: سألني الإمام الصادق عليه السلام فقال: يا شهاب كم حججت من حجّة؟ فقلت: تسعة عشر حجّة، فقال لي: تمّمها عشرين حجة تحسب لك بزيارة الحسين عليه السلام (كامل الزيارات: ص٣٠٣ ح٥).

ومنها: ما رواه صالح النيلي قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً

➔

➔

بحقّه كان كمن حجّ مائة حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله (كامل الزيارات: ص٣٠٤ ح٧).

ومنها: ما رواه يزيد بن عبد الملك قال: كنت مع أبي عبدالله الصادق عليه السلام فمرّ قوم على حمر، فقال لي: أين يريد هؤلاء؟ فقلت: قبور الشهداء، قال: فما يمنعهم من زيارة الغريب الشهيد؟ فقال له رجل من العراق: وزيارته واجبة؟ فقال: زيارته خير من حجّة وعمرة، وعمرة وحجّة، حتّى عد عشرين حجّة وعشرين عمرة، ثم قال: مبرورات متقبّلات، قال: والله ما قمت من عنده حتى أتاه رجل فقال: إنّي قد حججت تسع عشرة حجّة، فادع الله أن يرزقني تمام العشرين، قال: فهل زرت الحسين عليه السلام؟ قال: لا، قال: لزيارته خير من عشرين حجّة. (كامل الزيارات: ص٣٠٦ ح١٠).

ومنها: مارواه مسعدة بن صدقة قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: تكتب له حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت له: جعلت فداك حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟! قال: نعم وحجّتان، قال: قلت: جعلت فداك حجّتان؟! قال: نعم وثلاث، فما زال يعدّ حتى بلغ عشراً قلت: جعلت فداك عشر حجج مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟! قال: نعم وعشرون حجّة قلت: جعلت فداك وعشرون؟! فما زال يعدّ حتّى بلغ خمسين فسكت. (كامل الزيارات: ص٣٠٦ ح١١).

ومنها: ما رواه عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقّه غير مستكبر ولا مستنكف؟ قال: يكتب له ألف حجّة وألف عمرة مبرورة (كامل الزيارات: ص٣٠٧ ح١٢).

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام في أفضلية زيارة الإمام الحسين من الحجّ الندبيّ وبناءً على الرواية المرويّة عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ لزيارة الأئمة الطاهرين عليهم السلام من الثواب مثل ما لزيارة الإمام الحسين عليه السلام فإنّ زيارة كلّ من الأئمّة الأطهار عليهم السلام يكون لها نفس ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: من زار واحداً منّا كان كمن زار الحسين عليه السلام (ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص٩٨) .

وقد تدلّ بعض الروايات الواردة في زيارة الإمام الرضا عليه السلام أنّ زيارته عليه السلام تعدل عند الله

➔

وسابعها: ما نسبه إلى الشيعة من العكوف على المشاهد مشابهة للمشركين، يستدلّ على حرمته بما نقله عن صحاحهم من الخبر[(١)]. فإنّه من

➔

ألف حجّة، فعن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطيّ قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام: أبلغ شيعتي أنّ زيارتي تعدل عند الله ألف حجّة، قال فقلت لأبي جعفر عليه السلام: ألف حجة؟! قال: أي والله، وألفا حجّة لمن زارة عارفاً بحقّه. (ثواب الاعمال للشيخ الصدوق: ص٩٨).

هذا وقد ورد في كثير من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام أنّ من زارهم أو زار قبورهم الطاهرة وجبت له الجنّة. فمن تلك الروايات ما رواه عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: بينما الحسين بن علي عليهما السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال له: يا أبة ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة. (كامل الزيارات: ص٣٩ ح١).

ومن تلك الأحاديث قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ من زارني في حياتي أو بعد موتي، أو زارك في حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلّصه من أهوالها وشدائدها حتّى أصيّره معي في درجتي (كامل الزيارات: ص٤٠ ح٣).

(١) فقد استدل بما أخرجه البخاري في صحيحه في (كتاب التفسير باب ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق...) بسنده عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سواع كانت لهذيل، وأمّا يغوث فكانت لمراد ثمّ لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأمّا يعوق فكانت لهمدان، وأمّا نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ان أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمّوها

➔

➔

بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتّى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت (صحيح البخاري: ج٦ ص٧٣).

أقول: هذه القصّة قد وردت في الروايات والمصادر الإسلامية، ورواها علماء الشيعة ومحدثوهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلا أنّ الباحث يجب أن يدقّق ويعرف الحقّ من خلال التحقيق فيه، فقد روى الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه الشريف بسنده عن حريز بن عبدالله السجستاني عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله الله عزوجل ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ (سورة نوح: ٢٣).

قال عليه السلام: كانوا يعبدون الله عزوجل فماتوا، فضجّ قومهم وشقّ ذلك عليهم فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم: أتخذُ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله؟ فأعدّ لهم أصناماً على مثالهم. فكانوا يعبدون الله عزوجل وينظرون إلى تلك الأصنام، فلمّا جاءهم الشتاء والأمطار ادخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عزوجل حتى هلك ذلك القرن، ونشأ أولادهم فقالوا: إنّ اباءنا كانوا يعبدون هؤلاء. فعبدوهم من دون الله عزوجل فذلك قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ (علل الشرائع ج١: ص٤ح١).

ومنهم الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه فإنّه روى بسنده عن المفضّل بن عمر قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام بالكوفة أيام قدم على أبي العباس المنصور، فلّما انتهينا إلى الكناسة قال: هاهنا صلب عمّي زيد رحمه الله، ثم مضى حتّى انتهى إلى طاق الزّياتين وهو آخر السراجين، فنزل وقال: انزل فإنّ هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأوّل الذي خطّه آدم عليه السلام، وأنا أكره أن أدخله راكباً، قال: قلت: فمن غيّره عن خطّته؟ قال: أمّا أوّل ذلك الطوفان في زمن نوح عليه السلام، ثم غيّره أصحاب كسرى ونعمان، ثمّ غيّره بعد زياد بن أبي سفيان، فقلت: وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح عليه السلام؟ فقال لي: نعم يا مفضّل، وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات ممّا يلي غربيّ الكوفة، وكان نوح رجلاً نجّاراً فجعله الله نبيّاً وانتجبه. ونوح أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماء، قال:

➔

➔

ولبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عزوجل فيهزؤون به ويسخرون منه: فلّما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال: ﴿ **رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ (سورة نوح:٢٥ و٢٦) فأوحى الله عزوجل إلى نوح أن اصنع سفينة وأوسعها وعجّل عملها، فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده فأتى بالخشب من بعد حتّى فرغ منها. قال المفضّل ثم انقطع حديث الامام الصادق عليه السلام عند زوال الشمس فقام فصلّى الظهر والعصر ثم انصرف من المسجد فالتفت عن يساره وأشار بيده إلى موضع دار الداريّين وهو موضع دار ابن حكيم وذاك فرات اليوم، فقال لي: يا مفضل: هاهنا نصبت أصنام قوم نوح عليه السلام (يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) ثم مضى حتّى ركب دابته فقلت: جعلت فداك في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها. قال: في دورين، قلت: وكم الدورين؟ قال: ثمانين سنة، قلت وإنّ العامّة يقولون: عملها في خمسمائة عام، فقال: كلّا كيف والله يقول: (وَوَحْيِنَا) قال: قلت: فأخبرني عن قول الله عزوجل: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ (سورة الهود: ٢٧). فأين كان موضعه؟ وكيف كان؟ فقال: التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد، فقلت له: فإنّ ذلك زاوية باب الفيل اليوم، ثمّ قلت له: وكان بدء خروج الماء من ذلك التنور؟ فقال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ أن يرى قوم نوح آية، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً، وفاض الفرات فيضاً والعيون كلّهنّ فيضاً فغرقهم الله عزّ ذكره وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة. فقلت له: كم لبث نوح في السفينة حتّى نضب الماء وخرجوا منها؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها وطافت بالبيت أسبوعاً ثم استوت على الجودي وهو فرات الكوفة، فقلت له: إنّ مسجد الكوفة قديم؟ فقال: نعم وهو مصلّى الأنبياء عليهم السلام، ولقد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حين أُسري به إلى السماء فقال له جبرئيل عليه السلام: يا محمّد هذا مسجد أبيك آدم عليه السلام ومصلّى الانبياء عليهم السلام فانزل فصلّ فيه، فنزل فصلّى فيه، ثم إنّ جبرئيل عرج به إلى السماء (الكافي ج٨:ص٢٧٩ ح٤٢١).

فالرواية التي نقلها البخاري بصورة مختصرة قد وردت في كتب الشيعة عن أئمّة أهل

➔

عجيب بهتانه؛ لأنّ معنى يعكفون عليها: يقيمون [1]. وسيرة الشيعة بالنسبة

➔

البيت عليهم السلام بصورة مفصّلة، وفيها بيان لجوانب مختلفة من تاريخ الأنبياء وقومهم، وأنّ القبائل الجاهليّة كيف اتّخذت الأصنام الخمسة، وكيف انتخبت كلّ قبيلة واحدة من الأصنام، وكيف مثّلوا التماثيل. فالرواية التي رواها ابن عباس هي نفس الرواية التي رواها علماء الإسلام عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولعلّ ابن عباس أيضاً أخذها عن أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه أحد تلاميذ الامام عليه السلام. ولكنّ السؤال الذي يبقى هنا أنّه ما هو الارتباط بين هذه القضية وزيارة القبور؟! فإنّ زيارة القبور أمر مشروع وردت مشروعيّتها.

(١) قال ابن منظور: عكف على الشيء أقبل عليه مواظباً لا يصرف عنه وجهه، وقيل: أقام، ومنه وقوله تعالى: ﴿**يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ**﴾ أي يقيمون، ومنه قوله: ﴿**ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**﴾ أي مقيماً.. (لسان العرب ج٩: ص٢٥٥ مادة «عكف») ومثله ذكر الزبيدي انظر مادة عكف في تاج العروس ج١٢: ص٣٩٦، وغيره.

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ**...﴾ (سورة الأعراف: ١٣٨) أي قطعنا ببني اسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها والعبر التي عاينوها على يدي نبيّ الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبيّنات حتّى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحقّ أن يذكّر معها البهائم، إذ مرّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون الله: اجعل لنا يا موسى إلهاً... (تفسير الطبري ج٩: ص٦٠).

وقال السمرقندي في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿**يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ**﴾ يعني يعبدون الأصنام ويقومون على عبادتها... (تفسير السمرقندي ج١: ص٥١٠).

وقال الثعلبي: قال الله عزوجل: ﴿**فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ**﴾ أي يقيمون.

قال الفرزدق يصف القدور:

➔

إلى قبور أئمتهم وغيرها حين التشرّف بزيارتها معلومة، فإنّهم إمّا يقفون مقابلها وإمّا يجلسون ويسلّمون على من دُفن فيها، ثم يُقبلون ضريحه المقدس ثمّ يُصلّون ركعتي الزيارة.(١)

➔

يَرى حولهُنّ المُعْتَفِين كأنَّهم   على صنمٍ في الجاهليّةِ عُكَّف

وقال الطرمّاح:

فباتت بنات الليل حولي عُكّفاً   عكوف البواكي بينهنّ صريع

(انظر تفسير الثعلبي ج٢: ص٨١).

وقال الواحدي في تفسير الآية: ﴿فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ أي يعبدون مقيمين عليها ... (تفسير الواحدي ج١: ص٤١١).

وقال ابن الجوزي في تفسير الآية: قال الزجاج: ومعنى قوله يعكفون على أصنام لهم.. أي يواظبون عليها يلازمونها، يقال لكلّ من لزم شيئاً وواظب عليه، عكف يعكف ... (زاد المسير ج٣: ص١٧٢).

وقال السمعاني في تفسير الآية: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ أي يلازمون عبادة تلك الأصنام. وهم قوم من العمالقة رآهم بنو إسرائيل عاكفين على أصنام لهم (تفسير السمعاني ج٢: ص٢١٠).

فمعنى العكوف الإقامة والملازمة والمواظبة على عمل، وهذه النسبة التي نسبها ابن تيميّة إلى الشيعة الإمامية بهتان وافتراء واضح.

(١) لا شكّ أنّ زيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام سُنّة ثابتة بالنصوص والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام وقبل ذكر بعض هذه الروايات لا بأس بالإشارة إلى أنّ سيرة المسلمين وجريهم على زيارة قبور أولياء الله والصالحين، من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأوائل والتابعين لهم بإحسان. فإنّ هذه السيرة القطعيّة كانت جارية على زيارة قبور

←

➔

ضمنت في كنفها نبياً مرسلاً أو إماماً طاهراً أو وليّاً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين وفي مقدَّمها قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. فكانوا يتبرّكون ويستشفعون بقبر كلّ نبيّ من أنبياء الله عليهم صلوات الله كما يتبرّكون ويستشفعون بهم في حياتهم، وكذلك بالنسبة إلى قبور الصالحين والشهداء من المؤمنين. وقد سجّل التاريخ هذه السيرة القطعية كما أنّ الروايات تدلّ على صحّتها وسيتبيّن ذلك للقارئ الكريم من خلال الأدلّة التي سنشير إليها في المباحث الآتية.

وهذه السيرة كانت جارية حتّى ولد ابن تيميّة الحرّاني، فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي ولا يبالي، فأنكر تلكم السنّة الجارية سنة الله التي لا تبديل لها، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، وخالف هاتيك السيرة المتّبعة لدى المسلمين خلفاً عن سلف، وسيتضح للقارئ الكريم أنّ مخالفته كانت لسيرة الصحابة والتابعين من مدرسة الخلفاء وأهل السنة والجماعة، فإنّ الصحابة والتابعين قد جرت سيرتهم على زيارة قبور الصالحين والتبرّك بها والصلاة عندها وسنذكر الروايات الواردة في هذا المجال.

وأمّا الأحاديث والروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في استحباب زيارة قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام، فمنها: ما رواه الكليني رحمه الله بسنده عن الحسن بن علي الوشّاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم. فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة (الكافي ج٤: ص٥٦٧).

ومنها ما رواه عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله (علل الشرائع ج٢: ص٤٦٠).

والى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام وقد جمعها علماء الاسلام في مصنّفات خاصّة منهم الشيخ المفيد أعلى الله مقامه الشريف في كتابه «المزار» ومنهم ابن قولويه رضوان الله تعالى عليه في كتابه «كامل الزيارات» ومنهم الشيخ عبّاس القمي في كتابه «مفاتيح الجنان» وغيرهم، فللباحث أن يراجع هذه الكتب وغيرها ويبحث فيها ويرى هل يوجد

🡐

فمن أحبّ بعد ذلك القيام هناك إمّا صلاة[1] وإمّا لذكر، وإمّا لدعوة

➔

فيها الإفتراءات التي نسبها ابن تيمية إلى الشيعة؟!!!

وهذا الشهيد الاول وهو محمد بن مكّي العاملي الجزّيني من أعلام القرن الثامن من الهجرة يقول: فإنّ زيارة أضرحة المؤمنين والاستئناس بأرواحهم، والسلام عليهم والتكلّم معهم، والاستغفار لهم سنّة نبويّة، وأمّا الحضور في المشاهد المقدّسة وفي بيوت دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه صلوات الله عليهم التي تتعلق بها أطايب النفوس الملكوتية وتختلف إليها الملائكة الرحمانيّة، فهو بعد زور بيت الله الحرام عظيم وتعظيم لشعائر الله، وإنّه المودة في القربى التي جعلها الله أجر الرسالة، ومن مظاهر الولاية التي أتمّ الله بها نعمة الهداية... (كتاب المزار للشهيد الأول: ص ١).

وإلى غير ذلك من كلمات علماء الشيعة في هذا المجال، فإنّهم يعتبرون زيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام من تعظيم الشعائر الإسلامية المشمول لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (سورة الحج: ٣٢).

(١) لاشكّ أنّ الصلاة في المشاهد المشرّفة والمساجد التي فيها أضرحة المعصومين عليهم السلام أو الأولياء والصالحين مشروعة ومندوب إليها كما جاء في الروايات التي سنذكرها إن شاء الله تعالى.

والمهم في المقام أنّه لا يمكن القول ببطلان الصلاة في هذه البقاع المقدّسة؛ لأنّ الصلاة فيها ليست لصاحب القبر أو الضريح كي تكون باطلة، فإنّ الصلاة لو كانت لغير الله فهي شرك ومحرمة وباطلة قطعاً وهذا واضح ظاهر. وأمّا الصلاة في المساجد التي يوجد فيها أضرحة المعصومين كالصلاة في المسجد النبوي الشريف فإنّها مشروعة ومندوب إليها فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلاة في مسجدي أفضل من ألفي صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص١٦) وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما

➔

➔

سواه (صحيح البخاري ج٢: ص٥٧) وقال ابن حجر في شرح الحديث: قال النووي: ينبغي أن يحرص المصلّي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمانه صلى الله عليه وسلم... (ثم قال) وقد أخرجه الإمام أحمد وصحّحه ابن حبان من طريق عطاء عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام (فتح الباري ج٣: ص٥٤).

أقول: إنّ من المتسالم عليه بين المسلمين أفضليّة الصلاة في الروضة النبويّة من دون أي نكير، مع أنّ المسجد النبويّ يضمّ قبر النبي صلّى الله عليه وآله، وقبر أبي بكر وعمر وقبر الشيخ أبي الشجاع الإصفهاني صاحب المتن المشهور في فقه الشافعية، حيث دفن بالجوار النبويّ عند باب جبرئيل في القرن السادس من الهجرة. فهل هناك من يتجرّأ ويقول إنّ صلوات المسلمين في المسجد النبويّ باطلة؟!!!

وقد أخرج الهيثمي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ليأتينّ على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها إلى الأرياف يلتمسون الرخاء، فيجدون رخاء ثمّ يأتون فيتحمّلون بأهليهم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (مجمع الزوائد ج٣: ص٣٠٠).

قال العيني في شرح هذا الحديث ما هذا نصّ عبارته: قوله: لو كانوا يعلمون، أي بفضل المدينة من الصلاة في المسجد النبوي وثواب الإقامة فيها، لأنّها حرم الرسول ومهبط الوحي ومنزل البركات... (عمدة القاري في شرح البخاري ج١٠: ص ٢٣٩) فاستحباب الصلاة في المسجد النبوي أمر مسلّم عند المسلمين للروايات الواردة في هذا المجال وفتاوى علماء الإسلام فيه.

وأمّا عند الشيعة الإمامية فإنّ الصلاة في المسجد النبويّ الشريف تعدل عشرة آلاف صلاة في ما سواه، وعلى الأخصّ بين القبر والمنبر، للحديث النبويّ الشريف: بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة (كنز العمال ج١٦: ص٦٩٨).

وكذلك الصلاة عند قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام، فإنّها أفضل من الصلاة فيما سواه، فقد روي أنّ

➔

وتوسّل بصاحب القبر إلى الله، وامّا لغير ذلك من القربات والطاعات، أقام. وإن لم يرد شيئاً انصرف مودّعاً ومضى لسبيله[1]. فان قصد السنّي بما ذكره

➔

الصلاة عند قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعدل بمائتي ألف صلاة (انظر كتاب بحر المعارف لعبدالصمد الهمداني: ص٤٨٧).

وعن المفضّل بن عمر قال: قال الإمام الصادق عليه السلام (في حديث طويل) في زيارة الإمام الحسين عليه السلام... ثمّ تمضي يا مفضّل إلى صلاتك ولك بكلّ ركعة تركعها عنده كثواب من حجّ ألف حجّة واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنّما وقف في سبيل الله ألف مرّة مع نبيّ مرسل... (وسائل الشيعة ج١٤: ص٥١٧).

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام وهي كثيرة جدّاً. وقد أفتى علماء الشيعة بالروايات الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام أفضليّة الصلاة في مشاهدهم بعد مشهد رسول الله صلى الله عليه وآله قال العلامة كاشف الغطاء: المقام الثاني في مستحبات الأمكنة وهي أقسام، الأوّل الروضات المشرّفة للنبيّ صلى الله عليه وآله أو الزهراء عليها السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام، فإنّ الصلاة فيها على الظاهر أفضل من الصلاة في المساجد. وتختلف أفرادها باختلاف فضيلة مشرّفها، فروضة النبيّ صلى الله عليه وآله مقدّمة على الجميع، ثم روضة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ثمّ روضتا الحسنين عليهما السلام ثم روضات باقي الأئمة عليهم السلام ثم روضة الزهراء عليها السلام. وتختلف أجزائها وتوابعها في القرب والبعد، فكلّما ازداد قرباً من القبر الشريف ازداد فضلاً والقريب من التوابع أفضل من البعيد، فالرواق أفضل من الطارمة، وهي أفضل من الصحن، وهو أفضل من باقي البلد، وهي أفضل من باقي الحرم، وتختلف فضيلة القرب والبعد. وروي أنّ الصلاة عند قبر عليّ عليه السلام بمأئتي ألف صلاة. ويستحب الصلاة في بيوتهم إحياء ولو وضعت فيها المقابر أو الحديد.. (كشف الغطاء ج١: ص٢١٠). وإلى غير ذلك من أقوال علماء الشيعة في هذا المجال.

(١) لا شكّ أنّ زيارة قبور الأنبياء والأولياء والشهداء والعظماء والعلماء والمصلحين والدعاء

➔

➔

عندها والتوسّل بهم إلى الله والاستشفاع بهم وجعلهم وسيلة للقرب إلى الله، عمل محبوب شرعاً وفضيلة خاصّة لا توجد في غيرها؛ لأنّ حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً، لا سيّما إذا كان الميّت وليّاً من أولياء الله، أو نبيّاً من أنبياء الله، أو معصوماً من المعصومين عليهم صلاة الله فزيارة قبورهم و الاستشفاع بهم إلى الله تعالى من أفضل القربات قال ابن العربيّ: حرمة النبيّ ميّتاً كحرمته حيّاً وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ... (أحكام القرآن لابن العربي ج٤: ص١٤٦).

ولذلك لمّا سأل المنصور العباسيّ مالك بن أنس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال مالك: لِمَ تصرف عنه وسيلتك ووسيلة أبيك إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله (انظر وفاء الوفاء للسمهودي ج٤: ص١٣٧٦).

فالشيعة كلّهم متّفقون على أنّ الله تعالى هو الذي يستجيب الدعاء، وهو الذي يقضي حوائج الناس وكلّ شيء بيده، إلّا أنّ الله تعالى جعل الدنيا دار وسائل وأسباب، وأبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها، فالشيعة تعتقد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين والأنبياء والأولياء هم وسيلة إلى الله سبحانه وهم أسباب الفيض الإلهي فأولياء الله إنّما يقضون الحوائج للناس بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ (سورة الانبياء: ٢٦ و٢٧).

فرجحان المكان للدعاء والتوسّل والصلاة ونحو ذلك إنّما هو لشرف المكان والبقاع المشرّفة التي تضمّنت قبور الأنبياء والأولياء والصالحين، فإنّ شرف المكان بالمكين الموجب لتشرّف ذلك.

وعليه فإنّ محلّ دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أرض كبقية الأراضي الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (صحيح البخاري ج١: ص٨٦ كتاب التيمّم باب قول الله عزّ وجلّ فإنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فتيمّموا...) فإنّ إطلاق هذا الحديث يشمل جميع الأراضي، إلّا أنّ البقاع والأراضي التي تكون فيها المشاهد المشرّفة وهي التي يدفن فيها المعصومون

🡐

←

والأولياء والصالحون فهي أولى من غيرها. وليس معنى الأولويّة أنّ العبادة هناك تكون لغير الله كما هو واضح ظاهر، إذ ليس هناك اعتقاد بألوهية النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، بل إنّ الشيعة يجعلون النبيّ والأئمّة الطاهرين عليهم صلوات الله وسيلة للتقرّب إلى الله عزوجل ليشفعوا لهم عند الله في قضاء حوائجهم، ويتوسّلون بهم إلى الله ليكشف عنهم الهموم والغموم. ومستندهم في هذا الاعتقاد هو القرآن الكريم اذ يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (سورة المائدة: ٣٥) فانّ الخطاب في الآية الكريمة متوجّهة إلى المؤمنين حقاً. ويتضمّن هذا الخطاب ثلاث تكاليف، الأوّل: اتباع التقوى والثاني: اختيار الوسيلة للتقرب إلى الله والثالث: الجهاد في سبيل الله. ونتيجة هذه الأمور الثلاثة البشارة إلى الفلاح. إذن لابدّ لنا أن نعرف ما هي الوسيلة إلى الله؟ قال ابن الأثير: الوسيلة هي في الأصل ما يتوصّل إلى الشيء ويتقرّب به، وجمعها وسائل يقال: وسل اليه وسيلة، توسّل (النهاية في غريب الحديث ج٥: ص١٨٥). وقال ابن منظور: الوسيلة القربة، و وسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرّب به إليه (لسان العرب ج١١: ص٧٢٤) وقال ابن حجر العسقلاني: قوله: الوسيلة، هي ما يتقرّب به إلى الكبير، يقال: توسّلت أي تقرّبت ... (فتح الباري ج٢: ص٧٨) إذن فمعنى قوله تعالى ﴿**وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ...**﴾ أي تقرّبوا اليه بوسيلة من الوسائل.

ثمّ يقع البحث في أنّه ما هي الوسيلة الى الله، أو ما هي الوسائل المقرّبة إلى الله؟ إنّ الوسائل التي قام الدليل على كونها مقربّة تقرّب إلى الله هي ما يلي من الامور:

١ـ أسماء الله الحسنى. قال الله تعالى: ﴿**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ (سورة الأعراف: ١٨٠).

٢ـ الصلاة والصيام قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (سورة البقرة: ١٥٣).

→

➔

٣ـ استغفار الأنبياء والأولياء. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٤) فإنّ استغفار الرسول أي أن يجعل وساطة بين الله والمذنبين، كما أنّ إخوة يوسف طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ويستشفع لهم عند الله والقرآن الكريم أيّد هذا العمل بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (سورة يوسف: ٩٧) والله سبحانه وتعالى لم يردع عن ذلك، كما أنّ نبيّ الله يعقوب عليه السلام لم يقل لأبنائه إنّ قولكم هذا شرك بالله العظيم، بل أيّدهم وقال كما يحكي لنا القرآن الكريم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة يوسف: ٩٨).

ثم إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا عند القبور وعلّم أصحابه الدعاء عند القبور فعن سليمان بن بريد عن ابيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر فيقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون، أنتم فرط ونحن لكم تبع، فنسأل الله لنا ولكم العافية (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص٣٥٩) ورواه مسلم في صحيحه ج٣: ص٦٤ وابن ماجة في سننه ج١: ص٤٩٤ وسنن النسائي ج٤: ص٩٤ وسنن البيهقي ج٤: ص٧٩ وغيرهم.

والصحابة كانوا يفعلون ذلك. فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي البقيع فتستغفري لهم، قال: قلت: كيف أقول: قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين، يرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون (صحيح مسلم ج٢: ص٣٦٤ كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور) وإلى غير ذلك من الروايات.

فإذا جاز الدعاء عند القبور والتوسّل بأرواح المعصومين والصالحين عليهم السلام فما هو المانع من التوسّل والدعاء والاستشفاع بالأئمّة الطاهرين عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟ فإنّ الأدلّة والروايات الواردة في المصادر الإسلامية وحتّى كتب أهل السنّة والجماعة تدلّ بوضوح ناصح على أنّ التوسّل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان أمراً شائعاً

🡐

←

عند الصحابة والتابعين، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمرهم بذلك. فقد أخرج السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة: ٣٧) عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أذنب آدم الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحقّ محمّد إلّا غفرت لي، فأوحى الله إليه ومن محمّد؟ فقال: تبارك اسمك لمّا خلقت رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فقلت: إنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله أنّه آخر النبيّين من ذريّتك، لو لا محمّد لما خلقتك (الدر المنثور ج١: ص٥٩) ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٦١٥ والآلوسي في تفسيره ج١: ص٢١٧ وغيرهم. وهذا الحديث ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية الكريمة في كتب الشيعة أيضاً، وفيه أنّ آدم قال: اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلى الله عليه وآله ارحمني وأنت أرحم الراحمين (الكافي ج٨: ص٣٠٤). ورواه الصدوق في كتابه معاني الأخبار: ص١٢٥. وغيرهم.

والمهم أنّ التوسل والدعاء والاستشفاع بالذين لهم جاه عظيم عند الله عزّوجلّ أمر مشروع ومستحب، وقد اتفقت كلمات المسلمين على جوازه، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فيدخل فيها ويدعو، فقال: ألا أحدّثك بحديث سمعته من أبي عن جدّي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم (المصنّف لابن أبي شيبة ج٢: ص٢٦٨ ح١/٢١١).

وأخرج أيضاً عن أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان عن سهيل بن حسين بن حسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تتّخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلّوا عليّ حيثما كنتم فإنّ صلاتكم تبلغني (المصنّف لابن أبي شيبة ج٢: ص٢٦٩) ورواه النووي ثم قال: رواه أبوداود بإسناد صحيح (رياض الصالحين: ص٥٥٦) فقوله صلى الله عليه وآله: لا تجعلوا قبري عيداً أي لاتكون زيارتكم لقبري فقط في أيام خاصة وفي بعض الأوقات كالعيد الذي يعود في

←

من العكوف ما نبّهنا عليه فأيّ محذور فيه شرعاً؟ وما الضرر الذي يحصل من زيارة قبور عباد الله الصالحين وعبادة الله عندها والتوسل إليه بحرمة صاحب القبر عنده في مغفرة الذنوب وستر العيوب وتنجيز الحاجات والتوفيق للطاعات[1].

←

السنة مرّة واحدة، فإنّ هذه العبارة دالّة على الحثّ على كثرة زيارة قبر النبيﷺ، وأن لا تهمل روضته المقدّسة حتّى لا تزار إلّا في بعض الأوقات.

ويؤيّد هذا المعنى قولهﷺ ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً ... اي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتّى تجعلوها كالقبور التي لا يصلّى فيها بل ائتوا إلى حرمي وصلّوا علي حيثما كنتم فإنّ صلاتكم تبلغني وقد قال الحافظ المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحثّ على كثرة زيارة قبره وأن لا يهمل حتّى يكون كالعيد الذي يؤتى في العام مرتين قال: ويؤيده قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، أي لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلى فيها» (انظر فتح القدير ج٥: ص٤٥٧).

وعلى كل تقدير فإنّ الدعاء والزيارة والتوسّل والاستشفاع بالنبيّ وأهل بيتهعليهم السلام أمر مستحبّ، ويبلغ النبيّﷺ ذلك، فهو رحمة للعالمين حيّاً وميّتاً وأهل بيتهعليهم السلام حبل الله في الأرض. فالشيعة يتمسّكون بحبل الله ويجعلونهم وسيلة إلى التقرّب إلى الله عزّوجلّ، فلاحظ.

(١) فإنّ زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين، والدعاء عند قبورهم والتوسّل بجاههم عند الله والاستشفاع بهم إلى الله أمر مستحبّ شرعاً، وجرت عليها سيرة المسلمين من الصدر الأوّل الى اليوم، وحتّى الحنابلة الذي ينتمي اليهم ابن تيميّة فقد ثبت عن إمامهم أحمد بن حنبل و كبار متقدّميهم ومتأخّريهم أنّهم كانوا يزورون القبور ويتوسّلون إلى الله بأصحاب تلك القبور، ويجعلون تلك القبور مزاراً يصلّون عندها، ويمسحون على تلك القبور مسح التبرّك بها. ففي الوفيات لابن خلّكان أنّه: توفّي أحمد بن حنبل صحوة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل، ودفن بمقبرة باب حرب. وباب حرب

→

➔

منسوب إلى حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبي جعفر المنصور، وهو محلّة ببغداد (انظر وفيات الأعيان ج١: ص ٦٤).

فيتعجّب الإنسان عندما يقرأ عن الحنابلة في القديم وحتّى اليوم فيجدهم يعترفون بجواز زيارة القبور، وقد جرت سيرتهم على زيارة قبر إمامهم احمد بن حنبل فيأتون إلى قبره ويزورونه ويتوسّلون به إلى الله ولا تجد وهابيّاً يقول لماذا تزورون قبر أحمد بن حنبل؟ ولا هناك من أتباع ابن تيمية وأتباع محمد بن عبد الوهاب من يردعهم عن الزيارة ويقول لهم إنّ عملكم هذا شرك بالله، وليس هناك اصرار من الوهابية على تخريب قبر أحمد بن حنبل أليس هذا من العجيب؟!

وقد ورد في كتاب مناقب أحمد بن حنبل عن أبي بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربيّ قال: قد جاء في بعض السنين مطر كثير جدّاً قبل دخول رمضان، فرأيت قبره قد التصق بالأرض حتّى بقي بينه وبين الأرض مقدار ساف أو سافين، فقلت: إنّما تمّ هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث، فسمعت من القبر وهو يقول: لا بل هذا من هيبة الحقّ عزّ وجلّ؛ لأنّه قد زارني فسألته عن سرّ زيارته إياي في كلّ عام فقال: يا أحمد لأنّك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحاريب. فأقبلت على لحده أُقبّله ثمّ قلت: يا سيدي ما السرّ في أنّه لا يقبّل قبر إلّا قبرك؟ فقال لي: يا بنيّ ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله ﷺ، لأنّ معي شعرات من شعره. ألا ومن يحبّني يزورني في شهر رمضان. قال ذلك مرّتين (مناقب أحمد بن حنبل لابن الجوزي: ص ٤٥٤).

أقول: إنّ هذه القصة قد بينّت بوضوح الحثّ على زيارة قبر أحمد بن حنبل مع الاعتراف بأنّ أحمد ليس صاحب كرامة، وإنّما الكرامة تكون لشعرات لرسول الله ﷺ موجودة في قبره، ومع ذلك صار ذلك سبباً للترغيب بزيارته ولا أدري إذا كانت لشعرة رسول الله ﷺ هذه الكرامة العظيمة فما هو الأثر لجسده الطاهر الزكيّ وما هو الأثر لأهل بيته الذين قال رسول الله ﷺ لحمهم من لحمي ودمهم من دمي، بل إن مولانا أمير المؤمنين نفس رسول الله ﷺ بنصّ آية المباهلة. ألا يتعجّب الإنسان بأنّ زيارة أحمد بن حنبل

🡐

➔

تكون أمراً محبوباً عند هؤلاء ولكن يأمرون بتخريب قبور أهل البيت عليهم السلام؟!!

فالشيعة الإماميّة يزورون قبر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وقبور الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وقبور أولادهم الصالحين، وجميع الأنبياء والأولياء والصدّيقين، فيتوسّلون بهم إلى الله ويستشفعون بهم إلى الله ويتقربون بهم إلى الله، لأنّ لهم عند الله مقاماً عظيماً وشأناً كبيراً وشفاعة مقبولة، فيجعلونهم وسيلة إلى الله سبحانه لأنّ الله تعالى أمر المؤمنين باتخاذ الوسيلة إليه فقال في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ (سورة المائدة: ٣٥) وليس هناك وسيلة أقرب إلى الله من نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. وستتبيّن هذه الحقيقة للقارئ الكريم من خلال الأدلّة المتقنة في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

والمهمّ أنّ فعل الشيعة من زيارة قبور المعصومين والصالحين أمر مستحبّ وممّا ندب إليه في الشريعة المقدّسة، لأنّ في زيارة القبور مضافاً إلى جهة التقرب إلى الله واتخاذهم وسيلة إليه، فإنّ فيها آثاراً تربوية ومعنوية كما جاء في الحديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله زوروا القبور فإنّها تذكّر الموت (صحيح مسلم ج٣: ص٦٥) وفي بعض الروايات قوله صلى الله عليه وآله: فزوروا القبور فإنّها تذكّركم الموت (سنن ابن ماجة ج١: ص٥٠١) وفي بعضها قوله صلى الله عليه وآله: فزوروا القبور فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة (المستدرك على الصحيحين للحاكم ج١: ص٣٧٥). وفي بعضها قوله صلى الله عليه وآله: فزوروا القبور فإنّها ترقّ القلب وتدمع العين وتذكّر الآخرة (كنز العمال ج١٥: ص٦٤٦ ح٤٢٥٥٤) فهذه الآثار التربوية وغيرها ثابتة لزيارة القبور.

قال القرطبي في تفسيره: قال الصلحاء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هادم اللذّات ومفرّق الجماعات وميتّم البنين والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دوائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه. فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه

➔

حيث قال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(١)] فهم يدعونه في محل

➔

ران قلبه واستحكمت فيه دواعي الذنب؛ فإنّ مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأوّل؛ لأنّ ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير وقائم له مقام التخويف والتحذير، ... وأما زيارة القبور فوجودها أسرع والانتفاع بها أليق وأجدر، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدّب بآدابها ويحضر قلبه في إتيانها ويقصد بزيارته وجه الله، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميّت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء .. (تفسير القرطبي ج٢٠: ص١٧١ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

(١) سورة غافر:٦٠ هذه الآية المباركة تبيّن لنا حقيقة هامة وهي أنّ أحد وسائل الارتباط بين العباد والمعبود سبحانه هو الدعاء؛ لأنّ الدعاء في نفسه نوع من العبادة ولذلك قال سبحانه في ذيل الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فإنّ هذا تهديد قويّ للذين يستنكفون عن الدعاء، وقد عبّر تعالى عن الدعاء بالعبادة، كما أشار تعالى إلى هذه الحقيقة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(سورة البقرة: ١٦٨) فالدعاء والتقرّب إلى الله روح كلّ عبادة؛ لأنّ العبادة والدعاء مفتاح كلّ رحمة ونجاح ولا شكّ أنّ الله تبارك وتعالى قريب، فالإنسان بالدعاء يزداد ارتباطاً مع الباري تعالى، كما أنّ كلّ عبادة لها هذا الأثر التربويّ، فالإنسان ينال بالدعاء لياقة حصول القرب من الله تبارك وتعالى. بل الدعاء فيه أثر العبوديّة أكثر من الصلاة كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن رجلين دخلا المسجد جميعاً وكان أحدهما أكثر الصلاة والآخر دعاءً فسأل الراوي من الإمام عليه السلام أيّهما أفضل؟ والإمام عليه السلام في ابتداء الأمر قال: كلّ حسن، لكن السائل عاد وسأل الإمام عليه السلام قد علمت ولكن أيّهما أفضل؟ فأجاب الإمام عليه السلام: أكثرهما دعاءً، أما تسمع قول الله تعالى:

➔

شريف ويتوسّلون بحرمة من دفن فيه لديه، فأيّ ضرر ومخالفة للشريعة في

➔

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ثم أضاف بعد ذلك هي العبادة الكبرى وهي والله أفضل (تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٢: ص١٠٤).

وفي حديث آخر سأل سدير من الامام الباقر عليه السلام وقال: أيّ العبادة أفضل؟ فقال عليه السلام: ما من شيء أفضل عند الله عزوجل من أن يسئل ويطلب ممّا عنده، وما أحد أبغض إلى الله عزّوجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده (الكافي ج٢: ص٤٦٦)

وفي حديث آخر عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال لي: يا ميسر ادع ولا تقل: إنّ الأمرقد فرغ منه، إنّ عند الله عزّ وجلّ منزلة لا تنال إلّا بمسألة ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تعط، يا ميسر إنّه ليس من باب يقرع إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه (الكافي ج٢: ص٤٦٦).

وفي حديث آخر عن حماد بن عيسى قال: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: ادع ولا تقل: قد فرغ من الأمر، فإنّ الدعاء هو العبادة إنّ الله عزوجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (الكافي ج٢: ص٤٦٧).

وفي حديث آخر قال الإمام الصادق عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أحبّ الأعمال إلى الله عزوجل في الأرض الدعاء، وأفضل العبادة العفاف، قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاءً (الكافي ج٢: ص٤٦٧) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام والمستفاد منها أنّ الدعاء أفضل العبادات، فالشيعة الإماميّة يتقرّبون إلى الله بالدعاء عند قبور المعصومين، ويستشفعون بهم وبالعباد الصالحين إلى الله تعالى ويجعلونهم وسيلة للقرب إلى الله عزّ وجلّ، لأنّ الله أمرهم بأن يتّخذوا اليه وسيلة، فلاحظ.

ذلك[١].

---

(١) فإنّ الدعاء وطلب الحاجة من الأنبياء والمرسلين والأئمّة الطاهرين وعباد الله الصالحين والاستغاثة والاستشفاء بآثارهم وطلب الشفاعة منهم والاستعانة بهم في حياتهم وبعد وفاتهم ممّا دلّت على جوازه الأدّلة القطعية من الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة وروايات أهل البيت عليهم السلام وسيرة السلف من الصحابة والتابعين وأقوال العلماء والمجتهدين، وقد دوّنت في ذلك الكتب العديدة والرسائل. ولا يتسع المجال هنا لذكرها، نعم يمكن الإشارة إلى نماذج مختصرة من تلك الأدّلة والأقوال على سبيل المثال، ففي المعجم الكبير للطبراني عن عثمان بن حنيف أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلّ ركعتين، ثم قال: اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّنا محمّد نبيّ الرحمة، يا محمد إنّي أتوجّه بك إلى ربّك فيقضي حاجتي، وتذكر حاجتك (المعجم الكبير للطبراني ج٩: ص٣١). وذكر الطبراني الحديث في معجمه الصغير وقال: الحديث صحيح (المعجم الصغير ج١: ص١٨٣) وأيضاً صحّح هذا الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢: ص٢٧٩ وغيره.

وقال ابن عابدين: قال السُبكي: يحسن التوسل بالنبي إلى ربّه، ولم ينكره أحد من السلف ولا الخلف إلّا ابن تيمية، فابتدع ما لم يقله عالم قبله (انظر مغنى المحتاج ج١: ص١٨٤).

وروى السمهودي في وفاء الوفاء بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قدم أعرابيّ بعد ما دفنّا رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وآله وحثا من تراب القبر على رأسه وقال: يا رسول الله، قلتَ فسمعنا قولك، ووعيتَ عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر قد غفر لك (وفاء الوفاء ج٤: ص١٣٩٩) ورواه القسطلاني في المواهب اللدنّية ج٤: ص٥٨٣.

←

➔

وروى أيضاً في إرشاد الساري أنّ الزهراء البتول كانت تزور قبر أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله من حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما رمس رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة فوقفت على قبره، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعته على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبّت عليّ مصائب لـو أنّها ... صبّت على الأيام عدن لياليا

ارشاد الساري للقسطلاني ج٣: ص٣٥٢). وإلى غير ذلك من الروايات فالأدلّة كثيرة في هذا المجال ومقبولة عند جميع المسلمين، فلاحظ.

وهناك أدلّة وأقوال أخرى من أهل السنّة والجماعة ذكرها علمائهم في كتبهم، فللباحث أن يراجع: مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن لأبي الفرج ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧هـ وكتابه الآخر والموسوم بمناقب الإمام أحمد بن حنبل، فقد ذكر فيه أخباراً عديدة في زيارة قبر أحمد بن حنبل يفيد مجموعها أنّها عادة الحنابلة، وأنّها لديهم من القربات المهمّة ! وغيره. ثم إنّ هناك روايات كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وفيها دلالة صريحة على الجواز والاستحباب منها: ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه التهذيب بسنده عن أبي عامر الساجي واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله ما لمن زار قبر أمير المؤمنين وعَمَّر تربته؟ قال: يا أبا عامر حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلنّ بأرض العراق وتدفن بها، فقلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبالحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة وعرصة من عرصاتها. وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل المذلّة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ومودّة منهم لرسوله، أولئك ـ يا علي ـ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنّة... (تهذيب الأحكام ج٦: ص٢٢ ح٧).

ومنها ما رواه أيضاً بسنده عن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق قال: بينما الحسن بن

🡐

ولو قصد بالعكوف معنى غير ما بيّناه مخالفاً للشريعة فهو بعيد عمّا يفعله الشيعة، وليس لهم دخل به.

فلم رماهم السنّيّ بما هم بريئون منه وليس هو من شأنهم وفعلهم؟ بل

علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بنيّ، من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة (تهذيب الأحكام ج٦: ص٢٠).

ومنها ما رواه أيضاً بسنده عن علي بن شعيب عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينما الحسين عليه السلام قاعد في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ رفع رأسه إليه فقال: يا أبه، قال: لبّيك يا بنيّ، قال: ما لمن أتاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلّا زيارتك؟ قال: يا بنيّ من أتاني زائراً لا يريد إلّا زيارتي فله الجنّة ومن أتى أباك بعد وفاته زائراً لا يريد إلّا زيارته فله الجنّة ومن أتى أخاك بعد وفاته زائراً لا يريد إلا زيارته فله الجنّة ومن أتاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلّا زيارتك فله الجنّة (تهذيب الأحكام ج٦: ص٢١).

ومنها ما رواه أيضاً بسنده عن محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ له بالإمامة من الله (تهذيب الأحكام ج٦: ص٤٢).

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن الحسن بن علي الوشّاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائهم وشيعتهم، وانّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة (تهذيب الأحكام ج٦: ص٧٨).

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام فإنّ زيارة قبورهم عليهم السلام والتوسّل بهم والاستغاثة بهم باعتقاد أنّهم عباد مكرمون عند الله ومقبولو الشفاعة عند الله أمر دلّت عليه الروايات الكثيرة البالغة حدّ التواتر، ومن الأمور الضروريّة عند المسلمين، فلاحظ.

سيرتهم حسبما عرفت فعل ما هو عبادة وطاعة[١]، والخبر الذي نقله عن

(١) قال الخليل: عكف: هو الإقبال على الشيء لا ينصرف عنه وجهك... (العين ج ١: ص٢٠٦) وقال الجوهري: عكفه أي حبسه ووقفه، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا**﴾ (سورة الفتح: ٢٥) ويقال: ما عكف على شيء، أي أقبل عليه مواظباً... (الصحاح ج ٤: ص١٤٠٦)

أقول: إذا كان مقصود ابن تيمية من العكوف هو المعنى اللغويّ فإنّ هذا يوافق ما يقصد الشيعة في زيارة قبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام، لأنّ الشيعة يعتقدون بأنّ الأئمة الأطهار بعد شهادتهم يرون زوّارهم ويسمعون كلامهم، وهذا أمر ثابت بالنصوص القطعيّة من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ (سورة ال عمران: ١٦٩)، وهذه الآية الكريمة صريحة في أنّ الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون، والمقصود بالحياة في هذه الآية الكريمة هي الحياة البرزخيّة التي بينتها الروايات المعتبرة، كما وردت في تفسير الآية، وذكرها علماء أهل السنة. وإجمالها أنّ الشهيد وإن قتل وفارق روحه جسده لكن هو حاضر وشاهد، وينفع بإذن ربّه فيشفع لمن استشفع به وتوسّل به، فهو شفيع الناس بإذن الله تبارك وتعالى. وسيتبين تفصيل ذلك للقارئ الكريم في محلّه. وعلى كلّ حال فإن كان مقصود ابن تيمية من أنّ الشيعة يعكفون على قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام هو رعاية الآداب والزيارة كالذي يحضر عنده ويتوسل به ويستشفع به إلى الله فهذا كلام صحيح ومطابق للأدلة الشريعة كما هو واضح ظاهر.

وأمّا إذا كان مقصوده من العكوف العبادة كما استعمل ذلك في عبادة الأصنام فإنّه بهتان عظيم، ويكفي لكلّ واحد أن يراجع الكتب التي دوّنت لتجميع الزيارات ككتاب المزار للشيخ المفيد أعلى الله مقامه الشريف، وكتاب المزار للشهيد الأول رحمه الله، وكتاب كامل الزيارات لابن قولويه رحمه الله، وغيرها من الكتب فإنّ فيها الروايات الواردة في هذا المجال، ثمّ ليأت الباحث إلى قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام وينظر إلى عمل الشيعة في زيارة

←

صحاحهم[1] على فرض كونه حجة على خصومه ليس ينفي شرعيّة ما

➔

قبورهم عليهم السلام فإنّه سوف يجد بوضوح أنّ الشيعة الإمامية يزورون قبور الأئمّة الأطهار على طبق ما ورد في الروايات عن المعصومين عليهم السلام في زيارتهم. فما ذكره ابن تيمية في هذا المجال كذب واضح وبهتان فاضح.

ثمّ لا يخفى على الخبير أنّه تجب الصلاة على محمّد وآل محمّد في صلاة كلّ مسلم بعد التشهّد، ولو كانت هذه الصلوات لم تصل إلى النبّيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان عملاً لغواً وإذا كانت تصل إليه فما المانع من أن يصل السلام في الزيارة أيضاً؟ كذلك الأمر بالنسبة الى الأئمة الأطهار عليهم السلام، فلاحظ.

(١) قال العيني في شرح الأخبار التي رواها البخاري في النهي عن زيارة القبور: إنّ معنى النهي عن زيارة القبور إنّما كان في أوّل الاسلام عند قربهم بعبادة الأوثان واتخاذ القبور مساجد، فلّما استحكم الإسلام وقوي في قلوب الناس وأمنت عبادة القبور والصلاة إليها نسخ النهي عن زيارتها، لأنّها تذكّر الآخرة وتزهّد في الدنيا ... (عمدة القاري ج٨: ص ٧٠).

وقال في مكان آخر: وحديث بريدة صريح في نسخ نهي زيارة القبور، والظاهر أنّ الشعبي والنخعي لم يبلغهما أحاديث الإباحة، وكان الشارع يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وكان أبوبكر وعمر وعثمان يفعلون ذلك، وزار الشارع قبر أمّه يوم الفتح في ألف مقنّع، ذكره ابن أبي الدنيا. وذكر ابن أبي شيبة عن عليّ وابن مسعود وأنس رضي الله عنهم إجازة الزيارة، وكانت فاطمة رضي الله عنها تزور قبر حمزة رضي الله عنه كلّ جمعة، وكان عمر يزور قبر أبيه فيقف عليه ويدعو له، وكانت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن وقبره بمكة، ذكره عبد الرزاق. وقال ابن حبيب: لابأس بزيارة القبور والجلوس إليها والسلام عليها عند المرور بها وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله. وسئل مالك عن زيارة القبور؟ فقال: قد كان نهى عنه ثمّ أذن فيه، فلو

➔

يفعلونه، فإنّ جعل القبور مساجد معنى ليس له دخل بزيارتها والصلاة

➔

فعل ذلك إنسان ولم يقل إلّا خيراً لم أر بذلك بأساً... (عمدة القاري ج٨: ص ٧٠).

قال ابن عبد البرّ: أمّا قوله في الحديث: وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها. فإنّ العلماء اختلفوا في ذلك على وجهين، فقال بعضهم: كان النهي عن زيارة القبور عامّاً للرجال والنساء ثم ورد النسخ كذلك بالإباحة عاماً أيضاً، فدخل في ذلك الرجال والنساء، واحتجّوا بأنّ عائشة زارت قبر أخيها عبدالرحمن، وكانت فاطمةعليها السلام تزور قبر حمزة وقد ذكرنا عنهما بذلك في التمهيد.

وقال الآخرون إنّما ورد النسخ في زيارة القبور للنساء لا الرجال، لأنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله لعن زوّارات القبور... (الاستذكار لابن عبد البر ج٥: ص٢٣٥).

وقال ابن حزم: وتستحبّ زيارة القبور، وهو فرض ولو مرّة. ولا بأس بأن يزور المسلم قبر حميمه المشرك، الرجال والنساء سواء: لما روّينا من طريق مسلم، حدثنا أبوبكر بن شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي سنان هو ضرار بن مرّة عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها. ومن طريق مسلم: حدثنا ابوبكر بن شيبة حدثنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: زار النبيصلى الله عليه وآله قبر اُمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربّي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها وأذن لي، فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت. وقد صحّ عن أم المؤمنين وابن عمر وغيرهما زيارة القبور، وروي عن عمر النهي عن ذلك ولم يصحّ (المحلّى لابن حزم ج٥: ص١٦١ المسألة رقم ٦٠٠).

وإلى غير ذلك من أقوال علماء أهل السنة الذين شرحوا هذا الحديث وصرّحوا بعدم دلالته على حرمة زيارة القبور على خلاف ما ذكره ابن تيميّة، ومن هنا يعرف أنّ ما استدلّ به ابن تيميّة لا اعتبار له عند العلماء مطلقاً، سواء الشيعة أم السنة، فلاحظ.

عندها، وفعل جملة من الطاعات في القرب منها [1]. وقد أمر صلى الله عليه وآله بزيارة

---

(١) لا يخفى على الخبير أنّ الاحتجاج برواية منع اتخاذ القبور مساجد على منع الزيارة مردود عند العلماء وتدليس محض للعوام؛ لأنّ شرّاح السنّة النبويّة صرّحوا بأنّ مدلول الحديث غير ما ذكره ابن تيميّة، قال السندي في حاشيته على سنن النسائي عند شرح هذا الحديث ما هذا نصّ عبارته: ومراده بذلك أن يحذّر أُمّته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد، إمّا بالسجود إليها تعظيماً لها أو بجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها ... (حاشية السندي على النسائي ج٢: ص٤١).

وقال النووي: قال العلماء: إنّما نهى صلى الله عليه وآله عن إتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدّى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية. ولذا قال في الحديث ولو لا ذلك لأبرز قبره غير أنّه خشي أن يتّخذ مسجداً (شرح النووي على صحيح مسلم ج٥: ص١٣).

وقال جلال الدين السيوطي في شرحه على سنن النسائي: قال البيضاوي: لمّا كان اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيماً لشأنها، ويجعلونها قبلة يتوجّهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومنع المسلمين من مثل ذلك، وأمّا من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرّك بالقرب منه فلا يدخل في ذلك الوعيد (شرح السيوطي لسنن النسائي ج٢: ص٤٣).

ثمّ إنّه إذا كان اتخاذ القبر مسجداً مشمول لجميع المساجد الذي فيه القبور فيشمل المسجد النبوي والمسجد الحرام حيث فيهما قبور كما لا يخفى ذلك على أحد، فكيف يمكن الجمع بين أفضلية الصلاة في المسجدين مع وجود القبر فيهما؟ وإذا كانت الصلاة في المسجد الذي فيه القبر شرك بالله العظيم فيلزم القول بأنّ الصلاة في المسجد النبويّ والمسجد الحرام أيضاً تكون شركاً بالله العظيم، إذ بناءً على ما زعم ابن تيمية فالصلاة في مسجد الحرام مشمول للنهي المذكور؛ لأنّ قبر اسماعيل عليه السلام في الحجر في وسط المسجد الحرام، كما أنّ بين الركن والمقام قبر تسعة وتسعين نبيّاً، وكذلك المسجد

←

القبور حسبما روى ذلك مسلم في صحيحه، والسجستاني والنسائي وابن ماجة في السنن، والحاكم في مستدركه، بعض عن أبي هريرة، وبعض عن أنس، وبعض عن ابن مسعود مرفوعاً عن جميعهم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها(١).

←
النبوي فيه القبور المتعددة. فهل يجرأ ابن تيمية أن يقول بأنّ الصلاة في المسجد الحرام باطلة لأن فيه قبور الأنبياء أو يقول بأنّ الصلاة في المسجد النبوي باطلة وهل يصحّ الاحتجاج بإطلاق الحديث مع أنّ عائشة كانت تعيش في الحجرة التي دفن فيها النبيﷺ ألم تكن عائشة تصلّي هناك؟!!

إذن فالاحتجاج بالرواية على نفي زيارة القبور افتراء على رسول اللهﷺ لأنّه يريد أن ينسب إلى رسول اللهﷺ النهي عن الزيارة، وهذا كذب وافتراء على رسول الله بشهادة علماء أهل السنة والجماعة، ولا يمكن لابن تيميّة الالتزام بلوازم إطلاق حديث لا تتّخذوا القبور مساجد.

ثمّ إنّ عمل الشيعة الإماميّة بالنسبة في أئمة أهل البيتعليهم السلام والأنبياء والصالحين أمر واضح وجلي يعرفه كلّ الناس، حيث إنّهم يزورون قبور الصالحين للقرب إلى الله لا عبادة للقبر كما لا يخفى ذلك على أحد، فلاحظ.

(١) لقد أخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه ج٣: ص٦٥ في كتاب الجنائز باب استئذان النبيﷺ ربه عزوجل زيارة قبر اُمّه عن بريدة، وكذا في ج٦: ص٨٢ في كتاب الصيد والذباحة عن بريدة، وأخرجه أبو داود السجستاني في سننه ج٢: ص٨٧ ح٣٢٣٥ عن بريدة، وكذلك في ج٢: ص١٨٨ ح٣٦٩٨ عن بريدة، وأخرجه النسائي في سننه ج٤: ص٨٩ عن بريدة، وكذا في ج٨: ص٣١١ عن بريدة، وأخرجه ابن ماجة في سننه ج١: ص٥٠١ عن ابن مسعود، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٧٤ عن بريدة، وكذا في ج١: ص٣٧٥ عن أبي سعيد الخدري، وأيضاً في
←

➔

حديث آخر عن ابن مسعود وفي حديث آخر عن أنس بن مالك، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٤٥ عن النابغة وج١: ص٤٥٣ عن جابر بن يزيد وج٣: ص٣٨ عن أبي سعيد الخدري وج٣: ص٢٣٧ عن أنس بن مالك وج٣: ص٣٥٠ عن انس بن مالك وج٥: ص٣٥٠ عن بريدة، وأخرجه الترمذي في سننه ج٢: ص٢٥٩ عن بريدة، والبيهقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٦ عن بريدة، وفي ج٤: ص٧٧ عن أبي سعيد الخدري، وأيضاً في نفس الصفحة عن ابن مسعود، وفي ج٨: ص٣١١ عن بريدة، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣: ص٥٨ عن أبي سعيد الخدري وفي نفس الصفحة في حديث آخر عن أم سلمة وفي حديث أخر في نفس الصفحة عن زيد بن الخطاب وفي نفس الصفحة عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفي ج٣: ص٥٩ عن ابن عباس وفي نفس الصفحة عن ثوبان، وغيرهم من أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن. فهذه الرواية رواه جميع أرباب الحديث، بل هناك روايات أخرى متضافرة قد جمعها السمهودي في كتابه وفاء الوفاء ج٢: ص٣٩٠٣ـ٣٩٠٤

وملخّص الكلام أنّ النبيصلى الله عليه وآله أمر في هذا الحديث أُمّته بزيارة القبور، ولم يفرّق بين القريب والبعيد وبين من في المسجد وغيره وهذه الروايات مطلقة في استحباب زيارة القبور للرجال والنساء في جميع الأوقات. قال النووي: بعد ذكر رواية زيارة النبيصلى الله عليه وآله قبر أُمّه عند قولهصلى الله عليه وآله: «استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي» قال: فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة لأنّه اذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى وقد قال الله تعالى: ﴿**في الدنيا معروفا...**﴾ (شرح صحيح مسلم ج٧: ص٤٥). لا يخفى أنّ النووي أجرم في نسبة الشرك إلى أم النبي صلى الله عليه وآله.

وقال الشعراني: قال الحافظ المنذري قد كان النبيّصلى الله عليه وآله نهى عن زيارة القبور نهياً عامّاً للنساء والرجال، ثمّ أذن للرجال في زيارتها واستمر النهي في حق النساء، وقبل كانت رخصة عامة وفي ذلك كلام طويل للعلماء ... (العهود المحمّدية للشعراني: ص٦٢٢)

أقول: لو كانت زيارة القبور غير جائزة للمرأة فكيف كانت عائشة تزور القبور كما ورد في

🡐

وثامنها: ما نقله عن الشيخ المفيد من تصنيفه كتاباً سمّاه مناسك المشاهد! فانّه من البهتان البيّن، لأنّ مصنفات الشيخ المفيد[١] معلومة مشهورة معدودة بأسمائها وليس فيها ما نسبه إليه[٢].

نعم جرت سيرة أرباب الحديث والفقه بعد تماميّة كتاب الحجّ أن يتعرّضوا لزيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقبور أهل بيته عليهم السلام ومن رزقه الله الشهادة وقبور صالحي العباد، وينقلون ما ورد من السنّة على ذلك من طريق أهل البيت عليهم السلام[٣]. وقد صنّف جماعة منهم كتباً في خصوص زيارة المشار

←

الروايات الصحيحة عند القوم؟ وسنتعرّض لها إن شاء الله تعالى في محله.

(١) وهو محمّد بن محمّد بن النعمان التلعكبري ابن المعلّم، الملقّب بالشيخ المفيد المتوفّى سنة ٤١٣ هـ ـ له كتاب المزار وقد طبع هذا الكتاب عدّة مرّات وأخيراً طبع بتحقيق السيد محمّد باقر الابطحي طبعة منقّحة ومحقّقة في منشورات دار المفيد للطباعة، بيروت ـ لبنان ـ والكتاب مذكور في الفهارس ضمن كتب الشيخ المفيد رحمه الله (انظر رجال النجاشي: ص٣٩٩ ومعالم العلماء لابن شهرآشوب: ص١٤٧).

(٢) راجع كتب أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد.

(٣) فإنّ الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جدّاً منها: ما رواه أبوالحجر الأسلمي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين مكّة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عزوجل حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر (الكافي ج٤: ص٥٤٨).

ومنها: ما رواه السدوسي عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة (الكافي ج٤: ص٥٤٨).

←

إليهم، منهم شيخهم الجليل جعفر بن محمد بن قولويه شيخ الشيخ المفيد قدس سرهما وسمّاه بكامل الزيارة[١].

➔

ومنها ما رواه ابن أبي نجران قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: له الجنّة (الكافي ج٤: ص٥٤٨).

ومنها: ما رواه يحيى بن يسار قال: حججنا فمررنا بأبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال: حاجّ بيت الله وزوّار قبر نبيّه صلى الله عليه وآله وشيعة آل محمد هنيئاً لكم (الكافي ج٤: ص٥٤٩).

ومنها: ما رواه صفوان بن سليم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من زارني في حياتي أو بعد موتي كان في جواري يوم القيامة (كامل الزيارات: ص٤٥).

ومنها: ما رواه عبد الله بن الحسن عن أبيه عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة (كامل الزيارات: ص٤٥).

ومنها: ما رواه اسماعيل بن موسى بن جعفر قال: حدثنا أبي عن أبيه عن جدّه عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إلى الله في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ السلام، فإنّه يبلغني (كامل الزيارات: ص٤٧).

ومنها: ما رواه الحسن بن علي الوشّاء قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة (علل الشرائع ج٢: ص٤٥٩).

(١) وهو لأبي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمّي المتوفّى سنة ٣٦٨، وهو من أعاظم علماء الشيعة ومن أجلاّئهم. قال النجاشي في وصفه: وكان أبوالقاسم من ثقات أصحابنا وأجلاّئهم في الحديث والفقه... وعليه قرأ شيخنا أبوعبدالله المفيد الفقه

➔

ولم يسمّ عالم منهم كتاباً في الباب بما نسبه السنّي [١].

→

ومنه حمل، وكلّ ما يوصف به الناس من جميل وثقه وثقه فهو فوقه (رجال النجاشي: ١٢٣) وقد عبر الشيخ النجاشي رحمه الله عن هذا الكتاب بـ«الزيارات» وقال، الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست: له كتاب جامع الزيارات (الفهرست للشيخ الطوسي: ص٩).

ثم إنّ كتاب كامل الزيارات يحتوي على زيارات النبيّ صلى الله عليه وآله والصدّيقة الطاهرة عليها السلام والأئمّة الأطهار سلام الله عليهم، وفيه ذكر ثوابها وفضلها، فراجع.

(١) لا شكّ أنّ زيارة قبور المؤمنين والاستيناس بأرواحهم والسلام عليهم والتكلّم معهم والاستغفار لهم سنّة نبوية، بل قال ابن حزم: وتستحبّ زيارة القبور، وهو فرض ولو مرّة، ولا بأس بأن يزور المسلم قبر حميمه المشرك، والرجال والنساء سواء لما روّينا من طريق مسلم: حدثنا أبوبكر بن شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن سنان ـ وهو ضرار بن مرّة ـ عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ... وقد صحّ عن أم المؤمنين وابن عمر وغيرهما زيارة القبور ...(المحلّى ج٥: ص١٦٠).

وقال الألباني: النساء والرجال في استحباب زيارة القبور [سواء] لوجوه: الأوّل: لعموم قوله عليه السلام فزوروا القبور فيدخل فيه النساء، وبيانه: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما نهى عن زيارة القبور أوّل الأمر فلا شكّ أنّ النهي كان شاملاً للرجال وللنساء معاً، فلمّا قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور كان مفهوماً انّه كان يعني الجنسين ضرورة أنّه يخبرهم عمّا كان في أوّل الأمر من نهي الجنسين، فإذا أمر كذلك كان لزاماً أنّ الخطاب في الجملة الثانية من الحديث وهو قوله: (فزوروها) إنّما أراد به الجنسين أيضاً (احكام الجنائز لمحمد ناصر الألباني: ص١٨٠) وإلى غير ذلك من أقوالهم. هذا كلّه بالنسبة إلى زيارة المؤمنين وأمّا الحضور في المشاهد المقدسة وفي بيوت دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه المرضيّون صلوات الله عليهم أجمعين التي تتعلّق بها أطايب النفوس الملكوتيّة وتختلف إليها

←

نعم هم يقصدون من الأماكن البعيدة زيارة مقابر المشار إليهم، لورود الفضل العظيم من طرقهم في ذلك[1] وقد ثبتت مشروعيتها بما نقلناه عن

➔
الملائكة الرحمانيّة، فهو بعد زيارة بيت الله الحرام من تعظيم الشعائر الإلهية، وإنّه من المودّة في القربى التي جعلها الله أجر الرسالة، ومن مظاهر الولاية التي أتمّ بها نعمة الهداية، بل هو من باب ذكرى عرفان بذكرى آياته وشعائره وكلماته وجعلهم أئمة يهدون بأمره فتجليل وتعظيم آل النبي عليهم السلام، من هذه الجهة لا من جهة استحباب زيارة قبور المؤمنين، فلاحظ.

(١) فإنّ الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في فضل الذهاب إلى زيارة مشاهدهم المقدّسة كثيرة جداً، منها: ما رواه ابن قولويه بسنده عن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينما الإمام الحسين عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال له: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة (كامل الزيارات: ص٣٩).

ومنها ما رواه أيضاً بسنده عن محمد بن سنان عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن اخلّصه من أهوالها وشدائدها حتّى أصيّره معي في درجتي (كامل الزيارات: ص٤٠).

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن العمركي عن يحيى وكان خادماً لأبي جعفر الثاني عن بعض أصحابنا عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة فأنقذته من أهواله (كامل الزيارات: ص٤١).

ومنها: ما رواه بسنده عن أبان عن السدوسي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة (كامل الزيارات: ٤٢).
➔

غالب صحاحهم[١].

→

ومنها: ما رواه أبو وهب البصري قال: دخلت على الإمام الصادقعليه السلام فقلت: جعلت فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنينعليه السلام، قال: بئس ما صنعت، لولا أنّك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الانبياء ويزوره المؤمنين؟! قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك، قال: فاعلم أنّ أمير المؤمنينعليه السلام أفضل عند الله من الأئمّة كلّهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فضّلوا (كامل الزيارات: ٨٩).

ومنها ما رواه بسنده عن محمد بن مسلم عن الامام الباقرعليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسينعليه السلام فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسينعليه السلام بالإمامة من الله عزوجل (كامل الزيارات: ص٢٣٦)

ومنها: ما رواه الوشّاء قال سمعت الإمام الرضاعليه السلام يقول: إنّ لكلّ امام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاهم يوم القيامة (كامل الزيارات: ص٢٣٧) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهمعليهم السلام في هذا المجال.

(١) لقد تواترت الروايات والنصوص الواردة عن النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله في استحباب زيارة قبور المؤمنين، ورواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من علماء أهل السنة والجماعة وتلقّاها علمائهم بالقبول والتسليم لها، وإليك نماذج من ذلك:

فمنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: زار النبيصلى الله عليه وآله قبر اُمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور تذكّر الموت (صحيح مسلم ج٣: ص٦٥).

ومنها: ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن بريدة عن أبيه قال: كنّا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله قريباً من ألف راكب، فنزل بنا وصلّى بنا ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر ففداه بالأمّ والأب يقول ما لك يا رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: إنّي

←

وليس يفرق الحال بين شَدّ الرحال لزيارتها وعدمه [(١)]، فإنّهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد أمر

➔

استأذنت ربّي في الاستغفار لأمّي، فلم يأذن لي، فدمع عيناي رحمة لها، واستأذنت ربّي في زيارتها فأذن لي. وإنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها وليزدكم زيارتها خيراً (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٧٦).

ومنها: ما رواه ابن ماجة في سننه بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: زوروا القبور فإنّها تذكّركم الموت (سنن ابن ماجة ج١: ص٥٠٠ ح١٥٦٩).

ومنها: ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن أبي ملكية: إنّ عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها: يا ام المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر، فقلت لها: أليس كان رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها (المستدرك للحاكم ج١: ص٣٧٧).

ومنها: ما رواه ابن ماجة بسنده عن عائشة أنّها قالت: إنّ رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ رخّص في زيارة القبور... ثم قال ابن ماجة: في الزوائد: رجال إسناده ثقات (انظر سنن ابن ماجة ج١: ص٥٠٠).

ومنها ما رواه أبوداود بسنده عن بريدة عن أبيه قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها قال: قال: في زيارتها تذكرة (سنن أبي داود ج٢: ص٨٧ ح٣٢٣٤).

ومنها: ما رواه الحاكم بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّها عبرة (المستدرك ج١: ص٣٧٦) وإلى غير ذلك من الروايات.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ خروج زيارة المشاهد المشرّفة عن موضوع حديث: «لا تشدّ الرحال...» خروج تخصصيّ موضوعيّ، لأنّ شدّ الرحال إلى الزيارة غير شدّ الرحال إلى المساجد، نعم إنّ موضوع الزيارة والذهاب إلى المسجد قد اجتمعا في المسجد النبويّ، فيكون محلاً لانطباق الموضوعين بناءً على القول بصحة الروايتين عند أهل السنة والجماعة، فيتحقق بالذهاب إلى المسجد النبويّ موضوع شدّ الرحال إلى المسجد

←

بزيارة القبور مطلقاً [(١)]، فلو كان في شَدّ الرحال إليها محذور لبَيّنه ولنهى

➔

وموضوع زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وكذلك في كلّ مسجد يكون فيه هذه الجهة الثانية. ولكن كلام الخصم لا يعني ذلك وإنّما يقصد شدّ الرحال إلى المساجد بصورة مطلقة.

ثمّ إنّ ظاهر النهي عن شدّ الرحال إلى المساجد في الحديث المذكور مع قطع النظر عن سنده ليس نهياً تحريميّاً؛ لأنّه لو كان نهياً تحريميّاً للزم منه ما لا يلتزم به أحد من الفقهاء؛ إذ يلزم منه تحريم أكثر سفرات الناس لأنّ الناس في غالب أسفارهم يجعلون مقاصدهم المساجد في ضمن الطريق ليصلّون فيها، وهذا أمر لا يمكن للخصم الالتزام به، إذ يلزم أن تكون أكثر سفرات الناس سفر المعصية، ويلزم عليه أن يفتي بلزوم الإتمام فيه للصلوات الرباعيّة، ولم يقل به أحد. ومن هنا يعرف أنّ النهي على فرض تماميّة سند الحديث إرشاديّ لا تحريميّ؛ أي إرشاد إلى عدم الجدوى في هكذا سفر، وذلك لأنّ المساجد الأُخرى لا تختلف من حيث الفضيلة، والدليل على ذلك ما رواه أصحاب الصحاح من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يذهب إلى بعض المساجد ليصلّي فيها، منها ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يأتي مسجد قباء كلّ سبت ماشياً وراكباً فيصلّي فيه ركعتين (انظر صحيح البخاري ج٢: ص٥٧ كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة) ورواه مسلم في صحيحه ج٤: ص١٢٧ كتاب الحج باب فضل مسجد قباء، وأحمد بن حنبل في مسنده ج٢: ص٥٧، والبيهقي في سننه الكبرى ج٥: ص٢٤٨، وغيرهم. ومن الواضح أنّ فعل النبيّ صلى الله عليه وآله حجّة وسنّة واجبة الاتباع، فإذا كان شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة المحدّدة في الحديث المذكور منهياً عنه بالنهي التحريميّ لكان فعل النبيّ صلى الله عليه وآله محرّماً ـ والعياذ بالله ـ وعليه فلا معنى للقول بأنّ النهي عن شدّ الرحال إلى المساجد تحريميّ، فلاحظ.

(١) فإنّ الروايات الواردة في المقام ليس فيها جهة خاصّة كي تقيّد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله، بل إن النبيّ صلى الله عليه وآله ذكر فيها حكمة رجحان هذا الأمر بألفاظ مختلفة، ففي بعضها قال صلى الله عليه وآله:

←

عنه[١]. وخبر النهي عن شَدّ الرحال لسوى المساجد الثلاثة؛ مسجد الكعبة المعظّمة ومسجد المدينة المنوّرة ومسجد المقدس[٢] ليس يعارض ما دَلّ

←

فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت (انظر صحيح مسلم ج٣: ص٦٥ وسنن ابن ماجة ج١: ص٥٠١، وسنن أبي داود ج٢: ص٨٧، وسنن النسائي ج٤: ص٩٠، والمستدرك للحاكم ج١: ص٢٧٥، والسنن الكبرى للبيهقي ج٤: ص٧٦، وغيرها من المصادر). وفي بعضها قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: فزوروا القبور فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة (انظر المستدرك للحاكم ج١: ص٢٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤: ص٧٧، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٢٩٧، وكنز العمّال ج١٥: ص٦٤٦، وغيرها من المصادر). وفي بعضها قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه زوروا القبور فإنّها تذكّركهم الآخرة (انظر سنن ابن ماجة ج١: ص٥٠٠، والإنصاف للمرداوي ج٢: ص٥٦٢، والجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٣١، وكنز العمال ج١٥: ص٦٤٦، وغيرها من المصادر).

(١) وببيان أوضح: إنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه كان في مقام بيان الحكم، ولم يذكر قيداً أو شرطاً لمشروعيّة الزيارة، فلو كان هناك شيء من القيد أو الشرط دخيلاً في مشروعيّة الزيارة لكان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن يذكره ضمن كلامه، لأنّ الحكمة تقتضي أنّ المتكلّم الحكيم إذا كان في مقام البيان لابدّ أن يذكر جميع ما له دخل في مشروعيّة العمل لأنّ طلب المشروط أو المقيّد بلفظ المطلق قبيح عند العقلاء. وحيث لم يذكر القيد أو الشرط في كلامه وكان في مقام البيان - بيان تمام الموضوع والحكم- لم يذكر شيئاً، فالعقلاء يحكمون بأنّ هذا العمل مشروع مطلقاً، فلاحظ.

(٢) انظر صحيح البخاري ج٢: ص٥٦ كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة. وروي هذا الحديث بصورة أخرى وهي: إنّما يسافر إلى ثلاث مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيليا (موارد الظمآن للهيثمي ج٣: ص٣٤٧). وروي بصورة ثالثة وهي: تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد... (صحيح مسلم ج٤: ص١٢٦، كتاب الحجّ

→

على زيارة القبور[١] فأين النهي عن شَدّ الرحال إلى المساجد من الرخصة

➔

باب لا تشدّ الرحال...).

أقول: إذا كان معنى الحديث عدم شدّ الرحال إلى مسجد من المساجد سوى المساجد الثلاثة فهذا لا يعني عدم شدّ الرحال إلى أيّ مكان من الأمكنة. وإذا لم يكن المقصود فقط المساجد غير الثلاثة فالحديث يكون غير متعرّض لشدّ الرحال لزيارة الأنبياء والأئمّة الطاهرين والعالمين، لأنّ موضوع الحديث إثباتاً ونفياً هو المساجد وأمّا إذا كان المقصود جميع الأمكنة فإنّه اولاً: خلاف ظاهر الحديث وثانياً: لم يلتزم به أحد.

ثمّ إنّ الذهاب إلى المسجد أمر مستحبّ شرعاً ومن الواضح أنّ مقدّمة المستحب مستحبّ كما أنّ مقدّمة الواجب واجب، وهذا أمر ثابت في الأصول، فلاحظ.

(١) لقد أخرج أئمّة المذاهب الأربعة وحفّاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمّة في الحثّ على زيارة القبور، ونحن نذكر شطراً منها هنا:

فمنها ما رواه بريدة قال رسول الله ﷺ: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها (صحيح مسلم ج٣: ص٦٥ كتاب الجنائز، باب استئذان النبيّ ﷺ ربّه عزوجل زيارة قبر اُمّه)، ورواه الترمذي وزاد فيها: فإنّ في زيارتها تذكرة (سنن أبي داود ج٢: ٨٧ ح٣٢٣٥)، ورواه النسائي في سننه ج٤: ص٨٩، والبيهقي في سننه الكبرى ج٩: ص٢٩٢ وغيره).

ومنها ما رواه: عبد الله بن مسعود قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: ألا فزوروا القبور، فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص٣٧٥)، ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٧).

ومنها ما رواه: النابغة عن عليّ أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّها تذكّركم الآخرة (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٤٥). ورواه أبويعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٢٤٠ ح٢٧٨).

ومنها ما رواه عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب قال: قال رسول الله ﷺ إنّي كنت نهيتكم

➔

➔

عن زيارة القبور، فمن شاء منكم أن يزور فليزر (المعجم الكبير للطبراني ج٥: ص٨٢ ح٤٧٧) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣: ص٥٨، وعن أبي هريرة قال النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فزوروا القبور، فإنّها تذكّركم الموت (صحيح مسلم ج٣: ص٦٥) ورواه ابن ماجة في سننه ج١: ص٥٠١ ح١٥٧٢، والنسائي في سننه ج٤: ص٩٠، والحاكم في المستدرك ج١: ص٣٧٥).

ومنها ما رواه: بريدة قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها وليزدكم زيارتها خيراً (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص٣٧٦)، ثمّ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وكذلك صحّحه الذهبي في الهامش، ورواه النسائي في سننه ج٨: ص٣١١، والبيهقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٦، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن شاء أن يزور قبراً فليزره فإنّه يرقّ القلب ويدمع العين ويذكّر الاخرة (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٧٦).

ومنها ما روته عائشة قالت: كان رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد (صحيح مسلم ج٢: ص٦٣ كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٦: ص١٨٠ والبيهقي في سننه ج٤: ص٧٩، وابويعلى الموصلي في مسنده ج٨: ص١٩٩، وعن عائشة: إنّ النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نهى عن زيارة القبور ثمّ رخّص فيها، أحسبه قال: فإنّها تذكرة الآخرة (مجمع الزوائد ج٣: ص٥٨) ثم قال الهيثمي رواه البزاز ورجاله ثقات. ومنها ما روته عائشة قالت: نهى رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عن زيارة القبور ثم قال: زوروها فإنّ فيها موعظة (انظر تاريخ بغداد ج١٤: ص٣٣١). ومنها ما رواه طلحة بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حتّى إذا أشرفنا على حرّة واقم، قال: فدنونا منها فإذا قبور بمحنيّة قلنا: يا رسول الله قبور إخواننا هذه، قال: قبور أصحابنا ثم خرجنا حتّى إذا جئنا قبور الشهداء قال: قال

➔

➔

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه هذه قبور إخواننا (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٦١)، ورواه أبوداود في سننه ج١: ص٤٥٣، والبيهقي في سننه الكبرى ج٥: ص٢٤٩). ومنها ما رواه ابن أبي ملكية قال: إنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: ايتوا موتاكم فسلّموا عليهم وصلّوا عليهم، فإنّ لكم فيها عبرة (المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ج٣: ص٥٧٠ ح٦٧١١).

ومنها ما رواه: بريدة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّ في زيارتها تذكرة (سنن أبي داود ج٢: ص٨٧ ح٣٢٣٥) ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٧، ومنها ما رواه ثوبان قال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفاراً لهم (المعجم الكبير للطبراني ج٢: ص٩٤) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣: ص٥٩).

وعن ثوبان قال: إنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا يقول إلّا خيراً، فإنّ الميت يتأذّى بما يتأذى منه الحيّ (الروض الفائق في المواعظ والرقائق للشيخ شعيب عبد الله بن سعد المصري ثم المكّي الشهير بالحريفيش المتوفى سنة ٨٠١ ج١: ص١٩).

وعن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنّ فاطمة بنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه كانت تزور قبر عمّها حمزة كلّ جمعة فتصلّي وتبكي عنده (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٧٧)، ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٨).

وروي أنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا رجع من صفين فأشرف على القبور بظهر الكوفة ودخل المقبرة وقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللّهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنّا وعنهم ... (العقد الفريد لابن عبد ربه ج٢: ص٦) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٨: ص٢٢٢، والطبري في تاريخه ج٤: ص٤٥، وابن الأثير في تاريخه ج٣: ص٢٢٤، وغيرهم.

وهناك أحاديث أخرى في باب أدب زوّار القبور، وما جاء في زيارة قبر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأهل بيته وأصحابه وما جاء من زيارة قبور الخلفاء والصحابة والتابعين، وغير ذلك ممّا يطول بنا المقام. ولمن اراد التحقيق حول الموضوع فليراجع كتاب الغدير للعلاّمة الأميني ج٥:

🡐

في شَدّها إلى زيارة القبور وما هي المنافاة والمعارضة بين الأمرين [(١)].

فإن قيل: النهي قد صدر عن عموم شَدّ الرحال إلى المساجد وغيرها، فيدخل شدّها لزيارة القبور في المنهيّ عنه [(٢)].

ص٦٦ ـ ٢٠٧ فإنّه رحمه الله بحث في الموضوع بحثاً علميّاً موضوعيّاً، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ التعارض عبارة عن تنافي الدليلين الواردين على موضوع واحد بحيث لا يمكن أن يكونا ثابتين في الواقع معاً، فإنّ الشارع بشارعيّته لا يأمر بالمتناقضين. فلايمكن أن يتصوّر أنّ الشارع الحكيم ينهى عن عمل ويحكم بتحريمه ومع حفظ الموضوع يحكم بتحليله! هذا أمر غير معقول، لايمكن نسبته الى الشارع الأقدس.

فوحدة الموضوع شرط أساسيّ في تحقّق التعارض، وبعد ذلك يتحقق التعارض. وأمّا إذا كان الموضوعان مختلفين فلا تنافي بينهما، بل يجوز الجمع بينهما، إذ لا تنافي بين المثبتَين، ففي المقام النهي عن شدّ الرحال للمساجد غير شدّ الرحال إلى زيارة القبور فإنّ الموضوع في الأوّل المساجد، وعليه فيدور الحكم مداره إثباتاً ونفياً. وفي الثاني فالموضوع زيارة القبور، والحكم فيه دائر مدار موضوعه، فلا ربط له بالأول، ولا تقابل بينهما بالتنافي والتعارض، لعدم وحدة الموضوع فيهما، فلاحظ.

(٢) وتوضيح المقام أنّه قد يتوهّم أنّ تحليل الحديث يقتضي القول بأنّ قوله: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد» فيه دلالة على العموم، فيشمل جميع الأمكنة ما عدا المساجد الثلاثة.

وبعبارة أوضح: إنّ تعيين المستثنى منه في الحديث قد يتصوّر بشكلين:

الأوّل: أن لا تشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد إلّا إلى ثلاثة مساجد.

الثاني: أن لا تشدّ الرحال إلى مكان من الأمكنة إلّا إلى ثلاثة مساجد.

فبناءً على الأوّل لا يقع التعارض بين الدليلين، لأنّ الموضوع في كلّ من الدليلين خاصّ لا يرتبط بالآخر، وأمّا بناءً على الثاني فإنّ دلالة العموم تقتضي التنافي بين الدليلين حيث إنّ

قيل لو فرض صحّة ذلك للزم التخصيص المستهجن، وهو خروج غالب المستثنى منه [1]، ويجلّ عنه مقال أدنى بليغ، فكيف بمقال البليغ الذي

➔

دليل لا تشدّ الرحال... يقتضي النهي عن جميع الأمكنة ما عدا المساجد الثلاثة فيشمل شدّ الرحال إلى زيارة القبور.

أقول: إنّ هذا التوهّم باطل ومردود كما هو واضح لدى الخبير لأنّه أوّلاً: إنّ الموضوع ليس فيه المكان على نحو الإطلاق كي يؤخذ بشموله ومعناه أنّ الموضوع يكون شاملاً لجميع الأمكنة وحيث لم يكن كذلك فالاستدلال باطل.

وثانياً: على فرض التسليم لو قلنا إنّ موضوع الدليل هو العموم فإنّه لم يلتزم به أحد إذ معناه النهي عن جميع السفرات ما عدا السفر إلى المساجد الثلاثة وهذا أمر لم يقل به أحد حتى ابن تيمية.

إن قلت: إنّ النهي عن شدّ الرحال يكون بالنسبة إلى جميع الأمكنة إلّا ما استثناه الشارع سواء كان الاستثناء في هذا الدليل أم في الأدلة الأخرى، ومعناه أنّ كلّ سفر أجازه الشارع فهو ضمن الاستثناء.

قلت: ويلزم منه تخصيص الأكثر المستهجن الذي لا يصح حمل الكلام عليه كما بيّنه المصنّف رحمه الله، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ التخصيص إنّما يصحّ فيما إذا كان الغالب من أفراد العام باقياً تحت العموم، فإنّ المستثنى لابدّ أن يكون قليلاً بالنسبة إلى المستثنى منه، وإلّا فإنّ تخصيص الأكثر قبيح ومستهجن عند العرف والعقلاء، فإذا ورد لفظ عامّ ثم استخرج منه أكثر أفراده بحيث لم يبق تحت العامّ إلاّ أفراد قليلة فإنّ العرف يستقبح هذا التخصيص ولا يراه أمراً متعارفاً في المحاورات بينهم. وقد قرّر هذا البحث في الأصول مفصلاً، فراجع.

ليس له نظير في المخلوق[1]؟! وذلك فإنّ شدّ الرحال للجهاد، وسدّ الثغور،

---

(١) من الواضح الذي لا يكاد أن يعتريه ريب أنّ الرسول الأعظمﷺ هو أفصح العرب وأبلغهم وأنّ بلاغته العليا وجه بارز من أبرز الوجوه في الوجود؛ وقد نزل عليه القرآن بلسان عربيّ فصيح بليغ في محيط كانت القبائل العربية تفتخر وتعتزّ بشعرائها وفصحائها وبلغائها، فنزل القرآن الكريم معجزة في لفظه ومعناه وهو التحدّي في جميع الجهات من الفصاحة والبلاغة عند الخلائق بأجمعها أن يأتوا بمثله ولو بسورة واحدة ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فنزل القرآن على صدر من كان له مقام الفصاحة والبلاغة، واستوت فصاحته وبلاغته مع المعجزة الخالدة، إذ اللسان العربيّ هو أكمل الألسنة واللغات وأغناها أدباً ومقاماً وقد نزلت هذه الآيات على قلبه الشريف الذي كان ظرفاً لحقائق القرآن ومعانيه، وبالطبع إنّ من يكون عالماً بجميع حقائق القرآن فهو أبلغ الناس وأفصحهم، ولذلك روي عنهﷺ أنّه قال: أنا أعربكم .. (كنز العمال ج١١: ص٤٠٤ ح٣١٨٨٤) أي أفصحكم.

وقال المناويّ في شرح الحديث، أي أدخلكم في العرب يعني أوسطكم فيه نسباً؛ لأنّ عدنان ذروة ولد إسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان ... (فيض الغدير ج٣: ص٥٧)

وقالﷺ في حديث متفق عليه بين المسلمين: أعطيت جوامع الكلم ... (انظر صحيح مسلم ج٢: ص٦٤ كتاب الصلاة باب المساجد ومواضع الصلاة)، ورواه الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب الخصال: ص٢٩٢)

وقال الثعالبي: إنّ كلّ كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة، لو تأمّله العالم حقّ تأمله، لم ينقطع فيه نظره طول عمره. وشرح أحاد الآيات والأخبار يطول. (تفسير الثعالبي ج١: ص١٣٥).

كما ورد عنهﷺ: أنا أفصح من نطق بالضاد (السيرة الحلبية ج١: ص٣٠ والصحيح من سيرة النبيﷺ ج١: ص١١٦) ومعناه أنّي أفصح العرب، لأنّ العرب هم الذين ينطقون بها صحيحاً ولذلك نجد في التاريخ أنّ الوفود العرب بلهجاتهم العربيّة المختلفة لمّا كانوا

←

وطلب الغريم الشارد، والقِنّ الذي قد أبق من سيّده، وصلة الرحم من أب وأُمّ وابن وغيرهم، وللتجارة، وللشهادة على حقّ يتوقّف على ذلك، وما قارب هذه، مثل تأدية دين موقوفة على السفر إلى بلد صاحبه، ومثل رَدّ أمانة، وغيرها وحينئذٍ فليس يبقى سوى شَدّ الرحال إلى زيارة القبور، وهو تخصيص مستهجن إلى الغاية، وعن مثله يَجلّ قول خاتم الرسلﷺ (١)

➔

يتحدّثون مع النبيّﷺ كانوا يعترفون بأنّهﷺ أفصحهم وأبلغهم في التكلّم بالعربيّة. والظاهر أنّ حرف الضاد حرف خاصّ باللغة العربية، ومخرجه ثقيل يصعب حتّى على العربيّ أداؤه بشكل صحيح إلّا من كان قادراً على أداء الحروف بشكل صحيح، فإنّ الخبير يعلم بأنّ مخرج هذا الحرف من بين الأضراس اليسرى، وإخراجه من بين الأضراس اليمنى فيه إشكال ولذا قال أهل التجويد: من الأيسر أيسر وكان رسول اللهﷺ يقول: إنّي نشأت في أفصح القبائل، لأنّه نشأ في بني سعد وإنّ حليمة السعديّة كانت هي المرضعة له، فكانوا يتكلّمون بسبع لهجات من اللهجات العربية.

وعلى كلّ حال فإذا كنّا نؤمن بأنّ رسول اللهﷺ هو أفصح العرب، بل أفصح الناس من الأوّلين والآخرين، فلا يصحّ بعد ذلك نسبة صدور كلام منه يستقبحه العقلاء؛ لما في تخصيص الأكثر المستهجن عند العقلاء والفصحاء من الخلاف البيّن للبلاغة والفصاحة. فلا يصحّ صدوره عن الأشخاص العاديّين فكيف بالرسول الأعظمﷺ الذي هو أفصح الناس!!!

(١) لأنّ كثرة التخصيص سواء كانت الكثرة نوعيّة كما إذا ورد عامّ مثل: أكرم العلماء، ثمّ أخرج منه أكثر أنواع العلماء من النحويّين والصرفيّين واللغويّين و... وبقي فيه الفقهاء والاصوليّون مثلاً، أو كانت الكثرة فرديّة كقوله: أكرم العلماء ثم أخرج منه زيداً وعمراً وبكراً وخالداً و... ولم يبق تحت العموم إلّا فرد واحد أو اثنين أو ثلاثة فقط، فهذا النحو من الخروج من تحت العامّ مستهجن عند العرف والعقلاء، إذ أنّ ذلك خلاف وضع

➔

وتاسعها: ما زعمه من عدم شرعهﷺ عند القبور شيئاً من المناسك[1] فإنّه قول مجمل لم يبيّن مقصوده منه، فإن قصد به عدم شرعه

➔

المحاورة، ولا يتكلّم به إلّا من لم يعرف أساليب الكلام، فإنّ إخراج أكثر الأفراد أو الأنواع وإبقاء النادر منه تحت العموم قبيح عند العرف والعقلاء.

ومن هنا يعرف أنّ كلّ عاقل يعرف أُسلوب المحاورة بين العرف والعقلاء يستقبح هذا النوع من التخصيص، فكيف تجوز نسبة ذلك إلى خاتم الرسلﷺ الذي هو أفصح الناس وأبلغهم؟!

(١) فإنّ المناسك جمع منسك بفتح السين وكسرها وهو مصدر ميمي أو اسم مكان. قال ابن منظور: فالمناسك جمع منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبّد ويقع على المصدر والزمان والمكان، ثمّ سمّيت أمور الحجّ كلّها مناسك ... (لسان العرب ج١٠: ص٤٩٩ ومثله قال الزبيدي في تاج العروس ج١٣: ص٦٥٨).

وقال الفخر الرازي: المنسك بفتح السين بمعنى الفعل، وبكسر السين بمعنى المواضع كالمسجد والمشرق والمغرب (تفسير الفخر الرازي ج٤: ص٦٩).

وقال القرطبي: وقال الفراء: المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شرّ، وقيل: مناسك الحجّ لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ومي الجمار والسعي ... (تفسير القرطبي ج١٢: ص٥٨) ومثله قال ابن كثير في تفسيره ج٣: ص٢٤٤.

وقال الثعلبي: أصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير أو شرّ يقال: لفلان منسكاً: أي مكاناً يغشاه ويألفه للعبادة ومنه مناسك الحجّ لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها الحجّ والعمرة (تفسير الثعلبي ج٧: ص٣٣).

وقال السمعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا**﴾ (سورة الحج: ٣٤): قال الفرّاء: المنسك بالفتح موضع العبادة والمناسك مواضع أركان الحجّ (تفسير السمعاني ج٣: ص٤٥٤).

➔

قربات خاصّة مثل السعي والتقصير والحلق والمبيت بمنى والوقوف بعرفات ورمي الجمار والصلاة في المقام، وغيرها من المناسك المشروعة في الحجّ، فالشيعة لم تقل بان عند قبور أهل البيت عليهم السلام المناسك الخاصة مثل هذه[1]

→

أقول: الظاهر أنّ المناسك لا يختلف معناه باختلاف حركة السين، وعلى أيّ حال فإنّه اسم مكان أو زمان فالمراد به هو المحلّ الذي يعمل فيه عملاً سواء كان العمل عباديّاً أو غير عباديّ، ولذلك هذا اللفظ لابدّ أن يقيّد بقيد حتّى يعرف المقصود منه، إلّا أن يقال: بأنّ الحقيقة الشرعية قرينة قد عينت المعنى الشرعي ولكنّ الاستعمال في غير المعنى الشرعي كثير، فراجع.

(١) لا شكّ أنّ علماء الشيعة الإماميّة قد أجمعوا على تأكّد استحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، ولزوم تعظيم قبورهم والتبرّك بهم والدعاء عندهم قال الشيخ محمد رضا المظفّر في كتابه عقائد الإماميّة: وممّا امتازت به الإماميّة العناية بزيارة القبور - قبور النبيّ والأئمّة عليهم الصلاة والسلام- وتشييدها وإقامة العمارات الضخمة عليها، ولأجلها يضحّون بكلّ غال ورخيص عن إيمان ولهيب نفس، ومردّ كلّ ذلك إلى وصايا الأئمّة، وحثّهم شيعتهم على الزيارة وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى، باعتبار أنّها أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة، وباعتبار أنّ هاتيك القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء والانقطاع إلى الله تعالى. وجعلوها أيضاً من تمام الوفاء بعهود الأئمّة؛ (اذ أنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وأنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم. فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعاؤهم يوم القيامة). وفي زيارة القبور من الفوائد الدينيّة والاجتماعيّة ما تستحقّ العناية من أئمّتنا، فإنّها في الوقت الذي تزيد من رابطة الولاء والمحبّة بين الأئمّة وأوليائهم وتجدّد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحقّ تجمع في مواسمهما أشتات المسلمين المتفرّقين على صعيد واحد، ليتعارفوا ويتآلفوا، ثمّ تطبع في

←

ولو قصد عدم شرعيّة زيارتها و الصلاة عندها و فعل غيرها من الطاعات فقد عرفت ما دلّ على مشروعيّة زيارتها[١].

←

قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى، والانقطاع اليه وطاعة أوامره، وتلقّنهم في مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل البيت عليهم السلام حقيقة التوحيد والاعتراف بقدسيّة الإسلام والرسالة المحمّديّة، وما يجب على المسلم من الخلق العالي الرصين، والخضوع إلى مدبّر الكائنات وشكر آلائه ونعمه، فهي من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الأدعية المأثورة التي تقدّم الكلام عنها، بل بعضها يشتمل على أبلغ الأدعية وأسماها، كزيارة أمين الله وهي الزيارة المرويّة عن الإمام زين العابدين عليه السلام حينما زار قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام. كما نفهم من هذه الزيارات المأثورة مواقف الأئمّة عليهم السلام وتضحياتهم في سبيل نصرة الحقّ وإعلاء الدين وتجرّدهم لطاعة الله تعالى، وقد وردت بأسلوب عربي جزيل، وفصاحة عالية، وعبارات سهلة يفهمها الخاصّة والعامّة، وهي تحتوي على أسمى معاني التوحيد ودقائقه والدعاء والابتهال إليه تعالى، فهي بحقّ من أرقى الأدب الدينيّ بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة وإلأدعية المأثورة عنهم، إذ أودعت فيها خلاصة معارف الأئمّة عليهم السلام فيما يتعلق بهذه الشؤول الدينيّة والتهذيبيّة. ثم إنّ في آداب أداء الزيارة أيضاً من التعليم والإرشاد ما يؤكّد من تحقيق تلك المعاني الدينية السامية ... . (عقائد الإماميّة: ص١٠١).

أقول: هذا قول أحد علماء الشيعة الإمامية الذي أجمع عليه الطائفة، ويكفي للباحث مراجعة كتبهم ورواياتهم، وملاحظة عمل عامّة الشيعة عند قبور الأئمّة عليهم السلام سوف يجد أنّ زيارة المشاهد المشرّفة والقبور المطهّرة عندهم عمل خاص، ومناسك الحجّ في مكّة المكرّمة عمل آخر فكلّ إنسان يميّز يمينه عن يساره يعرف أنّ ما نسبه ابن تيمية الى الشيعة الإماميّة كذب وافتراء محض، فلاحظ.

(١) إنّ مشروعيّة زيارة مشاهد الأنبياء والأئمّة الطاهرين وقبور الصالحين صلوات الله عليهم

→

←

أمر ثابت كتاباً وسنّة، وقد أكدّ عليها الرسول الأعظم ﷺ من خلال الروايات المتواترة، وإنّ زيارة القبور والصلاة لديها والدعاء عندها والتبرّك والتوسّل بها والتقرب إلى الله بهم من الأمور المتسالم عليها بين فرق المسلمين، لأنّها من المسنونات المسلّمة التي تدل عليها الأخبار الكثيرة وسيرة المسلمين من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان فإنّهم كانوا يزورون قبور الأنبياء والمرسلين وأئمة المسلمين والأولياء والصالحين وكلّ عظيم من عظماء الدين وفي مقدّمها قبر النبيّ الأعظم ﷺ، فإنّ الروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جداً، ومتجاوزة عن حدّ التواتر. ولمّا ظهرت بدعة ابن تيميّة قام علماء الإسلام بجمع هذه الروايات، وبيان دلالتها وحجّة إسنادها. فمنهم تقيّ الدين السبكي المتوفّى سنة ٧٥٦ من علماء وفقهاء الشافعية، فإنّه قد جمع ما رواه الحفّاظ في هذا المجال في كتابه شفاء السقام، فبلغت خمسة عشر حديثاً، وقد صحّح كثيراً من أسانيدها بما كان له من اطلاع واسع في مجال رجال الحديث (انظر شفاء السقام في زيارة خير الأنام الباب الأول: ص ٥- ٣٩).

ومنهم: نور الدين عليّ بن أحمد السمهودي المتوفّى سنة ٩١١هـ - وهو أيضاً من علماء الشافعيّة- في كتابه وفاء الوفاء بإخبار دار المصطفى، حيث أحصى سبعة عشر حديثاً. وقد قام بنفس ما قام به السبكي من تصحيح الإسناد والاستدلال بالأخبار على مشروعيّتها واستحبابها (انظر وفاء الوفاء ج٤: ص ١٣٣٦- ١٣٤٨).

ومنهم: الشيخ محمد الفقّيّ المصري من علماء الأزهر فإنّه جمع ما ورد في زيارة النبي الأكرم ﷺ من غير تحقيق للإسناد بل مجرد نقل، فبلغ اثنين وعشرين حديثاً. (انظر كتاب التوسّل والزيارة في الشريعة الإسلاميّة للشيخ محمّد الفقّي: ص ٤٨- ٥٠.).

وقد بذل المجاهد الكبير العلامة الشيخ الأميني قدس الله سره الشريف جهداً كبيراً على إخراج الأحاديث والروايات من كتب الحديث والتفسير والتاريخ؛ الروايات التي أخرجها أئمّة المذاهب الأربعة، وربما نقل بعض الأحاديث كالحديث الأوّل عن واحد وأربعين مصدراً، وذكر اثنين وعشرين حديثاً. ولم يكن يقصد الاستيعاب والاستقصاء

→

ومن الضروريّ كون الشيعة غير عابدين من يزورونه من أهل القبور[1]. وهذه كتبهم تنادي بأنّ الصلاة فوق القبور وإلى القبور وبين القبور

➔

وإنّما أراد بذلك ذكر شطر منها. (انظر كتاب الغدير ج٥: ص ٩٣- ١٠٨).

وهناك روايات كثيرة في استحباب زيارة القبور في السنّة النبويّة فإنّ النبي صلى الله عليه وآله جسّد بعمله مشروعيّة زيارة القبور مضافاً إلى أنّه صلى الله عليه وآله أمر بها وعلَّم كيفيّتها وكيف يتكلّم الناس مع الموتى وآداب الزيارة ونقل الجنائز إلى المشاهد المشرفة، وغير ذلك من الروايات الكثيرة (راجع الغدير ج٥: ص ٦٦- ٢٠٧).

(١) لا يخفى على الخبير أنّ مفهوم الزيارة غير مفهوم العبادة، وأنّ الذين يرمون زوّار قبور أهل البيت عليهم السلام بالشرك قد خلطوا بين المفهومين. فلابدّ أن نقف هنا عند معنى الزيارة والعبادة ولو بشكل إجمالي وبإشارات عابرة، كي تتّضح حقيقة الأمر والفرق بين الأمرين فنقول: إنّ العبادة عبارة عن الطاعة مع الخضوع والتذلّل، ومتمّمها النيّة القلبيّة والعمل البدنيّ والقول اللساني بأمر المعبود؛ إذن لا يقال لمن خضع وذلّ لإنسان إنّه عبده شرعاً؛ لأنّ العبادة هي التذلل الخاصّ شرعاً.

والزيارة عبارة عن الحضور عند المزور، وقيل التشرّف بمحضر عظيم من العظماء حيّاً كان أو ميّتاً.

وبعد وضوح معنى العبادة والزيارة يتّضح للقارئ الكريم معنى التوحيد في العبوديّة فإنّ التوحيد في العبادة عبارة عن أنّه لا معبود إلّا الله.

وبعبارة أخرى: أنّه تجب عبادة الله وحده دون سواه.

وبعبارة أوضح: أنّه لا يستحق غير الله العبادة، لأنّ العبادة تجب أن تكون لمن هو كمال مطلق، ويكون غنيّاً عن الآخرين. وهذا الغنيّ بالذات هو واهب النعم وخالق جميع الموجودات والكائنات، وكلّ ما عداه ممكن الوجود، فكلّ الموجودات يحتاجون إليه وهو غنيّ عن العالمين. وهذه الصفات لا تجتمع إلّا في ذات واجب الوجود الواحد الأحد

🡐

←

القدّوس ربّ العالمين. فهو يستحقّ العبادة لا غيره.

ثمّ إنّ التوحيد في العبادة أصل مشترك بين الشرائع السماويّة، وقد أنزل الله تعالى معناه في القرآن المجيد وأمر نبيّ الأسلام أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بينه وبينهم وهي التوحيد في العبادة فقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (سورة آل عمران: ٦٤). هذه الآية الكريمة قد بينت الحدّ الفاصل بين الموحّد والمشرك الذي يستبشر بعبادة غير الله وبذكر غيره كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ (سورة الزمر: ٤٥) فعلى ضوء القرآن الكريم نعرف بأنّ التوحيد في العبادة أصل اتفقت عليه كافّة الأديان السماوية، غير أنّ هناك موضوعات ربما يتصوّر أنّها من مقولة العبادة لغير الله أو من مصاديق البدعة في الدين، فلابدّ أن تحدّد العبادة وتوضّح كي نعرف حدود العبادة ونعرف معنى التوحيد في العبادة.

أمّا العبادة فهي من الموضوعات التي تطرّق إليها ذكر الحكيم كثيراً، وقد حثّ عليها في أكثر من سورة وآية، وخصّها بالله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا إياه... (سورة الإسراء: ٢٣)، ونهى تبارك وتعالى عن عبادة غيره من الأنداد المزعومة والطواغيت والشياطين، وجعلها الأصل الأصيل بين الشرائع السماويّة كما أشرنا إليه، وكما جعلها الله سبحانه الرسالة المشتركة بين الأنبياء والمرسلين، فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ**﴾ (سورة النحل: ٣٦) فإذا كان هذا الموضوع له أهمية كبيرة غير قابلة للإنكار فجدير بالباحث أن يدرس هذه القضية دراسة علميّة موضوعيّة ليميّز هذا الموضوع عن غيره، لأنّ من الجهلة من يدّعي أنّ كلّ تعظيم وتكريم

←

➔

للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام هو عبادة لهم! وكلّ خضوع أمام الرسول وأهل بيت الرسول شرك! فلا يلتفت الزائر والحاجّ في المسجد الحرام والمسجد النبوي يميناً ولا شمالاً إلّا ويسمع هذه الكلمة: «هذا شرك يا حاج وهذا بدعة و...» وكأنهم لم يحفظوا إلّا تلك اللفظة. فاللازم على هؤلاء أن يعرفوا حدّ العبادة وحقيقتها ليميّزوا مصاديقها عن غيرها. ولمعالجة هذه المشكلة لابدّ لنا من شرح موجز حول موضوع العبادة في اللغة والقرآن، فنقول: إنّه بالرغم من عناية اللغويّين والمفسّرين بتفسير لفظ العبادة وتبيينها نجد هناك مباحث كثيرة حول معنى العبادة وتفسيرها، قال الراغب في المفردات: العبوديّة إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها، لأنّها غاية التذلّل، لا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**...﴾. (سورة الإسراء: ٢٣).

وقال ابن منظور في لسان العرب: أصل العبودية: الخضوع والتذلّل...

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط: العبادة طاعة

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: العبد الذي هو أصل العبادة له أصلان متضادّان والأوّل من ذينك الأصلين يدلّ على لين وذُلّ والآخر على شدّة وغلظة

وقال الخليل في العين: وأمّا عبد يعبد عبادة فلا يقال إلّا لمن يعبد الله... فتعريف العبادة بالخضوع أو غاية الخضوع أو الطاعة تعريف بالمعنى الأعمّ، لأنّ الاحترام والتعظيم للوالد وطاعته والاحترام للأستاذ والخضوع له بل التذلّل أمام الحاكم والقائد لا يعدّ عبادة، ولكن داخل في تعريف اللغويين.

فبالرغم من عناية اللغويين بتفسير لفظ العبادة وتبيينها نجده تعريفاً بأعمّ المعاني وأوسعها وليس مرادفاً للعبادة طرداً وعكساً، وكذا أصحاب التفاسير، فإنّ الباحث لو راجع كتب التفسير يجد أنّهم فسّروا العبادة بنفس ما فسّر به أهل اللغة، أي فسّروها بالمعنى الأعمّ. قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين... إنّ العبوديّة عند جميع العرب أصلها الذلّة وإنها تسمّي الطريق المذلّل الذي قد وطأته السابلة معبّداً... (تفسير الطبرسي ج١: ص٥٣).

🡐

➔

وقال الزمخشري: العبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلّل... (الكشّاف ج١: ص ١٠).

وقال البغوي: العبادة الطاعة مع التذلّل والخضوع ومسمّي العبد عبداً لذلته وانقياده... (تفسير البغوي ج١: ص ٤٢).

وقال ابن الجوزي: المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال: ١- يعني التوحيد (إياك نعبد)، عن عليّ وابن عباس ٢- بمعنى الطاعة كقوله تعالى لا تعبد الشيطان ٣- يعني الدعاء (زاد المسير ج١: ص ١٢).

وقال البيضاوي: العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل، ومنه طريق معبّد أي مذلّل وثوب ذو عبده إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى (أنوار التنزيل ج١: ص٦٦).

وقال القرطبيّ: نعبد معناه نطيع. العبادة: الطاعة والتذلّل (جامع أحكام القرآن ج١: ص ١٤٥).

وقال الفخر الرازي: العبادة عبارة عن الفعل الذي نأتي به لغرض تعظيم الغير، وهو مأخوذ من قولهم: طريق معبّد (تفسير الفخر الرازي ج١: ص ٢٤٣).

أقول: إذا أردنا أن نلخّص هذه التعاريف لابدّ أن نقول: العبادة عبارة عن ١- إظهار التذلّل ٢- الخضوع ٣- الطاعة والخشوع ٤- أقصى غاية الخشوع.

وإذا كان هذا معنى العبادة فليس على أديم الأرض من لا يتذلل أو لا يخشع أو لا يخضع لغير الله سبحانه، فإنّ الولد يخضع أمام والده والتلميذ أمام أستاذه والجنديّ أمام قائده، وليس عبادة لهم وإن بالغوا في الخضوع والتذلّل حتّى لو قَبّل الولد قدم الوالدين فلا يعدّ عمله عبادة، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ**﴾ (سورة الإسراء: ٢٤).

وأوضح دليل على أن الخضوع المطلق وإن بلغ النهاية لا يعدّ عبادة هو أنّه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُوا لآدَمَ**﴾... (سورة البقرة: ٢٤)، مع أنّ هذا السجود لم يكن عبادة لآدم وإلا لم يأمر به الله سبحانه، إذ كيف يأمر عباده بعبادة غيره وفي الوقت نفسه ينهى عنها بتاتاً في جميع الشرائع كما قال تعالى:

➔

➔

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾... (سورة الإسراء: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾... (سورة فصلت: ١٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾... (سورة النحل: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٥)، وإلى غير ذلك من الآيات الكريمة، فكيف يأمر ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام مع أنّ السجود من مصاديق الخضوع النهائي؟! وهذا الإشكال لا يندفع إلا بنفي كون الخضوع حتى في نهاية أمره، عبادة. بل وفي قضيّة يوسف الصدّيق كان نظيره؛ فقد سجد له أبواه وإخوته عندما تحقّق تأويل رؤياه. قال سبحانه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (سورة يوسف: ١٠٠)، ومع هذا كيف يصح تفسير العبادة بالخضوع أو نهايته؟! ثمّ إنه تبارك وتعالى قد أمر المسلمين بالطواف حول البيت الذي ليس إلا حجراً وطيناً، كما أمرهم بالسعي بين الصفا والمروة فقال تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ١٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (سورة البقرة: ١٥٨)، فهل الطواف حول مقدار من التراب والجبال والحجر عبادة لهذه الأشياء بحجّة أنّه خضوع لها؟!!!

فإنّ الشعائر الإلهية في مناسك الحج تدل بوضوح على أنّ مطلق الخضوع والتذلّل لغير الله ليس عبادة لغيره.

وعليه فلا مناص من القول بأنّ العبادة ليست إلا نوعاً خاصّاً من الخضوع، وهو الخضوع للذي يتّخذه الخاضع إلهاً، كما قال الشيخ محمّد جواد البلاغي في كتابه آلاء الرحمن: العبادة ما يرونه مشعراً بالخضوع لمن يتخذه الخاضع إلهاً، ليوفيه بذلك ما يراه له من حقّ الامتياز بالألوهية (آلاء الرحمن: ص٥٧) فالعبادة عبارة عن الخضوع للشيء على أنّه ربّ، فالعبادة

➔

مكروهة[(١)]

←

من شؤون الربوبيّة، ولذلك قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ (سورة المائدة:٧٢) فإنّ المسيح عيسى بن مريم أمر بني إسرائيل بعبادة الربّ لأنّ الاعتقاد بالربوبيّة يلازم ويقترن بالعبادة، فالعبودة تلازم الاعتقاد بالربوبية لأنّ الاعتقاد بالربوبية يلازم الاعتقاد بالإلوهية ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء:٩٢) أي لهذه الجهة فاعبدون وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (سورة آل عمران:٥١) فالخضوع المقرون بهذا الاعتقاد يضفي إليه عنوان العبادة.

إذا عرفت ذلك يتّضح لك الفرق بين العبادة والزيارة لأنّ الزيارة هي الحضور عند المزور وتكريمه واحترامه. وإن بلغ ذلك إلى نهاية التذلّل لا يصدق عليها العبادة لأنّ العبادة لابدّ أن يكون الخضوع فيها مع الاعتقاد بالربوبية. إذن فزيارة قبور الأئمة الطاهرين وتقبيل أضرحتهم وأبواب مشاهدهم التي تضمّ أجسادهم الطاهرة ليست عبادة ولا شركاً، كما أنّ زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء وعباد الله الصالحين كذلك، فإنّ ذلك ليس عبادة لصاحب القبر ومشهده؛ لفقدان عنصر العبادة التي تفصل بين العبادة والزيارة فلاحظ.

(١) وإليك نصّ ما جاء في كتبهم: قال العلامة الحلي رضوان الله تعالى عليه: الخامس تكره الصلاة في المقابر سواء تكرّر الدفن أو لا، ونقل الشيخ عن بعض علمائنا البطلان. ولو جعل بينه وبين القبر حائلاً أو تباعد عنه بمقدار عشرة أذراع زالت الكراهية والمنع، ولو نقل الميت من قبر جازت الصلاة عليه. السادس السجود على القبر وأن يصلي إليه ومنع ابن بابويه منها.... (تحرير الأحكام ج١: ص١٧٧).

وقال في كتابه المنتهى: وتكره الصلاة في المقابر ذهب إليه علمائنا وبه قال علي عليه السلام وابن عباس، وابن عمر وعطاء والنخعي وابن المنذر، وقال الشافعي إن علم أنّه قد تكرر الدفن في القبر ونبش لم يجز الصلاة عليه ولو صلّى بطلت وإن كان جديداً لم ينبش كرهت

→

←

الصلاة عليه... وقال أحمد لا تجوز الصلاة مطلقاً. لنا على الجواز قوله عليه السلام: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وهو يدلّ بمفهوم إطلاقه على صورة النزاع، وما رواه الشيخ في الصحيح عن معمّر بن خلاد عن الرضا عليه السلام قال: لا بأس بالصلاة بين المقابر ما لم يتّخذ القبور قبلة... (منتهى المطلب ج٤: ص٣١٣).

وقال صاحب الحدائق: منها (أي من المواضع التي تكره الصلاة فيها) القبور. والمراد الصلاة عليها أو إليها أو بينها، والمشهور بين الأصحاب الكراهة في الجميع، وعن الشيخ المفيد (قدّس سره): إنّه لا يجوز الصلاة إلى شيء من القبور حتّى يكون بين الإنسان وبينه حائل ولو قدر لبنة أو عنزة منصوبة أو ثوب موضوع... (الحدائق الناضرة ج٧: ص٢١٦)

وقال صاحب الجواهر: تكره الصلاة بين المقابر على المشهور بين الأصحاب نقلاً وتحصيلاً، بل عن الغنية وظاهر المنتهى الإجماع عليه جمعاً بين ما يقتضي الجواز، من الأصل والإطلاقات والإجماع السابق المعتضد بما عرفت، و... (جواهر الكلام ج٨: ص٣٧٠)

وقال المحقّق النراقي: ومنها (أي من المواضع التي تكره فيها الصلاة) بين القبور وعليها وإليها على الأظهر الأشهر... (مستند الشيعة ج٤: ص٣٦٠).

وقال المحقّق النائيني: إعلم أنّ هنا عناوين أربع: الصلاة في المقابر، والصلاة بين القبور، والصلاة على القبر، والصلاة إلى القبر، وقد ورد المنع عن كلّ هذه العناوين... [ثم ذكر الأدلّة الدالّة على الجواز...] (انظر تقرير بحث الصلاة للمحقق النائيني ج١: ص٤١٥).

وقال السيد الخوئي: تقدّم أنّ الممنوع في لسان الأدلّة ولو على سبيل الكراهة إنّما هو الصلاة في المقابر أو بين القبور، أمّا الصلاة خلف القبر فلا مانع إلّا إذا اتخذه قبلة، ومع تسليم الكراهة فيستثنى من ذلك مراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فقد نطق النصّ بجواز الصلاة خلف قبورهم، ففي مكاتبة الحميري: ... وأمّا الصلاة فإنّها خلفه ويجعله الإمام، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه لأنّ الإمام لا يتقدّم، ويصلي عن يمينه وشماله... (محاضرات كتاب الصلاة للسيد الخوئي ج٢: ص٢٢٩).

أقول: إنّ المحصّل من كلمات علماء الشيعة كراهة الصلاة في المقابر، ولكن الأدلّة

→

وتصوير القبور عندهم محرّم[(١)]. فما نقله السني هنا من السنة بزعمه ليس له دخل بما جرت عليه سيرة الشيعة من زيارة القبور ومن تعظيم من دفن فيها[(٢)].

➔

المرغّبة إلى الصلاة في جوار الأنبياء والمرسلين والأئمّة الطاهرين والصالحين تخصّص تلك العمومات، وذلك لأنّ للصلاة في مشاهدهم مصلحة تغلب على الغضاضة الموجودة في الصلاة في المقابر، فلاحظ.

(١) لم أعثر على فتوى أحد من فقهاء الشيعة الإمامية على تحريم تصوير القبور، ولعلّ المقصود به هنا تحريم تصوير صاحب القبر كما أنّ بعض الناس يرسمون صورة صاحب القبر على الصخرة التي توضع على القبر. وحينئذ يدخل البحث في باب حكم تصوير ذوي الأرواح، فإنّ المشهور عند علماء الشيعة الإمامية حرمة تصوير ذوات الأرواح ومن جملة ذلك تصوير الإنسان، فيشمله قوله عليه السلام: من مَثّل تمثالاً كلّف الله يوم القيامة أن ينفخ فيه الروح (الكافي ج٦: ص٥٢٧، ج٤)، وقوله عليه السلام: إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّر، يصوّر التماثيل (منية المريد للشهيد الثاني: ص١٣٧ ومستدرك الوسائل ج١٣: ص٢١٠). وعلى أيّ تقدير فالمسألة واضحة عند الخبير، وكلمات علماء الشيعة موجودة في كتبهم، وسيرة الشيعة وعملهم في زيارة المشاهد والصلاة فيها واضحة لايحتاج إلى البحث، فلاحظ.

(٢) فإنّ زيارة المشاهد المقدّسة والمراقد المشرّفة التي دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه المرضيين صلوات الله عليهم أجمعين من تعظيم شعائر الله وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (سورة الحج: ٣٢٠) وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ**﴾ (سورة الحج: ٣٠). فإنّ من أبرز مصاديق تعظيم النبي صلى الله عليه وآله، وكذا أبرز مصاديق المودّة في القربى التي جعلها الله تعالى أجر الرسالة هي زيارة قبورهم وتشييدها وتعظيمها، وإنّ القرآن الكريم قد اريد وأقرّ مسألة التعظيم ببناء

➔

وعاشرها: ما زعمه من قوله والله سبحانه أمر بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد فإنّه من عجيب كذبه على الله، لانّ قوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1] شامل لعامّة البيوت التي يذكر

➔

المسجد في مشاهد الأولياء كما في قصة أصحاب الكهف، حيث قال تعالى عن لسان الذين غلبوا على أمرهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ (سورة الكهف: ٢١) فإن كان هذا العمل شركاً بالله تبارك وتعالى كان على الله أن ينهى عنه ويحذّر المؤمنين عن ذلك، ولكن الله تبارك وتعالى ذكره بعنوان عمل إيجابي مطلوب للمؤمنين. فإذا كان هذا العمل والتعظيم بالنسبة إلى أصحاب الكهف عمل محبوب عند الله تبارك وتعالى فما ظنّك بتجليل وتعظيم النبي الأعظم وأهل بيته المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً فإنّ تعظيم آل النبي صلوات الله عليهم أجمعين أولى وأوجب، لأنّهم أعلام آيات الله وأنّهم الذين اختُصّوا بالعصمة، وبانتمائهم وانتسابهم لرسول الله ﷺ وأنّ لحمهم لحمه ودمهم دمه وحربهم حربه وسلمهم سلمه كما وردت النصوص بهذه المضامين في مصادر المسلمين، وسنذكرها إن شاء الله للقارئ الكريم في محله.

ثمّ إنّ رسول الله ﷺ كان يحبّهم ويحبّ من يحبّهم ويبغض من يبغضهم، ناهيك عن وجوب مودَّتهم التي أوجبها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم فإنّ من يزور قبورهم فهو ممّن رزقه الله حبّهم، وهو في زمرة أحبّائهم يوم القيامة ويشمله جميع ما جعله الله للمحبّين لهم من الشفاعة والفوز بالجنّة، فلاحظ.

(١) سورة النور: ٣٦. هذه الآية المباركة مرتبطة بالآية التي سبقتها وهي التي ذكرت لله تعالى خصائص نوره وهو نور الهداية والإيمان كما ذكره المفسّرون، لأنّ «في بيوت» جار ومجرور متعلق بالمشكاة، والمشكاة هو المصباح الذي تكون إضائته قويّة. فبيّن تبارك وتعالى من خلال تشبيهه بمصباح قويّ الإضائة حقيقية الإيمان، ثمّ بيّن سبحانه وتعالى في الآية التالية أنّ هذه المشكاة تقع في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه، والمراد

➔

➔

بالرفع رفع القدر والمنزلة، وذلك لأجل أنّ هذا المقام العظيم مأمون من الشياطين والأعداء والانتهازيين، بل يُذكر فيها القرآن والحقائق الإلهيّة، لأنّ هذه البيوت حصّنت بأمر من الله، وفيها رجال أشدّاء في حفظ الدين يحفظون هذه المصابيح النيّرة. فالآية الكريمة بيّنت أنّ لهذه البيوت عدّة خصائص ١- أنّها شيّدت بأمر من الله تبارك وتعالى ٢- أنّ جدرانها رفعت وأحكم بنائها لتمنع تسلّل الشياطين ٣- أنّها مركز لذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولا تلهيهم المظاهر الدنيوية عن ذكر الله ٤- أنّ في هذه البيوت رجالاً يحرسونها ليلاً ونهاراً ويسبّحون الله، ولا تلهيهم الجوانب الدنيويّة عن ذكر الله.

فهذه الاستعارات والكنايات تكشف لنا حقيقة هامّة، وهي أنّ طريق الهداية الإلهيّة محصورة في هذه البيوت النيّرة، ولابدّ لنا أن نكشف حقيقة هذه التشبيهات ونعرف المقصود من ذلك. فنقول: إنّه لابدّ لنا أن نعرف أوّلاً ما المراد من هذه البيوت؟ ثم نعرف ما المراد من رفعها..

أمّا الأمر الأوّل: فقد روي عن ابن عباس أنّه قال: إنّ المراد بها هي المساجد، فإنّها تكرم وينهي عن اللغو فيها ويذكر فيها اسمه.

لكن يجب علينا- في المقام- التأمّل في هذا التعبير، حيث إنّ الظاهر أنّ المساجد بيان لأحد المصاديق للبيوت التي فيها هذه الخصائص، إذ بيوت الأنبياء أيضاً تكون لها هذه الخصائص. ثمّ إنّ المساجد يستحبّ أن تكون عمارتها مكشوفه وغير مسقّفة، فأفضل المساجد الأربعة هو المسجد الحرام الذي نراه بالحسّ والعيان قد بني مكشوفاً، والبيت لا يطلق حقيقة على المكان المكشوف، بل هو عبارة عن المكان الذي يكون له سقف وظهر، قال الله تعالى: ﴿**لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ**﴾ (سورة الزخرف:٣٣) وقال تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**﴾ (سورة البقرة:١٨٩) مضافاً إلى أنّ هذه القضيّة واضحة بملاحظة العرف، لأنّه يطلق على بيوت الأعراب وعلى خيامهم الموجودة في البادية، ولا يطلق على نفس البادية لكونها مكشوفة بخلاف الخيام فيها فإنّها مسقفة، لأجل ذلك ما تكاد تجد في القرآن الكريم موضعاً أطلق

🡐

←

فيه البيت على المسجد بخلاف الكعبة فإنّها حيث كانت مسقّفة أطلق عليه البيت في مواضع شتّى قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ (سورة المائدة: ٩٧) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (سورة الحج: ٣٣) وإلى غير ذلك من الآيات، فالمراد بها غير المساجد بل البيوت المشرَّفة التي أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه، وبيوت الأنبياء والأولياء من أوضح مصاديقها لما خصّ الله تعالى هذه البيوت وأهاليها بمزيد الشرف والكرامة، فقد قال تعالى: عن البيت النبوي وأهله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة الاحزاب: ٣٣). وهذا البيت نظير بيت إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قالت الملائكة في شأنه لإمرأة ابراهيم: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (سورة هود: ٧٣). ولأجل ذلك نرى السيوطي ذكر في تفسير هذه الآية بعد نقل ابن عباس عن مجاهد أنّ المراد من البيوت في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ ... هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية، فقام اليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام اليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذه البيت منها؟ (يعني بيت عليّ وفاطمة) قال: نعم من أفاضلها (الدر المنثور ج٥: ص٥٠)، وراه الثعلبي في تفسيره ج٧: ص١٠٧. والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص٤٤٩ وغيرهم. وأمّا المراد من الرفع فقد ذكر له معنيين الأوّل: أذن الله أن ترفع تلك البيوت بالبناء والعمارة للعبادة التي وردت في نفس الآية في ذكر اسمه تعالى فيها، والتسبيح فيها بالغدو والآصال، ويدلّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٧). الثاني: أنّ المراد من الرفع هو تعظيمها وتوقيرها. فلو كان المراد هو الأوّل لكان نصّاً صريحا في المطلوب، وهو البناء على القبور التي في بيوتهم. ولو كان المراد الثاني كان نصّاً في توقيره وتعظيمه وتكريمه، ومن المعلوم أنّ عمارة البيت صونه عن الخراب بتعميره وتحديد بنائه وفرشه

←

فيها اسمه[١]. ومن أفضلها البيوت التي فيها قبور أوليائه وأصفيائه وأحبّائه.

➔

بالسجاجيد والاسراج فيه وتزيينه بغير ما نهى الله عنه والدفاع عن قصد تخريبه وهدمه توفيرا وتعظيماً له كما يكون ستر الكعبة المعظمة من الاستار الثمينة تعظيماً لها عرفا وكل ذلك تكريماً للبني الاكرم وتعظيماً له حتى تتحقق بها ايضاً الغايات التي ذكرتها الآية الكريمة من ذكر اسم الله والتسبيح له بالغدو والاصال. فعلى كلا المعنيين أنّ القضية راجعة إلى المشاهد المشرفة.

(١) وبعبارة أوضح: اختصاص البيوت بالمساجد خلاف لظاهر القرآن الكريم، لأنّ من الواضح أنّ المساجد هي بيوت الله عزّوجلّ فحمل مطلق البيوت على بيوت الله خلاف لظاهر القرآن الكريم. ثمّ إنّ البيوت في القرآن الكريم جاءت في مقابل المساجد؛ لأنّ المسجد الحرام غير بيت الله الحرام، فالبيوت في هذه الآية الكريمة يراد منها بيوت الأنبياء كما ورد في الحديث الذي نقله السيوطي في تفسيره ج٥: ص ٥٠ وغيره، وخاصّة بيت الرسول الأكرم ﷺ وذريّته الطاهرة كما هو الظاهر من حديث أنس الوارد في تفسير هذه الآية الكريمة وقد ذكر الآلوسي هذا الحديث في تفسير الآية الكريمة، واليك نصّ عبارته: وأخرج ابن مردوية عن أنس وبريدة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (فِي بُيُوت...) فقام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال ﷺ: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها (وأشار إلى بيت علي وفاطمة)؟ قال: نعم من أفاضلها.

ثم قال الآلوسي بعد نقل هذا الحديث: وهذا إن صحّ لا ينبغي العدول عنه (تفسير الآلوسي ج١٨: ص ١٧٤).

أقول: ولو كان عنده دليل على عدم صحّته لجاء به فيعرف أنّ المقصود بالبيوت هي بيوت الأنبياء، ومن أفاضلها بيت النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فلاحظ.

فقد أذن سبحانه برفعها وتعظيمها وزيارة من دفن فيها[(١)].

---

(١) لا شكّ أنّ حرمة الأنبياء والأولياء والصالحين ميّتين كحرمتهم أحياءً، فإنّ حرمة النبيّ صلّى الله عليه وآله بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته. قال القرطبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ...**﴾ نقلا عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال: اعلم أنّ حرمة النبي بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على الحاضر أن لايرفع صوته عليه ولايعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفّظه به وقد نبّه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة.... (تفسير القرطبي ج١٦: ص٢٠٧).

فحرمة النبيّ صلّى الله عليه وآله ميّتاً كحرمته حيّاً، وكذلك الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

وتوضيح المقام: أنّ من يلاحظ بناء صرح هذا الدين القيّم في أصوله وفروعه، ويتفكّر في تشريعاته للعبادات والمعاملات، ويتأمّل في سياسته في إدارة النفس والبيت والمدينة، وفي مجموع آداب الإسلام من المستحبات والمكروهات يدرك بيقين أنّ هذه القوانين والتشريعات إنّما قامت على أساس الحكمة الإلهية البالغة والرحمة الواسعة السبحانيّة.

ومن الطبيعيّ أنّ إدراك الحكمة في قوانين الدين والشرع إنّما ينتج سعادة الإنسان في عوالم حياته كلّها، بل الإنصاف يقتضي أن نقول بأنّ إدراك الحكمة بشكل كامل لحكم شرعيّ واحد ييسّر للإنسان هذا المعنى؛ لأنّ هذا الحكم جزء من برنامج الإنسان في عوالم حياته جميعاً.

فقواعد الحلال والحرام التي يقوم عليها صرح الدين ودعائمه لابدّ له من مشيّد يشيّد هذا الصرح العظيم ويعضده ويرفع أعلامه. والآية الكريمة تبيّن هذه الحقيقة من خلال بيان أنّ النور الإلهيّ الذي يضيء في أقصى درجات الإضائة حيث مثّله تعالى بالمشكاة والمصباح لأنّه أقوى وسيلة للإضائة، فإنّما جعله الله تعالى في بيوت تكون صرحها عالية لكي تكون في مأمن من الشياطين والأعداء، ويذكر فيها الحقائق التي جاءت من قبل الله تعالى. وعليه فليس المراد من لفظ البيوت المساجد، لأنّ المساجد ليس لها هذه الخصوصية، بل المراد بيوت الأنبياء، وخاصّة بيت الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وذريته الطاهرة

←

➔

الذين بذلوا جهدهم في ترويج الدين وإقامة صرحه وتشييد دعائمه وأُسسه. فالقرآن الكريم اعتنى اعتناءً خاصّاً بهذه البيوت، لأنّ أصل الهداية إنّما تنشأ منها فلها أهمية قصوى في حياة الإنسان، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى برفعها وتعظيمها إرساء عمارة تلك المشاهد المشرّفة وزيارة من دفن فيها تعظيماً لمقامهم الشامخ وكرامة لمنزلتهم العظيمة عند الله فإنّهم عباد مكرمون.

فالشيعة يقفون أمام قبورهم ويسألون الله عز وجل بحقّهم وشأنهم عنده، ويدعون الله فيستجاب لهم، لأنّ الله تعالى قد جعل لبعض الأماكن شرفاً ومنزلة، وأحبّ أن يدعوه المؤمن في هذه الأماكن المقدّسة كما أحبّ أن يدعوه عند المسجد الحرام وبيت الله الحرام.

إذن فالشيعة الإماميّة يتعاملون مع المدفونين في تلك البقاع المقدّسة معاملة الأحياء لا الأموات، ولذلك يقولون في زياراتهم: أشهد أنّك تسمع كلامي وتردّ سلامي وترى مقامي وأنّك حيّ عند ربّك ترزق. ويجعلون أضرحتهم مورداً للاستشفاء بإذن الله تعالى. هذا الاعتقاد بهم نفس الاعتقاد بهم في حياتهم عليهم السلام، فهم يتعاملون معهم إذ هم أحياء فلا فرق بين أحيائهم وأمواتهم صلوات الله عليهم والدليل على ذلك الروايات المعتبرة عند الفريقين، وسنتعرض لها إن شاء الله في محله. ولذلك أنّ خديجة بنت خويلد قد طلبت من النبي صلى الله عليه وآله أن يكفّنها ببردة تبرّكاً بها، ولتحميها من هول المطلع من القبر وحالاته، وفعلاً قد استجاب لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فكفّنها ببردته.

وهذا زهير بن أبي سلمى خلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بردته فقبّلها متبرّكاً بها بعد أن مدحه بقصيدته التي سمّيت بالبردة. والكميت الأسدي الشاعر المعروف حين ألقى قصيدته على الإمام الباقر عليه السلام أعطاه الإمام مالاً، فرفض الكميت أخذها وقال ما مدحتكم للدنيا فإنّ جزائي أريده من الله، وطلب من الإمام عليه السلام قميصه أن يعطيه تبرّكاً، حيث إن القميص قد مسّ جسده الطاهر عليه السلام، وفعلاً قد أعطاه الإمام عليه السلام. وإلى غير ذلك من القضايا المسلّمة في التاريخ و التي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

والعجب من السنّي حيث حملها على خصوص المساجد بدون قرينة ولفظها عامّ شامل لعامّة البيوت التي يذكر فيها أسمه، مثل بيوت الرسل وبيوت خلفائهم وخيار متابعيهم المشغولين في تشييد الدين وطاعات ربّ العالمين[(١)].

---

(١) لا يخفى أنّ القرآن الكريم قد بيّن حقيقة ملموسة في هذه الآية الكريمة وما قبلها بحيث لا يمكن إنكارها، فإنّ في تمثيل الله تعالى حقيقة صارخة متجسّدة للعيان وهي علوّ مقام أهل البيت عليهم السلام، فقال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ ثم بيّن تعالى معناها كيلا يظنّ أهل الجاهليّة أنّها بيوت مبنيّة، فقال تعالى: ﴿**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾.... ومعناه أنّ من طلب الكمال والسعادة الأبديّة فقد أدركها في هذه البيوت، إذ في هذه البيوت رجال يحرسون دين الله ليلاً ونهاراً وهم يسبّحون الله، ولا تلهيهم الجوانب الدنيويّة عن ذكر الله. ومعنى ذلك: أنّ من طلب العلم والحكمة في هذه الدنيا فليأت هذا البيوت ويكسبها من صاحبها. فالتعبير بالبيوت كناية عن استحكام هذه الشريعة ومعارفها بعد كونها في أيدي هؤلاء الرجال الذين هم قادة الدين وحماته، فإنّ البيت مكان أمن للناس، فإنّ ذكره هنا كناية عن أنّ معارف الدين في أيدي هؤلاء الرجال مأمونة، كما أنّ التعبير بالبيوت جاء كناية في قوله تعالى: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾... (سورة البقرة: ١٨٩) فإنّ المقصود ليست البيوت المبنية من الحجر والطين بل إنّها كناية عن محل الأمن حيث إن البيت هو محل للأمان من الضرر المالي والنفسي وغير ذلك، فمعنى هذه الآية أنّه إذا أردتم الأمان فاطلبوه عن طريقه الصحيح.

قال الفخر الرازي: فالمراد من قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**﴾: يعني أنّكم لمّا لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكّين في حكمة الخالق، فقد أتيتم الشيء لا من البرّ ولا من كمال العقل، إنما البرّ بأن تأتوا البيوت من أبوابها فتستدلوا بالمعلوم المتيقّن وهو حكمة خالقها على هذا المجهول فتقطعوا بأنّ فيه حكمة ←

ومن هذه الجهة قال سبحانه مخاطباً لزوجات سيد رسله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾(١) وروى

➔

بالغة وإن كنتم لا تعلمونها. فجعل إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسّك بالطريق المستقيم و هذا طريق مشهور في الكناية، فإنّ من أرشد غيره إلى الوجه الصواب يقول له: ينبغي أن تأتي الأمر من بابه وفي ضدّه يقال: إنّه ذهب إلى الشيء من غير بابه. قال الله تعالى: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٧) وقال: ﴿اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ﴾ (سورة هود: ٩٢)، فلمّا كان مشهوراً معتاداً في الكنايات ذكره الله تعالى هاهنا... (تفسير الفخر الرازي ج٥: ص ١٠٨).

فالبيوت في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ كناية عن السور المستحكم للعلم والمعارف الإلهيّة، فالبيوت التي تصدر منه الشريعة والدين بيت مستحكم من جميع الجهات، لأنّ فيها رجال حرّاس يناسبون مع عظمة البيوت. وعليه فمن طلب المعارف الربانيّة فليأت هذه البيوت. ولهذه الجهة قال النبيّ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه أنا مدينة العلم وعليّ بابها، (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٦)، وقال صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه: أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها (أنظر تاريخ بغداد ج١: ص ٢٠٤)، لأنّ النبيّ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه أراد أن يبيّن نفس معنى الآية الكريمة، فإنّ المدينة كناية عن مخزن العلم والمعرفة، فمن أراد ذلك فلابدّ أن يأتيه من طريقه الصحيح، ولذلك ورد عن النبيّ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه قال: أنا مدينة الجنّة وعليّ بابها، فمن أراد الجنّة فليأتها من بابها (مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلي: ص ٧) فالآية الكريمة تدلّ على أنّ البيوت التي تربّي أبنائها على العلم والحكمة والمعرفة فمن دخلها فهو في الأمن بالإسلام، فلاحظ.

(١) سورة الأحزاب: ٣٤. فإنّ المراد بالبيت ليس بيت الطين والخشب، لأنّه لا خصوصيّة للبيوت المصنوعة من الطين والخشب ونحوهما بل الخصوصية انّما في الذكر الذي يكون في البيوت من تلاوة القرآن.

➔

السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه في تفسير آية المقام عن أنس بن مالك وبريدة عن رسول الله ﷺ أنّه بعد ما قرأها قام إليه رجل فقال: يا رسول الله أيّ بيوت هذه؟ فقال بيوت النبيّين فقام اليه أبو بكر فقال: يا رسول الله بيت عليّ وفاطمة منها؟ قال: من أفاضلها[1]

فتفسير الخبر لها بذلك يؤيد عمومها اللفظي[2].

➔

فالمراد من ذكرهنّ الذكر الذي يقابل النسيان، وهو تأكيد شديد بمنزلة الوصيّة والأمر بإتيان التكاليف الخاصّة لهنّ، ومعنى ذلك أن احفظن ما يتلى عليكنّ في هذه البيوت المكرّمة بأهلها، لأنّ هذه البيوت محلّ تردّد حاملي القرآن والحكمة، فتعلّموا منهم القرآن والحكمة، ولا تغفلوا عنهم ولا تخطئن بعدم التبعيّة لهم فعليكنّ أن تسرنّ على مسير هؤلاء. قال الآلوسي: واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ.... أي تذكّرن ولا تنسين ما يتلى في بيوتكّن من آيات القرآن والحكمة وهي السنّة. حكاه عبد الكريم الشهرستاني في أوائل تفسير مفاتيح الأسرار (تفسير الآلوسي. ج٢٢: ص٢٠). فمعنى البيت أي المحلّ الذي يتلى فيه القرآن، فالبيت أطلق على المحلّ لا البيت المصنوع.

(١) الدر المنثور للسيوطي ج٥: ص٥٠. ورواه الثعلبي في تفسيره: ج٧: ص١٠٧، والحاكم الحكساني في شواهد التنزيل ج١: ص٥٣٣، والآلوسي في تفسيره ج١٨: ص١٧٤ وكتاب مناقب الإمام علي بن أبي طالب لأبي بكر بن مردويه الإصفهاني: ص٢٨٣ ج٦١، وغيرهم.

(٢) وذلك لأنّ المراد بالمساجد في الآية الكريمة لو كانت المساجد المبنيّة والعمارة الخارجيّة لم يكن وجه للروايات الواردة في تفسير الآية الكريمة، فانّ الروايات المفسّرة ذلك ببيوت الأنبياء دليل على أنّ المقصود بالمساجد ليس المساجد الخارجيّة.

ثمّ إنّ تفسيرها بخصوص البيوت يحتاج الى الإثبات والدليل. وإنّ العموم يدلّ على ذلك بظاهر اللفظ، كما لايخفى ذلك على الخبير.

ويدلّ على ذلك بطريق أولى مادلّ على زيارة مطلق القبور فكيف بزيارة قبور سادة المسلمين وقادتهم إلى الحقّ المبين[1].

---

(١) لقد ورد في السنّة الصحيحة المتّفق عليها الأمر بزيارة القبور والحثّ عليها، وأصفقت أعلام المذاهب الإسلامية على الفتيا بمفادها، وأنّها تستحبّ، فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ... (صحيح مسلم ج٣: ص٦٥ كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربّه عزّ وجلّ في زيارة قبر أمّه). وأخرج الحاكم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروا القبور، فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة ... (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٧٥) ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٧) وأخرج الحاكم أيضاً بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن شاء أن يزور قبراً فليزره، فإنّه يرقّ القلب ويدمع العين ويذكّر الآخرة (المستدرك على الصحيحين. ج١: ص٣٧٦)، ورواه النسائي في سننه الكبرى ج١: ص٦٥٤.

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّ فيها عبرة (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣٨). ورواه الحاكم في المستدرك ج١: ص٣٧٥، والبهيقي في سننه الكبرى ج٤: ص٧٧، والهيتمى في مجمع الزوائد. ج٣: ص٥٨، وغيرهم. وأخرج الهيثمي بسنده عن ثوبان قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفاراً لهم (مجمع الزوائد ج٣: ص٥٩) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٢: ص٩٤، والمتقي الهندي في كنز العمّال ج١٥/ ص٦٥٣، وغيرهم. وأخرج مسلم في بسنده عن عطاء بن يسار عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ كلّما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللّهم اغفر لأهل بقيع الغرقد (صحيح مسلم

←

←

ج٣: ص٦٣ كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها). ورواه أحمد في مسنده ج٦: ص١٨٠، والنسائي في سننه ج ٤: ص٩٤، والبيهقي في سننه الكبرى ج ٤: ص٧٩، وغيرهم.

وأخرج الهيثمي بسنده عن عائشة قالت: إنّ النبيّ ﷺ نهى عن زيارة القبور، ثمّ رخّص فيها، أحسبه قال: فإنّها تذكرة الآخرة (مجمع الزوائد ج٣: ص٥٨).

وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن عائشة قالت: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم قال: زوروها، فإنّ فيها موعظة (تاريخ بغداد ج١٤: ص٢٣١)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا المجال من طرق أهل السنة، فإنّها صريحة في أنّ زيارة مطلق القبور أمر مستحبّ وسنّة نبويّة ثابتة عند علماء أهل السنّة وحفّاظهم، وسيرة المسلمين جارية عليها. قال الشيخ محمد بخيت في كتابه ما هذا نصّ عبارته: نستحبّ زيارة قبور الصالحين من حيث الجملة، ونرجوا البركة بزيارتها أكثر مما نستحبّ زيارة مطلق القبور، وأمّا من يقطع ببركته كقبور الأنبياء ومن شهد الشرع له بالجنّة فيستحب قصده. ثمّ هم في ذلك على مراتب، أعظمهم النبي ﷺ، كما أنّ المساجد المشهود لها بالفضل على مراتب، أعظمها المسجد الحرام ... (تطهير الفؤاد: ص٧٦).

قال أحمد دحلان: قد صرّح كثير من العارفين أنّ الوليّ بعد وفاته تتعلّق روحه بمريديه، فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات. قال: وممّن صرّح بذلك... عبد الله بن علوي الحدّاد فانّه قال الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته، لأنّه في حياته كان مشغولاً بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرّد، والحيّ فيه خصوصيّة وبشريّة ... (شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني: ص١٤٩).

وقال النبهاني أنّه قال الفخرالرازي: إنّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قويّ النفس كامل الجوهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير في نفسه حين حصل من الزائر تعلّق بزيارة تلك التربة فلا تخفى ان لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة ايضاً فحنيئذ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الانسان الميت ملاقاة بسبب اجماعهما على تلك التربة وينعكس

←

ثم السّني زعم أنّ المشهد عبارة عن القبّة المبنيّة على القبور، وذلك وهم منه عجيب غريب لعدم وجود مأخذ لذلك البتّة[(١)].

بل العرف العام يطلقون المشهد على المحل المدفون فيه إمام من

الشعاع من كل واحدة منها إلى الاخرين فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي في المعارف والبراهين والعلوم الكسبيه والاخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضاء بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور على روح ذلك الانسان الميت وكل ما حصل في ذلك الانسان الميت من العلوم المشرفة والآثار القوية الكاملة ينعكس من النور إلى روح هذا الحي الزائر ... (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلقﷺ : ١٥١ نقلا عن الفخر).

(١) الظاهر انّ لفظ «المشهد» لغة بمعنى المحضر فتقول مشهد الناس أي محضر الناس، قال الطريحي: المشهد بمعنى المحضر، يقال: بمحضر فلان، وبمحضر القاضي أي المشهد (مجمع البحرين ج١: ص٥٣) وقد يستعمل بمعنى المنظر كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة مريم: ٣٧)، وهو مشهد يوم القيامة وما يشاهد الإنسان ممّا يقع تحت نظره من مشهد رهيب، وقد يستعمل بمعنى محلّ الشهادة باعتبار أنّ الأرض تشهد لمن قتل فيها. وقد يستعمل بمعنى محل اجتماع الناس فيقال: فجيئوا به على مشهد الناس. فالاستعمال الغالب هو أنّ لفظ مشهد بمعنى المجمع من الناس فيقال: مشاهد مكّة المكرمة: والمراد به المواطن التي يجتمع بها الناس. فأصل المشهد من شهد يشهد شهادة فهو إمّا مصدر ميمي أو اسم مكان، فعلى أي حال فإنّ إطلاق هذا اللفظ على الأضرحة المقدّسة لأولياء الله من باب اجتماع الناس حولها، ودرك الحضور عنده بزيارة تلك البقعة المقدّسة. ومن هنا سميّت المراقد بالحضرة وهي مأخوذة من الحضور الذي هو نقيض المغيب، ويرجع من حيث المعنى إلى المشهد فتقول بمحضر منه أي بمشهد منه.

أهل البيت، وخيار ولدهم[١]، وهذه القبّة إنّما تبنى على القبر من جهة

(١) فإنّ مجموع المزارات والأضرحة والقباب المبنيّة على قبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأولادهم المنتجبين تسمّى بالمشاهد المشرّفة بحسب الاصطلاح المتداول بين العرف وأيضاً تسمّى بالعتبات وهي جمع عتبة وهي أسكفّة الباب، أي خشبة الباب التي يوطأ عليها بالقدم وانّما سميّت بذلك لارتفاعها عن مكان ومحل الدخول والخروج وكل مرقاة من الدرج تسمّى عتبة ومن هذه الجهة اطلق العتبة على باب الكعبة المعظمة كما في الدرّ المختار للحصكفي الحنفي ج ٢: ص٥٧٧.

وقال السيد بن طاوس وقد شاهد هذه العمارة (أي عمارة مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام) الرحّالة ابن بطّوطة حين ورد إلى النجف سنة ٧٢٥هـ فإنّه وصف الروضة المقدّسة فقال، والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن، ثم ذكر المرقد المطهّر وما فيه من فرش ومعلّقات، وما يصنعه السدنة وقوّام المشهد مع الزائرين، فقال: ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة... (فرحة الغري : ١٨) فالعتبة كانت تطلق على الدرجة وما يكون في الجبل من مراقي يصعد عليها ثم أطلق على المشاهد المشرفة. وكذلك يطلق على المشاهد المشرفة الحضرة وهي مأخوذة من الحضور الذي هو نقيض المغيب، ويرجع من حيث المعنى إلى المشهد، فتقول بمحضر منه أي مشهد منه. وكذلك يطلق عليها الحرم بفتح الحاء والراء المأخوذ من الحرام الذي هو ضدّ الحلال، ومن الحرمة بمعنى ما لا يحلّ انتهاكه أو بمعنى المهابة وإذا أطلق هذا اللفظ يراد به مكّة، كما جاء في اللغة: الحرم حرم مكة وما أحاط إلى قريب من الحرم (انظر كتاب المصطلحات وهو إعداد مركز المعجم الفقهي: ص٩٥٩)، كذلك في لسان العرب ج١٢: ص١٢٢، وتاج العروس ج١٦: ص١٣٤ يطلق عليها الروضة وهي مفرد روضات ورياض وهي الأرض ذات الخضرة أو البستان الحسن، وقوله صلى الله عليه وآله ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنّة معناه أنّ المقيم في هذا المكان فكأنّه أقام في روضة من رياض الجنّة.

فهذه الأسماء تطلق على المراقد المشرّفة للأئمة الأطهار عليهم السلام وأولادهم، والإطلاق بهذه ←

استقامتها وطول بقائها ومن جهة حسن هيئتها[(١)]، ولذلك تبنى على المساجد الجامعة[(٢)]. وقد بنيت على قبر خير الرسل صلى الله عليه وآله وعلى قبر عثمان بن مظعون

➔

الأسامي من أجل أنّ تلك المقامات والبقاع مقدّسة لابدّ أن يقدّسها الناس، فلاحظ.

(١) فإنّ الغرض من بناء القباب على قبور الأنبياء والأئمّة الأطهار والأولياء والصالحين إنّما هو من أجل الإضائة والعلامة للزائرين، واستظلالهم تحتها من الشمس والبرد والمطر ونحو ذلك. وعلى جواز ذلك جرت سنن الأنبياء والشرائع السماويّة قبل الإسلام ولمّا جاء الإسلام أمضاها، لأنّ كثيراً من الأنبياء كانت قبورهم مشيّدة بالقبب والأضرحة ولم يرد نهي من الإسلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والصحابة على ذلك، فلاحظ.

(٢) فإنّ الهدف من بناء القبب والمنارات على المساجد إنّما هو لغرض الإضائة وإيصال الصوت إلى مدى أكبر، كما أنّ بيت المقدس كان له بناء رفيع، وعندما فتح المسلمون بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب لم يأمر بهدم تلك القبّة بل قد جدّد بنائها في عصر عبد الملك بن المروان فإنّه بنى قبة أكبر من القبل لمواجهة روعة الكنائس الموجودة في القدس حيث بدأ العمل في بنائها سنة ٦٦ من الهجرة وتمّ الفراغ منها سنة ٧٢. من الهجرة وقد أشرف على بنائها مهندسان عربيان رجاء بن حياة وهو من بيسان فلسطين ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان وهو من القدس، وقد وضع تصميم مخطّط قبّة الصخرة على أسس هندسيّة دقيقة ومتناسقة تدلّ على مدى إبداع العقليّة الهندسيّة الإسلامية حيث اعتمد المهندس في تصميم هيكلها وبنائها على ثلاث دوائر هندسية ترجمت بعناصر معمارية لتشكّل فيما بعد هذا المعلم والصرح الإسلامي، وأمّا القبة التي جاءت بمثابة الدائرة المركزية التي تحيط بالصخرة فإنّها تجلس على أربع أعمدة حجرية عرض كلّ منها ثلاثة أمتار، واثنا عشر عموداً مكسوّة بالرخام المعرّق تحيط بالصخرة بشكل دائري ومنسق بحيث يتخلل كلّ دعامة حجرية ثلاثة أعمدة رخامية.

➔

وعلى قبور جماعات عديدة في المدينة المنوّرة، وفي مكّة المعظّمة على قبر أبي طالب وعلى قبر هاشم وعبد مناف وعبد المطّلب وعلى قبر خديجة عليها السلام، وفي مصر والشام وغير ذلك على قبور عديدة من قبور مشاهير ومعاريف من تسمّى بأهل السنّة. وقد تعارف بنائها على قبر من له شرف من علم وزهد وسيادة وغير ذلك[١].

➔

وهذا يقودنا إلى السؤال عن السبب الكامن خلف بناء هذه القبة في مدّة سبع سنوات؟ فممّا لا شكّ فيه أن الذين يعتقدون بمشروعيّة سلطنة عبد الملك بن مروان لابدّ لهم من قبول أنّ السبب المباشر في بناء هذه القبة العظيمة إنّما هو سبب ديني، حيث لولا وجود الصخرة التي عرج منها رسول الله صلى الله عليه وآله ما اهتمّ به هذا الاهتمام البالغ، فإنّ النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والأحاديث والروايات التاريخية تبيّن أهميّة المكان وتلك الصخرة، فلولا وجود تلك الصخرة كرمز ديني إسلامي فما هو الداعي إلى بناء هذه القبة وتشييدها؟ فليجب عن هذا السؤال ابن تيمية وأتباعه؟

(١) فإنّ الأصل الأوّليّ في الأمور الجواز والإباحة والحلّية ما لم يرد فيه نهي من الشارع الأقدس. فكلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي من الله أو من رسول الله صلى الله عليه وآله والمعصومين من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام أو أنّ كلّ شيء حلال حتّى تعرف أنّه حرام بعينه وهذا أصل أوليّ مستفاد من النصوص والأدّلة القطعيّة المعتبرة عند جميع المسلمين، بل إنّ هذا أصل من الأمور الضرورية في الأسلام بل في جميع الأديان. ويدلّ عليه أيضاً سيرة المسلمين وجريهم على ذلك من السلف والخلف منذ عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهذا التأريخ بين أيدينا؛ فإنّ المسلمين لمّا فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس ورأوا على قبور الأنبياء المباني لم يهدموها، ومن أشهرها البناء على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه وغير خفيّ أنّ تقرير الصحابة ـ وفيهم الخلفاء ـ أمر ثابت عندهم ومعنى ذلك تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم.

←

➔
وقد حدّث محمّد بن الحنفية المتوفّى سنة ٨١هـ أنّ رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ دفن فاطمة بنت أسد في الموضع الذي يقال له اليوم (قبر فاطمة الزهراء) لحدها (انظر الفصول المهمة للمالكي: ص١٣) وكتاب الأزمنة والأمكنة لأبي علي المزروقي. كما بنيت على قبر العباس بن عبد المطلب قبّة ودفن فيها الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِالسَّلَامُ والإمام السجّاد عَلَيْهِالسَّلَامُ والإمام الباقر عَلَيْهِالسَّلَامُ والإمام الصادق، عَلَيْهِالسَّلَامُ ففي المائة الأولى والثانية كانت القبّة على قبر العباس موجودة. قال الزرندي الحنفي: إنّه قال الشيخ محبّ الدين بن النجار: إنّ الحسن بن علي دفن بجنب أمّه فاطمة ومعه في القبر ابن أخيه علي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق، قلت: هذا هو المشهور المعروف وإلى جانبه أيضاً قبر العبّاس، وقد بنيت عليها قبّة عالية البناء... (نظم درر السمطين: ص٢٠٤) وقال ابن شبة في تاريخ المدينة أنه قال عبد العزيز: دفن العباس بن عبد المطّلب عند قبر فاطمة بنت أسد في أوّل مقابر بني هاشم في دار عقيل... (تاريخ المدينة ج١: ص١٢٧) وقال ابن النجار: وقبر العباس بن عبد المطلب وقبر الحسن بن علي ومعه السجاد والباقر والصادق عَلَيْهِمُالسَّلَامُ والقبران في قبّة كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح أحدهما في كل يوم للزيارة (الدّرة الثمينة في أخبار المدينة: ص١٥٣).

وقال الذهبي في ترجمة العباس عمّ النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: ودفن بالبقيع وعلى قبره اليوم قبّة عظيمة من بناء خلفاء آل العباس (سير أعلام النبلاء ج٢: ص٩٧) وكذلك القباب المبنيّة على قبور الخلفاء ثمّ أئمة المذاهب الأربعة الشافعي في مصر وأبو حنفية وأحمد بن حنبل في بغداد ومالك في المدينة وغيرهم، فقد بنوا على قبورهم مقابر وقبباً ولم ينكر عليهم ناكر، بل كلّ منهم محبّذ وشاكر لذلك، فالبناء على القبور كانت سيرة سائدة بين المسلمين من عصر الصحابة. يقول البلاذري: لمّا ماتت زينب بنت جحش سنة عشرين صلّى عليها عمر بن الخطاب وكان دفنها في يوم صائف ضرب عمر على قبرها فسطاطاً (أنساب الأشراف ج١: ص ٤٣٦). ويقول السمهودي في وصف البقيع: قد ابتني عليها مشاهد منها مشهد منسوب لعقيل بن أبي طالب وأمّهات المؤمنين والعباس والحسن بن علي وعليهم قبّة
➔

ولم يقل قائل بأنّ بنائها مندوب إليه شرعاً ومأمور به حتى يقال بأنّ ذلك بدعة[1] ويذمّ المدّعي لذلك، بل هي من المطالب العرفية التي لم يرد

➔

شامخة في الهواء... (وفاء الوفاء ج٣: ص ٩١٦- ٩٢٩) وإلى غير ذلك من الكلمات والأقوال الواردة في هذا المجال الدالّة على أن سيرة المسلمين كانت جارية على ذلك، فلاحظ.

(١) فإن البدعة عبارة عن إدخال ما ليس من الدين في الدين، وبعبارة أخرى: البدعة هي اختراع حكم شرعيّ في الإسلام بعنوان التشريع. ولا شكّ أنّ كلّ بدعة ضلالة (انظر الكافي ج١:ص ٥٦ ومسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ١٧٦) لأنّها تؤدّي إلى سخط الله عز وجل، وهي افتراء على الله ورسوله وإلى الدين الحنيف الذي لم ينزل به من سلطان. قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ (سورة الأنعام: ٢١) فقد بيّن تبارك وتعالى في هذه الآية المباركة بأنّ منهج المبتدع هو نفس منهج المشرك ؛ لأنّ المشركين عند ما كانوا يسئلون عمّا يفعلون من الأفعال القبيحة كقتل الأطفال الأبرياء ودفنهم أحياء كانوا ينسبونها إلى الله سبحانه كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا**﴾ ... (سورة الاعراف: ٢٨) فيقول الله تعالى في جوابهم: ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ (سورة يونس: ٦٠) وأيضاً إنَ الله تعالى قد وبّخهم في قوله سبحانه: ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ (سورة يونس: ٥٩) ففي هذه الآيات وغيرها إنّ الله تعالى قد بيّن بأنّ عملهم له صورتان لا ثالث لهما، إمّا أن يكون بإذن الله أو افتراء على الله ولمّا كان الاحتمال الأوّل منفيّاً فلم يبق إلّا الثاني. وقد استعظم تبارك وتعالى عاقبة الافتراء عليه من الخسران فقال تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ (سورة هود: ٢١) وقال تعالى: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ**

➔

←

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الْكَذبَ لا يُفْلحُونَ (سورة النحل: ١١٦) وقال تعالى: **﴿وَلَيَحْملُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالهمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقيَامَة عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** (سورة العنكبوت: ١٣) وإلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المجال. فالشيعة الإمامية تعتقد بأنّ كلّ أنواع البدعة حرام وضلال وصاحبها في النار، كما أكّدت الآيات الكريمة والروايات الشريفة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهي صريحة في أنّ جميع أنواع البدعة افتراء على الله ومصيره إلى الضلالة والخسران، وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض الآيات. وأمّا الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال كثيرة جدّاً، فمنها ما ورد عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام حيث قالا: كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار (الكافي ج١: ص٥٦). هذه الرواية صريحة في أنّ كلّ زيادة أو نقصان في الدين سبب للضلالة على نحو الإطلاق، سواء كان في الأحكام الخمسة التكليفيّة أو في غيرها من أمور الدين فهو ضلالة وسبيلها إلى النار، وقد جاء قريب من هذه الرواية في كتب أهل السنة والجماعة أيضاً ففي مسند أحمد بسنده عن عرباض بن سارية قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الفجر ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت الأعين ووجلت منها القلوب ... (إلى أن قال:) وإياكم من محدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة وإنّ كلّ بدعة ضلالة (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٢٦) ورواه الدارمي في سننه ج١: ص٤٤، وابن ماجة في سننه ج١: ص١٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١: ص ٦٩، وغيرهم. وقال ابن حجر بعد ذكر هذا الحديث: وصحّحه ابن ماجة وابن حيان والحاكم.... (فتح الباري ج١٣: ص ٢١٢) فالرواية تامّة سنداً ودلالة وهي صريحة في أنّ جميع أنواع البدعة ضلالة وأنّ مصير الضلالة معلوم من الكتاب والسنّة النبويّة الشريفة، فإنّ سبيلها إلى النار وبئس المصير. وإذا كان الأمر كذلك فتعالوا معنا لنرى أقوال علماء أهل السنّة والجماعة في باب البدعة، قال أبو حامد الغزالي: ليس كلّ ما أبدع منهيّاً عنه بل المنهيّ عنه بدعة تضادّ سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع (إحياء علوم الدين ج٢: ص ٤٢٨) وقال ابن الأثير: البدعة بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلالة... (النهاية ج١: ص ٨٠) وقال النووي: قول النبي صلى الله عليه وآله:

←

←

وكل بدعة ضلالة. هذا عامّ مخصوص (شرح صحيح مسلم ج٦ ص١٥٤)، وإلى غير ذلك من كلماتهم. والخبير يعلم بأنّ إطلاق كلام النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المذكور محكم لا موجب لرفع اليد عنه، لاسيّما أنّ الإطلاق مؤكّد بلفظ «كلّ» الدالّ على العموم، وكذلك مؤكّد بكلمة «إنّ» الدالّة على أهميّة الأمر. فالقضية أوضح من أن تخفى على أحد، فإنّ قول علماء أهل السنة من أنّ البدعة يترتب عليها الأحكام الخمسة مخالف للنصّ النبوي الثابت عندهم، ومن هنا الباحث المنصف لو درس الروايات والأدلّة الواردة في المقام سوف يذعن بأنّ علماء أهل السنة ليس لديهم دليل على رفع اليد من إطلاق الحديث إلا مخالفة خلفائهم لهذا النصّ الشريف حيث إن كثيراً من خلفاء الجور قد أحدثوا أحكاماً في الإسلام ما أنزل الله بها من سلطان، فعلى سبيل المثال إنّ عمر بن الخطاب أحدث صلاة التراويح في الدين فإنّ صلاة التراويح لم يشرّعها الشارع الأقدس، ولا هي سنّة نبويّة، بل قد أجمع علماء الإسلام على أنّ صلاة التراويح هي من فعل عمر بن الخطاب ولذلك عند بلوغه خبر أنّ هذه الصلاة صارت بدعة بين المسلمين قال: نعمت البدعة (انظر إرشاد الساري في شرح البخاري ج٥: ص ٤)، فإنّ إطلاق الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله: كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار، يشمل عمر بن الخطاب ومن اتّبعه في بدعة صلاة التراويح بلا إشكال. وكذلك غيره من الخلفاء الذين أحدثوا في الدين وشملهم قوله صلى الله عليه وآله كلّ بدعة ضلالة وسبيلهم النار، فكان من اللازم على علماء أهل السنّة الالتزام بهذا اللازم والاعتراف بأنّ خلفائهم في زمرة المضلّين فالتعصّب الأعمى قد منعهم من العمل بهذه السنّة الشريفة المعتبرة عندهم، ولذلك خالفوا صريح الحديث وذهبوا إلى أنّ البدعة لها أقسام كأقسام الأحكام التكليفيّة من دون إقامة دليل على ذلك.

وأما الشيعة الإماميّة فهم تبعاً للقرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام يصرّحون بأنّ كلّ أنواع البدعة ضلالة وكلّ ضلال مصيره النار فعلى الباحث الخبير أن يراجع كتب الشيعة في هذا المجال ثم يدرس روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام حيث صرّحوا بأنّ من قال للحلال هذا حرام وللحرام هذا حلال وأثبت ما ليس في الدين فهو كافر وخارج عن

→

نهي عن فعلها[١]. وليس هي من باب التطاول في التعمير بل تبنى محافظة

➔

دائرة الإيمان (انظر وسائل الشيعة ج٢٨: ص ٣٢٩ باب ١٠ من أبواب المرتدّ).

(١) لقد ثبت في علم الأصول أنّ الأصل في الأشياء الإباحة إلا إذا قام الدليل على حرمتها، وقد اتّفق الأصوليون على هذا المبنى ولم يخالف فيه أحد.

وتوضيح المقام أنّه: قد يسأل سائل هل الأصل في الأشياء هو الحظر أو الإباحة؟ وبعبارة أخرى: هل أنّ الله تعالى خلق الأشياء ممنوعة حراماً إلا أن يأتي الدليل على جوازه، أو إنّ الأشياء خلقها على الجواز والإباحة إلا أن يأتي الدليل على حرمتها أو ممنوعيّتها؟

ولا يخفى على الخبير أنّ هذه المسألة إنّما هي قبل ورود الحكم الشرعي أو مع قطع النظر عن الحكم في الشرع الأقدس، وإلا فإنّ الأصل إما البرائة أو الاحتياط. أمّا الأقوال المتصوّرة عقلاً في المسألة فهي ثلاثة: ١- القول بالإباحة ٢- القول بالحظر ٣- التوقف. وحيث إن البحث في هذا المجال بحث واسع عند الأصوليين فإن المقام قاصر عن استقصائه هاهنا، ولكن نشير إليها إجمالا كي يتّضح للقارئ الكريم ما ذكره الماتن في المقام، فنقول: إن الأحكام الشرعيّة عند العدليّة والإماميّة تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية وهي التي لا يمكن تحصيلها إلّا ببيان من الشارع الأقدس، وعند عدم وجود البيان فإن الحكم الظاهري قائم على عدم عقوبة الإنسان على مخالفته للواقع، لأنّ العقاب بلا بيان قبيح عقلاً والعقل يحكم بقبح العقاب بلا بيان فالحكم الظاهري في هذه الصورة هو الإباحة الظاهرية أو الإباحة الاقتضائية باعتبار اقتضاء الأصل لا الجعل من الشارع. وأما الإباحة الواقعيّة فلابدّ من إثباتها شرعاً، وعند عدم قيام دليل شرعيّ على ذلك يثبت الحكم الشرعيّ الواقعي وإن كان لكلّ فعل من أفعال الإنسان في الواقع ونفس الأمر حكم شرعي واقعيّ، إلا أنّه عندما لم يصل اليه الحكم الواقعي فإنّ الإنسان مخيّر بين الفعل والترك، وذلك بسبب عدم ورود بيان من الشارع فإنّه وان كان في الواقع لكلّ شيء أو فعل حكم شرعي إلا أنّه عند عدم وصول بيان من الشارع الأقدس لا يكون العبد مكلّفا بالواقع، لأنّ التكليف بالواقع الذي لا طريق إليه تكليف بما لا يطاق وهو قبيح عقلاً.

➔

على من يزور ويمكث هناك لصلاة وغيرها من الحرّ والبرد[1].

➔

إن قلت: إنّ إحراز الواقع في بعض الأحيان أمر ممكن عقلاً.

قلت: إن المطلوب هو الحكم الشرعي الواقعي، وأمّا إحراز الواقع ليس هو العمل بالحكم الواقعي وإنما هو العمل بالأصل الذي يؤدي إلى إحراز الواقع، فإذا كان العمل بالأصل في هذه الجهة طريقاً للحكم الشرعي فإنّ الأصل في الطرف المقابل أي جريان الأصل الظاهري لرفع التكليف عند عدم البيان- أيضاً أصل شرعي يحرز به تكليف المكلّف عند الحيرة، فالأصل الشرعي عند عدم قيام النهي هو الإباحة والحليّة وهذا لا يعني الإباحة الواقعيّة حتّى يقول أحد بأنّ القول بها بلا دليل، بل إنما هو من باب حكم العقل بقبح العقاب بلا بيان، أي الإباحة والحلّية الظاهرية، فإن الله تبارك وتعالى قد خلق الأشياء للانتفاع والتمتّع بها وحيث إنّ في بعض الأشياء لم يرد المنع أو النهي عن التصرف في ذلك فإنّ العقل والعقلاء يحكمون بأنّ هذا الشيء مباح وليس بحرام، إذ لو كان محرّماً لنهى الشارع الأقدس عن ذلك، وهذا هو الإباحة الظاهرية، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ تشييد الأبنية على القبور كان أمراً دارجاً ومتعارفاً وجائزاً عند الصحابة والتابعين، فإنّه قد دفن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حجرته المبنيّة، فلو كان البناء على القبور محرّماً وواجب الهدم لهدمها الصحابة قبل دفنه صلى الله عليه وآله ثم دفنوه فيه أو كان عليهم أن يدفنوه في مكان آخر، إذ لا يتصوّر فرق بين البناء السابق وبين البناء اللاحق هذا مع وجود بناء مسجد رسول صلى الله عليه وآله وتوسيع بنائه في الأعصار المختلفة التالية لعصر النبي صلى الله عليه وآله وصحابته إلى يومنا هذا، فقد بنى عمر بن الخطاب حائطاً، وهو أوّل من بناها، وأيضاً بنت عائشة بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلّي فيها قبل الحائط وبعده، وبذلك يبطل أيضاً قولهم بعدم جواز الصلاة عند القبور، ثمّ بناها عبد الله بن الزبير، ثم سقط حائطها فبناه عمر بن عبد العزيز، ثمّ لمّا وسع المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك فإنّه بنى للبيت حظاراً، وفي رواية: هدم البيت الأوّل ثمّ بناه وبنى حظارا محيطا، وتولّى ذلك عمر بن عبد العزيز وأزّر الحجرة بالرخام، ثمّ أعيد تأزيرها في زمن المتوكّل الخليفة العباسي،

➔

➔

ثمّ جدّد في زمن المقتفي، ثمّ عمل من زمنه للحجرة مشبّك من خشب الصندل والآبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز، ثمّ لمّا سقط حائط الحجرة في دولة المستضيء أعيد بناؤه ثمّ لمّا احترق الحرم الشريف سنة ٦٥ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم آخر ملوك بني العبّاس وأكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور ايبك الصالحي وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر، ثمّ أكمل تعميرها في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب مصر فعملت أوّل قبّة على الحجرة الشريفة وهي القبّة الزرقاء بناها أحمد بن عبد القوي ناظر قوص سنه ٦٧٨ ثمّ جدّدت في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ثمّ في أيام الملك الأشرف سنة ٧٦٥ ثمّ جدّد في دولة الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ ثمّ جدّد بناء الحجرة سنة ٨٨١ في دولة الملك الأشرف قايتباي صاحب مصر وعمل عليها قبّة سفليّة تحت القبّة الزرقاء ثمّ لمّا احترق الحرم الشريف ثانياً سنة ٨٨٦ أعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبّة عظيمة بدل القبّة الزرقاء والتي تحتها وذلك في دولة الملك الأشرف قايتباي ثمّ جدّد بناؤها سنة ٨٩١ في دولة ملك الأشرف. ولم يزل ملوك بني العباس يجدّدون ما انهدم منها كما ذكره المؤرخون وهو أمر معروف لا يحتاج إلى البحث ومذكور في كتب التاريخ. وقد ذكروا في تشييد الأبنية على القبور أنّه لما ماتت زينب بنت جحش سنة عشرين صلّى عليها عمر بن الخطاب وكان دفنها في يوم صائف، فضرب عمر فسطاطاً لشدّة الحرّ يومئذ (انظر الطبقات لابن سعد ج٨: صص١١٢).

وقال ابن قتيبة: وأما عبد الله بن العباس بلغ سبعين سنة وهلك بالطائف في فتنة ابن الزبير وقد كفّ بصره وصلّى عليه محمد بن الحنفية وضرب على قبره فسطاطاً (المعارف لابن قتيبة: ص١٢٣) فالبناء على القبور ليس أمراً حادثاً بل كان أمراً متعارفاً من عصر رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين وقد جرت عليه سيرة المسلمين، يقول المسعودي المتوفّى سنة ٤٤٥هـ حول المشاهد والقباب في البقيع: وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة مكتوبة عليها: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرحم وهذا قبر فاطمة بنت

🡐

وحادي عشرها: ما نقله من الخبر الذي دلّ على بعثه عليّاً عليه السلام لتسوية القبور المشرفة وطمس التماثيل[1]، فإنه ليس له دخل بمسألة زيارة

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق (مروج الذهب ج٢: ص ٢٨٨).

وذكر ابن الجوزي نظير ذلك (انظر تذكرة الخواص: ٣١١).

وذكر محمد بن محمود بن النجار أنّ القبور المذكورة كانت في قبة كبيرة عالية قديمة البناء في أول البقيع، وعليه بابان يفتح أحدهما في كلّ يوم للزيارت (أخبار مدينة الرسول: ص١٥٣) وإلى غير ذلك من الشواهد والمؤيّدات التي لا يبقى معها مجال للتشكيك.

(١) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر بسنده عن أبي الهيجاء الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلّا سوّيته (صحيح مسلم ج٣: ص٦١)، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص ٩٦، وأبو داود في سننه ج٢: ص ٨٣ ح٣٢١٨ والترمذي في سننه ج٢: ص ٢٥٦ ح١٠٥٤، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص ٣٦٩، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ٢٨٥ وغيرهم.

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي محمد الهذلي عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في جنازة فقال: أيّكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلّا كسره ولا قبراً إلّا سواه ولا صورة إلاّ لطخها؟ فقال... أنا يا رسول الله فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع، فقال عليّ رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله. قال: فانطلق ثم رجع فقال: يا رسول الله لم أدع بها وثناً إلاّ كسرته ولا قبراً إلّا سوّيته ولا صورة إلّا لطختها، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد.... (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٨٧)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص ١٧٢ وأبو داود الطيالسي

➔

←

في مسنده: ص ١٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ٢٩١ ح٥٠٦، والطبراني في معجمه الأوسط ج٣: ص ٣٦٤ والمتّقي الهندي في كنز العمال ج٤: ص ١٣٦ ح٩٨٩٦، والإلباني في إرواء الغليل ج٣: ص ٢٠٩، وغيرهم.

وقريب من هذه الروايات ما وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في كتب الشيعة، منها: ما رواه الكليني بسنده عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلّا محوتها، ولا قبراً إلّا سوّيته، ولا كلباً إلّا قتلته (الكافي ج٦: ص ٥٢٨)، ورواه البرقيّ في المحاسن ج٢: ص ٦١٣.

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن محمّد بن مسلم قال: سألت أحدهما عليهما السلام عن الميّت؟ فقال: تسله من قبل الرجلين وتلزق القبر بالأرض إلى قدر أربع أصابع مفرّجات وتربّع قبره (الكافي ج٣: ص ١٩٥).

وقد استدلّ فقهاء الشيعة بهذه الروايات وأمثالها على استحباب أن يرفع القبر مقدار أربع أصابع لا أزيد ليعلم أنّه قبر فيتوقّى ويترحّم عليه (انظر تذكرة الفقهاء للعلامة الحلّي ج٢: ص ٩٧، ومنتهى المطلب له ج١: ص ٤٦٢، ونهاية الأحكام له ج٢: ص ٢٧٨، والبيان للشهيد الأول: ص ٣١، والدروس له ج١: ص ١١٦، والذكرى له ج٢: ص ٢٦، ومجمع الفائدة للمحقق الأردبيلي ج٢: ص ٤٨٤، ومدارك الأحكام للسيد العاملي ج٢: ص ١٤٣، والحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج٤: ص ١٢٢، والعروة الوثقى للسيد اليزدي ج٢: ص ١٢٩، وجواهر الكلام للشيخ الجواهري ج٤: ص ٣١٢، وغيرهم.

ثمّ إنّه هنا روايات أخرى رواها علماء أهل السنة وهي تدلّ على أنّ السنة في ارتفاع القبر أن يرفع من رفع القبر الأرض بمقدار شبر منها: ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله ألحد ونصب عليه اللبن نصباً ورفع قبره من الأرض نحواً من شبر (صحيح ابن حبال ج١٤: ص ٦٠٢)، ورواه البيهقي في سننه ج٣: ص ٤١٠، والألباني في إرواء الغليل ج٣: ص ٢٠٧، وغيرهم.

واستدل الألباني الذي هو من أتباع ابن تيمية بهذا الحديث على استحباب رفع القبر بمقدار

←

القبور وجعل القباب عليها، فإنّ تسوية القبور عبارة عن تسطيحها وعدم تسنيمها ورفعها[١]، كما فهمه الشافعي من الخبر[٢] وحكاه عنه السّني فيما

←

شبر واحد، وقال في كتابه الجنائز ما هذا نصّ عبارته: يسنّ بعد الفراغ من دفنه أمور: الأوّل: أن يرفع القبر عن الأرض قليلاً نحو شبر، ولا يسوّى بالأرض؛ وذلك ليتميز فيصان ولا يهان لحديث جابر... وإسناده حسن (كتاب الجنائز: ص ١٥٣).

وعلى كلّ حال فإنّ الأخبار والروايات وأقوال العلماء في المسألة واضحة الدلالة في الجواز إلا ابن تيمية فانّه خالف النصوص الواردة في المقام ولم يعتن بقول علماء أهل السنّة، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ المقصود برفع القبر هو رفع المحلّ الذي دفن فيه الميت ليعرف أنّ هناك قبراً كي يزار ويحترم ويترحّم على صاحب القبر، ويسمّى أيضاً التسنيم فإنّ تسنيم القبر عبارة عن ارتفاعه عن الأرض، ومنه سنام القبر. قال صاحب القاموس: التسنيم ضد التسطيح (القاموس ج٤: ص ١٣٣)، وكذلك الزبيدي في تاج العروس ج١٦: ص ٣٧٠، كما تفعله أهل السنة والجماعة في قبورهم وعليه ديدنهم وهذا غير البناء على القبور، فإنّ البناء على القبور عبارة عن بناء المسجد أو قاعة على القبر كما كان متعارفاً من قديم الأيام ليكون مكاناً لزوّار القبر، مانعاً من الحرّ والبرد والمطر وأمثال ذلك. فتسوية القبر وطمس التماثيل المرسومة عليه وكسر الوثن الموجود على القبر أمر والبناء على القبر أمر آخر، إذن الفرق بين البناء على القبور وبناء القبر واضح لا يحتاج إلى التوضيح يعرفه كل عاقل ولا يحتاج بحث أكثر من هذا.

(٢) وهو خبر جابر الذي رواه ابن حبان في صحيحة ج١٤: ص ٦٠٢، والبيهقي في سننه الكبرى ج٣: ص ٤١٠، وغيرهما. قال النووي: يستحبّ أن يرفع القبر عن الأرض قدر شبر، هكذا نصّ عليه الشافعي والأصحاب واتفقوا عليه.... (المجموع ج٥: ص ٢٩٦)، وقال العيني: وقال الشافعي: تسطّح القبور ولا تبنى ولا ترفع وتكون على وجه الأرض

←

يأتي. وقد وردت به السنّة وجرى عمل الشيعة مطابقاً لها، فسوّت قبورها وسطّحتها[١]، ولكن جمهور من قال بإمامة الثلاثة خالف هذه السنة الصحيحة المعروفة المشهورة عند المسلمين، فتركوها بجعل قبورهم مشرفة مسنّمة حسبما ترى بالمشاهدة، جاعلين ذلك من شعارهم[٢]. نقل النووي في

نحواً من شبر، قال: وبلغنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله سطّح قبر ابنه إبراهيم عليه السلام، ووضع عليه الحصباء ورشّ عليه الماء.... (عمدة القاري ج٨: ص ٢٢٤).

(١) قال العلامة الحلّي: يكره تسنيم القبور وإنّما يستحب تسطيحها.... (تحرير الأحكام ج١: ص ١٣٢)، وقال في التذكرة: يستحب أن يرفع (القبر) مقدار أربع أصابع لا أزيد ليعلم أنّه قبر فيتوقّى ويترحّم عليه. ورفع قبر النبي صلى الله عليه وآله قدر شبر.... (تذكرة الفقهاء ج٢: ص ٩٦)، وقال الشهيد الأول: ويستحب رفع القبر أربع أصابع مفرّجات وتربيعه وتسطيحه.... (الدروس ج١: ص ١١٥)، وقال في الذكرى: ويرفع القبر عن الأرض مقدار أربع أصابع مفرّجات لا أكثر من ذلك، قاله المفيد وابن زهرة وخيّر بينها وبين شبر وفي خبر محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام: ويلزق القبر بالأرض إلّا قدر أربع أصابع مفرّجات.... (ذكرى الشيعة ج٢: ص ٢٦)، وقال المحقّق الكركيّ؛ ويستحب رفع القبر أربع أصابع وتربيعه.... (جامع القاصد ج١: ص ٤٤٢)، وقال الشهيد الثاني: ويستحب أن يرفع القبر بمقدار أربع أصابع و يربّع... (مسالك الأفهام ج١: ص ١٠١)، وقال الفاضل الهندي: ومن المستحبّات: رفع القبر عن الأرض ليعرف فيزار ويحترم ويترحّم على صاحبه... وليرفع أربع أصابع باتفاق الأصحاب، كما في المعتبر بل العلماء كما في المنتهى.... (كشف اللثام ج٢: ص٣٩٣). وإلى غير ذلك من كلماتهم قدّس الله أسرارهم.

(٢) لاشكّ أنّ كلّ إنسان إذا دخل مقابر المسلمين سوف يجد أنّ قبور أهل السنة والجماعة متميّزة عن غيرها بارتفاعها عن قبور الآخرين، بحيث لو دقّق في ذلك يعرف بأنّ ذلك من شعارهم في هذا المجال، فكأنّما فيه إشعار على أن يُعرفوا بذلك. واستدلّ علمائهم على

منهاجه عن القاضي عياض عن أكثر علمائهم أنّ تسنيمها أفضل! وهو مذهب مالك[١].

➔

ذلك بروايات، منها: مارواه أبو داود في سننه بسنده عن المطلب قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، فأمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر فلم يستطيع حمله فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه... ثم حملها فوضعها عند رأسه (سنن أبي داود ج٢: ص ٨١). فيقولون: إنّما فعله رسول الله ﷺ ليكون علامة بارزه مميّزة لقبر عثمان بن مظعون. وروى هذا الحديث الحاكم في مستدركه ج١: ص ٤٩٨، في باب ما جاء في العلامة في القبر عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة. ثمّ إنّ قبر رسول الله ﷺ قد أهتمّ به المسلمون وكان قبره الشريف مسنّماً أي مرتفعاً. قال العيني: قال إبراهيم النخعي: أخبرني من رأى قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه مسنّمة ناشزة من الأرض عليها مرمر أبيض، وقال الشعبي رأيت قبور شهداء أحد مسنّمة، وكذا فعل بقبر عمر وابن عباس، وقال الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب أنّه يستحب أن تسنّم القبور... وهو قول الكوفيين والثوري ومالك وأحمد واختاره جماعة من الشافعية منهم المزني: أنّ القبور تسنّم لأنّها أمنع من الجلوس عليها، وقال أشهب وابن حبيب: أحبّ إليّ أن يسنّم القبر وإن يرفع فلا بأس، وقال طاوس: كان يعجبهم أن يرفع القبر شيئاً حتّى يعلم أنّه قبر، وادعى القاضي حسين اتفاق أصحاب الشافعي على التسنيم... (عمدة القاري للعيني ج٨: ص ٢٢٤).

وقال ابن حجر: قوله مسنّماً أي مرتفعاً.... (فتح الباري ج٣: ص ٣٢) فتبيّن أنّ عمل أهل السنة والجماعة إنّما كان بفتوى علمائهم وأنّ علمائهم قد استدلّوا على رفع القبور بروايات وسنتعرّض للروايات التي استند إليها علماء أهل السنة في هذا المجال حتّى صار شعاراً من شعائرهم التي لا يتركونها بحال، فلاحظ.

(١) قال النووي في شرح حديث أبي الهجاء المتقدم ذكره: ونقل القاضي عياض عن أكثر

➔

←

العلماء انّ الأفضل عندهم تسنيمها وهو مذهب مالك ... (شرح صحيح مسلم للنووي ج٧: ص٣٦).

وقال في المجموع: (والثاني) التسنيم أفضل، حكاه المصنف عن أبي علي الطبري، والمشهور في كتب أصحابنا العراقيين والخراسانيين أنّه قول عليّ بن أبي هريرة، وممّن حكاه عنه القاضي أبو الطيب وابن الصباغ، والشاشي وخلائق من الأصحاب، وممّن رجح التسنيم من الخراسانيين الشيخ أبو محمد الجويني والغزالي والروياني والسرخسي وادعى القاضي حسين اتفاق الأصحاب، وليس كما قال، بل أكثر الأصحاب على تفضيل التسطيح، وهو نصّ الشافعي كما سبق. وهو مذهب مالك وداود، وقال أبو حنيفة والثوري وأحمد: التسنيم أفضل ... وردّ الجهور على ابن أبي هريرة في دعواه أنّ التسنيم أفضل لكون التسطيح شعار الرافضة. فلا يضرّ موافقة الرافضي لنا في ذلك.... (المجموع ج٥: ص٢٩٧).

أقول: إنّ أفضلية التسنيم أي رفع القبر عند أهل السنة الجماعة من الأمور المسلّمة، بحيث أصبح عندهم من شعائرهم. والتسطيح هو من سنن الشيعة الإمامية ولذلك صرّح كثير من علماء أهل السنّة بأنّهم اتخذوا التسنيم سنّة في قبال الشيعة الإمامية، قال الغزالي: التسنيم أفضل من التسطيح، مخالفة لشعار الروافض ... (الوجيز في الفقه ج١: ص٤٧). وقال الرافعي في شرح ذلك: الأفضل في شكل القبر التسطيح أو التسنيم؟ ظاهر المذهب أنّ التسطيح أفضل، قال مالك وأبو حنيفة التسنيم أفضل، لنا: أنّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سطّح قبر ابنه إبراهيم، وعن القاسم بن محمد: رأيت قبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأبي بكر وعمر مسطحة، وقال ابن أبي هريرة: إنّ الأفضل الآن العدول من التسطيح إلى التسنيم، لأنّ التسطيح صار شعاراً للروافض، فالأولى مخالفتهم وصيانة الميّت وأهله عن الاتهام بالبدعة، ومثله ما حكي عنه أنّ الجهر بالتسمية إذا صار في موضع شعاراً لهم فالمستحب الاسرار بها مخالفة لهم، واحتجّ له بما روي أنّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يقوم إذا بدت جنازة فأخبر أنّ اليهود تفعل ذلك فترك القيام بعد ذلك مخالفة لهم. وهذا الوجه هو الذي أجاب به في الكتاب ومال اليه

←

➔

الشيخ أبو محمد، وتابعه القاضي الروياني، لكن الجمهور على أنّ المذهب الأوّل، قالوا: ولو تركنا ما ثبت في السنّة لإطباق بعض المبتدعة عليه لجرّنا ذلك إلى ترك سنن كثيرة، واذا اطرد جرينا على الشيء خرج عن أن يعدّ شعارا للمبتدعة (فتح العزيز في شرح الوجيز ج٥: ص٢٢٩ - ٢٣٦).

وقال ابن قدامة: وتسنيم القبر أفضل من تسطيحه، وبه قال مالك، وأبو حنيفة الثوري، وقال الشافعي: تسطيحه أفضل، قال: وبلغنا أنّ رسول الله ﷺ سطّح قبر ابنه إبراهيم، وعن القاسم قال: رأيت قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر مسطّحة. ولنا ما روى سفيان التمّار أنّه قال: رأيت قبر النبي ﷺ مسنّماً، رواه البخاري بإسناده، وعن الحسن مثله، ولأنّ التسطيح يشبه أهل الدنيا وهو أشبه بشعار أهل البدع فكان مكروها. وحديثنا أثبت من حديثهم وأصحّ فكان العمل به أولى .... (المغني لابن قدامة ج٢: ص٣٨٥).

أقول: قد ظهر مما تقدّم من أقوال علماء أهل السنة أنّ الأصل عندهم مخالفة الشيعة الإماميّة لا العمل بالكتاب والسنّة، فمع تصريحهم بوجود السنّة على التسطيح وهي تامّة عندهم سنداً ودلالة ولكن حيث وجدوا أنّ الشيعة يعملون بالسنة خالفوا السنّة لئلا يتشبّهوا بالشيعة! فأهل السنة والجماعة كأنّما يرون النهج الصحيح وطريق الرشاد هو مخالفة الشيعة وإن بلغت مخالفتهم مع الشيعة إلى مخالفة السنة النبوية، بل إلى مخالفة القرآن الكريم، حيث إن مرجع قولهم إلى مخالفة القران الكريم لأنّ القران الكريم أمر المسلمين بأن يتّبعوا الحقّ وهو أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (سورة يونس: ٣٥) فهم في هذا المنهج قد سلكوا سبيل فرعون حيث يقول تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ (سورة غافر: ٢٩) فكان فرعون يرى سبيل الرشاد في مخالفته لأوامر الله سبحانه وقد أمر الناس باتّباعه ومخالفة الله عزّ وجلّ، ومن الواضح لدى الخبير أنّ هذا النهج هو النهج الأموي حيث أنّ بني أمية بنوا على مخالفة الدين والسنة النبوية العطرة، فأهل السنة إنّما تكون سياستهم مطابقة لسياسة بني أمية. ولاشكّ أنّ الخبير يعلم أنّ الهدف الأساسي من مخالفة

🡐

فليت شعري كيف يصير ما خالف السنة أفضل ممّا طابقها[١].

➔

بني أمية للدين والسنة النبوية هو إرجاع السنّة الجاهلية بدل الإسلام وأحكامه فهذا النهج الأموي الذي انتقل من بني أمية إلى علماء أهل السنة والجماعة منهج معروف لايختلف فيه أحد. ولكن الذي يقضي منه العجب العجاب أنّ ابن تيمية الذي سلك منهج الأمويين بالصرافة كيف نسب إلى الشيعة الإمامية بأنّهم يرفعون القبور مع أنّ علماء أهل نحلته صرّحوا بأنّ التسطيح من شعار الشيعة وهم خالفوا الشيعة في ذلك وذهبوا إلى التسنيم في القبور، والتسنيم هو الترفيع، فإذا كان تسطيح القبور من شعار الشيعة كما صرح به علماء أهل السنة كيف ينسب ابن تيمية رفع القبور إلى الشيعة؟! أليس يتعجب الإنسان من افتراء هذا الإنسان الكذّاب؟!

(١) لا شكّ أنّ المتتبّع في كتب الشيعة الإمامية يجدهم حريصين على تطبيق السنة النبوية الشريفة للتأسيّ بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وكذلك يجد اهتمامهم البالغ في الأخذ بروايات أئمة الهدى من عترته الطاهرة عليهم السلام وليس عندهم مصدر للتشريع بعد كتاب الله العزيز إلّا سنة المعصومين عليهم السلام، فإنّهم يتمسّكون بالكتاب وسنن المعصومين لتطبيق جميع جوانب الدين من الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأخلاق و الآداب ونظم الأمور الاجتماعية والإدارية والسياسية وغير ذلك مما يعين على تطبيق المصدر الشرعي، فإنّ أحد أركان الدين عندهم سنة المعصومين. وإذا كان أهل السنة والجماعة يدّعون بأنّهم تابعون لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يخالفون من طبّق سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فإنهم قد صرّحوا بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسطّح القبور، وهم يقولون بأنّ تسطيح القبور من شعائر الشيعة، ومع ذلك كلّه يقولون بأنّ مخالفة الشيعة أفضل، فمردّ قولهم مخالفة الشيعة أفضل أنّ مخالفة سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله عندهم أفضل، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ (سورة النساء: ٥٩) وقال تعالى: ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ**

➔

وأمّا طمس التماثيل فهو أجنبيّ أيضاً عن مسألة القبور التي عناها السنّي، إذ لا تمثال ولا صورة عندها وليس ذلك من عمل المسلمين كما هو المشاهد بالعيان(١).

➔

عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧)، فاعتراف أهل السنة بمخالفة الشيعة الذين طبّقوا سنة رسول الله اعتراف بمخالفة سنة رسول الله ﷺ، والمخالف لسنة رسول الله ﷺ غير مؤمن بنصّ القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فلابدّ للمسلمين أن ﷺ أن يعملوا بما أمرهم رسول الله ﷺ.

ومن هنا يعرف أنّ الشيعة الإمامية هم المذهب الوحيد الذين يطبقون السنن النبوية ولا يخالفونها أبداً.

(١) فإنّ من شرائط البحث العلمي المتداول بين العلماء والمناظرة بين الخصمين من أهل العلم هو عدم الخروج عن البحث، وأن لا يتصرّف كلّ من المتناظرين في كلام خصمه بزيادة ولا نقصان، ولا ينسب إليه شيئاً لا يقول به، فإن الشريعة الإسلامية قد وضعت ضوابط ومقاييس للمناظرة الصحيحة لابدّ من مراعاتها وعدم التخطّي عنها، لأنّ الهدف من المناظرة الوصول إلى الحقّ وطلب ظهوره لا الغلبة على الطرف المقابل. قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥). فالجدال الحسن هو الجدال بالحجّة وهو أن يكون حجةً عند الطرف المقابل لا ما يكون غير مقبول عنده. فهذا أمر متّفق عليه بين جميع المسلمين. وعليه فإنّ الرواية التي استند إليها إبن تيمية في المقام على عدم تجويز رفع القبور لا دخل له بالموضوع، إذ ليس طمس التصاوير والتماثيل له ربط برفع القبر أو البناء على القبور، فإنّ كلّ عاقل يعلم أنّ الشيعة لا ينطبق عليهم شيء من هذه الافتراءات، بل إنّ من شعائرهم تسطيح القبور خلافاً لعامّة العلماء من أهل السنة الذين خالفوا سنة رسول الله ﷺ. ولا يخفى على الخبير أنّ المشاهد المشرّفة في العيان يدخلها الشيعة وغير الشيعة، فليس فيها إلاّ ما جاء في كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ،

🡐

وثاني عشرها: ما زعمه من قوله لم تبن قبّة على قبر على عهده صلى الله عليه وآله فإنّه غشّ منه؛ للغفَلة، لأنّ البحث ليس في وجود هذه الهيئة على عهده حتّى يقال لم تبن على عهده، بل البحث في تجويز بنائها من حيث عدم ورود نهي عنها، وذلك كاف في تجويز هذه الهيئة[1].

←

فإنّ كلّ إنسان لو دخل المشاهد المشرفة ونظر إليها من أيّ زاوية من الزوايا العلمية يجد بأنّها مبنيّة على أصول الإسلام والدعوة النبوية، وليس فيها إلاّ ما جاء في الإسلام وأنّ الزائر لا يريد من الزيارة إلاّ الفوز بالسعادة والتقرّب إلى الله بالوصول إلى الخير، لأنّه يعتبر المكان من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الملاك في عدم جواز شيء شرعاً هو نهي الشارع عنه نهياً تحريمياً أو ما يدلّ على تحريم ذلك الشيء وكونه مبغوضاً عند الشارع الأقدس بحيث يكون ارتكابه مخالفة لإرادته. وأمّا إذا لم يكن نهياً من الشارع الأقدس ولا دليل على مبغوضيّته عنده فلا دليل على حرمته، لأنّ ثبوت التكليف إنّما يحصل بالبيان، ومع عدم البيان يقبح مؤاخذة المكلّف عليه.

وبعبارة أخرى: إنّ الأصل في الأشياء الحلّ والإباحة إلا أن يرد الدليل على الحرمة وعدم الحلّية. قال سيد سابق ـ وهو أحد علماء الأزهر الذي تخرّج في كليّة الشريعة، وصار علماً عند أهل السنة والجماعة بحيث لقّب بأنّه موسوعة في الفقه ـ في كتابه فقه السنة: أمّا ما سكت الشارع عنه ولم يرد نصّ بتحريمه فهو حلال تبعاً للقاعدة المتّفق عليها وهي أنّ الأصل في الأشياء الإباحة، وهذه القاعدة أصل من أصول الإسلام، وقد جاءت النصوص الكثيرة تقرّرها، فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾ (سورة البقرة: ٧). وروى الدار قطني عن أبي ثعلبة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله فرض فرائض فلا تضيّعوها وحرّم حرمات فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها. (سنن الدارقطني ج ٤:

←

وقد بنيت على قبور عديدة، والباني لها أهل القبلة، ولم ينكر منهم منكر[1]. وعدم بنائها على عهده ﷺ معلوم الوجه؛ لحاجة الناس ذلك

➔

ص١٠٩). وعن سلمان الفارسي أنّ رسول الله ﷺ سئل عن السمن والجبن والفِراء؟ فقال: الحلال ما أحلّ الله في كتابه، والحرام ما حرّم الله في كتابه. و ما سكت عنه فهو ممّا عفا عنه. أخرجه ابن ماجة والترمذي والحاكم ٤- وروى البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص: أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرّم على المسلمين، فحُرّم عليهم من أجل مسألته ٥- وعن أبي الدرداء أنّ رسول الله ﷺ قال: ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإنّ الله لم يكن لينسى شيئاً، وتلا: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً. أخرجه البزّار وقال: سنده صحيح، والحاكم وصحّحه... (فقه السنّة ج٣: ص ٢٨٨).

أقول: والروايات الواردة في هذا المجال ممّا اتفق المسلمون على مضمونها، وهي كثيرة لا يسعنا المجال لاستقصائها وإنّ أصل الإباحة والحلّية أصل متّفق عليه بين جميع العلماء والفقهاء، وعليه فإنّ عدم وجود شيء في عصر النبي ﷺ لا يكون دليلاً على عدم جوازه، وإلّا فيلزم أن يقال بأنّ كلّ الأجهزة الحادثة بعد عصر النبي ﷺ محرّمة! وهل يلتزم بذلك أحد؟!

ثمّ إنّ قضية البناء على القبور كانت من الأمور المشروعة في الشرائع السابقة، وقد أمضاه وأيّده الإسلام بعدم الردع عنه كما في قضية أصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، فلاحظ.

(١) إنّ من عجائب ابن تيمية وأتباعه أنّهم أغمضوا عيونهم عن القباب والمباني على قبور الأنبياء والأولياء الموجودة عند مجيء الإسلام ولم يتعرّض لها المسلمون في الفتوح ولم يهدموها، ومنها قبر موسى عليه السلام في القدس وقبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبر يوسف عليه السلام وغيرهم من الأنبياء، بل أقرّها الخلفاء وصلّوا عندها، ولم يستنكرها أهل البيت عليهم السلام. كما

➔

➔
أنّ المسجد الحرام والكعبة الشريفة مليئة بقبور الأنبياء والأولياء، بل إنّ حجر إسماعيل الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وآله أن ندخله في طوافنا ما هو إلّا محوطة أقامها إسماعيل عليه السلام على قبر أمّه هاجر حتّى لا تدوس القبر أقدام الطائفين، ثمّ أوصى أن يدفنوه في نفس المكان. فقد أخرج الطبري في تاريخه أنّ إسماعيل عاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة، ودفن في الحجر عند قبر أمّه هاجر (انظر تاريخ الطبري ج١: ص ٢٢١)

وأخرج القرطبي في تفسيره في حديث أنه ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبيّاً جاؤوا حجّاجاً فقبروا هنالك (تفسير القرطبي ج٢: ص ١٣٠). وإلى غير ذلك من الروايات.

ثمّ إنّ ابن تيمية غفل عن القبب المبنيّة على قبور كبارهم كأحمد بن حنبل وغيره ممن يقدّسونه ويعظّمونه. فقد بنوا على قبر أحمد بن حنبل في بغداد مسجداً وجعلوه مزاراً يزورونه ويصلّون عند قبره ويتوسّلون به قال ابن خلّكان: توفّي أحمد ضحوة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ ودفن بمقبرة ببغداد باب حرب المنسوب إلى حرب بن عبد الله أحد أصحاب المنصور الدوانيقي وإلى حرب هذا انتسب المحلة المعروفة بالحربيّة وقبر أحمد مشهور بها يزار (وفيات الأعيان ج١:ص ٦٤)

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه مناقب أحمد بن حنبل أخباراً كثيرة في زيارة قبر أحمد بن حنبل يفيد مجموعها أنّها كانت عادة الحنابلة. والروايات صريحة في الغلوّ حتّى ورد في بعضها عن أبي بكر بن مكارم أنّه قال: إنّ الله سبحانه وتعالى يزور قبر أحمد في كلّ عام. وقد صحّح ابن جوزي سند الحديث وقال: أبو بكر بن مكارم كان شيخاً صالحاً (مناقب أحمد بن حنبل: ص٥٥).

ولا يخفى أنّ الروايات الواردة في زيارة أحمد بن حنبل كثيرة ومشتملة على الغلوّ، ولا ندري كيف لا يفتي علماء الوهابية وأتباع ابن تيمية بهدم قبر أحمد بن حنبل، ولا يردّون على هذه الروايات؟! فإذا كان هذا العمل شركاً فكيف لا يحكمون عليهم بالشرك ولا يطبّقون مذهبهم وفتاواهم عليه والمفروض أنّ من له عقيدة خاصّة لابدّ أن يبدأ من نفسه
➔

الوقت إلى المال من حيث شدة فقرهم وشغلهم بالجهاد، فلم يحصل في أيديهم من المال ما يتوسّعون به في المباحات[١]. ولمّا وقعت الفتوحات

➔

بتطبيق ذلك، ولكن نحن نجد سنين عديدة قبر أحمد بن حنبل مزاراً لأهل السنة والجماعة خصوصاً الحنابلة، ولاسيّما في الأيّام الأخيرة التي ظهر فيها جماعة السلفية والإرهابية في العراق وقاموا بتفجير المساجد والمراقد المقدّسة فيها، ولكن لم يطلق رصاصاً واحداً إلى جهة قبر أحمد، ولا زالت مقبرته محلّاً للزيارة. ولا ندري كيف هذا صار حلالاً أمّا البناء على القبور المطهرة من أهل البيت عليهم السلام التي هي من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيه أسمه حرام وشرك وبدعة وكفر؟! أليس هذا من أعجب العجاب؟!

وخلاصة الكلام أنّ هدم القبور عند هؤلاء يختصّ بمراقد أهل البيت عليهم السلام وذلك لعدائهم وحقدهم بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لا شيء آخر، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ الجهة الماليّة والاقتصاديّة لها دور كبير في تطوير المجتمع وتنظيم الأمور العامة والخاصة في كلّ نظام، فإنّ الإسلام اهتمّ بالجانب الماليّ والاقتصاديّ كاهتمامه بالجوانب العقائديّة والفكريّة والروحيّة والأخلاقيّة، مع أنّ الرسالة الإلهيّة قائمة على أساس التكامل المعنوي والروحي، إلّا أنّ قضية المال وتنظيم الحياة من جهة الاقتصاد والمعيشة و.... لها دور عظيم في هذا التكامل. ويمكن ملاحظة هذا الجانب في باب الزكاة التي هي مقرونة بالصلاة في القرآن الكريم والحثّ على الإنفاق في سبيل الله وعلى الفقراء والمساكين.

ومن أهمّ الأمور بناء الأماكن الثقافية والدينية لإحياء مبادئ الإسلام وأهدافه العظيمة. ومن تلك الأماكن بناء المسجد والحرم لقبور أئمة الإسلام وأولياء الله والصالحين والتي تكون معدّة للذكر والدعاء والارتباط بالله بخط الصالحين. قال الله تعالى ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ (سورة النور: ٣٦).

➔

وكثر المال توسّعت الناس في التعمير وغيره، وبنيت القصور التي لم يكن

➔

وأخرج الثعلبي في تفسير هذه الآية الكريمة عن أنس بن مالك وبريرة أنّهما قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية فقام رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء، قال: فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة؟ قال: نعم، من أفاضلها (تفسير الثعلبي ج٧: ص ١٠٧) وأخرجه السيوطي في الدرّ المنثور ج٥: ص ٥٠، والآلوسي في تفسيره ج١٨: ص ١٧٤، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٥٣٣، وغيرهم.

وخلاصة الكلام أنّ أهمية هذا الموضوع كانت واضحة لدى المسلمين إلّا أنّ الوضع الاقتصادي والمالي للمسلمين لم يساعدهم على بناء المساجد والحرم على قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام وأولياء الله والصالحين. وكان لأئمة البقيع عليهم السلام مزار ومرقد في القرن الأول والثاني وحتى يوم الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٥ الذي قام فيه الوهابية بتدميره. والمراقد المقدّسة التي كانت في هذا المزار مع القبّة هو مرقد الإمام الحسن المجتبى السبط الأكبر عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والإمام محمد الباقر عليه السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام إنّ من يلاحظ الصورة القديمة لذلك البناء والقبّة المبنية على تلك المراقد المطهّرة يعرف مدى إمكانية المسلمين لبناء هذه الأماكن المقدسة، ومن الواضح لو كانت الإمكانيّات وسيعة لكان البناء أوسع وأحسن من ذلك. وفي عصرنا الحاضر قد توسّعت الإمكانيات في العمران والتعمير والبناء وغير ذلك فبالطبع توسّعت البناءات والأمكنة المقدسة كما توسّعت الأماكن المقدّسة في مكّة والمدينة كمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسعى والجمرات وغيرها من الأمكنة فكذلك الأمر في البناء على المزارات فإنّها أيضاً توسّعت لإحياء أمر الدين، وهذا توفيق من الله العظيم لشيعة أهل البيت عليهم السلام حيث تسنّى لهم في هذا الزمان تعمير قبور أهل البيت عليهم السلام الذين قال الله تعالى في حقّها: في بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ وَيَذْكُرَ فيه اسْمُهُ.

مثلها على عهده وغير ذلك من التوسّعات التي صارت بعده فلم لم ينتقد السنّي على عثمان وبعض أقاربه تعمير القصور والدور[١]؟! وقصر سعيد في

(١) لقد روى المحدّثون والمؤرخون أنّ عثمان وزّع أموال بيت المال على أقاربه ومتملّقيه وصرفها في حوائجه الشخصية، قال المسعودي: بنى عثمان داره في المدينة وشيّدها بالحجر والكِلْس وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة وذكر عبد الله بن عتبة: أنّ عثمان يوم قتل كان له- عند خازنه- من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعة بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً (مروج الذهب ج٢: ص ٣٤١).

وقال ابن سعد: كان لعثمان بن عفّان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وخمسون ومائة ألف دينار فانتهبت وذهبت، وترك ألف بعير بالربذة.... (الطبقات للكبرى لابن سعد ج٣: ص ٧٦) ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ٤٦١ وابن كثير في البداية والنهاية ج٧: ص ١٩٧ وغيرهم.

وقال ابن حجر المكّي: جاءه عثمان أبو موسى بحلية ذهب وفضة، فقسّمها بين نسائه وبناته وأنفق أكثر بيت المال في ضياعه ودوره (الصواعق المحرقة: ص ١١٣) ورواه الحلبي في السيرة ج٢: ص ٧٨

وقال الزبير بن بكار: لمّا أتي عمر بجوهر كسرى وضع في المسجد فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويحك أرحني من هذا، وقسِّمه بين المسلمين، فإنّ نفسي تحدّثني أنّه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس فقال: إن قسمته بين المسلمين لم يسعهم وليس أحد يشتريه، لأنّ ثمنه عظيم، ولكن ندعه إلى قابل فعسى الله أن يفتح على المسلمين فيشتريه منهم من يشتريه فقال: ارفعه فأدخله بيت المال. وقتل عمر وهو بحاله فأخذه عثمان لمّا ولي الخلافة فحلّى به بناته (الأخبار الموفقيات: ص ٦١٢) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٩: ص ١٦.

قال ابن سعد: إنّ عبد الرحمن بن عوف (صهر عثمان) توفّي وكان فيما ترك ذهب قطع

←

➔

بالفؤوس حتّى مجلت أيدي الرجال منه (الطبقات لابن سعد ج٣: ص ١٣٦)

وقال ابن عبد ربّه: إنّ ممّا نقم الناس على عثمان أنّه آوى طريد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص، ولم يؤوه أبو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف... (العقد الفريد ج٣: ص ٢٩١) ورواه ابن قتيبة في المعارف: ص ١٩٤ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: ص١٩٨

وقال البلاذري: كان ممّا أنكروا على عثمان أنّه ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها... (أنساب الأشراف ج٦: ص ١٣٧) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٣: ص ٣٥

وروى البلاذري عن عبد الله الزبير انّه قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين أفريقية فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة، فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم .... (أنساب الأشراف ج٦: ص ١٣٦) ورواه الطبري في تاريخه ج٤: ص ٢٥٦.

وقال اليعقوبي: أغزى عثمان الناس أفريقية سنة سبع وعشرين.... وكثرت الغنائم وبلغت ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف. فزوّج عثمان ابنته من مروان بن الحكم وأمر له بخمس هذا المال (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص ١٦٥).

وقال البلاذري: قدَمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها المحارث بن الحكم بن أبي العاص أخا مروان بن الحكم (أنساب الأشرف ج٦: ص١٣٧) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٣: ص ٣٠ والطبري في تاريخه ج٤ ص٣٦٥ وابن الأثير في تاريخه ج٢: ص٢٨٦

وقال ابن أبي الحديد: أمر عثمان لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال وقد كان زوّجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا والله، لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا بن أرقم فإنّا سنجد غيرك (شرح نهج البلاغة ج١: ص١٩٩)

🡐

➔

وقال أبو الفداء: وأقطع عثمان مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله التي طلبتها فاطمة ميراثاً فروى أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة (تاريخ أبي الفداء ج١: ص١٩٦) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: ص١٩٨ وابن قتيبة في المعارف: ص١٩٥

وقال ابن أبي الحديد: أنكح عثمان الحارث بن الحكم ابنته معائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً وبعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه (شرح نهج البلاغة ج١: ص١٩٩)

وقال اليعقوبي: وزوّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أُسيد وأمر له بستمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٨) ورواه أبو هلدل في كتابه الأرل: ص١٣٠

وقال ابن أبي الحديد: أعطى عثمان أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال (شرح نهج البلاغة لا بن أبي الحديد ج١: ١٩٩)

وقال ابن أبي الحديد نقلاً عن الواقدي أنّ زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار، وهو يدعوهم إلى نصرة عثمان، فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حبة المازني، فقال له: وما ينهك يا زيد أن تذبّ عنه؟ قال: أعطاك عشرة آلاف دينار وحدائق من نخل لم ترث عن أبيك مثل حديقة منها (شرح نهج البلاغة ج٣: ص٨) ورواه السيد المرتضى في الشافي ج٤: ص٢٤٢

وقال البلاذري: لمّا أعطى عثمان زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشّر الكافرين بعذاب أليم، ويتلو قول الله عز وجل: والذين يكنزون الذهب والفضة .... (أنساب الاشراف ج٦: ص١٦٦)

وقال الطبري: عن سيم بن حفض: كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطب شريك عثمان في الجاهلية، فقال العباس بن ربيعة عثمان: اكتب لي إلى ابن عامر يسلغني مائة ألف، فكتب،

🡐

←

فأعطاه مائة ألف وصله بها، وأقطعه داره، دار العباس بن ربيعة اليوم (تاريخ الطبري ج ٤: ص ٤٠٤) ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ج٦: ص ١٥١ وابن قتيبة في المعارف.

وقال البلاذري: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار (أنساب الأشراف ج٦: ص١٠٨)

وقال ابن أبي الحديد نقلاً عن عثمان: ويلي على ابن الحضرمية، يعني طلحة أُعطيته كذا وكذا بهارا ذهباً، وهو يروم دمي، يحرّض على نفسي. اللّهم لا تمتّعه به ولقّه عواقب بغيه (شرح نهج البلاغة ج٩: ص٣٥)

وقال ابن سعد عن أبي حصين: إنّ عثمان أجاز الزبير بن العوام بستمائة ألف فنزل على أخواله بني كاهل، فقال: أيّ المال أجود؟ قالوا: مال إصبهان، قال: أعطوني من مال إصبهان (الطبقات الكبرى ج٣: ص١٠٧)

وقال ابن سعد نقلاً عن العروة: كان للزبير بمصر خطط وبالاسكندرية خطط وبالكوفة خطط وبالبصرة خطط وبالبصرة دور، وكانت له غلّات تقدم عليه من أعراض المدينة (الطبقات الكبرى ج٣: ص١١٠) وقال اليعقوبي نقلاً عن عبد الرحمن بن يسار: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص، وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضا من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون، فنعطيك إن شاء الله، فألحّ عليه فقال: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذه وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين، وجاء بالمفتاح يوم الجمعة- وعثمان يخطب- فقال: أيّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازنا للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم- ورمى بها- فأخذها عثمان ودفعها إلى زيدين ثابت (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٦٨) ورواه البلاذري في الأنساب ج٦: ص١٧٣)

وقال البلاذري نقلاً عن أبي مخنف: لما قدم الوليد الكوفة ألفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضة مالاً- وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم تردّ ما تأخذ ـ فأقرضه عبد الله ما سأله ثمّ

→

➔

إنّه اقتضاه إياه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: إنّما أنت خازن لنا، فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين، فأمّا إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال (أنساب الأشراف ج٦: ص١٤٠)

وقال ابن عبد ربّه نقلاً عن عبد الله بن سنان: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة، وأمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف، لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب بها براءة، قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فنزعه عن بيت المال (العقد الفريد ج٣: ص٣٠٨).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن سالم بن أبي جعد: قال: دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمار بن ياسر فقال: إنّي سائلكم وإنّي أحبّ أن تصدّقوني نشدتكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أمية حتّى يدخلوا من عند آخرهم (مسند أحد بن حنبل ج١: ص٦٢) وإلى غير ذلك من الروايات والأخبار الصريحة في أنّ عثمان كان يوزّع أموال بيت المال للمسلمين على أبناء بيته الساقطين عن وجوه أهل الإيمان، وأثمار الشجرة الملعونة في كتاب الله أعني بني أميّة رجال العبث والخمور والفجور، وقد فضّلهم على عظماء الأمّة وخيرة الصحابة الصالحين، وكان يهب من مال المسلمين لأقاربه ومتملّقيه من دون كيل ووزن ويؤثرهم على من سواهم كائناً من كان.

وهذه العطايا صارت أحد أسباب الثورة عليه فلو كان ينظر نظر الانصاف لكان يصرفها في الفقراء والمساكين الذين كانوا يعيشون في تلك الفترة في حالة الجوع ونقص الأموال و

وعلى كل تقدير فإنّ ابن تيمية كان عليه أن يأخذ هذا الجانب من القضيّة بعين الاعتبار،

🡐

ذي خشب معروف مشهور[١]، وغير ذلك.

وثالث عشرها: ما زعمه من قدوم المسلمين الشام غير مرّة ومعهم علي عليه السلام ولم يقصد رجل منهم زيارة قبر الخليل (عليه وعلى نبيّنا وآله الصلاة والسلام). فإنّ ذلك من عجائبه! فأمّا مسألة مسير عليّ عليه السلام معهم فيما زعمه فهي دعوى بدون دليل[٢]، بل في الكامل وغيره أنّ عمر جعله على

←

حيث إنّ الذي كان يبني البناء على القبور إمّا الحاكم الذي بيده بيت المال وإمّا الناس الأثرياء، فإذا كانت الأموال من بيت المال توزّع بالشكل المذكور كما كان يفعله عثمان وأضرابه من الخلفاء الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام فمن الذي يتصدّى لتشييد المشاهد المشرّفة والأماكن المعظّمة؟ ولذلك نجد بعض الحكّام من بني أمية وبني العباس كانوا يباشرون ترميم المشاهد وتوسعتها ليقول الناس إنّهم يهتمّون بالإسلام وشعائره الدينية، ولكن في الواقع كانت سياستهم نفس سياسة عثمان.

(١) فإنّ من القصور التي استثمرها بنو اُمية بل من أهمّها قصر سعيد بن العاص في المدينة وهذا القصر اشتراه معاوية من سعيد وكان مشيّداً بالحجارة والجصّ وزيّنت واجهاته الداخلية بالزخارف الجصيّة، وكان هذا القصر أهمّ القصور، حيث قال الشاعر في حقّه:

القصر والنخل فالجماء بينهما أشهى الى القلب من أبواب جيرون

إلى البلاط فما حازت قرائنه دور نزحن عن الفحشاء والهون

قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنوني

(٢) إذ أولاً لابدّ من إثبات أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرّ على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام ولم يزره، فأيّ مصدر تاريخ ذكر فيه أنّ الامام عليه السلام مرّ على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام ولم يعتن بقبره الشريف؟

وأمّا ذهاب الإمام عليه السلام إلى حرب صفين التي وقعت في شرق سوريا بالقرب من مدينة الرقّة على نهر الفرات، وقبر إبراهيم الخليل عليه السلام في فلسطين في مدينة الخليل فكلّ عاقل

←

➔

يعرف بأنّ المسافة بعيدة بين المنطقتين! ثمّ إنّه لم يذكر في التأريخ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يزر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام إنّما الكلام هو في عدم وجود شيء في التأريخ وهذا لا يدلّ على العدم؛ إذ لعل الإمام عليه السلام زار قبره الشريف ولم يذكر في التأريخ.

وثانياً: على فرض التسليم فإنّ عمل الإمام عليه السلام ليس فيه دلالة على عدم الجواز إذ لعلّ هناك أمر أهمّ واجب على عاتق الإمام عليه السلام بحيث لم يمكنه العمل باستحباب زيارة قبر إبراهيم الخليل، فإنّ الحرب مع معاوية وأهميّة قلع مادّة الفساد من الشام من أعظم التكاليف، فإذا دار الأمر بينه وبين استحباب الزيارة فمن المعلوم أنّ الأهمّ مقدّم، وهذا لا يعني عدم جواز الزيارة بل معناه أنّ وجوب المقابلة مع جنود إبليس أعني معاوية بن أبي سفيان أمر أهمّ يقدّم على الزيارة مضافاً إلى أنّ عدم العمل ليس فيه دلالة على عدم الجواز إذ غايته دلالته على جواز الترك لا الحرمة.

ثالثاً: بعد ثبوت أنّ زيارة المؤمنين أمر مشروع في الشريعة المقدّسة، وقد ورد في ذلك السنة النبوية الشريفة المؤكّدة على استحباب زيارة قبور المؤمنين فزيارة الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء والصدّيقين تكون مشروعيّتها بطريق أولى فعدم زيارة الإمام عليه السلام لا يدلّ على عدم جوازه.

ورابعاً: لقد روى تقيّ الدين السبكي بسنده عن أبي هريرة أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى بيت المقدس، مرّ بي جبرائيل إلى قبر إبراهيم عليه السلام فقال: انزل صلّ هاهنا ركعتين، فإنّ هاهنا قبر أبيك إبراهيم عليه السلام، ثمّ مرّ بي إلى بيت لحم فقال: انزل صلّ هاهنا ركعتين فإنّ هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام، ثمّ أتى بي إلى الصخرة... (شفاء السقام: ص٢٥٥). فإنّ عمل النبي صلى الله عليه وآله واجب الاتّباع، لأنّ سنته صلى الله عليه وآله حجّة بنصّ القرآن الكريم، قال الله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ (سورة الأحزاب: ٢١) وقال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (سورة الحشر: ٧) فأمرنا القرآن الكريم باتّباع السنّة النبوية الشريفة.

وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام

➔

المدينة لمّا سار إلى الشام لمصالحة أهل البيت المقدس، ولمّا سار إلى الشام سنة حدوث الطاعون فلم يسر معهم في هاتين السفرتين.

وأما مسألة عدم قصد صحابيّ منهم زيارة قبر الخليل فليس يجديه نفعاً على فرض صدقه[1]؛ فإنّه محمول على شغلهم بما هو أهمّ من ذلك، بعد ثبوت السنّة باستحباب زيارة القبور مطلقاً فكيف بزيارة قبر الخليل وغيره من الرسل[2].

➔

(انظر شفاء السقام: ص٤٠). وهناك أحاديث أخرى كثيرة تدلّ بالصراحة على أنّ النبيﷺ كان يزور قبور المؤمنين. فإذا كان النبيﷺ يزور القبور فإنّ عمله سنّة وحجّة يلزم على جميع المسلمين الالتزام بسنّتهﷺ. فزيارة قبور المؤمنين أمر مستحب وزيارة قبور الأنبياء والصالحين والشهداء والصديقين بطريق أولى.

والحاصل أنّ ما ذكره ابن تيمية في المقام مردود بالأدلّة المذكورة، فلاحظ.

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٥٠٠ ـ ٥٠٧.

وتوضيح المقام هو أنّ مطلق الفعل بناءً على حجيته ليس فيه دلالة على الوجوب، بل أقصى ما يدلّ على الإباحة، لأنّ العمل لو لم يكن فيه جهة اللزوم ولا الخصوصيّة التي تدلّ على الاستحباب لا يكون فيه لسان ولا دلالة على أزيد من إباحته، كما أنّ ترك الفعل لا يدلّ على الحرمة ولا حتّى على الكراهة، لأنّ الترك أمر عدميّ، فحاله أوضح من الفعل، إذ بالفعل يعرف جواز العمل، لأنّ إيجاد الفعل دالّ على جوازه وإباحته على الحدّ الأقل، ولكنّ الترك أمر عدميّ ليس فيه أيّ دلالة لا نفياً ولا إثباتاً. اللّهم إلّا أنّ يكون فيه جهة خاصة فتكون الجهة الخاصة سبباً للترك أو العمل، وإذا كان السبب معلوماً فوجه العمل إنّما يكون لذلك السبب، فلا دلالة فيه أكثر من ذلك، فلاحظ.

(٢) وذلك لأنّه بعد ثبوت استحباب زيارة قبور المؤمنين وكونها من سنن رسول الله ﷺ فإنّ

➔

ورابع عشرها: ما زعمه من نهي الصحابة عن أن يبنى المسجد على القبر. فإنّه دعوى منه لم يأت عليها بدليل[1]. وليس البحث في نهي

➔

استحباب زيارة قبور الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين يكون آكد، لأنّ الأنبياء هم أعلى أفراد المؤمنين كما هو واضح. وإنّ زيارة قبور المؤمنين لوجه الله يوجب سرور أرواحهم فما يترتّب على سرور المؤمن من الثواب والآثار الوضعيّة يترتب على زيارة قبور الأنبياء بطريق أولى، وعليه فإنّ سرور أرواح الأنبياء والمرسلين الذي يترتب على زيارتهم سرور القلب منشأ للإخلاص والمعرفة وفوق ما يترتب على زيارة كلّ أحد من المؤمنين، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ ما ذكره ابن تيمية في المقام دعوى كاذبة لا دليل على صحّتها كما لا يخفى ذلك على أحد، بل إنّ ما ذكره يكون مخالفاً لما فعله الصحابة، إذ أنّ أبا بكر وعمر دفنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان بناء المسجد على القبر منهيّاً عنه لا فرق بين الحدوث والبقاء إذ يصدق على كلّ ذلك المسجد على القبر. فإذا كان الصحابة قد نهوا عن بناء المسجد على القبر كيف طلب عمر بن الخطاب من عائشة أن يدفن في المسجد النبويّ؟ فقد أخرج البخاري بسنده عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت عمر بن الخطاب قال: يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أمّ المؤمنين عائشة فقل يقرأ عمر بن الخطاب عليك السّلام، ثمّ سلها أن أدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسي فلأؤثرنّه اليوم على نفسي، فلمّا أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، قال: ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع، فإذا قبضت فاحملوني ثمّ سلّموا ثم قل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادفنوني... (صحيح البخاري ج٢: ص١٠٧، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر) ورواه أيضاً في (صحيحه في كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم ج٤: ص٢٠٥) وكأنّما البخاري فهم من هذه القضية أنّها من مناقب عمر بن الخطاب فإنّ طلبه من عائشة الرخصة في الدفن بعد وفاته عند صاحبه أبي بكر في مسجد

➔

الصحابة؛ فإنّ نهيهم عن شيء ليس بحجّة ما لم يعلم كون مستنده السنّة[١].

➔

رسول الله ﷺ ممّا يوجب اكتساب الفضلية له.

ولنا أن نسأل ابن تيمية وأتباعه الذين يأخذون بكلامه وآرائه، إذا كان الصحابة قد نهوا عن بناء المسجد على القبور على ما ادّعاه فهل هناك فرق بين أن يدفن الميت في المسجد أو يدفن في مكان ويبنى على قبره مسجد؟!

والخبير يعلم بانّه لا فرق بين الأمرين لأنّ موضوع النهي يكون محقّقاً في كلتا الصورتين؛ إذ لا فرق في تحقّق العنوان بين الحدوث والبقاء فبمجرد تحقّق العنوان يتعلّق به النهي قهراً، وعليه إذا كان النهي يتعلّق بالدفن في المسجد فلماذا طلب الخليفة من عائشة أن تستأذن له بالفعل المنهيّ عنه؟ وإذا كان كذلك فلماذا الصحابة ارتكبوا هذا العمل المنهيّ عنه بعد وفاة عمر بن الخطاب ودفنوه في المسجد؟

ولا ندري أين كانت تلك الجماعة من الصحابة الذين نهوا عن البناء على القبور، فلماذا لم ينهوا الجماعة الذين دفنوا الخليفة عمر بن الخطاب في المسجد؟ أليس النهي عن المنكر واجباً؟ ثمّ أين كانت تلك الجماعة من الصحابة عندما دفنوا أبا بكر في المسجد قبل عمر فلماذا لم ينهوا عن دفن أبي بكر في المسجد فإذا كان هذا العمل قبيحاً ومخالفاً للشريعة الإسلامية بحيث يعدّ فاعله مشركاً بالله فلماذا لم يقل أحد بأنّ هذا العمل شرك بالله العظيم؟ أليس كلام ابن تيمية عند أتباعه مما يقضى به العجب العجاب؟ فلاحظ.

(١) لأنّ الحجّة هي قول رسول الله ﷺ، قال ابن حزم: فإنّ الحجّة التي أمر الله تعالى بها وباتباعها إنّما هي ما رووه لنا عن رسول الله ﷺ، لا ما رواه من رآه منهم برأي اجتهد فيه وأصاب إن وافق النصّ فله أجران أو أخطأ إن خالف النصّ غير قاصد إلى خلافه فله أجر واحد، وقد أفردنا في كتابنا الموسوم بالإعراب في كشف الالتباس باباً ضخماً لكلّ واحدة من الطائفتين فيما تناقضوا فيه في هذا المكان.... (المحلّى ج٩: ص ٥٠٢)

وقال صاحب فقه السنة في مورد تعارض قول ابن عمر مع قول رسول الله ﷺ: إنّه لا تعارض بين قول ابن عمر وقول رسول الله ﷺ، لأنّ الحجّة في رواية ابن عمر لا في

➔

ولو سلّم ورود السنّة بذلك فليس لهذه المسألة دخل بمقام البحث[(١)]، ومن المعلوم بالمشاهدة والعيان كون الشيعة لم تبن شيئاً من مساجدها على قبر من القبور. ومجرّد الصلاة عندها لا يصيّرها مساجد[(٢)]، بل الذي ينظر إلى

➔

رأيه... (فقه السنّة لسيد سابق ج٢: ص ٢٦٥)

وقال ابن حزم في مكان آخر: إنّ الحجّة عندنا في الرواية لا في الرأي (المحلّى ج٩: ص ١٨)

أقول: من الواضح أنّه إذا ورد حديث عن رسول الله ﷺ في جواز عمل ثمّ نهى عنه الصحابة فإن قول رسول الله ﷺ مقدّم؛ لأنّ الله تعالى أمر جميع المسلمين باتّباع رسول الله ﷺ. قال الله تعالى ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (سورة الحشر: ٧). فإنّ الآية الكريمة ذات حكم كلّي في وجوب الالتزام بأوامر النبي ﷺ في جميع الموارد، فإذا كان رسول الله ﷺ أمر وأوصى بدفنه في المسجد فما قيمة نهي الصحابة عن ذلك؟

(١) وبعبارة أوضح أنّه: لو ثبت في المقام ورود النهي عن رسول الله ﷺ فلا يبق موضوع لنهي الصحابة عن بناء المسجد على القبور؛ لأنّ المستند في الحكم هو نهي رسول الله ﷺ وبعد ثبوته لا أثر لقول الصحابة ونهيهم عن زيارة القبور. إذن لو لم يثبت النهي من رسول الله ﷺ لا معنى لنهي الصحابة. لأنّ المدار هو قول رسول الله ﷺ وفعله، فلاحظ.

(٢) فإن عنوان المسجديّة من العناوين القصديّة التي يحتاج تحقّقها إلى القصد لا وجود العمارة التي يقام فيها الصلاة فإن إقامة الصلاة في مكان أعمّ من كونه مسجداً.

وبعبارة أخرى: إنّ عنوان المسجدية أمر حادث لابدّ من إحرازه، فإذا أحرز مسجدية مكان يترتّب عليه أحكامه. كما أنّ المسجد النبوي هو مسجد من مساجد الإسلام وله آثاره الخاصة به.

وأمّا قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام فإنّ البناء عليها لم يكن من باب المسجد، وإن كان لا يلزم

➔

كتبهم في الفقه يرى الصلاة عندهم على القبور وبينها وإليها مكروهة[(١)]،

←

منه إشكالاً شرعياً، ولكن حقيقة الأمر أنّها مشاهد ومزارات يستحبّ فيها الصلاة، للروايات الواردة في استحبابها عن المعصومين عليهم السلام. مثلاً قد ورد في بعض الروايات أنّ الصلاة عند قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكلّ ركعة ألف ركعة، وهكذا بالنسبة إلى المشاهد الأخرى توجد روايات كثيرة تدلّ على أفضلية الصلاة فيها وهذا لا يعني أنّ ذلك المكان صار مسجداً.

وعليه لو وقف أحد مكاناً لإقامة الصلاة فيه فلا يجعله مسجداً فإنّ المسجد عنوان خاص شرعيّ لابد من قصده وذكره في صيغة الوقف وإلّا فلا يتحقّق العنوان.

(١) لقد صرّح علماء الشيعة بأنّ الصلاة في المقابر مكروهة قال العلامة الحلّي: تكره الصلاة في المقابر سواء تكرر الدفن في القبر أو لا (تحرير الأحكام ج١: ص٢١٢)

وقال في كتابه المنتهى: وتكره الصلاة في المقابر ذهب إليه علمائنا وبه قال علي عليه السلام وابن عباس وابن عمرو عطاء والنخعي وابن المنذر. وقال الشافعي: إن علم أنّه قد تكرر الدفن في القبر ونبش لم يجز الصلاة عليه.... (منتهى المطلب ج٤: ص٣١٣)

وقال الفاضل الهندي: يكره الصلاة بين المقابر وفاقاً للمشهور للمرسلين وخبر المناهي وغيرها. وفي الغنية الإجماع. وأفسد سلّار الصلاة في المقابر، وحكاه الشيخ في الخلاف قولاً لبعض الأصحاب ودليله ظاهر النهي... (كشف اللثام ج٣: ص٢٩٩)

وقال صاحب الحدائق: أمّا مجرّد الصلاة في المقابر حيث إنّها توجب منعاً من التصرّف فهي صحيحة وإن كانت مكروهة من حيثية أخرى... (الحدائق الناضرة ج٤: ص١٤١)

وقال السيد اليزدي: الممنوع في لسان الأدلّة ولو على سبيل الكراهة إنّما هو الصلاة في المقابر أو بين القبور، وأمّا الصلاة خلف القبر فلا منع إلّا إذا اتّخذه قبلة، ومع تسليم الكراهة فيستثنى من ذلك مراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فقد نطق النصّ بجواز الصلاة خلف قبورهم. ففي مكاتبة الحميري: وأمّا الصلاة فإنّها خلفه ويجعله الإمام، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه لأن الإمام لا يتقدّم، ويصلّي عن يمينه وشماله (العروة الوثقى الصلاة ج١:

→

فأيّ معنى حينئذ لقول السنّيّ هنا: إنّ الصحابة ينهون عن جعل المسجد على القبر؟[١]

➔

ص٤١٥).

ثمّ لا يخفى على الخبير أنّ معنى الكراهة في الصلاة والعبادة أقلّ ثواباً، إذ لا تكون العبادات إلّا راجحة أو حراماً فلو كانت جائزة مكروهة لكان بالمعنى الذي مرّ، وإلّا فهي راجحة من دون مرجوحيّة لأنّه لا تعقل المرجوحيّة في العبادة إذ لا تجتمع المبغوضيّة مع المحبوبيّة؛ فإنّ العبادة محبوبة فلا تجتمع مع المبغوضية، فالنهي في العبادة محمول على معنى الأقلّ ثواباً، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام هو أنّ إقامة الصلاة عند القبور إذا كانت لغاية عبادة صاحب القبر لا شكّ بأنّها شرك بالله العظيم، ولكن لا تجد على وجه الأرض مسلماً يفعل ذلك، هذا أوّلاً.

وثانياً: إنّ هدف الشيعة من إقامة الصلاة والدعاء عند قبور أولياء الله والتبرّك بالمكان الذي احتضن جسد حبيب من أحبّاء الله يعود إلى ثوابه الأكثر، لأنّ في تلك المشاهد والمراقد فضلية وشرفاً عند الله عز وجل لا توجد في غيرها. ولأجل هذا الهدف أوصى أبو بكر وعمر بدفنهما في جوار قبر النبي ﷺ. فإذا لم يكن في الجوار فضيلة لم يبادر عمر ليتأذن عائشة بدفنه في الروضة النبوية كما جاء في صحيح البخاري بسنده عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت عمرو بن الخطاب قال يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أمّ المؤمنين عائشة فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك اسلام. ثمّ سلها أن أدفن مع صاحبي قالت: كنت أريده لنفسي فلأوثرنّه اليوم على نفسي فلمّا أقبل قال له ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين قال: ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني .... (صحيح البخاري ج٢: ص١٠٧ كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر)

وقد أكّد على صحته النووي في كتابه المجموع ما هذا نصّ عبارته: وحديث استئذان عمر أن يدفن مع صاحبه صحيح رواه البخاري وغيره ... (المجموع ج٥: ص٢٨٢). فإنّ عمر

➔

➔

نفسه يقول: ما كان شيء أهمّ عنده من أن يدفن في جنب صاحبه أبي بكر. فما قيمة كلام ابن تيمية وأتباعه عند أهل السنة والجماعة؟ وعليه فإنّ هدف المسلمين قاطبة من التقرّب بالقبور ليس إلّا جهة الوصول إلى الثواب والخير ببركة تلك القبور التي احتضنت فيها الأجساد الطاهرة، فالشيعة الإمامية يعتقدون ـ كبقية المسلمين ـ بأنّ الصلاة عند تلك القبور الطاهرة الزاكيّة ليست إلّا للتبرك بالمكان الشريف والتقرّب بشأن المدفون إلى الله عزّوجلّ الذي له جاه عظيم عند الله عزّوجلّ.

وثالثاً: قد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين حجّاج بيته الحرام بإقامة الصلاة عند مقام إبراهيم حيث قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (سورة البقرة: ١٢٥). ولا يخفى أنّ مقام إبراهيم هو الصخرة التي وقف عليه إبراهيم الخليل عليه السلام لبناء الكعبة، وقد ثبت عليها مكان رجليه. فإذا كان محلّ وقوف إبراهيم عليه السلام فيه ذلك الفضل والشرف العظيم بحيث يأمر تعالى بالصلاة عنده فما ظنّك بمكان تضمّن جسد أشرف المخلوقات من الأوّلين والآخرين؟ أليس ذلك أعظم وأعظم؟

ورابعاً: قد روي أنّ المنصور العباسي سأل مالك بن أنس وهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا عبد الله أتستقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال مالك: لِمَ تصرف عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله (وفاء الوفاء ج٤: ص١٣٧٦)

وخامساً: روى السيوطي في أحاديث المعراج أنّ النبي صلى الله عليه وآله نزل في المدينة وطور سيناء وبيت لحم وصلّى فيها، فقال له جبرائيل: يا رسول الله أتعلم أين صلّيت؟ إنّك صلّيت في طيبة وإليها مهاجرتك، وصلّيت في طور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليما وصلّيت في بيت لحم حيث ولد فيها عيسى (الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي ج١: ص١٥٤)

وإلى غير ذلك من الروايات والأدلّة الدالة على أنّ الصلاة والدعاء أفضل وأشرف في بعض الأمكنة لشرف ذلك المكان وأهميته، ولا أظنّ أن يتوهّم أحد بأنّ المكان المشرَّف ليس له فضيلة بل يكون مساوياً مع غيره، وهل يمكن لأحد أن يقول بعدم أفضلية حجر

🡐

➔

إسماعيل من بقية بقاع الأرض؟ فإنّ شرف حجر إسماعيل بوجود من دفن فيه، ولا فرق بين شرف المكان الذي ولد فيه نبيّ من أنبياء الله أو دفن فيه نبيّ من الأنبياء من حيث إنّه كان شريفاً، لأنّ شرف المكان بالمكين. فالمكان الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم صلوات الله أجمعين هو من أشرف بقاع الأرض، لأنّها تتضمّن أجساد أطهر الناس من الأولين والآخرين.

وسادساً: إنّ المسلمين جميعاً يصلّون في حجر اسماعيل مع أنّ الحجر مدفن إسماعيل وأمّه هاجر، فأيّ فرق بين مرقد النبي وأهل بيته الطاهرين المعصومين ومدفن إسماعيل الذبيح من هذه الناحية ؟!

وسابعاً: لقد بلغت هاجر اُم إسماعيل في المرتبة عند الله لصبرها وتحمّلها المتاعب في سبيل الله عز وجل حتّى جعل تعالى موضع أقدامها محلاً للعبادة، وأوجب على الحجّاج أن يسعوا فيها كما سعت هي بين جبلي الصفا والمروة. فهل عمل السعي شرك بالله لكون أصل ذلك عمل هاجر ثم أوجبه الله تعالى كرامة لها ولما تحمّلته من الصبر على المكاره؟!

ثمّ نسأل المنصفين هل أنّ شرافة محلّ الصفا والمروة أعظم عند الله لشأن ومنزلة هاجر عند الله أم مقام خاتم الأنبياء ومنزلته عندالله؟ لاشكّ أنّ شرافة رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم من جميع المخلوقات وإذا كان الأمر كذلك فإنّ شرافة محلّه يكون أعظم من شرافة غيره، فمن الواضح أنّ الصلاة عند قبر النبي صلى الله عليه وآله أشرف من العبادة بين الصفا والمروة. قال ابن القيم الجوزية تلميذ ابن تيمية: إنّ عاقبة صبر هاجر وابنها إسماعيل على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبّدات لهم إلى يوم القيامة، وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه (زاد المعاد في هدي خير العباد ج١: ص ٧٠)

ثامناً: إذا كانت الصلاة عند القبور محرّمة فلماذا قضت عائشة عمرها في البيت الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أليس أنّها كانت تصلّي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وخامس عشرها: ما ذكره من ظهور القبر في تستر[١]، وما قاله من أنّ

---

(١) الظاهر أنّ المراد بتستر هنا مدينة الشوش، وإن كان تستر معرّب شوشتر وهي غير الشوش، وقبر نبيّ الله دانيال في مدينة الشوش وهي بلدة في خوزستان ومعرّبها السوس، قال الحموي: السوس بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام،

وقال حمزة السوس تعريب الشوش بنقط الشين ... (معجم البلدان ج٣: ص ٢٨٠)

وقال السمعاني: امّا السوس فهي بلدة من كور الأهواز من بلاد خوزستان، بها قبر دانيال النبي عليه السلام، وخرج فيها جماعة من الأئمّة والمحدّثين ... (الأنساب للسمعاني ج٣: ص ٣٣٥)

وأمّا تستر فهي مدينة أخرى من مدائن خوزستان فيها قبر البراء بن مالك الأنصاري أخو أنس بن مالك، وترجمته موجودة في كتب الرجال راجع (الإصابة لابن حجر ج١: ص٤١٢ رقم الترجمة ٤٢٠) وغيره فالمدينة التي فيها قبر دانيال هي مدينة الشوش، قال ابن كثير: وذكر ابن جرير: إنّهم وجدوا قبر دانيال بالسوس وأنّ أبا موسى لما قدم بها بعد مضيّ أبي سبرة إلى جندي سابور كتب إلى عمر في أمره، فكتب إليه أن يدفنه وأن يغيّب عن الناس موضع قبره ففعل ... (البداية والنهاية ج٧: ص١٠٢)

أقول: الظاهر أنّ ابن تيمية غيّر اسم السوس بتستر ليلبّس به على العوامّ بأنّ تستر اسم سمّي له المكان لأنّ عمر أمر بستر القبر فيها، وقد بقي الاسم على المكان من فعل عمر هذا. فأوّلاً إنّ تستر معرّب شوشتر كما ذكرنا وهي غير السوس.

وثانياً: إنّ فعل عمر ليس فيه أهميّة سوى مخالفته لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بزيارة القبور وعمر منع هذه السنّة.

وثالثاً: إذا صار اسم البلد علماً بفعل عمر فإنّ ذلك من مساوئ الخليفة، لأنّ الفعل المخالف لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله صار سبباً لتسمية المكان باسمه، كما أنّ يوم الخميس الذي وقع فيه قضية مخالفة عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله سمّي برزيّة يوم الخميس، وهي من أشهر القضايا وأكبر الرزايا، وقد أخرجها أصحاب الصحاح. ويكفيك ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال

←

عمر أمر بستره[(١)]، فإنّه من عجائبه؛ لأنّ قول الصحابي وفعله ليس بحجّة من

➔

النبيّ ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ النبي قد غلب عليه الوجع! وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ ﷺ كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال لهم رسول الله ﷺ قوموا عنّي. فكان ابن عباس يقول الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله جر) وبين أن يكتب (صحيح البخاري ج٧: ص٩ كتاب المرضى).

ورابعاً: على فرض صدق الحديث فإنّ القضية غير مرتبطة بزيارة القبور ولعلّ هناك من المشركين وأتباع الأديان وهم غير مسلمين فلا ارتباط بين المقام والحديث.

(١) لقد روى هذه الرواية البلاذري عند ذكره فتوحات خوزستان والأهواز وإليك نصّ عبارته: وسار أبو موسى إلى السوس فقاتل أهلها ثم حاصرهم حتّى نفد ما عندهم من الطعام، فضرعوا إلى الأمان وسأل مرزبانهم أن يؤمّن ثمانون منهم على أن يفتح باب المدينة ويسلّمها، فسمّى الثمانين وأخرج نفسه منهم، فأمر به أبو موسى فضربت عنقه، ولم يعرض للثمانين، وقتل من سواهم من المقاتلة، وأخذ الأموال وسبى الذريّة، ورأى أبو موسى في قلعتهم بيتاً وعليه ستر، فسأل عنه فقيل: إنّ فيه جثّة دانيال النبي ﷺ وعلى أنبياء ورسله، فإنّهم كانوا أقحطوا فسألوا أهل بابل دفعه إليهم ليستسقوا به ففعلوا... فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر أن كفّنه وادفنه فسكّر أبو موسى نهراً حتى إذا انقطع دفنه ثم أجرى الماء عليه (فتوح البلدان للبلاذري ج٢: ص ٤٦٥). وقال ابن كثير في تفسيره: قد روّينا أنّ عمر بن الخطاب لمّا وجد قبر دانيال في زمانه أمر أن يخفى عن الناس... (تفسير ابن كثير ج٩: ص ١٢٠) وقال الحموي: فتحت الأهواز أيام عمر بن الخطاب على يد أبي موسى الأشعري، وكان آخر ما فتح منها السوس، فوجد بها موضعاً فيه جثّة دانيال النبي عليه السلام فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فسأل المسلمين عن ذلك فأخبروه أنّ بخت نصر نقله إليها لمّا فتح بيت المقدس، وأنّه مات هناك. وكان أهل تلك

➔

دون ريب[(١)]، وقد خالف عمر السنّة هنا؛ فإنّها قد وردت باستحباب زيارة

➔

البلاد ليستسقون بجثّته إذا قحطوا، فأمر عمر بدفنه.... (معجم البلدان ج٣: ص ٢٨١). وإلى غير ذلك من كتب أهل السنة والجماعة التي وردت فيها هذه الرواية.

أقول: على فرض صحّة الحديث سنداً فهذه القضية لاربط لها بزيارة القبور، إذ غاية ما في الباب أنّه كانت هناك جثّة أحد الأنبياء مكشوفة، فأمر عمر بدفنه. فالقضية غير مرتبطة بزيارة القبور الذي أمر النبي ﷺ بها، فإنّ ستر الجثّة ليس من أجل الزيارة بل من الاحترام.

وثانياً: إنّ القضيّة ليس فيها ما ذكره ابن تيمية من أنّ الناس كشفوا هذه الجثّة من القبر بل الجثّة لم تدفن من أوّل الأمر. ثمّ ليس في الرواية أنّ أبا موسى حفر ثلاثة عشر قبراً، وعلى فرض وجوده إنّما حفرها لئلا يعرف قبره وكي لا تخرج جثّته مرة أخرى للاستسقاء لا لأمر آخر، فالقضية لا ربط لها بزيارة القبور كما لا يخفى ذلك على أحد.

(١) من المعلوم أنّ قول الصحابي لا يكون حجّة؛ لأنّ الحجّة عبارة عن الطريق والدليل الشرعي والعقلائي إلى الواقع، بحيث يحصل بها القطع أو الاطمئنان المعبّر عنه بالعلم العادي، ويتنجز بسببها الواقع وتصير موجباً لاستحقاق عقوبة العبد عند مخالفته لها، ولذلك سمّيت الحجّة حجّة لأنّ المولى عز وجل يحتجّ بها على العبد، لأنّها تفيد العلم القطعيّ بالواقع. وعليه فإنّ قول الصحابيّ ليس كذلك، إذ الصحابة يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان وارتكاب كلّ فعل قبيح، مضافاً إلى أنّه اتفق الكلّ على جواز مخالفة كلّ واحد من الصحابة مع الآخر، فإذا كان قول الصحابيّ حجّة لا يجوز مخالفته، وكيف يجوز لهم المخالفة ولا يجوز لغيرهم ذلك؟!

وبعبارة أخرى: إذا كان قول الصحابي غير حجّة عند أنفسهم فكيف يكون حجّة على غيرهم؟!

ومضافاً إلى جميع ذلك فقد صرّح علماء أهل السنّة بعدم حجّيّة قول الصحابة، منهم: الغزالي في كتابه المستصفى وإليك نصّ عبارته: الأصل الثاني من الأصول الموهومة قول

🡐

القبور[١]، وأمر عمر صار مانعاً للناس من الفوز بزيارة قبر رسول من رسل

➔

الصحابي. وقد ذهب قوم إلى أنّ مذهب الصحابيّ حجّة مطلقاً، وقوم إلى أنّه حجّة إن خالف القياس، وقوم إلى أنّ الحجّة في قول أبي بكر وعمر خاصّة، وقوم إلى أنّ الحجّة في قول الخلفاء الراشدين إذا اتفقوا. والكلّ باطل عندنا، فإنّ من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه فلا حجّة في قوله، فكيف يحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدّعى عصمتهم من غير حجّة متواترة؟ وكيف يتصوّر عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة؟ فلم ينكر أبو بكر وعمر على مخالفهما بالاجتهاد... (المستصفى للغزالي: ص ١٦٨)

وقال الفخر الرازي: الحقّ أنّ قول الصحابيّ ليس بحجّة. وقال قوم إنّه حجّة مطلقاً، ومنهم من فصّل، وذكروا وجوهاً... لنا النصّ والإجماع والقياس... (المحصول ج٦: ص ١٢٩). وإلى غير ذلك من أقوالهم المصرّحة بعدم حجّيّة قول الصحابة. ولا يخفى على الخبير أنّ من ذهب إلى حجيّة قول الصحابة إنما ذهب إليه في غير مورد القياس والاستحسان والإجماع وغيره من القواعد التي اعتمد عليها علماء أهل السّنة. ولذلك يقول الفخر الرازي لنا النصّ والاجماع والقياس. وهذه الموارد حجّة عند جميع أهل السنّة، وعند التعارض يقدّم القياس والاستحسان وأمثال ذلك على قول الصحابة؛ لأنّ هذه القواعد ثابتة الحجيّة عندهم بخلاف قول الصحابة، فإنّه لم يثبت حجيّته عند الكلّ، وعليه فلا يصحّ لهم الاحتجاج بقول الصحابة في الفقه وغير ذلك. فأهل السنة والجماعة ليس لديهم حجّة بعنوان قول الصحابيّ، فلاحظ.

(١) لقد ورد في السنة الصحيحة المتّفق عليها الأمر بزيارة القبور والحث عليها، واستحباب إتيانها، والترغيب في تشييدها وإنّها من السنن المؤكّدة التي جرت عليها سيرة المسلمين منذ عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم. قال الحاكم النيسابوري: وقد استقصيت في الحثّ على زيارة القبور تحرّياً للمشاركة في الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنّها سنة

➔

←

مسنونة... (المستدرك على الصحيحين ج ١: ص ٢٧٧)

وقال السبكي: واعلم أنّ العلماء مجمعون على أنّه يستحبّ للرجال زيارة القبور، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، وممّن حكى إجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النوري... (شفاء السقام لتقي الدين السبكي: ص ١٨٤) وقال مثله السمهودي في وفاء الوفاء (ج ٤: ص ١٣٦٢). والقسطلاني في المواهب اللدنيّة (ج ٤ :ص ٥٧٠)، وغيرهم كذلك. كما نقل العلامة الأميني في كتابه الغدير كلمات أعلام المذاهب الأربعة ما يتجاوز عن الأربعين حول استحباب الزيارة وتأكّدها (انظر الغدير ج٥: ص ١٢٥- ١٠٩) بل إنّ استحباب زيارة قبور الأنبياء والصالحين ومشروعيّتها ملحق بالضروريات عند المسلمين، فضلاً عن الإجماع وسيرتهم المستمرة عليها من عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين في كلّ العصور وفي كلّ صقع، عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم. وإنكاره مصادمة للبديهة وإنكار للضروري. وإليك بعض النماذج من تلك الروايات الكثيرة التي جسّد النبي الأكرم ﷺ بعمله مشروعية زيارة القبور، ومن تلك الروايات ما رواه مسلم في صحيحة عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله ﷺ كلّما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من أخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللّهم اغفر لأهل البقيع الغرقد (صحيح مسلم ج٣: ص ٦٣ كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها) وما رواه أيضاً بسنده عن عائشة في حديث طويل قالت: إنّ النبي قال لها: أتاني جبرئيل فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم. قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون. (صحيح مسلم ج٣: ص ٦٥ كتاب الجنائز) وما رواه أيضاً بسنده عن ابن بريدة عن أبيه: قال: قال رسول الله ﷺ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها (صحيح مسلم ج٣: ص ٦٥ كتاب الجنائز).

→

الله المأمور بزيارة من هو دونه من المؤمنين[1]. والذي يقضى منه المسلم

➔

وما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن ابن مسعود قال: ألا فزوروا القبور، فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة... (المستدرك على الصحيحين ج١: ص ٣٧٥).

وما رواه النسائي بسنده عن أبي هريرة قال: زار النبيّ ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله وقال: استأذنت ربّي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي. فزوروا القبور فإنّها تذكّركم الموت (سنن النسائي ج٤: ص ٩٠) وإلى غير ذلك من الروايات.

(١) وتوضيح المقام أنّ مخالفة أمر رسول الله ﷺ بقصد أنّها من الدين تكون بدعة في الدين بلا إشكال لأنّ المخالفة في حدّ نفسها عصيان لأمر رسول الله ﷺ وأمّا المخالفة التي أراد بها نسبتها إلى الدين فمعناها تكذيب رسول الله ﷺ. فهي بدعة في الدين (إن لم نقل إنّ تكذيب النبي موجب للارتداد) وكلّ بدعة ضلالة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ١٢٦)

قال ابن حجر فإنّ قوله «كلّ بدعة ضلالة» يدلّ على أنّ المحدث يسمّى بدعة، وقوله كلّ بدعة ضلالة قاعدة شرعيّة كليّة بمنطوقها ومفهومها، أمّا منطوقها فكأن يقال: حكم كذا بدعة وكلّ بدعة ضلالة فلا تكون من الشرع؛ لأنّ الشرع كلّه هدى. فإن ثبت أنّ حكم المذكور بدعة صحّت المقدّمتان وأنتجتا المطلوب. والمراد بقوله كلّ بدعة ضلالة ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاصّ ولا عامّ.... (فتح الباري ج١٣: ص ٢١٣)

وقال المباركفوري: قوله ﷺ كلّ بدعة ضلالة كما في رواية أبي داود عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال: (لا يرضاها ورسوله). هذا أيضاً صفة كاشفة بقوله بدعة... (تحفة الأحوذي ج٧: ص ٣٧٠). فإنّ المستفاد من الروايات أنّ البدعة هي مخالفة الدين والشريعة، وإنّ المخالفة موجب لعدم رضا الله ورسوله وبعبارة أوضح البدعة عبارة عن الافتراء والكذب على الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ

➔

عجباً العذر عن ستر القبر بخوف الفتنة، فإنّ معناه الردّ على الله في ندبه لزيارة القبور، فإنّ ضرورة الدين قاضية بأنّه لو فرض عروض مثابة فتنة

➔

تَفْتَرُونَ﴾ (سورة يونس: ٥٩) فإنّ الناس ليس لديهم صلاحية في تغيير الأحكام والمسائل الدينية، فكون الشيء حلالاً أو حراماً لا يرتبط بالناس، بل هو مختصّ بالله عز وجل، فإنّ من خالف التشريع الإلهي فهو مفتر على الله، فالأمر في مخالفة تشريع الزيارة يكون كذلك. إذن الأمر بمنع الناس عن زيارة القبور عمل له صورتان، لا ثالث لهما، إمّا أن يكون بإذن الله، أو أنّه تهمة وافتراء على الله، ولمّا كان احتمال الأول منتفياً فلم يبق إلّا الثاني. فالنتيجة أنّ أمر عمر بن الخطاب بستر قبر النبيّ صار سبباً لسلب التوفيق من الناس؛ حيث بذلك حرموا من زيارة قبر نبيّ من أنبياء الله؛ ومضافاً إلى حرمان الناس الزيارة والوصول إلى الثواب فإنّ ما فعله بدعة في الدين، حيث إنّ عمله إحداث فيما شرعه الرسول الأكرمﷺ ومخالفة صريحة للشريعة والدين وافتراء على الله ورسوله، والافتراء على الله بدعة في الدين، ولها آثارها السيئة في المجتمع. ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ (سورة يونس: ٦٠) أي لو لم يكن لهؤلاء الجماعة أيّ ذنب إلّا هذا لكفى في عقوبتهم، فالافتراء على الله من الآثام والذنوب بحكم البداهة، فلا محالة له أثر سيّئ، ولذلك قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾(سورة يونس: ٦٩) وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ (سورة النحل: ١١٦) فالخطاب في الآية ٦٩ من سورة يونس إلى النبي ﷺ، وهو أمر صريح ليقول للمفترين على الله بأنكم على فرض أن تستطيعوا بفعلكم الافتراء والكذب أن تنالوا المال والمقام لمدّة أيام فإنّ ذلك متاح في الدنيا، ولكن لا تفلحون أبداً كما أنّ القران يحذّر من الافتراء في الآية الأخيرة بأنّه سبب للشقاء وعدم الفلاح، فلاحظ.

بظهور قبور الرسل وخلفائهم وصالحي العباد لما ندب سبحانه إلى زيارتها على لسان رسوله، بل لحثّ رسوله ﷺ على النهي عن زيارتها، وعلى ستر ما يعرفه الناس منها[١].

---

(١) وبعبارة أوضح إنّ الأحكام الشرعية بناء على مسلك العدلية تابعة للمصالح والمفاسد الواقعيّة ونفس الأمرية وبناء على مسلك الأشاعرة مبنيّة على تحصيل المصالح وتعطيل المفاسد فإنّ الأشاعرة يعتقدون بأنّ الشريعة مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بفعل المكلّف، ولذلك يقولون بأنّه يجب على الدعاة مراعاة المصالح ومفاسد في دعوتهم بتحقيق أعلى المصالح ودفع أعظم المفاسد قال ابن القيم الجوزية: والشريعة مبناها وأساسها يقوم على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد... (أعلام الموقّعين ج٣: ص ١٤)

وقال الشاطبي: إنّا استقرينا في الشريعة أنّها وضعت لمصالح العباد استقراء لا ينازع فيه الرازي ولا غيره... (الموافقات ج٢: ص ١٢). وإلى غير ذلك من أقوالهم.

وملخّص الكلام أنّ الأشاعرة ذهبوا إلى أنّ أفعال الله ليست معلّلة بالأغراض، بل قالوا: لا يجوز تعليل أفعاله تعالى بشيء من الأغراض والعلل الغائية (انظر المواقف للإيجي ج٣: ص ٢٩٦) ومع ذلك كلّه ذهبوا إلى أنّ الشريعة مبنية على مصالح العباد من جهة فعل العبد لا من جهة الواقع ونفس الأمر. وبعبارة أخرى: أنّ الأشاعرة يعتقدون بوجود المصالح في فعل المكلّف من اتيان الحكم الشرعي. والنتيجة: إذا قلنا بأنّ زيارة قبور الأنبياء قد يقع فيه الفتنة فمعناه أنّها ليست فيها مصلحة، بل قد تكون فيها المفسدة. وكيف يمكن تشريع الحكم الشرعي على مسلك القوم بأن يكون فيه المصلحة والمفسدة؟ أليس هذا جمع بين متناقضين؟ حتّى بناءً على مسلك الأشاعرة أليس مرجع ذلك إلى جعل الحكم الذي فيه المفسدة للعباد؟ لأنّه على فرض تسليم الأمر أنّ النتيجة تابعة لأخسّ المقدمتين فابن تيمية لابدّ له هنا من أن يختار أحد الأمرين إمّا أن يخالف جميع المسلمين في أنّ الأحكام الشرعية قائمة على المصالح والمفاسد مع ما فيه من الفرق بين العدلية والأشاعرة، وإمّا أن

←

كيف والسنن الصحيحة قد وردت من طرق الشيعة[١]، ومن طرق من تسمّى بأهل السنّة باستحباب زيارتها[٢]؟ فعلم من ذلك وجود مصلحة عظيمة

←

يطعن في الخليفة عمر بن الخطاب ويقول بأنّه أفتى على خلاف ضرورة الدين. ولا مفرّ له من هذين الأمرين.

(١) فإنّ الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في استحباب زيارة أهل القبور كثيرة منها: ما رواه الكليني بسنده عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال في زيارة القبور أنّهم (أي أهل القبور) يأنسون بكم فإذا غبتم عنهم استوحشوا (الكافي ج٣: ص ٢٢٨)

ومنها: ما رواه بسنده عن سماعة قال سألته عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها؟ فقال: أمّا زيارة القبور فلا بأس بها ولا تبنى عندها المساجد (الكافي ج٣: ص ٢٨٨)

ومنها: ما رواه بسنده عن هشام سالم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولاضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرّتين: الاثنين والخميس فتقول: هاهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله هاهنا كان المشركون (الكافي ج٣: ص ٢٢٨) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في الباب، فقد عقد صاحب الوسائل باباً في كتابه بعنوان باب استحباب زيارة القبور وطلب الحوائج عند القبر (انظر وسائل الشيعة ج٢: ص ٨٧٧)، وكذلك صاحب مستدرك الوسائل في (ج٢: ص ٣٦٢) وغيرهم. والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جدّاً متجاوزة عن حدّ التواتر، فلاحظ.

(٢) لقد تواترت الأحاديث والروايات في استحباب زيارة قبور الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم الصدّيقين عليهم السلام لاسيّما قبر خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وقبور الطاهرين من أبنائهم المعصومين عليهم السلام، وثبت ذلك بالطرق الصحيحة عند الفريقين، فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّ من يزور البقيع وشهداء أحد وقبور المؤمنين فقد نال الثواب العظيم وسار على هداهم. بل يكاد أن يكون مجمعاً عليه عند جميع المسلمين، فقد روى ابن سعد في طبقاته بسنده

←

للناس في زيارتها وهي تتوقّف على ظهورها وعدم سترها، فما قاله عمر مخالف لهذه السنّة[١]. وعذر السنّي عنه بخوف الفتنة ردّ منه لهذه السنة،

➔

عن ابن أبي مليكة قال: رحلت من منزلي وأنا أريد منزل عائشة فتلقّتني على حمار، فسألتُ بعض من كان معها، قال زارت قبر أخيها عبد الرحمن (شفاء السقام للسبكي: ص ١٩٤). وأمثال هذه الرواية كثيرة في كتب القوم بل أكثر مما ورد في كتب الشيعة، وقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة أنّها قالت كلّما كان ليلتها من رسول الله ﷺ كان يخرج رسول الله ﷺ آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (صحيح مسلم ج٣: ص ٦٣). قال النوويّ: ويستحبّ للرجال زيارة القبور كما روى أبو هريرة، قال زار رسول الله ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله... ثم قال: فزوروا القبور فإنّها تذكّركم الموت، والمستحب أن يقول: السلام عليكم دار قوم المؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ويدعو لهم لما روت عائشة: أنّ النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللّهم اغفر لأهل البقيع الغرقد (المجموع ج٥: ص ٣٠٩)

وأخرج النوويّ أيضاً عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: فإنّ جبرئيل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك... فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم... (المجموع ج٣: ص ٤٤) وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ زيارة القبور سنّة رسول الله ﷺ وأصحابه.

(١) لقد خالف عمر بن الخطّاب السنّة النبويّة في العديد من المسائل الإسلامية سواء في المسائل الاعتقادية أو في المسائل الفقهية أو غيرهما ويكفي للباحث الرجوع إلى كتاب النصّ والاجتهاد للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين وغيره من الكتب التي أعدّت لجمع مخالفات الخلفاء الثلاث والأمراء الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام؛ فإنّه قد ذكر فيه بعض موارد مخالفاته عند جميع المسلمين. ومنها موقف عمر بن الخطاب عندما طلب

➔

➔

رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ الدواة والكتاب ليكتب لأمّته كتاباً لن يضلوا بعدها أبداً فمنع عمر ابن الخطّاب رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من كتابة ذلك. وقد روى ذلك جميع أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنة والجماعة كما لايخفى ذلك على الخبير.

ومن تلك الموارد أمر عمر بن الخطاب بإخفاء قبر نبيّ من أنبياء الله مع أنّ زيارة قبور الأنبياء من سنن رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فما فعله عمر مخالفة صريحة لسنة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حيث كان رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يزور قبور الأنبياء والمؤمنين وكان يأمر المسلمين بذلك قال الألباني: الثالث: أنّ النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد رخّص في زيارة القبور في حديثين أحدهما عن عبد الله بن أبي مليكة قال: إنّ عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها: يا أمّ المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، فقلت لها: أليس كان رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نهى عن زيارة القبور: قالت: نعم ثمّ أمر بزيارتها. وأخرجه الحاكم، والبيهقي.... وقال الذهبي: صحيح وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وهو كما قالا، وثانيهما عن محمد بن قيس بن مخرمة أنّه قال يوماً: ألا أحدّثكم عنّي وعن أمّي؟ فظنّنا أنّه يريد أمّه التي ولدته، قال: قالت عائشة ألا أحدّثكم عنّي وعن رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ؟ قلنا: بلى قالت: بلى، لمّا كانت ليلتي التي كان النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فيها عندي انقلب فوضع ردائه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلّا ريثما ظهر أنّه قد رقدت، فأخذ ردائه رويداً، وانتقل رويداً وفتح الباب رويداً فخرج، ثم أجافه رويداً. فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتعنّقت إزاري ثم انطلقت على أثره حتّى جاء البقيع، فقام فأطال القيام ثمّ رفع يديه ثلاث مرات، ثمّ انحرف فانحرفت، وأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت، فليس إلا أن أضجعت. فدخل فقال: ما لك يا عائش حشياً رابية؟ قالت قلت: لا شيء يا رسول الله قال: لتخبرنّي أو ليخبرني اللطيف الخبير، قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته الخبر قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم، فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله قال: نعم قال: فإنّ

➔

وتخطئة لصاحبها من حيث أمره بما يوجب الفتنة[1]! نعوذ بالله من الحوم

→

جبرايل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك، فأجبته: فأخفيته منك، ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي. فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون. أخرجه مسلم والسياق له.... (أحكام الجنائز للألباني: ص ١٨٣) فهذا الألباني الذي هو سائر على نهج ابن تيمية ولكن حيث يجد أنّ ما يقوله ابن تيمية في زيارة القبور مخالف للنصوص والروايات والسنة النبوية الشريفة فلا محالة يتحذّر منه في هذا المجال ويخالف مسلكه في هذه المسألة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الله تعالى قد أمرنا أن نتّبع سنّة نبيّنا محمّد ﷺ بصورة عامّة وبلا استثناء فقال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا... (سورة الحشر: ٧). هذه الآية الكريمة ذات حكم كلّي في وجوب الالتزام بأوامر النبي ﷺ وسنّته الشريفة والانتهاء عن نواهيه. وهو أصل قرآنيّ عامّ في جميع المجالات، فيجب على جميع المسلمين أن يلتزموا باتباع التعاليم المحمّديّة وإطاعة أوامر رسول ربّ العالمين ﷺ والاجتناب عما نهى عنه والاستنان بسنّته الشريفة بلا استثناء وبلا قيد هذا أولاً، وثانياً: إنّ الله تعالى حذّرنا في موارد الاختلاف وأمرنا بالرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ عند وقوع الاختلاف والفتنة فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (سورة النساء: ٥٩) فقد فرّع تبارك وتعالى طاعة الرسول على طاعته فأوجب طاعته بصورة مطلقة، ثم أمر المؤمنين بالرجوع إلى الله والرسول في موارد التنازع والاختلاف، فإنّ مورد الرجوع إلى النبي هو مورد الفتنة والاختلاف، ومعناه أن لا يستبدّ أحد بالرأي في مقابل سنة رسول الله ﷺ، ولا يستقلّ في ذلك، فإنّ سنة رسول

←

حول ردّ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بأفحش ردّ وأشنعه[(١)].

➔

الله صلى الله عليه وآله هي المرجع بعد القرآن الكريم وقول الله عز وجل في جميع موارد الفتن والاختلاف، إذ معنى قوله تعالى: «فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ» أنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله مرجع كقول الله عز وجل يجب أن يرجع إليه المسلمون عند الاختلاف والتنازع وخوف الفتنة، إذ به يرفع الاختلاف والتنازع والفتنة. وعليه نحن نحتجّ بالقرآن الكريم ونقول لابن تيمية: أليس قال عمر بن الخطاب حسبنا كتاب الله؟!

فهذا كتاب بيننا وبينكم يأمرنا بأخذ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة عامة وفي جميع الموارد بل وأنّ مورده مورد الفتنة والاختلاف ولماذا نرفع اليد عن ذلك؟

ثمّ إن الله تعالى قد منعنا أن نتّبع أوامر الناس مع وجود أمر الله والرسول صلى الله عليه وآله فقال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (سورة الأحزاب: ٣٦) فقضاء الله هو التشريع وقضاء رسوله هو سنته وأوامره ومعناه أنّه لا يحقّ لأحد بعد تشريع الله ورسوله أعني بعد حكم الكتاب والسنة أن يحكم بشيء على خلاف ذلك، ولكن عمر بن الخطاب خالف هذه الآية الصريحة وأمر بستر قبر نبي من أنبياء الله، وبذلك منع الناس من إجراء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي زيارة قبر ذلك النبي العظيم المقرّب عند الله.

فتخلّص أنّ القرآن قد علّمنا بأنّ الإنسان ليس له الحريّة في مقابلة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقترح لهوى نفسه ويأمر على خلاف مقتضاها أو لما يراه من المصلحة فإنّ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله هي القانون الأبدي ولابد من إجرائها على أيّ حال، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ككتاب الله لازم الاتّباع، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... (سورة النساء: ٥٩). هذه الآية الكريمة قد أمرت باتّباع الرسول صلى الله عليه وآله وإطاعته كالطاعة لله عز وجل، فاعتبرت كلام النبي صلى الله عليه وآله ككلام الله عز وجل في الحجّيّة ووجوب الأخذ به فقال تعالى: مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

➔

➔

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (سورة الحشر: ٧)، وقال تعالى: فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ (سورة الأعراف: ١٥٨)، فهذه الآيات تدلّ بالصراحة على أنّ الإيمان بالله ورسوله لا ينفصلان عن وجوب طاعتهما واتباع أوامرهما والاجتناب عن مانهيا عنه. فالأوامر الإلهية باتّباع الرسول ﷺ مطلقة تشمل جميع الحالات وأفعال النبي ﷺ، ومعنى ذلك وجوب الاتّباع في جميع الحالات والأقوال والأفعال، أي يجب على المسلمين أن يجعلوا النبي ﷺ قدوة في جميع ما يصدر منه، وقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ (سورة الأحزاب: ٢١) والطريف أنّ القرآن الكريم اعتبر هذه الأسوة حسنة ومختصّة بمن له ثلاث خصائص:

الأول: الثقة بالله عز وجل حيث قال تعالى: لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والثاني: الإيمان بالمعاد حيث قال تعالى: وَالْيَوْمَ الْآخِرَ... والثالث: أنّهم يذكرون الله كثيراً حيث تعالى: وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا... فالإيمان بالمبدأ والمعاد والثواب والعقاب والاستمرار على ذكر الله يقتضي أن يكون الإنسان ملتزماً بجميع الأمور الدينية وصادقاً في التأسّي بالنبي الأكرم ﷺ والاقتداء به والاستنان بسنته، وهذا من أهمّ صفات المؤمن الحقيقي. قال عبد المحسن العباد في شرح سنن أبي داود: إنّ سنة رسول الله ﷺ هي الوحي الثاني بعد القرآن الكريم وهي وحي من الله عز وجل كالكتاب، إلا أنّ الكتاب تعبّد الله تعالى بتلاوته وجعله معجزاً، وسنة الرسول ﷺ تجب العمل بها والأخذ بما فيها كالقرآن، وهي ليست من عند الرسول، قال الله عز وجل: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (سورة النجم: ٣ ـ ٤) فكلام الرسول ﷺ فيه العصمة والنجاة والأخذ به لازم كالأخذ بالقرآن ولا يجوز أن يفرّق بين السنة والقرآن بأن يؤخذ بالقرآن ولا يؤخذ بالسنة... (شرح سنن أبي داود ج ١: ص ٢)، وإلى غير ذلك من كلمات علماء أهل السنة من أنه ورد في الصحاح أنّ السنّة النبوية واجبة الاتباع كالقرآن الكريم. والسنة النبوية في باب زيارة القبور أمر واضح لا يخفى على أحد حيث أنّه ورد في الصحاح أنّ النبي ﷺ كان يزور القبور. فمن منع من زيارة القبور أو فعل فعلاً يمنع به عن أجراء سنة رسول الله ﷺ فهو رادّ على الله وعلى

➔

والعجب نقله عن عمر أنّه أمر بستر القبر المشار إليه[1] وهو ظاهر إلى اليوم مزور للناس معروف لديهم[2].

←

الرسول، وعليه فما فعله عمر بن الخطاب من منع زيارة القبور فهو ردّ على الله ورسوله، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ أمر عمر بن الخطاب بستر قبر من قبور الأنبياء ومنع الناس من زيارة قبر وليّ من أولياء الله عز وجل ملازم للردّ على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لا إشكال في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يزور قبور الأنبياء والمؤمنين، وأمر المسلمين بزيارتها، فمحو آثار قبر وليّ من أولياء الله مساوق لمنع الناس من زيارة وليّ من أولياء الله، وتعطيل لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ ستر القبر عبارة عن المعارضة لهذه السنة النبوية، لأنّ ستر القبر بقصد عدم زيارة الناس مساوق للردّ على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ محو القبر تعطيل للزيارة وتعطيل الزيارة تعطيل لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك المورد فما فعله عمر بن الخطاب ردّ واضح على السنة النبوية القطعيّة. أليس هذا أمر عجيب عند أهل السنة والجماعة الذين يدّعون ويسمّون أنفسهم بأهل السنة ويقصدون بذلك أنّهم أتباع سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فهل هذا هو معنى اتباع السنة النبوية، وهل يمكن لأحد الدفاع عن فعل عمر بن الخطاب في المورد المذكور وهل لابن تيمية الدفاع عن فعل عمر بن الخطاب؟!

(٢) إنّ قبر دانيال النبي عليه السلام من القبور الظاهرة والمزارات المقدّسة المعروفة في مدينة الشوش في خوزستان، وإنّ مدينة الشوش كانت من المدن العظيمة في أيام الملوك الإيرانية لاسيما في عصر الهخامنشية، وكانت على ساحل البحر، فلها أهميّة عظيمة. فقبر دانيال النبي صلى الله عليه وآله في هذه المدينة المعروفة كانت من المزارات المعروفة التي لها قبّة تقصده الناس من كل حدب ومكان. ومدينة الشوش تبعد عن مدينة الأهواز خمساً وسبعين كيلومتر وهذه المدينة تحتوي على ثلاث معالم مهمّة، الأول القبر الشريف للنبي دانيال عليه السلام وهو ثاني موضع يرقد فيه معصوم في إيران بعد مرقد الإمام علي بن موسى

←

وسابع عاشرها: ما نقله عن عمر من نهيه الذين يتناوبون موضعاً يصلّون فيه لكونه موضعاً للنبي صلى الله عليه وآله. فإنّه ـ لو ثبت صحّة نقله ـ مخالف لما علم من الشريعة في مثله[1]؛ فإنّه سبحانه قد فرض على عباده المفروض

➔

الرضا عليه السلام المدفون في مدينة مشهد المقدسة بخراسان. والثاني: قلعة الشوش، وهي قلعة كبيرة ضخمة جدّاً تقع على مرتفع جبلي وسط المدينة تشرف على شاسعة من الأراضي المحيطة بها، وهي تتصل بالمدينة، والمناطق التي بجوارها مغطّاة بأشجار وبساتين، وهذه القلعة من آثار الحكومة الساسانية. الثالث: مكان نزل فيه العذاب على أهل مدينة شوش، فانقلب أسفل المدينة عاليها... وآثارها إلى اليوم واضحة باقية.

والمهمّ أنّ قبر النبي دانيال عليه السلام من أهمّ المزارات في مدينة الشوش، فكيف أمر عمر بن الخطاب بمحو آثار قبر دانيال والآن هذا القبر ظاهر ومحلّ لزيارة العامّ والخاصّ حتى أنّ وفوداً من اليهود يأتون إلى إيران ويزورون قبر دانيال. فإذا كان عمر قد أخفى ذلك فلماذا الآن تكون هذه البقعة العظيمة ظاهرة باسمه ومزاراً له، وهل أنّ الناس خالفوا أمر عمر بن الخطاب أو أنّ عمر بن الخطاب جعل هنالك مزاراً ليزوره الناس؟ فعلى ابن تيمية وأتباعه أن يجيبوا على هذا السؤال.

(١) وتوضيح المقام: أنّ المواضع التي تشرّفت بوجود النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد حازت الفضل والشرف بوجوده المبارك، لأنّ شرف المكان بشرف المكين كما أنّ قداسة المدينة المنوّرة بقداسة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، ولذلك سمّيت المدينة بطيبة لأنها طابت بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله حياً وميتاً، فالمكان الذي تشرّف بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله مكان مقدس يستحب فيه الصلاة والدعاء والمناجاة. وقد أخرج البيهقي بسنده عن ابن أبي سلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنّه كان يتَبع آثار رسول الله صلى الله عليه وآله ويصلّي فيها، حتّى أنّ النبي صلى الله عليه وآله نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يصيب الماء تحتها ألا تيبس (السنن الكبرى للبهيقي ج٥: ص ٢٤٥)، وأخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ج١٣: ص ٤٧٨

➔

عليهم زيارة الكعبة الصلاة في محلّ معيّن من مسجدها، وهو مقام خليلة صلى الله عليه وعلى نبينا وآله وسلم[1]، فإنّه يعلم منه كون ذلك المقام حاز

ح٣٧٢٥٥) وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق ج٣١: ص ١٢١)، وغيرهم

وأخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن نافع قال: لو رأيت ابن عمر يتَبع آثار رسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٥٦١) ويظهر من هذا الحديث أنّ كثرة عمل ابن عمر في متابعة آثار رسول الله ﷺ صار سبباً لتعجب الناس.

والمهمّ أنّ ابن عمر كبقية الصحابة كان يتبع آثار النبي ﷺ ترجيحاً لقداسة المكان، ومن الواضح لدى الخبير أنّ قداسة المكان عند ابن عمر لقداسة النبي ﷺ لا المكان نفسه، كما أنّ الصلاة في المسجد تكون لله عز وجل، فترجيح المكان من أجل قداسة المسجد وذلك للتقرّب إلى الله عز وجل حيث إنه مكان أفضل للصلاة، فالصلاة تكسب الفضيلة من ذلك المكان المقدّس، كما أنّ الصلاة في مسجد الحرام أفضل من الصلاة في سائر المساجد فإنّ الصلاة تكسب الأفضلية بإقامتها فيه. فما ذكره ابن تيمية من أنّ الشيعة يتبعون المواضع التي تكون مشرّفة بوجود رسول الله ﷺ ويصلّون فيها فهو من محاسن الشيعة التي يفتخر بها الشيعة الإمامية، لأنّ هذا العمل مستحبّ. ومن خلال ما تقدم يظهر جهل ابن تيمية بالأحاديث والأحكام الشرعيّة حيث إنّ هذا العمل ممّا أكّد عليه الإسلام وهو من أهمّ ما فعله الصحابة والمسلمون من صدر الإسلام إلى يومنا هذا، ولا مانع منه في الشريعة المقدسة، فلاحظ.

(١) إنّ مقام إبراهيم هو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم الخليل عليه السلام عندما ارتفع بناء الكعبة عن قامته، فقام على حجر ووقف عليه ليناوله إسماعيل عليه السلام الحجارة فيضعها بيده على جدار الكعبة، وكلّما كمل ناحية انتقل الحجر إلى ناحية أخرى حتّى انتهى بناء الكعبة. وهذه الصخرة أو الحجر يرى عليها آثار قدم إبراهيم عليه السلام، وهذه من معجزات

←

الله الباهرة لعباده، إذ كيف يترك قدم الإنسان أثراً في جسم صلب صلد؟!

وهنا رأي آخر وهو أن الله عز وجل عندما أمر إبراهيم الخليل عليه السلام أن يؤذّن في الناس بالحجّ فإنّه صعد على هذه الصخرة نفسها امتثالاً للأمر الإلهي، فأذّن في الناس بالحجّ كما جاء في قوله تعالى: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (سورة الحج: ٢٧) وفي هذا الحجر أثر قدميه عليه السلام وقد نزل من الجنة كما هو مروي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام ابراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود استودعه الله إبراهيم عليه السلام حجراً أبيض وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فاسودّ من خطايا بني آدم (بحار الانوار ج١٢: ص ٨٤)

وأمّا مكان الحجر وموضعه فقد ذهب البعض إلى أنّ تغيير مكان الحجر من المسلّمات التاريخية، وورد أنّه كان أقرب إلى الكعبة من موضعه الفعلي حسب ما جاء في الأحاديث، فقد روى ابن كثير في رواية طويلة عن ابن عباس أنّه قال: وقد كان هذا الحجر (مقام ابراهيم) ملصقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب فأخّره عن البيت قليلا ... (البداية والنهاية ج١: ص ١٨٩)

وقد صرّح غير واحد من علماء الإسلام من أهل الخبرة بالتاريخ والسير من الفريقين بكون الموضع الفعلي للمقام إبداعاً وبدعة من عمر بن الخطاب (انظر المسالك للشهيد الثاني ج٢: ص ٣٣٧، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣١: ص ٣٢، وتفسير الكشّاف للزمخشري ج١: ص ١٨٥ ذيل الآية ١٢٥ من سورة البقرة، وروضة المتّقين للمجلسي الأول ج٤: ص ١٣٣ كتاب الحج باب فضل الكعبة، وتفسير ابن كثير ج١: ص ١٧٠ في تفسير قوله تعالى وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... وغيرهم) والخبير يعلم بأنّ مقام إبراهيم عليه السلام في عصر الجاهلية كان بعيداً عن البيت، ثمّ قام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بإرجاعه بعد فتح مكة إلى موضعه الأصلي الذي وضعه فيه نبي الله إبراهيم عليه السلام، ثمّ نقله عمر بن الخطاب إلى مكانه الفعلي الذي يستقر فيه الآن وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: لمّا أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن أذّن في الناس بالحجّ أخذ الحجر الذي فيه أثر

→

شرفاً على شرفه بصلاة الخليل عليه السلام وتعبده لله فيه[1]. ومن المعلوم كون

➔

قدميه وهو المقام، فوضعه بحذاء البيت لاصقاً بالبيت بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم، ثمّ قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى به، فلمّا تكلّم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرقت رجلاه فيه فقلع إبراهيم عليه السلام رجليه من الحجر قلعاً، فلمّا كثر الناس وساروا إلى الشرّ والبلاء ازدحموا عليه فرأوا أن يضعوه في هذا الموضع الذي فيه اليوم ليخلو المطاف لمن يريد أن يطوف بالبيت. فلمّا بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله ردّه إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فما زال حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وفي زمن أبي بكر وأوّل ولاية عمر، ثمّ قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام فأيّكم يعرف موضعه في الجاهلية؟ فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر، قال والقدر عندك؟ قال: نعم، قال: فائت به، فجاء به، فأمر بالمقام فحمل وردّ إلى الموضع الذي هو فيه الساعة (علل الشرائع ج١: ص ٤٢٣).

(١) قال الله تعالى: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (سورة البقرة: ١٢٥). المقام بفتح الميم اسم مكان القيام: أي مكان قام فيه ابراهيم عليه السلام. فقوله تعالى: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى: أي اتخذوا من محلّ قيام ابراهيم- وهو المكان الذي قام فيه ابراهيم الخليل عليه السلام بالعبادة والدعاء- مصلّى وكأنّه جل جلاله أقرّ مكان إبراهيم مكاناً للمصلّين، ولأنّ مقام إبراهيم كان محلاًّ لعبادة الله عز وجل على الوجه الأكمل فالمقام يعطي المصلّين حيثيّة التقرّب إلى الله عز وجل، لأنّ فيه تقّرب إبراهيم الخليل عليه السلام إلى الله عز وجل بصلاته ودعائه ومناجاته و...

ولذلك قال تعالى في الآية ٩٧ من سورة آل عمران: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا... وقد بيّن تبارك وتعالى في هذه الآية المباركة أنّ في بيت الله الحرام معالم واضحة وعلائم ساطعة لعبادة الله عز وجل وتوحيده، وفي تلك النقطة المباركة من الآثار المعنوية ما يبهر العيون ويأخذ بجامع القلوب، وهي آثار جليلة من إبراهيم الخليل عليه السلام لا تزال باقية عند البيت الحرام، وهي تجسيد لعبادة إبراهيم الخليل عليه السلام كنموذج في العبادة والتقرّب إلى الله عز وجل.

➔

➔

وتؤيّد ذلك الروايات الواردة في مصادر أهل السنة والجماعة، منها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربّي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلّى، فنزلت: ﴿**وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...**﴾ (صحيح البخاري ج١: ص١٠٥ كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة).

عزيزي القارئ هنا مطالب لابدّ من الإشارة إليها،

الأوّل: إنّ الصلاة في المقامات تكون لله تبارك وتعالى. وإقامتها في المقام نوع من التكريم والتعظيم لصاحب المقام والتقرب إلى الله، والّا لو كان هذا الأمر غير مشروع وموجباً للشرك بالله العظيم فطلب عمر بن الخطاب يكون قبل نزول الوحي طلباً للشرك.

الثاني: السؤال الذي يتوجّه إلى علماء أهل السنة، وهو أنّه قد جاء في الحديث: وافقت ربّي ... من وافق؟ فهل عمر وافق الله، أم الله وافق عمر، أم تلاقيا في النقطة الوسط؟ الظاهر من هذا الحديث ـ وافقت ربّي ـ أنّ القرآن كان يتنزّل على رأي عمر! وهذا يعني أنّ رأي عمر تفوّق على الرسولﷺ حيث القرآن الذي كان يتنزّل على حسب رأي عمر ولذلك يقول ابن حجر: والمعنى: وافقني ربّي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت ولكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه (فتح الباري ج٩: ص٢٣٢) وهل من مسلم غيور يقبل ذلك؟!

الثالث: إذا كان هذا الحديث صحيحاً عند أهل السنة والجماعة كيف يمكنهم الجمع بينه وبين حديث إبعاد مقام إبراهيم عن البيت ووضعه في المكان الذي كان في الجاهلية، أليس هذا ينافي قول الله عز وجل: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فكيف هو يطلب الصلاة فيه ثمّ يغيّر مكانه إلى ما كان في عهد الجاهلية؟ فلا يمكن الجمع بين الأمرين. فالذي يهوّن الخطب أنّ الإرجاع إلى ما كان في عهد الجاهلية كان أقرب إلى منويّات عمر، فلاحظ.

تفضيل بعض المساجد على بعض إنّما هو بأمثال هذه من الخصوصيّات[١].

---

(١) لا شكّ أنّ المساجد هي بيوت الله ـ عز وجل ـ وقد أضافها الله تعالى إلى نفسه إضافة تعظيم وتشريف فقال تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (سورة الجن: ١٨) الظاهر أنّ المقصود بالمساجد كلّها لله عز وجل أي لا اختصاص فيها لأحد، فهي لجميع أهل الإسلام بالسويّة، أي أنّها متخذة لعبادة الله عز وجل لجميع أهل المسلمين على حدّ سواء، فمن سعى إلى المساجد فقد سعى إلى الله عز وجل وقصد إليه. وقد ورد في حديث عن ابن عباس قال: المساجد بيوت الله عز وجل في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض. وقال عمرو بن ميمون: أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يقولون: المساجد بيوت الله وحقّ على الله أن يكرم من زاره فيها (تفسير الثعلبي ج٧: ص١٠٧).

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن مرازم بن حكيم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: عليكم بإتيان المساجد، فإنّها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهّراً طهّره الله من ذنوبه، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء، وصلّوا من المساجد في بقاع مختلفة، فإنّ كلّ بقعة تشهد للمصلّي عليها يوم القيامة (الأمالي للشيخ الصدوق: ص٤٤٠)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في مصادر المسلمين. فأحبّ بقاع الأرض عند الله المساجد وأفضل المساجد وأشرفها وأعظمها مسجد الحرام ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام (صحيح البخاري ج٢: ص٥٦ كتاب الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصلاة في مسجدي كألف صلاة في غيره إلّا المسجد الحرام فإنّ الصلاة في المسجد الحرام تعدل ألف صلاة في مسجدي. (وسائل الشيعة ج٣: ص٥٣٦ ج٢)

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة في مسجدي هذا تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد إلّا المسجد الحرام، فإنّ الصلاة

←

وضروريّ عامة المتشرّعين وذوي العقول ثبوت الفضل وزيادته في المحلّ الذي تعبّد فيه النبي صلى الله عليه وآله على غيره[(١)].

فيه تعدل مائة ألف صلاة. (وسائل الشيعة ج٣: ص٥٣٦ ج٥) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فالصلاة في مسجد رسول الله أكثر ثواباً من الصلاة في غيره من المساجد وهذه الخصوصية التي في مسجد رسول الله والمساجد العظيمة إنّما هي للتقرب إلى الله عز وجل. فهذه الخصوصية انّما تكون لمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وشأنه العظيم عند الله عز وجل فإنّ المكان الذي صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أو جلس فيه أو دعا فيه يكون فيه خصوصية للتقرب إلى الله عزوجل فالشيعة الإمامية إنّما يختارون الصلاة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله لأفضلية المكان للعبادة من أجل وجود رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فيكون التقرب فيه إلى الله عزوجل ببركة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله.

(١) لاشكّ أنّ بعض الأمكنة تتّصف بالشرافة والفضل ولا يتّصف غيره بذلك، وذلك لشرافة صاحب المكان أو لخصوصية واقعة فيه، كما أنّ الأزمنة تكون كذلك فإنّها قد تتّصف بالشرافة والفضيلة لشرافة ما حدث فيها، فاتّصاف بعض الأمكنة بالشرافة قد يكون من أجل كون ذلك المكان محلاً لعبادة أولياء الله المقربين فيكتسب المكان الفضل والشرافة من صاحبه فمثلاً، الكعبة المعظمة هي بيت الله الحرام، وهي أول بيت وضع للناس للعبادة قال الله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (سورة آل عمران: ٩٦) فالكعبة المعظّمة هي أوّل محلّ ومركز وضع على وجه الأرض لعبادة الله عز وجل ومظهر للتوحيد، فإنّ المصادر التاريخية تحدّثنا بأنّ الكعبة المعظّمة تأسّست على يدي آدم عليه السلام، ثمّ انهدمت بسبب الطوفان الذي وقع في عهد نوح عليه السلام، ثمّ جدّد بنائها إبراهيم الخليل عليه السلام. فهي إذن أقدم معبد ومركز للعبادة على وجه الأرض، ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى يجلّ عن المكان والحول والسكن والسكنى واتصاف بعض

➔

الأمكنة أن تكون بيتاً له- والعياذ بالله- وإنّما هي لشرافة خاصّة لذلك المكان الذي واقع بمحاذاة محل عبادة الملائكة في السماء، فإنّ الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (سورة الطور: ١-٤) فإنّ البيت المعمور بيت في السماوات بمحاذاة الكعبة وهو محل عبادة الملائكة، ويحجّ كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن خالد بن عرعرة قال: إنّ رجلاً سأل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ما البيت المعمور؟ فقال بيت يقال له الضراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلّي فيه كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ولا يعودون فيه أبداً (جامع البيان لابن جرير الطبري ج٢٧: ص ٢٣)

وأخرج أيضاً بسنده عن مالك بن صعصعة عن رجل قال: قال النبي صلى الله عليه وآله قال: رفع إلى البيت المعمور، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: البيت المعمور، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم (تفسير الطبري ٢٧: ص ٢٢)

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنّه لينزل كلّ يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه، ثمّ أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلّموا عليه، ثمّ أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه ثمّ عرجوا، وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة (الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢١٤ ح٣٧٢)

وروى ابن شهرآشوب بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لزين العابدين عليه السلام: لأيّ علّة صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأنّ الله تعالى قال للملائكة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) فردّوا على الله وقالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) قال الله تعالى: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ). وكان لا يحجبهم عن نفسه، فحجبهم الله عن نفسه سبعة آلاف عام، فرحمهم فتاب عليهم وجعل لهم البيت

➔

فإن قال: مقصود عمر بذلك تحقيق معنى التوحيد[1]، قيل: ليس لما تعتذر

➔

المعمور الذي في السماء الرابعة، وجعله مثابة للملائكة، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً. فصار الطواف سبعة أشواط لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً (مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٣: ص ٢٩٩) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا المجال. فالمستفاد من الروايات المتّفقة بين العامّة والخاصّة هي أنّ الكعبة المعظّمة صارت محلّا للعبادة لكونها بمحاذاة البيت المعمور الذي يكون محلاً لعبادة الملائكة. فشرف الكعبة من أجل كونها محلّاً للعبادة ومحاذياً لمحلّ عبادة الملائكة، فإذا كانت شرافة المكان بجهة شرافة المحلّ الذي يكون بمحاذات ذلك المكان وشرف المحلّ الذي هو بيت المعمور بجهة كونه محلاً لعبادة الملائكة، فالمكان الذي يعبد فيه خاتم الأنبياء والمرسلينﷺ أو المكان الذي استقرّ فيه النبي الأكرم ﷺ يكون أشرف وأفضل ممّا يعبد فيه الملائكة، لأنّ النبيﷺ أشرف المخلوقات، والملائكة من جملة المخلوقات، فيكون مكان عبادة النبيﷺ أفضل من محلّ عبادة الملائكة، فالمكان الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ أو دعا ربه أو كان فيه مأموراً بالرسالة ودعوة الناس إلى الله عز وجل مكان فيه الشرافة والفضل. والشيعة الإمامية يتبعون أمثال هذه الأمكنة ليتقربوا إلى الله عزوجل بمقام النبيﷺ عند الله عزوجل فيتقربون فيه إلى الله عز وجل بالعبادة والدعاء وقراءة القرآن والمناجاة وغير ذلك، فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ التوحيد الذي يدعو إليه الأنبياء والقرآن الكريم على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: التوحيد في الوجود: وهو بمعنى نفي الشرك عن الباري تعالى.

الثاني: التوحيد في الذات بمعنى نفي التركيب عن الباري تعالى.

الثالث: التوحيد في الصفات بمعنى نفي الشبيه عن الباري تعالى.

واذا لاحظنا الروايات الواردة عن أهل السنة والجماعة نجد فيها أنّ عمر بن الخطاب لم يعرف التوحيد بأنحائه المختلفة فكيف أراد تحقيق معنى التوحيد؟ !

فقد أخرج أحمد بن حنبل إمام الحنابلة في كتابه الفضائل بسنده عن ابن المسيب قال: كان

➔

➔

عمر بن الخطاب يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، قال ابن المسيب: ولهذا القول سبب وهو: أنّ ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جواباً فعرضها على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن جواب ثم ذكر المسائل... قال ابن المسيب: وكتب ملك الروم إلى عمر بن الخطاب، من قيصر ملك بني الأصفر إلى خليفة المسلمين: أما بعد: فإنّي سائلك عن مسائل فأخبرني عنها: ما شيء لم يخلقه الله؟ وما شيء لم يعلمه الله؟ وما شيء ليس عند الله؟ وما شيء كلّه فم؟ وما شيء كلّه رجل؟ وما شيء كلّه عين؟ وما شيء كلّه جناح؟ وعن رجل لا عشيرة له؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحم؟ وعن شيء يتنفس وليس فيه روح؟ وعن صوت الناقوس ماذا يقول؟ وعن ظاعن ظعن مرة واحدة؟ وعن شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها، ما مثلها في الدنيا؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرّة واحدة؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء؟...

فقرأ مولانا أمير المؤمنين الكتاب وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فقد وقعت على كتابك أيها الملك وأنا أجيبك بعون الله وقوته وبركته وبركة نبينا محمّد ﷺ، أما الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى فهو القرآن الكريم لأنّه كلامه وصفته، وكذا كتب الله المنزله والحقّ سبحانه قديم وكذا صفاته.

وأما الذي لا يعلمه الله فقولكم: له ولد وصاحبة وشريك، ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من ولد ولم يلد ولم يولد.

وأما الذي ليس عند الله، فالظلم، وما ربّك بظّلامٍ للعبيد.

وأما الذي كلّه فم: فالنار، تأكل ما يلقى فيها.

وأما الذي كلّه رجل: فالماء.

وأما الذي كلّه عين: فالشمس.

وأما الذي كلّه جناح: فالريح.

وأما الذي لا عشيرة له: فآدم عليه السلام.

←

وأما الذي لم يحمل بهم رحم، فعصى موسى و كبش إبراهيم وآدم وحواء.

وأما الذي يتنفّس من غير روح، فالصبح، لقوله تعالى: وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ.

وأما الناقوس: فإنّه يقول طقاً طقاً حقاً حقاً مهلاً مهلاً عدلاً عدلاً صدقاً صدقاً. إنّ الدنيا قد غرّتنا واستهوتنا، استغوتنا يابن الدنيا مهلا مهلاً يابن الدنيا دقاً دقاً يابن الدنيا جمعاً جمعاً. تفنى الدنيا قرناً قرناً ما من يوم يمضي عنّا إلا أوهى منّا ركناً، إنّ الموتى قد أخبرنا إنّا نرحل فاستوطنّا.

وأما الظاعن: فطور سيناء لما عصت بنو إسرائيل وكان بينه وبين الأرض المقدسة أيام قطع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقه عليهم، فذلك قوله تعالى: وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ وقال لبني إسرائيل: إن لم تؤمنوا وإلا أوقعته عليكم. فلمّا تابوا ردّه إلى مكانه.

وأمّا المكان الذي لم تطلع عليه الشمس إلا مرّة واحدة فأرض البحر لمّا فلقه الله لموسى عليه السلام وقام الماء أمثال الجبال ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها، ثمّ عاد ماء البحر إلى مكانه.

وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام: فشجرة طوبى وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة، إليها ينتهي أعمال بني آدم وهي من أشجار الجنّة ليس في الجنّة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها في الدنيا الشمس وأصلها واحد وضوئها في كلّ مكان.

وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء: فشجرة يونس، وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى: وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ.... فلمّا قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكتاب إلا من بيت النبوة، ثم سأل عن المجيب، فقيل له: ابن عمّ محمّد صلى الله عليه وآله (انظر كتاب زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي ورواه سبط ابن الجوزي الحنفي في كتابه تذكرة الخواصّ من الأمّة: ص ١٤٥ وعنهما العلامة الأميني في كتابه الغدير ج٦: ص ٢٤٧)

هذه الرواية تدلّ بالصراحة على أنّ عمر بن الخطاب لم يعرف التوحيد الذي جاء به القرآن

→

به عنه معنى؛ فإنّ الموحّد همّه وسعيه التقرّب إلى الله سبحانه بأفضل الطاعات وخير القربات مثل الصلاة في مقام إبراهيم[1] لو كان هناك،

←

الكريم، فإن الأسئلة التي سألها ملك الروم قد جاء ما بمضمونها في القرآن الكريم، فلو كان يعرف القرآن والتوحيد لأجاب عنها الخليفة

ثمّ إنّ صدر الحديث يدلّ على أنّ عمر بن الخطاب كان في أقصى مرحلة التحيّر عندما واجه هذه الأسئلة، حيث يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، فالتعبير بالمعضلة دليل على تحيّره العسير حيث إنّ المعضلة بمعنى المشكلة العسيرة التي لا يمكن حلّها بيد الأفراد العاديين، لأنّ المعضلة من مادة «عضل» والعضلة يعني كلّ عصبة معها لحم غليظ، و يستعمل في مورد عضل الشيء أو ضاق على الإنسان الشيء فيقال: عضلت المرأة بولدها تعضلاً إذا نشب الولد فخرج بعضه ولم يخرج بعض فبقي معترضاً (انظر لسان العرب ج١١: ص ٤٥٠). والمهمّ تعبير عمر بكلمة «معضلة» الدالّة على تحيّره، والتحيّر دالّ على عدم المعرفة، بحيث يكون الجهل موجباً لارتباكه وحيرته. وعليه فهل يمكن أن يقال بأنّ عمر بن الخطاب كان يعرف التوحيد، حتّى يقول كان يريد تحقيقه؟

(١) لاشكّ أن الصلاة عند مقام إبراهيم بعد الطواف بأمر الله عز وجل: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى... (سورة البقرة: ١٢٥). فإنّ مقام إبراهيم صخرة عليها أثر قدم إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد شُرّفت هذه الصخرة بملامسة رجل إبراهيم الخليل عليه السلام مرة واحدة أو مرّات عديدة، فجعلها الله تعالى محترماً ومكاناً للتقرّب إليه.

والذي يفهم من الآية الكريمة أنّ سبب اتخاذ المكان مصلّى من أجل التبرك والقيام عنده للتقرب إلى الله عزوجل والدعاء عنده، لشرفه بملامسة جسد نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام.

ولاشكّ أنّ هذا الاحترام غير ما كان يصنعها اليهود والنصارى تعظيماً لقبور أنبيائهم، حيث إنّهم قد جعلوا قبور أنبيائهم قبلة يتوجّهون إليها في الصلاة ونحوها فهم قد اتخذوا القبور قبلةً وأوثاناً، وهذا غير عمل المسلمين، فإنّ الله أمر المسلمين باتخاذ مقام إبراهيم

←

فإنّها خير من الصلاة في غيره من محالّ المسجد[1]. ومثل الصلاة في

➔

مصلّى، فإنّ المحلّ والمكان الذي وقف فيه إبراهيم الخليل عليه السلام فيه الفضل والاحترام، وذلك لصاحب المكان والمقام ولذلك أمر الله تعالى الصلاة فيه بقصد التبرك وتحصيل القرب اليه بعظمة ذلك المكان الرفيع. وليس الأمر مختصّ بصلاة الطواف في أعمال الحج بل إنّ أعمال الحج ما هي إلا احتفالات بذكرى الأنبياء، فأمر الله تعالى باتخاذ مقام إبراهيم مصلّى إحياء لذكرى شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وكذا أمره تعالى بالسعي بين الصفا والمروة فهو تخليد لذكرى هاجر حينما عطشت هي وابنها إسماعيل، فكانت تسعى بين الصفا والمروة وتصعد عليها وتنظر هل ترى من أحد، كما ذكره البخاري في رواية معروفة (انظر صحيح البخاري ج ٤: ص ١١٤ كتاب بدء الخلق) ورمي الجمار تخليد لذكرى إبراهيم عليه السلام حينما ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فهو أيضاً تخليد لذكرى إبراهيم الخليل عليه السلام. وكذلك حينما أمر بذبح ولده إسماعيل، ففداه الله بذبح عظيم فإنّ الذبح بمنى أيضاً لذكرى إبراهيم الخليل عليه السلام وفي بعض الأخبار أنّ بداية أعمال الحج يوم التاسع من ذي الحجة بعرفات احتفال بذكرى آدم عليه السلام الذي أفاض بعرفات حتى وافى إلى المشعر فبات فيه فلمّا أصبح أفاض إلى منى محلقاً رأسه أمارة على قبول توبته، فجعل الله تعالى ذلك اليوم عيداً لذريّته. فأعمال الحجّ كلّها احتفالات وأعياد بذكرى الأنبياء.

وهنا نسأل ابن تيمية وأتباعه هل أنّ احتفال الله بذكرى أنبيائه شرك بالله العظيم؟! وهل الله تعالى جعل احتراماً لمقام ابراهيم الخليل عليه السلام أكثر من قبر خاتم الأنبياء؟!

وبعبارة أخرى هل إنّ الله جعل احتراماً لمقام رجل هو خليله ولم يجعل احتراماً لمدفن جسد خاتم الأنبياء أو المحل الذي كان فيه خاتم الأنبياء والمرسلين؟!

(١) وتوضيح المقام أنّ للزمان والمكان دور كبير في اشتراطهما في العبادات، فإنّ لله تبارك وتعالى بقاعاً على وجه الأرض فضّلها على غيرها من البقاع، كما أنّ لله تعالى أيّاماً وشهوراً فضّلها على غيرها. فالأمكنة لها تأثير كبير في القرب من الله عز وجل، وله تعالى

➔

➔

بقاع على وجه الأرض عظيمة مفضّلة على بقية البقاع. وقد وردت في روايات كثيرة تؤكّد على أهمية بعض الأمكنه للعبادة، كالمساجد وأهمّ المساجد المساجد الأربعة وإنّ الصلاة الواحدة فيها تعدل ما شاء الله من الثواب، وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبيّ الأكرم ﷺ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام (صحيح مسلم ج٤: ص١٢٤ ووسائل الشعة ج٣: ص٥٤٤) قال النووي في شرح الحديث: اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم في مكّة والمدينة أيّهما أفضل. ومذهب الشافعي وجماهير العلماء أنّ مكّة أفضل من المدينة..... وقال القاضي عياض: أجمعوا على أنّ موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض وأنّ مكّة والمدينة أفضل بقاع الأرض، واختلفوا في أفضلها ما عدا موضع قبره ﷺ. فقال عمر بن الخطاب وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيّين: المدينة أفضل، وقال أهل مكّة والكوفة والشافعي وابن وهب وابن حبيب المالكيّان: مكّة أفضل.... (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج٩: ص١٦٣)

والمهمّ أنّ المتسالم بين جميع المسلمين أفضلية بعض الأمكنة بالنسبة إلى البعض الآخر، وهذه الحقيقة ثابتة عند الكلّ فإنّ مسجد الحرام أفضل مساجد الله على وجه الأرض ولكن أفضل المكان فيه هو مقام إبراهيم حيث أمرنا الله تعالى بالصلاة فيه فقال تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (سورة البقرة: ١٢٥). فالأمر بالصلاة عند مقام ابراهيم دليل على أنّ الله تبارك وتعالى يحبّ أن يعبد في هذا المكان، كما ورد في الحديث أنّ الدعاء في بعض البقاع له تأثير في الاستجابة والتقرّب من الله تعالى، فقد ورد في البحار بسنده عن الحميري قال: حدثني أبو هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام وهو محموم عليل، فقال لي: يا أبا هاشم ابعث رجلاً من موالينا الى الحائر يدعو الله لي فخرجت من عنده فاستقبلني عليّ بن هلال، فأعلمته ما قال لي، وسألته أن يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكنّني أقول إنّه أفضل من الحائر، إذ كان بمنزلة من في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من

➔

الروضة في مسجد المدينة فإنّها خير من الصلاة فيه في غيرها[1]. فالعارف

➔

دعائي له بالحائر. فأعلمته صلوات الله عليه ما قال، فقال لي: قل له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وإنّ لله تبارك وتعالى بقاعاً يحبّ أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والحائر منها (بحار الأنوار ج٩٨: ص١١٣). فالمستفاد من الأحاديث والروايات الواردة عن طرق الفريقين أنّ الله تبارك وتعالى يحبّ أن يسمع دعاء عباده في بعض الأماكن ويحبّ أنّ العباد يعبدونه في بعض البقاع، وقد شرّف بعض البقاع للعبادة والدعاء، فلاحظ.

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (صحيح البخاري ج٢: ص٥٧ كتاب الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة) وأخرجه مسلم في صحيحه (ج٤: ص١٢٤ كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة) وكذا أحمد بن حنبل بسنده عن سعد بن أبي وقّاص أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وذكر مثله .... (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص١٨٤) وأيضاً أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عمر: مثله (لاحظ مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٢٩) وأخرج عن عائشة أنّها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواء من المساجد إلّا المسجد الأقصى (مسند أحمد ج٢: ص٢٧٨).

وروى الكليني بسنده عن معاوية بن وهب عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره إلّا المسجد الحرام فهو أفضل (الكافي ج٤: ص٥٥٥ ح٥).

وروى الصدوق بسنده عن أصبغ بن نباته قال: بينا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة إذا قال: يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحْبِ به أحداً من فضل مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلّى ابراهيم الخليل ومصلّى أخي الخضر عليه السلام ومصلّاي، وإنّ مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله عز

←

إنّما يقصد المحالّ الشريفة من حيث تحصيل زيادة الفضل، فيقدّم الصلاة في المسجد على بيته، وفي المسجد الجامع على مسجد القبيلة، وفي الجماعة على غيرها، إلى غير ذلك من الخصوصيّات التي لها مدخليّة بزيادة الفضل[1].

➔

وجل لأهلها، وكأنّي به قد أتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبّه بالمُحرم ويشفع لأهله ولمن يصلي فيه فلا تردّ شفاعته، ولا تذهب الأيام والليالي حتّى ينصب الحجر الأسود فيه، وليأتينّ عليه زمان يكون مصلّى المهدي من ولدي، ومصلّى كلّ مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلا كان به أو حنّ قلبه إليه فلا تهجروه... (من لا يحضره الفقيه ج١: ص ٢٣١).

وروى الكليني بسنده عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام هل قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة؟ فقال: نعم، وقال: بيت علي وفاطمة عليهما السلام ما بين البيت الذي فيه النبي صلى الله عليه وآله إلى الباب الذي يحاذي الزقاق إلى البقيع، قال: فلو دخلت من ذلك الباب والحائط مكانه أصاب منكبك الأيسر. ثمّ سمّى سائر البيوت وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام فهذا أفضل (الكافي ج٤: ص ٥٥٥)

وروى أيضاً بسنده عن جميل بن درّاج قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مابين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنّة، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة، وصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام. قال جميل: قلت له: بيوت النبي صلى الله عليه وآله وبيت علي منها؟ قال: نعم وأفضل (الكافي ج٤: ص ٥٥٦). وإلى غير ذلك من الروايات فإنّها تدلّ على أفضليّة المسجد النبوي من غيره إلا المسجد الحرام.

(١) لاشكّ أنّ المناط في أفضلية المكان هي الخصوصية التي تؤثّر في شرافة المكان وتجعله

➔

←

محلاً للعبادة والتقرّب إلى الله عز وجل، فإنّ أفضل الأمكنة المساجد لأنّها بيوت الله. قال الراغب: المسجد: الموضع المعدّ للصلاة، وقال غيره: لمّا كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربّه اشتقّ منه اسم المكان فقيل: مسجد وهو أفضل الأمكنة عند الله. فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: أحبّ البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها (صحيح مسلم ج٢: ص١٣٢ كتاب الصلاة باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد)

وقال النووي في شرح الحديث: لأنّ المساجد بيوت الطاعات وأساسها على التقوى... (شرح مسلم ج٥: ص١٧١)

وروى المحدث النوري في المستدرك عن قطب الدين الراونديّ في لبّ اللباب عن النبي الأكرم ﷺ قال: المساجد بيوت المتّقين، ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له بالروح والراحة والجواز على الصراط، وقيل للنبي ﷺ ائذن لنا في الترهيب، قال: ترهيب أمتي الجلوس في المساجد، وقال ﷺ: إذا رأيتم الرجل يعتاد المشاهد فاشهدوا له بالإيمان، لأنّ الله يقول: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ. وسأل النبي ﷺ جبرئيل عن أحبّ البقاع إلى الله وأبغضها إليه؟ فقال للنبي ﷺ: أحبّ البقاع إلى الله المساجد وأبغضها إليه الأسواق (مستدرك الوسائل ج٣: ص٣٦٢)

فالمساجد أحبّ البقاع عند الله لأنّها محلّ للعبادة. وكلّما ازدادت هذه الخصوصية في المكان ازداد شرفاً وفضلاً إلى أن تصل تلك الخصوصية إلى أعظم المساجد الإسلامية وهو المسجد الحرام.

ثمّ إنّ الله تعالى أمر بإقامة الصلاة عند مقام إبراهيم فقال تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (سورة البقرة: ١٢٥) والذي يفهم من الآية أنّ سبب اتخاذ هذا المكان مصلّى لكونه مقام إبراهيم، حيث إنّ إبراهيم الخليل عليه السلام اتخذه مكاناً للعبادة، فإنّ شرف المكان بشرف عبادة إبراهيم فيه والدعاء الذي دعى إبراهيم عليه السلام فيه والمناجات والعبادات التي تقرّب بها إبراهيم الخليل عليه السلام إلى الله عز وجل. وإذا كان

←

والعجيب الغريب قوله: يتّبعون بذلك سنّته، فإنّه مناقض لما سَنّه لهم من الصلاة في المساجد، وتفضيل بعضها على بعض وتفضيل بعض بقاعها على بعض، مثل مقام الخليل والروضة المقدّسة إلى غير ذلك[1].

الأمر كذلك فإنّ محلّ عبادة خاتم الأنبياء والمرسلين أفضل الأمكنة للعبادة والتقرّب إلى الله، كما أنّ مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام تكون كذلك بنفس الملاك والمناط، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: إنّ السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وهي كلّ ما صدر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير.

أمّا السنة القوليّة: فهي كلّ ما نطق به رسول الله صلى الله عليه وآله كقوله: إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى.

وأمّا السنّة الفعليّة: فهي كلّ ما صدر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أفعال أو أعمال ككيفيّة صلاته وإتيان مناسك الحجّ وغير ذلك، فإنّ عمله صلى الله عليه وآله حجّة كقوله، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: صلّوا كما رأيتموني أصلّي (السنن الكبرى للبيهقي ج٢: ص٣٤٥، وبحار الأنوار ج٨٢: ص٢٧٩) وقال: خذوا عنّي مناسككم (السنن الكبرى للبيهقي ج٥: ص١٢٥، وعوالي اللئالي ج١: ص٢١٥).

وأمّا السنة التقريريّة: فهي أن يسكت صلى الله عليه وآله عن إنكار فعل أو قول صدر من أحد في حضرته أو في غيبته وعلم ذلك وهنا شرح مفصّل في معنى السنّة عند علماء الإسلام من المحدّثين والأصوليّين والفقهاء والمجتهدين وعند المتكلّمين، ولاحاجة للدخول في هذا البحث الطويل بعد وضوح المقصود من السنّة في كلام ابن تيمية، والسيد الماتن أعلى الله مقامه الشريف. فإنّ المراد بالسنّة هنا ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله من فعل أو قول. فما نسبه ابن تيمية من أنّ الشيعة الإمامية يتبعون آثار النبي صلى الله عليه وآله ثمّ يجعلون لها سنّة من الصلاة واضح الكذب والبطلان، حيث إنّ الشيعة الإمامية إنّما يتبعون سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. نعم

وثامن عشرها: ما زعمه من كون الدين مبنيّاً على أصلين: عبادة الله وحده وعبادته بما شرعه(١). فإنّه مضافاً إلى مناقضته لما بيّنّاه من بنائه على

➔

يتّخذون المكان المتبرّك بوجود رسول الله ﷺ مكاناً مباركاً كبقية البقاع المتبرّكة التي يستحبّ فيها الصلاة كالمساجد، فشرافة المكان إنّما حصلت بوجود رسول الله ﷺ فيه، وبعد كسب الشرافة والفضل يكون المكان متبرّكاً ومشرّفاً وله الفضل، فالصلاة في ذلك المكان المشرّف أفضل من الصلاة في غيره، كالروضة المقدّسة، لا أنّ العبادة تكون للمحلّ! فإنّ التناقض في كلام ابن تيمية واضح، لأنّه يقول يتبعون آثار النبي. لأنّ متابعة الآثار معناه العمل بالسنة النبوية الشريفة، وفي الواقع معنى قوله يرجع إلى أنّ الشيعة يتبعون سنة رسول الله ﷺ، وأمّا قوله يصلّون فيه أيضاً كلام صحيح، حيث إنّ الشيعة يصلّون في المكان المتبرّك بوجود رسول الله ﷺ لأفضليّة ذلك المكان وشرافته وهذا يناقض قوله إنّهم يجعلون لذلك المكان سنّة، حيث لو كان المكان مشرّف بوجود رسول الله ﷺ ما معنى جعل السنة من قبل الشيعة، فكما أنّ محلّ أقدام إبراهيم الخليل عليه السلام عند الله مشرَّف وفيه الفضل والبركة واتخذه الله مكاناً للصلاة للتقرب اليه لحجاج بيته الحرام، فالشيعة أيضاً اتخذوا مقام خاتم الأنبياء الذي فيه الفضل والبركة محلاً للعبادة والصلاة والدعاء والمناجات.

(١) لا يخفى أنّ حقيقة الدين عبارة عن مجموعة من العقائد والقوانين الشرعية والآداب الاجتماعية والفردية والثقافية. فالعقائد هي المبادئ ومجموع الأسس الدينية التي يبتني الدين عليها، وهي تشكّل أصل الدين في روح الإنسان وتؤثّر في نفسه إلى درجة تظهر آثارها على يده ورجله ولسانه وأذنه وعينه وجميع ذرّات وجوده، وتسمى بـ «أصول الدين»، ويلزم على كلّ مؤمن أن يعتقد بها اعتقاداً جازماً عن معرفة وعلم، ولا يجوز التقليد فيها. وهي عند جميع الأديان السماوية الاعتقاد بالله والتوحيد والاعتقاد برسالة رسله وسفرائه وكذلك الاعتقاد بيوم الدين.

🡐

خمسة أصول على ما سبق[(١)]، وإلى مناقضته لما مضى من قول نفسه بأنّه مبنيّ على أصلين وهما التوحيد والنبوّة[(٢)]، فاسد في نفسه من حيث ضرورة كون العبادة فرعاً للدين، فإنّها إنّما تتحقّق بعد معرفة أصول الدين، فعند ذلك ينقاد العارف بها إلى عبادة الله سبحانه وطاعته[(٣)].

←

والقوانين الشرعية: هي الأحكام الإلهيّة التي قنّنها الشارع الأقدس لتنظيم مسيرة الإنسان وحياته الاجتماعية والفردية

والآداب: هي الأخلاق والملكات الراسخة الروحية النابعة من الفطرة والعقل، ويليق بكلّ إنسان أن يتبعها لتحصيل الكمالات النفسانية والفضائل المعنوية الخاصّة بشأن الإنسان.

وبعد وضوح حقيقة الدين التي هي المركبة من مجموع هذه الأمور يظهر بطلان قول ابن تيمية، حيث إنّه ادّعى بأنّ الدين مبنيّ على أصلين: العبادة وما شرّعه الله. فقد ظهر مما تقدّم أنّ ما يبتني الدين عليه هو الاعتقاد والإيمان، وهو من أصول الدين، وما ذكره ابن تيمية من العبادة فهو من فروع الدين.

وثانياً: إنّ الاعتقاد أمر قلبي يلزم فيه الإذعان واليقين والعبادة أمر عمليّ مربوط بعمل المكلّف

وثالثاً: إنّ ما ذكره ابن تيمية مناقض لما ذكره من أصول الدين وما يبتني عليه الدين سابقاً. وسنشير إلى تناقضه في ما يلي من البحث إن شاء الله تعالى.

(١) لقد عرفت مما تقدّم أنّ ما ذكره ابن تيمية في تعريف الدين: الإيمان بأنّه لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله والإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت.... (منهاج السنة ج١: ص ٧٩).

(٢) قال ابن تيمية....: ولهذا كان أصل الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله... (منهاج السنة ج١: ص ٨٥).

(٣) وتوضيح المقام أنّ العبادة عبارة عن الفعل المأمور به شرعاً، وهي مشتملة على نهاية التعظيم والتذليل لمن يستحقّ ذلك بأفعال ورد بها الشرع المقدس، فالعبادة هي أفعال

←

➔
شرعية ووظائف عملية من فروع الدين كالصلاة والصوم والحجّ وغير ذلك
والمقصود بفروع الدين هي المسائل الشرعية المربوطة بأفعال المكلفين، أي بعد ثبوت الإيمان يلزم على كلّ مؤمن الأفعال التكليفية المقرّرة في الشرع، وهي أحكام شرعها الله عز وجل بعنايته للعباد لما يصلحهم في أمر دنياهم وآخرتهم، وتنظيم حياتهم الفردية والاجتماعية، والإرشاد إلى ما فيه الخير والصلاح.
ومن أهمّ تلك الأحكام العبادات وهي التي يلزم فيها قصد القربة فإنّ قصد القربة يجعل العمل مقرّباً إلى الله عز وجل ومحبوباً عنده. ووبعبارة أوضح: إنّ كمال الإنسان بكمال نفسه، وكمال نفسه بمطابقة عمله مع كمالاته النفسانية، ومطابقة العمل مع الكمال النفسي والروحي هي العبادة حيث إنّ العبادة صورة التدريب الروحي الذي يحقّق للمؤمن التوازن النفسي ويحقّق للواقع الخارجي التوازن الاجتماعي، فالعبادة نور تفتح الطريق أمام المؤمن، قال الله تعالى: وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ (سورة الأنعام: ١٢٢) أي جعلنا له نوراً ليبصر وإدراكاً يمشي به في الناس، فالعبادة هي النور التي تدعو الإنسان إلى ما يزيح عنه الأنانيّة والتعصب والمعاندة والأهواء، ويريه الحقائق على ما كان. فالمقصود بالضوء هو الضوء الذي يضيء الطريق للإنسان كي يستطيع الإنسان أن يميّز مسيره في حياته بين الناس، ويصونه عن الهلكات ويحفظه عن الضيعة والفساد. فالعبادة هي النور الذي يفتح الطريق إلى الله عز وجل، ومن الواضح أنّه لا يفتح هذا الطريق إلّا بالمعرفة والعلم ولا يجعل الخضوع المطلوب من العبادة إلّا بمعرفة المعبود والمخضوع له. وقد ورد في كتب العقيدة الإسلامية في البحث عن لزوم المعرفة وجوب معرفة الله عز وجل لوجوب شكر المنعم، وقد أثبتوا بأنّ وجوب شكر المنعم أمر فطريّ وعقليّ، لأنّ أساس كلّ التعاليم الدينية معرفة الله، فوجوب شكر المنعم أمر فطري عقلي جبليّ.
وقد جاء هذا المعنى في الأحاديث الإسلامية، ففي حديث سأل زرارة الإمام الباقر عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ (سورة الحج: ٣١) الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله؟ فقال الإمام عليه السلام: فطرهم على المعرفة به (الكافي ج٢: ص ١٢)
➔

فأما عند الجهل بالدين فالعبادة غير متصوّرة[1]، فإنّها عبارة عن طاعة

➔

وفي صحيح مسلم بسنده عن عياض بن حمّاد المجاشعي قال: إنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ألا إنّ ربّي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم مما علّمني يومي هذا، كلّ مال نحلته عبداً حلال وإنّي خلقت عبادي حنفاء لله كلّهم وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطاناً (صحيح مسلم ج٨: ص ١٥٩ كتاب الجنّة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة وأهل النار) فالمراد بالحنيفيّة دين الإسلام والإقرار بالربّ جلّ وعلا. وخلاصة الكلام أنّ العبادة من فروع الدين أي أنّها فرع معرفة الله عز وجل، فيلزم أوّلا المعرفة بالله تعالى ثمّ العبادة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّ العبادة هي خضوع العبد أمام من يستحقّ العبادة بذاته أي المعطي لجميع النعم الدنيويّة والأخرويّة.

وبعبارة أخرى: إنّ العبادة خضوع العبد وتذلّله النابع من الاعتقاد بإلاهية المعبود الحقيقي، فإنّ عبادة الإله أمر فطري جبليّ، قال الله تعالى: وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (سورة يس: ٢٢) ومعناه ولِمَ لا أعبد الذي خلقني وهو أهل لأن يُعبد حيث إنّه الخالق والمالك والوهّاب، فعبادته نابعة من فطرتي، والتأكيد على قوله تعالى: فَطَرَنِي لعلّه إشارة إلى أنّني حينما أرجع إلى الفطرة الأصلية في نفسي ألاحظ بوضوح أنّ هنالك صوتاً يدعوني إلى عبادة خالقي، دعوة تنسجم مع العقل، فكيف أغضّ الطرف عن الدعوة التي تدعوني إلى فطرتي وعقلي؟!

والملفت للنظر أنّه لا يقول: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؟ بل يقول: وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي... لكي يكون بتروعه بالحديث عن نفسه أكثر تأثيراً في النفوس، وبعد ذلك ينبّه إلى أنّ المرجع والمآل إلى الله عز وجل كما أنّ الابتداء منه فقال: وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

فالعبادة لا تصوّر إلّا بعد معرفة المعبود فإذا عرف الإنسان الخالق العظيم الذي وهب إليه كلّ النعم الظاهرية والباطنية يعلم بأنّ شكر المنعم واجب فيجب عليه عبادته. فأصل المعرفة

➔

أمر الله سبحانه ونهيه، فهي مسبوقة بمعرفته سبحانه وبمعرفة أمره ونهيه[١].

وتاسع عشرها: ما زعمه من وصف مطلق الرفضة وهم من نفى إمامة الثلاثة ورفضها بالمبتدعة. فإنّه قد بان بهتانه في ذلك لما عرفته من كون اثني عشريّة الشيعة هم المتشرّعة[٢]،

من أصول الدين والعبادة تتفرّع على هذا الأصل.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ وجوب امتثال الأمر والنهي يتوقّف على وجوب طاعة الآمر والناهي. فالأمر بالعبادة يتوقّف أوّلاً على وجوب طاعة الآمر، أو على شكر المنعم، أو حبّاً له، أو لكونه أهلاً للعبادة، ففي جميع هذه الموارد يجب معرفة الآمر قبل الإتيان بالعبادة والاعتقاد بكونه مستحقّاً للعبادة وحده، وذلك ربّ العالمين الذي خلق الخلائق وملك التصرّف فيهم، وقد أنعم على عباده من النعم العظيمة التي لا يقدر عليها أحد غيره.

فالألوهية منحصرة فيمن يستحقّ العبادة، فالعبادة تتبع الربوبيّة وهي مختصّة بمن لا يشاركه أحد في العبادة، وإنّه الواحد الذي لا إله غيره قال الله تعالى: إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (سورة طه: ١٤). وهذه الجملة من الله تعالى هي أوّل جملة استعملها الله تعالى مخاطباً لنبيّه موسى عليه السلام بعدما تلقّى الوحي: وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (سورة طه: ١٣)، وبعد هذه الآية الكريمة ذكر تعالى أهمّ أصل لدعوة الأنبياء وهو التوحيد، وبعد ذكر التوحيد أمر تعالى بالعبادة والصلاة. فالترتيب في الآية الكريمة أيضاً يرشدنا إلى أنّ معرفة التوحيد مقدّم على الأمر بالعبادة.

وبعبارة أوضح: لابدّ من الاعتقاد بالتوحيد قبل الإتيان بالعبادة حيث إنّ العبادة ثمرة من شجرة الإيمان والتوحيد، لزوم معرفة أصول الدين قبل الفروع أمر ثابت بالدليل العقلي والقرآني.

(٢) لا شكّ أنّ الشيعة الإمامية أحرص الناس على طاعة الله ورسوله واتّباع الدين الذي يرضى به الله تعالى، فهم يتبّعون أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله بالسير على نهج القرآن وسنة

➔

المعصومين عليهم السلام، وهو نهج الحق. فيتّخذون نهج الحقّ الذي أرشد القرآن الكريم والسنة النبويّة الصحيحة المتّفق عليها بين جميع المسلمين إليه، ولذلك شايعوا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، واعتقدوا بإمامته وإمامة أحد عشر من أولاده المعصومين عليهم السلام. وعلى سبيل المثال إنّهم يعتقدون في الإمامة بأنّها عهد إلهي لمن يراه الله تعالى صالحاً للإمامة، وذلك لقوله تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (سورة البقرة ص١٢٤). هذه الآية الكريمة صريحة في أنّ الله عز وجل جعل إمامة إبراهيم عليه السلام جعلاً شرعيّاً، وذلك لقوله تعالى: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا. فالإمامة منصب إلهي كالنبوة شرعيّتها تكون بالنصّ من قبل الله عز وجل، فالذي اصطفاه الله يكون خليفة الله في الأرض ليقوم بين الناس بالقسط والعدل، ويتحمّل مسؤولية قيادة الناس على عاتقه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويحقّق أهداف الدين والرسالة الإلهية.

فالشيعة الإماميّة يعتقدون بأنّ الإمامة منصب إلهي بهذا النصّ الصريح من القرآن كما يعتقدون بالأدلّة القاطعة والروايات المتواترة بأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام في كثير من المناسبات والمواقف لا سيّما يوم غدير خمّ عندما عيّن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إماماً وعلماً للأمّة، وأخذ البيعة له، فبايعه جميع الصحابة للإمامة والخلافة. وقد روى هذه الواقعة العظيمة جماعة كبيرة من علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم ونحلهم حتّى أنهوا رواة هذا الحديث الى التابعين والصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله طبقة بعد طبقة، وقد ألّفوا في ذلك كتباً منهم العلامة الأميني، ألّف كتابه الغدير وقد خصّص الجزء الأوّل منه للكلام حول ثبوت حديث الغدير سنداً ومتناً، فأثبت تواتر الحديث في جميع الطبقات وأنهى الرواة لذلك من الصحابة إلى مائة وعشرة، ومن التابعين إلى أربعة وثمانين. فالحديث من حيث السند مجاوز حدّ التواتر، ومن الطبيعي أنّ هذه المجموعة العظيمة من الحديث لا يسع هذا المجال لذكرها، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

🡐

وهم الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة[1]. ومن خالفهم من الفرق ممّن

➔

والمهمّ أنّ الشيعة الإمامية قد تمسّكوا بالقرآن والروايات المتواترة المتّفقة عند جميع المسلمين على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام ومع ذلك كلّه فإنّ الغاصبين للخلافة قد غصبوا حقّهم مع علمهم بأنّ القرآن والسنة النبوية الشريفة مصرّحة بخلافتهم عليهم السلام. وعليه إذا كان المقصود من الرفضة الشيعة الذين اتخذوا نهج القرآن والسنة النبويّة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين من بعده فهم يفتخرون بذلك، لأنّ ذلك عين الإسلام، فلاحظ.

(١) إنّ حديث الفرقة الناجية من الأحاديث الصحيحة المرويّة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بطرق كثيرة رواها جمع كبير من أعلام أهل السنة في كتبهم بأسانيدهم الكثيرة عن الصحابة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤٥ وج٤: ص١٠٢ وسنن الدارمي ج٢: ص٢٤١ وسنن ابن ماجة ج٢: ص١٣٢٢ وسنن أبي داود ج٢: ص٢٩٠ والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٤: ص٢٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص٢٠٨ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص٢٢٦ والمصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ج١٠: ص١٥٦ وكتاب السنته لأبي عاضم: ص٧ ومسند أبي يعلى الموصلي ج٧. ص٣٦ وغيرها من المصادر) وقد صحّحه كثير من أعلام أهل السنة وحفّاظهم كالحاكم النيسابوري والترمذي والهيثمي والذهبي والسيوطي والألباني وابن العربي والسخاري والمنادي وغيرهم.

ولا يهمّنا ذكر كلامهم في المقام بعد ثبوت تواتر الحديث عند جميع المسلمين قاطبة.

والمهمّ هو معرفة الفرقة الناجية المحقّة من تلك الطوائف وتشخيصها بالأدلّة القاطعة من الكتاب والسنة.

ويلزم هنا التأمّل من قارئ الكريم لمعرفة الفرقة الناجية والتعمّق في مدلول الحديث ومفهومه.

➔

قال بإمامة الثلاثه وغيرهم، جميعاً مبتدعة[١]. وقد مضى بيان نبذة ممّا دلّ

➔

فنقول: من الواضح أنّ المسلمين قد افترقوا بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى عدّة مذاهب مختلفة ولكن تجتمع كلّها تحت مذهبين رئيسيّين، الأوّل الشيعة الاثني عشرية والثاني من يقول بإمامة أبي بكر وخلافته بعد رسول الله ﷺ. واختلفوا فيما بينهم بالجزئيّات، ومن المعلوم أنّه لا يمكن قبول كون كلّ الطوائف القائلين بخلافة أبي بكر في الجنة لأنّها مخالفة صريحة للنصّ النبوي، فيلزم على أهل السنة والجماعة أولاً إثبات أنّه أيّ مذهب من مذاهب أهل السنة هو الفرقة الناجية فالقول بأنّ جميع أهل السنة مذهب واحد غير مقبول عندهم؛ حيث إنّ كلّ مذهب يرى المذهب الآخر على الباطل ويرى أتباعه في النار، فكيف يمكن الجمع بين الطرفين فلا يمكن القول به، فلابدّ لأهل السنة أن يختاروا مذهباً واحداً من مذاهبهم ثمّ يلتزموا بأنّ جميع مذاهب أهل السنة في النار إلاّ المذهب المختار. وعليه يلزم القول بأنّ أكثر أهل السنة هم أهل النار على هذا الأصل المسلّم عندهم. ويضاف إليها من لا يقول بإمامة الأئمة الاثني عشر من أهل بيت النبي ﷺ فهم في زمرة المذاهب في قبال الشيعة الاثني عشرية.

ومن الواضح أنّ الشيعة الإمامية الاثني عشريّة هم الذين يتمسّكون بقول النبي ﷺ من أنّ الأئمّة من بعدي اثني عشر. وهذا النصّ أيضاً متواتر. فبهذين النصّين المتواترين يثبت أنّ الفرقة الناجية هم الشيعة الاثني عشريّة، وبذلك يثبت أيضاً أنّ جميع الفرق في النار الّا الشيعة الاثنى عشرية، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ خلفاء الجور وأئمّة الضلال الذين غصبوا حقوق أهل البيت عليهم السلام وأنكروا إمامتهم جهاراً قد خالفوا أمر الله ورسوله وبدّلوا سنن الإسلام ببدع ابتدعوها في الدين ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن الواضح أنّ النبي الاكرم ﷺ ارتحل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أكمل الشريعة وبيّن جليلها ودقيقها وما تحتاج اليه الأمّة إلى يوم القيامة. قال الله سبحانه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا (سورة المائدة: ٤) فإنّ إكمال

➔

على ذلك من الفرقان العظيم وسنّة خير المرسلين[(١)].

→

الدين عبارة عن تشريح جميع أحكامه والحفاظ على دينه وصيانته من التحريف والتبديل.

فقد أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الأمّة بالتمسّك بالثقلين ولم يرض لهم غيرهما لئلا يكون الدين ملعبة بأيدي المغرضين والطامعين والمنافقين، وجعل المقياس في تمييز البدعة عن السنة هو الرجوع إلى الثقلين، سواء فسّر بالكتاب والعترة الطاهرة كما هو المتواتر أم بالكتاب والسنة كما رواه مالك في الموطأ بسنده مرسلاً (انظر الموطأ لمالك: ص٦٤٨ برقم ١٦١٩) والحديثان متقاربان في المضمون؛ لأنّ العترة الطاهرة مبيّنة للسنة النبوية حقيقة، فمن وافقهم فقد وافق السنة النبوية ومن خالفهم فقد خالف السنة النبوية.

إذن القائل بإمامة الخلفاء الثلاثة هو من أهل البدعة لأنّ موقفه يكون في قبال أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسّك بالثقلين لأنّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله أمر بالتمسك بالقرآن والعترة الطاهرة المبين للسنة النبوية، والخلفاء الثلاثة وغيرهم من بني أمية وبني العباس خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وآله وارتدّوا على أعقابهم القهقرى. والخبير لو راجع كتب الحديث ولاحظ حديث الثقلين في مصنّفات أهل السنة والجماعة وما بيّنوه في شرحه يجد بوضوح أنّ أهل السنة والجماعة قد اتخذوا مسلكاً على خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله. قال صاحب تحفة الأحوذي في شرح حديث الثقلين: (كتاب الله حبل ممدود): أي هو حبل ممدود من السماء إلى الأرض يوصل العبد إلى ربّه ويتوسل به الى قربه (وعترتي) أي والثاني عترتي (أهل بيتي) بيان لعترتي، قال الطيبي: في قوله: إنّي تارك فيكم إشارة إلى أنّهما بمنزلة التوأمين الخليفتين عن رسول الله صلى الله عليه وآله.... (انظر تحفة الأحوذي ج١٠: ص١٩٧) ومثله المناوي في فيض القدير ج٣: ص١٠ والزرقاني في شرح المواهب ج٧: ص٣ وابن حجر في الصواعق: ص١٠١ وغيرهم. فالحديث واضح الدلالة في كون الخلفاء الثلاثة ومن تبعهم أهل البدعة، فلاحظ.

(١) فإنّ الأدلّة دالّة على أنّ الخلفاء الثلاثة الذين غصبوا حقّ أمير المؤمنين عليه السلام هم أهل

←

➔

البدعة والضلال. ومن تلك الأدلّة قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (سورة الانعام: ١٥٩) وقد فسّرت هذه الآية بأهل البدعة والضلالة من الأمّة الإسلامية كما ورد في الحديث عن الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب قال: إنّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال لعائشة: إنّ الذيْنَ فَرّقُوا دِيْنَهُمْ وَكانُوا شيَعاً إنّما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمّة، يا عائشة: إنّ لكلّ صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع والأهواء ليس لهم توبة، وأنا بريء منهم وهم منّا براء (تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٧: ص١٥٠).

وقال العلامة الطبرسي: ورواه أبو هريرة وعائشة مرفوعاً وهو المروي عن الإمام الباقر عَلَيْهِالسَّلَامُ: فجعلوا دين الله أديانا لإكفار بعضهم بعضاً وصاروا أحزاباً وفرقاً «لَسْتَ مِنْهُمْ فِيْ شَيْءٍ» هذا خطاب للنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وإعلام له أنّه ليس منهم في شيء وأنّه على المباعدة التامّة من أن يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة ... (تفسير مجمع البيان ج٤): فهذه الآية الكريمة والروايات الواردة في تفسيرها تدلّ بالصراحة على أنّ من خالف أمر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في أمر الخلافة فقد رمى بحجر التفرقة وزرع الفتنة في الأمّة هم أهل البدعة والضلالة.

ولاشكّ أنّ أوّل خطوة تحقّقت في سبيل هذه المخالفة هو الاجتماع في السقيفة حيث اجتمعوا فيها لاختيار الخليفة في مقابل ما اختار الله ورسوله، ومع أنّهم كانوا يعلمون أنّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ نصّ على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ يوم غدير خم فبادروا إلى اختيار الأمير لهم حرصاً منهم على الإمارة والحكومة وجعلوا كلام رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وراء ظهورهم. وقد نصّ البخاري في صحيحه على إخبار النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بذلك فأخرج في باب ما يكره من الحرص على الإمارة في كتاب الأحكام بسنده عن أبي هريرة عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: إنّكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ... (صحيح البخاري ج٨: ص١٠٦).

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن جابر بن عبد الله

➔

العشرون: ما زعمه من تشبيه اثني عشرية الشيعة بالنصاري من حيث تفضيل أئمّتهم على عامّة السابقين[1]. فإنّه قد مضى بيان ظلمه لهم بذلك من

➔

الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ لكعب بن عجرة يا كعب إنّي أعيذك بالله من إمارة السفهاء قال: يا رسول الله وما إمارة السفهاء؟ قال أمراء يكونون من بعدي من دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٤٨٠) والى غير ذلك من الروايات الدالّة على ضلالة الخلفاء الثلاثة وكونهم أهل البدعة والضلال، فلاحظ.

(١) لا يخفي على الخبير أنّ ثبوت الأفضليّة لكلّ شخص يحتاج إلى الدليل، كما أنّ اتّباعها يحتاج إلى المعرفة والتعرّف على ملاك التفضيل، ويلزم أن يكون هناك ملاكاً ثابتاً في التفضيل عند جميع المسلمين والعقلاء والعلماء وجميع أرباب المذاهب كي يكون تعيين الأفضلية بالملاك المتسالم عليه بين الجميع.

ولابدّ لنا أن نشير هنا بالملاك الذي به تتحقّق الأفضلية فنقول: إنّه في المرحلة الاولى: أنّ الأفضلية تثبت بإخبار الله عز وجل بوحي منه تعالى على نبيّ من أنبيائه أو بإخباره تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق كما هو الأمر بالنسبة إلى إخباره تعالى في القرآن الكريم بعصمة أهل بيت النبي الأكرم ﷺ وتنزيههم من جميع القبائح في قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (سورة الأحزاب: **٣٣**). فإنّ التعبير بإنّما يدلّ على الحصر، وهو دليل على أنّ هذه المنقبة خاصّة بأهل النبي ﷺ وجملة يريد إشارة إلى إرادة الله التكوينية وإلّا فإنّ الإرادة التشريعية لا تنحصر بأهل البيت ﷺ إذ كلّ الناس مكلّفون بأن يتطهّروا من كلّ ذنب ومعصية، فإنّ أهل البيت عليهم السلام حيث كانت لهم لياقة ذاتية فالله سبحانه وتعالى أراد أن يكونوا أسوة للناس فأذهب عنهم الرجس على نحو الإطلاق وطهّرهم من جميع الأرجاس ليكونوا إماماً وعلماً للخلق حتّى الأنبياء والمعصومين، لأنّ الأدلة القرآنية تدلّ على أنّ أمير المؤمنين

➔

حديث الثقلين[١] وغيره ممّا دلّ على تقدّم العترة بالفضل على غيرهم،

➔

علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أحد المعصومين المقصود بالآية الكريمة هو نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كما في آية المباهلة وهي قوله تعالى: فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (سورة آل عمران: ٦١) فإنّ الله تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وآله في هذه الآية الكريمة بالمباهلة مع من جادله من النصارى في أمر عيسى بن مريم عليه السلام بعدما جاءهم من العلم والمعرفة فأمره تبارك وتعالى أن يقول لهم: إنّي سأدعو أبنائي وأنتم ادعوا أبنائكم، وأدعو نسائي وأنتم ادعوا نسائكم، وأدعو نفسي وتدعون أنفسكم، وعندئذ ندعو الله أن ينزل لعنته على الكاذب منّا. وقد اتّفقت كلمات المسلمين من المفسّرين والمحدّثين على أنّ المراد من أنفسنا في الآية الكريمة هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما سنذكر الروايات المتواترة الواردة في شأن نزول هذه الآية كريمة إن شاء الله تعالى في محله

فإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فمعناه أنّه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو أفضل المخلوقات، فثبت بالآيات والروايات المتواترة ملاك الأفضلية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي المرحلة الثانية السنة النبوية الشريفة المتّفق عليها. فهناك روايات صحيحة عند جميع المسلمين ومتواترة وهي دالّة على أفضلية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكون أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالملاك المتسالم عليه، فيكون هو القدوة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث التي رواية الخاصة والعامة في كتبهم بأسانيد مختلفة ومتون متقاربة بحيث لا يبقى مجال للشكّ في صدوره عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة كيوم عرفة في حجّه وهو على ناقته القصوى، وفي مسجد الخيف، وفي خطبته يوم غدير خمّ في حجّة الوداع، وفي خطبته على المنبر يوم قبض. فاهتمام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بشأن هذا الحديث الشريف وتأكيده عليه ظاهر من ألفاظ الحديث؛ لأنّ

➔

وثبوت إمامتهم لغيرهم، ووجوب متابعة الغير لهم. والمتقدّم عليهم هالك والمتأخّر عنهم هالك فمتابعهم مهتد وغيره ضالّ[(١)]. فأين قول من حجّته

←

ظاهر الحديث مبيّن بأنّه ﷺ قد أوصى فيه لأمّته بأهمّ الأمور لديه وأعزّها عليه، فقد أمرهم بالتمسّك بالثقلين أو الخليفتين من بعده. فالحثّ على التمسّك بهذين الثقلين والتحذير عن تركهما دليل على أنّ الطريق الوحيد لنجاة الأمّة هو التمسّك بهما معاً؛ لأنّهما يعصمان الأمة من الضلالة والانحراف والهلاكة وما دامت الأمة متمسّكة بهما معاً تكون مصونة من أي ضلالة وانحراف، قال ابن حجر المكي: سمّى رسول الله ﷺ القرآن والعترة ثقلين؛ لأنّ الثقل كلّ شيء نفيس خطير مصون، وهذان كذلك كلّ منهما معدن للعلوم والأسرار والحكم العلمية والأسرار الشرعية، ولهذا حثّ ﷺ على الاقتداء والتمسّك بهم والتعلم منهم (الصواعق المحرقة: ص ٩٠) فأهميّة الرواية واضحة من ألفاظها لأنّ مدلولها عدم تحقّق الضلالة في الأمّة إن هم تمسّكوا بالثقلين معاً، فطريق النجاة منحصر في التمسّك بالثقلين، بل هو الطريق الوحيد لنجاة الأمّة. فالحديث فيه الدلالة الصريحة على أنّ سعادة المسلمين في الدنيا والآخرة وبقاء الشريعة المحمّدية مرهونة بالتمسّك بالثقلين في جميع الأزمنة إلى قيام يوم الدين.

ولكن من المؤسف حقّاً أنّ هذا الحديث لم يحظ بعناية لائقة بحاله ولم يهتمّ به المسلمون اهتمام الذي فيه من الكنوز الثمينة والمعارف الجليّة. وستتبين هذه الحقيقة للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) وتوضيح المقام أنّ دلالة حديث الثقلين على ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة في باب الإمامة واضحة؛ لأنّ عبارات الحديث غنيّة ومليئة بالدقائق واللطائف والمعارف التي يحصل بها الإيمان والاعتقاد بوجوب التمسك بإمامة الأئمة المعصومين من عترة النبي الأكرم صلوات عليهم أجمعين. فينبغي لكلّ باحث أن يتأمّل في عبارات الحديث ومعطياته بشكل دقيق، لأنّ دراية الحديث تفوق روايته، حيث إنّ الدراية منشأ الاعتقاد

←

➔

القلبي والاعتقاد القلبي مؤثّر بعمل الإنسان خارجاً وقلباً للاعتقاد بما جاء فيه من المعرفة. فأهميّة فقه الحديث واضحة.

وهنا يلزم علينا أن نذكر نقاطاً باختصار، وهي كما يلي:

النقطة الأولى: هي أنّ الحديث صدر من النبي الأكرم ﷺ بعنوان الوصية لأمّته حيث إنّ النبي الأكرم ﷺ أكّد بأدقّ العبارات على أنّ الأمة إذا تمسّكت بالثقلين لا يضلّوا بعده أبداً إلى يوم القيامة فالحديث صريح في أنّ رسول الله ﷺ حذّر أمّته من الوقوع في الضلالة بعد وفاته، وهذا يعني الوصية لأمته، وأهمية الوصية تعرف من التأكيد فيها على الهلاكة والضلالة.

النقطة الثانية: هي أنّ رسول الله ﷺ عرف كتاب الله والعترة الطاهرة بأنّهما ثقلان، أي أنّهما نفيسان أو خليفتان من بعده، وأمر أمّته أن تتمسّك بهما معاً لا بواحد منهما. ويعرف من ذلك أنّ التمسك بواحد منهما لا يمنع الضلالة.

النقطة الثالثة: هي أنّ رسول الله ﷺ بيّن في الحديث أنّ الكتاب والعترة الطاهرة معاً سبب لهداية الأمة، وأنّ عدم التمسك بهما والتخلّف عنهما ملازم للضلالة والهلاك

النقطة الرابعة: هي أن رسول الله ﷺ أكد على أنّ هذين الثقلين لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض فلا فصل بينهما أبداً. ومعناه أنّ ما دامت الدنيا فإنّهما موجودان. فليزم على الأمة التمسّك بهما في كلّ حال.

النقطة الخامسة: هي تأكيد رسول الله ﷺ على أنّ الأمة مسؤولة عن هذين الثقلين عند الله عز وجل يوم القيامة، لأنّ عدم التمسّك بهما بعد إتمام الحُجّة عليهم ووقوعهم في الضلالة والهلاكة ترجع مسؤوليتها على عاتقهم، حيث إن النبي الأكرم ﷺ حذّر أمّته عن الوقوع فيها وذكّر أمته بأنّ الطريق الوحيد للنجاة والسعادة هو التمسّك بالثقلين معاً.

النقطة السادسة: هي أنّ رسول الله ﷺ قد نهى أمته عن التقدم على العترة الطاهرة فإنّه موجب الضلال والهلاك.

فهذه الأمور تبيّن أهمية الحديث ومكانه الرفيع في الإسلام، فلاحظ.

معلومة بيّنة ثابتة لدى خصمه ممن ليس له حجة على ما زعمه[1]، بل الحجّة

---

(١) فإن مجرد الادعاء أمر ميسور يمكن لكلّ أحد أن يدّعي أموراً مخالفاً للحقّ والحقيقة، بل وحتّى يدّعي الأمور الباطلة والمخالفة للضرورة عند كلّ إنسان عاقل، ولكن لا أثر للدعوى المجردة عن الدليل، فإنّها لا تسمن ولا تغني من جوع. فادعاء ابن تيمية في المقام لا أثر له؛ لأنّ أدلّة الشيعة واضحة في أعلى درجات الوضوح، حيث إنّهم يصرّحون بلزوم الأخذ بالحجّة في كلّ مسألة من مسائل الدين، لاسيّما إذا كانت المسألة من المسائل العقدية فيلزم حينئذٍ أن تكون الحجة بالبرهان القطعيّ الثابت عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم.

فمثلاً: إنّ الشيعة الإمامية يستدلّون على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام بأدّلة كثيرة معتبرة عند جميع المسلمين، منها: حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٧ عن أبي سعيد الخدري) ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٨ وابن الجعد في مسنده: ص١٩٧ وعمر بن أبي عاصم في كتاب السنة: ص٦٢٩ وأبي يعلى الموصلي في مسنده٢: ص٢٩٧، وغيرهم. وسيأتي ذكر سند الحديث وشرح متنه في محلّه إن شاء الله تعالى ويثبت لدى الجميع تواتره بحيث لايشوبه ريب ولا مين.

وقد أوصل أسناده ابن حجر في الصواعق المحرقة إلى نيّف وعشرين سنداً عن نيّف وعشرين صحابياً يقول في كتابه: ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابياً (الصواعق المحرقة: ١٤٨)

فالحديث صريح في أفضلية أهل البيت وعترة النبي صلى الله عليه وآله ونحن نذكر في المقام دلالة الحديث بايجاز:

١- دلالته على عصمة أهل البيت عليهم السلام لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قرن العترة بالكتاب، ومن المعلوم أنّ

←

قد نقضت قوله؟ وقد عرفت مخالفة من عناهم السنّي بالسابقين لما وردت به الشريعة[1].

➔

كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالعترة تكون كذلك.

٢- دلالته على أنّ المرجعية بعد الرسول الأعظم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منحصرة في القرآن والعترة، لأنّ النبي أكّد على أنّ التمسك بالثقلين أعني كتاب الله وعترة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معاً واقٍ من الانزلاق في أودية الضلال إلى يوم القيامة.

٣- دلالته على وجود الرسالة الإلهيّة المتمثّلة في إمامة العترة الطاهرة بعد خاتم النبيين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى يوم القيامة، وذلك لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فلو قلنا بجواز التفرّق بينهما لجوّزنا الكذب على الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم الافتراق بينهما فالحديث يدلّ على إمامة العترة الطاهرة بوضوح.

(١) وتوضيح المقام إنّه قد أعترف ابن تيمية بأنّ الأخبار الدالة على تقدّم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من طرق أهل السنة والجماعة أكثر مما ورد عن الشيعة الأمامية، وهذا دليل على عناده وشدة بغضه لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع اعترافه بأفضلية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأولويّتهم بالخلافة من غيرهم بالنصّ؛ لأنّ النصوص والروايات الواردة عن طرق أهل السنة والجماعة التي تدلّ على أفضلية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتقدّمهم على غيرهم عند الشيعة كثيرة لاتعدّ ولاتحصى فإذا كانت عن طرق أهل السنة أكثر مما ورد عن الشيعة فالالتزام بمدلولها يكون آكد، فيلزم على ابن تيمية أن يلتزم بمدلول الروايات، ولاشكّ أنّ مدلولها وجوب التمسّك بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ولكن حيث إنّه أنكر هذا الضروري من ضروريات الإسلام فيعرف من اعترافه أنّه مشمول لقوله تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (سورة النمل: ١٤) وقوله تعالى: تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُون (سورة المائدة: ٨٠) فالآية صريحة بأنّ الله تعالى قد عاب الأمم الذين كانوا

➔

الحادي والعشرون: ما نسبه إلى غالية[1] الرفضة من جعل أئمّتهم

➔

يعتقدون قلباً بحقّانيّة الرسالة الإلهيّة ويقرّون بذلك ومع ذلك كانوا يجحدون ويخالفونها مخالفة العدوان والظلم. فيظهر أنّ مخالفة ابن تيمية لأهل البيت عليهم السلام لا تكون ناشئة من عدم معرفته بأهل البيت عليهم السلام، بل كان يعرفهم حقّ المعرفة ولكن مع ذلك كلّه نصب لهم العداوة والبغضاء، وحاول بكلّ جهد إطفاء نور الله ـ فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ـ وبذلك دخل في مصاديق قوله تعالى: يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (سورة التوبة: ٣٢) وقوله تعالى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (سورة الصف: ٨) وقوله تعالى: يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (سورة الفتح: ١٥) وقوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (سورة النساء: ٥٤) فإنّ المراد بالناس في الآية الأخيرة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ الروايات الكثيرة الواردة عن الفريقين الشيعة وأهل السنة قد وردت في تفسيرها وهي تنصّ على أنّ المقصود بالناس هم أهل البيت عليهم السلام. ففي الدرّ المنثور عن ابن المنذر وتفسير الطبراني عن ابن عباس أنّهما رويا في تفسير في هذه الآية. في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن الناس(أي أهل البيت الناس الذي قال الله في شأننا أم يحسدون الناس...) دون الناس (الدر المنثور للسيوطي ج٢: ص١٧٣) ورواه ابن كثير في تفسيره ج١: ص٥٢٦ وغيره

وروى الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثلاث من كنّ فيه فليس منّي ولا أنا منه، بغض علي، ونصب أهل بيتي، ومن قال الإيمان كلام (المعجم الكبير ج١١: ص١٤٦). فابن تيمية مشمول لهذ الحديث.

وأيضاً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: من مات وفي قلبه بغض على بن أبي طالب فليمت يهودياً أو نصرانياً (فردوس الأخبار ج٢: ص٨٥) إلى غير ذلك من الروايات.

(١) لا يخفى أنّ المراد من الغالية الغلاة، وهم الذين غلوا في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة

➔

➔

الأطهار عليهم السلام حتّى أخرجوهم عن دائرة العباد وأجروا عليهم أحكام الربوبية - والعياذ بالله- كما فعلت النصاري واليهود بأنبيائهم.

وأيضاً لا يخفي على الخبير أنّ نشأة هذه الفرقة الضالّة إنّما هي من خارج الإسلام حيث إنّ علماء اليهود والنصارى وسائر الأديان عند ما وجدت أنّ دعوة الإسلام قد توجّهت إلى كافة الناس سواء منهم العرب أو غيرهم بما فيهم الوثنيون واليهود والنصاري والمجوس وغيرهم فلم تختصّ دعوته بطائفة دون أخرى، بل هي دعوة رسالة السماء عامّة عالميّة شاملة، ولمّا وجدوا أنّ الاسلام قضى على جميع العقائد الفاسدة وهدم هياكل وبيوت عباداتهم التي كانوا يعبدون فيه من دون الله كما هدم صروح كبرياء وأنانيّة ملوكهم وزعماء أديانهم فبادرو إلى إجراء خطط منظّمة وسياسة فوريّة لمقابلة الإسلام. وعند ما أرادوا إجراء تلك الخطط وجدوا أنّ بعض المسلمين كانوا قبل الإسلام في زمرة المشركين أو في زمرة اليهود والنصارى فهم وإن اسلموا ولكن كان فيهم جذور الوثنية واليهودية والنصرانية، حيث إنّ هذه العقائد كانت موجودة في ضمائرهم قبل الإسلام وكانت لها قواعد قويّة في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وما حولها، فتظاهر بعض عناصر الوثنية والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم بالإسلام حتى تقرّبوا إلى خلفاء زمانهم الذين استولوا على رقاب الناس بالقهر والغلبة فهم جرّوا الويل والدمار للعالم الإسلامي بتحكيمهم للأحبار واليهود والقصّاصيين من اليهود والنصاري ليرووا للناس ما يحلو لهم. فقد ذكر ابن حجر: أنّ معاوية بن أبي سفيان كلّف كعب الأحبار لأن يقصّ بالشام (انظر تغليق التعليق لابن حجر ج٥: ص٣٢٨).

وقال الشيخ أبو جعفر الاسكافي: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه... (النصائح الكافية: ص ٨٩ وشرح نهج ج١١: ص ٤٦)

ولا يخفى أنّ ما سلكه معاوية كان نهج الخلفاء السابقين عليه حيث إنّه وجد أنّ عمر بن الخطّاب كان يلازمه كعب الأحبار وأمثاله الذين لم يفارقوا الخليفة في الحضور والسفر

🡐

أفضل من المرسلين فإنّه فرية منه من جهة نسبة ذلك إلى الغالية خاصّة، بل هو مذهب اثني عشريّة الشيعة، وقد وردت بذلك السنن المتظافرة من طرقهم[(١)].

➔

(انظر تاريخ المدينة لابن شبة ج١: ص ٩-١١) فحاول القصّاصون إضفاء الطابع الديني على قصصهم من خلال ربط مضامينها ومجرياتها بالسنة النبوية الشريفة وعندما صار القصاصون مصدر فخر الأمّة، فمن الطبيعي أنّهم دسّوا في الأحاديث مما كان يوجب الغلو في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام حيث إنهم كانوا يعلمون بأنّ أساس التحريف في الأديان والمذاهب قبل الإسلام هو الغلو في الأنبياء فأجروا هذا البرنامج لتحريف الإسلام أيضاً، ولكن قد حذّر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أمة الإسلام من تحريف الغالين، وسنتعرض لذلك إن شاء الله في محلّه.

(١) لا يخفى أنّ الوجوه التي يمكن الاستدلال بها على أفضلية الأئمة الأطهار عليهم السلام على الأنبياء كثيرة منها الوجوه التالية:

الوجه الأوّل: مسألة المساواة بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

الوجه الثاني: تشبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام كما ورد في الروايات المتّفق عليها بين المسلمين كافة.

الوجه الثالث: الروايات الدالة على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله عز وجل.

الوجه الرابع: أنّ الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة.

الوجه الخامس: صلاة عيسى بن مريم عليه السلام خلف الإمام المهدي عليه السلام. وهناك وجوه أخرى لم نتعرض لها رعاية للاختصار.

أمّا المساواة بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وهي روايات كثيرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد صرّح فيها أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو كنفسه منها: ما رواه الحاكم

➔

➔

في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: افتتح رسول الله صلّى الله عليه وآله مكّة ثمّ انصرف إلى الطائف فحاصرهم ثمانية أو سبعة ثم أوغل غدوة أو روحة ثم نزل ثم هجر ثم قال: أيها الناس إنّي فرطكم وإني أوصيكم بعترتي خيراً، موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي أو كنفسي فليضربنّ أعناق مقاتليهم وليسبينّ ذراريهم قال: فرأى الناس أنّه يعني أبا بكر أو عمر فأخذ بيد عليّ فقال هذا (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص١٢٠) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٣) وابن أبي شيبة في المصنّف ج٨: ص٥٤٣ وجلال الدين السيوطي في الدرّ المنثور ج٣: ص٢١٣ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٤٢ وغيرهم. وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن عبد الله بن شدّاد قال: قدم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وفد أبي سرح من اليمن فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة ولتسمعنّ ولتطيعنّ، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم، اللهم أنا أو كنفسي، ثم أخذ بيد علي (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٩٩) ورواه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ج١: ص٤٦٨، وغيره.

ومنها: الروايات المتفقة بين جميع المسلمين على أنّ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما عليهم السلام عند ما نزلت آية المباهلة فإنّ أبناءنا الواردة في الآية الكريمة ينحصر مفهومها في الحسن والحسين عليهما السلام ومفهوم نساءنا ينحصر في فاطمة عليها السلام ومفهوم أنفسنا ينحصر في الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

وهناك روايات كثيرة بهذا الخصوص، ولكي نلقي الضوء على هذه الحقيقة نورد هنا بعض الروايات الواردة في مصادر أهل السنة والجماعة منها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص قال: إن معاوية قال يوماً لسعد بن أبي وقاص لِمَ لا تسبّ أبا تراب عليه السلام؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلّى الله عليه وآله فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول

←

➔

الله ﷺ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام) ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص١٨٥، والترمذي في سننه ج٤: ص٢٩٤، والحاكم في المستدرك ج٣: ص١٤٧، وغيرهم.

وقد صرّح المفسرون من الشيعة وأهل السنة أنّ آية المباهلة نزلت بحقّ أهل بيت النبي ﷺ، وذكروا الروايات الواردة التي تصرّح بأن المقصود بأنفسنا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة وقد جمع أكثرها القاضي نور الله التستري في المجلد الثالث من كتابه النفيس (إحقاق الحقّ) ثمّ يشير في هامش الكتاب إلى نحو ستّين من كبار أهل السنة من الذين قالوا: إنّ آية المباهلة نزلت في أهل البيت عليهم السلام وذكر أسمائهم بالتفصيل (راجع إحقاق الحقّ ج٣: ص٤٦-٧٦)

فالثابت عند الفريقين كتاباً وسنة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله ﷺ. ومن الواضح أنّ رسول الله هو أفضل جميع الأنبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين وبالطبع أنّ نفس رسول الله ﷺ وشخصه المثالي أيضاً يكون أفضل من الجميع فيكون أولى بالإمامة والخلافة.

وأمّا الروايات الدالّة على تشبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالأنبياء فهي أيضاً كثيرة نذكر بعضها تيمّناً، منها: ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣١٣) وأخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص ١٠٠ ج١١٦، وغيره. وقريب من هذا المضمون أخرج الفخر

➔

➔

الرازي في تفسيره عن النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: من أراد أن يرى آدم في علمه و نوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلّته وموسى في هيبته وعيسى في صفوته فلينظر إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (تفسير الرازي ج٨: ص ٨٦)، وأخرجه أبو حيان الأندلسي في تفسيره ج٢: ص ٥٠٣، وغيره.

ومنها: ما رواه جماعة من علماء أهل السنة وثقاتهم: أنّه لما وردت حرّة بنت حليمة السعدية على الحجّاج بن يوسف الثقفي فقال لها الحجاج: أنت حرّة بنت حليمة، قالت: نعم، فقال لها: قيل عنك إنّك تفضلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان فقالت: لقد كذب الذي قال إنّي أفضّله على هؤلاء خاصة قال: وعلى من غير هؤلاء؟ قالت: أفضّله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وداود وسليمان وعيسى بن مريم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقال لها: ويك إنّك تفضّلينه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل؟ إن لم تأتني ببيان ما قلت، ضربت عنقك. فقالت: ما أنا مفضّلته على هؤلاء الأنبياء ولكن الله عز وجل فضّله عليهم في القرآن بقوله عز وجل في حق آدم (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى وقال في حقّ علي: وكان سعيكم مشكوراً فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضلينه على نوح ولوط؟ فقالت: الله عز وجل فضله عليهم بقوله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ، وعلي بن أبي طالب كان ملاكه تحت سرة المنتهى زوجته بنت محمد فاطمة الزهراء التي يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط لسخطها. فقال الحجاج: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّلينه على أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله؟ فقالت: الله عز وجل فضّله بقوله: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، ومولاي أمير المؤمنين قال قولاً لا يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً. وهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده. فقال: أحسنت يا حرّة فبم تفضّلنه على داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قالت: الله تعالى فضله عليهما بقوله عز وجل: يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ.

⬅

➔

قال لها: في أميّ شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين رجل كان له كرم والآخر له غنم، فنفشت الغنم بالكرم فرعته، فاحتكما إلى داود عليه السلام، فقال: تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود إلى ما كان عليه، فقال له ولده: لا يا أبه بل يؤخذ من لبنها وصوفها، قال الله تعالى: ففهّمناها سليمان. وإنّ مولانا أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال: سلوني عما فوق العرش، سلوني عما تحت العرش، سلوني قبل أن تفقدوني، وإنّه عليه السلام دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وآله للحاضرين أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم عليّ. فقال لها: أحسنت، فلم تفضّليه على سليمان؟ قالت: الله تعالى فضّله عليه بقوله تعالى: وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ، ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: طلّقتك يا دنيا ثلاثاً لا حاجة لي فيك، فعند ذلك أنزل الله تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا. فقال: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّلينه على عيسى بن مريم عليه السلام قالت: الله تعالى عز وجل فضّله بقوله تعالى يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، فأخّر الحكومة إلى يوم القيامة. وعليّ عليه السلام لما ادّعى فيه النصيرية ما ادّعوا وهم أهل النهروان قاتلهم ولم يؤخّر حكومتهم. فهذه كانت فضائله لا تعدّ بفضائل غيره. قال: أحسنت يا حرّة، خرجت من جوابك، ولولا ذلك لكان ذلك ثم أجازها أعطاها وسرحها سراحاً حسناً رحمة الله عليها (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٨: ص ١١٩- ١٢٠) وملحقات إحقاق الحق ج٥: ص ٤٥) عن در بحر المناقب. وفي ذكر هذه الرواية غنى عن بيان وجه الاستدلال بالنسبة إلى الوجه الثاني حيث جاء فيها الاستدلال على الأفضلية.

وأما الروايات التي فيها التصريح بأنّ الإمام الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة كثيرة جداً وقد رواها علماء الإسلام شيعة وسنة. فمن أهل السنة جماعة كبيرة منهم

➔

➔

أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) ورواه بن ماجة في سننه ج١: ص ٤٤ والترمذي في سننه ج٥: ص ٣٢١ والنسائي في السنن الكبرى ج٥: ص ٥٠ وفي الخصائص: ص ١١٧ والحاكم النيسابوري في المستدرك ج٣: ص ١٦٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٥ وغيرهم.

ووجه الاستدلال بالحديث أنّ جميع الأنبياء والمرسلين هم أهل الجنة والجنة ليس فيها إلا الشباب والإمام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا أنّ بالدليل القطعي ثبت بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليهم أجمعين هم أفضل منهما كما ورد في الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص ٣٨، وغيره. فالإمام الحسن والحسين عليهما السلام أفضل من جميع الأنبياء.

وأما الروايات الدالة على أنّ عيسى بن مريم عليه السلام يصلّي خلف الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أيضاً كثيرة، منها: ما رواه أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله منّا المهديّ الذي يصلّي عيسى ابن مريم خلفه (البرهان في علامات مهديّ آخر الزمان: ص ١٥٨) وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص ٥٤٦ ح ٨٢٦٢ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص ١٠١ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٤: ص ٢٦٦ ح ٣٨٦٧٣

ومنها ما رواه ابن عساكر بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجّال... وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح فيقال له صلّ الصبح فإذا كبّر ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم قال: فإذا راه ذلك الرجل عرفه فيرجع يمشي القهقرى ليتقدّم عيسى عليه السلام فيضع يده بين كتفيه ثم يقول صلّ فإنّما أقميت الصلاة لك فيصلّي عيسى عليه السلام ورائه (تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص ٢٢٥)

ومنها ما رواه الطبراني بسنده عن الحذيفة في غاية المأمول في شرح التاج الجامع للأصول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يلتفت المهديّ وقد نزل عيسى بن مريم كأنّما يقطر من شعره الماء فيقول المهديّ: تقدّم صلّ بالناس فيقول عيسى: إنّما أقيمت الصلاة لك فيصلّي خلف

➔

فأمّا الغالية ـ لعنها الله ـ فتزعم أنّ أهل البيت عليهم السلام خالقون للخلق،

➔

رجل من ولدي (غاية المأمول ج٥: ص ٣٦٥)

ومنها: مارواه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم (صحيح البخاري ج٤: ص ١٤٣ كتاب بدء الخلق باب نزول عيسى بن مريم) ورواه مسلم في صحيحه ج١: ص ١٣٦ كتاب الإيمان باب نزول عيسى عليه السلام

وقال سبط بن الجوزي: قال السدي: يجتمع المهدي وعيسى بن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهدي لعيسى: تقدّم، فيقول عيسى: أنت أولى فيصلّي عيسى وراءه مأموماً (تذكرة الخواص: ص ٣٦٤)

وقال أبو الحسن الآبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله بخروجه (المهدي) وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً وأنّه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدّجال بباب لدّ بأرض فلسطين، وأنّه يؤمّ هذه الأمّة ويصلّي عيسى خلفه.

قال ابن حجر: وما ذكره من أنّ المهدي يصلّي بعيسى هو الذي دلّت عليه الأحاديث كما علمت (الصواعق المحرقة: ص ٩٩) ومثله في الحاوي للفتاوي للسيوطي ج٢: ص ١٦٥ وإلى غير ذلك من الروايات والأقوال الواردة في المقام. فصلاة عيسى خلف الإمام المهدي عليه السلام من الأمور الحتمية التي جاءت أخبارها في الروايات المتفقة بين جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم حتّى الجماعة الوهابية وأتباع محمد بن عبد الوهاب النواصب فإنّهم صرحوا في كتبهم بصحّة هذا الحديث. وسنتعرّض لذلك في محلّه إن شاء الله تعالى. فصلاة نبي الله عيسى بن مريم خلف الإمام المهدي عليه السلام معناها أنّ الإمام المهدي عليه السلام أفضل من نبي الله عيسى بن مريم لأنّ العقل يستقبح تقدّم المفضول على الفاضل، والله تعالى يقول: أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى (سورة يونس: ٣٥).

باسطون للرزق، وهم المحيون وهم المميتون، وبيدهم ملكوت كلّ شيء![1]

---

(١) وبعبارة أخرى الغلاة هم الذين تجاوزوا الحدّ في تعظيم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام أو أحد الناس حتّى ادعوا فيهم الربوبية وأخرجوهم عن دائرة المخلوق. ويعتقدون بأنّه خالق مستقلّ في عرض الله الخالق المتعال، فهؤلاء الغلاة ليسوا من المسلمين فضلاً عن أن يكونوا من الشيعة.

وقد اتفق علماء الشيعة الإمامية على الحكم بكفرهم ونجاستهم وعدم جواز تغسيل ودفن موتاهم وعلى تحريم إعطاء الزكاة لهم وعلى أنّه لا يحلّ للغالي أن يتزوّج المسلمة، ولا للمسلم أن يتزوّج الغالية، مع أنّ المشهور عند الإمامية جواز الزواج بالكتابيّة، وأجمعوا أيضاً على أنّ المسلمين يتوارثون وإن اختلفوا بالمذاهب والأصول إلا الغلاة يرث منهم المسلمون ولا يرثون من المسلمين. والباحث لو درس الكتب الفقهيّه والفتوائية للشيعة الإمامية يجد هذه الأحكام في أبواب الطهارة والزكاة والنكاح والإرث وغير ذلك. فموقف الشيعة الإمامية من الغلاة موقف الأئمّة الأطهار عليهم السلام حيث إنّهم عليهم السلام علّموا شيعتهم بأنّ الغلاة أعداء الله ورسوله حيث إنّهم يكذبون على الله ورسوله كما أنّ الكفار كذلك. فالشيعة لا يتعدّون موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: هلك فيّ اثنان محبّ غال وعدوّ قال (نهج البلاغة الحكمة: رقم ١١٧).

وذكر ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قول النبي صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: والله لولا أنّي أشفق أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت النصارىٰ في ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بأحد من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة.... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨: ص ٢٨٢).

وموقف الإمام الصادق عليه السلام من الغلاة نفس موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه قال: فوالله ما نحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا... والله مالنا على الله من حجّة ولا معنا من الله برائة، وإنّا لميّتون ومقبورون ومسؤولون، من أحبّ الغلاة فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبّنا، الغلاة كفّار والمفوّضة مشركون، لعن الله الغلاة ألا كانوا نصارىٰ ألا كانوا قدريّة ألا كانوا مرجئة ألا كانوا حروريّة (بحار الأنوار ج ٢٥: ص٢٨٩). والى غير ذلك من الروايات

←

وقد بيّنا كفرهم في عدّة كتب بعضها عربيّ قد طبعناها وبعضها فارسي[١].

وهم فرق عديدة ـ خذلهم الله ـ[٢].

→

الواردة عنهم عليهم السلام. فاعتقاد الشيعة الإمامية في الغلاة نفس ما بيّنه الأئمة الأطهار عليهم السلام لهم وذلك واضح ومذكور في كتبهم، فلاحظ.

(١) انظر كتاب بوار الغالين للمؤلف وكتاب بهتان الركنية له، وكتاب برهان الدين الوثيق له باللغة الفارسية.

(٢) لا يخفى على الخبير أنّه قد ظهرت على مدار التاريخ أفكار منحرفة وتجاوزات في الأمور الدينية عن الحدود التي رسمها الله تعالى وقد أدّت إلى الغلوّ في الدين والعقيدة، وقد ظهرت منه طوائف مختلفة، فعدّة غالت في أشخاص وأوصلتهم إلى مراتب النبوّة والألوهية، وأكثرهم من المتصوّفة الذين يصلون بأقطاب طرقهم إلى الاتحاد والحلوليّة، ومنهم أيضاً الأحمدية الذين وصلوا بزعمهم الميرزا غلام أحمد إلى مرتبة النبوّة. وأشهر هذه الطوائف كالتالي:

١ـ السبئية، وهم أتباع عبد الله بن سبأ.

٢ـ البزيغية، وهم الذين ادّعوا ألوهية الامام الصادق عليه السلام.

٣ـ غلاة التصوّف، وهم أتباع الاتحاد والحلولية.

٤ـ الدرازي، وهم الذين ذهبوا بألوهية الحاكم بأمر الله.

٥ـ القاديانية وهم الذين قد اعتقدوا بنبوة الميرزا غلام أحمد.

٦ـ العلاهيون أو العلويون وهم الذين يعتقدون بعلي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الاثني عشر ويرفضون الكثير من المفاهيم الأساسية الإسلامية كالجنّة والنار والصلاة والصيام والحجّ ويؤمنون بتناسخ الأرواح، ولهم معابد خاصّة تسمىٰ بـ « بيت الجمع » وهم أيضا على طوائف مختلفة، بكدائية ونصيرية، وبارسانية

وعلى كلّ تقدير فإنّ حركة الغلوّ قد ظهرت في التأريخ ولها شعب كثيرة كما تقدّمت

←

الثاني والعشرون: ما نسبه إلى الشيعة من القول بأنّ الدين مسلَّم إلى أئمّتهم، فبأيديهم التحليل والتحريم شبهاً لهم بالنصارىٰ في ذلك. فإنّه فرية بيّنة عليهم؛[1] فهذه كتبهم تنادي بأنّ أهل البيت عليهم السلام قد حملت الدين

➔

الإشارة إلى طوائفها. وهناك طوائف من الغلاة ليس لها علاقة بأئمة الشيعة من غلاة المتصوّفة ومنهم الأحمدية، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذه الطائفة من الغلاة المتصوّفة الذين يزعمون أنّ الميرزا غلام أحمد وصل إلى مرتبة النبوّة، ويعتقدون بالاتحاد والحلولية وأيضاً يعتقدون بأنّ الشخص قد يصل إلى مقام الاتحاد بالله فيصبح هو الله ـ والعياذ بالله ـ.

والمهم أنّ الغلاة بجميع طوائفهم كفّار عند الشيعة الإمامية سواء كانوا من المغالين في أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو كانوا من غلاة أهل السنة.

ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله ويدعون الربوبيّة لعباد الله، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارىٰ والمجوس والذين اشركوا (الأماني للشيخ الطوسي ج٢ : ص٣٤١).

(١) وتوضيح المقام: أنّ النصارىٰ يعتقدون بأنّ التوراة والإنجيل قد ترجمها الحواريون وهم عند النصارىٰ رسل معصومون فيدّعون أنّ أقوال رسلهم نفس قول روح القدس أي أنّ أقوال الحواريين هي أقوال روح القدس ويقصدون بروح القدس الذات الإلهية.

وأمّا موقف الشيعة من أقوال أئمّة أهل البيت عليهم السلام فهم يعتقدون بأنّ أقوال الأئمة عليهم السلام حجة شرعيّة كأقوال النبي صلى الله عليه وآله وأقوال الله عزوجل، وذلك باعتبار أنّ النبي صلى الله عليه وآله أكّد في وصيته المعروفة على أنّ عترته الطاهرة أعدال القرآن كما هو في حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين، والدالّ بالصراحة على أنّ حجّيّة أقوال الأئمّة الأطهار كحجية كتاب الله العزيز.

فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أمر أمته بالتمسّك بالكتاب والعترة الطاهرة معاً، وأمر باتباعها وحذّر

➔

وحفظته عن سيّد المرسلين ﷺ عن وحي ربّ العالمين[1]، والسنّة في

➔

من مخالفتها وأكدّ على أنّ الأمة سوف لن تضلّ ما دامت متمسّكه بهما، وأنّ الكتاب والعترة الطاهرة لن يفترقا إلى يوم القيامة.

فهذا الحديث يدلّ بوضوح على وجوب اتباع الأئمّة من العترة الطاهرة عليهم السلام في جميع أقوالهم كما أنّ القران حجّة ويجب على جميع المسلمين اتباعه.

فإذا كان مقصود ابن تيمية هذا فلا مانع من ذلك وأما إذا كان مقصوده غير ذلك فيلزم عليه إثباته، ولكن لم يذكر شيئاً لإثبات الدعوىٰ كعادته في جميع دعاويه، ولكن مع ذلك كلّه إنّه غفل عن ديدن أهل نحلته حيث إنّهم يعتقدون بأنّ الدين والقرآن الكريم أخذ من الصحابة ولذلك يقولون بأنّ كلّهم عدول! وسنوضح فساد عقيدتهم في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لا يخفى على المتتبّع في كتب الشيعة أنّ معارف الشيعة ومعالمهم الدينية متّخذة من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين اصطفاهم الله وفضّلهم على العالمين وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وهم أخذوا عن رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ عن الوحي الإلهي. فالشيعة يعتقدون بأنّ خصوصيات رسول الله ﷺ وكمالاته النفسانية موجودة في الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فالإمام عند الشيعة الإمامية هو صاحب الرئاسة العامّة الإلهية وخلافة رسول الله ﷺ في أمور الدين والدنيا ويجب على الأمة كافّة اتباعه، ولذلك الشيعة تعتقد بأنّ الإمامة من أصول الدين.

وبعبارة أخرىٰ: إنّ الإمامة عند الشيعة الإمامية منصب إلهي كالنبوّة يعطيه الله من يشاء من عباده، وعند أهل السنة انتخابية أي بانتخاب الناس، فالشيعة يعتقدون أنّ الإمام بعد الرسول الأكرم ﷺ إنما يكون بتعيين الله عزوجل وتنصيب رسول الله ﷺ،

وأهل السنة يعتقدون بأنّ أهل الحلّ والعقد يقومون بانتخاب الإمام وإن كان فاسقاً، فتجب على الأمّة البيعة له.

وبما ذكر يظهر أنّ الإمام عند الشيعة ليست كرئيس حكومة ينتخبه الناس بل إنّ مقام الإمام

➔

←

عندهم عظيم وله قدسية عظيمة بحيث يكون بمنزلة النبي في مسؤولياته إلاّ أنّ النبوة تمتاز بالوحي المباشر من الله تعالى والإمام يأخذ ذلك من النبي.

وقد جاء التعريف الجامع للإمامة على رأي الشيعة الإمامية في حديث الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: إنّ الامامة هي منزلة الأنبياء و إرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله عزوجل وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي. بالامام تمام الصلاة والزكاة والحجّ والجهاد وتوفير الفيء و الصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف ..... (الكافي ج١: ص ٢٠٠ ح ١).

فالعترة الطاهرة عند الشيعة الإمامية هم ورثة الكتاب وحملة علم رسول الله صلى الله عليه وآله. كما أنّ هذا المعنى ظاهر من حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين فإنّ معنى عدم افتراق الكتاب عن العترة الطاهرة هو أنّ الاهتداء بهما يتحقّق والغفلة عنهما أو عن واحد منهما موجب للضلال. ومعناه أنّ الكتاب يحتاج إلى الشرح والتفسير فيجب على الأمّة أن ترجع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى العترة الطاهرة لأنّهما لا يفترقان. فبيان الكتاب وعلم الرسول صلى الله عليه وآله إنّما يحصل من العترة الطاهرة.

وعليه قد ظهر مما تقدم موضع الكتاب من الدين وموضع العترة الطاهرة عليهم السلام وكما أن موضع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم موضع بلاغ وبيان فكذلك موضع أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله في أداء رسالة الله عزوجل وهم حملة الدين، لأنّ وظيفتهم بيان الشريعة بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، فهم باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله ومستودع حكمته وهم المؤدّون عن رسول الله صلى الله عليه وآله. قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمّة بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا نزلت في أمة محمّد خاصّة، في كلّ قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم ومحمّد شاهد علينا (الكافي ج١: ص ١٩٠ والآية في سورة النساء: ٤١).

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله طهّرنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته على من في

←

ذلك من طرقهم متظافرة[1]. و هو عالم بأنّ من تسمّىٰ بأهل السنّة متّصفون

➔

أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا (بصائر الدرجات: ص٨٣ ح ٦)

وقال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**»... هم آل محمد صلى الله عليه وآله (بصائر الدرجات: ص ٤٦ ج٢ والآية في سورة فاطر: ٣٢).

وقال الإمام الباقر عليه السلام لعمرو بن عبيد: فإنّما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو (تفسير فرات: ص٢٥٨ ح ٣٥).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: نحن الذين اصطفانا الله فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كلّ شيء (بصائر الدرجات: ص ١١٤ ح ٣).

وقال الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**: كتاب الله الذكر وأهله آل محمد الذين أمر الله تعالى بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال ... وسمّىٰ الله القرآن ذكراً فقال: «**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**». (الكافي ج١: ص ٢٩٥ ح ٣ الإيمان في سورة النحل: ٤٣و١٦.

وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام في هذا المجال فاعتقاد الشيعة في الإمامة واضحة من رواياتهم الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وكتب الشيعة، فراجع.

(١) فإنّ مقتضى النصوص الكثيرة الدالّة على ثبوت كلّ ما كان للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ـ عدا النبوة ونزول الوحي ـ يكون للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و كذلك الأئمة الأحد عشر من بعده صلوات الله عليهم اجمعين.

ومن تلك النصوص حديث المنزلة، المتواتر عند الخاصة والعامة حتّى أنّ البخاري روىٰ هذا الحديث في صحيحه بسنده عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى (صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم)

➔

➔
وروىٰ أيضاً بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه ليس نبيّ بعدي (صحيح البخاري ج٥: ص١٢٩ كتاب المغازي باب غزوة تبوك).

وروىٰ مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي. قال سعيد: فأحببت أن اشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدّثته بما حدّثني عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلاّ فاستكتا (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام). والى غير ذلك من أسناد هذه الرواية التي رواها كبار علماء أهل السنة والجماعة في أصحّ كتبهم.

وقال الحافظ الكبير أبو حازم عمر بن أحمد العبدوي الأعرج النيشابوري المتوفّىٰ سنة ٤١٧: خرّجته بخمسة آلاف إسناد (انظر شواهد التنزيل ج١: ص١٩٥ نقلاً عنه).

وقد أفرد صاحب العبقات مجلّدين ضخمين في إسناد الحديث وألفاظه.

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: وهو ـ أي حديث المنزلة ـ من أثبت الآثار وأصحّها (الاستيعاب ج٣: ص١٠٩٧).

وسنذكر الحديث وأسناده في محلّه إن شاء الله تعالى.

وأمّا دلالة الحديث فواضحة؛ إذ الحديث صريح في أنّ لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منازل رسول الله ﷺ إلاّ النبوّة، لأنّ الحديث فيه العموم والاستثناء (إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي) فعموم الحديث ثابت بالتأكيد، لأنّه ليس فيه قيد ولا شرط ثمّ الاستثناء يؤكّد الانحصار في المتعلّق لأنّ الاستثناء بعد العموم مفيد للانحصار ليس إلّا.

ومعنى الحديث أنّ جميع منازل النبي ﷺ يكون للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلاّ ما استثني في الحديث فالحديث يدلّ على أنّ مولانا أمير المؤمنين أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ كما أنّ هارون كان كذلك. ومن هنا يعرف أنّ قول الشيعة
➔

بهذه الطامّة، لما عرفته فيما مرّ وستعرفه فيما يأتي من تركهم لنبذ كثيرة من الدين، متابعين فيما خالفها لأئمّتهم، مخالفين في ذلك لما حرّمه وحلّله الله ورسوله[١]. فانظر من المشابه للنصارى في هذه الطامّة الكبرىٰ والبليّة

مستند إلى أدلّة معتبرة مقبولة حتّى عند أهل السنة والجماعة؛ لأنّ من المنازل والمناصب التي كانت لرسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ الولاية والإمامة، وبنصّ الحديث الولاية والامامة تكون لمولانا أميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ أيضاً.

ومن تلك المنازل الولاية على التشريع والتي تسمّىٰ الولاية التشريعية، فأيضاً هذه الولاية لمولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ.

فإذا كان مقصود ابن تيمية من أنّ الشيعة تعتقد أنّ التحليل والتحريم بيد الأئمّة الطاهرين نفس هذه الولاية التشريعية فإنّها منصوصة بالنصوص المعتبرة عند أهل السنة والجماعة.

واذا كانت هذه الولاية لمولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ كذلك تكون لجميع الأئمّة الطاهرين من أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ، لعدم وجود القول بالفصل، أي ليس هناك قولاً بالفصل بين القولين، فإنّ الإجماع المركّب دليل على أنّ قول الشيعة الإمامية مطابق للدليل المعتبر عند أهل السنة والجماعة.

وهناك أدلّة اخرىٰ من القرآن الكريم والسنّة القطعية المتّفقة بين جميع المسلمين على أنّ لأئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ نفس الولاية التي كانت لرسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) إنّ من أهمّ القضايا التي حدثت بعد وفاة رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ معارضة الصحابة والخلفاء للنصوص وأوامر الله ورسوله في الخلافة، وهذه المعارضة قد سببت فتنةً عظيمة بين المسلمين.

وقد نشأت هذه المخالفة حينما أمر الله ورسوله الأمة أن يقتدوا بالإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ والأئمّة الأحد عشر من بعده؛ حيث أراد الله تعالى أن تتمّ المسيرة الهادية

➔

للأمة على أيدي هؤلاء الأئمة الاثني عشر، وقد مهدّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآله حيث أودع علياًعليه السلام علمه وجميع الأحكام الشرعية التي كان يمليها والإمام أمير المؤمنينعليه السلام يكتبها، ولكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً وتثاقلوا عن المسير وخالفوا أوامر الله وانحرفوا عن وصايا الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآله. ولايخفى أنّهم لم يضرّوا به الله ورسوله وإنّما أضرّوا به أنفسهم وظلموها بما استحقّوه من غضب الله. وفي قبال أوامر الله ورسوله توجّهوا في دينهم إلى أهون الأقوال وهو القول بأنّ الدين كلّه مأخوذمن الصحابة وما تلقّوه من الله ورسوله. ولا يخفى على الخبير أنّ هذه أحدى الطامّات التي جاء بها أهل السنة والجماعة، وهي زعمهم القول بعدالة جميع الصحابة وتقديسهم من دون الغور في أحوالهم وما فعلوه في الدين من البدع التي أحدثوها بآرائهم ومخالفاتهم للقرآن والسنة النبوية وتضليل الناس وإبعادهم عن الدين الذي رسمه الله تعالى لهم، فإنّ الدين الذي جاء به رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآله هو الدين الكامل وخلف من بعده القرآن والمعصومين من عترته الطاهرة، وقد أعطى رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآله الضمان للسعادة إن تمسّكت الأمة بهما، وحذّرهم عن المخالفة لهما أو لواحد منهما. فالروايات الواردة في عظمة القرآن وتوصيف أهل البيت عليهم السلام. بالعصمة والطهارة والاصطفاء للولاية والخلافة والإمامة مجاوزة حدّ التواتر. يقول ابن عرفة المعروف بنفطويه في هذا الصدد: إنّ أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة قد افتعلت في أيّام بني أمية تقرّباً اليهم بما يظنون أنّهم يرغمون أنوف بني هاشم، وقد صيغت بأسلوب يجعل من كلّ صحابيّ قدوة صالحة لأهل الأرض، وتصبّ على كلّ من سبّ أحداً منهم أو اتهمه بسوء كما جاء فيما رووه عن أنس بن مالك من سبّ أحداً من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن عابهم أو انتقصهم فلا تواكلوه ولا تشاربوه ولا تصلّوا عليه، وقد جاءت بهذا الاسلوب ولم تفرّق بين صحابيّ وصحابيّ (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١: ص٤٦).

وقال الشيخ محمد عبده: إنّ عموم البلوىٰ بالأكاذيب الذي حقّ على الناس بلاؤه في دولة الأمويين، فكثر الناقلون وقلّ الصادقون، وامتنع كثير من أجلّة الصحابة عن الحديث إلاّ

➔

العظمىٰ وتدّبر ثمّ تبصّر[(١)].

←

لمن يثقون بحفظه (شيخ المضيرة أبو هريرة: ص٢٠٢ نقلاً عن كتاب تاريخ الإمام محمد عبده ج ٢: ص٣٤٧.

وقال أحمد أمين: من الغريب أنّنا لو اتخذنا رسماً بيانيّاً للحديث لكان شكل هرم، طرفه المدبب هو عهد الرسول صلى الله عليه وآله ثمّ يأخذ في سعة على مرّ الزمان حتى نصل إلى القاعدة، فهي أبعد ما تكون عن عهد الرسول صلى الله عليه وآله مع أنّ المعقول كان العكس، فصحابة الرسول أعرف الناس بحديثه، ثمّ يقلّ الحديث بموت بعضهم مع عدم الراوي عنه وهكذا.

ولكنّا نرىٰ أنّ أحاديث العهد الأمويّ أكثر من أحاديث عهد الخلفاء الراشدين، وأحاديث العصر العباسي أكثر من أحاديث العهد الأمويّ ... (ضحىٰ الاسلام ج٢: ص١٢٨ ـ ١٢٩) ثمّ يعلّل ذلك بسبب نشاط حركة الهجرة في طلب الحديث ثمّ يضيف إليه عامل سعي اليهود والنصارىٰ في محاولة نسخ الشريعة، متناسياً دور السلطة وأهدافها في إبعاد الخط الاسلامي وتحريف مجراه، وإلى آخر كلامه.

والذي يؤسفنا حقّاً أن نرىٰ ذكر هذه الأمور في كتبهم ووصولهم إلى هذه الحقيقة المرّة لكنّهم مع ذلك كلّه يصرّون على صحّة الإسرائيليات التي وضعها أتباع بني أمية وأتباع خلفاء الجور في العصور على مدى التاريخ ممّا فيه تحريف الإسلام وغيره ممّا يؤكّد على شرعية سلطة بني أميّة وخلفاء الجور، وهي التي أيّدت هذه الحركة ضد الإسلام وأساس بنيانه، وهنا نسأل: هل إن ترسيخ اليهود في الإسلام بواسطة الصحابة وخلفاء الجور يعتبر خدمة للإسلام؟!

(١) وخلاصة الكلام أنّ التشبيه يجب فيه التقارن والاشتراك بين المشبّه والمشبّه به، ولو من جهة واحدة، أي يلزم أن يكون بينهما جامع ولو من وجه واحد، وإلاّ فلا معنى للتشبيه بين الأمرين المتباينين. وفي المقام رمي الشيعة بالتشبيه مع المسيحيين يلزم أن يكون تقارن واشتراك بينهما ولو من جهة واحدة كي تصحّ هذه النسبة، وعندما نلاحظ اعتقاد المسيحيين نجد أنّ لهم مصدرين رئيسيين في التشريع، المصدر الأوّل الأناجيل الأربعة

←

➔

والمصدر الثاني رسائل الرسل.

أمّا المصدر الاوّل فهو الأناجيل المجموعة في كتاب واحد ويسمّىٰ ذلك الكتاب المقدس، فإنّ الكتب التي جمعت فيه قد كتبها أصحاب عيسىٰ عليه السلام وهم الذين يسميهم العرف المسيحي رسلاً. فالرسل المعتمد عليهم هم أصحاب عيسى عليه السلام باعتبار أنّهم وسطاء في وصول الكتاب إليهم.

وبعبارة أخرىٰ: إنّهم يعتقدون أنّ صحابة عيسى عليه السلام هم الذين توسّطوا لوصول الإنجيل بأيديهم، ولولا أصحاب عيسى عليه السلام لما وصل الإنجيل بيد المسيحيين من بعده.

والمصدر الثاني عندهم رسائل الرسل والمقصود بها التعاليم المسيحية من الواجبات والشعائر والمراسيم والطقوس الدينية التي تعتمد عليها الكنائس لمصدر الديانة المسيحية، ويعتقدون بأنّ هذه التعاليم أيضاً قد أوصلها الحواريون إليهم نسلا بعد نسل. فأصل الدين وكتابهم وتشريعهم من عيسى بن مريم عليه السلام الذي يعتقدون بألوهيّته وألوهيّة روح القدس فإنّه علّم الحواريين وأصحابه، وهم أشاعوا ذلك كلّه. ومعناه أنّه لولا أصحاب عيسى عليه السلام لم ينتقل شيء من الدين ولا الكتاب ولا الشريعة والسنن بيد الناس.

وهذا الاعتقاد مطابق لاعتقاد أهل السنة والجماعة طابق النعل بالنعل، إذ انّ أهل السنة والجماعة يعتقدون بأنّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله هم الذين توسّطوا لوصول القرآن والسنة النبوية لسائر الناس ولولاهم لما وصل إلى المسلمين شيء من الإسلام.

وعليه ثبت أنّه مضافاً إلى عدم وجود شباهة بين الشيعة والمسيحيين وأنّ ما نسبه ابن تيمية إلى الشيعة باطلة، ثبت أنّ الشباهة بين المسيحيين وأهل السنة موجودة. ولا شكّ أنّ لهذه الشباهة لوازم لابدّ لأهل السنة والجماعة من قبولها.

أولاً يلزم على أهل السنة قبول وقوع التحريف في الدين لأنّ من الواضح عند المسلمين وقوع التحريف في المسيحية وفي كتابهم وسننهم وتشريعهم بواسطة من غيّر فيها من أصحاب عيسى عليه السلام فأيضاً هذا التحريف ممكن الوقوع في الإسلام والقرآن والسنن النبوية، إذ ليس هناك من يعتصم من الخطأ والنسيان والذنب، فاحتمال وجود التحريف

←

الثالث والعشرون: ما زعمه من قوله: فإن قيل ما وصفت به الرفضة[(١)] .... إلى آخره. فإنّك قد عرفت كذبه في ذلك لو قصد بالرفضة اثني عشريّة الشيعة[(٢)]، ولو قصد بهم غيرهم من الفرق التي تنتسب إلى

←

في الدين يكفي لسلب اعتماد الناس بالكتاب والسنّة النبويّة لاحتمال وجود الخطأ في الوصول.

ثانياً: إنّ الله تعالى قد مدّ رسالة أنبيائه بالأئمّة المعصومين عليهم السلام، فإنّ القرآن الكريم والسنن النبوية الشريفة والدين الحنيف إنّما يكون مصوناً في يد المعصومين عليهم السلام. فالقرآن والسنة النبوية قد وصل إلى المسلمين بواسطة الأئمة الأطهار عليهم السلام، كما عليه الشيعة الإمامية، ولولا الأئمّة المعصومون عليهم السلام لما بقي من الإسلام والكتاب شيء.

فهذه العقيدة عقيدة صحيحة يرتاح إليها النفس ويطمئنّ به كلّ مسلم معتقد بالله وبالقرآن الكريم والسنة النبوية، فلاحظ.

(١) لايخفى أنّ ما ذكره ابن تيمية في المقام من أنّ أهل السنة أيضاً يقدّسون قبور مشايخهم هو ما صرّح به جماعة من أهل نحلته ولكن من العجيب أنّه حاول أن يدافع عن عمل أهل السنة وتبريره بأنّ عمل هؤلاء أقلّ من الشيعة في هذا المجال! ولا ندري كيف يمكن التبرير بالزيادة والنقصان؟ إذ لو كان العمل مخالفاً للشريعة بل مخالفاً للتوحيد كما يزعم فما الفرق بين القليل والكثير؟ وهل يعقل الفرق بين قليل الشرك وكثيره بعد ثبوت أصل العنوان؟ من الواضح لدى الخبير أنّ بتحقّق العنوان والموضوع يتحقّق الحكم. فمع فرض ثبوت الموضوع ترتّب الحكم عليه قهريّ لا محالة.

(٢) لا يخفى على الخبير أنّ أتباع ابن تيمية وأتباع محمد بن عبد الوهاب يتّهمون الشيعة بالشرك؛ لأنّهم يزورون قبر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام. ومع الأسف إنّهم غارقين في جهلهم ولا يراجعون كتب الشيعة وروايات أهل البيت عليهم السلام وما ورد من الروايات في ثواب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام باعتبار أنّ ذلك من

←

الشيعة فليس البحث معهم، وليس يضرّ اثني عشريّة الشيعة ميل غيرهم عن الحقّ وزيغهم عنه بعد ثبوتهم عليه وعملهم به[1]. وقد عرفت كونهم

➔

تمام الوفاء بعهودهم عليهم السلام وأنّ زيارتهم موجب لشفاعتهم. فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة (الكافي ج٤: ص٥٦٧).

وقال النبي صلى الله عليه وآله من زارني حياً وميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة (قرب الإسناد: ص٦٥).

وعن الإمام الحسين عليه السلام قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال صلى الله عليه وآله: من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة فأخلصه ذنوبه (بحار الأنوار ج ٩٦: ص٣٧٣). والى غير ذلك من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام.

مضافاً إلى أنّ المسلمين متّفقون جميعاً على استحباب زيارة قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقبور أهل بيته الطاهرين عليهم السلام وقبور المؤمنين؛ لأنّه قد وردت روايات متواترة في استحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله من أهل السنة والجماعة والشيعة، وكذلك استحباب زيارة المؤمنين، فقد تواترت الروايات من الفريقين على أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يزور القبور ويأمر المسلمين بزيارتها ويقول صلى الله عليه وآله: زوروا القبور تذكّركم الموت (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٧٥) فما ذكره ابن تيمية والوهابية كذب محض وافتراء على الشيعة الإمامية.

(١) إنّ من المؤسف حقاً أنّه قد ظهرت على مسرح الحياة الإسلامية مشكلة الغلاة وغيرهم من أتباع المذاهب، مع أنّ التعاليم الإسلامية حذّرت الأمّة من حالات التطرّف والإفراط والتفريط والخروج عن جادّة الحق والصواب والاعتدال والشريعة المقدسة، فإنّ القرآن الكريم وصف الأمة الإسلامية بالأمّة الوسط قال الله تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**

➔

➔

لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (سورة البقرة: ١٤٣). أي كما جعلنا القبلة وسطاً، كذلك جعلناكم أمّة في حالة اعتدال لا يشوبها إفراط ولا تفريط من أيّ جهة من الجهات.

وقد شاعت حركة الغلوّ والخروج عن جادّة الحق في العصر الأمويّ والعباسيّ بصورة متّسعة، وساعدتها الحكومات الأموية والعباسية لتشويه سمعة الشيعة عند عوام الناس حيث كانوا ينشرون أفكار الغلاة وينسبونها إلى الشيعة افتراءً وبهتاناً؛ ولذلك كان موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام مع الغلاة وغيرهم ممن ينتسب إلى الشيعة بالشدّة والصراحة، فحكموا بالبراءة منهم وترتيب أحكام الكفر على بعضهم كالغلاة ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم فإنّ الغلاة شرّ خلق الله يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله، وإنّ الغلاة لشرّ من اليهود والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا (بحار الأنوار ج٢٥: ص٢٦٥).

وعلى سبيل المثال إنّ ممّن دعىٰ إلى الإلحاد هو أبو الخطاب محمّد بن مقلاص الأسدي الذي اشتهر بكنيته وظهر بالكوفة، وهو من أعداء الإسلام ودعاة الإلحاد، وقد دعا إلى ألوهية الإمام الصادق عليه السلام. ولمّا بلغ الأمر إلى الإمام عليه السلام أمر شيعته بالابتعاد عنه والبراءة منه.

فقد روى عيسى بن أبي منصور: قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: اللّهمّ العن أبا الخطاب فإنّه خوّفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي، اللهم أذقه حرّ الحديد (اختيار معرفة الرجال ج٢: ص٥٧٦ ح ٩ـ٥).

ولمّا وجد ذلك أبو الخطاب من الامام الصادق عليه السلام دعا إلى تأليه نفسه، فأوجد حزباً بدعم حكومة الوقت، فأغراهم بأكاذيبه ودَجَله وأضاليله.

فقد روى عنسبة بن مصعب بعض أكاذيبه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أيّ شيء سمعت من أبي الخطاب؟ فقال: سمعته يقول: إنّك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه ولا تنس، وأنت تعلم الغيب وإنّك قلت: هو عيبة علمنا وموضع سرّنا أمين على أحيائنا وأمواتنا. فتأثّر

➔

بالخصوص على الحقّ دون غيرهم من سائر الفرق بآيات الفرقان العظيم

➔

الإمام الصادق عليه السلام وقال: لا والله ما مسّ من جسدي جسده.

وأمّا قوله: إنّي قلت: اني اعلم الغيب فو الله الذي لا اله هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له.

وأمّا قوله: إنّي قلت له: هو عيبة علمنا وموضع سرّنا وأمين على أحيانا وأمواتنا فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن قلت له من هذا شيئاً (انظر اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ج٣: ص٥٧٩ ح ٥١٥). وإلى غير ذلك من الروايات ممّا ورد عنهم عليهم السلام في هذا المجال. ففي هذا الحديث الامام عليه السلام قد كشف عن أضاليل الرجل ودجله وحذّر المسلمين من شروره وخداع حزبه. وأحاط به الفشل ومني بالخيبة والخسران. والنتيجة أنّ مثل أبي الخطاب كانوا يعيشون في حياة الأئمة ويُدعمون من الحكومة لتشويه سمعة الشيعة، وهكذا بالنسبة إلى بقية الغلاة، فإنّ كلّ باحث لو تتبع المصادر الإسلامية يجد أمثال أبي الخطاب والمغيرة بن سعيد وغيرهما من أعداء أهل البيت عليهم السلام الذين حاولوا محاربة أهل البيت عليهم السلام بهذه الصورة.

والمهمّ أنّ الخبير يعلم بأنّه لا علاقة بين الغلوّ والشيعة وأنّها على طرفي النقيض

ثمّ إنّه قد أجمع علماء الشيعة الإمامية وفقاؤهم تبعاً لأئمّتهم عليهم السلام على نجاسة الغلاة، وعدم جواز تغسيل موتاهم، وعلى تحريم إعطائهم الزكاة، وعلى أنّه لا تحلّ أن تتزوّج المسلمة بالغلاة ولا للمسلم أن يتزوّج الغالية مع أنّ الإمامية أجازوا الزواج بالكتابية (انظر كتاب الجواهر ج ٣٠: ص٢٨).

وأجمعوا أيضاً على أنّ المسلمين يتوارثون وإن اختلفوا بالمذاهب والأصول والعقائد، وقالوا: يرث المحقّ من المسلمين من مبطلهم، ومبطلهم من محقّهم إلاّ الغلاة يرث منهم المسلمون ولا يرثون من المسلمين لاحظ كتاب جواهر الكلام والعروة الوثقى و وسيلة النجاة ومنهاج الصالحين وغيرها من كتب الفقهية الاستدلالية أو الفتوائية لعلماء الشيعة رضوان الله تعالى عليهم في مختلف أبواب الفقه كالطهارة والنكاح والإرث وغير ذلك.

وسنن سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله الثابتة الصحّة من طرق من تسمّى بأهل السنة[١].

---

(١) فإنّ الروايات الدالّة على أحقّية الشيعة الاثني عشرية وصحّة معتقداتهم وبطلان المذاهب الأخرىٰ كثيرة جداً، وهي بالغة حدّ التواتر، حتّى مصادر أهل السنة والجماعة تؤكّد على ذلك، ولكن لا يسعنا استقصائها في هذا المجال، وسنذكرها إن شاء الله تعالى خلال المباحث القادمة عند دراسة هذا الموضوع وتحقيقه.

فعلى سبيل المثال إنّ من الأحاديث التي رواها الفريقان وأجمعوا على صحّتها هو حديث الثقلين الذي أخرجه أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنة والجماعة بطرق عديدة وبعبارات متقاربة وبأسانيد صحيحة إلى الصحابة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وقد أخرجه كبار العلماء من الفريقين الشيعة وأهل السنة وخصّصوا له الكتب والرسائل، منهم صاحب العبقات (الذي جمع الروايات الواردة عن أهل السنة والجماعة في مجلدين ضخمين، وأخيراً طبع في ستّ مجلّدات) وقال: إنّه قد رواه جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء الإسلام من المائة الثانية إلى المائة الثالثة عشرة وعن الصحابة والصحابيات أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة كلّهم رووا هذا الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مختلف المناسبات.... وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (سنن الترمذي ج٣: ص ١٠٠).

وهذه الرواية صريحة في وجوب التمسك بالعترة الطاهرة كما هي صريحة في وجوب التمسك بالقرآن الكريم، ولأنّ الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله جعل العترة الطاهرة عدلاً للقرآن الكريم فما يجب على الأمة بالنسبة إلى القرآن الكريم يجب عليهم في العترة الطاهرة أيضاً. ومن الواضح أنّ المقصود بوجوب التمسك بهما هو التسليم لأوامرهم ونواهيهم والتأسّي بأقوالهم وأفعالهم في جميع الحالات بلا استثناء.

فمدلون الحديث أنّ القرآن والعترة الطاهرة متلازمان لا يفترقان من أيّ جهة إلى يوم القيامة.

أي أنّهما حجّتان على الخلق ولا عذر لمن تركهما ولم يتمسك بهما إلى يوم القيامة.

ولا يخفى على الخبير أنّ ألفاظ الحديث مختلفة والمعنى واحد، ففي بعضها أنّ الرسول

←

فالمذهب الذي هذه حاله منزّه ونقيّ عن البهتان والباطل[1]. فالمرويات

الأعظم صلى الله عليه وآله جعل الثقلين إمامين وخليفتين وفي بعض آخر أراد بالثقلين أنّ المرجع والملاذ بعد رحيله وسيأتي البحث في سند الحديث ودلالته في محله إن شاء الله تعالى.

وهناك روايات أخرى أيضاً تدلّ على المقام كحديث السقيفة وغيره سنذكرها إن شاء الله في محله.

(١) لا يخفى على المتتبّع في الأدّلة والروايات أنّ حقيقة الشيعة نفس الاسلام حقيقة وواقعاً؛ لأنّ الشيعة الامامية تستند بالأدّلة القاطعة الثابتة عند جميع المسلمين على أصول الدين والمذهب الحق، وهذه الأدّلة مذكورة في كتبهم. وللباحث أن يراجع مصادر المسلمين من التفسير والحديث وغيرها ويتأمّل في الأدلّة المتسالم عليها بين جميع المسلمين ويدرس معطياتها دراسة علمية بعيدة عن الرواسب والمرتكزات التي قد تستقرّ في الأذهان بلا دليل ولا برهان، فإنّه سيذعن بأنّ الشيعة الامامية عبر تاريخهم منذ زمن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله كانوا محافظين على معارف الدين وأصوله وتعاليم الاسلام وأحكامه وتطبيقها في عباداتهم و معاملاتهم وجميع شؤونهم، وذلك لمتابعتهم الحجج الشرعية من الكتاب والسنة ولسلوكهم الصراط السويّ الذي رسمه الله تعالى ورسوله لهم، ولا يخفى أنّ من أهمّ ما أكّد عليه الإسلام العمل بالكتاب والسنة النبوية الشريفة، وهذا المعنى واضح في سلوك الشيعة الامامية إذ من الواضح أنّ جميع معارفهم مبنية على الحجج القرآنية وسنن المعصومين عليهم السلام كما لا يخفى، لأنّ هذا المعنى متّخذ من حديث الثقلين المتّفق عليه بين جميع المسلمين.

فالامامية أشدّ الناس تمسّكاً بالقرآن الكريم ومحافظة عليه وتعظيماً له، ومنه يستقون عقيدتهم وأحكامهم وبه يدفعون شبهات المبطلين وأقوال الملحدين، فهو عندهم المعجزة الكبرى والمقياس للحقّ والهداية، فقد رووا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يعرضوا ما ينقل عنهم على القرآن الكريم فإن خالفه فهو كذب وافتراء وزخرف وباطل ويجب ضربه عرض الجدار.

المكذوبة توجد في المذهب الذي بني على الباطل والكذب وخالف الفرقان العظيم والسنن الشريفة[١].

➔

إنّ مفاد قوله ﷺ «ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي» هو وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام كوجوب اتباع القرآن؛ فإنّه ﷺ فرض على الأمة ذلك لئلا يضلّوا بعده ولاينقلبوا على أعقابهم خاسرين. ولا ريب أنّ فرض اتباعهم فيه دليل متين وبرهان رصين على أمانتهم وخلافتهم بعد رسول الله ﷺ. ومن هنا يعرف اهتمام الشيعة بالقرآن والسنة النبوية الشريفة وروايات المعصومين عليهم السلام، فلاحظ.

(١) فإنّ الآيات القرآنية والسنة النبوية المطهرة تدلّ بالصراحة على وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام والاقتداء بهم بحيث أصبح ذلك من ضروريات الإسلام؛ لأنّ محبة أهل البيت عليهم السلام والولاء لهم عنصر أساسي من عناصر العقيدة ومقوّمات الإيمان ومرتكزات الرسالة المحمّدية الغرّاء.

وقد جاءت النصوص القرآنية والحديثية الواضحة في تأصيل هذا المبدأ الولائي وتعميق دلالته ومعطياته فقال تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** (سورة الشورىٰ: ٢٣) هذه الآية الشريفة قد أكّدت على أنّ النبي الاكرم ﷺ لا يريد جزاءً على إبلاغ رسالته إلاّ المودة في القربىٰ أي حبّ أهل بيته. ولا شكّ أنّ مودّة ذي القربىٰ ترتبط بقضية الولاية و قبول قيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام حيث إنّ حبّهم يعتبر وسيلة لقبول إمامتهم وولايتهم لأنّ الولاية واستمرار القيادة الإلهية إنّما تتجلّىٰ في المحبّة والولاء، لأنّ المحبّة التي تكون بمستوىٰ الرسالة وتكون أجراً لها ليست محبة عادية، بل إنّها تلازم وجوب الطاعة حيث إنّها تكون أجراً للرسالة المحمدية فلابد أنّ تناسب هذا المقام العظيم فتكون محبّة أهل البيت عليهم السلام هي السبيل إلى الله تعالى كما أنّ الرسالة المحمدية كانت السبيل إلى الله عزوجل.

وعليه فإنّ المحبة والمودّة التي أمرنا القرآن الكريم بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام لا تكون شيئاً

➔

الرابع والعشرون: ما زعمه من وجود ذلك في الرفضة أكثر منه في أهل السنّة، فالخير في الرفضة أقلّ من الخير في أهل السنّة. فانّه من بهتانه العظيم على الله ورسوله، لما عرفته من ثبوت اثنى عشريّة الشيعة على الشريعة، ومن مخالفة من تسمّى بأهل السنّة الشريعة[١]. أما سمعت قوله

←

غير الإمامة كما أنّ الروايات المتفقة بين الفريقين تدلّ على ذلك (راجع الروايات الواردة في تفسير الآية الكريمة). فإنها صريحة في وجوب طاعة أهل بيت النبي الاكرم صلى الله عليه وآله.

وسيتبين تفصيل البحث للقارئ الكريم في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى..

ولكن الباحث عندما يقف على هذه الأدلّة الواضحة ويلاحظ عمل أهل السنة والجماعة يبهت ويتعجّب حيث يرى بوضوح أنّ خلفاء أهل السنة كانوا أعداء العترة الطاهرة ومع ذلك أهل السنة يعتقدون بهم مع علمهم بأنّ الخلفاء حاربوا أهل البيت عليهم السلام وقتلوهم ومحوا آثارهم.

والطريف أنّ الباحث يجد في كتب أهل السنة والجماعة أنّهم يوثقون المحدثين إذا كانوا من الخوارج أو من النواصب وأمّا اذا كان الراوي في قلبه مقدار من حبّ أهل البيت عليهم السلام يرمونه بالغلوّ والكذب ونحو ذلك، وعلى أثر ذلك عندما يواجهون بعض الروايات الصحيحة في فضل أهل البيت عليهم السلام يرمون رواته بالتشيع والرفض والزندقة وأمثال ذلك وإن كان الراوي من الصحابة وكأنما نسبة المحبّة والولاء لأهل البيت عليهم السلام تسقط الراوي عن الوثاقة؟ بل قد يبغضون أهل الكوفة ويقدحون في محدّثيهم حيث يدّعون أنّ أهل الكوفة كانوا يميلون إلى التشيع، وكانّما الملاك عندهم في الوثاقة العداء لأهل البيت عليهم السلام وملاك القدح عندهم حبّ أهل البيت عليهم السلام، فالوثاقة عندهم بغض أهل البيت وإنّ أكبر قدح عندهم حبّ أهل البيت عليهم السلام فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ الملاك في كون العمل خيراً أو شرّاً موافقته للدين الحنيف والشريعة المقدسة أو مخالفته له، أي إن كان موافقاً للدين فهو خير وإن كان مخالفاً له فهو شرّ؛

←

➔

لأنّ الايمان يلبس العمل ثوب الخير قال الله تعالى: **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** (سورة النحل: ٩٧) فالمعيار هو العمل الصالح الصادر من المؤمن، العمل الذي يكون موجباً للسعادة والحياة الطيبة.

ولابد أن نلاحظ الاعمال الصادرة من الناس هل تطابق هذا الملاك القرآني أولا؟

فعندما نقف عند أعمال أهل السنة والجماعة نجدها مخالفة لما رسمه الله تعالى ومخالفة للسنن النبوية صلى الله عليه وآله بل ونجدها مناقضة لما جاء به الاسلام، لأنّ الاسلام جعل محبة أهل البيت عليهم السلام أجراً للرسالة المحمدية قال الله تعالى: **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** (سورة الشورىٰ: ٢٣) فإنّ الآية صريحة في أنّ الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله لم يطلب أجراً في مقابل نجاة الناس من الهلكات وفوزهم بالسعادة العظمى إلاّ المودة في القربىٰ و قال: هذه المودة يرجع نفعها إليكم كما قال تعالى: **قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ** (سورة سبأ: ٤٧) فانضمام الآيتين كلّ واحدة منهما إلى الأخرى يعطينا هذه النتيجة وهي أنّ المودة في القربىٰ أمر مربوط بالرسالة أي أنّ الرسالة تستمر باستمرار المودة.

وبعبارة أوضح إنّ منهج الرسالة والهداية تحصل بالمودة وهذا معناه أنّ الأمة لابدّ لها من الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام في تعليم الدين والقرآن والسنة النبوية والتعاليم السماوية.

ولكن أهل السنة خالفوا هذه الحقيقة القرآنية ولم يكتفوا بذلك بل بادروا إلى العداء والبغضاء لأهل البيت عليهم السلام بدل التعلّم منهم، وهذه هي السياسة التي رسمها خلفائهم حيث أنهم وجدوا أنّ مطامعهم الدنيوية تستنتج بالعداء ومحاربة أهل البيت عليهم السلام، وأهل السنة سلموا رقابهم لخلفائهم كما لايخفى ذلك على أحد وحاربوا ذوي القربىٰ كما يشهد لذلك تاريخ الاسلام ومذبحة كربلاء كيف أنّ خليفة زمانهم جهّز جيشاً ضخماً لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكيف قتلوا الامام

🡐

سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا

➔

الحسين عليه السلام وكيف أمر خليفتهم جلاوزته أن تدوس جثمانه الطاهر، وكيف أخذ بنات الرسالة سبايا يدار بهنّ البلاد. أليست هذه الأعمال استمرار لجنايات السقيفة؟

(١) سورة الأعراف: ٥٦، هذه الآية الكريمة فيها إخبار من الله تعالى ووعد منه أنّ رحمته قريبة من المحسنين، والإحسان هو النفع الذي يستحقّ به الحمد، وفي مقابله الإساءة وهي الضرر الذي يستحقّ به الذم، وفي الآية الكريمة معنى قوله تعالى: إنّ رحمة الله قريب... أي إنّ إنعام الله تعالى قريب إلى فاعلي الإحسان، لأنّ، مقتضىٰ علم الإعراب لابدّ أن يقال إنّ رحمة الله قريبة من المحسنين فما السبب في حذف علامة التأنيث؟

وقد ذكروا في الجواب عنه وجوهاً:

الأوّل: إنّ الرحمة تأنيثها ليست حقيقية وما كان كذلك فإنّه يجوز فيه الوجهين التذكير والتأنيث عند أهل اللغة.

والثاني: قال الزجاج: إنّما قال الله تعالى: قريب من المحسنين، لأنّ الرحمة والغفران والإنعام بمعنى واحد فقوله: إنّ رحمة الله قريب... بمعنى إنعام الله قريب و ثواب الله قريب فأجرى حكم أحد اللفظين على الآخر.

الثالث: قال النضربن شميل: الرحمة مصدر، ومن حقّ المصادر التذكير مثل قوله تعالى: فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ... .

وهناك وجوه أخرىٰ لم نذكرها رعاية للاختصار والمهمّ أنّ الرحمة بمعنىٰ الإنعام وهذا يطابق الروايات؛ لأنّ الإحسان هو الإيمان، فإنّ الله تعالى يدعو الناس برأفته ورحمته إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، وكما جاء في الحديث النبوي: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك (تفسير ابن كثير ج٧: ص٣٧٥ وبحار الأنوار ج٦٢: ص١١٦).

ومن هنا يتّضح قول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة حيث قال: إنّ أصلح أعمال الأمة هي أصلحها برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ولكن أفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام وذريّته عليهم السلام (لاحظ تفسير القمي ج١: ص٢٣٦). فالمحسن هو الذي يفعل

➔

يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]؟

فانظر هل ترى مناسبة بين حال علماء أهل السنة ومشايخهم وبين ما نسبوه إليهم حال حياتهم وبعد مماتهم من استجابة دعوتهم ومن نطقهم بالمغيّبات ومن تنجيز الحاجات المطلوبة عند قبورهم للمتوسّل بهم والمستجير بها[٢]، وحسْب طالب الحقّ معرفةً بهم مخالفة علمائهم لما نبّهنا

➔

فعلاً يراعي فيه أمر الله ورسوله، فالمؤمن الحقيقي هو المحسن عند الله، فلاحظ.

(١) سورة المائدة: ٢٧، هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقة هامّة في موضوع قبول الأعمال وعدم قبولها، لأنّ استحقاق الثواب إنّما يكون بالطاعة والانقياد، حيث إنّ الآية الكريمة صريحة في اشتراط التقوىٰ في قبول الأعمال إذ جعلت الآية الكريمة التقوىٰ شرطاً أساسيّاً لقبول الأعمال إذن قبول الأعمال يتحقّق بالطاعة والانقياد والطاعة تستلزم التقوىٰ في العمل؛ لأنّ الطاعة الحقيقية هي التسليم المحض الصادق لأوامر ربّ العالمين، والتسليم المحض يستلزم التقوىٰ في العمل؛ لأنّ العمل لو لم يكن صادراً للطاعة حقيقة لا يعتبر تسليماً حقيقياً ولا يكون مقبولاً عند العقلاء ولذلك قال تعالى: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوصيكم بتقوىٰ الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه... (دعائم الإسلام ج١: ص٥٦).

فالإتيان بالعمل إنّما يعدّ طاعة إذا صدر عن العبد مع جميع شرائطه ولوازمه، وعند ذلك يتحقّق فيه شرط قبول الأعمال، حيث إنّ القبول مشروط بتحقّق الطاعة حقيقتاً والاجتناب عمّا يضادّه وهذا ما يعبّر عنه بالمقتضي وعدم وجود المانع، فلاحظ.

(٢) لا شك أنّ سيرة المسلمين منذ يومها الأوّل قائمة على زيارة القبور والاستعانة بالنفوس الخيّرة والمتّقية من الأموات والتوسّل بها والتبرّك بها والدعاء والصلاة لديها وختم القرآن لمدفونيها.

وهناك قبور تقصد بالزيارة عند أهل السنة والجماعة وأعلام المذاهب الأربعة على اختلافها

➔

→

في المباني الفقهية والأصولية، وإليك نبذة منها:

١ـ قبر بلال بن حمامة الحبشي مؤذّن رسول الله ﷺ المتوفّى سنة ٢٠ من الهجرة، بدمشق عند الباب الصغير وفي رأس القبر تاريخ باسمه.

وقال ابن جبير في رحلته: والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب قد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم إلى قبور كثيرة من الصحابة وسواهم من الصالحين ممّن قد ذهب اسمه وغير ذكره ومشاهد كثيرة لأهل البيت رضي الله عنهم رجالاً ونساءً... (رحلة ابن جبير: ص٢٥١).

٢ـ قبر سلمان المحمدي الصحابي الجليل المتوفّى سنة ٣٦ هـ قال الخطيب البغدادي في تاريخه: قبره الآن ظاهر معروف بقرب ايوان كسرىٰ عليه بناء، وهناك خادم مقيم بحفظ الموضع وعمارته والنظر في أمر مصالحه، وقد رأيت الموضع وزرته غير مرّة... (تاريخ بغداد ج١: ص١٧٥).

٣ـ قبر طلحة بن عبيد الله المقتول يوم الجمل سنة ٣٦ هـ قال ابن بطّوطة في رحلته: مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وأهل البصرة يعظّمونه تعظيماً شديداً وحقّ له، .... (أدب الرحلات «رحلة ابن بطّوطة»: ص١٨٣).

٤ـ قبر الزبير بن العوام المتوفّى سنة ٣٦ هـ قال ابن الجوزي في المنتظم: فمن الحوادث في سنة ٣٨٦هـ أنّ أهل البصرة في شهر المحرّم ادّعوا أنّهم كشفوا عن قبر عتيق فيه ميت طريّ بثيابه وسيفه وأنّه الزبير العوام، فأخرجوه و كفّنوه ودفنوه بالمربد بين الدربين، وبنى عليه أبو المسك عنبر بناء، وجعل الموضع مسجداً، ونقلت إليه القناديل و الآيات والحصر والسمادات وأقيم فيه قوّام وحفظة ووقف عليه وقوفاً (المنتظم في تاريخ الامم والملوك ج١٤: ص٣٨٣).

٥ـ قبر أبي أيوب الأنصاري الصحابي المتوفى سنة ٥٢ هـ بالروم. قال الحاكم النيشابوري في المستدرك: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا.... (المستدرك على

←

➔

الصحيحين ج٣: ص٤٥٨) وذكره ابن سعد في الطبقات ج٣: ص٤٨٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٦: ص ٦١، وغيرهم. وقال ابن كثير: وعلى قبره مزار و مسجد وهم «أي أهل الروم» يعظّمونه... (تاريخ ابن كثير ج٨: ص٥٩).

قال الذهبي: فالروم تعظّم قبره ويستشفعون إلى اليوم به (الدول الاسلامية ج١: ص٢٢).

٦ـ قبر أبي حنيفة النعمان بن ثابت إمام الحنفية المتوفّى سنة ١٥٠ هـ. قبره في الأعظمية ببغداد مزار معروف. روى الخطيب في تاريخه عن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إنّي لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلّ يوم ـ زائراً ـ فإذا عرضت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عنّي حتى تقضى. (تاريخ بغداد ج١: ص١٣٥) وذكره الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ج٢: ص١٩٩ والكردري في مناقبه ج٢: ص١١٢، وغيرهم.

وقال ابن الجوزي في المنتظم: في هذه الأيام ـ يعني سنة ٤٥٩ ـ بنى أبو سعد شرف الملك مشهد أبي حنيفة و عمل لقبره ملبناً وعقد القبّة وعمل المدرسة بإزائه وأنزلها الفقهاء ورتّب لهم مدرساً، فدخل أبو جعفر ابن البياضي إلى الزيارة فقال ارتجالاً:

ألم تر أنّ العلم كان مضيّقاً فجمّعه هذا المغيَّب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة فأنشرها جود العميد أبي سعد

ثمّ قال المصنف قرأت بخط أبي الوفاء ابن أبي عقيل قال: وضع أساس مسجد بين يدي ضريح أبي حنيفة بالكلس والنورة وغيره، فجمع ستة ستّ وثلاثين وأربعمائة وأنا ابن خمس سنين أو دونها بأشهر، وكان المنفق عليه تركيّ قدم حاجّاً، ثمّ قدم أبو سعد المستوفي وكان حنفيّاً متعصّباً وكان قبر أبي حنيفة تحت سقف عمله بعض الأمراء التركمان، وكان قبل ذلك وأنا صبي عليه خربشت خاصاً له وذلك في سني سبع أو ثمان وثلاثين قبل دخول الغزّ ببغداد سبع وأربعين، فلّما جاء شرف الملك سنة ثلاث وخمسين عزم على إحداث القبة وهي هذه، فهدم جميع أبنية المسجد وما يحيط بالقبر وبنى هذا

🡐

←

المشهد فجاء بالقطاعين والمهندسين وقدّر لها ما بين ألوف آجر وابتاع دوراً من جوار المشهد و حفر أساس القبة، وكانوا يطلبون الأرض الصلبة فلم يبلغوا اليها إلاّ بعد حفر سبعة عشر ذراعاً في ستة عشر يوماً فخرج من هذا الحفر عظام الأموات الذين كانوا يطلبون جوار النعمان أربعمائة صَنّ ونقلت جميعها إلى بقعة كانت ملكاً لقوم فحفر لها ودفنت... (إلى أن قال): أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال: سمعت أبا الحسين ابن المهتدي يقول: لا يصحّ أنّ قبر أبي حنيفة في هذا الموضع الذي بنوا عليه القبّة وكان الحجيج قبل ذلك يردون ويطوفون حول المقبرة فيزورون أبا حنيفة لا يعيّنون موضعاً (المنتظم ج ١٦ـ ص ١٠٠ ـ ١٠١)

وقال ابن خلكان قبره ـ أي قبر أبي حنيفة ـ مشهور يزار، بُني عليه المشهد والقبّة سنة ٤٥٩ (وفيات الأعيان لابن خلكان ج٢: ص٢٩٧).

وقال ابن بطّوطة: قبر الإمام أبي حنيفة عليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية، ثمّ عدّ جملة من قبور المشايخ ببغداد فقال: وأهل بغداد لهم يوم في كلّ جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع (أدب الرحلات «رحلة ابن بطوطة»: ص ٢٢٠).

وقال ابن حجر في مناقب أبي حنيفة: إنّ الإمام الشافعي أيّام كان هو ببغداد كان يتوسّل بالإمام أبي حنيفة ويجيء إلى ضريحه يزور فيسلّم عليه ثمّ يتوسّل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته. وقال: قد ثبت أن الإمام أحمد توسّل بالإمام الشافعي حتّى تعجّب ابنه عبدالله بن الامام أحمد فقال له أبوه: إنّ الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن، ولمّا بلغ الإمام الشافعي أنّ أهل المغرب يتوسّلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم (الغدير ج٥: ١٩٤ نقلا عن كتاب الخيرات الحسان لابن حجر في الفصل الخامس والعشرين).

٧ـ قبر مصعب بن الزبير المتوفى سنة ١٥٧. قال ابن الجوزي في المنتظم: زارت العامّة قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين عليه السلام (المنتظم في تاريخ الامم والملوك لابن الجوزي

→

➔

ج١٥: ص١٤).

٨ـ مالك بن أنس إمام المالكية المتوفّى سنة ١٧٩هـ وقبره ببقيع الغرقد في المدينة المنورة، قال ابن جبير في رحلته: عليه قبّة صغيرة مختصرة البناء، و أمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وعليه قبة بيضاء وعلى اليمين منها تربة ابن لعمر بن الخطاب اسمه عبد الرحمن الأوسط... وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر الطيار وبإزائهم روضة فيها أزواج النبي صلى الله عليه وآله وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وآله ويليها روضة العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي رضي الله عنه وهي قبة مرتفعة في الهواء على مقربه من باب البقيع المذكور.... (رحلة ابن جبير: ص١٧٣).

٩ـ قبر أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية المتوفى سنة ٢٠٤ دفن بالقرافة الصغرىٰ وقبره يزار بها بالقرب من المقطم (وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤: ص١٦٥).

وقال الجزري في طبقات القرّاء: والدعاء عند قبره مستجاب ولمّا زرته قلت:

زرت الإمام الشافعي لأنال منه شفاعة   لأنّ ذلك نافعي أكرم به من شافع

(طبقات القراء للجزري ج٢: ص٩٧)

وقال الذهبي: إنّ الملك الكامل عمَّر قبّة على ضريح الشافعي (دول الإسلام ج٢: ص١٠٥).

١٠ـ قبر أحمد بن حنبل امام الحنابلة المتوفّى سنة ٢٤١ قبره ظاهر مشهور يزار ويتبرّك به. كذا في مختصر طبقات الحنابلة: ص١١. قال الذهبي: ضريحه يزار ببغداد.... (دول الإسلام ج١: ص١١٤)

وحكى ابن الجوزي في مناقب أحمد عن عبد الله بن موسى قال: خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدّت الظلمة فقال أبي: يا بنيّ تعال حتّى نتوسّل إلى الله بهذا العبد الصالح حتّى يضيء لنا الطريق فإنّي منذ ثلاثين سنة ما توسّلت به إلا قضيت حاجتي. فدعا أبي وأمّنت على دعائه فأضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتّى وصلنا إليه (مناقب أحمد بن حنبل لابن الجوزي: ص٢٩٧).

➔

➔

وروي عن أبي الحسن التميمي عن أبيه عن جده أنّه حضر جنازة أحمد بن حنبل قال: فمكثت طول أسبوع رجاء أن أصل من ازدحام الناس عليه فلمّا كان بعد أسبوع وصلت إلى قبره (مناقب أحمد بن حنبل: ص٤١٨).

وقال في المنتظم: وفي أوائل جمادي الآخرة سنة ٥٧٤ تقدّم أمير المؤمنين بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد بن حنبل فعمل ونقضت السترة جميعها وبنيت بآجر مقطوع جديدة وبني لها جانبان ووقع اللوح الجديد وفي رأسه مكتوب هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا المستضيء بأمر الله. وفي وسطه: هذا قبر تاج السنة ووحيد الأمة العالي الهمّة العالم العابد الفقيه الزاهد الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله وقد كتب تاريخ وفاته وآية الكرسي حول ذلك و وعدت بالجلوس في جامع المنصور فتكلّمت يوم الاثنين سادس عشر جمادي الأولىٰ فبات في الجامع خلق كثير وختمت ختمات واجتمع للمجلس بكرة ما حزر بمائة ألف وتاب خلق كثير وقطعت شعور، ثمّ نزلت فمضيت إلى زيارة قبر أحمد فتبعني من حزر بخمسة الآف (المنتظم ج١٨: ص٢٤٩).

وقال ابن بطوطة في رحلته: قبره لاقبة عليه ويذكر انها بنيت على قبره مزاراً فتهدمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظّم... (ادب الرحالات «رحلة ابن بطوطة»: ص ٢٢٠).

١١ـ قبر محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ في سمرقند وهي إحدىٰ مدن أوزبكستان وهي ذات تاريخ وعاصمة قديمة.

قال الذهبي: قال أبو علي الغساني أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي: قدم علينا بلنسية عام أربعة وستين وأربع مائة قال: قحط المطر عندنا سمرقند في بعض الأعوام فاستسقىٰ الناس مراراً فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند فقال له: إنّي رأيت رأيا أعرضه عليك قال: وما هو؟ قال: أرىٰ أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وقبره بخرتنك و نستسقي عنده فعسىٰ الله أن يسقينا، قال: فقال القاضي: نعم ما رأيت، فخرج القاضي والناس معه، واستسقىٰ القاضي بالناس. وبكى الناس عند القبر، و تشفّعوا بصاحبه. فأرسل الله تعالىٰ السماء بماء

🡐

عليه فيما مضى لكتاب الله سبحانه وسنّة رسولهﷺ[1]. فأين ما يفعله هؤلاء

→

عظيم غزير أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة ميال (سير أعلام النبلاء ج١٢: ص٤٦٩) ورواه السبكي في طبقات الشافعية ج٢: ص٢٣٤ وغيره.

١٢ـ قبر مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيشابوري المتوفّى سنة ٢٦١ هـ صاحب صحيح مسلم الذي يعتبر صحيحه من أصحّ الكتب بعد صحيح البخاري وتلمّذ على أحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما قال صاحب مرقاة المفاتيح: قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمىٰ بتصحيح المصابيح: إني زرت قبره (أي مسلم بن الحجاج) بنيشابور، قرأت بعض صحيحه على سبيل التيمّن والتبرّك عند قبره، ورأيت آثار البركة، ورجاء الإجابة في تربته (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج١: ص٦٤ نقلاً عن علي القاري في هذا الكتاب).

وإلى غير ذلك من قبور الصحابة والتابعين وعلماء أهل السنة ورؤساء مذاهبهم الأربعة.

فالتاريخ شاهد على أنّ أهل السنة والجماعة كانوا يقصدون هذه القبور ويزورونها إلى يومنا هذا وهذه سيرة المسلمين من سلف في زيارة قبور مشايخهم. فشتّان بين الأمرين، إمّا أنّ ما ذكره ابن تيمية باطل عند أهل السنة والجماعة، وعليه لابدّ لهم من الاعتراف بذلك، وإمّا أن يكون جميع المسلمين بما فيهم علمائهم وكبارهم كلّهم مشركين لأنّ ذلك عقيدة ابن تيمية فيلزم على أهل السنة والجماعة الانتخاب بين الأمرين والالتزام بذلك.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ أهل السنة والجماعة قد خالفوا تعاليم الإسلام في كثير من المجالات التي قررها القرآن والرسول الأعظم ﷺ في سنته الشريفة ولكنّهم اختاروا الانحراف والضلال بدل الهداية والصلاح؛ ومن تلك الموارد مخالفتهم لحديث الثقلين فهم خالفوا كتاب الله وسنة خاتم رسله، وبذلك خرجوا من جادة الهداية ووقعوا في الانحراف والضلال وقد حذّرهم رسول اللهﷺ من ذلك في روايات كثيرة، منها

←

ممّا يفعله الشيعة من التوسّل إلى الله سبحانه بأوليائه الطاهرين عليهم السلام، حول قبورهم، فيستجيب دعائهم في عافية المريض والنجاة من البليّات وشرور الظلمة وغير ذلك حسبما شوهد غير مرّة لمن توسل بقبور أهل البيت عليهم السلام لعامة المسلمين من الشيعة ومن تسمّى بأهل السنّة[1]؟

حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين فحذّر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فيه عن الإبعاد عن كتاب الله عزوجل وعترته الطاهرة وقال عليه السلام إنهما لا يفترقان إلى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله: وإنّهما يعصمان الأمة من الضلالة والانحراف، ومعناه أنّ الأمّة اذا لم تتمسّك بهما معا فهم في الضلال والانحراف. وسنوضح هذا المعنى إن شاء الله عند شرح حديث الثقلين.

(١) وخلاصة الكلام أنّ الزيارة والتوسل ونحوهما عند الشيعة الامامية كغيرها من الأفعال مطابق عندهم لما جاء به الاسلام في النصوص والأدّلة الشرعية المتفق عليها بين جميع المسلمين، بل إنّ فعلهم يكون مطابقاً لما جرت عليه سيرة المسلمين من الصدر الأوّل منذ عصر الصحابة والتابعين إلى العصور المتأخّرة عنهم، فعلى سبيل المثال: سيرة المسلمين والصحابة كانت جارية على زيارة قبور ضمنت في كنفها نبياً مرسلاً أو إماماً طاهراً أو ولياً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين، وفي مقدّمها قبر النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله، فإنّ سيرة المسلمين كانت جارية على زيارة قبره الأطهر والصلاة لديه والدعاء عنده والتبرك والتوسل به، كما أنّ هذه السيرة كانت جارية منذ عصر النبي صلى الله عليه وآله عند قبور جميع الصالحين من دون نكير ولا غميزة من أحد منهم على اختلاف مذاهبهم. وإليك بعض كلمات أعلام المذاهب الأربعة من أهل السنة و الجماعة حول زيارة قبر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: قال القاضي عياض المالكي المتوفّى سنة ٥٤٤ في كتابه الشفاء: وزيارة قبره صلى الله عليه وآله سنّة مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها، ثم ذكر عدّة من أحاديث الباب فقال: قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: وممّا لم يزل من شأن من حجّ المرور بالمدينة و القصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه

➔

وملامس يديه و مواطن قدميه والعمود الذي استند إليه وينزل جبرئيل بالوحي فيه عليه ومَن عمّره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كلّه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج٢: ص٨٣).

وعقد ابن الجوزي الحنبلي المتوفّى سنة ٥٩٧ في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) باباً في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر أحاديث كثيرة في هذا المجال ومن جملتها حديثي ابن عمر وأنس المذكورين في المتن (انظر كتاب مثير الغرام: ص٢٤٨).

وقال محمد بن محمد العبدري القيرواني المالكي المتوفى سنة ٧٣٧ في المدخل في فصل زيارة القبور: وامّا عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعيّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتّصف بالذلّ والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع وحضور قلبه وخاطره إليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنّهم لا يبلون ولا يتغيّرون، ثمّ يثني على الله بما هو أهله، ثم يصلّي عليهم ...، ثمّ يتوسل إلى الله بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوّي حسن ظنه في ذلك، فإنّهم باب الله المفتوح وجرت سننه سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج اليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنّهم السادة الكرام والكرام لا يردّون من سألهم ولا من توسّل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم. هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً...

ثم قال: فصل: وأمّا زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكلّ ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الانكسار والذلّ والمسكنه؛ لأنّه الشافع المشفّع الذي لا تردّ شفاعته، ولا يخيب من قصده، ولا من نزل ساحته، ولا من استعان أو استغاث به اذ أنّه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة... (إلى أن قال): فمن توسّل به، أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه، لا يردّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، ويحتاج إلى

➔

➔

الأدب الكلّي في زيارته عليه الصلاة والسّلام. وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنّ الزائر يشعر نفسه بأنّه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته؛ إذ لا فرق بين موته وحياته... (إلى أن قال): فالتوسّل به عليه الصلاة والسلام هو محلّ حطّ أحمال الأوزار، و أثقال الذنوب والخطايا؛ لأنّ بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنّها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره، اللهم لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين رب العالمين، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عزّوجل: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ٦٤** (الآية) فمن جاء ووقف ببابه وتوسل به وجد الله تواباً رحيما لأنّ الله منزّه عن خلف الميعاد، وقد وعد سبحانه بالتوبة لمن جاء ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشكّ فيه أحد ولا يرتاب إلاّ جاحد للدين معاند لله ولرسوله ﷺ نعوذ بالله من الحرمان... (كتاب المدخل ج١: ص٢٥٧ فصل زيارة القبور).

وقال تقيّ الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ في كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام: لا حاجة إلى تتبّع كلام الأصحاب في ذلك ـ أي في باب استحباب زيارة النبيﷺ ـ مع العلم بإجماعهم وإجماع ساير العلماء عليه. والحنفية قالوا: إنّ زيارة قبر النبي ﷺ أفضل المندوبات والمستحبات، بل يقرب من درجة الواجبات. وممّن صرّح بذلك أبو منصور محمد بن مكرم الكرماني في مناسكه وعبد الله بن محمود بن بلدحي في (شرح المختار)، وفي فتاوىٰ أبي الليث السمرقندي في باب أداء الحج... (شفاء السقام: ص١٥٦).

وقال: كيف يتخيّل في أحد من السَّلف منعهم من زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتىٰ؟ وسنذكر ذلك وما ورد من الأحاديث والآثار في زيارتهم... (انظر شفاء السقام: ص١٧٩).

وحكى عن القاضي عياض وأبي زكريا النووي إجماع العلماء والمسلمين على استحباب

➔

وقد نقل ابن بطّوطة[1] في رحلته وهو من أعاظم أهل العلم من أهل

➔

الزيارة (انظر شفاء السقام: ص١٨٤).

وقال زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر القريشي العثماني المصري المراغي المتوفى سنة ٨١٦ هـ في كتابه تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة: وينبغي لكلّ مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة عظيمة، للأحاديث الواردة في ذلك، ولقوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ** ... (الآية) لأنّ تعظيمه لا ينقطع بموته. ولا يقال: إنّ استغفار الرسول لهم إنّما هو في حياته وليست الزيارة كذلك، لما قد أجاب به بعض الأئمة المحقّقين أنّ الآية دلّت على تعليق وجدان الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول لهم. وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين لأنّه قد استغفر للجميع قال الله تعالى: **وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم كملت الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته (سبل الهدىٰ والرشاد للصالحين الشامي ج١٢: ص٣٨٤ نقلاً عن زين الدين ابوبكر بن الحسين المراغي).

وقال السمهودي بعد ذكر أحاديث الباب: وأمّا الإجماع: فأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل وقد امتاز قبره الشريف بالأدلّة الخاصّة .... (وفاء الوفاء للسمهودي ج٤: ص١٣٦٢). والى غير ذلك من كلماتهم.

(١) وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطّوطة المتوفّىٰ سنة ٧٧٩ بمراكش، كان سيّاحاً كثير الأسفار، وقد دوّن أسفاره في رحلة سماه (تحفة النظّار في غرائب الأمصار) وذكر في رحلته تشرّفه بالنجف الأشرف وما شاهد من ذوي الأمراض المزمنة الذين ينتظرون ليلة المحيىٰ حتى يأخذون شفاءهم من الله تعالى ببركة قبر أمير المؤمنين عليه السلام في قصة نقلها... (انظر ترجمته في الكنىٰ والالقاب للشيخ عباس القمي ج١: ص٢٢٧).

السنّة[١] مشاهدة الكثير من ذلك للمستجيرين بقبر أمير المؤمنين عليه السلام في الغريّ[٢].

---

(١) انظر أدب الرحلات (رحلة ابن بطّوطة: ص١٧٢).

(٢) لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ولا يزال حتّى قيام الساعة المثل الأعلىٰ في كلّ شيء: في أخلاقه وعبادته وحكمه وقضائه وحروبه وسلمه وأقواله وجميع أفعاله وتصرّفاته.... حتّى أجمع جميع الناس على إجلاله وإكرامه وحبّه وإعظامه، حتّى أعدائه ما استطاعوا أن يجحدوا فضائله ومناقبه، فبرزت مناقبه من هنا وهناك على ألسنتهم في أقوالهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم. فذلك معاوية بن أبي سفيان الذي يُعدّ من ألدّ أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وهو ممّن أسّس سبّ الإمام عليه السلام وشتمه علىٰ المنابر سبعين عاماً ولما طلب من أحد محبّي أمير المؤمنين عليه السلام أن يصفه له فقال له: كان عليّ عليه السلام فينا كأحدنا ينبئنا إذا استنبأناه ويجبنا إذا سألناه، ويقرّبنا إذا أردناه، لا يغلق دوننا بابه، ولا يمنعنا حجابه، ونحن والله مع تقرّبه إلينا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة منه، وكان إذا تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، بعيد المدىٰ، شديد القوىٰ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة عن لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه ويناجي ربّه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القويّ في بطشه، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فقال معاوية وهو يبكي: زدني يا ضرار: فقال ضرار: رحم الله أبا الحسن، كان طويل المهاد قليل الرقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، فكيف بك يا معاوية لو رأيته في محرابه وقد أرخىٰ الليل سدوله وغارت نجومه، وهو قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويئن أنين السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرّضتِ أم إليّ تشوتِ؟! هيهات هيهات قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، ثم يقول: آه آه لبعد السفر، و قلّة الزاد، ووحشة الطريق، وعظم

←

➔

السرى.

فبكىٰ معاوية وجلسائه، ثم قال: يا ضرار كان والله ابو الحسن كذلك وأكثر، ثم قال معاوية: رحمك الله يا أبا الحسن كنت عفيّاً عمن جنىٰ عليك، حليماً بما سطى عليك، رقيق القلب، فكيف صبرك عنه يا ضرار؟

فقال: صبري والله صبر من ذبح ولدها الواحد في حجرها بعد كبرها فهي لا ترقىٰ لها عبرة، ولا تبل لها حسرة، ولا تبرد لها زفرة... (انظر حلية الأولياء ج١: ص٨٤ و ذخائر العقبي: ص١٠٠ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨: ص٢٢٥ ونظم درر السمطين: ص١٣٥و الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص١١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٤: ص٤٠١و ينابيع المودة ج٢: ص١٨٩، وغيرها من المصادر).

وانظر إلى ما قاله عمرو بن العاص عدوّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قصيدته التي مدح بها الإمام عليه السلام ووبخ فيها معاوية بن أبي سفيان فقال:

معاوية الحال لا تجهل ... وعن سبل الحقّ لا تعدل

نسيت احتيالي في جلّق ... على أهلها يوم لبس الحلي

حتى يقول:

وكم قد سمعنا من المصطفىٰ ... وصايا مخصّصة في علي؟

وفي يوم خمّ رقىٰ منبراً ... يبلّغ والركب لم يرحل

وفي كفّه كفّه معلناً ... ينادي بأمر العزيز العلي

ألست بكم منكم في النفوس ... بأولىٰ؟ فقالوا: بلىٰ فافعل

فأنحله إمرة المؤمنين ... من الله مستخلف المنحل

وقال: فمن كنت مولى له ... فهذا له اليوم نعم الولي

فوال مواليه يا ذا الجلال ... وعاد معادي أخ المرسل

فبخبخ شيخك لما رأىٰ ... عرىٰ عقد حيدر لم تحلل

فقال: وليّكم فاحفظوه ... فمدخله فيكم مدخلي

🡐

←

إلى آخر أبياته. ومن أراد أن يقف على مصادر هذه القصيدة فليراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني ج١: ص٢٤١ وج٢: ص١١٥و ص١١٨.

وإلى غير ذلك مما لا يُعد حصره من أقوال أعدائه. والفضل ما شهدت به الأعداء.

وأمّا ما خرج من صدور علماء أهل السنة والجماعة فهي كثيرة جدّاً، فإنّه مع وجود الخلفاء والسلاطين والحكّام والسياسيين الذين تسلّطوا على رقاب المسلمين وتربّعوا على وسادة الحكم وكانوا يحاولون تدعيم حكمهم بأيّ ثمن أمكن فقد استغلوا العلماء لتشريع الأحكام على هواهم وفرضوا إرادتهم على عقائدهم من أجل تدعيم ملكهم وإقامة حزبهم، وكانت همّتهم أن لا يبرزوا فضلاً لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لئلا ينجذب إليهم الناس، ولكن مع ذلك كلّه تجد أنّ الحقّ ظاهر مثل الشمس يعرفه أقل الناس معرفة فكيف بالعلماء، ولذلك صدر من علماء أهل السنة كلمات تدلّ بالوضوح على أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوّلين إلى الآخرين. ومن أجل وضوح الأمر عند القارئ الكريم لا بأس بالمراجعة إلى كتاب المثل الأعلىٰ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للسيد محمد الرضي الرضوي، فانّه قد جمع فيه كلمات أعلام أهل السنة في أوصاف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وقال في مقدّمة كتابه: لقد اعترفت بنبوغه رجالات سنية وأخرىٰ غير إسلامية عرفت بالعلم والثقافة والأدب والمجد والسيادة، وفيها من عرف بمناواته وحسده لهذا الإمام السامي المقام لكن الحقّ صرعه والله تعالى ألهمه فأشاد بعظمته ونوّه بشخصيّته الفذّة قال أبو تمام:

إذا أراد الله نــشر فــضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

وقال غيره:

ومليحة شهدت لها ضرّاتها ... والفضل ما شهدت به الأعداء

أقول: إذا كان الأعداء يمدحون بالإمام ويصفونه بأفضل المدح بحيث تدلّ كلماتهم على أنّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في العلم

←

وسرّ ذلك معلوم وهو شدّة متابعته عليه السلام للشريعة وزهده وورعه وصبره ورضاه وتسليمه وشدّة سعيه في طلب مرضاة الله سبحانه، وهذه حال صالحي ولده وحاملي علومهم وناشريها ومبلّغيها إلى الخلق(١).

➔

والعبودية والفضل و.... من الأولين والآخرين وأنّه أقرب الناس إلى الله عزوجل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلماذا لا يتوسل اليه الناس، فإنّ الأنبياء يحتاجون إلى شفاعته والتقرب به إلى الله فكيف بالناس العاديين؟ فلاحظ.

(١) لا يخفى أنّ فضائل أهل البيت عليهم السلام كثيرة لايمكن إحصائها، وقد نطق بها القرآن الكريم وجاءت في الروايات والأخبار الكثيرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورواها علماء الاسلام في كتبهم وقد خصّص بعض علماء أهل السنة والجماعة كتباً لذكر تلك الفضائل والمناقب.

وقد جاء في الروايات التي رواها القوم أنّ الإيمان مشروط بشرط محبّتهم. فقد أخرج الترمذي بسنده عن عبد الله بن الحارث قال: حدّثني عبد المطّلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، أنّ العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً وأنا عنده. فقال: ما أغضبك؟ قال: يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى احمرّ وجهه، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم لله ولرسوله، (سنن الترمذي ج٥: ص٣١٨ ح٣٨٤٧).

وحتّى مثل ابن تيمية الذي أنكر كثيراً من فضائل أهل البيت عليهم السلام فقد صرّح بأنّ أهل البيت لهم من الحقوق ما يجب رعايتها... قال: جعل الله لهم حقّاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لنا: قولوا اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد (مجموع الفتاوي ج٣: ص٤٠٧).

وقال أيضاً: آل البيت تجب محبّتهم وموالاتهم على رعاية حقّهم (مجموع الفتاوىٰ ج٢٨:

➔

فالمدّعي لشيء من خارق العادة بدعائهم وتوسّلهم إلى الله سبحانه يناسبه تصديق سامعه؛ لما عرفت من قرب رحمة الله سبحانه من المحسنين وقبوله من المتّقين[1].

➔

ص٤٩١). وإلى غير ذلك مما جاء في كتبهم ممّا يشتمل على وجوب محبّتهم وفرض طاعتهم ووجوب تقدّمهم وأقربيّتهم إلى الله عزوجل ولزوم اتخاذهم وسيلة إلى الله عزوجل كما أمرنا الله تعالى باتخاذ الوسيلة إليه فقال تعالى: **يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيه الْوَسِيلَةَ**.... (سورة المائدة: ٣٥). هذه الآية الكريمة توجّه الخطاب إلى المؤمنين وتأمرهم باختيار الوسيلة للتقرب إلى الله عزوجل فإنّ من الواضح أنّ الإيمان أساس التقرب إلى الله عزوجل، والوسيلة هي كلّ ما يتقرّب به إلى الله عزوجل. وقد نقل ابن حجر المكي صاحب الصواعق عن الامام الشافعي وهو أحد أئمة أهل السنة والجماعة أنّه كان يتوسّل إلى أهل البيت عليهم السلام ويقول:

آل النبي ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غداً ... بيد اليمين صحيفتي

(التوصل إلى حقيقة التوسل: ص٣٢٩).

(١) وبعبارة أوضح: التوسل بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين المعصومين عليهم السلام والأنبياء والمرسلين وأولياء الله والصالحين من الوسائل المقربة إلى الله عزوجل، وإنّ التوسل بهم والخضوع والتواضع أمام عتباتهم المقدّسة التي تضمّ ثراهم مؤثّر في استجابة الدعاء كما روي أنّ الدعاء المقرون به لا يردّ (عوالي اللئالي ج٢: ص٣٨ ج٩٨).

وهؤلاء وسيلة إلى الله كما قال تعالى: **يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيه الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِه لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ** (سورة المائدة: ٣٥).

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي: قد ثبت التوسل به ـ بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله ـ في حياته

➔

الخامس والعشرون: ما زعمه من مسألة عقوبة الجاسرين على الثلاثة

➔

وبعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر بن الخطاب في توسله بالعباس... إنّ التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسّل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلاّ بأعماله، فإذا قال القائل: اللّهم إنّي أتوسّل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنّ النبي حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فلو كان التوسّل بالأعمال النافلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعم المتشدّدون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عن إنكار ما فعلوه، بعد حكايته عنهم

وبهذا تعلم أنّ ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى: **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ** ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبيّ عنه، فإنّ قولهم ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفىٰ مصرّح بأنّهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أنّ له قربة عند الله بحمله العلم فتوسّل به لذلك

وكذلك قوله ولا ندعوا مع الله أحداً فإنّه نهي عن أن يدعىٰ مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلاّ الله فإنّما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله: **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ** ... الآية. فإنّ هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسّل بالعالم مثلاً لم يدع إلاّ الله ولم يدع غيره معه

وإذا عرفت هذا لم يخف عليك ما يورده المانعون للتوسل من الأدلّة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه... (تحفة الأحوذي ج١٠: ص٢٥).

أقول: وفي ما ذكره غنىً للردّ على ابن تيمية، فلاحظ.

بالسَّب بمسخهم. فإنّه من عجائب كذبهم وتضليلهم[١] للغفلة، فقد عرفت

---

(١) فإنّ مذهب الشيعة الامامية وأتباع أهل البيت عليهم السلام قائم على الأدّلة والبراهين العقلية والنقلية، لأنّهم يتبعون في أصول دينهم وفروع الدين أئمة أهل البيت عليهم السلام، فلا يحتاجون إلى المواجهة السلبية وأساليب السبَّ والشتم وإن كان الطرف المقابل يستحقّ السبّ واللعن؛ ولكن حيث إنّ الشيعة لديهم أقوى الأدلّة على أحقّيتهم فإقامة البرهان يعتبر أقوى من جميع تلك الأساليب. ثمّ إنّ الشيعة الامامية يتبعون أئمة أهل البيت عليهم السلام في السلوك والآداب كما يتبعونهم في أصول الدين وفروعه، فقد ورد عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال عندما سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام: إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين (انظر نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٠٦).

فالشيعة الامامية مع وجود الدليل على جواز اللعن والسبّ لمن يستحقّه من الظالمين الذين لعنهم الله تعالى في القرآن الكريم وأنّهم لا حرمة لهم لكونهم متجاهرين بالفسق بل بظلم عظيم بحيث إنّ الظالم ومن صدر منه الفعل القبيح ليس له حرمة فيجوز لعنه و سبّه وذلك لما ورد عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قال: إذا رأيتم أهل البدع والريب من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا سبّهم و القول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس، ولا يتعلّمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة (الكافي ج٢: ص٣٧٥ ح ٤).

وقد ورد عن الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعين (عيون اخبار الرضا عليه السلام ج١: ص٩٦ ح ٢٧٠).

وقال الصدوق رحمه الله في عقائده: اعتقادنا في الظالمين أنّهم ملعونون والبراءة منهم واجبة قال الله عزوجل: **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّه كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّه عَلَى الظَّالِمِينَ ١٨ الَّذِينَ يَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ١٩** (سورة هود: ١٨ ـ ١٩).

←

➔

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: سبيل الله عزوجل في هذا الموضع علي بن أبي طالبعليه السلام، والأئمة في كتاب الله عزوجل: إمامان، إمام هدىٰ وإمام ضلالة، قال الله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا** (سورة الأنبياء: ٧٣) وقال عزوجل في أئمة الضلال: **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ٤٢** (سورة القصص: ٤١ ـ ٤٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله من ظلم علياً بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء من قبلي ومن تولّىٰ ظالماً فهو ظالم قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** (سورة الانفال: ٣٥) وقال الله عزوجل: **ا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** (سورة التوبة: ٢٣).

وقال عزوجل: **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** (سورة المائدة: ٥١)

وقال عزوجل: **وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** (سورة الممتحنة: ١٣) والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادعىٰ الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الامامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون ... (انظر كتاب الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق رحمه الله: ص١٠٢ ـ ١٠٣).

وقد ورد في تفسير علي بن ابراهيم القمي في تفسير سورة الأحزاب في اقتصاص غزوة بني قريظة قال: فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على حمار فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلامفقال: بأبي وأمي يا رسول الله لا تدن من الحصن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي لعلّهم شتموني؟ انّهم لو رأوني لأذلّهم الله، ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من

🡐

ممّا مضى بيانه ممّا دلَّ على كون من يسبّهم من الناس لم يسبّهم متابعة منه لهوىٰ نفسه، بل من حيث ورود الشريعة بذلك في حقّ تاركي سنّته ﷺ وفي حقّ المستحلّين من عترته ما حرَّمه الله وفي حقّ من أذلَّ من أعزّه الله وأعزّ من أذلَّه الله. وهو خبر الستّة الذي دلَّ على أنّ الله لعنهم ورسوله وكلُّ نبيّ مجاب[1]. فهل يتصوّر ثبوت عقوبة ما لمن سبَّ ولعن من سبّه الله

←

حصنهم فقال: يا أخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أتشتموني؟! إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم، فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن فقال: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، فاستحىٰ رسول الله ﷺ حتّى سقط الرداء من ظهره حياء مما قاله... الحديث...(تفسير علي بن إبراهيم القمي ج٢: ص١٨٩). والى غير ذلك من الروايات والآيات الدالة علىٰ جواز السبّ واللعن لمن يستحقّه، ولكن مع ذلك كلّه فإنّ جواز العمل لا يكون منافياً لعدم العمل به ولكونه أمراً غير محبوب عند مذهب الخصم، ولايخفى أنّ من له الأدّلة المقنعة يستدلّ على أحقّية اعتقاداته بالأدلّة التي هي حجة عند الخصم فلاوجه للعن والسبّ حيث يمكن أن يستعمل أسلوب الاحتجاج بدل الشتم واللعن لأنّ الحجة والدليل يجذب الناس بخلاف اللعن والسبّ فإنّهما يوجبان الاشمئزاز والتنفّر، فلاحظ.

(١) ما ذكره رحمه الله مضمون الرواية الصحيحة عند أهل السنة والجماعة فقد روى أكثر أئمة الحديث وجلّ علماء أهل السنة والجماعة هذا الحديث منهم الحاكم النيسابوري؛ فإنّه أخرج الحديث بأسانيد مختلفة وبعد نقل الحديث ذكر بأنّه صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

فأخرج الحديث في كتاب الإيمان، باب ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب بسنده عن عائشة انّها قالت: قال رسول الله ﷺ ستة لعنهم الله وكل نبيّ مجاب، المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت يذّل من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله والمستحل لحرم الله

←

←

والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله والتارك لسنتي (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٦) وأخرجه في كتاب التفسير بسنده عن الامام علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٥٢٥) وكذلك في كتاب التفسير أيضاً بسنده عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٥٢٥). وأخرجه الهيثمي بسنده عن عائشة (انظر مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦ و أيضاً بسنده عن عائشة ثم قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات وقد صححه ابن حبّان... (مجمع الزوائد ج٧: ص٢٠٥) وابن أبي عاصم بسنده عن عائشة (كتاب السنة: ص٢٤) وابن حبان بسنده عن عائشة (صحيح ابن حبان ج١٣: ص٦٠) والطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن عائشة (المعجم الأوسط ج٢: ص١٨٦) وفي معجمه الكبير بسنده عن عائشة (المعجم الكبير ج٣: ص١٢٧) والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٤٦ رقم ٤٦٦٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٦: ص٨٥ رقم ٤٤٠٢٤ و المناوي في فيض القدير ج٤: ص١٢٦ والآلوسي في تفسيره: ج٢٦: ص٧٣ والمزّي في تهذيب الكمال ج٤: ص٤٢٥ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٢: ص٥٩٣ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص٣٧٦ وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة: ص١٧٤و غيرهم ممن رووا هذا الحديث وصحّحوه. وقال الحاكم النيسابوري بعد نقل الحديث: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقال الهيثمي بعد نقل الحديث: إنّه رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وقد صححه ابن حبان وغيره فالحديث صحيح عند علماء أهل السنة والجماعة وبعد ثبوت صحة الحديث سنداً لا اشكال في أنّ المستحلّ لحرمة عترة النبي صلى الله عليه وآله يجوز لعنه وسبه؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: المستحلّ من عترتي ما حرّم الله ملعون على لسانه ولسان كلّ نبي مجاب. فإذا جاز لعن المستحل لحرمة عترة النبي صلى الله عليه وآله لجميع الأنبياء والمرسلين يجوز لجميع الناس لعنهم.

وقال المناوي: والمستحل من عترتي أي قرابتي ما حرم الله يعنى من فعل بأقاربي ما لا يجوز فعله من إيذائهم أو ترك تعظيمهم فإن اعتقد حلّه فكافر وإلاّ فمذنب وخصّهما باللعن

→

➔

لتأكيد حقّ الحرم والعترة وعظم قدرهما باضافتها إلى الله والى رسوله.... (فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٤: ص١٢٧).

وقال ابن حجر المكي: ورد عن النبي ﷺ: من سبّ أهل بيتي فإنّما يرتدّ عن الله والإسلام، ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني في عترتي فقد آذىٰ الله. إنّ الله حرّم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبّهم... (الصواعق المحرقة: ص١٤٣).

وبالجملة: فلا يرتاب ذو تحصيل في أنّ اللعن بالنسبة إلى من آذىٰ عترة النبي الاكرم ﷺ يستحقّ الثواب عليه إذ العمل يكون امتثالاً وطاعة لأمر رسول الله ﷺ والعمل يكون على وجه القربة. ولا شكّ أنّ المؤرخين بالإجماع ذكروا الهجوم علىٰ بيت الزهراء سلام الله عليها بأمر أبي بكر ومباشرة عمر بن الخطاب وكان في البيت أمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وهم عترة النبي ﷺ وقد تحقّق بذلك معنى المستحل من عترتي ما حرم الله.

وقد تكرر هذا الهجوم على بيت العترة الطاهرة لمحاولة اخراج الامام أمير المؤمنين عليه السلام إلى البيعة كما نص على ذلك المؤرخون من أهل السنة والجماعة وسنذكر الحديث في محله إن شاء الله تعالى

فهؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم ابن تيمية قد شاركوا في الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام فيشملهم حديث ستة.... أضف إلى ذلك ضرب الزهراء حبيبة رسول الله ﷺ وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وإلى غير ذلك من المصائب والنوائب التي أباحوها على أهل البيت عليهم السلام حتى انتهكوا حرمة ذلك البيت العظيم الذي نزل في شأنهم آية التطهير.

بل الأدلة التاريخية صريحة في أنّ هؤلاء قد كرّروا الهجوم على بيت الزهراء حتى بعد استشهاد فاطمة الزهراء وسنذكر الروايات الواردة في هذا المقام في محله إن شاء الله تعالى وعليه فلا مانع من لعنهم وسبّهم كما هو صريح الرواية، فلاحظ.

ورسوله وعامّة رسل الله ولعنوهم، مطيعاً لهم ومتّبعهم في ذلك[1]؟ فمن نظر

---

(١) وبعبارة أوضح: لو قام الدليل على اعتبار شيء وكان الدليل معتبراً عند جميع المسلمين كما لو كان الدليل آية من القرآن الكريم أو رواية من السنة النبوية الشريفة المتفق على اعتبارها عند جميع الطوائف الإسلامية فإنّه لا إشكال في صحّة الاحتجاج به والعمل بمضونه ومقتضاه.

فإنّ الله تعالى أمر في كتابه العزيز بولاية اوليائه الذين أوجب الله تعالى طاعتهم والانقياد لأمرهم فقال: تعال: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** (سورة المائدة: ٥٥) فبيّن تعالى في هذه الآية المباركة ولاية من تجب طاعتهم وهم الله ورسوله والمؤمن الحقيقي الذي أعطىٰ الزكاة في حال الركوع وهو منحصر في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبهذه الصورة فالآية تعتبر نصّاً قرآنياً يدل على ولاية وإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للمسلمين كافّة. وكما أمر الله تعالى بولاية أوليائه أمر أيضاً بعداوة أعدائه فقال تعالى: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** (سورة النحل: ٣٦).

وقال تعالى: **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ** (سورة المائدة: ٦٠). فإنّ الله تعالى أمر في هذه الآيات بالتبرّي عن أعدائه والطاغوت.

ومن هنا يعرف أنّه كما يسأل تبارك وتعالى عن ولاية أوليائه ومن تجب طاعتهم يسأل أيضاً عن التبرّي من أعداء الله ورسوله.

وعليه فإذا لعن الله تعالى أحداً أو لعنه الرسول يجب على جميع المسلمين أن يلعنوه وإلاّ سوف يكون في زمرة الملعونين كما قال النبي الاكرم صلى الله عليه وآله من تأثّم أن يلعن من لعنه

←

إلىٰ ما فعله الثلاثة ومتابعوهم من المشاقّات والمبتدعات ومخالفة نصوص الفرقان العظيم والسنن الصحيحة يعلم علماً يقيناً ليس يعرضه ريب بكذب دعوىٰ عقوبة من سبَّهم ولو بشوكة تشوكه وكبوة تعرض له، فكيف بمسخه! فتدبَّر في عدم إنصافهم وفي كيدهم للغفَلَة بهذه الدعوىٰ الكاذبة المخالفة لما عرفته[1].

الله فعليه لعنة الله (اختيار معرفة الرجال ج٢: ص ٨١١).

وخلاصة الكلام أنّه إذا ثبت أن الرواية الواردة عن النبي الاكرم ﷺ؛ ستة لعنهم رسول الله ﷺ وكلّ نبي مجاب الدعوة ... إلى اخر الحديث، حديث صحيح يلزم على جميع من صحّحه العمل به ومقتضى ذلك وجوب اللعن على من آذى أهل البيت عليهم السلام وإن كان من كبار الصحابة بل وإن كان خليفة المسلمين كمعاوية بن أبي سفيان الذي كان يعتبر نفسه خليفة المسلمين وكان يسبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويأمر الناس بسبه حتّى سنّ هذه البدعة بين الناس، فيجب على جميع المسلمين أن يلعنوه ويتبرؤوا منه لأنّه من الستة الذين لعنهم رسول الله ﷺ وكل نبي مجاب ممن استحل حرمة عترة أهل بيته عليهم السلام.

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ الخلفاء الثلاثة كانوا يجتهدون في مقابل النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة وقد خالفوا بذلك الدين وغيّروا به الأحكام. وإنّ عدد الأحكام التي غيرت وحرفت بسببهم خارج عن حدّ الإحصاء، لأنّ هؤلاء خالفوا الاسلام في جميع جهاتها وخالفوا الأحكام في جميع أبوابها. فإحصاء المخالفات التي صدرت منهم سواء كانت في حياة رسول الله ﷺ أو بعد وفاته كثيرة جداً لا يمكن إحصائها.

ونحن نذكر هنا بعض تلك الأعمال التي نقلها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما من باب المثال:

١ـ المورد الأول هو القتل والفتك

➔
فإنّ من الأحكام الضرورية في الشريعة الإسلامية حرمة الإنسان المسلم الذي يقرّ بالشهادتين ـ شهادة أن لا اله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ ـ فإهراق دمه واستباحة ماله حرام، ولا يحقّ لأحد التعرّض لهما إلا من الناحية الحقوقية الفردية.

قال النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا اله إلاّ الله، فمن قال: لا إله إلاّ الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله (صحيح البخاري ج٩: ص١٩ كتاب استتابة المرتدّين والمعاندين، باب قتل من أبىٰ قبول الفرائض).

وقد صرّح جميع المؤرّخون والمحدّثون والمفسرون أنّ بعد وفاة رسول الله ﷺ أبىٰ بعض المسلمين المعتقدين بوجوب أحكام الدين وضروريّاته كالزكاة والصلاة وغيرهما أن يدفعوا الزكاة إلى أبي بكر وذلك لأنّهم ما كانوا يعترفون بخلافة أبي بكر خلافة شرعية وقد حاربهم أبو بكر فقتل رجالهم وسبى نسائهم ولمّا رأوا فضاعة ما فعلوه عمدوا إلى إلباسه لباس الشرعية ليحصّنوا بذلك الخليفة من النقد والاستنكار ويبرؤونه من وصمة العار، فسمّوا مانعي دفع الزكاة المرتدين، وبذلك اشتهر على الألسنة محاربة المرتدين وصيّروا هذه الواقعة في قائمة الكفّار مثل سليمة الكذاب وطلحة اللذان حاربا الإسلام في عهد رسول الله ﷺ.

بينما الروايات والتأريخ يدفعان هذا الاتهام بالارتداد عن هذه الفئة المسلمة وينفيان عنهما الكفر وتبرّئ أولئك من هذه الفرية.

ومن الأحاديث التي تكشف عن واقعية هذه القضية و حقيقتها هو ما أخرجه البخاري ومسلم في كتابهما عند نقل هذه القضية ولو على نحو الموجز والخلاصة فقد أخرج الشيخان عن أبي شهاب، أنّه قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنّ أبا هريرة قال: لما توفّي النبي ﷺ واستخلف أبوبكر، و كفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبابكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلاّ الله فمن قال: لا اله إلاّ الله عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله؟؟

قال أبوبكر: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حقّ المال. والله لو منعوني
➔

➔

عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر: والله ما هو إلاّ أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحقّ (صحيح البخاري ج٢: ص ١١٠ كتاب وجوب الزكاة و ج٨: ص ٥٠ كتاب استتابة المرتدين وصحيح مسلم ج١: ص ٣٨ كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتّى يقولوا لا اله إلاّ الله).

أقول: إنّ الجملة الاولىٰ من هذه الحكاية «وكفر من كفر من العرب» كما يظهر من ظاهرها ليست إلاّ بيان نسبة الكفر إلى مانعي الزكاة؛ لأنّ المقصود به من كفر على زعم الخلفاء ومن حاربهم الخليفة بهذا التهمة والتمسوا بهذه النسبة ذريعة لتوجية أعمالهم القبيحة من القتل والغارات والتنكيل التي فعلوها بالمسلمين والتي وقعت بأمر الخليفة أبي بكر. وما يشهد علىٰ زيف دعواهم ما جاء في الفقرات الأخيرة من القصة التي نقلها البخاري وحين ورد في جواب أبي بكر لعمر بن الخطاب أنّه قال : إنّي أقاتل من فرّق بين الصلاة والزكاة.

هذه العبارة إنّما تدلّ بوضوح على إيمان من قاتلهم أبوبكر وإقامتهم للصلاة وليس فيها ما يدلّ على كفرهم، فإنّ الزكاة من فروع الدين وكثير من الناس لا يعطون الزكاة وهم يصلّون ويصومون، فهل يصح أن ينسب إليهم الكفر؟!

وقال الأستاذ محمد حسين هيكل: جمع أبوبكر كبار الصحابة يستشيرهم في قتال الذين منعوا الزكاة، وكان رأي عمر بن الخطاب و طائفة من المسلمين معه ألاّ يقاتلوا قوماً يؤمنون بالله ورسوله وأن يستعينوا بهم علىٰ عدوّهم، ولعلّ أصحاب هذا الرأي أكثر الحاضرين من الصحابة، في حين كان الذين أشاروا بالقتال هم القلّة. وأغلب الظّن أنّ المجادلة بين القوم في هذا الأمر البالغ الخطر طالت، واحتصمت أيّما احتدام فقد اضطرّ أبوبكر أن يتدخّل بنفسه في هذه الواقعة ويؤيّد القلة واشتدّ في تأييد رأيه في ذلك كما يدلّ على ذلك قوله: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه (كتاب الصديق أبوبكر لمحمد حسين هيكل: ٧٤).

←

➔
ونقل السيوطي قصة تشاور أبي بكر وبلاطه في تاريخ الخلفاء ص٧٤ وابن الأعثم الكوفي في الفتوح ج١: ص٦ـ ٢٢.

وقال ابن الأعثم: إنّ جملة (والله لو منعوني عقالاً...) قالها أبوبكر في جواب عمر عندما رآه يعارض فكرة قتال المسلمين (انظر الفتوح ج١: ص ٥٦). وعلى أيّ حال يتّضح ممّا ذكرنا عن المؤرخين والمحدّثين من كلام أبي بكر أنّ السبب الرئيسي وراء قتاله لمانعي الزكاة لم يكن ارتدادهم وإنّما هو عدم قبول شرعية حكومتهم ومن ثمّ عدم أداء الزكاة لهم. وذلك من جهة أنّهم كانوا يؤدون الزكاة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأرادوا أن يعطوا الزكاة إلى الخليفة الحقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولمّا امتنع مالك بن نويرة عن عليه السلام إعطاء الزكاة لهم هجموا عليهم بالعنف والإرهاب وقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم وأطفالهم.

قال ابن حجر في ترجمة مالك بن نويرة: وكان النبي صلى الله عليه وآله استعمله على صدقات قومه قبيلة بني نعيم (الإجابة لابن حجر ج٥: ص ٥٦٠).

نعم هكذا قتل الخليفة الصحابيّ الجليل الذي كان من المسلمين حقّاً، وخالف بذلك القرآن والسنة النبوية القطعية.

ولذلك لمّا مات أبوبكر وحلّ محلّه عمر بن الخطاب استنكر ما كان يراه أبوبكر صحيحاً، وأوّل عمل قام به أطلق سراح الأسرىٰ والسبايا وأرجعهم إلى قبائلهم.

٢ـ المورد الثاني غصب فدك وإيذاء البضعة الطاهرة فإنّ مسألة غصب أبي بكر فدك من فاطمة الزهراء سلام الله عليها وإيذائها وهو يعلم بأنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وإغضابها من المسائل المسلّمه عند المحدّثين والمؤرّخين وجميع الناس بلا نكير، حيث إنّ هذه القضية وردت في الصحيحين نقلاً عن عائشة بنت أبي بكر. ولابدّ لنا أن ندرس هذه القضية دراسة محققة كي يعرف الناس أنّ مدّعي الخلافة كان مبغوضاً عند رسول الله صلى الله عليه وآله بل كان مبغوضاً عند الله عزوجل، فيلزم على أهل السنة أن يعرفوا خليفتهم حق المعرفة، إذ أنّ مسألة غصب فدك لم تكن مسألة عادية. فيلزم علينا أن ندرس المسألة ولو على نحو الاختصار فنقول: إنّ الشيخين البخاري ومسلم أخرجا في صحيحهما بسندهما
➔

➔

عن عائشة أنّها قالت: إنّ فاطمة عليها السلام سألت أبابكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه. فقال أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث، ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت. وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر...

قالت: وكانت فاطمة عليها السلام تسأل أبابكر نصيبها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر وصدقته بالمدينة، فأبىٰ أبوبكر عليها ذلك (صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه صدقة).

وأخرجا أيضاً بسندهما عن عائشة قالت: إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمد عليهم السلام في هذا المال وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله. فأبىٰ أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئاً. فوجدتْ في ذلك فهجرتْه فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة أشهر فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبابكر، وصلّىٰ عليها. وكان لعليّ عليه السلام من الناس وجه حياة فاطمة عليها السلام فلمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه الناس (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله باب غزوه خيبر، وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ باب قول النبي صلى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقة).

فإنّ هذين الحديثين الذين أخرجهما الشيخان البخاري ومسلم في أعلىٰ حدّ الاعتبار عند أهل السنة والجماعة والمستفاد منهما الأمور التالية:

١ـ الظاهر من الحديث أنّ الصديقة الطاهرة عليها السلام أنكرت الحديث المزيّف الذي استند به أبوبكر لارتكاب جريمته، فانتقدت الزهراء عليها السلام ذلك بهجرانها إيّاه فهجر أبابكر ولم تكلّمه حتى توفّيت.

➔

←

٢ـ إنّ عدم تكلّم فاطمة أبابكر معناه أنّها كانت غاضبة علىٰ أبي بكر، ولذلك جاء بعد ذكر الهجران عدم التكلّم الدالّ على شدّة غضبها من أبي بكر.

٣ـ إنّ وصية دفنها ليلاً كانت من أجل عدم حضور أبي بكر في تشييعها وتدفينها، وهذا دليل آخر على شدّة غضب البضعة الطاهرة عليها السلام من أبي بكر.

ثمّ إنّ أبابكر هو الذي أمر عمر بن الخطاب وجلاوزته أن يهجموا علىٰ بيت الزهراء عليها السلام، وقد هجموا على ذلك البيت الرفيع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعظّمها ولا يدخلها إلاّ بإذن أهلها، وكان عمر بن الخطاب ومن ساعده على ذلك يعلمون عظمة ذلك البيت وشأن من يسكنها عند الله ورسوله، ويعرف ذلك من اعتراض الصحابة عليه حيث ورد في التاريخ عندما أمر عمر بن الخطاب بإحراق باب الدار قال له أحد مرافقيه: إنّ في البيت فاطمة فأجابه عمر بقوله: وإن (انظر تاريخ أبي الفداء ج١: ص٢١٩). وإن معناه إنّي أعلم عظمة هذا البيت وعظمة من يسكنها وإلاّ فلا معنى للتذكّر بأنّ في البيت فاطمة لأنّ كلّ أحد كان يعرف ذلك. فالذي يفهم منه أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يقول: وإن كان في البيت فاطمة و إن كان أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعرفهم حقّ المعرفة أي أعرف مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وما يقوله حقّ حيث إنّه لا ينطق عن الهوى بل ما يقوله وحي من الله عزوجل، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مع عظمته هذا قال في حقّ فاطمة: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله باب مناقب المهاجرين وفضلهم). بل يمكن أن يستفاد من جواب عمر: «وإن» أنّه أراد أن يقول: وإن كان في البيت فاطمة، وفي شأنها قد أنزل الله آية التطهير الدالّة على عصمتها و...

وخلاصة الكلام أنّ عمر بن الخطاب بهذه الكلمة أراد في الملأ العام أن يستحلّ حرمة الزهراء عليها السلام. وهذه الجريمة النكراء غير قابلة للإنكار، وحتّى صرّح علماء أهل السنة بأنّ الناس كانوا يعرفون قصد الخليفة من استباحة حرمة الزهراء عليها السلام. قال ابن أبي الحديد: سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة عليها السلام صادقة؟ قال:

←

نعم من يدّعي عقوبة من سبَّ علياً عليه السلام وغيره من العترة عليهم السلام صدق حتّى بمسخ السابّ لهم، من حيث ثبوت إمامتهم ووجوب طاعتهم ومحبّتهم. فمن لم يحبّهم ليس بمؤمن[1]، فما حال من يسبّهم بغضاً وحنقاً

←

نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك وهي عنده صادقة؟! فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة رعايته، قال: لو أعطاها اليوم بمجرد دعواها، لجائت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأنّه يكون قد سجّل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة وشهود وهذا الكلام صحيح وأياً كان أخرجه مخرج الدعاية والهزل (شرح نهج البلاغة ج١٦: ص٢٢٠).

هذا نموذج من أقوال علماء أهل السنة والجماعة وفيه غنى وكفاية حيث إنّ العلة فيه واضحة، والخبير لو درس التأريخ والروايات الواردة في هذا المجال يذعن بأنّ الخلفاء الثلاثة كانوا يخالفون النصوص القرآنية والسنة النبوية ليسيطروا على الناس حيث إنّهم كانوا يزعمون أن لو استعملوا القوة القهرية ضد أهل البيت عليهم السلام الذين أوجب الله تعالى مودّتهم وولايتهم وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً مع تأكيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على عظمتهم؛ فإذا استحلوا حرمتهم فلا أهميّة لمعارضة بقية المسلمين حيث كانوا يعلمون بأنّ أهل البيت عليهم السلام أولى من جميع الناس فإذا قُهروا فلا معارض لهم في السلطنة والحكومة، وعند استقرار أمرهم والوصول إلى آمالهم أرادوا إمحاء الإسلام من أصله وطمس السنن النبوية وآثاره الشريفة كما فعل ذلك يزيد في العلن، فلاحظ.

(١) من الواضح أنّ الأدلّة صريحة في أنّ من سبّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد سبّ الله. فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من

←

➔

سبّ علياً فقد سبّني (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٢٢٣) و أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ثم قال بعد ذكر الحديث هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٣: ص١٢١).

وأخرج الحاكم بسنده عن أبي عبد الله الجدلي أيضاً قال: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتّبعتهم فدخلوا علىٰ أم سلمة زوجة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف لبيك يا أمتاه قالت: يسبّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في ناديكم؟ قال: وأنّىٰ ذلك، قالت: فعليّ بن أبي طالب؟ قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإنّي سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١). و رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٠ والنسائي في سننه الكبرىٰ ج٥: ص١٣٣، وغيرهم.

ومن هنا نقول: إنّه لا مانع من القول بأنّ سابّ الله ورسوله يكون ممسوخاً حيث قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يجر في بني اسرائيل شيء إلاّ ويكون في أمّتي مثله حتى المسخ و الخسف والقذف (سنن ابن ماجة ج٢: ص٥٠٢).

وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الأمّة قردة وخنازير (سنن ابن ماجة ج٢: ص٤٨٩).

والنتيجة: فإنّ من يسبّ الامام المعصوم أو يسبّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أو يسبّ الله عزوجل يكون مشمولاً لقوله تعالى: **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** (سورة المائدة: ٦٠) حيث إنّ فعلهم موجب لغضب الله وسخطه وكان عليه من الوزر مثل من جعلهم الله قردة وخنازير إذ أنّ هذا النوع من الغضب يستوجب هذا العذاب كما صرّحت بذلك الآية الشريفة.

وفي الحقيقة إنّ أساس هذا الفعل الكفر بالله والبعد عن رحمة الله وأوليائه لأنّ معنى اللعنة: البعد عن رحمة رب العالمين فمن يسبّ الله يكون محارباً له وكذلك من يسب ولي الله

🡐

عليهم؟ فالمناسبة في المقام موجودة دون مقام الثلاثة المبتدعة، فإنّ من

➔

فإنّه موجب لغضب الله فهو في زمرة المغضوبين وموجب لخروجه عن شكل الإنسان الحقيقي سواء كان التغيير في الشكل من جهة الصورة الجسمية أو التغيير من جهة الفكر والعقيدة و الأخلاق.

وأيضاً مشمولاً لقوله تعالى: **وَمَنْ أَظْلَمُ ممّن افْتَرَى عَلَى اللّه كَذبًا أُوْلَئكَ يُعْرَضُونَ عَلَى ربّهمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الّذينَ كَذَبُواْ عَلَى ربّهمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّه عَلَى الظّالمينَ ١٨ الّذينَ يَصُدّونَ عَن سَبيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بالآخرَةِ هُمْ كَافرُونَ ١٩** (سورة هود: ١٨ـ ١٩).

والمراد من الأشهاد هم الأنبياء الذين يشهدون أعمال الناس، لأنّ الله تعالى يقول في سورة النساء: **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا من كُلّ أمّة بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا** (سورة النساء: ٤١).

وفي الحقيقة إنّ القرآن يبين حقيقة صورة من يحارب الله ورسوله فيبين تعالى صورتهم الخبيثة بأشدّ أنواع الخبث واللئم في الدنيا والآخرة وطردهم من رحمة الله من أجل سوء أعمالهم في هذه الدنيا ويوم القيامة يأتون ووجوههم مسودّة. سوّد الله وجوههم في الدنيا والآخرة.

وبهذا يتّضح أنّ من يسب أو يلعن ولياً من أولياء الله فهو محارب لله لأنّه يريد الصدّ عن الرشد والصدّ عن سبيل الله ومعناه أنّه في الدرجة الأعلى من العداء لله ورسوله كما قال تعالى: **هَلْ أُنَبّئُكُم بشَرّ مّن ذَلكَ مَثُوبَةً عندَ اللّه مَن لّعَنَهُ اللّهُ وَغَضبَ عَلَيْه وَجَعَلَ منْهُمُ الْقرَدَةَ وَالْخَنَازيرَ وَعَبَدَ الطّاغُوتَ أُوْلَئكَ شَرّ مّكَاناً وَأَضَلّ عَن سَوَاء السّبيلِ** (سورة المائدة: ٦٠).

وعليه فمن سب الامام المعصوم فهو في زمرة من غضب الله عليه ومن غضب الله عليه فهو في أسفل الدرك من الحجيم.

أوثق عرى التقوى الحبّ في الله والبغض في الله[١].

---

(١) والوجه فيما أفاده ﷺ واضح؛ لأنّ حبّ الله من علامة الإيمان الصادق ومن شرائط الايمان الحب لله كما أن البغض في الله يكون كذلك قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّه** (سورة البقرة: ١٦٥) فإنّ الله تعالى هو مصدر كلّ الكمالات، فمن أدرك حب الله فهو الانسان الكامل؛ لأنّ محبوبه متصف بجميع الكمالات ومن يريد الوصل إلى الكمال فلابد أن يحبّ الكمال ويعشقه.

فالمؤمنون الذين يحبّون الله ولا يفكرون بغير رضاه لابدّ لهم أن يحبوا من يحبّه الله ولا يرتدّوا عن ذلك قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (سورة المائدة: ٥٤).

هذه الآية الكريمة جاءت بقانون عامّ يحمل إنذاراً لجميع المسلمين فأكّدت على أنّ من يرتدّ عن دينه فلن يضرّ الله شيئاً بارتداده؛ لأنّ الله تعالى كفيل بإرسال من لديه الاستعداد في حماية الدين الحقّ، فإنّ الحماة الذين يتحمّلون مسؤولية الدفاع عن الدين لهم الخصوصيات التالية:

١ـ إنّهم يحبّون الله ولا يفكّرون بغير رضاه فالله يحبّهم وهم يحبّونه كما تقول الآية يحبهم ويحبونه.

٢ـ فهم أشداء وأقوياء على الكفار لقوة إيمانهم وبذلك يكون لهم العزّة على الكافرين.

٣ـ إنّ شغلهم الجهاد في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم لأنّ من يسلك طريق الحق لا يعتني إلى من يلومه على ذلك ويعرف أن هذا الطريق هو الطريق السالم الذي يوصله إلى المقصود فلا يخاف أحداً ولا يفكّر إلاّ برضا الله سبحانه. فإنّ البغض في الله والحب في الله من الايمان بل ورد في بعض الروايات حصر الايمان بهما فقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ أخفى من دبيب

←

➔

الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحبّ على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل، و هل الدين إلاّ الحب والبغض؟ قال الله عزوجل: **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ** (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص٢٩١) وقريب من هذه الرواية ورد في الكافي بسنده عن فضيل بن يسار قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض، أمن الايمان هو؟ فقال: وهل الإيمان إلاّ الحبّ والبغض ثمّ تلا هذه الآية: **حَبّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ** (الكافي ج٢: ص١٢٥ ح٥).

وروى الكليني أيضاً بسنده عن يزيد بن معاوية قال: كنت عند أبي جعفر الباقر عليه السلام في فسطاط له بمنى فنظر إلى زياد الأسود منقلع الرجل فرثى له، فقال عليه السلام له: ما لرجليك هكذا؟ قال: جئت على بكر لي نضو فكنت أمشي عنه عامة الطريق فرثى له وقال له عند ذلك زياد: إنّي ألمّ بالذنوب حتّى إذا ظننتُ أنّي قد هلكت ذكرتُ حبّكم فرجوت النجاة وتجلّى عنّي فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الدين إلاّ الحب، قال الله تعالى: **حَبّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**. وقال: **يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**. إنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله أُحبّ المصلّين ولا اصلّي وأحب الصوّامين ولا أصوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت. وقال: ما تبغون وما تريدون أما إنّها لو كان نزعة من السماء فزع كلّ قوم إلى مأمنهم وفزعنا إلى نبينا وفزعتم إلينا (الكافي ج٨: ص٧٩).

وقال المنادي في شرح قول رسول الله صلى الله عليه وآله هل الدين إلا الحبّ والبغض في الله، أنّ القلب لابدّ له من التعليق بمحبوب فمن لم يكن الله وحده له محبوبه ومعبوده فلابدّ أن يتعبّد قلبه لغيره وذلك هو الشرك المبين، فمن ثمّ كان الحبّ في الله هو الدين... (فيض القدير ج٤: ص٢٢٩).

والنتيجة أنّ المستفاد من الأدلّة كتاباً وسنة أنّ سبَّ وليّ من أولياء الله أو نبيّ من أنبياء الله،

←

➔

يخرج الإنسان من الدين، بل هو مشرك و عليه فإنّ من سبّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام أو من كان يبغض المولى فهو مشرك لأنّ حبّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام علامة الايمان وبغضه علامة الكفر والنفاق كما ورد في الحديث المتفق عليه بين جميع المسلمين. فبناءً على قول المناوي إنّ سبّ الامام أميرالمؤمنين عليه السلام موجب لغضب رب العالمين، ومن غضب عليه الله فهو مشرك وكافر، فلاحظ.

قال السنّيّ:

وأمّا قوله عن أهل السنّة إنّهم يقولون: إنّ النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لـم يـنصّ على إمامة أحد، وإنّه مات عن غير وصيّة، ففيه: أنّه ليس ذلك قول جميعهم، فقد ذهبت فرقٌ من أهل السنّة إلى أنّ إمامة أبي بكر تثبت بالنصّ.

قال ابن حامد: والدليل على إثبات ذلـك بـالنصّ أخبـار، مـن ذلـك مـا أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة إلى النبـيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأمرهـا أن ترجع اليه، قالت: أرأيت إن أتيت فلم أجدك ـ كأنّها تريد الموت ـ قـال: إن لم تجديني فأت أبابكر. قال: وحديث سفيان عـن عبـد الملـك بـن عمير عن ربعي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اقتدوا بالذَين مـن بعدي أبي بكر وعمر.

وأسند البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قـال بينـا أنا نائم رأيتُني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثـمّ أخـذها ابـن أبي قحافة، فنزع منها ذَنوباً أو ذَنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر لـه ضـعفه، ثمّ استحالت غرباً فأخذها عمر بن الخطاب، فلم أر عبقريّـاً مـن النـاس ينـزع

نزع عمر حتى ضرب الناس بعَطَن. قال: وذلك نصّ في إمامتهما.

وفي مسند أحمد عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: أيّكم رأى رؤيا؟ فقلت: أنا يا رسول الله؛ كان ميزانا دلّي من السماء فوزنتَ أنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ثمّ وزن أبوبكر بعمر فرجح أبوبكر بعمر ثمّ وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثمّ رفع الميزان. فقال النبيّ ﷺ: خلافة نبوة ثمّ يوتي الله الملك من يشاء.

قال وأسند السجستاني عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: رأى الليلة رجل صالح أنّ أبابكر ينطّ برسول الله وينطّ عمر بأبي بكر وينطّ عثمان بعمر. قال جابر: فلمّا قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أمّا الصالح فرسول الله وأمّا نوط بعضهم ببعض فهم خلفائه.

قال: ومن ذلك حديث صالح ابن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ: اليوم الذي بدئ فيه فقال لي ادعي لي أباك وأخاك حتّى أكتب لأبي بكر كتاباً. ثمّ قال: يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر. وهو مرويّ في الصحيحين. وذكر أحاديث تقديمه في الصلاة وأحاديث أخر لم أذكرها لكونها ممّا لم يثبته أهل الحديث.

واختار ابن حزم في كتابه الفصل ذلك لدليلين أحدهما إطباق الناس كلّهم وهم الذين قال الله فيهم: **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ**. فقد اتفق المهاجرون الذين سمّاهم الله صادقين

وجميع إخوانهم من الأنصار على أن سمّوهم خليفة رسول الله ﷺ.

ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه الغير، يقال: استخلفه فهو خليفة، فإن خلفه دون أن يستخلفه يقال: هو خالف. ومحال قصدهم بذلك جعله خليفة في الصلاة، لوجهين ضروريّين: أحدهما أنّه لم يستحقّ أبوبكر هذه التسمية مطلقة على حياة رسول الله ﷺ، وهو حينئذٍ خليفة، فصحّ يقيناً أنّ ذلك غير نيابته في الصلاة.

والثاني أنّ كلّ من استخلفه رسول الله ﷺ كعليّ في غزوة تبوك وابن أم مكتوم في غزوة الخندق وعثمان في غزوة ذات الرقاع ومن استخلفه باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحقّ أحد منهم باتفاق المسلمين التسمية بخليفة رسول الله ﷺ. فصحّ يقيناً بالضرورة أنّ المقصود بها أنّه الخليفة على أمّته من بعده.

وذكر خبر المرأة، وخبر عائشة المتقدّمين، ثمّ قال: واحتجّ من قال لم يستخلف، بالخبر المأثور عن عمر أنّه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي، يعني أبابكر، وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير منّي يعني رسول الله ﷺ. وبما روي عن عائشة أنّها سألت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قال: ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذي ذكرنا عنهم والحديثان الصحيحان المرفوعان إلى رسول الله ﷺ بمثل هذين الخبرين الموقوفين على عمر وعائشة ممّا ليس بحجّة. وقد خفي الخبر على عمر كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ.

ومثله القول في خبر عائشة. وإنّما الحجّة في نقلهما دون قولهما.

انتهى بعد حذف حشوه.

وقال السنّي بعد نقله له: وحينئذٍ فقد بطل قول الشيعي في أهل السنّة بأنّهم يقولون: بعدم النصّ، فإنّه لم يقل ذلك جميعهم بل قاله بعضهم. فإن كان حقّاً فقد قاله بعضهم، ولو كان الحقّ نقيضه فقد قال ذلك بعضهم فعلى التقديرين لم يخرج الحقّ منهم. ولو قدر أنّ القول بالنصّ هو الحقّ، لم يكن بذلك حجّة للشيعة، فإنّ جماعة قالت بالنصّ البيّن الجليّ على العباس و ولده إلى يوم القيمة، وأنّ الناس قد كفرت بأن جحدت النصّ عليه. ومنهم من قال بالنصّ الخفيّ مثل ما قاله الشيعة في النصّ على عليّ، فإنّ إماميّتهم تقول بالنصّ صريحاً عليه، والزيدية تخالفهم في ذلك. فدعوى النصّ من الشيعة مثل دعوى غير هم على العباس وغيره من بني هاشم وغيرهم. ونقل ذلك السني عن ابن حزم، ثمّ نقل عن الحسن البصري دعوى النصّ على أبي بكر، وقال عند الحسن النصّ عليه؛ أمره بالصلاة خلفه. ونقل عن عبد الله بن جعفر أنّه قال: ولينا أبوبكر فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا، قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف أبابكر. ثمّ قال بأنّ القائلين بإمامة أبي بكر نصّاً مختلفون، منهم من قال بالنصّ الجليّ مستدلّين بتسمية الصحابة له بخليفة رسول الله، وذكر مناقشة غيرهم لهم بأنّ الخليفة يقال على من خلف غيره ولو لم يستخلفه وعلى من استخلفه غيره ومنهم من قال بأنّ النصّ هو ما مرّ نقله ومثل قوله صلى الله عليه وآله في الصحيح على منبره لو كنت متّخذاً من الأرض خليلاً لاتّخذت أبابكر خليلاً لا تبقين في المسجد خوخة إلا سدّت إلا خوخة أبي بكر.

وعن سعيد بن جهمان عن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثمّ يؤتي لله ملكه من يشاء، قال سعيد: قال لي سفينة: أمسك مدّة أبي بكر سنتان وعمر عشر وعثمان اثنتي عشر وعلي كذا. قال سعيد: قلت لسفينة: إنّ بني مروان يزعمون أنّ علياً لم يكن بخليفة. قال: كذبت أستاه بني الزرقاء. فهذه وأمثالها ممّا يستدلّ به من قال بالنصّ على أبي بكر[1].

(١) انظر منهاج السنة ج١: ص ٢٨٦ ـ ٥١٥.

قلت:

هذه النبذة قد نقلناها بأدلّتها بعد حذف ما ليس له دخل بمقصد السّني من ردّه على الشيعيّ. وفيها من العجائب ما نبيّنه بوجوه تبصرة للغفلة عن حقيقة الحال.

أحدها: ما زعمه من كون القول بعدم النصّ ليس قول جميعهم، فإنّه عجيب منه[1]!

---

(١) لا يخفى على الخبير الباحث في الكتب الإسلامية أنّ الإمامة والخلافة عند أهل السنة والجماعة من شؤون الدنيا، فهي أشبه شيء بسياسة وقتيّة زمنيّة يقودها الحاكم المتسلّط على الناس، وإن لم تكن إمامته بالنصّ أو الإجماع. قال الماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠: الإمامة موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها...(الأحكام السلطانية: ص٥).

وقال القاضي الإيجي المتوفّى سنة ٧٥٦: إنّ طريقه إمّا النصّ أو الإجماع، أمّا النصّ فلم يوجد.. (المواقف ج٣: ص٥٩٦).

وقال أيضاً إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يتمّ عليه دليل من العقل، أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ و العقد كاف، لعلمنا أنّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك لعقد عمر لأبي بكر وعقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمّة.... (المواقف ج٣: ص٥٩٠ ـ ٥٩١).

وقال إمام الحرمين الجويني المتوفّى سنة ٤٧٨: اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمّة على عقدها والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي

←

➔
بكر، ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة لم يثبت عدد معدود، ولا حدّ محدود. فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحدٍ من أهل الحلّ والعقد... (الإرشاد للجويني: ص٤٢٤).

وقال القرطبي المتوفّى سنة ٦٧١ هـ: فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد. دليلنا أنّ عمر بن الخطاب عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك... (تفسير القرطبي ج١: ص٢٦٠).

وقال الإسفرائيني المتوفّى سنة ٤٠٦: وتنعقد الإمامة بالقهر والاستيلاء و لو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً... (إحقاق الحق ج٢: ص٣١٧ نقلا من كتاب الجنايات للإسفرائيني)

وقال التفتازاني المتوفّى سنة ٧٩١: وتنعقد الامامة بطرق: أحدها: بيعة أهل الحلّ والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسّر حضورهم، من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من في سائر البلاد، بل لو تعلّق الحلّ والعقد بواحد مطاع كفت بيعته.

الثاني: استخلاف الإمام، وجعله الأمر شورىٰ بمنزلة الاستخلاف، إلاّ أنّ المستخلف عليه غير متعيّن، فيتشاورون ويتّفقون على أحدهم، واذا خَلَع الإمام نفسه كان كموته، فينتقل الأمر إلى ولي العهد.

الثالث: القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدّى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف، وقهر الناس بشوكته، انعقدت الخلافة له، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر (شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٢).

وقال الشربيني: والطريق الثالث، يكون باستيلاء شخص متغلّب على الإمامة جامع للشروط المعتبرة في الإمامة على الملك بقهر و غلبة بعد موت الإمام لينظم شمل المسلمين. أمّا الاستيلاء على إمامة الخليفة الحيّ ففيه أمران: فإن كان هذا الخليفة الحيّ متغلّباً بمعنى أنّه وصل إلى الخلافة عن طريق الغلبة والقهر انعقدت إمامة المتغلّب عليه، وإن كان إماماً
➔

أمّا علم بقوله سبحانه: **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ**[(١)]؟ فإنّ القائل بذلك

←

ببيعة أو بعهد الإمام السابق لم تنعقد إمامة المتغلّب عليه (مغني المحتاج ج٤: ص١٣١ ـ ١٣٢).

وقال البهوتي: قال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه إماماً، برّاً كان أو فاجراً.... (إلى أن قال): فإن قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدّم نصّه في رواية عبدوس (حاشية ردّ المختار ج١: ص٥٩١). وإلى غير ذلك مما ورد في كتبهم في باب الإمامة والطرق التي ذكرها علماء أهل السنة لانعقاد الإمامة لمن يرونه صالحاً لهذا المقام الرفيع وهو مقام خلافة النبي صلّى الله عليه وآله.

وخلاصة الكلام: أنّ الطرق التي تنعقد بها الإمامة والخلافة عندهم ليست معيّنة بشيء من القرآن و السنة النبوية، وإنّما هي نفس عمل الخلفاء الذين تقلّدوا الملك والإمارة. فمرّة انعقدت الإمامة بشخص واحد من الصحابة وهو عمر بن الخطاب الذي عقد الإمامة لأبي بكر، ومرّة عن طريق الاستخلاف وذلك لأنّ أبابكر استخلف عمر، ومرّة بالشورىٰ لأنّ عمر جعل الشورىٰ، وثالثةً بالإجماع لأنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قام الإجماع على إمامته، ومرّة بالقهر والغلبة لأنّ معاوية استولىٰ على الحكم بالقهر والغلبة. فهذه الطرق طرق تعيين الإمام عندهم. وإن كان هناك تعيّن بطرق أخرىٰ فتكون أيضاً مشروعة عندهم وذلك لأنّ الدليل عندهم ما حدث في التأريخ لا القرآن والروايات الواردة في المقام.

والمهمّ أنّ الإمامة عندهم حكم سياسي لقائد غلب على الناس كائناً من كان وإن كان فاسقاً متجاهراً بالفسق! فلاحظ.

(١) (سورة التوبة: ٣٠) ويستفاد من هذه الآية الكريمة أنّ النصارىٰ قد رسخ فيهم جذور الشرك من الوثنيين الذين كانت لهم عقائد خرافية واهية، فنسبوا إلى الله تعالى الابن

←

➔

وجعلوا لله ولداً قال الله تعالى: **قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** (سورة البقرة: ١١٦) وقال تعالى: **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢** (سورة مريم: ٨٨ ـ ٩٢) فهذه الآيات وغيرها تصرّح مؤكّداً على أنّ الاعتقاد باتخاذه تعالى ولداً اعتقاد باطل خرافيّ وأصله من المشركين، فحذّر تعالى أهل الكتاب من التقليد العمياء لآبائهم المشركين والجهلة من أسلافهم لئلا يرسخ إليهم الجذور المنحرفة من المشركين إلى دينهم. وأيضاً اليهود من أهل الكتاب قد رسخت فيهم هذه العقيدة الباطلة وقالوا عزير ابن الله، كما أنّ النصارىٰ رسخت فيهم هذه العقيدة وقالوا المسيح بن مريم ابن الله، فكانوا يضاهئون قول المشركين الوثنيين الذين اتخذوا ولداً لله سبحانه. وكانوا يقولون إنّ الملائكة بنات الله. فاستنكر عليهم الله تعالى هذه العقيدة فقال تعالى: **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا** (سورة الاسراء: ٤٠).

فنزّه تبارك وتعالى نفسه من هذه الأكاذيب الخرافية و الادعائات الباطلة، وحذّر أهل الكتاب من أن يميلوا إليهم ولكنّهم لم يصانوا أنفسهم من التحريف والضلال فقد رسخ فيهم جذور الشرك.

وهذا التحذير عامّ لأتباع جميع الأديان حتّى المسلمين. وقد حذّرهم الله تبارك وتعالى من هذه الأفكار والأوهام وخطورتها، ولكن أيادي التحريف من الأمم السابقة كانت فعّالة. وقد أخبر تعالى بذلك كما أنّ النبي ﷺ أخبرنا بأنّ أمّته سيحذون حذو النعل بالنعل من اليهود والنصارىٰ، كما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما. وإليك ما أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ليأتينّ على أمّتي ما أتىٰ على بني اسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل .... (المستدرك على الصحيحين ج ١: ص١٢٨).

➔

➔

وأخرج أيضاً بسنده عن عوف بن زيد عن أبيه عن جدّه قال: كنّا قعوداً حول رسول الله ﷺ في مسجده، فقال: لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذنّ مثل أخذهم إن شبراً فشبر وإن ذراعاً فذراع وإن باعاً فباع، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ دخلتهم فيه. ألا إنّ بني اسرائيل افترقت على موسىٰ على إحدىٰ وسبعين فرقة كلّها ضالة إلاّ فرقة واحدة؛ الإسلام وجماعتهم. وإنّها افترقت على عيسىٰ ابن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلّها ضالة إلاّ فرقة واحدة؛ الإسلام وجماعتهم. ثمّ إنّهم يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلّها ضالة إلاّ فرقة واحدة؛ الإسلام وجماعتهم (المستدرك على الصحيحين ج١: ص١٢٩).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتّى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارىٰ قال: فمن؟ (صحيح البخاري ج٨: ص١٥١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺلتتبعنّ سنن من كان قبلكم) وأخرجه مسلم في صحيحه ج٨: ص٥٧ كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارىٰ. والى غير ذلك من الروايات التي تدلّ بالصراحة على أنّ النبي الأكرم ﷺ حذّر أمّته من الوقوع في الضلال والفتن والانحراف، وأخبر بأنّ أمّته سينحرفون ويضلّون من بعده، ويتّخذون سنن اليهود و النصارىٰ، أي كما أنّ المشركين قد رسخوا في اليهود و النصارىٰ وبثّوا عقائدهم فيهم بحيث إنّ اليهود انحرفوا عن الدين وقالوا: إنّ عزيراً ابن الله، وكذلك النصارىٰ قالوا: المسيح ابن الله، فكذلك المسلمين انحرفوا عن أصل الإسلام، وإن كان أصل الإسلام عند أهل البيت عليهم السلام الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ وأمر المسلمين أن يتمسّكوا بهم وبالقرآن معاً لئلا يضلّوا وينحرفوا ولكن مع الأسف الأمّة انحرفت عن أصل الإسلام كما أخبر النبي الأكرم ﷺ بذلك واتبعوا الجاهلية الأولىٰ، وقد حكم عليهم بنو أمية الذين حاربوا الإسلام في حياة النبي الأكرم ﷺ وبعد وفاته رسخوا في المسلمين وأرادوا بذلك تغيير الإسلام وتحريفه وإبادته.

منهم جماعة باتّفاق أرباب التفسير[١]، بل وقد نصَّ هو على ذلك في مقدّمة

---

(١) لقد اتّفقت كلمات المفسّرين من علماء أهل السنة والجماعة على أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم ينصّ على إمامة أحد بعينه وترك الأمر إلى أمّته.

فالمفسّرون وغيرهم من علماء أهل السنة وإن ذكروا أنّ الروايات الواردة في تفسير آية البلاغ وآية إكمال الدين وآية الولاية وآية التطهير وغيرها من الآيات التي نزلت بشأن إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام وهي دالّة على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام ولكن لم يقبلوا دلالتها، وإن كانت دلالتها على الإمامة واضحة وصريحة إلاّ أنّ التعصّب الأعمىٰ دفع هؤلاء إلى عدم التسليم للحقّ وقبول دلالة الروايات الدالّة على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل والأئمة الطاهرين عليهم السلام خلفاء النبي وأوصيائه صلى الله عليه وآله، فادّعوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم ينصّ على إمامة أحد، بل ذهبوا إلى القول بالخلافة الظاهرية لأبي بكر والخلفاء الثلاثة في مقابل النصوص الصريحة الصحيحة عندهم. وذلك لأنّ الصحابة قد اتخذوا هذا الموقف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله! فكأنّما فعل الصحابة عندهم مقدّم على القرآن والروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعلى أيّ حال: فإنّهم صرّحوا في التفاسير بأنّ الإمامة عندهم من شؤون الدنيا وطريقها انتخاب الأمة واجتهادهم. لاحظ تفسير القرطبي ج١: ص٢٢٦ والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج٢: ص ٢٩٠ وتفسير الآلوسي ج٦: ص١٩٥ وأحكام القرآن للجصاص ج١: ص٨٣ و ص٥٤٨ و ج٢: ص٢٦٥و تفسير السمعاني ج٤: ص٣٦ وتفسير البغوي ج١: ص١١٢ وتفسير ابن العربي ج٤: ص ١٥٠ ـ ١٥٣ وتفسير الفخر الرازي ج٣: ص١٤٧ و ج٤: ص٤٤ـ ٤٨ وتفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ج٣: ص٢٩١ وتفسير التبيان لابن قيم الجوزية: ص٥٥ وتفسير ابن كثير الشامي ج١: ص٧٥ وتفسير البرهان للزركشي ج٣: ص٢٥٦ وتفسير الثعالبي ج١: ص١٠٥ وتفسير أبي السعود ج١: ص١٥٥ ـ ١٥٩ وفتح القدير للشوكاني ج١: ص١٢٨ وأضواء البيان للشنقيطي ج١: ص٢١ ـ ٢٢ وغيرها من كتب التفسير والحديث والتاريخ و التراجم وعلم الكلام، فإنّها مليئة بما ذكرناه في

←

مجموعة، في مقام نسبته إلى الشيعة جملة من المزخرفات[١]. كيف والقائل بعدم النصّ جمهور من تسمّىٰ بأهل السنّة؟

قال النووي في منهاجه: أجمع المسلمون على أنّ الخليفه متى حضره مقدّمات الموت وقبل ذلك يجوز له أن يستخلف ويجوز له تركه. فإن تركه فقد اقتدى بالنبيّ ﷺ وإن لم يتركه فقد اقتدى بأبي بكر[٢]. قاله في بيان قول عمر فإنّ أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي ... الخبر[٣].

وقال: وفيه دليل أنّ النبي ﷺ لم ينصّ على خليفة. وهو إجماع أهل السنة وغيرهم، قال القاضي عياض: وخالف في ذلك بكر ابن أخت عبدالواحد فزعم أنّه نصّ على أبي بكر، وقال ابن الراوندي: نصّ على العباس وقالت: الشيعة على علي عليه السلام....[٤] انتهى نقل محلّ الحاجة من

➔

المقام، فلاحظ.

(١) انظر مجموع الفتاوىٰ ج١: ص٩ـ ١٧ (مقدمة الكتاب).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٥.

(٣) هذه العبارة من رواية ابن عمر التي رواها مسلم في صحيحه، وإليك نصّ الحديث: عن ابن عمر قال: حضرت أبي حين أصيب، فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيراً، فقال: راغب وراهب، قالوا: استخلف، فقال: أتحمّل أمركم حيّاً وميتاً؟! لوددت أنّ حظّي منها الكفاف لا عليّ ولا لي فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي «يعني أبابكر» وإن أتركم فقد ترككم من هو خير منّي رسول الله ﷺ. قال عبد الله: فعرفت أنّه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف (صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

مقاله.

فعلم كونهم مجمعين على عدم النصّ. ومخالفة هذين الرجلين[١] حادثة ولو تابعهما على ذلك جماعة[٢].

---

(١) والمقصود بالرجلين أحدهما ابن حامد وهو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان الورّاق البغدادي الحنبلي المتوفىٰ سنة ٤٠٣ وكان من شيوخ الحنابلة وله مصنفات منها كتاب الجامع (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج١٧: ص٢٠٣ رقم ١١٦ وتاريخ بغداد ج٧: ص٣١٣ رقم ٣٨١٦ والأعلام للزركلي ج٢: ص١٨٧.

وثانيها: ابن حزم وهو أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي وكان جدّه يزيد من موالي يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأندلسي القرطبي وله مؤلفات منها كتاب الملل والنحل والمحلّىٰ وطوق الحمامة ومداواة النفوس وغيرها (انظر سير أعلام النبلاء ج١٨: ص١٨٤). وكان ابن حزم كثير الوقوع في العلماء لا يكاد أحد يسلم من لسانه حتّى قيل في حقّه: كان لسان ابن حزم وسيف الحجّاج بن يوسف الثقفي شقيقين (انظر وفيات الأعيان لابن خلّكان ج١: ص١٦٩). فنفرت منه القلوب فتمالأوا على بغضه وردّوا قوله و أجمعوا على تضليله وحذّروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنوّ إليه والأخذ منه فأقصته الملوك وشرّدته عن بلاده حتّى انتهى إلى بادية لبلة بفتح اللامين بينهما باء موحّدة ساكنة بلدة بالأندلس فتوفّي فيه سنة ٤٥٦ (انظر ترجمته في تذكرة الحفّاظ للذهبي ج٣: ص١١٥٤ والكنىٰ والألقاب للشيخ عباس القمي ج١: ص٢٦٤).

(٢) فإنّ مخالفة جماعة قليلة لايقدح بالإجماع، وقد ذكر علماء أهل السنة: لا عبرة لمخالفة الجماعة القليلة، بل وحتّى قال النووي عند مخالفة الحديث للإجماع: لا يجوز حمل الحديث على مخالفة الإجماع بل الحديث ينسخ بالإجماع (انظر المجموع ج١٤: ص٤٠١).

وقال الشربيني: وليس قول الصحابي إن لم ينتشر في الصحابة حجّة، لأنّه غير معصوم عن الخطأ، لكن يرجّح به أحد القياسين على الآخر. وإذا كان ليس بحجّة فاختلاف الصحابة ←

➔

في شيء كاختلاف سائر المجتهدين، فإن انتشر قول الصحابي في الصحابة و وافقوه فإجماع حتّى في حقّه، فلا يجوز له مخالفة الإجماع... (مغني المحتاج ج٤: ص٣٩٦).

وقال البكري: فان انتشر قول الصحابي في الصحابة و وافقوه فإجماع حتّى في حقّه، فلا يجوز له كغيره مخالفة الإجماع فإن خالفوه فليس بإجماع ولا حجّة.... (إعانة الطالبين للبكري الدمياطي ج٤: ص٢٦٦).

وقال ابن حجر: قال شيخنا في شرح الترمذي: الصحيح في تكفير منكر الإجماع تقييده بإنكار ما يعلم وجوبه من الدين بالضرورة كالصلوات الخمس، ومنه من عبّر بإنكار ما علم وجوبه بالتواتر، ومنه القول بحدوث العالم وقد حكى عياض وغيره الإجماع على تكفير من يقول بقدم العالم، وقال ابن دقيق العيد: وقع هنا من يدعي الحذق في المعقولات ويميل إلى الفلسفة فظنّ أنّ المخالف في حدوث العالم لا يكفر، لأنّه من قبيل مخالفة الإجماع وتمسّك بقولنا إنّ منكر الإجماع لا يكفر على الإطلاق حتّى يثبت النقل بذلك متواتراً عن صاحب الشرع... (فتح الباري ج١٢: ص١٧٧ ـ ١٧٨).

وقال الجصّاص: إنّ الخبر الواحد يسع الاجتهاد في مخالفته ولا يسع الاجتهاد في مخالفة الإجماع ... (الفصول في اللأصول للجصّاص ج١: ص١٧٨).

وقال السرخسي: ولا يسع مخالفة الإجماع، فلهذا يخشى على جاحده المأثم.... (اصول السرخسي ج١: ص٢٩٤) وإلى غير ذلك من أقوالهم في عدم جواز مخالفة الإجماع عندهم بل وحتّى قد يصل عند بعضهم إلى مرحلة الارتداد حيث أنّ مخالفة الرجلين لإجماع أهل السنة والجماعة لاسيّما مخالفتهما مع وجود الصحابة في المجمعين.

أقول: لا عبرة لهذه الأقوال في المقام بل الاستناد إلى هذه الاقوال مخالفة لأساس الاعتقادات التي بني عليها مذهب أهل السنة والجماعة كما سيتضح للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

فاستناد ابن تيمية إلى هذه الأقوال الشاذة المخالفة للإجماع عندهم مخالف لأصول معتقداته، فلاحظ.

وثانيها: ما قاله النوويّ في عقب العبارة السابقة يذمّ به القائلين بالنصّ ويستدلّ به على عدمه. وحاصله أنّ دعوى النصّ باطلة وجسارة على البهتان و وقاحة في مكابرة الحسّ، و ذلك من حيث تحقّق إجماع الصحابة على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر و على تنفيذ عهد عمر بالشورى، ولم يخالف في ذلك أحد...[1] انتهى.

وهو نصّ جليّ دلّ على عدم النصّ على الثلاثة، فهو دليل على كذب ما رووه في الصحيحين وغيرهما من النصوص على إمامتهم، فمن قال بإمامتهم ومن لم يقل بها مجمعون على كذب ما زعموه من النصوص على إمامتهم[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص ٢٠٦

(٢) وبعبارة أوضح إذا كان النبيﷺ قد نصّ على إمامة أحد الثلاثة وخلافته، فقد أظهر فرض طاعته، وكان على المسلمين قاطبة أن يأخذوا بقول رسول اللهﷺ ويقتدوا بمن نصّ عليه في الخلافة والإمامة ويطيعوه، لأنّه إمامهم شرعاً ولا تحتاج إمامته بعد النبي إلى الإجماع والاجتماع و التعيين كما هو واضح ظاهر.

وإذا كان الرسول الأعظم ﷺ قد نصّ على إمامة أحد الثلاثة فلماذا اجتمعت الصحابة بعد وفاة النبيﷺ في سقيفة بني ساعدة لانتخاب الخليفة؟!

من الضروري عند جميع أهل السنة والجماعة أنّ خلافة أبي بكر كانت بتعيين أهل السقيفة لا بالنصّ إذ لو كان هناك نصّ على إمامته لما احتاج إلى الانتخاب في السقيفة والإجماع لتعيينه إماماً للمسلمين.

وعلى فرض التسليم لو كان هناك نصّ على إمامة أبي بكر لاحتجّ به أهل السقيفة لإثبات إمامته

ومن الواضح لدى الكلّ أنّ أهل السقيفة ادعوا عدم وجود النصّ دليلاً على اجتماعهم فيها ←

فالمسلمون جميعهم مجمعون على وجود الكذب فيما روي في الصحيحين الذَين عند من تسمّى بأهل السنة هما الحجّة بعد الفرقان العظيم. وهم متناقضون في وصفهما بالصحيحين بعد علمهم بإجماعهم أنّ ما روي فيها مما دلّ على إمامة الثلاثة كذب[1].

➔

لانتخاب الخليفة، وإذا كان الأمر كذلك فما معنى القول بأنّ النبيﷺ نصّ على إمامة أبي بكر؟ وهذا يكشف عن أنّ كلا الأمرين على الباطل والكذب حيث إنّهم واجهوا أمرين لا يمكن الالتزام بهما معاً. فمن ناحية اعتقدوا بإمامة أبي بكر بتعيين بعض الصحابة، وهذا مخالف للقرآن والسنة النبوية الدالّين على لزوم تعيين الإمام والخليفة بالنصّ. ومن ناحية أخرى إذا كانت الإمامة بالانتخاب فما يصنعون بالنصوص؟ فهم في حالة التناقض. ولأجل وجود هذا التناقض ادّعى ابن تيمية أنّ البعض يدّعون وجود النصّ. ولكن هذا التزام بالمتناقضين ويتبيّن كذب القائل به أكثر وضوحاً من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى، فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى إنّ التناقض البيّن في المقام أكبر دليل على وجود الكذب في صحيحي البخاري ومسلم حيث إنّه لمّا ثبت بالإجماع عند أهل السنة والجماعة أنّ خلافة أبي بكر كانت مستندة إلى البيعة التي حصلت له في السقيفة، فإنّها متوقفة على عدم وجود النصّ على خلافة أحد.

إذن صحة بيعة أبي بكر متوقّفة على عدم وجود النصّ في أحد كما ادّعاه الصحابة الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وإذا كان الأمر كذلك فإن الصحابة الذين اجتمعوا في السقيفة يكذّبون النصّ الوارد في إمامة أحد.

وعليه فإنّ ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم مما يدلّ على خلافة أبي بكر يكذّبه الصحابة. والعجيب من علماء أهل السنة والجماعة الذين يعتبرون الصحيحين عندهم بعد القرآن أصحّ الكتب كيف يعتمدون على تلك النصوص التي رواها الشيخان البخاري ومسلم فهل

➔

والعجيب من النووي حيث زعم أن دعوى النصّ على عليعليه السلام كذب، وقد علم بما نبهّنا عليه فيما مضى من السنن الصحيحة وفيما يأتي التي دلّت على إمامته[١].

←

يمكن لهم الإذعان بهذه الدعوى بعد وجود الكذب الصريح فيهما عندهم حيث إنّ الروايات الدالّة على إمامة أبي بكر مناقضة ومخالفة لما ادعاه الصحابة الذين اجتمعوا في السقيفة وادّعوا عدم وجود النصّ من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله على إمامة أحد.

ونحن نسأل علماء أهل السنة والجماعة هل قول الصحابة عندكم حجّة أو الروايات؟

فإذا كانت الروايات حجّة لماذا ادعت الصحابة عدم وجود النصّ من النبي الأكرم على إمامة أحد؟!

وإذا كان قول الصحابة حجّة فلماذا تقولون إنّ الصحيحين اعتبارهما محرز عندكم كاعتبار القرآن الكريم وهل أنّ الكذب عندكم حجّة؟! ولذلك يجب على أهل السنة والجماعة أن يتخذوا موضعاً واحداً من الأمرين إمّا القول بحجية قول الصحابة وعدم وجود النصّ على خلافة أحد وإمّا بوجود النصّ، وهذا يلزم منه تكذيب الصحابة، فلاحظ.

(١) إنّ مما لا شكّ و لا شبهة فيه عند جميع المسلمين وجود النصوص الدالّة على إمامة سادتنا الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ووجوب متابعتهم من الكتاب و السنّة القطعيّة المعتبرة عند جميع المسلمين على كثرتها؛ فإنّها ثابتة الدلالة على جميع المباني الاعتقادية عند المسلمين كما لا شكّ في دلالة الأدلّة القائمة على عدم قابلية خلافة غيرهم وأنّ من ادّعى الخلافة فهو من الضالّين.

فإنّ من يراجع كتب التفسير والحديث والتاريخ يجدها طافحة بالنصوص والآثار الثابتة الصحيحة الدالّة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام وإمامة الأحد عشر المعصومين من أولادهعليهم السلام

فإنّ كلّ إنسان حرّ لو لاحظ هذه النصوص سوف لا يبقى عنده أدنى شكّ في أنّ النبي

→

➔

الأكرم ﷺ لم يأل جهداً، ولم يدّخر وسعاً في تأكيد هذا الأمر وتثبيته، وقطع دابر مختلف المعاذير فيه في كلّ زمان و مكان وفي مختلف الظروف والأحوال على مرّ العصور والدهور.

وقد استخدم النبي الأكرم ﷺ في سبيل تحقيق هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب التعبيريّة وشتى المضامين البيانيّة، فعلاً و قولاً، تصريحاً وتلويحاً إثباتاً لجانب ثبوت الإمامة لهم ونفياً لجانب نفي الإمامة عن غيرهم، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك مما لا يكاد حصره في تنويعه وفي مناسبات عديدة. وقد توجّهت جميع تلك الجهود المتواصلة باحتفال جماهيريّ عامّ نصب فيه رسمياً الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد انتهائه ﷺ من حجّة الوداع في مكان يقال له: «غديرخم» وأخذ البيعة له فعلاً من عشرات الألوف من المسلمين الذين يرون نبيّهم للمرّة الأخيرة في موسم الحجّ، وبعد أن كانت القلوب عامرة بشعائر الله في الحجّ. والهدف هنا هو الإلماح إلى هذا النصّ المتّفق عليه بين المسلمين، والحديث الذي صدر من النبي ﷺ سوف يبين حقيقة واضحاً للعالم فإنّه يعلم جيّداً أنّ الحدث الذي سبق قضية الغدير سيوضح جانباً من الذكر العظيم الذي قال تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (سورة المائدة: ٦٧) فإنّ قضية الغدير رغم مرور الدهور والأحقاب، وبعد ألف وأربع مائة سنة زاخرة بالقضايا العجيبة ومشحونة بالحوادث الخالدة.

ورغم محاولات التعتيم والإرهاقات بالتعليلات والتعلّلات غير المعقولة باردة كانت أو ساخنة بهدف تحريف الواقعة لم يمكن ذلك أبداً فإنّ هذه الحادثة بما تمثّله من قضية كبرى للإيمان وللإنسان قد بقيت وتبقى خالدة وأكثر حساسيّة وأهميّة؛ لأنّها أكثر صلة بالإيمان والإنسان، والأعمق تأثيراً في حياة هذا الكائن، وهي مستوعبة لكلّ الساحات التي ينطلق فيها في حركته نحو الله تعالى، وهي قضية أكثر مساساً وارتباطاً بمستقبل هذا الإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة. وهذا بالذات هو السرّ في احتفاظ هذه القضية بكلّ حيويّتها على مرّ الدهور، ولسوف تبقى كذلك.

🡐

➔

فموضوع الغدير ونصب الإمام وأمر الإمامة مؤثّر في مختلف جهات وجود الإنسان في الدنيا والآخرة، ومعنى ذلك أنّه لابدّ من حسم الموقف في هذا الأمر ليكون الإنسان على بصيرة في أمر دينه فلا يموت ميتة جاهلية كما قال النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (ذكره التفتازاني في شرح المقاصد ج٢: ص ٢٧٥ وجعله لدة لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩) فهذا الاشتراط يوضح لنا: أنّ تجاهل قضية الإمامة، وعدم حسم الأمر في موضوع الأسوة والقدوة يساوي رفض الدين والميتة الجاهلية فيترك آثاره السلبية على حياة الإنسان.

وما يدلّ على ذلك ويثبته ويؤكّده: أنّه تعالى قد اعتبر عدم إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس، يساوي عدم إبلاغ الرسالة نفسها من الأساس، وذلك يعني: أنّه لا يمكن التسامح فيها ولا المحاباة، كما أنّه لا مجال لإبعادها وتعطيلها، لأنّ ذلك يعني إبعاد الدين وتعطيله، فيستفاد منها: أنّ الإمامة تعدل الرسالة كلّها، ولا شكّ أنّ النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه قد بلّغ هذا الدين في عقائده وشرائعه ومفاهيمه، وقيمه، وسياساته، وغير ذلك طيلة ثلاث وعشرين سنة، لكن ذلك كلّه لكي يكون مقبولاً عند الله سبحانه، ومحقّقاً للأهداف، وموصلاً للغايات المتواخاة منه ـ يحتاج ـ إلى ولاية أميرالمؤمنينعَلَيهِالسَّلَام. ولذلك أنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة المائدة: ٦٧) ومدلول الآية أنّه إن لم يبلّغ الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه ما أنزله تعالى عليه من ولاية علي بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَام وإمامته فما بلّغ رسالته، ومعنى ذلك أنّ الرسالة التي ليس فيها الإمامة والولاية ليست تامّة كما أنّ التوحيد الذي أراد الله تعالى الاعتقاد به لا يتمّ بدون الولاية، وكما أنّ المعاد بدون الاعتقاد بالولاية ليس هو المطلوب له تعالى، و الصلاة أيضاً والحجّ والجهاد وغير ذلك لأنّ كلّ هذه مطويّة في الرسالة الإلهية والله تعالى يقول: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فكلّ ذلك إذا لم تصاحبه ولاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَام فهو ناقص، ولا يحقّق الأهداف ولا يوصل إلى الغايات الإلهية، وليس هو ما يريده الله عزوجل. وإذا

🡐

فيالهفي عليه من شدّة جرأته على رمي السنن الصحيحة بأنّها بهتان

➔

كان النبيّ الأكرم قد بلّغ جميع الأحكام قبل حجّة الوداع فما هو الأمر الذي لم يبلغه النبيﷺ؟ فإنّ من الواضح أنّ ما يقارن الرسالة هي الولاية، فإنّهﷺ قد بلّغ رسالته وقد بقي تبليغ الولاية، وإذا أرادنا توضيح ذلك بالمثال، نقول: لو أنّ جسداً ملقى له عين وقلب، ويد، ورجل، ولسان، وأُذن و... فإذا كان فاقداً للروح، فوجود اليد والرجل واللسان، وسائر الأعضاء يكون كعدمه، فإنّ العين لا ترى واليد لا تتحرك، والأذن لا تسمع إذا لم تكن الروح في الجسم كذلك الأحكام والعقائد التي بيّنها رسول اللهﷺ في أيام رسالته وبلّغها عن الله عزوجل فإنها سوف تبقى بلا روح إذا لم يبلّغ الرسولﷺ الولاية والإمامة.

ثمّ إنّ التبليغ وحفظ الدين هو أهمّ قضية بالنسبة إلى الإنسان لأنّ سعادته ونجاته تتحقّق به. وعلى هذا الأساس لابدّ أن يحقّق هذا المفهوم من خلال تعاليمه ومفاهيمه، ولابدّ أن يتمّ ذلك بوجود شخص مثالي للرسول الأعظم في جميع الصفات النفسية والروحية فحقيقة الدين له ارتباط وثيق بأمر الولاية والإمامة حتّى إنّه إذا لم يتمّ تبليغها فإنّ الدين نفسه كأن لم يكن أصلاً، ونتيجة ذلك كلّه هو أن تصبح هذه الولاية ضرورة للبشر، وليس فوقها ضرورة على الإطلاق.

فحديث الغدير الذي أنكر النووي تواتره لا ينبغي إنكاره وقد أخرجه كبار علماء أهل السنة ولا يخلو مصدر من مصادر الحديث لأهل السنة إلاّ و فيه حديث الغدير. فإنّه متواتر وقد كتب في تواتره كبار علماء أهل السنة كالذهبي وغيره وسنوضح الحديث دلالة وسنداً للنووي وأضرابه في محلّه إن شاء الله تعالى.

فما ذكره النووي من أنّ قول الشيعة كذب واضح البطلان بل إذا كان هو أهل العلم يذعن بكون نفسه كاذباً لأنّ ما جاء في كتب علماء أهل السنة والجماعة كالذهبي وأضرابه يكذّب قوله، فلاحظ.

مفترى، بل ومناقض لما هم مجمعون عليه من عدم وجود خبر كذب في مسند إمامهم أحمد، وقد روى فيه نبذة من السنن التي دلّت على إمامة عليعليه السلام بأسانيد صحيحة معروفة لدى أهل مذهبه بالصحّة، مثل خبر «وليّ كلّ مؤمن بعدي»[1]،

---

(١) أخرج أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الله حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق وعفان قالا حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله سرية وأمَّر عليهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأحدث شيئاً في سفره فتعاهد قال عفان: فتعاهد أربعة من أصحاب محمدصلى الله عليه وآله أن يذكروا أمره لرسول اللهصلى الله عليه وآله، قال عمران وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمنا عليه. قال فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول اللهصلى الله عليه وآله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثمّ قام الثاني فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه ثمّ قام الثالث فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. قال فأقبل رسول اللهصلى الله عليه وآله على الرابع وقد تغيّر وجهه فقال: دعوا عليّاً دعوا عليّاً إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٤٣٧) وأخرجه الترمذي في سننه ج٥: ص ٢٩٦ ح ٣٧٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٤ وفي سننه ج٥: ص ٤٥ ح ٨١٤٦ وأبو داود الطيالسي في مسنده: ص ١١١ وابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص ٥٠٤ ح ٥٨ والضحاك في الآحاد والمثاني ج٤: ص ٢٧٩ ح ٢٢٩٨ والسنة لابن أبي عاصم: ص ٥٥٠ ح١١٨٦ وأبويعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ٢٩٣ وابن حبان في صحيحه ج١٥: ص ٣٧٤ والطبراني في معجمه الكبير ج٥: ص ١٦٦ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩١ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٩ : ص ١٧١ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٢٣ و: الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٧٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١: ص١٨٧ والسيوطي، وغيرهم.

←

➔

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عبد الله بن حنبل عن أبيه أحمد بن حنبل عن يحيى بن حماد عن أبو عوانة قال حدثنا أبو بلج قال حدثنا عمرو بن ميمون قال: إني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإما أن تخلوا بنا من بين هؤلاء قال: فقال ابن عباس بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى قال: فابتدأوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أُف تف وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: لأبعثنّ رجلاً لايخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فاستشرف لها مستشرف فقال: أين عليّ؟ فقالوا: إنّه في الرحى يطحن قال: وما كان أحدهم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء عليّ بصفية بنت حيي قال ابن عباس: ثم بعث رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلّا رجل هو مني وأنا منه، فقال ابن عباس: وقال النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ لبني عمه أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة قال: وعلي جالس معهم فقال رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ وأقبل على رجل رجل منهم أيكم يواليني في الدنيا والآخرة فأبوا فقال لعلي: أنت وليي في الدنيا والآخرة قال ابن عباس وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها قال: وأخذ رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجل أهل البيت ويطهركم تطهيرا. قال ابن عباس: وشرى علي نفسه فلبس ثوب رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثم نام مكانه قال وقال ابن عباس وخرج رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ في غزوة تبوك وخرج بالناس معه قال فقال له علي أخرج معك قال: فقال النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ لا فبكى علي فقال له أما تراضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه ليس بعدي نبي انه لا ينبغي أن اذهب الا وأنت خليفتي قال ابن عباس: وقال له رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: **أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة** قال ابن عباس وسد رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره قال ابن عباس: وقال رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: من كنت مولاه فان

➔

وخبر «خليفتي فيكم[(١)]»،

➔

مولاه علي ...(المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٢ ـ ١٣٣) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٨: ص ١٢٠ والنسائي في خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام: ص ٦٣ والطبراني في معجمه الكبير ج١٢: ص ٧٨ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩١ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٩: ص ١٧١ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص ١٧٥ وابن حجر في الأصابة ج٤: ص ٤٦٧ والصفدي في الوافي بالوفيات ج٢١: ص ١٧٨ وابن كثير في البداية والنهاية ج٧: ص ٣٧٤ وغيرهم.

وقال العلامة الأميني بعد ذكر هذا الحديث: وهذا الحديث بطوله أخرجه جمع كثير من الحفاظ بأسانيد صحاح منهم إمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٣٣١ عن يحيى بن حماد عن ابن عوانه عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، والحافظ في المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ... (الغدير ج١: ص ٥١).

(١) أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس قال في حديث طويل قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: أنت خليفتي من بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٣٣٠) وأخرجه النسائي في سننه الكبرى ج٥: ص ١١٣ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٠ وابن أبي العاصم في كتاب السنن: ص ٥٥١ وغيرهم.

وقال التفتازاني: إن النصّ الجليّ عند الإمامية هو قوله صلى الله عليه وآله سلّموا عليه بإمرة المؤمنين، وقوله صلى الله عليه وآله مشيراً إليه وآخذاً بيده هذا خليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا له، وقوله صلى الله عليه وآله أنت الخليفة من بعدي، وقوله صلى الله عليه وآله: وقد جمع بني عبد المطلب أيّكم يبايعني ويؤازرني يكن أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي، فبايعه عليّ رضي الله عنه ... (شرح المقاصد ج٢: ص ٢٨٣).

وأخرج ابن عساكر بسنده عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن أركسها منكم فعليه بخصلتين

➔

وخبر: الغدير [1]،

←

كتاب الله وعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: وهو آخذ بيد علي هذا أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني، وهو فاروق هذه الأمّة يفرق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين وهو الصدّيق الأكبر، وهو بابي الذي أُوتى منه، وهو خليفتي من بعدي (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٤٢). وأخرجه ابن مردويه في كتابه مناقب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ص ٦٦ وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة: ص ٧٥.

وأخرج أيضاً بسنده عن عباد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لما نزلت: وأنذر عشيرتك الأقربين قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يا عليّ اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وأعدّ قعباً من لبن وكان القعب قد ري رجل قال: ففعلت ... فقال اجمع بني هاشم. فأكلوا وشربوا فنذرهم رسول الله بالكلام؛ فقال: أيّكم يقضي ديني ويكون خليفتي ووصيّي من بعدي؟ فسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بماله فأعاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الكلام فسكت القوم وسكت العباس فأعاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الكلام الثالثة قال: وإنّي يومئذٍ لأسوأهم هيئة، إنّي يومئذٍ لأحمش الساقين أهمش العينين ضخم البطن، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: أنت يا علي أنت يا علي انت يا علي (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٤٧ وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ج٣: ص ٥٣ وغيره.

(١) إنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين وقد رواه علماء الإسلام من المحدّثين والمفسرين والمؤرخين بطرق كثيرة إلى عهد الصحابة والتابعين، وقد تناولها الشعراء في شعرهم وتعرّض له علماء الكلام في كتبهم، ولم يعرف إنكارها إلّا من بعض الشواذّ الذين لا قيمة لمخالفتهم عند العلماء. وقد ألّف فيه جماعة من علماء الإسلام كتباً مستقلّة وذكروا فيها طرق الحديث وتواتره. قال الذهبي في ترجمة الحاكم النيسابوري بعد ذلك إنّه أخرج حديث الطير وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء وطرق حديث من كنت مولاه وهو أصحّ ... (سير أعلام النبلاء ج١٧: ص ١٦٩).

→

➔

وقال في ترجمة المطّلب بن زياد بعد نقله عنه حديث الغدير: هذا حديث حسن عال جدّاً ومتنه فمتواتر (سير اعلام النبلاء ج٨: ص ٣٣٤).

قال ابن حجر الهيثمي: إنّ حديث الغدير صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد. وطرقه كثيرة جداً، وكثير أسانيدها صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحّته (الصواعق المحرقة: ص ٤٢ الباب الاول الفصل الخامس)

وقال ابن حجر العسقلاني: وأمّا حديث من كنت مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان .. (الفتح الباري ج٧: ص ٦١).

وقال العاصمي: هذا حديث تلقّته الأمّة بالقبول، وهو موافق بالأصول (الغدير ج١: ص ٢٩٥ عن كتاب زين الفتى)

وقال ابن المغازلي: وقد رواه نحو مائة نفس، منهم العشرة المبشّرة، وهو حديث ثابت، لا أعرف له علّة (مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي: ص ٢٧)

وقال الغزالي: أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غديرخم، باتفاق الجميع (سرّ العالمين: ص ٢١).

وقال ابن كثير: صدر الحديث متواتر، أتيقّن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قاله، وأمّا «اللّهم وال من والاه... » فزيادة قوية الإسناد (تاريخ ابن كثير ج٥: ص ٢١٣ ـ ٢١٤).

قال شمس الدين الجزري : روي حديث الغدير من ثمانين طريقاً. وأفرد في إثبات تواتره رسالة أسنى المطالب ذكره العلامة الأميني في كتابه الغدير ج١: ص ٢٩٨ وانظر كتاب أسنى المطالب: ص ٤٨).

وقال علي القاري: والحاصل أنّ هذا حديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عدّه متواتراً إذ في رواية لأحمد أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً (مرقاة المفاتيح ج١٠: ص ٤٦٤)

وقال البدخشاني: وأخرج أحمد عن علي، وأبي أيوب الانصاري، وعمرو ذي مرّ وزيد بن

➔

➔
أرقم وثلاثين رجلاً من الصحابة، والبراء عن ابن عباس، وعمارة، وبريدة، أبويعلى عن أبي هريرة، وابن أبي شيبة عنه، وعن اثنى عشر من الصحابة، والطبراني عن سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، ومالك بن الحويرث، والحاكم عن علي، وطلحة، وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن سعد والخطيب عن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال بغديرخم: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه ... وقال بعد نقل بعض أحاديث الغدير وقول النبي صلى الله عليه وآله وهذا حديث صحيح مشهور، ولم يتكلّم في صحته إلّا متعصّب جاحد لا اعتبار بقوله فإنّ الحديث كثير الطرق جدّاً، و قد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وقد نصّ الذهبي على كثير من الطرق بالصحة، ورواه من الصحابة عدد كثيرة (انظر نزل الأبرار: ص ٥١ ـ ٥٣).

وإلى غير ذلك مما جاء في كتب القوم وقد جمع أسانيد هذا الحديث العلامة الأميني في كتابه (الغدير في الكتاب والسنّة والأدب) في أحد عشر مجلّداً وخصّص الجزء الأول منه للكلام حول طرق الحديث وواقعة الغدير من روايات أهل السنة والجماعة وقد أنهى الرواة لذلك في طرقهم من الصحابة إلى مائة وعشرة ومن التابعين إلى أربعة وثمانين كما أنهى رواته من علماء السنة ومؤلّفيهم طبقة بعد طبقة إلى ثلاثمائة وستين، وقد وثّق ذلك كلّه بالمصادر ومن الطبيعي أنّ قضية بهذه السعة لا يسعنا استقصاء طرقها في هذا المجال واستيفاء ما ورد فيها. وفي ضوء هذه الأقوال من العلماء والمحدثين ونقل المتواتر منهم لا يبقى أي مجال للشكّ في صحّة الحديث وصدوره من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. ومن هنا يحسن بنا أن نذكر المهمّ من حوادث هذه الواقعة ونتعرّض في كلّ حادثة لمصدرها وطرق ثبوتها. وهي عدة حوادث.

هذا الحديث الشريف قد قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عند منصرفه من حجّة الوداع في (١٨ ذي الحجة) من السنة العاشرة للهجرة، بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (سورة المائدة: ٦٧)
←

←

فقد روى كثير من علماء الفريقين الروايات الواردة في شأن نزول هذه الآية الكريمة وهي تدلّ على الأمر بالتبليغ لولاية مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وأنّ النبي صلى الله عليه وآله من أجل ذلك خطب خطبة عظيمة بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام يوم غدير خم وقد ذكر الروايات جماعة كثيرة من علماء أهل السنة والجماعة منهم:

١ـ الحافظ عبدالرحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي المتوفّى سنة ٣٢٧، أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري نزول الآية يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام على ما روى عنه السيوطي في الدرّ المنثور ج٢: ص ٢٩٨ في تفسير الآية والشوكاني في فتح القدير ج٢: ص ٦٠ في تفسير الآية الكريمة.

٢ـ الحافظ أبوبكر محمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦ هـ أخرج ذلك بإسناده عن أبي سعيد الخدري على ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج٢: ص ٢٩٨ ذيل الآية الشريفة والشوكاني في فتح القدير ج٢: ص ٦٠ ذيل الآية الكريمة.

٣ـ أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متّويه الواحدي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٦٨ أخرج ذلك عن أبي سعيد الخدري في كتابه أسباب النزول: ص ١٣٥ في أسباب نزول الآية الكريمة.

٤ـ عبيد الله بن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن الحداد الحسكاني، المتوفى في أواخر القرن الخاس الهجري، أخرج ذلك بسنده عن ابن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري (انظر شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل ج١: ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ في نزول الآية الكريمة).

٥ـ الحافظ أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الملقّب بثقة الدين الشهير بابن عساكر، أخرج ذلك باسناده عن أبي سعيد الخدري، على ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص ٢٩٨ في تفسير الآية الكريمة. والشوكاني في فتح القدير ج٢: ص ٦٠ ذيل الآية الكريمة.

وقد أنهاهم العلامة الأميني في كتابه الغدير إلى ثلاثين (انظر الغدير ج١: ص ٢١٤ ـ ٢٢٩)

→

➔

وسيأتي البحث المفصل حول الآية الكريمة والروايات الواردة في شأن نزولها وإثبات ذلك بالأدلّة الوافية.

ثمّ إنّ واقعة غدير خمّ و خطبة النبي صلى الله عليه وآله وتنصيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة من الأمور الثابتة في الروايات بحيث لا يشوبه ريب فقد رواه جمع كثير من حفاظ أهل السنة والجماعة وسنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه. وبعد إتمام البيعة فقد نزل قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة: ٣). وقد روى أيضاً جمهور علماء أهل السنة والجماعة ما ورد في شأن نزول هذه الآية الكريمة من أنّ هذه الآية نزلت بعد تنصيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، روي ذلك عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وزيد بن أرقم ومجاهد وقد ذكر العلامة الأميني الروايات في كتابه الغدير ج ١: ص ٢٣٠ ـ ٢٣٨.

وفي بعضها: لمّا سمع أبوبكر وعمر ذلك من النبي صلى الله عليه وآله قال كلّ منهما للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: هنيئاً لك يأبن أبي طالب بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤: ص ٢٨١ والفخر الرازي في تفسيره ذيل الآية الكريمة والخطيب البغدادي في تاريخه ج٨: ص ٢٩٠ والمناوي في فيض القدير ج٩: ص ٢١٧ وغيرهم.

ولمّا نزلت هذه الآية الكريمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ برسالتي وبولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من بعدي .... (انظر الغدير ج ١: ص ٢٣٣).

ثمّ إنّ العلامة الأميني ذكر صحة الأحاديث على مقاييس أهل السنة (انظر الغدير ج ١: ص ٤٠٢) كما أنّه يأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

وهناك أمور أخرى تتعلّق بالواقعة، كتعميم النبي صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في الحديث الذي أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بإسناده عن أبي راشد الحبراني عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: عمّمني رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ بعمامة سدلها خلفي، ثمّ

🡐

➔

قال: إنّ الله أمدّني يوم بدر وحنين بملائكة يعتموّن هذه العمّة، وقال: إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان ... (السنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص ١٤ كتاب السبق والرماية باب التحريض على الرمي) ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده: ص ٢٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٥: ص ٤٨٢ وغيرهم.

وإنشاد حسان بن ثابت لأبياته في المناسبة وفي مطلع قصيدته:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخم وأسمع بالنبيّ منادياً

وقد ذكر ذلك جمع من أهل الحديث وغيرهم كالحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ في كتابه ما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام في تتمّة الحديث (انظر الغدير ج١: ص ٤١٣ نقلاً عن كتابه) والموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨ قال بعد ذكر الواقعة: قال حسان بن ثابت ائذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قل ببركة الله تعالى ... (مناقب الخوارزمي : ص ١٣٦ ح ١٥٢).

وجمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ١١٢ ـ ١١٣.

والحافظ أبو عبدالله المرزباني محمد بن عمران الخراساني بسنده عن أبي سعيد الخدري في كتابه مرقاة الشعر على ما ذكره العلامة الأميني في كتابه الغدير ج٢: ص ٣٤.

والحافظ جلال الدين أبوالفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في رسالته (الأزهار فيما عقده الشعراء من أشعار) على ما ذكره العلامة الأميني في كتابه الغدير ج٢: ص ٣٦.

وغير ذلك ممّن نقل هذه القصيدة والأبيات وإن اختلفوا في عدد الأبيات أو ألفاظها ولكن أصل القضية ثابت في روايات أهل السنة والجماعة. فحديث الغدير من الأحاديث المتواترة والتي أخرجه جمهور علماء أهل السنة والجماعة وإن اقتطع بعضهم بعض جوانب الحديث ولكن المهم أنّ أكثر علماء أهل السنة رووا هذا الحديث بحيث يكاد لا يخلو منه مصدر من مصادرهم وعلى سبيل المثال راجع كتاب مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٨٤ و١٨٨ وص ١١٩ و ص ١٥٢ و ص ٣٣١ وج٤: ص ٢٨١ و ص ٣٧٠ و ص ٣٧٣ و

➔

وخبر: المنزلة [(١)]،

→

ج٥: ص ٣٤٧ و ص ٣٥٠ ص ٣٥٨ و ص ٣٦١ و ص ٣٦٦ و ص ٣٧٠ و ص ٤١٩ وسنن ابن ماجة ج١: ص ٤٣ ح ١١٦ و ص ٤٥ ح ١٢١ و سنن الترمذي ج٥: ص ٥٩١ ح ٣٧١٣، و قال حديث حسن صحيح والعقد الفريد لابن عبد البر ج٣: ص ٣١٢ والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص ١٠٩ و ص ١١٠ و ص ١١٦ و ص ١٣١ و ص ١٣٤ و ص ٣١٧ و ص ٥٣٢ ومجمع الزوائد ج٧: ص ١٧ و ج٩: ص ١٠٢ و ص ١٠٨ و ص ١٢٠ و ص ١٦٤ وصحيح ابن حبان ج٥: ص ٣٧٥ و ص ٣٧٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٣: ص ١٧٩ و ج٤: ص ١٦ و ص ١٧٣ و ص ١٧٢ و غير ذلك.

(١) إنّ حديث المنزلة من الأحاديث الصحيحة بإجماع المسلمين وقد أخرجه أئمة الحديث وأهل الصحاح والمسانيد والمجاميع الحديثية من أهل السنة والجماعة، فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما الذين همّا أصح الكتب عند أهل السنة والجماعة بعد القرآن العظيم، ومع ذلك كلّه فقد صرّح جماعة من علماء أهل السنة والجماعة لتأكيد بتواتر الحديث، منهم: الحاكم النيسابوري، قال الحافظ الكنجي في كتابه كفاية الطالب: قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث دخل في حدّ التواتر (انظر كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص ٢٨٣).

وقد أورد الحافظ السيوطي هذا الحديث في كتابه الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة في حرف الألف وتبعه المتقي الهندي في كتابه الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة وغيرهم من أئمة الحديث من أهل السنة والجماعة الذين لا معوّل فيه إلّا عليهم.

أمّا نصّ الحديث ففي صحيح البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى (صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأخرج أيضاً بسنده عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى تبوك

←

➔

فاستخلف علياً فقال: أتكلّفني بالصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبي (صحيح البخاري ج٥: ص ١٢٩ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيّب عن عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، قال سعيد بن المسيب: فأحببت أن أُشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدّثته بما حدّثني به عامر، فقال: أنا سمعته، قلت: أنت سمعته؟ قال: فوضع إصبعيه على أُذنيه فقال: نعم، وإلّا استكتا (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام).

وأخرج بسند آخر عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: مامنعك أن تسّب أبا تراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له، خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي ... (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده من عدة طرق عن عائشة عن سعد بن أبي وقاص انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٧٠ ومرة عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص (انظر مسند أحمد ج١: ص ١٧٣) ومرة عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٧٤) ومرة عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص (انظر مسند أحمد ج١: ص ١٨٢).

وأخرج أيضاً عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٨٥) وعن عمرو بن ميمون عن ابن عباس (انظر مسند أ؛مد ج١: ص ٣٢٠) وعن ابي سعيد

➔

←

الخدري (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٢٢) ومرة عن جابر بن عبد الله الأنصاري (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٣٢٨) وعن أسماء بنت عميس (انظر مسند أحمد ج٦: ص ٣٦٩).

وقال ابن أبي الحديد: قال النبي صلى الله عليه وآله في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» وقال النبي صلى الله عليه وآله فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى، فإذن هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله و شادّ أزره، ولولا أنّه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره ... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣: ص ٢١١).

ولا يخفى على الخبير أنّ معنى الوزارة مستجمع لجميع معاني المعاونة فإنّه لم يزل موازراً له من مبدأ الرسالة إلى نهايتها إلّا أنّ النبوة انتهت برسالة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله فتبقى الوزارة في الولاية والإمامة.

فكما قال موسى: **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين نفسه وبين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وجعله وزيراً لنفسه وأشركه في أمره وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف: وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد (نهج البلاغة ج٣: ص ٧٣) وفي نسخة شرح ابن أبي الحديد كالضوء من الضوء (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص ٢٨٩) وبهذا الإملاء فسّره في شرحه فقال: وذلك لأنّ الضوء الأوّل يكون علّة في الضوء الثاني، ألا ترى أنّ الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس، فهذا الضوء من الضوء الأوّل... (شرح نهج البلاغة ج١٦: ص ٢٩٠).

ومعنى ذلك أنّ كافة المناصب من الخلافة والإمارة والوصاية والأخوّة ثابتة للامام أميرالمؤمنين عليه السلام بمقتضى هذا الحديث الشريف.

ولا ريب أنّ الاستثناء دليل العموم قال البيضاوي: ومعيار العموم جواز الاستثناء فإنّه يخرج ما يجب اندراجه لولاه، وإلّا لجاز من الجمع المنكر ... (انظر منهاج الوصول في معرفة علم

←

→

الأصول: ص ٧٦).

ومن منازل هارون، الإمامة؛ لأنّ المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (سورة طه: ٣٢) هو الأعمّ من النبوة التي هي التبليغ عن الله تعالى ـ ومن الامامة ـ التي هي الرئاسة العامة، فإنّهما أمران مختلفان.

ولذا جعل الله سبحانه إبراهيم عليه السلام نبياً وإماماً بجعلين مستقلّين، وكان كثير من الأنبياء غير أئمة، كمن كانوا بزمن إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام، فإنّهم أتباع لهما، خاضعون لسلطانهما.

وبالجملة فإنّ معنى الآية الكريمة (الإشراك في أمره) هو الإشراك بالامامة لا الإشراك في النبوة كما هو ظاهر واضح.

ولذلك خلافة هارون من موسى عليهما السلام لمّا ذهب إلى طور ليست كخلافة سائر الناس ممّن لاحكم ولا رئاسة له ذاتاً، بل هي خلافة ذاتية لأنّه شريك في أمره ولا يتصرف بحضوره.

وهكذا الامام أميرالمؤمنين عليه السلام بحكم الحديث، لدلالته على أنّ له جميع منازل هارون التي منها شركته لموسى في أمره سوى النبوة فيكون الامام أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام إماماً مع النبي صلى الله عليه وآله في حياته ولابدّ أن تستمرّ إمامته إلى بعد وفاته، ولاسيما أنّ سياق الحديث فيه النظر إلى ما بعد النبي صلى الله عليه وآله أيضاً ولذا قال: «إلّا أنّه لا نبي بعدي».

ولو تركنا هذا المعنى فلا إشكال بأنّ من منازل هارون أن يكون خليفة لموسى لو بقى بعده، لأنّ الشريك أولى الناس بخلافة شريكه، فهكذا يكون الامام أميرالمؤمنين عليه السلام بنصّ هذا الحديث خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فمقتضى الحديث أنّ الاستخلاف منزلة خاصّة بالإمام كما أنّ منزلة هارون من موسى يكون كذلك ولم يستثن من تلك المنازل إلّا النبوة فلابد أن يكون المراد إثبات تلك المنازل العامة للامام أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله

وأمّا مصادر الحديث غير الصحيحين البخاري ومسلم الذين تقدّم ذكرهما فهي كثيرة جداً منها: مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٧٠ و ص ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ ج٣: ص ٣٢، ٣٣٨، و ج٦: ص ٣٦٩ و ٤٣٨ و منها: سنن ابن ماجة ج١: ص ٤٣ وص ٤٥ ومنها: سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٢ و ٣٠٤ ومنها: السنن الكبرى للنسائي ج٥:

←

وخبر: الثقلين [1]،

➔

ص ٤٤ ح ٨٧٨٠ وفضائل الصحابة له: ص ١٣ و ١٤ ومنها: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٢: ص ٣٣٧ و ج ٣: ص ١٠٩ و ص ١٢٣ ومنها: السنن الكبرى للبيهقي ج٩: ص ٤٠ ومنها: مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص ١٠٩ و ص ١١٠ و ص ١١١ و ص ١٢٠ ومنها: مسند أبي داود الطيالسي: ص ٢٨ و ص ٢٩ ومنها: المصنَّف لابن أبي شيبة ج٥: ص ٤٠٦ ومنها: المصنَّف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص ٢٢٦ و منها مسند الحميري ج١: ص ٣٨ و منها: المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي: ص ٧٠ و ص ١٨٧ و ص ٢١٧ و ص ٢١٩ و ص ٢٢٠ و منها: مسند ابن الجعد: ص ٣٠١ و منها: مسند ابن راهويه ج٥: ص ٣٧ ومنها: الآحاد والمثاني للضحاك ج٥: ص ١٧٢ و منها: كتاب السنة لابن أبي عاصم: ص ٥٥١ و ص ٥٥٢ و ص ٥٨٦ و ص ٥٨٧ و ص ٥٨٨ و ص ٥٨٩ و منها: مسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص ٢٨٦ و ج٢: ص ٥٧ و ص ٦٦ و ص ٧٣ و ص ٨٦ و ص ٨٧ و ص ٩٩ و ص ١٣٢ و منها صحيح ابن حبان ج١٥ : ص ١٦ و ص ٣٦٩ و ص ٢٧١ ومنها: المعجم الأوسط للطبراني ج٢: ص ١٢٦ و ج ٣: ص ١٢٩ و ج٤: ص ٢٩٦ و ج٥: ص ٢٨٧ و ج ٦: ص ٧٧ و ص ٨٣ و ج٧: ص ٣١١ و ج٨: ص ٤٠ والمعجم الصغير له ج٢: ص ٢٢ و ص ٥٤ والمعجم الكبير له ج١: ص ١٤٦ و ص١٤٨ و ص ٢٤٧ و ج ٤: ص ١٧ و ص ١٨٤ و ج ٥ : ص ٢٠٣ و ص ٢٢١ و ج١١: ص ٦١ و إلى غير ذلك من المصادر.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة الذي اتفق المسلمون على صدوره من النبي الأكرم ﷺ وأخرجه كبار علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم والمعاجيم الحديثية بطرق كثيرة عن الصحابة، قال ابن حجر: إنّ لحديث التمسّك طرقاً كثيرة عن نيّف و عشرين صحابياً ... (انظر الصواعق المحرقة: ص ١٣٦).

وقال السخاوي: وفي الباب عن جابر، وحذيفة، وخزيمة بن أُسيد، وخزيمة بن ثابت، وزيد

➔

➔

بن ثابت، وسهل بن سعد، وحمزة الأسلمي، وعامر بن ليلى الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف، و عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعديّ بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعليّ بن أبي طالب، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي شريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش، وأم سلمة، وأم هاني، وكثير من الصحابة ... (انظر استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي: ص ٤٠ باب وصية النبيﷺ وخليفته بأهل البيت) وإلى غير ذلك مما جاء في كلماتهم.

والظاهر أنّ السرّ في كثرة نقل هذا الحديث وانتشاره بين المسلمين هو تكرار النبي الأكرمﷺ له في كثير من المواضع؛

وذلك لاهتمام النبيﷺ بمصير أمته والتأكيد لهم للنجاة من الضلالة فإنّ ألفاظ الحديث تدلّ بوضوح على أنّه صدر من النبي الاكرمﷺ في أمكنة عديدة وأزمنة مختلفة، بين الصحابة بصورة جماعية أو فردية.

ولابد لنا هنا من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنّ هناك قاعدة مسلّمة وهي أنّه لو وجدنا أنّ النبيﷺ وضع يده على نصّ معين أو على أمر معين و جعل يكرره مراراً في الأمكنة المتعددة والأزمنة المختلفة بحيث يتبين من إصراره ﷺ تأكيده على ذلك الشيء نعرف أنّ ذلك الشيء يكون محوراً من محاور المعرفة الدينية المهمّة التي يجب تثبيته في ذهن الأمة وألّا يبقى أحد لا يستمع لهذا الأمر.

وهذا هو الأصل والقانون القرآني حيث إنّا نجد في القرآن الكريم عندما يصل البحث إلى الأمور المهمة كالتوحيد والمعاد وأمثال ذلك نجد عشرات بل مئات من الآيات الكريمة التي تؤكّد على قضية التوحيد والمعاد وغيرهما من القضايا المهمّة، فنعرف أنّ شدّة التأكيد من أجل تثبيت الأمر في الأذهان وتقريره في الأفهام. بحيث لا يبقى مجال للشكّ فيه.

وكذلك عندما نصل إلى روايات أهل البيتعليهم السلام فنجد هناك أيضاً هذه القاعدة من الأصول الثابتة في أقوال المعصومينعليهم السلام فنكتشف أنّ ما التفت إليه الأئمة الأطهارعليهم السلام وأكّدوا

➔

وغير ذلك[1].

➔
عليه تأكيداً شديداً إنّما هو من الأمور الأساسية في المعرفة الدينية؛ إذ لو لم تكن له هذه الأهمية لم يؤكّدوا عليه بهذه الشدة.

ومن هنا نعرف أنّ تأكيد النبي الأكرمﷺ لحديث الثقلين له أهمية قصوى في مصير الأمّة الإسلامية ترتبط بإيمان المسلمين وهدايتهم وعدم ضلالتهم.

ولذلك يجب على الأمة أن يدرسوا معطياته بصورة واعية وأن يلتزموا بمدلوله وإلّا سوف تكون الأمّة من المتخلّفين عن أوامر صاحب الرسالة والمرتكسين في الضلال والخسران والنار.

والحديث صريح صراحة لا مزيد عليها وهو قول النبيﷺ إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ١٧ و ص ٢٦ و ج٤: ص ٣٧١ و سنن الدارمي ج٢: ص ٤٣٢ و فضائل الصحابة للنسائي: ص ١٥ و السنن الكبرى له ج٥: ص ٤٥ والخصائص له: ص ٩٣ والمستدرك للحاكم ج٣: ص ١٠٩ و ص ١٤٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج٧: ص ٣٠ و ج ١٠: ص ١١٤ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص ١٦٣ و مسند أبي الجعد: ص ٣٩٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧: ص ١٧٦ وكتاب السنة لابن أبي عاصم: ص ٦٢٩ و مسند أبي يعلى الموصلي ج٢: ص ٢٩٧ وص ٣٠٣ وصحيح ابن خزيمة ج٤: ص ٦٣ و المعجم الأوسط للطبراني ج٣: ص ٣٧٤ وج٤: ص ٣٣ و المعجم الصغير له ج١: ص ١٣١ و ص ١٣٥ والمعجم الكبير له ج٣: ص ٦٦ و ج٥: ص ١٥٤ وص١٦٦ و ص ١٧٠ و ص ١٨٢ و ص ١٨٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص ٣٧٥ و ج ٩: ص ١٣٣ و ج١٠: ص ٢٧٩ و كنز العمال للمتقي الهندي ج١: ص ١٨٦ و غيرها).

(١) كحديث الراية وحديث الطير وحديث السفينة وحديث الكساء وحديث عليّ منّي وأنا
➔

وثالثها: ما نقلوه في صحفهم المعتمدة من صحاحهم ومساندهم بل هو من المسائل المعلومة لديهم المسلّمة عندهم من نقل أبي بكر لمن حضر في السقيفة بعد منازعتهم في تعيين الخليفة حديثاً دلّ على كونه من قريش[1]، وبعد ذلك قال لهم: إنّي أختارلكم أحد هذين الرجلين، يشير إلى

منه وحديث سدّ الأبواب إلّا باب علي وحديث خاصف النعل وحديث عليّ مع الحق والحقّ مع علي وحديث لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك وحديث أهل بيتي أمان لأهل الأرض وحديث المباهلة وغيرها من الأحاديث.

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها ذكرت قضية السقيفة في حديث طويل وفيه: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبوبكر وعمر ... ثمّ تكلّم أبوبكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء ... (صحيح البخاري ج٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين).

أقول: الظاهر من هذا الحديث أنّ أبابكر أراد أن يقول للأنصار: نحن المهاجرون أولى بالخلافة لأنّا من قريش والقريش من الشجرة التي تفتخر بوجود النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منها.

وهذا الاستدلال والاحتجاج إنّما كان أساسه هو الحديث الذي سمعه كلّ المسلمين من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: الخلفاء من بعدي اثنا عشر عليهم السلام كلّهم من قريش (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام باب قبل باب إخراج الخصوم وصحيح مسلم ج٦: ص ٣ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش).

ولا يخفى أنّ الحديث صريح في أنّ خلفائه صلى الله عليه وآله من قريش ولم يعترض عليه أحد في هذه الجهة ولكن كان للأنصار والمهاجرين أن يعترضوا عليه أولاً: بأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد صرّح في بعض الأحاديث بأنّهم من بني هاشم كما أخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعته يقول: بعدي اثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوته فسألت أبي ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من بني هاشم (انظر ينابيع

➔

المودة ج٣: ص ١٠٤).

وفي كفاية الأثر بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال صاح بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة الأولى ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل فتمسّكوا بأهل بيتي بعدي فقيل: يا رسول الله: كم الأئمّة بعدك؟ فقال: اثنا عشر من أهل بيتي أو قال: من عترتي (كفاية الأثر: ص ٣٣).

وثانياً: قد صرّح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في أحاديث كثيرة: أنا وعلي شجرة واحدة. فقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام يا عليّ الناس من شجر شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة ... (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص ٢٤١) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٠٠ والطبراني في المعجم الأوسط ج٤: ص ٢٦٣ و الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين ص ٧٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٠١ وغيرهم.

وهذه الشجرة هي التي قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾(سورة ابراهيم : ٢٤) وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام الشجرة الطيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و فاطمة وبنوها والشجرة الخبيثة بنو أمية (انظر تفسير النور الثقلين تفسير الآية الكريمة)

ثمّ كيف نسوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: لحمه من لحمي ودمه من دمي؟ أخرجه الخوارزمي في كتابه المناقب بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى.. (المناقب للموفق الخوارزمي: ص ١٤٢ ح ١٦٣) وأخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ١٥٨ ح ٢٩ و المتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٠٧ ح ٣٢٩٣٦ و ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٤٢ بسنده عن أم السلمة وغيرهم.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنّ جميع أعضاء الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام خلق من نور رسول الله صلى الله عليه وآله فهما من نور واحد كما ورد بهذا المضمون عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: لقد سألتني

➔

أبي عبيدة وعمر. فقال له عمر بل نحن نبايعك، مدّ يدك. فمدّ يده فبايعه، وتابعه من حضر فيها سوى سعد بن عبادة[1]. فإنّه لو كان منصوصاً عليه لما

➔

عن خير مولود ولد في شبيه المسيح عليه السلام. إنّ الله تعالى خلق علياً من نوري وخلقني من نوره، وكنّا من نور واحد، ثمّ إنّ الله عزوجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية فما نقلت من صلب إلا ونقل علي عليه السلام معي فلم نزل حتّى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد ... (كفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي: ص ١٤٠).

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أمّا قولك نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّما أنتم جيرانها ونحن أغصانها... (شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦: ص ٥)

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها ذكرت قضية السقيفة في حديث طويل قالت: بعد ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله واجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وكان اجتماعهم إلى سعد بن عبادة وقد ذهب إليهم أبوبكر وعمر وأبوعبيدة الجرّاح فتشاجر بين القوم فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير ... فتكلّم أبوبكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حباب بن المنذر لا والله، ولا نفعل، فقال أبوبكر لا ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أباعبيدة الجرّاح فقال عمر: بل نبايعك أنت .. فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله (صحيح البخاري ج٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم) وأخرجه مسلم في صحيحه ج٣: ص ٩٧ كتاب الزكاة، باب من حلّ له المسألة)

أقول: إنّ الحديث صريح في أنّ أبابكر قال فيه: بايعوا عمر أو أبا عبيدة فلو كان نصّ له بالخلافة فلماذا قال بايعوا عمر بالخلافة؟!

فإنّ قوله بايعوا عمر أو أباعبيدة مآله إلى أمرين:

🡐

روى لهم ذلك الحديث العامّ لقريش[١]، ولما قال: إنّي أختار لكم أحد

➔

أحدهما: إنكار نصّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثانيهما: عدم وجود النصّ. فلابدّ من الالتزام بأحد الأمرين. ثمّ إنّ من يدّعي وجود النصّ لابي بكر لا بدّ له من قبول أحد الأمرين إمّا أن يقول بأنّ أبابكر خالف نصّ النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله: بايعوا عمر أو كان معتقداً بأنّ النبي الأكرم لم ينصّ على أحد فاختار أبوبكر عمر قبل أن يختار عمر إياه.

ثمّ إنّ الخبير لو لاحظ هذا الحديث بدقّة أكثر يرى وكأنّ الإسلام لم يهتمّ بأمور المسلمين، وجعل مسألة الخلافة كلعبة كرة بين الناس! فكلّ من أراد أن يحوّلها إلى صاحبه ويستمرّ الصراع إلى أن يتقلّدها الغالب وإن بلغ إلى القتل حتّى يسيطر على الأمور. فهل هذا من الحكمة؟ وهل أنّ الله الحكيم الرؤوف يجعل أمر الدين لعبة بيد الناس؟!

(١) وتوضيح المقام أنّ ما زعمه ابن تيمية من أنّ النبي الاكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نصّ على إمامة الخليفة الأوّل واضح البطلان؛ لأنّ ما زعمه مردود بقول أبي بكر في احتجاجه على الأنصار في سقيفة بني ساعدة حيث إنّه احتجّ عليهم بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام باب قبل إخراج الخصوم وأهل الريب) والظاهر من الحديث أنّه اراد بذلك أنّ يحرّف كلام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي قال في حديث معروف: الخلفاء من بعدي اثنا عشر ثم قال: كلّهم من قريش (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٧ وصحيح مسلم ج٦: ص ٣ وسنن الترمذي ج٣: ص ٣٤٠) فأراد أبو بكر أن يذكّر أهل السقيفة بأنّه من قريش وذلك من جهة أنّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال إنّ الخلفاء أو الأمراء من بعده كلّهم من قريش.

ولكن بطلان احتجاجه واضح لمن له أدنى معرفة بالروايات حيث أولاً إنّ النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان في مقام بيان عدد الخلفاء وهم اثنا عشر الذي لا يمكن لأحد من المسلمين ادّعاء مطابقة العدد لاعتقاداته الّا الشيعة الاثني عشرية.

وثانياً: إنّ ما ذكر في الحديث من أنّ كلّهم من قريش لا يعني جميع الطوائف من قريش؛ إذ

🡐

هذين الرجلين ولما سكت من عنده النصّ عليه بعد بلوغه قوله. فأين سرّ النصّ يومئذٍ[1] ؟!

←

القريش كذبت النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وعارضت النبي وقد أنزل الله في ذمّهم آيات كثيرة من حيث إنّها كانت تفتخر بين المشركين بأنّ لها مكانة خاصة عندهم إلّا قبيلة بني هاشم الذين كانوا من قريش ولكن كانوا موحّدين، ولذلك كانت الحرب والصراع دائماً مشتعلة بين بني هاشم وغيرهم من طوائف قريش.

ثمّ إنّ الشجرة الملعونة في القرآن فسّرت ببني أمية كما جاءت في الروايات (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص ٢٢٠).

مضافاً إلى أنّ الروايات التي ذكرت فيها عدد الأئمة اثنى عشر فقد جاء في بعضها أنّهم من بني هاشم (انظر ينابيع المودة ج٣: ص ١٠٤).

(١) وتوضيح المقام أنّ قول أبي بكر في جمع أهل السقيفة مخاطباً للحضور: بايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة الجراح (على ما نقله البخاري في صحيحه ج٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم) أو على ما نقله الطبري: هذا عمرو هذا أبوعبيدة فأيّهما شئتم فبايعوا (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص ٢٠٩) أو على ما نقله أحمد بن حنبل وهو قوله: إنّي قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فأيّهما شئتم عمر وأبا عبيدة (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٥٦) أو على ما نقله ابن قتيبة وهو قوله: إنّما أدعوكم إلى أبي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل (الإمامة والسياسة ج١: ص ٧) أو قوله: إنّي ناصح لكم أحد الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فبايعوا من شئتم منهما (الامامة والسياسة ج١: ص ١٩). والمعنى في كلّ هذه الموارد يرجع إلى دعوة الناس إلى اختيار أحدهما.

فعلى أيّ تقدير إنّ ما قاله أبوبكر مناقض لما ذكره ابن تيمية في المقام؛ لأنّه إذا صحّ أنّ النبي الأكرمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد نصّ على إمامته وخلافته كيف يجوز له أن يقول بايعوا عمر أو أبا

←

فمن تسالمهم على ما قاله في السقيفة وعدم نقض من روي عنهم النصوص التي زعموها في حقّه وهم حاضرون يومئذٍ يُعلم تزوير هذه النصوص ووضعها في زمن تابعي التابعين من حيث عدم وجود ذكر لها من الصحابة وتابعيهم[1].

➔

عبيدة؟ فإنّ كلامه هذا مرجعه إلى أمرين: أحدهما: مخالفة نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه لو كان النبي صلى الله عليه وآله قد نصّ عليه فلا يجوز له مخالفة قول النبي صلى الله عليه وآله. وثانيهما: عدم وجود النصّ من النبي صلى الله عليه وآله عليه. وإذا كان الأمر كذلك فأيضاً يدور الأمر بين القولين ولابدّ من الالتزام بأحدهما إمّا بأن نقول أنّ ابن تيمية كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ادعى النصّ على أبي بكر، وهذا النصّ المتواتر يؤكّد على أنّ أبابكر قال: بايعوا عمر وأباعبيدة، وإمّا أنّ أبابكر خالف رسول الله. فلابدّ من اختيار أحد الأمرين.

(١) وتوضيح المقام: لمّا كان دعوى النصّ على إمامة أبي بكر في غاية الوهن عند أهل السنة والجماعة كما تقدّم، لم يقل به أحد من الصحابة ولا من التابعين، أو من يليق نسبة العلم إليه ممن يعتقد بخلافة خلفاء السقيفة، فلو كان هناك نصّ لذكره أحد الصحابة أو التابعين أو العلماء من أهل السنة ممّن يعتنى بكلامه.

وبعبارة أوضح: إنّ النصّ على قسمين: النصّ الجليّ والنصّ الخفيّ، فالنصّ الجلَيّ هو ما كان اللفظ فيه صريحا في المقصود، والنصّ الخفيّ هو ما كان اللفظ غير صريح في المقصود إلّا أنّ فيه دلالة ضعيفة على المقصود.

وفي المقام لا يوجد حتّى القسم الثاني أي النصّ الخفيّ فكيف بالجليّ، والدليل عليه واضح، فإنّه مع كثرة وجود الصحابة والتابعين الذين يعتقدون بخلافة أهل السقيفة وتوفّر الداعي لذكره لم نجد من يذكر النصّ على ذلك مع أنّه يجب أن يكون أمر النصّ مثل الصلاة والصيام والأمور الضروريّة في الإسلام وحيث يكون التالي باطلاً فالمقدم مثله.

بل الأدلّة قائمة على عدم وجود النصّ عليه عندهم مطلقاً سواء كان النصّ الجليّ أو الخفي

➔

فثبت بالنقل الضروري لديهم ولدى غيرهم من المسلمين تضمّن صحاحهم لما هو ضروريّ البهتان؛ وهو ما زعموه من النصّ على الثلاثة [1].

➔

وذلك باعترافهم أنّ إمامة أبي بكر انعقدت في السقيفة ببيعة عمر كما ذكرنا النصّ الصحيح في ذلك.

وثانياً: قد أشرنا سابقاً إلى الخلاف الواقع في السقيفة بين أهلها، فأين النص؟! فإذا كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر لاحتجّ به أحد منهم على ذلك.

وثالثاً: إنّه لا خلاف في وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله من غير بيعة لأبي بكر كما صرّحت بذلك النصوص الصحيحة عند القوم، فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبابكر ميراثها.... فقال لها أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر .. (صحيح البخاري ج٤: ص ٤٢ كتاب الخمس، باب فرض الخمس) وقريب منه في (ج٥: ص ٨٢ كتاب الغزوات باب غزوة خيبر) فلو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر فهل يعقل أنّ الصديقة الطاهرة عليها السلام سيدة نساء العالمين تغضب عليه؟!

ورابعاً: لا سبيل إلى إنكار وجود الخلاف بين أهل الحلّ والعقد المتفقين على الخيانة في خلافة أبي بكر. فلو كان هناك نصّ على إمامته لماذا اختلف الأمر بينهم؟!

(١) وخلاصة الكلام أنّ الإجماع قائم على عدم وجود النصّ على خلافة الخلفاء الثلاثة؛ لأنّ كبار أئمة القوم قد صرّحوا بذلك

وأمّا القول الشاذّ الذي هو مخالف للأصل والنصّ فليس له اعتبار عند أهل العلم والسلف والخلف.

ولو سلّمنا فكيف يمكن الجمع بين هذه الدعوى وبين الإقرار بأنّه وقع الخلاف بين الصحابة

←

ورابعها: إنّ ما زعموه من النصّ معلومٌ بهتانه بنفس قول أبي بكر في خبر المسائل التسع [١]، المودعة في خمسة عشر كتاباً من مشاهير كتبهم مثل

➔

في مسألة الخلافة؟ فإذا كانت خلافة الثلاثة بالنصّ كيف صرّح كثير من الصحابة بعدم إمامتهم وخلافتهم؟

فلو كانت خلافتهم عندهم صحيحة لما تشاجر بينهم ولما وقع النزاع والضرب والقتل والهتك وغير ذلك من أعمال العنف والإرهاب بينهم أليس هذا تناقض بيّن؟

ومن هنا يعلم أنّ ابن تيمية كأنّما يعلم ـ من قرار نفسه ـ أنّ الذي يقوله في المقام من وجود النصّ على خلافة أبي بكر ما هو إلّا كذب وزور، وأنّه ليس هناك نصّ على أبي بكر وعمر. فلم يجد محيصاً من ذكر كلام ابن حزم، وقام ينفخ فيه ويكبّره ويثني عليه مع علمه ببطلانه.

ولذلك علماء الكلام صرّحوا بعدم وجود النصّ في إمامته، قال الإيجي في شرح المواقف: المقصد الرابع في الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو عندنا أبوبكر وعند الشيعة عليّ رضي الله عنه لنا وجهان: الأوّل: إنّ طريقه إمّا النصّ أو الإجماع بالبيعة، أمّا النصّ فلم يوجد، وأمّا الاجماع فلم يوجد على غير أبي بكر ... (شرح المواقف ج٨: ص ٣٥٤) وقال أيضاً: المقصد الثاني في شروط الإمامة: الجمهور على أنّ الإمامة ومستحقّها من هو: مجتهد في الأصول والفروع ... شجاع، قويّ القلب ... نعم يجب أن يكون عدلاً في الظاهر لئلا يجور، فإنّ الفاسق ربما يصرف الأموال في أغراض نفسه، فيضيّع الحقوق، عاقلاً ليصلح للتصرّفات الشرعية والملكية، بالغاً لقصور عقل الصبي ... فهذه الصفات التي هي الثمان أو الخمس شروط معتبرة في الإمامة بالإجماع (شرح المواقف ج٨: ص ٣٥٠) وإلى غير ذلك من كلمات العلماء من أهل السنة والجماعة، فلاحظ.

(١) والمقصود بالخبر الذي فيه المسائل التسع هو الخبر الذي تمنّى فيه أبوبكر أموراً تسعة، وقد تمنّاها حيث كان نادماً عليها وإليك نصّ الحديث:

➔

←

فقد أخرج الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن عوف أنّه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفّى فيه، فأصابه مهتماً، فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمدلله بارئاً، فقال أبوبكر: أتراه؟ قال: نعم، قال: إنّي ولّيت أمركم خيركم في نفسي ... قلت له: خفّض عليك، فانّ هذا يهيضك في أمرك، إنّما الناس في أمرك بين رجلين إمّا رجل رأى ما رأيت، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحبّ، ولا نعلمك أردت إلّا خيراً ولم تزل صالحاً مصلحاً، وأنّك لا تأسى على شيء من الدنيا، قال أبوبكر: أجل إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ، وثلاث وددت أنّي سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمّا الثلاث التي وددت أنّي تركتهنّ، فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء و إن كانوا قد غلقوه على الحرب. ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي، وأنّي كنت قتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً.

ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق الرجلين عمر وأبا عبيدة فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً.

وأمّا اللاتي تركتهنّ فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه فإنّه تخيّل إليّ أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه.

ووددت أنّي حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الردّة كنت أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا، وان هزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً.

ووددت لو أنّي كنت إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فكنت قد بسطت يدي كلتيهما في سبيل الله ومدّ يديه.

ووددت أنّي كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد

ووددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟

وودت أنّي كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمّة، فإنّ في النفس منهما شيئاً ... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٦١٩) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠: ص ٦١٩ وابن أبي

←

كتاب فضائل الصحابة لخيثمة بن سليمان [(١)] وكبير طب [المعجم الكبير للطبراني] [(٢)] وكتاب العقد الفريد [(٣)] والمختارة للمقدسي [(٤)] وإمامهم ابن جرير في تاريخه [(٥)] وابن قتيبة في كتاب السياسة [(٦)] والجوهريّ في كتاب السقيفة [(٧)]، و غيرهم في غيرها [(٨)] عن أبي بكر أنّه تمنّى في مرض موته أنّه

➔

الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص ٥١ و ج ٢٠: ص ٣٤ والمتقي الهندي في كنزالعمال ج٥: ص ٦٢٢ واليعقوبي في تاريخه ج٢: ص ١٢٧، وغيرهم.

(١) انظر فضائل الصحابة لخيثمة ج٢: ص ١٠٨ وكنز العمال ج٥: ص ٦٣٣ نقلاً عن كتاب فضائل الصحابة لخيثمة.

والخيثمة هو أبوالحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي الطرابلسي المقرئ المحدّث بالشام، ولد في سنة ٢٢٧ من الهجرة وتوفي سنة ٣٤٣ من الهجرة ومن تصانيفه كتاب فضائل الصحابة وكتاب الرقاق وكتاب الآحاد والمثاني (انظر كشف الظنون ج٢: ص ١٣٨٥).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١: ص ٦٢.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربّه القرطبي ج٤: ص ٢٥٠

(٤) الأحاديث المختارة لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المتوفّى سنة ٦٤٣، ج١: ص ٨٧ وقال بعد ذكر الحديث هذا حديث حسن عن أبي بكر

(٥) تاريخ الطبري ج٢: ص ٦١٩ في حوادث السنة الثالثة عشر

(٦) الإمامة والسياسة ج١: ص ٢ بتحقيق الزيني.

(٧) كتاب السقيفة وفدك لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: ص ٤٣.

(٨) لقد روى هذا الحديث الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ج٣: ص ١١٧ وفي ميزان الاعتدال ج٣: ص ١٠٨ و ابن حجر في لسان الميزان ج٤: ص ١٨٨ والمسعودي في مروج

➔

جعلها في عنق أحد الرجلين و صار هو الوزير له [(١)].

فأنصف يا من يخشى الله فهل ترى من نُصّ عليه يتمنى كونه الوزير؟! فإنّه لو فرض وجود نصّ على إمامته لما جاز له تركه و تغييره، لعدم لياقة غيره حينئذٍ لذلك، من حيث تعيين صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله له. فصدور التمنّي منه دليل على عدم وجود نصّ عليه، ولم يقل من بلغه تمنّيه: إنّه منصوص عليه [(٢)].

وخامسها: ما عن المشار إليهم وغيرهم عنه من أنّه تمنّى في مرض موته أنّه سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن الخليفة بعده [(٣)]، وعن أنصاره؛ هل لهم في

←

الذهب ج٢: ص ٣٠١ وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال: ص ١٧٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص ٢٠٢ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٤: ص ٣٤٣ والجصاص في أحكام القرآن ج٣: ص ٥٢٠ والبلاذري في أنساب الأشراف ج١٠: ص ٣٤٦ وغيرهم.

(١) انظر فضائل الصحابة لخيثمة ج٢: ص ١٠٨ والمعجم الكبير للطبراني ج١: ص ٦٢ والأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي ج١ : ص ٨٧ وتاريخ الطبري ج٢: ص ٦١٩ والامامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ٢٤ و كتاب السقيفة للجوهري: ص ٤٣.

(٢) وخلاصة الكلام: لو كان نصّ على إمامة أبي بكر لماذا تمنّى أبوبكر أن يقذف أمر الخلافة في عنق عمر بن الخطاب وأبي عبيدة الجراح كي يكون أحدهما أميراً ويكون هو وزيراً له؟ فإذا كان هناك نصّ وهو تمنّى ذلك فمعناه إمّا أنّه تمنى مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أو تمنّى شيئاً لم يرد فيه النصّ والظاهر أنّ قبول الثاني يكون أهون لابن تيمية، فلاحظ.

(٣) وبعبارة أوضح: إنّ من المسائل التي تمنّاها أبوبكر أن يفعلها هي أنّه تمنّى أن يسأل رسول

←

←
الله صلى الله عليه وآله: أنّ أمر الخلافة لمن يكون؟ لئلا يتنازع فيها أحد بعده.

والسؤال الذي يتوجّه هنا إلى ابن تيمية ومن يدّعي النصّ في إمامة أبي بكر هو أنّه لو كان النبي صلى الله عليه وآله نصّ على إمامته لماذا تمنّى أبوبكر أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ أمر الخلافة يكون لمن؟

وهل يعقل أن ينصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا يعلمه؟

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله نصّ على إمامته لماذا لم يدعه أبوبكر في السقيفة بدل التنازع مع الأنصار؟

والحقيقة أنّ قضية وجود النصّ في الإمامة أمر واضح في الإسلام حيث أنّ الروايات صريحة في أنّ أبابكر قد حضر واقعة غدير خم و شهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصب فيه الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة وأقامه علماً للأمّة وقلّده منصب الإمامة وأقبل المسلمون يهرعون وهم يبايعون الامام بالخلافة ويهنّئونه بإمرة المسلمين، وأقبل أبوبكر و عمر فهنّئا الامام عليه السلام وصافحاه وقالا له: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي و مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقد أخرج هذا الحديث جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة، قال شمس الدين المناوي في فيض القدير: لمّا سمع أبوبكر و عمر ذلك (حديث الولاية يوم غديرخم) قالا فيما أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص: أمسيت يابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن و مؤمنة (فيض القدير ج٦: ص ٢١٨).

وقال أبوعبدالله الزرقاني المالكي في شرح المواهب: روى الدارقطني عن سعد قال: لمّا سمع أبوبكر وعمر ذلك قالا: أمسيت يابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن و مؤمنة (شرح المواهب اللدنّية ج٧: ص ١٣) وقال السيد أحمد زيني دحلان المكي في الفتوحات الاسلامية: وكان عمر يحبّ علي بن أبي طالب وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جاء عنه في ذلك شيء كثير فمن ذلك: أنّه لمّا قال النبي صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعليّ مولاه، قال أبوبكر وعمر: أمسيت يابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن و مؤمنة (الفتوحات الاسلامية ج٢: ص ٣٠٦) ورواه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدني المالكي في كتابه كفاية الطالب
←

ذلك حقّ[١]. فإنّ من الضروريات فساد تمنّيه المسألة عن الخليفة وقد ثبت

➔

في حياة عليّ بن أبي طالب: ص ٢٨ و محمد محبوب العالم، في كتابه تفسير شاهي : ص ٢٢١ عن أبي سعيد الخدري وغيرهم (انظر كتاب الغدير ج١: ص ٢٧٢ ـ ٢٨٣).

(١) فإنّ من المسائل التي تمنّاها أبوبكر أن يسألها رسول الله ﷺ هو أن يسأل رسول الله ﷺ هل للانصار نصيب في أمر الخلافة أم لا؟

والسؤال الذي يتوجّه هنا إلى ابن تيمية ومن يدعي النصّ على امامة أبي بكر هو لماذا تمنّى أبوبكر في فراش موته أن يسأل رسول الله ﷺ هل يكون للأنصار نصيب في أمر الخلافة أم لا؟

أولاً: هذا شكّ في ما كان فيه، لأنّ أبابكر ردّ على الأنصار يوم السقيفة عندما قالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فقال: الأئمة من قريش. ألم يكن يعلم بأنّ الخلافة في القريش، فكيف حصل له الشكّ بعد ما ذكره؟ ولم يرد عليه أحد هذا الكلام لأنّ أصله كان ثابتاً حيث إنّ رسول الله ﷺ قال في حديث معروف متّفق عليه: الأئمّة من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش وقد أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه بإسناده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش (صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام باب بيعة النساء).

فإذا كان أبوبكر سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ كما سمعه الصحابة لماذا شكّ في قول رسول الله ﷺ وتمنّى آخر حياته أن يسأل رسول الله ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر نصيب أو لا؟

هل أراد أبو بكر بهذا التمنّي مخالفة قول رسول الله ﷺ أو أنّه غلبه الوجع وكان في مرض موته يهجر ويهذي لأنّه قد تمنّى شيئاً وهو موجود؟!

وبعبارة أخرى: إنّ التمّني إنّما يصحّ إذا لم يكن ما تمنّاه موجوداً فلا معنى لتمنّي ما هو موجود فعلاً. وفي المقام لو كان النصّ على مسلك القوم موجوداً لما تمنّى السؤال عن

🡐

النصّ على كونه هو الخليفة. فعلم من تمنّيه المشار إليه بهتان دعوى النصّ عليه [(١)].

➔

النبي صلى الله عليه وآله هل للانصار نصيب في أمر الخلافة أو لا؟

وثانياً: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على إمامته فلماذا وقع التنازع في السقيفة بين المهاجرين والأنصار على من هو الأولى بتصدّي أمر الخلافة، وهل الصحابة خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ إذ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد نصّ على خلافة أبي بكر كانت المشاجرة بينهم في السقيفة مخالفة لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه لو كان هناك نصّ فمعناه أنّ الرسول صلى الله عليه وآله عيّن الخليفة، وإذا كان الخليفة معيّناً فاختيار الخليفة في مقابل تعيين رسول الله صلى الله عليه وآله مخالفة صريحة لأوامره.

ومن ناحية أخرى إذا لم يوجد نصّ على خلافة أحد كما هو اختيار أكثر علماء أهل السنة والجماعة، فإنّ من ادّعى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة أبي بكر معناه أنّه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وثالثاً: إنّ أبابكر قد بايع الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غديرخم وسمع النبي صلى الله عليه وآله يعلن إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وولايته وخلافته من بعده أليس هذا دليل صريح على أنّ أبابكر كان يكذب في قوله.

(١) وبعبارة أوضح كيف يمكن الجمع بين القولين: القول الأوّل: هو ادعاء وجود النصّ من النبي صلى الله عليه وآله على إمامة أبي بكر والثاني: أنّ أبابكر يتمنّى السؤال عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه هل يكون للأنصار نصيب في أمر الخلافة أو لا؟

فإنّ ما تمناه أبوبكر أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله يكذّب دعوى القائل بوجود النصّ في إمامته.

وبعبارة أوضح: لابد لابن تيمية ومن يدّعي النصّ في خلافة أبي بكر إمّا أن يعترف بأنّهم كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في ادعائهم وإمّا أن يلتزموا بأنّ أبابكر كان يهذي ويهجر أواخر حياته ولا يعلم ما يقول.

➔

والعجيب الغريب من نصٍّ لم يظهر مدّة تأمّره على الناس وهي تزيد على سنتين و لم يدّعه رجل من الصحابة حال حياته [(١)]، بل بلغهم قوله بعدم النصّ عليه، فأقرّوه، وصدّقوه عليه [(٢)].

←

ولذلك قال المصنف رحمه الله في المقام: من الضروريات فساد الالتزام بهذه المقالة أي: لابدّ من قبول أحد هذه الأمور المذكورة، فلاحظ.

(١) وخلاصة الكلام أنّه لو كان هناك شيء في حقّ أبي بكر ممّا يدلّ على إمامته لذكره الصحابة في السقيفة وبعدها في حياة أبي بكر فعدم بيان شيء في المقام دليل على عدم وجود النصّ، إذ لو كان لبان، لاسيّما عند وجود التنازع، فإنّ القران الكريم قد أمر المسلمين في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (سورة النساء: ٥٩)

ومن المعلوم أنّ التنازع في السقيفة كان في أمر الإمامة والخلافة فكان يجب على أبي بكر ومن كان على نهجه أن يحتجّوا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله على الطرف المقابل وحيث لم يوجد شيء لا في السقيفة ولا بعد السقيفة حتّى بعد تسلّط أبي بكر على الحكم. فيدلّ على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصّ على إمامته إذ لو كان لبان. ثمّ إنّه لو لم يوجد شيء في مقام التنازع ولا بعده فكيف يمكن ادعاء ذلك بعد القرون المتتالية، أليس هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟

ثمّ إنّه إذا لم يثبت قول على وجود النصّ على أبي بكر من الصحابة وعلى رأسهم الخليفة أبوبكر كيف ينسب إليهم قول لا يرضون به أليس هذا افتراء على الصحابة؟

(٢) وبعبارة أوضح إنّ بطلان ادعاء وجود النصّ على إمامة أبي بكر يعرف من قول أبي بكر نفسه، لأنّه صرّح في السقيفة: بايعوا أيّ الرجلين شئتم عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة الجرّاح. وإذا كان أبوبكر صادقاً في قوله عند أهل السنة والجماعة فيلزم عليهم أن يعترفوا بعدم وجود النصّ على إمامته؛ لأنّه لو كان هناك نصّ على امامته يلزم أن يكون مخالفاً

←

وهنا طامة عظمى وهي: أنّه نقل لهم في السقيفة ما دلّ على حصر الخليفة في قريش [(١)]، وفي مرض موته قال ما دلّ على كذبه بذلك النقل

➔

لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ولا أظنّهم يلتزمون بأنّ أبابكر خالف قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أو يلتزمون بأنّ النصّ وصل إلى ابن تيمية ومن يدعي النصّ على إمامته ما لم يكن يعلمه أبوبكر، وهذا أيضاً مما لا يلتزم به أحد منهم.

أو يلتزموا بأنّ أبابكر لم يكن صادقاً و جاداً في قوله بل أراد أن يستهزء بأهل السقيفة؛ لأنّه بناءً على هذا الاحتمال معناه أنّه كان عالماً بوجود النصّ ومع ذلك قال: بايعوا عمر و أبا عبيدة، و مرجع ذلك إلى الاستهزاء والكذب. ولا أظنّ يلتزم بذلك أحد منهم. هذا بناءً على المحمل الصحيح وأمّا إذا أردنا ملاحظة جميع الاحتمالات فالأمر يصل إلى القول بانّه كان يهذي.

وخلاصة الكلام أنّ من يدعي وجود النصّ على إمامة أبي بكر لابدّ له من الالتزام بأحد هذه الأمور لا محالة.

(١) وتوضيح المقام أنّ أبابكر احتجّ يوم السقيفة على الأنصار بأنّ المهاجرين من قريش والرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: الأئمة من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش وهذا الحديث متواتر عند الفريقين فقد رواه البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش (صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام، باب جعله قبل باب اخراج الخصوم).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثمّ تكلّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي ماذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فقال: كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش).

وأيضاً روى بسند، عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فسمعته يقول: انّ

➔

←

هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة قال: ثم تكلّم بكلام خفي عليّ فقلت لأبي: ما قال: قال: كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٦: ص ٣ كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش).

وعن جابر بن سمرة أيضاً قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٦: ص ٣ كتاب الإمارة نفس الباب)

وقد أخرج الشيعة الإمامية في كتبهم ما هو قريب من هذا المضمون. و من ذلك ما أخرجه الكليني في الكافي بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي (رضي الله عنه) يقول: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله و صنع الناس ما صنعوا و خاصم أبوبكر و عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح الأنصاري، فخصموهم بحجّة علي عليه السلام ، قالوا: يا معشر الأنصار قريش أحقّ بالأمر منكم؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش و المهاجرين منهم. إنّ الله تعالى بدأ بهم في كتابه، وفضّلهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الأئمة من قريش. قال سلمان (رضي الله عنه): فأتيت عليّاً عليه السلام وهو يغسّل رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبرته بما صنع الناس وقلت: إنّ أبابكر الساعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة إنّهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله، فقال لي: يا سلمان هل تدري من أوّل من بايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا أدري، إلّا أني رأيت في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار، وكان أول من بايعه بشير بن سعد وأبو عبيدة بن الجرّاح ثمّ عمر ثمّ سالم قال: لست أسألك عن هذا و لكن تدري أوّل من بايعه حين صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا ولكني رأيت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه بين عينيه سجادة شديد التشمير صعد إليه أوّل من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثمّ نزل فخرج من المسجد فقال علي عليه السلام: هل تدري من هو؟ قلت: لا ولقد ساءتني مقالته كأنّه شامت بموت النبي صلى الله عليه وآله، فقال الامام عليه السلام: ذلك إبليس لعنه الله، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّ ابليس

←

عن الرسول صلى الله عليه وآله. فإنّه تمنّى المسألة منه عن أنصاره هل يصير منهم خليفة[1] وهو قد قطعهم عن هذه الدعوى في السقيفة بأنّه سمعه يقول

➔

ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاي للناس بغدير خمّ بأمر الله عزوجل فأخبرهم أنّي أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب، فأقبل إلى ابليس أبالسته ومردة أصحابه، فقالوا: إنّ هذه أمّة مرحومة معصومة ومالك ولا لنا عليهم سبيل قد اعلموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيهم. فانطلق إبليس لعنه الله كئيباً حزيناً. وأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لو قبض أنّ الناس يبايعون أبابكر في ظلّة بني ساعدة بعد ما يختصمون، ثمّ يأتون المسجد فيكون أوّل من يبايعه على منبري إبليس لعنه الله في صورة رجل شيخ مشمّر يقول كذا و كذا، ثمّ يخرج فيجمع شياطينه وأبالسته فينخر ويكسع ويقول: كلا، زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل؟ فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتّى تركوا امر الله عزوجل وطاعته وما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله (الكافي ج٨: ص ٣٤٣ ح ٥٤١). فهذا الحديث من الأخبار المقطوع بصدورها من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولذلك لم يعترض أحد الصحابة على هذه الجهة من كلام أبي بكر وهو القول بأنّ الخلافة من قريش.

(١) فإنّ من المسائل التي تمناها أبوبكر أن يسألها رسول الله صلى الله عليه وآله هو أن يسأله صلى الله عليه وآله هل للإنصار نصيب في أمر الخلافة أو لا؟ كما ورد في الحديث الذي أخرجه كبار علماء أهل السنة منهم الطبري في تاريخه ج٣: ص ٦١٩ في حوادث السنة الثالثة عشر ومنهم ابن عبد ربه في العقد الفريد ج٤: ص ٢٥٠ ومنهم ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج١: ص ٢٤ وغيرهم.

أقول: كيف يمكن الجمع بين هذه المسألة و ما قاله أبوبكر يوم السقيفة بأنّ المهاجرين أولى من الأنصار حيث إنهم من قريش وهذا إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: الأئمّة من بعدي كلّهم من قريش كما روى ذلك جميع صحاح أهل السنة والجماعة، فكون الخلافة للقريش أمر متسالم عليه بين الصحابة ولذلك احتجّ أبوبكر على الأنصار وقال نحن

🡐

الخليفة من قريش[1]!

➔

الأمراء وأنتم الوزراء. قال العيني في شرح هذه الجملة: كأنّه أراد بهذا أنّ الإمارة أعني: الخلافة لا تكون إلّا في المهاجرين، وأراد بقوله أنتم الوزراء أنتم المستشارون في الأمور للمهاجرين، لأنّ مقام الوزارة الإعانة والمشورة والاتّباع (عمدة القاري ج١٦: ص ١٨٥).

فأبوبكر ردّ على الأنصار يوم السقيفة بهذا القول وكان يقصد من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله الأئمة من قريش كما جاء قريب من هذا المضمون في صحاح أهل السنة والجماعة (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٧ كتاب الأحكام باب بيعة النساء وصحيح مسلم ج٦: ص ٣ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش و غير ذلك من الصحاح).

فاحتجاج أبي بكر بأنّه أحقّ من الأنصار بالخلافة كان ناظراً إلى هذا الحديث وإن كان هذا الاحتجاج في الحقيقة يلزم أبابكر تسليم الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام حيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقصد جميع قبائل قريش، إذ من الواضح أنّ كثيراً من قبائل قريش كانوا أعداء الإسلام وأعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف يمكن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد بذلك جميع قبائل قريش وهم كانوا من الكفار؟ فمن الواضح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد قبيلة بني هاشم كما جاء في بعض النصوص والروايات، (انظر ينابيع المودة ج٢: ص ٢١٥) ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ١٨٤) وأراد بالثمرة عليه السلام نفسه وأهل بيته، بمعنى أنّه إذا كان الملاك عندهم شجرة قريش فالأولى ثمرة هذه الشجرة فأنا أحقّ بها و إن لم يكن الأنصار من قريش إلاّ أنّ الانطباق الصحيح إنما هو منحصر بأميرالمؤمنين عليه السلام. وعليه إذا كان الأمر كذلك فلماذا تمنّى ابوبكر أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار في أمر الخلافة نصيب؟

ومرجع ذلك إمّا إلى كونه كاذباً أو كان يهجر ويهذي، فلاحظ.

(١) لقد أخرج علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم بطرق متعدّدة احتجاج أبي بكر على

➔

➔

الأنصار يوم السقيفة بقول النبيصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الأئمة من قريش قال ابن حجر العسقلاني: وقد جمعت طرق (حديث الأئمة من قريش) عن نحو أربعين صحابياً... (فتح الباري ج٧: ص٢٥).

وقال في شرح باب الأمراء من قريش: أخرجه (حديث الأئمة من قريش) الطبراني والطيالسي والبزار والمصنِّف (البخاري) في التاريخ من طريق سعد بن إبراهيم عن أنس ... ومن حديث أبي بكر بلفظ الأئمة من قريش. و رجاله رجال الصحيح (فتح الباري ج١٣: ص١٠١).

وقال القاضي عياض: اشتراط كون الإمام قرشياً، مذهب العلماء كافة، و قد عدوّها في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيه خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار، وقد كان عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم على هذا (فتح الباري ج١٣: ص ١٩٠ نقلاً عن القاضي عياضي)

وقال الإيجي: لنا قولهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الأئمّة من قريش، ثمّ الصحابة عملوا بمضمون هذا الحديث وأجمعوا عليه. (المواقف ج٣: ص ٥١٥).

وقال أيضاً: لو وجد نصّ على إمامة عليّ لمنع به غيره عن الإمامة كما منع أبوبكر الأنصار بقولهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الأئمّة من قريش (المواقف ج٣: ص ٦٠٠).

وإلى غير ذلك من الأقوال في الحديث المجمع عليه عندهم، ولا حاجة إلى البحث في الدلالة بعد اعترافهم بتلقيها بالقبول.

والعجيب من الصحابة كيف سكتوا عمّا قاله أبوبكر في فراش موته حيث قال: ووددت أني كنت سألته (أي سألت رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هل للأنصار في هذا الأمر نصيب .. (تاريخ الطبري ج٢: ص ٦٢٠).

أليس أنّه احتجّ على الأنصار بقول النبيصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الأئمة من قريش؟ فلماذا يقول: وددت أن أسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هل للأنصار نصيب في أمر الخلافة؟

فإنّ مرجع هذا الكلام إلى أمرين، الأوّل: أنّه كان منكراً لقول رسول اللهصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي احتجّ به

🡐

فليت شعري ما وجه متابعتهم لمن يعترف بنفسه بأنّه كذَّب على الرسولﷺ بل عند التأمّل تجد إمامته قد بنيت على كذبه على الرسولﷺ؟

فيا لهفي عليه وعلى متابعيه من حيث تأسيسهم مذهبهم على الكذب على صاحب الشريعة [1].

➔

نفسه على الأنصار.

الثاني: أنّه قد غلبه الوجع في فراش موته وكان يهذي ويهجر، لأنّه كيف يعقل التمنّي للسوال عن رسول اللهﷺ من أنّه هل للأنصار نصيب في أمر الخلافة أو لا بعد ما كان يعلم أنّ رسول اللهﷺ قد نصّ على أنّ خلفائه من قريش؟ فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟

(١) وخلاصة الكلام أنّ ما تمناها أبوبكر من المسائل أن يسألها رسول اللهﷺ إمّا دليل على جهله للحديث الذي كان مسلّماً عند جميع المسلمين أو دليل على أنّه كان شاكّاً بالنسبة إلى قول رسول اللهﷺ؛

أمّا الأوّل: فإنّه كيف يمكن أن يقال: بأنّه كان غير عالم بالنسبة إلى قول رسول اللهﷺ مع انّه احتجّ بقول رسول اللهﷺ في السقيفة على الأنصار والأنصار لم يعترضوا عليه من هذه الجهة. فمعلوم أنّ قول رسول اللهﷺ: الأئمة من قريش كان ثابتاً لدى جميع الصحابة، وإذا كان كذلك فلماذا قال أبوبكر: وددت أن أسأل رسول اللهﷺ هل للأنصار نصيب في أمر الخلافة او لا؟ فإنّ هذا التمنّي دليل على أنّه لم يصدّق رسول اللهﷺ في قوله، وإنّما أراد أن يحتجّ به ليغلب على الأنصار لا لأنّه قول رسول اللهﷺ وحجّة عليه و على جميع المسلمين. ولذلك تمنّى في فراش موته أن يسأل رسول اللهﷺ هل للأنصار نصيب في أمر الخلافة مع أنّ رسول اللهﷺ نصّ على أنّ الأئمة من قريش.

اللّهم إلّا أن يقال إنّه كان يهذي في مرض موته وذلك من ضعف عقله.

➔

وسادسها: ما نقله إمامهم أحمد في مسنده عن أبي بكر نفسه أنّه اعتذر عن قبول إمامته لهم وبيعتهم له بالخشية من فتنة تكون بعدها ردّة[1].

➔

وثانياً: أنّه تمنّى أن تكون الخلافة إمّا لعمر بن الخطاب أو لأبي عبيدة الجراح وقال في السقيفة: بايعوا أيّ الرجلين شئتم عمر بن الخطاب أو أباعبيدة.

ونحن نسأل الذين يدّعون وجود النصّ على خلافة أبي بكر، إذا كان الأمر كما تدعون لماذا قال أبوبكر: بايعوا فلاناً أو فلاناً؟ هل كان صادقاً في قوله أو لا؟ إذا لم يكن صادقاً في قوله فمذهب أهل السنة مبنيّ على قول الكذّابين وإذا كان صادقاً فمعناه أنّه كذّب رسول اللهﷺ؛ إذ بهذا القول يكذّب النصّ المزعوم الوارد في إمامته فيلزم على من يدعي النصّ، الالتزام بأحد الأمرين إمّا أن يكون أبوبكر كاذباً في قوله يوم السقيفة بايعوا فلاناً وفلاناً، وإمّا أن يكون مكذّباً لرسول اللهﷺ. وعلى كلا التقديرين يكون المذهب مبنياً على القول الباطل كما هو ظاهر واضح، فلاحظ.

(١) أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن علي بن عيّاش قال: حدثنا أبو الوليد بن مسلم قال: أخبرني يزيد بن سعيد بن ذي عصوان العنسي عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن رافع الطائي رفيق أبي بكر في غزوة السلاسل، قال: سألته عما قيل من بيعتهم؟ فقال وهو يحدثه عمّا تكلّمت به الأنصار، وما كلّمهم به وما كلّم به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذكّرهم به من إمامتي إياهم بأمر الرسول ﷺ في مرضه فبايعوني لذلك و قبلتها منهم و تخوّفت أن تكون فتنة بعدها ردّة (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٨) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص ٢٠٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص ٥٨٦ و المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٥٤ وقال بعد ذكر الحديث أخرجه أبوذر الهروي في مستدركه على الصحيح.

أقول: كيف يمكن الجمع بين هذه الرواية وما يدّعيه البعض من وجود النصّ على خلافة أبي بكر؟!

➔

قال ابن حجر: وفي خبر ابن اسحاق وغيره أنّ سائله قال له: ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمّر على اثنين؟ فقال: خشيت على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله الفرقة. انتهى [(١)].

➔

فإنّه لو كان هناك نصّ على خلافته لكان يحتجّ به ولا يخشى الفتنة والردّة من عدم القبول، لأنّه يجب على جميع المسلمين العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وآله فكلّ مسلم يعلم بأنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة عليه كقول الله عزوجل، فالإعراض عن قول رسول الله إعراض عن دين الله عزوجل وهذا يرجع إلى الردّة لا عدم قبول البيعة منه! فلاحظ.

(١) قال ابن حجر المكّي في الفصل الأول من كتابه الصواعق المحرقة: وأخرج أحمد عن أبي بكر أنّه اعتذر عن قبوله البيعة خشية الفتنة يكون بعدها ردّة، وفي رواية عند ابن إسحاق وغيره أنّ سائله قال له: ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمّر على اثنين؟ فقال: لم أجد من ذلك بدّاً، وخشيت على أمّة محمّد الفرقة (الصواعق المحرقة: ص ١٠) وأخرجه السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ٧٩ والحلبي في السيرة ج٣: ص ٤٨٤، وغيرهم.

وفي السيرة النبوية لابن هشام: إنّ رافع بن أبي رافع الطائي، وهو رافع بن عميرة، كان يحدّث ـ بلغني ـ عن نفسه قال: كنت امرءاً نصرانياً، وسميت سرجس، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية ... فلمّا أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل قال: قلت: والله لأختارنّ لنفسي صاحباً، قال: فصحبت أبابكر، قال: فكنت معه في رحله، قال: وكانت عليه عباءة له فدكيّة، فكان إذا نزلنا بسطها، وإذا ركبنا لبسها ثمّ شكها عليه بخلال له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفّاراً: نحن نبايع ذا العباءة؟! قال: فلمّا دنونا من المدينة قافلين، قال: قلت: يا أبابكر، إنّما صحبتك لينفعني الله بك، فانصحني وعلّمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال: آمرك أن توحّد الله ولا

➔

قلت: لينظر من له أدنى شعور إلى ما قاله بنفسه، فإنّه ينفي دعوى النصّ عليه ويكذّبها؛ فإنّه لو كان منصوصاً عليه لقال في العذر: لم يكن لي بُدّ من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله: فإنّه هو الذي نصّ عليّ وجعلني خليفة بعده على الناس. وهو عذر مقبول من دون ريب[1].

➔

تشرك به شيئاً ... ولا تتأمّر على رجل من المسلمين أبداً، قال: قلت: يا أبابكر أمّا أنا والله فإنّي لا أرجو أن لا اشرك بالله أحداً أبداً ... وأمّا الإمارة فإنّي رأيت الناس يا أبابكر لا يشرّفون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعند الناس الّا بها، فلم تنهاني عنها؟ قال: إنّك إنّما استجهدتني لأجهد لك وسأخبرك عن ذلك: إنّ الله عزّوجلّ بعث محمداً صلى الله عليه وآله بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً، فلمّا دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه، وفي ذمّته، فإيّاك لا تخفر الله في جيرانه فيتبعك الله خفرته، فإن أحدكم يخفر في جاره فيظلّ ناتئاً عضله غضباً لجاره أن أصيب له شاة أو بعير، فالله أشد غضباً لجاره، قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلّما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّر أبوبكر على الناس قال: قدمت عليه، فقلت له: يا أبابكر، ألم تكن نهيتني عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بدّاً، خشيت على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله الفرقة (السيرة النبوية لابن هشام ج٤: ص ١٠٤٢).

(١) وتوضيح المقام أنّه بناءً على مسلك أهل السنة والجماعة، لا يمكن القول بوجود النصّ على إمامة أبي بكر.

أولاً لأنّ هذا القول ادّعاء بلا دليل، وبطلانه من أوضح الواضحات فلا يحتاج إلى البحث.

وثانياً: لو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر لاحتجّ به في السقيفة عندما تنازع الصحابة في أمر الخلافة، فكان عليه أن يقول في جواب من كان يدّعي الإمامة من الأنصار أنّه قد ورد النص في إمامتي، لا يعتذر ومن أجل رفع الفتنة يقبل الخلافة كما قاله عندما سئل بعد

➔

➔
تسلّطه على الناس لماذا توليت الأمر؟ قال: لم أجد من ذلك بدّاً، خشيت على الأمة الفرقة (انظر الصواعق المحرقة: ص ١٠).

وبعبارة أوضح: لو كان هناك نصّ على امامته لقال في الجواب إنّي منصوب للامامة ولم أجد بدّاً من ذلك لوجود النص على إمامتي لا أن يقول: خشيت الفرقة بين المسلمين ومن أجل ذلك قبلت الخلافة! فإنّ قوله هذا دليل على عدم وجود النصّ على إمامته.

وثالثاً: إنّ قوله: خشيت على الأمّة الفرقة، أيضاً ادّعاء محض منه لا يمكن قبوله؛ إذ أنّه اعترف في خطبته يوم تولّي الأمر فقال: أيها الناس وليتكم ولست بخيركم فبايعوا خيركم ... (انظر مجمع الزوائد ج٥: ص ١٨٣ والمعجم الأوسط ج٥: ص ٢٦٧ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٦٩ وكنز العمال ج٥: ص ٦٣١ و التمهيد للباقلّاني: ص ٤٩٢ و غيرذلك).

فإنّه اعترف في هذه الخطبة أولاً بعدم صلاحيته لهذا المقام والمنصب لوجود من هو خير منه في الأمّة وثانياً: طلب من الناس أن يبايعوا غيره الذي هو خير منه، وهذا دليل على أنّه كان يقطع بوجود من هو خير منه بين الأمّة، فلو كان هناك نصّ على إمامته لماذا اعترف في العلن بوجود من هو خير منه بين الناس.

ثمّ يتوجّه هنا إشكال آخر وهو أنّه لو كان هناك نصّ على إمامة أبي بكر و هو يقول بايعوا من هو خير منّي هل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نصّ على امامته مع وجود من هو خير منه؟!

لاشكّ أنّ من له أدنى معرفة يرى هذا الادعاء جسارة بساحة قدس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأنّه مع القطع بعدم صلاحية الرجل إنّ المدّعي يدّعي النصّ على خلافته!!!

ورابعاً: إنّ أبابكر قال لرافع بن عميرة كما في رواية ابن هشام صاحب السيرة النبوية: لا تتأمّر على رجل من المسلمين أبداً، ... (انظر السيرة النبوية لابن هشام ج: ص ١٠٤٢) فنهيه دال على رفضه، وإذا كان صادقاً في كلامه لماذا نقض كلامه و تسلّط بالقهر والغلبة والعنف والإرهاب على رقاب المسلمين؟ أليس أخذ البيعة من الناس بالقهر والقوّة وأجبروا الناس على قبول خلافته حتّى أنه قتل من كان مخالفاً لإمارته أليس هجم على بيت الزهراء
➔

وليقض المسلم عجباً من عذره، فإنّ الرحيم بأمّته كيف يتركها من دون تعيين الخليفة ولم يخش عليها من الفرقة والردّة؟ حاشى شفقة من بعث رحمة للعالمين صدور هذه الرذيلة منه[1]، فليقل لنا ابن أبي قحافة

➔

سلام الله عليها وفعل ما فعل من أجل الوصول حكومة؟!

وخلاصة الكلام: ادعاء وجود النصّ على خلافة أبي بكر التزام بالمتناقضين، فلاحظ.

(١) وقد ذكر تبارك وتعالى في وصف النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧) فإنّ التعبير بـ«العالمين» له إطار واسع يشمل كلّ البشر على امتداد الأعصار والقرون، بل يشمل جميع الموجودات والأكوان؛ لأنّه تعالى لم يقل: وما أرسلناك إلّا رحمة للناس والمسلمين، بل قال: وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين، فالرحمة المذكورة في الآية الكريمة ليست فقط للإنسان بل تشمل جميع الموجودات، وذلك ليغرس في نفس كلّ مؤمن أنّ الله تعالى وضع بين يدي الناس أسباب الهداية والنجاة والسعادة الأبدية، فإنّ باب رحمة الله مفتوحة لجميع الخلائق فمن شاء يدخلها، ومن أهمّ تلك النعم هي نعمة الولاية التي تحصل بها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

إذن لا يمكن أن يصدّق العاقل أنّ أبابكر يكون أرأف من رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالأمّة والناس؟ فإنّ الرسول الأعظمصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ رحمة للعالمين وهذه الصفة من الله تعالى في القرآن الكريم فهل يعقل أن يقال إنّ أبابكر خشي على الأمّة الإسلامية الفتنة ولكن رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ـ والعياذ بالله ـ غفل عن ذلك ولم يخلّف من يسدّ الفتنة ويجمع الأمّة، فهل أهل السنة يعتقدون أنّ هذه الفتنة التي ذكرها أبوبكر وقال إني خشيت الفرقة كان يعلمها رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أم لا؟

إذا قالوا بأنّ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لم يكن يعلم الفتنة ـ والعياذ بالله ـ وكان يعلمها أبو بكر فمعناه أنّهم يقدّمون أبا بكر على رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ. وإذا كانوا يعتقدون بأنّ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان يعلم بوقوع الفتنة والفرقة ومع ذلك لم يعيّن الخليفة فمعناه أنّهم يعتقدون أنّ أبا بكر

➔

ومتابعوه مَن الموجب على أمّته متابعة الثقلين حينماجعلهماخليفتين بعده[1]؟

➔

أعرف بحال المسلمين وأرأف بهم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا اذا كان يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله الفتنة وكان أرحم وأرأف بأمّته فكيف هو لم يجعل خليفة لما بعده حتّى يرفع الفتنة؟!

لاسيما أنّ الإسلام قد أوجب الوصيّة على الناس حذراً من الوقوع في فتن والمهالك وتخلّصاً من البلايا والآفات. وهذا أمر متعارف فإنّ كلّ أب شفيق بحال أولاده يوصي إليهم ما يصلح حالهم فكيف برسول ربّ العالمين الذي هو رحمة للعالمين وكان أرأف الناس بهم حتّى أرأف من الوالدين بالنسبة لأولادهم.

مضافاً إلى أنّ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت على أنّه لا يغادر المدينة إلّا واستخلف عليها أحداً لئلا تبقى أمور الناس بلا وليّ. وهل يعقل بعد ذلك أن يقال بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله غمض عينيه ولم يوص لخليفته؟ فهذه جسارة عظيمة إلى ساحته المقدّسة.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الثقلين الذي هو أصحّ الأحاديث الإسلامية التي رواها علماء الإسلام، بل إنّه من الأحاديث المتواترة بين الشيعة وأهل السنة وقد ورد بأسانيد متعددة ومتون مختلفة تنتهي أسانيده إلى جماعة من أجلّة الصحابة ومن العشرة المبشّرة عند أهل السنة والجماعة رواه أرباب الصحاح والمسانيد والسنن من علماء أهل السنة والجماعة منهم مسلم بن الحجاج في صحيحه في كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وغيره. وسنذكر أسناده ومتونه في محله.

فالحديث حجّة قاطعة على جميع المسلمين بمختلف مذاهبهم ومشاربهم، ومقتضاه وجوب التمسك والأخذ بكلّ ما جاء من العترة الطاهرة كما يجب التمسك والأخذ بما جاء في القرآن الكريم؛ لأنّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله قال فيهم: إنّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً (انظر سنن الترمذي ج٥: ص ٢٢٩) فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن والعترة الطاهرة منحصراً خليفةً ومرجعاً لما بعد وفاته، وأكّد

➔

ومَن جعل مَثَل أهل بيته مثل سفينة نوح[1]؟ ومن جعل علياً وليّ كلّ مؤمن

➔

على أنّ النجاة منحصر بالتمسّك بهما معاً لا بواحد منهما ولا بتركهما فقال: ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً...

وبالطبع إنّ معنى التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه والسير على نهجه وطريقه، فكذلك العترة الطاهرة فإنّ التمسّك بهم واجب على جميع المسلمين؛ لأن الأمر ظاهر في الوجوب على نحو الإطلاق بلا قيد، فكما يجب على جميع المسلمين التمسّك بالقرآن الكريم يجب عليهم التمسّك بالعترة طاهرة كذلك وإذا كان الواجب على الأمّة التمسك بالعترة الطاهرة من كلّ جهة فمعناه أنّ العترة الطاهرة هم خلفاء الرسولصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه تجب طاعتهم والأخذ بأقوالهم وأفعالهم وهذا معنى حصر التمسك بالقرآن والعترة الطاهرة أي يجب الأخذ بهما في جميع الأمور فالحديث واضح الدلالة على حجّية قول الأئمة المعصومينعليهم السلام وأفعالهم كسنّة رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه. فتجب على الأمة متابعتهم في جميع الأحوال والحالات كما تجب متابعة القرآن والسنة النبوية على جميع المسلمين ويلزم عليهم الأخذ بجميع تعاليمه و...

فحديث الثقلين يدلّ بالصراحة على أنّ النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عيّن خلفائه ونصّ عليهم بالإمامة والخلافة؛ ولذلك قالصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه : إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض حيث إنّ تعاليم الإمامة تعاليم الإلهية من القرآن الكريم والقرآن الكريم كتاب سماويّ يحتاج إلى من يعرف معالمه ويعرف تفسيره. فالإمام كالنبي معلّم للقرآن. وسيأتي توضيح الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

(١) هذه إشارة إلى حديث السفينة، وهو من الأحاديث النبوية المشهورة بين الفريقين الشيعة وأهل السنة وقد أخرجه علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم بطرق عديدة وأسناد متعدّدة وعدّوه من الصحاح قال ابن حجر: قد جاء هذا الحديث من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً ... (الصواعق المحرقة: ص ٢٣٤).

➔

➔

وإليك نصّ الحديث: فقد أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن حنش الكناني قال سمعت أباذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ومن أنكرني فأنا أبوذر، سمعت رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، (ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط مسلم(المستدرك على الصحيحين ج٢: ص ٣٤٣).

وأخرجه ابن المغازلي إلّا أنّه قال: «إنّما مثل...» وقال: من ركب فيها...» (انظر المناقب لابن المغازلي: ص ١٣٣) وأخرجه الطبراني عن أبي ذر إلّا أنّه قال: «سفينة نوح في قوم نوح...» وقال: «هلك ـ بدل ـ «غرق»» وزاد: «ومثل باب حطّة بني إسرائيل... » (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٦: ص ٨٥).

وأخرجه أبوطالب يحيى بن الحسين الهاروني من أئمة الزيدية في كتابه الإفادة بهذا السند عن حنش الكناني: إلّا أنّه قال: «من عرفني فقد عرفني «وقال»«مثل أهل بيتي فيكم...» وأخرج نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٨ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ١٨٤ والسيوطي في إحياء الميت: ص ٢٦).

واخرجه البزار وغيره عن ابن عباس: عن رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه قال: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٨) وكذلك السيوطي في إحياء الميْت بفضائل أهل البيت: ص ٢٥ وابن حجر في الصواعق: ص ١٨٤ والمغازلي في المناقب: ص ١٢٤ وغيرهم.

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال سمعت رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه يقول: إنما مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني اسرائيل من دخله غفر له (المعجم الاوسط ج٦: ص ٨٥).

وأخرج البزار بسنده عن عبد الله بن الزبير عن النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه قال: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا و تركها غرق (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٨ عن البزار عن عبد الله بن

➔

➔

الزبير).

وأخرج الثعلبي عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه: «مثل عترتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تركها غرق» (انظر إحياء الميت للسيوطي: ص ٢٤ وكنز الحقائق المطبوع بهامش الجامع الصغير ج٢: ص ٨٩ و مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٨ و غيرهم نقلاً عن الثعلبي).

وأخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه: إنّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق (تاريخ بغداد ج١٢: ص ٩١).

وأخرج الحمويني في فرائد السمطين بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه: يا عليّ أنا مدينة العلم وأنت بابها ولن يؤتى المدينة إلّا من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك لأنّك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك من سريرتي وعلانيتك من علانيتي، سعد من أطاعك وشقي من عصاك وربح من تولّاك وخسر من عاداك، وفاز من لزمك وهلك من فارقك، ومثلك ومثل الأئمة من ولدك من بعدي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق، ومثلكم كمثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة (انظر فرائد السمطين ج٢: ص ٤٢٢ وينابيع المودة : ص ٢٧) وإلى غير ذلك مما جاء في كتب القوم بطرق عديدة وأسناد مختلفة وعبارات قريبة، وسنذكرها إن شاء الله مفصّلا في محله.

ثمّ قال ابن حجر: ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهمصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان ... (الصواعق المحرقة: ص ١٥١).

وقال أبوبكر شهاب الدين الشافعي الحضرمي: ووجه تمثيلهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه لهم بسفينة نوح، أنّ النجاة من هول الطوفان ثابتة لمن ركب تلك السفينة، وأنّ من تمسّك بأهل بيتهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه وأخذ بهديهم كما عليه في الأحاديث السابقة نجا من ظلمات المخالفات واعتصم بأقوى سبب إلى ربّ البريّات، ومن تخلّف عن ذلك وأخذ غير مأخذهم ولم يعرف حقّهم غرق في

←

بعده[1]؟

→

بحار الطغيان واستوجب الحلول في النيران ... (رشقة الصادي: ص ٨٠) وإلى غير ذلك ممّا جاء في شرح الحديث، وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وخلاصة الكلام أنّ هذا الحديث الشريف واضح الدلالة على أنّ أئمة هل البيتعليهم السلام هم سبب نجاة الأمة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله لا غيرهم، ومعنى ذلك أنّهم خلفائه بلا فصل. فمن تمسّك بهم وركب سفينتهم نجى ومن تخلّف عنهم غرق وهلك، فلاحظ.

(١) من الأدلّة الصريحة علي إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته بلا فصل قوله صلى الله عليه وآله: عليّ وليّ كلّ مؤمن من بعدي (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٤٣٨) أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن عمران بن حصين وأخرجه الترمذي في سننه ج٥: ٢٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة: ص ١٤ و في سننه الكبرى ج٥: ص ٤٥ والطيالسي في مسنده: ص ١١١ وابن أبي شيبة الكوفي في المصنّف ج٧: ص ٥٠٤ وابن أبي عاصم في كتابه السنة: ص ٥٥٠ والآحاد والمثاني ج٤: ص ٢٧٩ وأبويعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ٢٩٣ و ابن حبان في صحيحه ج١٥: ص ٣٧٤ والطبراني في معجمه الكبير ج١٨: ص ١٢٩ وغيرهم.

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعلي: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٣) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٠ والطيالسي في مسنده: ص ٣٦٠ والنسائي في خصائص أميرالمؤمنينعليه السلام: ص ٦٤ والطبراني في المعجم الكبير ج١٢: ص ٧٨ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩١ والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٧٥ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٠٠ وابن حجر في الإصابة ج٤: ص ٤٦٧ و إلى غير ذلك من الروايات والكتب التي روت هذا الحديث، و صحّحه جماعة منهم. وسنذكر ذلك عند البحث في سند الحديث إن شاء الله تعالى...) وأمّا من جهة الدلالة

←

ومَن جعله منه بمنزلة هارون من موسى في غير النبوّة [(١)]؟ ومَن جعله هادياً

➔

ففيه دلالة واضحة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: حيث إنّ كلمة (بعدي) في الحديث تبيّن هذه الحقيقة؛ إذ لا معنى لتفسير لفظ المولى بالمحبّة والنصرة إذ أنّها لا تختصّ ببعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فالولاية التي تختصّ ببعد الوفاة هي الإمامة والخلافة.

ومثله ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن بريدة قال: رسول الله صلى الله عليه وآله لا تقع في عليّ فإنّه مني وأنا منه وهو وليّكم بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٣٥٦) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٨ وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج٨: ص ٥٢ والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص ١٢٢، و غيرهم. و أيضاً هذا الحديث يدلّ دلالة واضحة على ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وإمامته وهو نصّ في أنّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وليّ الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الوليّ والقائم مقامه كما قال كميت الشاعر رحمه الله:

ونعم وليُّ الأمر بعد وليّه ومنتجع التقوى ونعم المؤدّب

(انظر المراجعات: ص ١١٧ ـ ١١٨).

(١) وفي هذه العبارة إشارة إلى حديث المنزلة وهو من الأحاديث الصحيحة عند علماء الإسلام وقد أخرجه جميع أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنة والجماعة فأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم بسنده عن سعد بن أبي وقّاص قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى (صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٨) وأخرجه في كتاب الغزوات باب غزوة تبوك بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا انّه ليس نبيّ بعدي؟ (صحيح البخاري ج٥: ص ١٢٩).

➔

←

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب).

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٣٢)

وأخرج احمد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخلّف علياً رضي الله عنه قال: قال له علي ما يقول الناس فيّ إذا خلّفتني؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ، أو لا يكون بعدي نبي (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٣٣٨).

وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي، ولو كان لكنته (تاريخ بغداد ج٤: ص ٥٦) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٧٦ والذهبي في سير أعلام النبلاء ج١٥: ص ٤٢ وابن حجر في لسان الميزان ج٥: ص ٣٧٨ والصفدي في الوافي بالوفيات ج٥: ص ١٣، وغيرهم. ولا يخفى ما في الحديث من الدلالة الواضحة على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث لا ريب أنّ الإستثناء دليل العموم، قال البيضاوي: ومعيار العموم جواز الاستثناء، فإنّه يخرج ما يجب اندراجه لولاه، وإلّا لجاز من الجمع المنكّر ... (انظر منهاج الوصول في معرفة علم الاصول: ص ٧٦).

وقال نظام الدين الأنصاري في شرحه المزجيّ لكلام محبّ الله البهاري: (لنا جواز الاستثناء) ثابت في الكلمات المذكورة (وهو معيار العموم) فإنّه إخراج ما لولاه لدخل ... (انظر فواتح الرحموت بهامش المستصفى ج١: ص ٢٦١).

فتثبت جميع المنازل التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله للامام أميرالمؤمنين عليه السلام سوى النبوة.

ومن منازل هارون الخلافة والامامة فكذا بحكم الحديث الخلافة والامامة تكون للامام

→

➔

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لدلالة جميع منازل هارون التي منها الخلافة و منها شركته لموسى في أمره ويراد بذلك الامامة سوى النبوّة فيكون الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً مع النبي صلى الله عليه وآله في حياته، وهذه الامامة كانت مستمرّة إلى بعد وفاته.

والذي يؤكد هذا المعنى أنّ قولهصلى الله عليه وآله: إلّا أنّه لا نبيّ بعدي فالنبيّ الاكرمصلى الله عليه وآله لم يستثن من تلك المنازل إلّا النبوة فلابد أن يكون المراد بالحديث إثبات جميع المنازل التي منها الامامة والخلافة قال ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث: (أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى) أي نازلاً منّي منزلة هارون من موسى ... (فتح الباري ج٧: ص ٦٠) وقال العيني: ومعناه: أنت متصل بي و نازل مني منزلة هارون من موسى ... وبقوله: إلّا أنّه لا نبي بعدي، يعني أنّ اتصاله ليس من جهة النبوة، فبقي الاتصال من جهة الخلافة، لأنّها تلي النبوة في المرتبة ... (عمدة القاري ج١٦: ص ٢١٤)، فالحديث يدلّ بالصراحة على ثبوت جميع المنازل ـ إلّا ما استثني ـ للامام أميرالمؤمنينعليه السلام، و هذا العموم مستفاد من الاستثناء ولولا استثناء النبيصلى الله عليه وآله النبوة لبقيت تحت عموم المنازل ولذلك ورد في بعض النصوص «لو كان لكنته» (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص ٥٦).

وأيضاً من دلالات حديث المنزلة عصمة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إذ أنّ من منازل هارون من موسى العصمة وهي ثابتة للامام أميرالمؤمنينعليه السلام حيث إنّ من منازل النبي الاكرمصلى الله عليه وآله عصمته فالمعصوم هو المقدّم على غيره وحيث إنّه لا قائل لعصمة غير أئمة أهل البيت عليهم السلام من جميع المسلمين بالاتفاق حيث إنّهم صرّحوا بعدم عصمة جميع الصحابة والخلفاء بلا استثناء فهذا الاتفاق والاجماع يخرج الجميع عن موضوع العصمة، وحديث المنزلة يثبت عصمة مولانا أمير المؤمنينعليه السلام. فبدلالة الحديث صريحاً وبإجماع جميع أهل السنة إنّ مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام يكون مقدّماً على جميع الصحابة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث إنّ هذا الحديث يدلّ على عصمته والصحابة ليس لديهم العصمة بالإجماع.

➔

للناس بعده [١] ؟ إلى غير ذلك من السنن التي مضت جملة منها ويأتي

➔

وخلاصة الكلام أنّ هذا الحديث فيه دلالة واضحة على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وسيتبين للقارئ الكريم تفصيل البحث في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لقد وردت روايات كثيرة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (سورة الرعد: ٧) من أنّ المراد بالهادي في الآية الشريفة هو الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منها ما أخرجه السيوطي في تفسيره عند تفسير الآية الكريمة قائلاً: وأخرج ابن جرير وابن مردويه وأبونعيم في المعرفة والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال: لما نزلت إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد، وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب عليّ رضي الله عنه فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي (الدر المنثور ج٤: ص ٤٥) وأخرجه أبونعيم في معرفة الصحابة ج١: ص ٨٧ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٥٩ وغيرهم.

وأخرج ابن مردويه في كتابه مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي عليه السلام باسناده عن أبي برزة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما أنت منذر ووضع يده على صدر نفسه ثم وضعها على صدر عليّ ويقول: لكلّ قوم هاد (انظر المناقب لأحمد بن موسى ابن مردويه: ص ٢٦٦) ورواه السيوطي في الدر المنثور ج٤: ص ٤٥ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٩٠ و الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص ٣٨٧ والزرندي الشافعي في معارج الوصول في معرفة آل الرسول: ص ٣٥ وغيرهم

وأخرج السيوطي أيضاً عن ابن مردويه والضياء (وهو ضياء الدين المقدسي) في المختاره (أي كتاب الأحاديث المختارة) عن ابن عباس في الآية الكريمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر والهادي علي بن أبي طالب (الدر المنثور ج٤: ص ٤٥).

وأخرج السيوطي أيضاً عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني في

➔

جملة[1]، وهي بأجمعها دلّت على أنّ خلفائه صلى الله عليه وآله من بعده عترته عليهم السلام دون

➔

الأوسط والحاكم وصحّحه، وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أنا الهادي وأنت المنذر (الدر المنثور ج٤: ص ٤٥). وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٩ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ٢٩٦ ح ٥ و ٦ ثم قال: أخرجه المالكي عن ابن عباس ويعني بالمالكي: علي بن أحمد صاحب كتاب الفصول المهمة.

أقول: وقال صاحب إحقاق الحق: إنّ ابن عقدة صنّف كتاباً في هذه الآية والروايات في شأن أميرالمؤمنين عليه السلام (انظر إحقاق الحق ج٣: ص ٩٣)

وأمّا دلالة الحديث على امامة أميرالمؤمنين عليه السلام فأوضح من أن تحتاج إلى بيان؛ لأنّ الله تبارك و تعالى جعل في الآية الكريمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مشاركاً في فعل النبي صلى الله عليه وآله وهو الهداية التي هي من لوازم الولاية وليس لأحد أن يشارك النبي صلى الله عليه وآله في الرسالة السماوية إلاّ من كان نبيّاً أو خليفة نبيٍّ والآية قد بيّنت أنّ رسالة النبي صلى الله عليه وآله منحصرة في الإنذار والنبي صلى الله عليه وآله بيّن أنّ الهادي والعلّة المحدّثة لهداية الناس نفسه الشريف الهادي أي العلّة المبقية لهداية الناس هو مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بك يهتدي المهتدون بعدي (كما في رواية ابن عباس المتقدم ذكرها). وسنذكر تفصيل البحث في محله إن شاء الله تعالى. فالمقصود بالهادي بعد رسول الله الامام أميرالمؤمنين عليه السلام.

(١) وذلك مثل حديث الغدير وحديث الراية وحديث الطير وحديث الكساء وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها و حديث أهل بيتي أمان لأهل الأرض و حديث علي مع الحق وحديث إنّ علياً منّي وأنا من علي وحديث سدّ الأبواب وحديث يا علي لا يحبك إلّا مؤمن و لا يبغضك إلّا منافق وحديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر وغيرها من الأحاديث التي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

غيرهم[(١)].

---

(١) لاشكّ أنّ الروايات والنصوص التي رواها علماء أهل السنة والجماعة في ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأولاده المعصومينعليهم السلام كثيرة جداً لا يمكننا استقصائها في هذه العجالة وهي موجودة في كتب الحديث والتفسير والتاريخ والسيرة والتراجم للعلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة والباحث لو درسها يجدها على ضوء القواعد المقرّرة في العلوم الأدبية والأصولية والعلمية المعتبرة عند العلماء والمحققين وهي دالة على وجوب ولاية من يجب أن يتولاه المسلمون في دينهم بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ثمّ يجد فيها أنّ الوصاية، أي من أوصى به النبيصلى الله عليه وآله وصياً من بعده وإماماً وخليفة هي في مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وأولاده المعصومينعليهم السلام من بعده وهم أحد عشر أئمة الهدى وأعلام التقى واحداً بعد واحد إلى أن انتهى الأمر إلى المهدي من آل محمد عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وبما أنّ هذه الروايات من كتب أهل السنة وقد صححها كبار علمائهم و اعترفوا بدلالتها على المقصود فيلزم على جميع أتباعهم أن يتّخذوا دلالتها بعين الاعتبار لأنّها أقوال رسول اللهصلى الله عليه وآله.

وليعلموا أنّ عقيدة الشيعية إنّما هي قابلة للإثبات عند أهل السنة والجماعة بما هو حجّة عندهم، فاحتجاج الشيعة على السنة إنّما يكون بالروايات الصحيحة عندهم والمقبولة لديهم من جهة الدلالة، لأنّها واضحة الدلالة بل وبعضها صريحة في ولاية مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين من ولدهعليهم السلام.

ثمّ إنّ المحقق الباحث لو تأمل في الحقائق التاريخية التي سجّلها أبناء أهل السنة والجماعة في أصحّ كتبهم من محاربة خلفاء الجور للأئمّة الأطهارعليهم السلام و من سنّ سبّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ومنح من يفعله الجوائز حتّى بقي اللعن والسب سنّة على منابر المسلمين مدّة سبعين عاماً، وتبارى الشعراء والكُتّاب لكتابة الشعر ضد آل

←

وقد نبّهنا على نبذة من المخالفات للشريعة بسبب إمارة أبي بكر ومن بعده على الناس فعلم كون عذره المشار إليه بهتاناً بيّناً ومناقضاً للسنن الصحيحة والحسنة المشار إليها [١].

البيت عليهم السلام لكي ينالوا الحظوة عند الأمراء والخلفاء الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام فانّ الكتب مليئة بهذه الامور والكتابات، والباحث لو درسها دراسة علمية متأنية يجد أنّ الله تبارك وتعالى أعلن في قرآنه الكريم ولاية أهل البيت عليهم السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بلغها بلاغة كاملة وافية لا يردّها إلاّ المعاند المتعصّب.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ حقيقة ما فعله أبوبكر من غصب الخلافة يعتبر ردّاً صريحاً للنصوص النبوية الشريفة وإن التبرير باعتذاره من الفرقة افتراء واضح وكذب فاضح؛ لأنّ من الضرورة أنّ غصب الخلافة جريمة عظمى ليس فوقها جريمة، وهي أعظم مخالفة لأوامر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث إنّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله أمر بطاعة أهل بيته المعصومين عليهم السلام المطهرين في كتاب الله العزيز في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(سورة الأحزاب: ٣٣) و أمر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله بالتمسّك بعترته الطاهرة كما جاء في حديث الثقلين المتّفق عليه بين جميع المسلمين وقد رواه علماء الإسلام وصححوه في كتبهم ونقله المحدّثون من أهل السنة والجماعة وأرباب الصحاح والمسانيد كمسلم بن الحجّاج في صحيحه ج٧: ص ١٢٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ٤: ص ٣٦٧ والنسائي في سننه ج٢: ص ١٤٨ و في كتابه فضائل الصحابة: ص ١٥ والدارمي في سننه ج٢: ص ٤٣٢ وأبي داود السجستاني في سننه ج٢: ص ٢٢٤ و الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٠٩ و البيهقي في سننه الكبرى ج٧: ص ٣٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٣ و ابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص ١٧٦ والطبراني في المعجم الأوسط ج٣: ص ٣٧٤، وغيرهم. وسيأتي ذكر سند الحديث

ومن هنا ترى العجب العجاب فيما نقله الدارقطني عنه من عدّة طرق، وحاصله أنّه لم يطلبها ولم يحرص عليها ولكنّه خاف الفتنة فقبلها [1]!

فانظر يا من ينصف من نفسه هل المخالف لهذه النصوص المعيّنة للخليفة ليس بحريص على غصب حقّ إمامه وإمام سائر الخلق وجاعله

➔

وتصحيحه و تواتره إن شاء الله تعالى في محلّه.

فلا إشكال في اعتبار الحديث لدى جمهور المسلمين وقد نطق به النبي الأكرمﷺ في مواطن متعدّدة وبيّن فيها أنّ العترة الطاهرة هم الخلفاء من بعده، فأمر ﷺ بالتمسّك بهم كما أمر فيه بالتمسّك بالقرآن الكريم ونهى عن التقدّم عليهم و المخالفة لهم، فأخبرﷺ بأنّ العترة الطاهرة عدل للقرآن الكريم وأنّهم أعلم الناس بعدهﷺ وأكّد على أنّ من تمسّك بهم لن يضلّ أبداً و من لم يتمسّك بهم فمصيره إلى الضلال المبين.

فأبوبكر الذي سمع هذا الحديث من رسول اللهﷺ وخالف النصّ النبويّ الصريح في وجوب التمسك بالعترة الطاهرة، وغصب الخلافة منهم وقدّم نفسه عليهم فلا مصير له إلاّ الخسران والضلال المبين، كما أنّه خالف أمر النبي الأكرمﷺ أيضاً خالف النصّ في حديث الغدير الذي سمعه من النبي الاكرمﷺ يوم غديرخمّ وهنّأ الامام أميرالمؤمنينعليه السلام بإمرة المسلمين و اعترف بإمامته وخلافته، كما جاء في مصادر أهل السنة والجماعة في الأحاديث رواها كبار علماء أهل السنة والجماعة وقد عقد العلامة الأميني باباً في كتابه الغدير لذكر الروايات وسمّاه باب تهنئة الشيخين أبي بكر و عمر لأميرالمؤمنينعليه السلام بإمرة المسلمين (لاحظ كتاب الغدير ج١: ص ٢٧٠) وسنذكر الأحاديث إن شاء الله تعالى في محله.

(١) راجع السيرة الحلبية ج٣: ص ٤٨٤ ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص ٣٠١ وتاريخ الاسلام للذهبي ج٣: ص ١٣ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥: ص ٢٧٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٧٧ نقلاً عن الدارقطني.

رعية له بعد تركه لهذه السنن كلها[1]؟!

---

(١) لا شكّ أنّ أبابكر قد أعرض عن السنن النبوية الشريفة بسبب غصب الخلافة من صاحبها الشرعي الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام وخلافته نصّاً جليّاً واضحاً، معلناً قطع العذر فيه وفيما فرضه على الأمّة، وقد عرفته الصحابة وفهمه العرب، فلا يقبل التأويل. وفيه التصريح على أنّ الخليفة الشرعي للاسلام والمسلمين بعد وفاته صلى الله عليه وآله هو الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والنصوص في هذا المجال كثيرة جداً بل فوق حدّ الإحصاء ومن الطبيعي لا يمكننا استقصائها في هذه العجالة نشير إلى بعضها اشارة اجمالية منها: حديث الغدير و هو من الأحاديث المتواترة بين الفريقين الشيعة وأهل السنة وقد نزل في شأنه الآيات العديدة من القرآن الكريم كآية التبليغ وآية الاكمال وآية سأل سائل وغيرها وسيأتي تفصيل البيان فيه ان شاء الله تعالى.

ومنها: حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين وحديث المنزلة وحديث المباهلة وحديث الراية وحديث المؤخاة وحديث لكل نبي وصي وحديث لا يؤدي عنك إلّا انت أو رجل منك و حديث اختصاص المناجات بعلي عليه السلام وحديث الوصية و حديث الطائر المشوي وحديث الكساء وحديث برز الايمان كلّه إلى الشرك كله وحديث سد الأبواب إلّا باب علي عليه السلام وحديث أنّ علياً مني وأنا من علي و حديث لا يحبك إلّا مؤمن و لا يبغضك إلّا منافق وحديث خاصف النعل و حديث انا مدينة العلم وعلي بابها وحديث من آذى علياً فقد آذاني وحديث تزوج علي عليه السلام من فاطمة الزهراء سلام الله عليها و حديث ردّ الشمس و حديث كسر الأصنام، و حديث عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ وحديث أهل بيتي أمان لأهل الأرض، و حديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر، وحديث أنا وعليّ من شجرة واحدة، وحديث إنّه صاحب الحوض و صاحب اللواء يوم القيامة، وحديث يكون خليفتي ويكون معي في الجنّة، وحديث إنّ فيك مثلاً من عيسى، و حديث اجلس يا أبا تراب، وحديث ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، وإلى غير ذلك من

←

أجل فمن الحريص؟! ولم يكفه حرصه عليها لنفسه بل حرص لغيره عليها من بعده ولم يردّها إلى صاحبها! فتدبر [(١)].

➔

الأحاديث، وكلّها تدلّ على إمامته وخلافته بعد النبي الأكرمﷺ وسيأتي ذكر الاستدلال بها إن شاء الله تعالى في محله.

(١) إنّ من أعجب العجائب ما فعله أبوبكر يوم السقيفة من غصب الخلافة طمعاً في أن الظروف لصالح دنياه القصيرة، وأعلن مخالفته لما جاء به النبي الاكرمﷺ من قبل الله عزوجل، وفي نفس الوقت يعتذر من خوف الفتنة. ففي حديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: كان عبد الرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب و إنّ محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم قام أبوبكر فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قطّ ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله عزوجل في سرّ و لا علانية ولكنّي أشفقت من الفتنة، و مالي في الإمارة من راحة ولكن قلّدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٦٦).

أقول: أولاً: إنّ هذا النص دالّ على الداهية النكراء الذي أراد أبوبكر يظهر فيه أنّه غير حريص على الإمارة وأنّه يودّ لو يجد من هو أقوى منه ليتخلّى له عن ذلك المقام.

أليس إنّه كان يقول وُلّيت ولست بخيركم، فبايعوا خيركم (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص ١٨٣ و المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص ٢٦٧ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٦٩ و غيرهم).

فإذا كان صادقاً في كلامه فيكون هذا الكلام اعترافاً منه على وجود من هو خير منه بين الصحابة، فكيف تقلّد الخلافة مع وجود من هو خير منه فيهم.

وثانياً: إنّ أبابكر لو أشفق على الأمة لترك أمر الخلافة و عمل فيها وفق توجيهات الرسول الأعظمﷺ، وإذا كان يعمل بأوامر النبيﷺ لم يبق محلّ للفتنة.

➔

وسابعها: إنّ ما زعموه من النصِّ مناقض لما رووه عنه من طرق عديدة من استقالته من مبايعيه بأن يُحِلّوه من بيعتهم له [(١)]. نقل ذلك عنه

➔

ولكن أبابكر وصاحبه عمر لم يعملوا بأوامر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في كثير من المواطن منها: إنّ النبي صلى الله عليه وآله أمرهما والصحابة أن يخرجوا مع جيش أسامة فخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وآله وشملهم لعن النبي صلى الله عليه وآله ثمّ حضروا في المجلس الذي طلب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله الكتف والقلم ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، فخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وآله ولم يأتوه بذلك بل وقد تجاسروا عليه بالقول الشنيع فاتّهموه بالهجر، فلو أطاعوا النبي صلى الله عليه وآله لم تحدث فتنة بعد.

وثالثاً: إنّ ابابكر من أين علم أنّه هو الأقوى من سائر الصحابة على حمل هذه المسؤولية و لماذا لا يكون الأقوى هو الذي نصبه الله ورسوله لهذا المقام العظيم، أليس هو هنّأ الإمام يوم غدير خمّ بإمرة المسلمين، أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ منّي وأنا منه، وقال الله تعالى في شأنه أنّه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله فهل أبوبكر كان أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ورابعاً: إنّ غصبه للخلافة هو الفتنة العظمى، لأن بغصبه للخلافة غيّر مصير الأمّة عمّا رسمه الله ورسوله، وهذه الفتنة ليس فوقها فتنة يخاف منها، لأنّ غصب الخلافة موجب لضلالة الأمّة، وهل يتصوّر فوق ذلك فتنة؟!!

(١) لقد روى كبار علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم المعتمد عليها أنّ أبابكر قام على المنبر بعدما بايعه الناس فقال: أقيلوني فلست بخيركم ... (انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر المكي: ص ٣٠).

أو قال: لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي ... (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص١٤).

أو قال: أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ١٦)

أو قال: هذا علي بن أبي طالب لا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار من أمره، ألا وأنتم بالخيار

←

➔

جميعاً في بيعتكم، فإن رأيتم لها غيري، فأنا أوّل من يبايعه (السيرة الحلبية ج٣: ص ٣٨٩).

أو قال: أيّها الناس قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ (الرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج١: ص ٢٥١). فهذه الروايات الواردة في المقام، ومدلولها واحد لأنّ المعنى في كلّها يرجع إلى استقالة أبي بكر من الخلافة، وهو أمر مشهور متسالم عليه بين علماء أهل السنة والجماعة، ولذلك قال ابن روزبهان: إنّ الخبر (أي خبر استقالة أبي بكر) بكامله في الصحاح والسيرة. و هذا نصّ عبارته: فإنّ أرباب الصحاح ذكروا في بيعة عليّ لأبي بكر أنّ بني هاشم لم يبايعوا أبابكر ... فجاءه أبوبكر في بيته فجلسا وتحدّثا ثمّ قال عليّ لأبي بكر: إنّك استأثرت هذا الأمر دوننا، ما كنّا نمنعك من هذا الأمر و لكن كان ينبغي أن تؤخّره إلى حضورنا.

فقال أبوبكر: يا أبا الحسن كان الأنصار يدّعون هذا الأمر لأنفسهم و كانوا يريدون أن ينصبوا أميراً منهم وكان يخاف منهم الفتنة فتسارعت إلى إطفاء الفتنة وأخذت بيعة الأنصار، وإن كان لك في هذا الأمر رغبة، فأنا أخطب الناس وأقيل بيعتهم وأبايعك والناس ...(دلائل الصدق ج٣: ص ٨١ ـ ٨٢).

فالخبر من الأخبار المشهورة والمتسالم عليها، ولذلك عقد محبّ الدين الطبري في كتابه الرياض النضرة باباً لهذه الجهة وعنونه بعنوان «باب ذكر استقالة أبي بكر من البيعة» وذكر فيه الروايات الواردة في هذا المقام (انظر الرياض النضرة ج١: ص ٢٥١) كما استدلّ بروايات كبار علماء أهل السنة والجماعة منهم: القرطبي، فإنّه استدلّ بهذه الروايات في تفسيره بفعل أبي بكر فقال: والدليل على أنّ الإمام إذا عزل نفسه انعزل قول أبي بكر أقيلوني أقيلوني ... (انظر تفسير القرطبي ج١: ص ٢٧١)، وكذلك ذكره الباقلاني في كتابه التمهيد: ص ٢٩٤ وأرسله إرسال المسلّم، وكذلك الآلوسي في تفسيره ج٢٧: ص ١٨٠ واليافعي في مرآة الجنان ج١: ص ٦٢ والسرخسي في شرح السير الكبير ج١: ص ٣٦ والشنقيطي في أضواء البيان ج١: ص ٣١ و غيرهم، فلاحظ.

جماعة من عمدهم مثل حمزة بن الحارث [١] وابن السّمان [٢]

---

(١) وهو حمزة بن الحارث بن عمير، ويقال له مولى عمر بن الخطاب قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث (الطبقات لابن سعد ج٥: ص ٥٠١)

وقال ابن أبي حاتم الرازي: هو بصريّ سكن مكّة روى عن أبيه ... (الجرح والتعديل ج٣: ص ٢١٠)

وقال المزّي:

وذكره ابن حبان في الثقات وروى له النسائي وابن ماجة (تهذيب الكمال ج٧: ص ٣١٤)

وذكره الذهبي في الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة وقال: وثقه ابن سعد وغيره (الكاشف ج١: ص ٣٥١)

وقال ابن حجر حمزة بن الحارث بن عمير العدوي مولاهم أبوعمارة البصريّ نزيل مكّة، ثقة من العاشرة ... (تقريب التهذيب لابن حجر ج١: ص ٢٤٠) و في حديث رواه الخطيب البغدادي بسنده عن حمزة بن الحارث بن عمير عن أبيه قال سمعت رجلاً يسأل أباحنيفة في المسجد الحرام عن رجل قال: أشهد أنّ الكعبة حقّ، ولكن لا أدري هل هي هذه التي بمكّة أم لا؟ فقال أبو حنيفة: مؤمن حقّاً. وسأله عن رجل قال: أشهد أنّ محمّد بن عبد الله نبيّ، ولكن لا أدري هو الذي قبره بالمدينة أم لا؟ فقال: مؤمن حقّاً، وقال الحميري: ومن قال هذا فقد كفر (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص ٣٧٠).

وعلى أيّ حال فقد وثّق الرجل علماء أهل السنة والجماعة وهو من المحدّثين الكبار عندهم.

وقد أخرج محبّ الدين الطبري في كتابه الرياض النضرة عن زيد بن أسلم قال دخل عمر بن الخطّاب على أبي بكر و هو آخذ بطرف لسانه وهو يقول: إنّ هذا (أي عمر بن الخطّاب) أوردني الموارد، ثم قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم قال عمر: والله لا نقيلك ولا نستقيلك. ثمّ قال محبّ الدين الطبري: خرّجه حمزة بن الحارث (انظر الرياض النضرة ج١: ص ٢٥١).

(٢) هو أبوسعد إسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي المتوفّى سنة ٤٤٥ هـ قال الذهبي في ←

والسَّلَفي [١]،

➔

ترجمته: الإمام الحافظ العلامة البارع المتقن أبوسعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان ... وكان يذهب مذهب الحسن البصري والشيخ أبي هاشم شيخ المعتزلة (سير أعلام النبلاء ج١٨: ص ٥٥).

وقال الصفدي في ترجمته: كان إماماً في القراءات والحديث والرجال، عالماً بفقه أبي حنيفة وفقه الزيديّة وكان يذهب مذهب الشيخ أبي هاشم ... (الوافي بالوفيات ج٩: ص ٩٢).

وقال الزركلي: قيل بلغت شيوخه ثلاثة آلآف وستمائة ... (الأعلام للزركلي ج١: ص ٣١٩).

وله مصنّفات منها: كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، وما رواه كل فريق في حقّ الاخر (انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ح٢: ص ١٨٩٠) وله كتاب الداعي إلى وداع الدنيا (انظر هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ج١: ص ٢١٠) وله كتاب البستان في تفسير القرآن في عشر مجلّدات وكتاب سفينة النجاة في الإمامة (انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٢: ص ٢٨١).

وراجع ترجمته في تذكرة الحفّاظ للذهبي ج٣: ص ١١٢١ والنجوم الزاهرة لابن تغري ج٥: ص ٥١ والبداية والنهاية لابن الكثير ج١٢: ص ٦٥ وطبقات المفسّرين للداودي ج١: ص ١٠٩ ومرآة الجنان لليافعي ج٣: ص ٦٢، وغيرهم.

وأخرج المحبّ الطبري عن أبي الجحاف قال: قام أبوبكر بعد ما بويع له فأقام ثلاثاً يقول: يا أيّها الناس قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ ... خرّجه ابن السمان في الموافقة (الرياض النضرة ج١: ص ٢٥٢).

(١) هو أبوطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الإصبهاني المعروف بأبي طاهر السلفي توفّي سنة ٥٧٦.

قال الذهبي في ترجمته: الإمام العلامة المحدّث المفتي، شيخ الإسلام شرف المعمّرين، أبوطاهر حمد بن محمد الإصبهاني الجرواني ويلقب جدّه أحمد: سلفة، وهو الغليظ

➔

وغيرهم [(١)]. فإنّه لو كان منصوصاً عليه لما وجد معنى لطلبه منهم إقالته،

→

الشفة وأصله بالفارسية: سلبة، وكثيراً ما يمزجون الباء بالفاء، فالسلفي مستفاد مع السلفي بفتحتين وهو من كان على مذهب السلف ـ قال ابن المفضّل عدّة شيوخ الحافظ السلفي بإصبهان تزيد على ستّ مائة نفس. والمشيخة البغداديّة خمس وثلاثون جزءً (سير أعلام النبلاء ج٢١: ص ٥).

وله كتاب المشيخة البغدادية قال حاجي خليفة: جمع فيها الجمّ الغفير مع فوائد ما لا توصف ولا تحصى جملتها تزيد على مائة جزء (كشف الظنون ج٢: ص ١٣٩٦)

وقال عمر رضا كحالة: من تصانيفه السداسيّات في الحديث، والمشيخة البغداديّة، و معجم السفر، والسلفيات في الحديث، وشرح القراءة على الشيوخ (انظر معجم المؤلفين ج٢: ص ٧٥).

وأخرج محبّ الدين الطبري عن أبي الجحاف قال: احتجب أبوبكر عن الناس ثلاثاً يشرف عليهم كلّ يوم يقول: قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شئتم. خرّجه الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية و ابن السمان في الموافقة ... (الرياض النضرة في مناقب العشرة ج١: ص ٢٥٢).

(١) أخرج محبّ الدين الطبري بسنده عن سويد بن غفلة قال: لمّا بايع الناس أبابكر قام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أذكر بالله أيّما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه ... (الرياض النضرة ج١: ص ٢٥٢).

وأخرج عن الحسن بن البصري قال: لمّا بويع أبوبكر قام دون مقام رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: يا أيّها الناس إنّي شيخ كبير فاستعملوا عليكم من هو أقوى منّي على هذا الأمر وأضبط له. فضحكوا وقالوا: لا نفعل ... (الرياض النضرة ج١: ص ٢٥٢). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون والمعنى.

فهذا الحديث من الأحاديث المشهورة التي استدلّ بها القوم، ولذلك قال القرطبي في تفسيره:

←

➔

والدليل على أنّ الإمام إذا عزل نفسه انعزل قول أبي بكر أقيلوني ... (تفسير القرطبي ج ١: ص ٢٧١) فالحديث عندهم من المسلّمات؛إذ إنّه اعتراف بعدم لياقته لمقام الخلافة، فلو كان أهلاً لهذا المقام لما قال لهم أقيلوني؛ فإنّ الإنسان لا يستقيل من الشيء إلّا إذا لم يكن أهلاً له فقوله: أقيلوني إقرار منه بعدم استحقاقه للخلافة.

وبعبارة أوضح: لو كان صادقاً في قوله لكانت استقالته من الخلافة نقضاً للخلافة التي ادّعاها قبلا، بل إنّه سلب عن نفسه هذا المقام بإقراره، وإن كان كاذباً في قوله فيسقط عن لياقة الخلافة بالتعمّد بالكذب.

ولو ادّعي أنّه كان هازلاً فهذا أيضاً واضح البطلان، لأنّ مرجعها إلى أنّ الرجل كان أهل الهزل والتلاعب ولا يخفى أنّ المقام لا يقتضي ذلك، فمن كان كذلك لا يليق بمقام الخلافة؛ لأنّ هكذا شخص لا يفيد إلاّ لإجراء التمثيليّات لا الخلافة.

فاعترافه بقصوره عن هذا المقام يثبت بهذا القول. وإن كان أصل الأمر واضحاً، لأنّ خلافته كانت ببيعة عمر بن الخطاب وقد اعترف عمر بن الخطاب بأنّ بيعة أبي بكر فلتة.

ثمّ إنّه بناءً على ادّعاء من يدّعي النصّ لخلافة أبي بكر فإنّ استقالته من الخلافة يعدّ من أعظم المعاصي، إذ استقالته ردّ على الله ورسوله، فيكون قادحاً في إمامته.

بقي شيء وهو أنّه إذا كان أبوبكر حريصاً على الخلافة لماذا استقال؟

والجواب عنه واضح؛ لأنّ الرجل كان مطمئنّاً أنّ قريش تريد الانقلاب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأكثر الصحابة كانوا يضمرون هذا الأمر للمقاصد الدنيوية وكان هذا عندهم كأصل من الأصول الثابتة، وأمّا إدارة الأمور ومن هو مشرفاً عليه أمر على وفق التوافق بينهم والذي يختلج بالبال من الشواهد التاريخية أنّ الدليل على ما قاله أبوبكر في جمع الأمويين إنّما هو لمعرفة المخالفين له حتّى يقضي عليهم، إذ هذه المقالة صدرت منه بعد حادثة السقيفة في حين أنّه كان يخطب فالذي يبدو أنّه أمر جلاوزته ليعرفوا المخالفين له من الصحابة حتّى يستعمل كيده في حقّهم، فأراد بذلك تثبيت حكومته وإن أدّى إلى اعترافه بعدم لياقته وإلى إقراره بأنّ اختيارهم له كان غلطاً وخطأً واضحاً فلاحظ.

لعدم نصبهم له[١]، بل الناصب له حسبما فرض غيرهم. فاستقالته منهم دليل على كونهم هم الناصبين له، فلهم حينئذٍ عزله وإقالته[٢].

---

(١) وبعبارة أوضح: لو كان أبوبكر منصوصاً عليه للخلافة والإمامة لا معنى لاستقالته من الإمامة والخلافة، إذ معنى كونه منصوصاً عليه أنّ الله تبارك وتعالى جعله إماماً، وإذا كان الله تعالى قد جعله إماماً فليس لأحد أن يعزله عن ذلك المقام الإلهي كما أنّ النبوة كذلك إذن لا معنى لاستقالة الناس حيث إنّهم لم ينصبوه لهذا المقام حتى يكون لهم الحقّ في خلعه واستقالته، فلاحظ.

(٢) وبعبارة واضحة: إنّه بعد ثبوت عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر سوف يتّضح أنّ استقالته كانت من جهة أنّه لم يكن منصوصاً عليه إذ لو كان منصوصاً عليه لقال: إنّي قد نصبني الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله للإمامة والخلافة، لا أنّه يطلب استقالته. فطلب الاستقالة منه دليل على عدم كونه منصوصاً عليه.

وخلاصة الكلام أنّ ما زعمه بعض علماء أهل السنة من أنّ خلافة أبي بكر كانت بالنصّ أمر باطل، وبطلانه يتّضح من عدّة أدلّة:

منها: استقالة أبي بكر التي هي مناقضة لمّا ادّعوه، حيث إنّ قوله: أقيلوني فلست بخيركم وعليٌّ فيكم دليل على أنّه اعترف أوّلاً: بعدم لياقته لهذا المقام وثانياً: بوجود من هو خير منه ومن له صلاحية هذا المقام وثالثاً: إنّ استقالته تدلّ على عدم وجود نصٍّ عليه بالإمامة كما تقدّم توضيحه، لأنّه إمّا أن يكون صادقاً في قوله أو كاذباً، وعلى كلا التقديرين يسقط عن لياقة هذا المقام.

وتوضيح المقام: إنّ قول أبي بكر في استقالته من الخلافة إمّا أن يكون كلاماً صادقاً أو لا يكون كذلك فإذا كان صادقاً في كلامه فهذا أيضاً نقض للخلافة، لأنّ ما قاله من الاستقالة اعتراف بعدم لياقته لهذا المقام وإذا كان كاذباً فإنّ الكذب يسقطه عن لياقته لهذا المقام وإذا كان هازلاً أيضاً لا يليق الهزل بمقام الإمامة والخلافة، لأنّ الموقف حازم والأمر مربوط بمصير هداية الناس وضلالتهم، فكيف يكون الإنسان في مثل هذا المقام

←

وثامنها: ما نقلوه عنه من الخبر الذي دَلّ على دخول الحسن بن عليعليه السلام إلى المسجد فوجده على المنبر يخطب، فقال له: انزل عن منبر أبي فقال له: أي والله إنّه لمنبر أبيك فقال عليعليه السلام: ليس قوله عن نظري. قال له: مانتهمُك على ذلك.

نقلناه بالمعنى [1] وهو خبر ثابت الصحّة لديهم، نصَّ على صحّته

هازلاً مع أنّ الهزل والتلاعب مع الناس يخرجه عن لياقته لذلك كما هو واضح ظاهر.

وبعبارة أخرى: إنّ المقام مربوط بأخذ البيعة وعدمها فكيف يمكن لعاقل أن يدّعي أنّ أبابكر كان في مقام الهزل والتلاعب بعقول الناس.

والاحتمال الأخير هو أن يكون قوله امتحانياً، أي أنّه أراد أن يمتحن الصحابة ويعرف المخالفين له كي يقضي عليهم بمساعدة جلاوزته.

هذا الاحتمال أيضاً لا يمكن لأحد من علماء أهل السنة ادعاؤه لأنّه يقدح في عدالته وعدالة الصحابة، حيث إنّ هذا الاحتمال يرجع إلى أنّ الصحابة لم يكونوا على جادّة الحقّ وكان فيهم الاضطراب على أمر الدين والخلافة والإمامة، وهذا لا يطابق عقيدة أهل السنة في الصحابة.

نعم يمكن أن يقال: إنّ أبابكر امتحنهم من أجل أن يعرف مَن المخالف لبيعته وحكومته ليكشف عن أسرارهم ثمّ ليقضي عليهم بالعنف والإرهاب، والصحابة لم يعلموا قصده وهذا الاحتمال يمكن ادّعائه إلاّ أنّه يخدش في عدالة أبي بكر، فلاحظ.

(١) هذه الرواية وردت في المصادر السنّية بأسناد صحيحة، وإليك بعض ما جاء في كتبهم: فقد أخرج ابن أبي الحديد بسند صحيح أنّ ابابكر كان على المنبر، فصعد إليه الإمام الحسنعليه السلام وكان صبيّاً فقال له: انزل عن منبر أبي واجلس على منبر أبيك! فقال له أبوبكر: نعم إنّه منبر أبيك، و أبي لا منبر له، وإنّ كلّ ما عندنا منكم، فهل أنبت الشعر على

جماعة، منهم شيخهم ابن حجر مفتى الحجاز في عصره في ردّه على الشيعة[1] . فتصديقه للحسن عليه السلام بأنّ المنبر منبر أبيه بمحضر الصحابة وتقريرهم له على ذلك دليل بيّن على عدم النصّ عليه و على ثبوت النصّ

➔

رؤوسنا إلّا الله وأنتم، وقد أخرج هذا الحديث جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة منهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بسنده عن الشعبي قال: قام الحسن بن علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له: انزل عن منبر أبي فقال أبوبكر: صدقت، والله إنّه لمنبر أبيك، ولا منبر لأبي. فبعث عليٌّ إلى أبي بكر أنّه غلام حدث، وإنّا لم نأمره، فقال أبوبكر: صدقت، إنّا لم نتّهمك (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص ٤٢).

وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قعد أبوبكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء الحسن بن عليّ فصعد المنبر وقال: انزل عن منبر أبي فقال له أبوبكر منبر أبيك لا منبر أبي فقال عليّ وهو في ناحية القوم إن كان لعنْ غيرِ أمري خرجه أبوبكر من الانباري (الرياض النضرة ج١: ص ٢٠٣) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٣٠٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص ٦١٦ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٣: ص ٢٦ وابن شبة في تاريخ المدينة ج٣: ص ٧٩٨ وابن الجوزي في المنتظم ج١٩: ص ٤٢٥، وغيرهم.

(١) قال ابن حجر المكي في الصواعق: وأخرج الدار قطني أنّ الحسن جاء لأبي بكر و هو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انزل عن مجلس أبي فقال: والله إنّه لمجلس أبيك، ثّم أخذه وأجلسه في حجره وبكى. فقال علي رضي الله عنه أما والله ما كان عن رأيي فقال: صدقت والله ما أتّهمك ... (انظر الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة: ص١٧٧).

على علي عليه السلام[(١)].

وتاسعها: ما ورد على وجه للصحة من طرقهم من صدور مثل هذه القضية للحسين بن علي عليه السلام مع عمر فانّه دخل المسجد فوجده على المنبر يخطب فقال له: انزل عن منبر أبي فقال له : اي والله انّه لمنبر أبيك وهل أنبت الشعر على رؤوسنا غيره[(٢)] يعني وهل نلنا العز بغيره، فأقره الحاضرون

---

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ما قاله أبوبكر للإمام الحسن عليه السلام؛ صدقت فيما قلت، معناه أنّ صعودي على المنبر الذي يكون للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام صعود غصب؛ لأنّه اعترف بأنّ ذلك المنبر لم يكن مكانه ولم يليق به بل إنّه مكان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فجلوسه عليه يكون غصباً. ومعنى ذلك أنّ خلافته تكون خلافة غاصبة. فقوله: صدقت، إقرار منه على أنّه غاصب لخلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنّ المنبر هو منبر الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ليس له منبر وليس له شأن في ذلك ولم يكن له حقّ أن يصعد ذلك المنبر. فهذا الحديث مناقض لادّعاء وجود النصّ على خلافة أبي بكر، فلاحظ.

(٢) لقد ورد في المصادر السّنية بسند صحيح أنّ عمر بن الخطاب كان على المنبر وهو يخطب فصعد إليه الإمام الحسين عليه السلام وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك! فقال عمر: إنّ أبي لم يكن له منبر، منبر أبيك والله، إنّ ما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثمّ أنتم.

فقد أخرج هذا الحديث ابن عساكر بسنده عن عبيد بن حنين عن الإمام الحسين عليه السلام قال: صعدت إلى عمر بن الخطاب وهو على المنبر فقلت له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال: من علّمك هذا؟ قلت ما علّمنيه أحد، قال: منبر أبيك و الله منبر أبيك والله منبر أبيك والله، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلّا أنتم؟ لو جعلت تأتينا وجعلت تغشانا (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص ١٧٥).

←

➔
وأخرج أيضاً بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام قال: صعدت إلى عمر بن الخطّاب فقلت له: انـزل عن منبر أبي و اصعد منبر أبيك قال: فقال: إنّ أبي لم يكن له منبر، قال فأقعدني معه، فلّما نزل ذهب بي إلى منزله فقال: أي بنيّ من علّمك هذا؟ قال: قلت: ما علّمنيه أحد قال: أي بنيّ لو جعلت تأتينا وتغشانا قال: فجئت يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب ولم يؤذن له فرجعت فلقيني بعد فقال لي: يا بنيّ لم أرك تأتينا؟

فقال: قد جئت وأنت خال بمعاوية ورأيت ابن عمر رجع فرجعت فقال: أنت أحقّ بالإذن من عبد الله بن عمر، إنّ ما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثمّ أنتم، قال: ووضع يده على رأسه (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص ١٧٥).

وأخرج أيضاً عن أبي البختري قال: كان عمر بن الخطاب على المنبر فقام إليه الحسين بن علي فقال: انزل عن منبر أبي فقال عمر: منبر أبيك لا منبر أبي، من أمرك بهذا؟ قال: فقال: ما أمره بهذا أحداً أما لأوجعنّك يا عذر قال: فقال: لا توجع ابن أخي فقد صدق، منبر أبيه (تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٣٠٧).

وأخرج السيوطي عن أبي البختري قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام إليه الحسين بن علي فقال: انزل عن منبر أبي فقال عمر: منبر أبيك لا منبر أبي، من أمرك بهذا؟ فقام علي فقال: والله ما أمره بهذا أحد أما لأوجعنّك يا عذر فقال: لا توجع ابن أخي فقد صدق، منبر أبيه. إسناده صحيح (تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٥٩).

وأخرج ابن شبّه بسنده عن عبد الله بن كعب أنّ الحسين بن علي قام إلى عمر بن الخطاب و هو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب الناس يوم الجمعة، فقال: انزل عن منبر جدّي، فقال عمر: تأخّر يا ابن أخي قال: وأخذ الحسين برداء عمر فلم يزل يجذبه ويقول: انزل عن منبر جدّي، وتردّد عليه حتّى قطع خطبته ونزل عن المنبر وأقام الصلاة، فلمّا صلّى أرسل إلى الحسين، فلمّا جاء قال: يا ابن أخي من أمرك بالذي صنعت؟ قال الحسين: ما أمرني به أحد. قال له ذلك الحسين ثلاث مرات ... (تاريخ المدينة ج٣: ص ٧٩٨) وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في كتبهم بهذا المضمون فإنّه من الأحاديث الصحيحة
➔

على قوله [(١)].

➔ المستفيضة التي أخرجها جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة وصرّحوا بصحّتها فلا اشكال في الحديث ودلالته.

(١) لا شك أنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام آنذاك يعتبر تحدّياً عميقاً للسلطة الحاكمة الباطلة والجائرة في أدقّ و أخطر قضيّة عملت على حسم الأُمور، كما أنّ موقف الإمام الحسن عليه السلام كان كذلك مع أبي بكر في رواية أخرى، فإنّ هذين الموقفين من الحسنين عليهما السلام إقامة حجّة على جميع الناس على بطلان خلافة أبي بكر وعمر وإثبات الإمامة بالحجّة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأخذ الإقرار من الخليفتين الغاصبين على ذلك، وهذان الاحتجاجان من إمامين هما فرعان من دوحة الإمامة وغرس الرسالة الذين يفهمان الظروف التي تحيط بهما. وقد أقاما الحجّة على الجميع و إنّ موقعهما كان العمل بالوظيفة الشرعية والمسؤولية الإلهية.

ولكنّ أبابكر لم يكن يرى مصلحة في المعارضة مع الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنّه كان يعلم أنّ هؤلاء أهل بيت لا يمكنه الاحتجاج معهم، فكان يعلم أنّه كلّما يخوض معه في النقاش يزداد فشله أمام الناس فلم ير من صالحه أن لا يقرّ في مجلسه بل رأى أن لا يعارض ولا يفعل ما يضرّ حكومته.

وأمّا عمر بن الخطاب رأى نفسه في موضع قوّة وتخيّل أنّه قد أصبح قوياً في الحكم بعد حكومة أبي بكر وقد تكرس الموقف لصالحه والمخالفين لأهل البيت عليهم السلام على الصعيد السياسي، فأراد أن يعالج الموقف بالتهمة والافتراء على أهل البيت عليهم السلام لاسيما الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كي يعمل على وفق خلقه الغليظ واستعمال القوّة القهريّة فأراد أن يتّهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه الذي علّم ابنه الحسين عليه السلام ذلك، فأخذ عمر بن الخطاب الإمام الحسين عليه السلام وأجلسه على المنبر إلى أخر خطبته في نقل، وفي نقل آخر أخذ الإمام الحسين عليه السلام إلى بيته ليسأله عن العامل، فهذا يدلّ على أنّه كان ➔

➔

يصرّ على المقابلة بالنسبة إلى هذه الحركة الجهادية التي لم يمكن لأحد مجابهتهما عنها فأراد بإصرار أن يتّهم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كي يعمل ما يليق بشأنه من إرهاب وعنف ولكن حيث وجد أنّ الامام عليه السلام قال: لم يعلّمني أحد فعمل بالدبلوماسيّة وقال أولاً: إنّه منبر أبيك، وهو اعتراف واضح على أنه الذي غصب الخلافة من أبيه.

ثمّ اعترف اعترافاً آخر وهو قوله: إنّ ما أنبت الشعر في رؤوسنا الله ثم أنتم. ومعناه أنّ مجاري الأمور كلها بيد الله والله سبحانه و تعالى جعلها بيدكم حتّى نبت الشعر الذي هو من لوازم كلّ إنسان فهو يتحقّق في الخارج بإرادة الله سبحانه ثمّ بإرادة أهل البيت عليهم السلام باذن الله تعالى.

أو على ما وجّهه المصنّف رحمه الله أنّ كلّ ما لنا من العزّ إنّما هو من أجلكم بأن تكون عبارة الشعر والرأس كناية عن العزّة.

وكيف كان فإنّ عمر بن الخطاب كأبي بكر أسند إنبات الشعر إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

أقول: إنّ إسناد نبت الشعر إلى أهل البيت معناه أنّ الشعر على الرأس ينبت بإذن أهل البيت أي يخلق بإذنهم. وهذا على مسلك الوهابيّة شرك بالله العظيم لأنّه شرك في الخالقيّة، ولكن عندنا لاينافي التوحيد؛ لانّ المقصود به إنّما يكون ذلك بإذن الله، لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِه﴾ سورة التوبة: ٧٤. فنسب تعالى الرزق إلى الرسول صلى الله عليه وآله بإذن الله، فمثله نسبه أبوبكر وعمر في إنبات الشعر إلى أهل البيت عليهم السلام.

والمعنى أنّ الله تعالى أغنى المسلمين وأكرمهم، وأنبت شعر رؤوسهم بواسطة محمد و آل محمّد صلوات عليهم أجمعين، وببركتهم تسند كلّ نعمة إلى الله تعالى حقيقة وتسند إلى أهل البيت عليهم السلام مجازاً وبالواسطة لا في عرض الله؛ لأنّ الله عزوجل جعلهم سبباً في عطائه.

ثمّ إنّ الحاضرين من الصحابة قد أيّدوا هذا العمل ولم يقل أحد منهم لهما أخطأتما أو أشركتما بل أيّدوهما، ومعناه أوّلاً: لم يوجد نصّ عليهما للخلافة وثانياً: كان عملهما عند الوهابية شرك ولكن في الواقع كان صحيحاً، فلاحظ.

فعلم منه ثبوت النصّ على علي عليه السلام وعدمه في حقّ أبي بكر و عمر؛ فإنّ صحّة إمامة عمر موقوفة على صحة إمامة أبي بكر، فأيّ هاتين فسدت فسدت صاحبتها (١). وقد نصّ على صحّة الخبر المشار إليه ابن حجر المشار

---

(١) لا شكّ أنّ ما فعله الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام في المواجهة مع الخليفتين كان مورد اعتناء الصحابة لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يعامل الحسنين عليهما السلام معاملة الصبيان، بل كان يتعامل معهما كشخصيّتين إسلاميّتين تنتظرهما مسؤوليات كبرى، كما أفصحت عن ذلك نصوص نبوية وفيرة، وكانت الصحابة قد علمت اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وان كانت الصحابة مع علمهم بعظمة أهل البيت عليهم السلام وعظيم شأنهم عند الله ورسوله عليه السلام لم تعتن بهم وقد أبعدوهم عن القيادة السياسية وأزاحوهم عن مقامهم الذي جعله الله لهم ولكن مع ذلك كلّه كانوا يعلمون عظمة أهل بيت النبوة. فكان فعل الإمام الحسن والحسين عليهما السلام بمنظر الصحابة فعلاً ذا حكمة وأُصول دينية نابعة من بيت الرسالة والوحي فكانوا يعلمون أنّ ما فعله الإمام الحسن عليه السلام أو الإمام الحسين عليه السلام فعل حجّة بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وبنصّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنّهما لا يفعلان على خلاف ما أمر الله تعالى به.

فاعتراف الخليفتين كان بمرأى ومنظر الصحابة كما أنّ إقامة الحجّة من سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله كان كذلك، ولذلك استعمل الخليفتان السياسة الدبلوماسيّة لرفع الإشكال عمّا فعلاه، ولكن لم يدركوا نتيجة هذا التعرّف فاعترفوا بعدم لياقتهم لمقام الخلافة أولاً ثمّ صدّقوا كلام الحسنين عليهما السلام بأنّهما غاصبين لخلافة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام.

ولا إشكال أنّ الصحابة استنتجوا ذلك أيضاً.

وأمّا عمر بن الخطاب فإنّه مضافاً إلى اعترافه بغصب الخلافة وعدم لياقته بمقام الإمامة والاعتراف بعظمة أهل البيت عليهم السلام وكونهم أليق من جميع الناس بهذا المقام واعترافه بأنّ من نصبه لهذا المقام، كان على الباطل ولم يكن من حقه أن ينصبه لذلك المقام العظيم، لأنّه بعد إقراره بأنّ المنبر منبر الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام معناه أنّ أبابكر قبله غصب هذا

←

إليه، و غيره[١] .

وعاشرها: ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من قول عمر على المنبر بمحضر الصحابة: كانت بيعة أبي بكر فلتة[٢] . فإنّ معنى فلتة إمّا زلّة وإمّا

➔

المنبر ثمّ أعطى الإمارة المغصوبة لعمر بن الخطاب.

ولذلك يقول المصنف رحمه الله: إمامة عمر موقوفة على صحّة إمامة أبي بكر، فإذا فسدت إمامة أبي بكر لا محالة تفسد إمامة عمر؛ لأنّ اعتبار إمامة عمر كانت باعتبار إمامة أبي بكر ولمّا اعترف عمر بن الخطاب بأنّ المنبر الذي كان جالساً عليه هو منبر الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لا محالة اعترف بعدم اعتبار إمامة من نصبه للخلافة؛ لأنّ لازمه اعتراف بعدم صحّة إمامة أبي بكر ثمّ لا محالة تثبت عدم صحة إمامته أيضاً.

(١) انظر الصواعق المحرقة: ص ١٧٧ وتاريخ الخلفاء: ص ١٥٩ وسير أعلام النبلاء ج٣: ص ٢٨٥ وغيرها من المصادر.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المحاربين باب رجم الحبلى بسنده عن ابن عباس قال: كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجّة حجّها إذ رجع إلى عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أميرالمؤمنين اليوم فقال: يا أميرالمؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلته فتمّت، فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذّرهم هؤلاء ... فجلس عمر على المنبر فلّما سكت المؤذّنون قام فأثنى على الله... (الى أن قال) ثمّ إنّه بلغني أنّ قائلاً يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألّا و إنّها قد كانت كذلك ولكنّ الله وقى شرّها ... (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥) وأخرجه ومسلم في صحيحه، كتاب أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص ٥٥ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٦: ص ٥ وابن أبي شيبة في المصنّف ج٧: ص ٦١٥ والنسائي في السنن الكبرى

➔

بغتة[١] . وبعد فرض صدور النصّ عليها ليست بزلّة قطعاً، فإنّ الناس عليه

➔

ج٤: ص ٢٧٢ وابن حبّان في صحيحه ج٢: ص ١٤٨، وغيرهم.

وفي رواية أخرى قال عمر: ألا إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المؤمنين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٥١ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤: ص ٦٥٧ والرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج١: ص ٢٣٣ وغيرها وروى الجاحظ في كتابه العثمانية أنّ أبابكر قال في خطبته بعد البيعة: وقد كانت بيعتي فلتة وخشيت الفتنة (العثمانية: ص ٢٣١).

وأخرج البلاذري بسنده عن الزهري أنّه قال: خطب أبوبكر حين بويع واستخلف ... ألا وإنّي قد وليتكم ولست بخيركم، وقد كانت بيعتي فلتة خشيت فتنة (انساب الأشراف ج١: ص ٥٩٠).

وأخرج الطبري في تاريخه عند ذكر قصة السقيفة بسنده عن الضحاك بن خليفة قال: لمّا قام الحباب بن المنذر انتضى سيفه وقال: أنا جُذيلها المحلَّك وعُذيقها المرجَّب أنا أبوشبل في عرينة الأسد يعزى إلى الأسد. فحامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه ثمّ وثب على سعد ووثبوا على سعد وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد و كانت فلتة كفلتات الجاهلية ... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٤٥٩)

وإلى غير ذلك من الروايات فحديث بيعة أبي بكر فلتة من أصحّ الأحاديث وأوثقها عند أهل السنة والجماعة لأنّه من روايات البخاري والصحاح وقد اعتبره علماء أهل السنة صحيحاً سالماً عن الإشكال، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: معنى «فلتة» يتجلّى لنا من خلال النصوص وكلمات اللغويين وتعليقات الشارحين والمحشّين لهذه الكلمة في المصادر المعتمد عليها عند الفريقين فقوله: «فلتة» تعني إمّا: زلة، وإمّا: بغتة، وإمّا: فجأة.

أمّا معنى الزلّة فيراد بها البدعة أو الغلطة الكبيرة التي يستحقّ فاعلها الذمّ بل القتل إن عاد

🡐

←

بمثلها أحد حيث إنّ مدلول الحديث يناسب مع كون البيعة غلطة لا يحقّ لأحد أن يعود إليها؛ لأنّها حصلت بلا مشورة ولا حصول الاتفاق عليها، فهي على حدّ تعبير عمر بن الخطاب الشرّ لابدّ من قبوله، فقال: «وقى الله شرّها» وخطأ فاضح حيث أمر بأنّ من عاد إلى مثلها اقتلوه! وهذا ما يؤكّد كون معنى كلمة «فلتة» الزلّة أو الغلطة أو بدعة عظيمة لا يحقّ لأحد أن يرجع لمثلها.

أمّا معنى البغتة فيراد بها حدوث الشيء دفعة. وفي المقام أراد بها حدوث البيعة ما لم يتوقّع أي أنّ بيعة أبي بكر حصلت دفعةً فلم تتوقّع ولا هي مترقّبة، لأنّ أبابكر استبق إليها استباقاً من دون تروٍّ ولا مشورة وكأنّما حصلت هذه البيعة خلسة أي سرق خلسة اختلسها بين جماعة اجتمعت في السقيفة وهي عبارة اخرى عن كونها سرقة قد سرقها أبوبكر من أصحابها، وعمر قال وقى الله شرها ونهى عن العود لمثلها.

ومرجع هذا القول إلى عدم مشروعيّة مثل هذه البيعة التي حصلت من غير تتبّع الآراء أو لم تتبع عن رأي صحيح بحيث يكون فاعلها مستحقّاً للقتل.

أمّا معنى الفجأة فقد قال به بعض اللغويين كابن منظور في لسان العرب ما هذا نصّ عبارته: يقال: هذا الأمر فلتة، أي فجأة، إذا لم يكن عن تدبّر ولا تروٍّ ... (لسان العرب ج٢: ص ٦٧)

وقال ابن الأثير: الفلتة الفجأة، والفلتة كلّ شيء فعل من غير رويّة (النهاية في غريب الحديث ج٣: ص ٤٦٧)

وقال المحبّ الطبري: الفلتة ما وقع عاجلاً من غير تروٍّ ولا تدبّر في الأمر، واحتيال فيه وكذلك كانت بيعة أبي بكر فلتة كأنّهم استعجلوا خوف الفتنة ... (الرياض النضرة ج٢: ص ٤٦٧).

فالفجأة معناها أيضاً حدوث الفعل من غير تدبّر ولا مشورة وقد وصف الخليفة عمر بن الخطاب بأنّ هذه البيعة شرّ «وقى الله شرّها» أي حماهم وحفظهم الله من شرّ تلك البيعة والعجلة التي حصلت ببيعة أبي بكر ولذلك قال ابن حجر: «وقاهم الله شرّها» ما في العجلة

→

فرضاً معصوم. وليست ببغتة من حيث تعيّنه بسبب النصّ عند جميع الصحابة بعد فوت النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ[1]، والبغتة عبارة عن صدور شيء غير معهود و غير

➔

غالباً من الشر .... (فتح الباري ج١٢: ص ١٣٢).

وقال العيني: معناه: أنّ الله وقاهم ما في العجلة غالباً من الشر ... (عمدة القاري ج٢٤: ص ١٠).

وعلى أي حال فانّ «فلتة» معناه: صدفةً من المصادفات أو مؤامرة من المؤامرات ليست لها شرعية فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ خلافة أبي بكر لو كانت بالنصّ لما صحّ أن يقول الخليفة عمر بن الخطاب على رؤوس الأشهاد في خطبته على المنبر يوم الجمعة في أواخر خلافته أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها، فإنّ قوله «فلتة» أي وقعت من دون مشورة و دون اتّفاق عليه، ولذلك قال الداودي معنى قوله: «كانت فلتة» أنّها وقعت من غير مشورة مع وجود جميع من كان ينبغي أن يشاور ... (عمدة القاري للعيني ج٢٤: ص ١٠ نقلاً عن الداودي).

ولاسيّما مع ما جاء في كلام عمر بن الخطاب من كون البيعة كانت فلتة وقى الله شرها ...

وقد ذكر ابن حجر سبب إسراعهم إلى البيعة وقال: لما خالف أن يبايعوا الأنصار سعد بن عبادة فقال أبوعبيدة: عجّلوا ببيعة أبي بكر خيفة انتشار الأمر وأن يتعلّق به من لا يستحقّه فيقع الشرّ (انظر فتح الباري ج١٢: ص ١٢٢).

وقال ابن أبي شيبة الكوفي: ولكنّ الله وقى شرها، إنّه لا خلافة إلّا عن مشورة (المصنف ج٨: ص ٥٧٠) فإذا كانت البيعة فلتة وفتنة وقى الله شرّها و كانت بالعجلة التي غالباً تكون فيها الشّر كما صرح بذلك علمائهم كيف يمكن ادعاء النصّ على ذلك؟!!

ثمّ إنّ أبابكر صرّح في حديث أخرجه المتّقي الهندي بسنده عن موسى بن إبراهيم عن رجل من آل ربيعة أنّه بلغه أنّ أبابكر حين استخلف قعد في بيته حزيناً، فدخل عليه عمر بن الخطّاب فأقبل عليه يلومه و قال: أنت كلّفتني هذا الأمر، وشكا إليه الحكم بين الناس ...

➔

مترقّب صدوره[1]. فعلم كون إمامته غير معهودة بشهادة عمر و من حضره

➔

(كنز العمال ج٥: ص ٦٣٠ ح ١٤١١٠) كما أنّ أبابكر نفسه صرّح في خطبته: أنّه وليتكم ولست بخيركم وقد كانت بيعتي فلتة وذلك أنّي خشيت الفتنة (انظر أنساب الأشراف ج١: ص ٥٩٠) وروى عنه الجاحظ في العثمانية: أنّه مشى في الناس بعد بيعته ثلاثاً يقول: هل من مستقيل فيقال؟ وقد قال في خطبته بعد البيعة: وقد كانت بيعتي فلتة، وخشيت الفتنة ... (العثمانية: ص ٢٣١).

فهذه البيعة التي حصلت من غير مشورة وكانت شرّاً وقى الله ذلك باعتراف عمر بن الخطاب وقال: فمن عاد لمثلها فاقتلوه، فهي بنفسها دليل على عدم مشروعيّتها في الأصل؛ لأنّها حصلت فجأة بلا مشورة، والمستفاد من قول عمر إنّ البيعة تحقّقت فجأةً لئلا تنتقل الخلافة إلى غير أبي بكر. وهذا النوع من البيعة حسب نظريّة عمر بن الخطاب باطل وغير مشروع ولا يحقّ لأحد أن يفعله، ومن يفعله بعد سوف يستحقّ القتل. وعليه نسأل هل أنّ هذه الخلافة المركوزة على الباطل هل تصحّ أن تكون بالنصّ؟!!

(١) وبعبارة أوضح، معنى بغتة وقوع الشيء فجأة من دون إنذار سابق ومن غير توقّع وعلى حين غفلة وغرّة يقال: بغتني أي فاجأني قال الشاعر:

ولكنّهم باتوا ولم أدر بغتة وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

وخلاصة الكلام: بغتة تعني وقوع الشيء فجأةً أي من حيث إنّه لا يتوقّع ولا يترقّب وقوعه وفي المقام حيث إنّ بيعة أبي بكر كانت على حين غفلة من الناس سمّيت بفلتة وقال ابن سيدة: : قال أبوعبيدة: : معنى الفلتة الفجأة وإنّما كانت كذلك لأنّها لم ينتظر بها العوامّ، وإنّما ابتدرها أكابر أصحاب محمّد من المهاجرين وعامّة الأنصار ... (انظر لسان العرب ج٢: ص ٦٧).

أقول: إذا كانت بيعة أبي بكر فلتة ومعنى فلتة أي وقعت بغتة وعلى حين غرّة بلا تدبّر ولا تروّ ومن غير مشورة أهل الحلّ والعقد فهذا يدلّ على أنّها لم تكن نصّاً من النبي الأكرمصلّى الله عليه وآله كما ادعاه بعض علماء أهل السنة والجماعة، بل ولا هناك نصّ خفيّ وإشارة مفهمة كما

➔

من الصحابة لتقرير هم قوله[(١)] وعدم دعوى رجل منهم النصّ عليه[(٢)]،

➔

ادعاه بعض آخر منهم، لأنّ البيعة لو كانت مأموراً بها تصريحاً أو تلويحاً من النبي فلامعنى للبيعة غفلة، فلاحظ.

(١) والوجه في ذلك واضح، لأنّ عمر بن الخطاب خطب على رؤوس الأشهاد يوم الجمعة في جمع الصحابة في أواخر خلافته قال: أيها الناس بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت ألّا وإنّها قد كانت كذلك ولكنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّه أن يقتلا ... (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

فإنّ قول عمر بن الخطاب شهادة صريحة في أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وكانت شرّاً وكيف يمكن أن تكون مثل هذه البيعة الموصوفة بالشرّ بيعة شرعية مطابقةً للنصّ ولذلك اعترف أبوبكر نفسه وقال: إنّ بيعتي كانت فلتة وقى الله شرّها ... (السقيفة وفدك للجوهري: ص٤٦).

وقال العيني قوله ولكنّ الله وقى شرّها أي: ولكن الله رفع شرّ خلافة أبي بكر، ومعناه أنّ الله وقاهم ما في العجلة غالباً من الشرّ (عمدة القاري ج٢٤: ص ١٠).

ومن الواضح أنّ البيعة التي تكون موصوفة بالشرّ عند عمر بن الخطاب والصحابة لا يمكن أن تكون بيعة شرعية عند جميع أهل السنة والجماعة فضلاً عن أن تكون بالنصّ، فلاحظ.

(٢) لا شكّ ولا شبهة في عدم ورود الدليل من الصحابة ومن تبعهم على وجود النصّ على خلافة أبي بكر، بل الأدلّة قائمة على عدم وجود النصّ عليه فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ أبوبكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي ـ

🡐

➔
رسول الله صلى الله عليه وآله.... ـ (صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف) وأخرجه مسلم في صحيحه ج٦: ص ٤ كتاب الإمارة باب الاستخلاف وتركه. وقال النووي في شرح هذا الحديث: وفي هذا الحديث دليل على أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم ينصّ على خليفة ... (شرح صحيح مسلم ج١٢: ص ٢٠٥) فقول عمر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله ترك الاستخلاف نصّ في عدم وجود دليل من النبي صلى الله عليه وآله على خلافة أبي بكر.

وأخرج ابن أبي الحديد في حديث طويل أنّ أبابكر قال: إنّ الله بعث لكم محمداً صلى الله عليه وآله نبياً، وللمؤمنين ولياً فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أُمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم والياً ... (شرح نهج البلاغة ج١: ص ٢٢٠) ورواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج١: ص ٢١.

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن محمد بن طلحة بن ركانة يحدّث عن عمر بن الخطّاب قال: لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاث أحبّ إليّ من حمر النعم: من الخليفة من بعده؟ وعن قوم قالوا أنقرّ بالزكاة؟ ... وعن الكلالة؟ (المستدرك على الصحيحين ج٢: ص ٣٠٢).

وقال ابن حجر: إنّه قال القرطبي في المفهم: لو كان عند أحد من المهاجرين والأنصار نصّ من النبي صلى الله عليه وآله على تعيين أحد بعينه للخلافة لما اختلفوا في ذلك، ولا تفاوضوا فيه، وهذا هو قول جمهور أهل السنة (فتح الباري ج٧: ص ٢٦).

وقال المراغي في تفسيره: وأوّل ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله لم ينصّ عليها حتّى انتهى أمرهم إلى تولية أبي بكر (تفسير المراغي ج٩: ص ٤٣).

وقال الباقّلاني في تمهيده: وعلمنا بأنّ جمهور الأمّة والسواد الأعظم منها ينكر ذلك (النصّ) ويجحده ويبرأ من الدائن به (التمهيد: ص ٤٤٤).

وقال ابن كثير: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصّ على الخلافة عيناً لأحد من الناس لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ولا لعليّ كما يقوله طائفة من الرافضة ... (البداية والنهاية ج٥: ص ٢١٩) وإلى غير ذلك من الروايات وأقوال علماء أهل السنة والجماعة
⬅

➔

فإنّ من الأدّلة القاطعة على عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر قول عمر: بيعة أبي بكر فلتة أي إنّها حدثت فجأة في سقيفة بني ساعدة بلا استعداد سابق، ولذلك قال الإمام أميرالمؤمنين في خطبته المعروفة: لم يكن بيعتكم إياي فلتة (نهج البلاغة: رقم الكلام ١٣٦).

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: الفلتة الأمر يقع بغير تدّبر ولا رؤية ... وفيه تعريض ببيعة أبي بكر حيث قال عمر فيها: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها (شرح نهج البلاغة ج٣: ص ١٦٤).

وأيضاً ذكر ابن أبي الحديد الوجه في إنكار القوم خلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة أبي بكر من خلال الرواية التي نقلها عن ابن عباس أنّه قال: وقع بين عثمان وعلي عليه السلام كلام فقال عثمان: ما أصنع إن كانت قريش لاتحبّكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأنّ وجوههم شنوف الذهب تصرع أنفهم قبل شفاههم (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدج٩: ص ٢٢).

والشنوف هو القرط الأعلى. والظاهر أنّ عثمان أراد المدح من توصيف المشركين المقتولين ببدر أن يبيّن جمالهم، وكأنّه أراد أن يظهر بهذا الكلام العزّة والشمم لهم حيث صرّح أنّ انوفهم قبل شفاههم فأراد بهذا الكلام القبيح أن يقول إنّ قريشا أخذت ثارها من الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في غصب الخلافة.

ألا يتعجّب المسلم من كلام عثمان حيث يفتخر بأنّ قريشا لا تحبّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصف الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بأنّ الله يحبّه ورسوله وهو يحبّ الله ورسوله (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١٢ باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وآله وج٥: ص ٧٦ كتاب المغازي باب غزوة خيبر وصحيح مسلم ج٥: ص ١٩٥ كتاب المغازي باب قول الله تعالى وهو الذي كفّ أيديهم عنكم ...)

أقول: إنّه بعد أنّ الله تعالى ورسوله يحبّان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فلا أهميّة لعدم حبّ قريش له عليه السلام، بل هذا من مفاخر أمير المؤمنين عليه السلام أنّه يحبّه الله ورسوله وهو يحبّ الله

🡐

ولذلك صارت بيعته فلتة، بل قصد عمر منها الزلّة من حيث مخالفتها للنصوص العديدة التي دلّت على إمامة عليّ عليه السلام دون غيره [1]، ولذلك قال:

➔

ورسوله وعلى إثر ذلك يبغضه أعداء الله ورسوله.

ومثل الحديث المتقدّم ورد عن ابن عمر حيث إنّه قال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: كيف تحبّك قريش وقد قتلت في يوم بدر وأحد من ساداتهم سبعين سيداً تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟ (مناقب آل أبي طالب ج٣: ص ٢١).

والسؤال الذي يتوجه هنا إلى أتباع الخلفاء الغاصبين هو أنّه هل أنّ قتل المشركين وعدم محبّة قريش للإمام عليه السلام يكون مجوّزاً وعذراً لغصب الخلافة؟!!

(١) وتوضيح المقام: أنّه قد صرّح بعض علماء أهل السنة أنّ الفلتة بمعنى الزلّة كما صرّح بذلك المزّي في تهذيب الكمال ج١: ص ٢٢٦ حيث قال: الزلّة بمعنى الخطيئة والسيئة والمعصية كما في التبيان وفي الرواية: أنّ عمر بن الخطاب عبّر عن بيعة أبي بكر «بفلتة» ثم وصف الفلتة بالشرّ فقال: وقى الله شرّها، بل وقال بعد ذلك: فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه؛ فإنّ المستفاد من كلامه تبيين حقيقة بيعة أبي بكر التي كانت غير مشروعة فأراد الخليفة أن يبين أنّ مثل هذه البيعة وإن تحققت في السقيفة بإصراره لكنّها أمر غير مشروع لا يحقّ لأحد أن يفعله بعد ذلك و إذا فعله أحد فيلزم قتله لأنّه عمل غير صحيح و غير مشروع.

والذي يبدو أنّ عمر بن الخطاب كان يعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما أنّ جميع الصحابة الذين حضروا مؤتمر غديرخم كانوا يعلمون ذلك علم اليقين ولكن غرّتهم الحياة الدنيا فأصبحوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في السقيفة للتنافس على أخذ السلطة فبادرت القبائل من الأنصار والمهاجرين إلى التسابق في ذلك وفي هذه الفوضى بايع عمر بن الخطاب أبابكر ليحسم الأمر بالفجأة والاستعجال لئلا تنالها الأنصار في حين أنّ هذه البيعة كانت مخالفة للنصوص القطعية من الرسول

➔

وقى الله شرّها فمن عاد لمثلها فاقتلوه[١] ،

الأكرمﷺ في إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فالخليفة كان يعلم أنّ المتنافسين قد يهدموا الفكرة التي بنيت عليها السقيفة فيقوم جماعة منهم للمخالفة لأصل العمل حيث إنّ الصحابة كانوا يعلمون النصوص الصريحة في استخلاف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفرض طاعته على الأمّة بعد رسول اللهﷺ في المناسبات والمواقف العديدة التي صرّح بها الرسول الأكرمﷺ ومن أهمّها يوم غدير خم بحيث لو جاء أحد منهم بالنصوص الصريحة من النبي الأكرمﷺ لا يمكن لأحد من الصحابة إنكارها.

والشاهد على ذلك أنّه بعد ما حدث في السقيفة وبعدها قام بعض الصحابة بتنقيد ما فعله أرباب السقيفة وعندما وجد خلفاء الجور مخالفة عملهم للأحاديث النصوص الكثيرة الواردة من النبيﷺ بالصراحة في إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام من أهل بيت النبيﷺ منع الخلفاء الثلاثة الناس تعليم الحديث وتدوينه حتّى استقرّت السلطة الغاصبة، وبعد ذلك عمدوا إلى إحراق الأحاديث النبوية التي كانت مكتوبة و مجموعة منها كانت عند الصحابة كما أحرقوا المصاحف المنتشرة في زمن النبيﷺ بسبب ما كان في هوامشها من الأحاديث النبوية المفسّرة للآيات النازلة في امامة أميرالمؤمنين عليه السلام وأهل بيته المعصومين عليهم السلام فيتّضح من جميع ذلك وجه استعجال عمر بن الخطاب في البيعة .

(١) وبعبارة أوضح: أنّه لا إشكال في أنّ عمر بن الخطاب هو الذي شيّد بيعة أبي بكر و هو أوّل من بايعه رغم المخالفين لبيعته وكسر شوكة سعد بن عبادة رئيس الخزرج يوم السقيفة، وهو الذي قال: أنا جُذيلها المحكَّك وعُذيقها المرجَّب. (الفائق للزمخشري ج١: ص ١٨٠) ومع ذلك كلّه قال في أواخر عمره في خطبة خطبها على رؤوس الأشهاد أنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) فيظهر من ذلك أنّ عمر

➔

كان يعلم أنّ الصحابة سمعوا من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله أحاديث الولاية والإمامة لعلي بن أبي طالبعليه السلام ووعوه ولم يمكنه إنكارها لأنّه من الذين حضر مؤتمر غدير خمّ العظيم الذي أقام النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب علماً وخليفة لما بعده و أمر المسلمين بالبيعة معه بإمرة المسلمين كما جاء ذلك في الأحاديث الكثيرة المرويّة عن كبار علماء أهل السنة، وقد بايعه أبوبكر وعمر في غدير خمّ بإمرة المسلمين وهناك أحاديث كثيرة نقلت هذه حقيقة التاريخية كما عقد لها العلامة الأميني باباً في كتابه الغدير وقال: وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير والتاريخ من رجال السنة كثير لا يستهان بعدّتهم ... (الغدير ج١: ص ٢٧٢) ثمّ ذكر الأحاديث، فلاحظ.

والسؤال الذي يتوجّه هنا إلى عمر بن الخطاب هو أنّه إذا كنت تريد عدم ضلالة أمة لماذا لم تجب النبي صلى الله عليه وآله عندما طلب منكم القلم و الدواة ليكتب لكم كتاباً ووصية لن تضلوا بعدها أبداً؟ بل تجاسرت على النبي صلى الله عليه وآله وقلت: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله هجر أو غلب عليه الوجع (والعياذ بالله) حسبنا كتاب الله. وهذا الحديث رواه البخاري و غيره من صحاح أهل السنة والجماعة وإذا كان على حدّ زعم عمر بن الخطاب أنّ كتاب الله يكفيه ولا حاجة له بوصية النبي الأكرمصلى الله عليه وآله كيف كانت البيعة التي كان هو على رأسها وأوّل من بادر إليها بيعة شرّ؟ أليس يعترف بأنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها فهذه البيعة التي فيها الشرّ أليس قد تحققت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله البيعة التي وصفها عمر بن الخطاب بكونها شرّاً وكيف لم يكفه كتاب الله كي لا تكون البيعة شراً؟

وإذا كان القرآن وحده كافياً للانقاذ من الضلالة والهلكة لماذا لم ينقذ الأمّة وقد وقع الاختلاف والتشاجر بين الصحابة في مسألة الإمامة و لم يتمّ الأمر إلّا بالإرهاب والعنف؟ أليس عمر بن الخطاب قال فمن عاد بمثل البيعة التي هو أسّسها فاقتلوه، فإذا كان كتاب الله وحده كافياً لماذا لم يتمسّك به ليدفع به الشرّ ويخلّص الأمّة من الضلالة، بل أمر بقتل من أعاد بمثل تلك البيعة؟!

نقله عنه أحمد في مسنده[(١)] والشيخان في الصحيحين[(٢)].

وحادي عشرها: ما في الدرّ المنثور عن مسلم في صحيحه وابن همام والعدني، وابن ماجة، والشافعي، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي، عن عمر من تمنّيه بيان النبيﷺ لهم ثلاثاً؛ منها الخليفة بعده[(٣)]، فأقرّة

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٥٥.

(٢) صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ولم أعثر على هذا الحديث في صحيح مسلم وأمّا بقية الصحاح والمسانيد فقد نقلوا هذا الحديث منهم الهيثمي في مجمع الزوائد ج٦: ص ٥ وعبدالرزاق الصنعاني في المصنف ج٥: ص ٤٤١ وابن أبي شيبة في المصنف ج٧: ص ٦١٥ والنسائي في سننه الكبرى ج٤: ص ٢٧٢ وابن حبان في صحيحه ج٢: ص ١٤٨ وابن عبد البر في الاستذكار ج٧: ص ٢٥٨ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٢: ص ٢٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص ٦٤٩ و ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٢٨١ والبلاذري في أنساب الأشراف ج١: ص ٥٨١ و الحافظ في العثمانية : ص ١٩٦ واليعقوبي في تاريخه ج٢: ص ١٥١ و الطبري في تاريخه ج٢: ص ٤٤٦ وابن الأثير في تاريخه ج٢: ص ٢٢٧ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص ٦ وابن الكثير في البداية والنهاية ج٥: ص ٢٦٦ والسيوطي في المحاضرات والمحاورات: ص ٤٢٧ وفي تاريخ الخلفاء: ص ٧٥ وابن هشام في السيرة النبوية ج٤: ص ١٠٧١ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١: ص ٨٦ و غيرهم.

(٣) قال السيوطي في تفسيره ما هذا نصّ عبارته: أخرج عبد الرزاق والعدني وابن المنذر والحاكم عن عمر بن الخطاب قال: لأن أكون سألت النبيﷺ عن ثلاث أحبّ إليّ من حمر النعم؛ عن الخليفة بعده، و عن قوم قالوا نقرّ بالزكاة من أموالنا ولا نؤدّيها إليك أيحلّ قتالهم، وعن الكلالة (الدرّ المنثور ج٢: ص ٢٤٩).

وقال أيضاً: أخرج عبد الرزاق والبخاري ومسلم و ابن جرير وابن المنذر عن عمر قال: ثلاث

←

الصحابة على قوله ولم يقل منهم رجل بالنصّ على أبي بكر و عليه و على عثمان. فعلم من تمنية المرقوم وتقريرهم له إجماعهم على عدم النصّ على واحد من الثلاثة فمازعموه من النصّ بهتان بيّن ليس له وجود في زمن الصحابة[1].

وثاني عشرها: ما رووه في الصحيحين و غيرهما من قول عمر بعد ما

➔

وددت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عهد إلينا فيهنّ عهداً أنتهي إليه الجدّ والكلالة وأبواب من أبواب الربا (الدر المنثور ج٢: ص ٢٤٩)

وقال أيضاً: أخرج الطيالسي وعبدالرزاق والعدني وابن ماجة والساجي وابن جرير والحاكم والبيهقي عن عمر قال ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وآله بيّنهنّ لنا أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها؛ الخلافة والكلالة والربا (الدر المنثور ج٢: ص ٢٥٠)

(١) وبعبارة أخرى لو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر لاعترض الصحابة على الخليفة عمر بن الخطاب وقالوا له: إذا كان النصّ موجوداً لا حاجة إلى اختيار الخليفة، وحيث لم يعترضوا عليه معناه أنّه لم يكن يوجد نصّ على خلافة أبي بكر.

وعلى الجملة فإنّ هذه المسألة لها صلة بمسألة الخلافة، فمن ادّعى النصّ على خلافة أبي بكر يلزم عليه أن يجيب عن هذا السؤال وهو أنّه لماذا لم يتعرض الصحابة للنصّ على خلافة أبي بكر.

ثمّ كيف يقول عمر بن الخطاب لأن أكون سألت النبي صلى الله عليه وآله عن ثلاث أحبّ إليّ من حمر النعم؛ عن الخليفة بعده ... أو قال عمر: لأن يكون النبي بيّنهنّ لنا أحبّ إليّ من الدنيا و ما فيها؛ الخلافة و... أو قال: كان عهد إلينا فيهنّ عهد فإنّ جميع هذه التعبيرات إشارة إلى معنى واحد و هو عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر. فهذه الدعوى باطلة عند جميع أهل السنة والجماعة، فلاحظ.

طعن في محضر جماعة من الصحابة: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي ـ يعني أبابكر ـ وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير منّي ـ يعني رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ـ[1]. فأقرّه من سمعه على قوله ومن بلغه قوله من الصحابة، ولم يقل رجل منهم إنّ النصّ على أبي بكر و عمر و عثمان قد

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبوبكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ... (صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر قال: حضرت أبي حين اُصيب فأثنوا عليه و قالوا: جزاك الله خيراً، فقال: راغب و راهب، قالوا: استخلف، فقال: أتحمّل أمركم حيّاً و ميتاً لوددت أن حظّي منها الكفاف لا عليّ و لا لي، فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي (يعني أبابكر) وإن أترككم فقد ترككم من هو خير منّي؛ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال عبد الله فعرفت انه حين ذكر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه غير مستخلف (صحيح مسلم ج٦: ص ٤ كتاب الإمارة باب الاستخلاف) ومثله أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص ٤٣ و ص ٤٦ والنسائي في سننه ج٧: ص ١٥٨ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٩٥ والبيهقي في سننه ج٨: ص ١٤٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ : ص ٣٢٢ والطيالسي في مسنده: ص ٧ وأبويعلى الموصلي في مسنده ج٢: ص ٤٢٨ وابن حبان في صحيحه ج١٠: ص ٢٣١ وابن عبد البر في التمهيد ج٢٢: ص ١٢٨ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: ص ١٨٥ والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص ٢٣٦ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص ٧٣٧ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٤٢٨ والذهبي في سير أعلام النبلاء ج٩: ص ٢٦٧ والبلاذري في أنساب الأشراف ج١: ص ٥٤٢ وغيرهم.

صدر فعلم من قوله و تقريرهم له عدم صدور نصٍّ عليهم [(١)] .

---

(١) وبعبارة أوضح لو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر لقال أحد الصحابة: إنّ النبيﷺ قد نصّ على خلافة أبي بكر. فلم يقل أحد منهم ذلك بل قال عمر: إن لم أستخلف فقد ترك من هو خير مني ...

بل وقال ابن عمر فيما رواه مسلم: فعرفت أنّه حين ذكر رسول اللهﷺ غير مستخلف (انظر صحيح مسلم ج٦: ص ٤) وهو صريح في عدم وجود النص وفي أنساب الأشراف للبلاذري عن عبد الله بن عمر قال: غزوت غزاة ثمّ قدمت، فسألني أبي عن البلاد والناس وهل سمعت شاكياً لعامل أو مررت بشيء ضائع؟ فأخبرته بأنّي لم أسمع أحداً يشكو أحداً، ولم أر شيئاً ضائعاً، ثمّ قلت: ألا تستخلف يا أميرالمؤمنين رجلاً تثق به في حياتك؟ قال: فسكت ساعة، ثمّ رفع رأسه فقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً، إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير منّي، وإن تركت فقد ترك من هو خير منّي، وأفضل الهدى هدى محمدﷺ وأن لا أستخلف أحداً أسلم لي (أنساب الأشراف ج١: ص ٥٤٢).

فمضافاً إلى أنّ الحديث يدلّ على عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر فإنّ فيه إقرار الصحابة على ذلك.

ثمّ إنّنا بغضّ النظر عن صحّة الحديث وسقمه نسأل عمر بن الخطاب لماذا جعل قول أبي بكر بمثابة ما يصدر عن النبي الأكرمﷺ وقد أعطاه صفة السنّة التي يستنّ بها المسلمون، أفي كتاب الله جاء ذلك أم في سنة رسول اللهﷺ؟! لا شكّ ولا شبهة في عدم اعتبار قول أبي بكر حجّة حتى عند أهل السنة والجماعة، لأنّ الحجيّة من الأمور الشرعية ولابدّ من إثباتها من قبل الشرع الأقدس، ومع عدم وجود دليل شرعي على حجية قول أبي بكر فقوله ليس بحجّة بإجماع المسلمين.

وكيف كان فإنّ هذا الخبر حجّة بالغة على أهل السنة والجماعة وهو اعتراف من الخليفة عمر بن الخطاب بعدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر. فلماذا يدّعي ابن تيمية وغيره وجود النصّ عليه، أليس هذا يخالف قول خليفتهم عمر بن الخطاب؟!

فإن قيل: إنّ هذه المرويات في صحاحهم وغيرها النافية للنصّ على أبي بكر و عمر شاملة بعموم نفيها حتّى لعلي عليه السلام.

قيل: نعم لكنّهما بأنفسهما قد اعترفا بأنّ الخليفة علي عليه السلام بمحضر من الصحابة وتقرير الصحابة لهما على ذلك [(١)] حسبما عرفته في مخاطبة

---

(١) لقد اعترف الشيخان أبوبكر وعمر بأنّ الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أولى بالامامة والخلافة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وذلك من خلال قولهما الوارد في الروايات عن أهل السنة والجماعة وهي كثيرة جداً نذكر بعضها من باب المثال فمنها: ما أخرجه ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان بإسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبابكر يقول: أيها الناس عليكم بعليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ خير من طلعت عليه الشمس وغربت (لسان الميزان ج٦: ص ٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعيد البجلي).

ومنها: ما أخرجه العيني الحنفي بسنده عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع صوت خرج من النخلة قال صلى الله عليه وآله: أتدرون ما قالت النخلة؟ قال أبوبكر: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وآله: صاحت: هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيّه علي بن أبي طالب (مناقب سيدنا علي عليه السلام للعيني: ص ١٥ ح ٤ طبعة أعظم برليس حيدر أباد).

ومنها: ما أخرجه المحبّ الطبري بإسناده عن ابن عباس قال: ... قال أبوبكر: يا عليّ ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ منّي كمنزلتي (بمنزلتي) من ربّي (ذخائر العقبى: ص ٦٤ والرياض النضرة ج٢: ص ١١٨ و ٢٢٢) وأخرجه ابن حجر المكّي في الصواعق: ص ١٧٧ والعيني في مناقب سيدنا علي: ص ٣٩، وغيرهم.

ولا يخفى على الخبير ما في هذا الحديث من الدلالة، فإنّ منزلة عليّ كمنزلي عندالله، أي أنّ كرامته عندي ككرامتي ومنزلتي عند الله عزوجل، فيكون منزلة عليّ منّي كمنزلتي من الله عزوجل، فلاحظ.

وقد أخرج هذا الحديث الحريفيش بلفظ آخر وهو أنّه قال أبوبكر: أنا لا أتقدم على رجل

←

→

قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ علياً يجيء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته فيقول أهل القيامة: أيّ بني هذا؟ فينادي مناد: هذا حبيب الله، هذا علي بن أبي طالب (الروض الفائق في المواعظ والدقائق لشعيب بن عبد الله المعروف بالحريفيش: ص ٢٦٧).

ومنها: ما أخرجه المحب الطبري عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبوبكر و علي بن أبي طالب عليه السلام ، فتبسّم أبوبكر في وجه علي عليه السلام، فقال عليه السلام له: مالك تبسّمت؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يجوز أحد الصراط إلّا من كتب له عليّ الجواز (ذخائر العقبى: ص ٧١ والرياض النضرة ج٢: ص ١٣٧) وأخرجه ابن حجر المكي في الصواعق: ص ١٢٦ والقندوزي الحنفي في الينابيع: ص ٤١٩ باب ٧٠، وغيرهم).

وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك قال: قال أبوبكر عند موته: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلّا بجواز من علي بن أبي طالب (تاريخ بغداد ج١٠: ص ٣٥٧)

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن الحبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عدة فليقم، فقال رجل، فقال: إنّه قد وعدني ثلاث حثيات من تمر فقال أبوبكر: أرسلوا إلى علي عليه السلام، فجاء فقال أبوبكر: يا أبا الحسن إنّ هذا يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها، فقال أبوبكر: عدّوها. فوجدوا في كلّ حثيّة ستين تمراً لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبوبكر: صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة ـ ونحن خارجون من الغار نريد المدينة ـ: يا أبابكر، كفّي وكفّ عليّ في العدل سواء (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٦٩).

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر أيضاً عن الدارقطني بسنده عن أبي رافع قال: كنت قاعداً بعد ما بايع الناس أبابكر فسمعت أبابكر يقول للعباس: أنشدك الله هل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش فقال صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب، إنّه لم يبعث الله نبياً إلّا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله،

←

➔

فمن منكم ـ يقوم و ـ يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي في أهلي؟ فلم يقم منكم أحد، فقال صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكونن في غيركم ثمّ لتندمنّ. فقام عليّ من بينكم، فبايعه على ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال العباس نعم (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٥٠).

ومنها: ما أخرجه جمع كبير من كبار علماء أهل السنة وهو حديث الغدير وتهنئة أبي بكر وعمر لعلي بن أبي طالب بإمرة المسلمين ومن تلك الروايات ما أخرجه الطبري بسنده عن زيد بن أرقم قال: لمّا نزل النبي صلى الله عليه وآله بغدير خم في رجوعه من حجة الإسلام .. فقال: معاشر الناس هذا أخي ووصي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربيّ اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه... معاشر الناس قولوا: أعطينا على ذلك عهداً عن أنفسنا وميثاقنا بأمتنا وصفقة أيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهلينا لا نبغي بذلك أبداً ... قال زيد بن أرقم : فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله بقلوبنا، وأوّل من صافق النبي صلى الله عليه وآله وعلياً: أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس (انظر الغدير ج١: ص ٢١٤ ـ ٢١٦ و ص ٢٧٠ نقلاً عن كتاب الولاية لمحمد بن جرير الطبري).

ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بكر قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة ، وفيها ـ أيضاً ـ لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنّة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله.

فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكة. ثمّ قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام الحقه فردّ عليّ أبابكر وبلّغها أنت، قال: ففعل عليّ عليه السلام ما أمر، فلمّا قدم أبوبكر على النبي صلى الله عليه وآله بكى، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله حدث فيّ شيء؟ قال صلى الله عليه وآله: ما حدث فيك، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل منّي (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٢ و ج١: ص ٧).

🡐

➔
ومنها: ما أخرجه الكشفي الحنفي في كتابه المناقب المرتضوية بإسناده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لما عقد المؤاخاة بين أصحابه: هذا عليّ أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمتي، ووارث علمي وقاضي ديني، ماله منّي ومالي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني (المناقب المرتضوية: ص ١٢٩) وأخرجه محمد صالح الترمذي الحنفي في الكوكب الدّري: ص ١٣٤.

ومنها: ما أخرجه الراغب الإصفهاني في كتابه المحاضرات بسنده عن ابن عباس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة، وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب، فقال: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر، فقلت في نفسي لا أقالني الله إن أقلته فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما واقترعتما الأمر منّا دون الناس ؟! فقال إليكم يا بني عبد المطلب أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب. فتأخّرت وتقدّم هنيهة فقال: سرلا سرت، و قال: أعد عليّ كلامك، فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ولو سكتّ سكتنا؛ فقال: إنّا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها! قال: فأردت أن أقول كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟! فقال: لاجرم، فكيف ترى، والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتّى نستأذنه (محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني ج٢: ص ٤٩٥).

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب لأصحاب الشورى: لله درّهم، لو ولّوها الأُصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن حمل على عنقه بالسّيف قال: فقلت: تعلم ذلك منه ولا تولّيه؟! قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي ... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٩٢).

🡐

➔

ومنها: ما أخرجه المتقي الهندي بسنده عن المأمون العباسي عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن عبدالله بن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفّوا عن ذكر علي بن أبي طالبعليه السلام، فقد رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله قال فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهنّ في آل الخطّاب أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس؛ كنت أنا وأبوبكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله فانتهيت إلى باب أم سلمة وعليّ قائم على بابها، فقلنا: أردنا رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقال عليعليه السلام: يخرج إليكم، فخرج رسول اللهصلى الله عليه وآله فسرنا إليه فاتكأ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ ضرب بيده منكبه ثم قال: إنّك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله، وأواهم بعده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية وأعظمهم رزيّة، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدّم إلى كلّ شديدة وكريهة ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي (كنز العمال ج١٢: ص ١١٧ ص ٢٦٣٧٨) ورواه الإسكافي في نقض العثمانية: ص ٢٩٢ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٥٨ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص ٢٣ والسيوطي في اللئالي المصنوعة ج١: ص ٣٢٣،

ومنها: ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن سويد بن غفلة عن عمر بن الخطاب أنّه رأى رجلاً يسبّ علياًعليه السلام، فقال عمر: إنّي أظنّك منافقاً، سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي (تاريخ بغداد ج٧: ص ٤٦٣) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٦٦ والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص ١١٨ وابن حجر في فتح الباري ج٧: ص ٦٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٠٧ ح ٣٢٩٣٤ والحمويني الجويني في فرائد السمطين ج١: ص ٣٦٠ وغيرهم.

ومنها: ما أخرجه القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياًعليه السلام فلقيني النبيصلى الله عليه وآله: فقال: آذيتني يا عمر! فقلت: بأيش؟ قالصلى الله عليه وآله: تجفو علياً! من آذى علياً فقد آذاني، فقلت: والله لا أجفو علياً أبداً (الأنباء

➔

➔

المستطابة: ص ٦٤) وأخرجه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين ج٣: ص ٢٩٠

أقول: إنّ الهجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام واحراق باب داره وما فعله عمر بن الخطاب من الإجرام لأخذ البيعة من الإمام عليه السلام كاشف عن مدى التزام الرجل بتعهّداته وحلفه وقسمه بالله العظيم، فإنّه مع ما حلف وتعهّد بأن لا يجفو الإمام عليه السلام أبداً فقد ارتكب أكبر جريمة. ويدلّ ذلك كلّه على عدم التزامه بمسائل الدين وحقده الدفين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهذه الأدلّة القطعيّة الحجة عند أهل السنة والجماعة تدلّ بالصراحة على أنّ عمر بن الخطاب لم يكن له أيّ التزام بالدين ولا بتعهداته.

ومنها: ما أخرجه الخطيب الخوارزمي بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله عليه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فبأت المسلمون كلّهم يستشرفون لذلك. فلمّا أصبح قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: أرمد العين، قال صلى الله عليه وآله: آتوني به، فلمّا أتاه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اُدنُ منّي، فدنا منه، فتفل في عينيه ومسحهما بيده، فقام علي بن ابي طالب عليه السلام بين يديه وكأنّه لم يرمد وأعطاه الراية، فقتل مرحباً وأخذ مدينة خيبر (المناقب للخوارزمي: ص ١٧٠ فصل ١٦ ح ٢٠٣) وأخرجه المتقي، الهندي في كنز العمال ج١٣: ص ١٢٣).

ومنها: ما أخرجه الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لما خلق الله النَار (الكوكب الدرّي: ص ١٢٢) ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ص ٢٥١)

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن عمر بن الخطاب أنّه سأله رجلان في عهده عن طلاق الأمة، كم عدده للبينونة؟ فقام معهما حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال عمر: أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة، فرفع رأسه إليه وأومأ إليه بالسبابة والوسطى، فقال له عمر تطليقتان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أميرالمؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أومأ إليك؟!

➔

←

فقال لهما عمر ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال عمر: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: لو أنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ميزان ووضع إيمان عليّ في كفة ميزان لرجح إيمان علي بن أبي طالب عليه السلام (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٤٠) وأخرجه الخوارزمي في مناقبه: ص ١٣٠ والمغازلي في مناقبه: ص ٢٨٩ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ص ٢٥٤.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن ابن عمر قال: لما طعن عمر بن الخطاب وأمر بالشورى فقال: ما عسى أن يقولوا في عليّ عليه السلام؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي يدك يدي تدخل معي الجنة يوم القيامة حيث أدخل (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٢٨).

ومنها: ما أخرجه الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب قال: نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً علماً فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره اللهم أنت شهيدي عليهم.

قال عمر بن الخطاب: قلت يا رسول الله، وكان في جنبي شابّ حسن الوجه طيّب الريح، قال لي: لقد عقد رسول الله صلى الله عليه وآله عقداً لا يحلّه إلّا منافق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال: يا عمر، إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرائيل (الكوكب الدري: ص ١٣١ المنقبة رقم ١٥٤) وأخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة: ص ٢٤٩.

أقول: ولا يخفى على الخبير أنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين ورواه أكثر من أربعين حافظاً ومؤرخاً عن أبي بكر وعمر وأنّهما قالا لعلي عليه السلام بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وأمره بالبيعة لعلي عليه السلام ـ: «بخ بخ لك يا علي ...» أو «هنيئاً لك يا أبا الحسن...» وأمثال هذه العبارات الدالّة على التهنئة والتعظيم لمنصب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والولاية العظمى والخلافة الكبرى له، وقد أخرجها العلامة الأميني في باب خاصّ وسمّاه باب تهنئة الشيخين، وروى فيه الأحاديث الواردة في هذا المجال عن كبار علماء أهل السنة والجماعة (انظر الغدير ج١: ص ٢٧٢).

→

الحسن و الحسين عليهما السلام لهما وشاهد صدقهما في ذلك [1] ما نبّهنا عليه فيما

➔

ثمّ إنّ ما رواه الكشفي في المقام دالّ على أنّ عمر بن الخطاب قد اعترف على نفسه بكونه من المنافقين حيث إنّه هو الذي نقل عن جبرائيل بأنّ من حلّ بيعته عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يكون منافقاً فهذا الحديث اعتراف واضح من اعترافات الخليفة على نفسه.

ومنها: ما أخرجه الخطيب الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال: سمعت عمر بن الخطاب قال: سمعت أبابكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تعالى خلق من نور وجه علي بن أبي طالب ملائكة يسبّحون الله ويقدّسون الله ويكتبون ثواب ذلك ولمحبّيه ومحبّي ولده (المناقب للخوارزمي: ص ٣٢٩ ومقتل الحسين للخوارزمي : ص ٩٧) وإلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المجال، وهي كثيرة جدّاً لا يسعنا المجال لإستقصائها وانّما ذكرنا هذا القليل من باب المثال لا الانحصار والتحديد، فلاحظ.

(١) لقد أخرج جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة بأسانيد صحيحة أنّ أبابكر كان على المنبر أيام خلافته وكان يخطب في الناس، فصعد إليه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وقال له: انزل عن منبر أبي واجلس على منبر أبيك، فقال له أبوبكر: نعم منبر أبيك، وأبي لا منبر له وإنّ كل ما عندنا منكم فهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلّا الله وأنتم؟ وممّن أخرج هذا الحديث المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٠٣ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص ٤٢ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣: ص ٣٠٧ والمتقي الهندي في كنزل العمال ج٥: ص ٦١٦ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٣: ص ٢٦ وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة: ص ١٧٧ وابن الجوزي في المنتظم ج١٩: ص ٤٢٥ وابن شبة في تاريخ المدينة ج٣: ص ٧٩٨ وغيرهم.

وأخرج أيضاً جمع كبير من علماء أهل السنة أنّ عمر بن الخطاب كان على المنبر وهو

➔

مضى من السنن التي دلَّت على إمامة عليّ عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله دون غيره من الناس [1]، وحسب المنصف في معرفة بهتان ما زعموه من النصوص في

➔

يخطب في أيام خلافته، فصعد إليه الإمام الحسين عليه السلام وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: إنّ أبي لم يكن له منبر، نعم هذا منبر أبيك والله إنّ ما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثمّ أنتم. وممن أخرج هذا الحديث ابن عساكر الدمشقي في تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص ١٧٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص ٦٥٤ ح ٣٧٦٦١ و٣٧٦٦٢ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١: ص ١٥١ والمزّي في تهذيب الكمال ج٦: ص ٤٠٤ وابن حجر في الاصابة ج٢: ص ٦٩ وابن شبة البصري في تاريخ مدينة ج٢: ص ٧٩٨ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٥: ص ٨٠٠ و الحلبي في سيرته ج١: ص ٤٤٢ وغيرهم.

(١) فإنّ الادّلة والروايات الدالّة على اعتراف الشيخين أبي بكر وعمر كثيرة جدّاً وقد ألّف في ذلك الشيخ مهدي فقيه إيماني كتاباً سمّاه: الامام علي في آراء الخلفاء، وفيه أدلّة معتبرة عند علماء أهل السنة والجماعة واعترافات من الخلفاء على أحقّية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام للإمامة والخلافة بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فللباحثين المراجعة إلى هذا الكتاب القيّم. وهناك أيضاً أدّلة أخرى كثيرة جداً وفيها الدلالة على تصديق الشيخين أبي بكر وعمر لمقام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والإمامة ولزوم الرجوع إليه في العلم وحلّ المشاكل وغير ذلك.

فمن النصوص الدالّة على اعتراف أبي بكر وعمر هي ما دلّ على أنّ الإمام الحسن والحسين عليهما السلام احتجّا على الخليفتين في أيام خلافتهما على رؤوس الأشهاد وأثبتا عليهما السلام لهما بأنّهما جلسا على المنبر الذي كان خاصّاً لأبيهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبهتا من احتجاج الإمامين وهما في سنين الصبابة وقد أتمّ الإمام الحسن والحسين عليهما السلام الحجّة عليهما وعلى جميع الصحابة وبل وعلى جميع أهل السنة والجماعة، فلاحظ.

المقام بعض هذه الوجوه[١]. فعلم منها و ممّا يأتي من تولية أبي عبيدة في

---

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ادعاء وجود النصّ على خلافة أبي بكر ادعاء باطل باعتراف خلفائهم، إذكيف يمكن ادعاء وجود النصّ على خلافة أبي بكر وهو نفسه يعترف بأنّ المنبر الذي هو صعد عليه منبر الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وقد صعده بلا إذن؟!

وكيف يمكن ادعاء النصّ مع أنّه روى مائة وعشر صحابياً حديث الغدير، وكثيراً منهم رووا أنّ أبابكر بايع الإمام امير المؤمنين عليه السلام وهنّئه بإمرة المسلمين؟

وقد ذكر ابن عقده المتوفّى سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين عن مائة وخمسين صحابياً رووا حديث الغدير، ويركز في كتابه حديث الولاية أسماء الرواة وقبائلهم ثمّ يخصّ بالذكر ثمانية عشر راوياً منهم دون أن يذكر خصائصهم: إنّ أوّل من روى حديث الغدير هو أبوبكر بن أبي قحافة (انظر الإصابة لابن حجر ج٤: ص ٢٢٦ وأسد الغابة لابن الأثير ج٣: ص ٢٧٤ في ترجمة عبد الله بن ياميل)

ثمّ إنّ القاضي أبوبكر الجعابي المتوفّى سنة ٣٥٦ روى حديث الغدير عن مائة وخمس وعشرين طريقاً من الصحابة، منهم أبو بكر (انظر كتاب المناقب لابن شهر آشوب ج٣: ص ٢٥).

وكذلك العلامة منصور اللاتي الرازي من أعلام القرن الخامس في كتابه حديث الغدير، فقد ذكر فيه أسماء من روى حديث الغدير مرتّباً على حروف المعجم وذكر منهم أبابكر (انظر المناقب لابن شهر آشوب ج٣: ص ٢٥ وكتاب الغدير للعلامة الأميني ج١: ص ١٧ و ١٥٥.

وكذلك العلامة المغازلي الشافعي المتوفّى سنة ٤٨٤ قال: قد روى حديث الغدير عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من مائة صحابي منهم العشرة المبشّرة ثمّ يقول وهذا حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرّد عليّ بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد (المناقب لابن المغازلي: ص ٢٧).

وكذلك العلامة الجزري الشافعي في كتابه أسنى المطالب، أو أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب (انظر أسنى المطالب: ص ١٢ بتحقيق الطنطاوي).

←

بعض البعوث على أبي بكر و عمر[١]،

➔
وكذلك المؤرّخ المعروف زيني دحلان قد روى حديث الغدير عن أبي بكر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله (انظر السيرة النبوية لزيني دحلان ج٢: ص ١٦١).

وكذلك عمر بن الخطاب فإنّه قد اشترك مع أبي بكر في نقل حديث ما جاء في تهنئة أبي بكر وعمر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ذكره الحافظ ابن عقدة في كتاب الولاية المتقدّم ذكره

وكذلك الحافظ علي بن عمر الدارقطني البغدادي المتوفّى سنة ٣٨٥ نقل عنه ابن عقدة.

وكذلك الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب : ص ٦٢ في الباب الأول.

وكذلك الحافظ ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: ص ٤٤ أخرجه عن الدارقطني.

وكذلك شمس الدين المناوي الشافعي في فيض القدير ج٦: ص ٢١٨

وكذلك الزرقاني المالكي في كتابه شرح المواهب ج٧: ص ١٣، وغيرهم وسيأتي ذكر جميع ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

(١) لقد أخرج الطبري بسنده عن عبد الله بن أبي بكر قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله عمرو بن العاص إلى أرض بلى وعذرة يستنفر الناس إلى الشام، وذلك أنّ أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى فبعثه رسول الله صلّى الله عليه وآله إليهم يستألفهم بذلك حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل فلّما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يستمدّه فبعث إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين وفيهم أبوبكر وعمر، وقال لأبي عبيدة بن الجراح حين وجّهه: لا تخلفا، فخرج أبوعبيدة حتّى إذا قدم عليه قال له عمرو بن العاص إنّما جئت ممداً لي فقال أبوعبيدة يا عمرو إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد قال لي: لا تختلفا وأنت إنّ عصيتني أطعتك قال: فأنا أمير عليك وإنّما أنت مدد لي، قال بفدونك، فصلّى عمرو بالناس، قال الواقدي: وفيها
🡐

و تولية ابن العاص عليهم(١)، وتولية أسامة بن زيد عليهم(٢)، و غير ذلك

➔

كانت غزوة الخبط وكان الأمير فيها عبيدة بن الجراح بعثه رسول الله ﷺ في رجب منها في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٣١٥ في حوادث سنة الثامنة من الهجرة).

والسؤال الذي يتوجه إلى من يدّعي وجود النصّ على خلافة أبي بكر هو أنّه إذا كان أبوعبيدة آمراً على أبي بكر في هذه سرية من قبل النبي الأكرم ﷺ فلماذا لا يكون أبو عبيدة خليفة؟!

(١) لقد أخرج المسعودي في تنبيه الأشراف أنّ سريّة عمرو بن العاص كانت في جمادى الآخرة إلى ذات السلاسل وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام، فلقيه جموع الروم ومنتصرة العرب، فاستمدّ النبي ﷺ فأمدّه بسريّة فيها أبوبكر وعمر وأبوعبيدة الجراح وكان لعمرو في هذه السرية أفعال أنكرت عليه، منها صلاته بالناس جنباً ومنعه إيقاد النار مع حاجتهم إليها لشدة الغزو وكثرة الجراح وغير ذلك (تنبيه الأشراف: ص ٢٣١) وأخرج ابن الجوزي في المنتظم هذا الخبر وفيه: ... إنّ رسول الله ﷺ دعا عمرو ابن العاص فعقد له لواء أبيض و جعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً، فسار الليل وكمن النهار، فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كبيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمدّه فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبوبكر وعمر فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ الناس فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاعة ... (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٣: ص ٢٢١)

فأبوبكر وعمر كانا تحت أمر عمرو بن العاص وأبي عبيدة الجرّاح فهل هذا دليل على إمامة عمرو و عبيدة ؟!!

(٢) لقد أجمعت المصادر الإسلامية على أنّ رسول الله ﷺ عقد لأسامة بن زيد في أواخر

➔

بهتان و فساد ما زعمه السنّي بعد هذه المقالة من دعوى أنّ النبيّ ﷺ بيّن إمامة أبي بكر ببيّنات عديدة ودلَّ الناس عليها ووضّحها لهم إلى الغاية إلى

➔

حياته الشريفة سريّة أو لواءً ليبعثه إلى بلاد الروم وأمر النبي الأكرمﷺ الصحابة أن يلتحقوا بالجيش ويسيروا مع أسامة إلى الحرب. قال ابن حجر: وكان ممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمرو أبوعبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان و ... (انظر فتح الباري ج٨: ص ١٢٤).

وعندما نزل الجيش في المعسكر خارج المدينة تكلّم بعض الصحابة بكلمات تأذّى النبي الأكرمﷺ منهم، فقالوا: استعمل النبيﷺ هذا الغلام على المهاجرين والأنصار. وكان أسامة ان ذاك ابن ثمان عشرة سنة.

ولما بلغ النبيﷺ هذه الكلمات غضب غضباً شديداً وعَصّب على رأسه عصابة وأمر الناس أن يجتمعوا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد أيها الناس فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه قبله ...

ثمّ تثاقل كثير من الصحابة فلم يلتحقوا بأسامة وعصوا أمر الرسول ﷺ حتّى أغضبوا رسول اللهﷺ، فأمر ثانية وثالثة أن يخرجوا مع أسامة حتى قال رسول اللهﷺ انفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة (انظر المواقف للايجي ج٨: ص ٢٧٦ والملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٩).

وكيف كان فإذا كانت الأولوية لمن بيده الأمر فأسامة بن زيد أولى منهم بالخلافة، فإنّ امارة أسامة كانت شاملة لعموم الصحابة، فكان أبوبكر وعمر و عثمان وأبو عبيدة وغيرهم تحت أمر أسامة، فهل هذا يكفي في صلاحية إمامة أسامة وخلافته بعد النبي الأكرمﷺ ؟!

حدٍّ ليس يرتاب فيها أحد. انتهى حاصل هذه الدعوى منه[١].

---

(١) وخلاصة الكلام كون أبي بكر تحت إمرة أسامة وأبي عبيدة وعمرو بن العاص وتصديقه لأمر السرية في بعض الغزوات بأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لايكون دليلاً على صلاحية المذكورين لمقام الإمامة وكذلك تأميره على بعض السرايا لايدلّ على صلاحيته لمقام الامامة والخلافة، لأنّ مجرد الإمارة على الجيش في بعض الغزوات لا يدلّ على استحقاق الإنسان مقام الإمامة العظمى التي لها شرائط الخلافة والوصاية والنبوة.

بل يمكن أن يقال بأنّ ما فعله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان من جهة أنّه أراد تبيين حقيقة الأشخاص من جهة الإيمان والنفاق إذ كثير من الصحابة كانوا يضمرون نفاقهم وهم في زمرة كبار الصحابة وعلى سبيل المثال أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعث خالد بن الوليد إلى قبيلة بني جذيمة ليدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتال، فذهب إليهم وأوقع فيهم وغدر بهم بعد ما أعلنوا إسلامهم، وقتلهم صبراً، حتّى اتهمه عبد الرحمن بن عوف الذي حضر معه تلك الواقعة بأنّه إنّما قتلهم ليثأر لعمّيه الذين قتلهما بنو جذيمة.

ولمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بتلك الوقعة الشنيعة تبرّأ إلى الله من عمل خالد فقال ثلاث مرّات: اللّهم إنّي أتبرّأ إليك من عمل خالد. ثمّ أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأموال كثيرة فودى لهم كلّ الدماء التي أهرقها خالد (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص ٦١).

فإنّ كلّ إنسان منصف لو يتأمّل في هذه الواقعة وأمثالها سوف يطمئنّ بأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أرسل خالد بن الوليد لتأليف القلوب ولكن من ناحية أخرى أراد النبي صلى الله عليه وآله تبيين حال خالد إلى جميع الصحابة ليعرفوا نفاقه، فعرف الناس من خلال بعثه إلى هذه المأمورية نفاق خالد فانكشف للناس حقيقة نفاق خالد وعدم كونه صالحاً حتّى لإمارة الجيش فضلاً عن الأمور الأخرى كما أنّ هذه القضية كانت صادقة بالنسبة إلى عمرو بن العاص وابي عبيدة الجراح وغيرهما ممّن جعلهم النبي الأكرم أميراً على الجيش، فإنّ عدم قدرتهم على إدارة مجموعة صغيرة وهزيمتهم وقتلهم الناس بغير حقّ أكبر دليل على

←

ويا عجبي منه ويالهفي عليه من حيث فريته على سيد الرسل صلى الله عليه وآله هذه الفرية العظيمة التي يلتفت إليها حتّى العاميّ الذي له أدنى شعور، ويتميّز بعد نظر إلى ما نقلناه هنا من الوجوه المشار إليها، ومن تولية مثل ابن العاص على أبي بكر وغيره[(١)]. وقد روى السيوطي في جامعه الصغير عن

➔

عدم صلاحية هؤلاء للتصدّي لأمور المسلمين حيث إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يعلم أنّ الصحابة سوف يتنافسون على التصدّي للحكومة بعد وفاته فكان يكشف عن حقيقة إيمان أصحابه ونفاقهم لئلا يلتبس الأمر على أحد ولا يضلّ بعده أحد.

ولكن الغدر والمكر قد لعبت دوراً كبيراً في القضايا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ مثل أبي بكر الذي هزم في الحروب يتصّدى أمر الخلافة مع ثبوت عدم صلاحيّته بما كشفه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في غزوة خيبر وغيرها من الغزوات وبالإضافة إلى عدم صلاحيته فإنّ الرجل بادر إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله أيام حكومته ليعلن عداوته لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة وإلى قبيلة بني تميم ومالك بن نويرة الصحابي الجليل الذي وّلاه رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات قومه ثقة به، فإنّ خالداً غدر بهم وأسرهم وكتّفهم وقتلهم صبراً وقتل مالك بن نويرة ودخل بزوجته في ليلة قتل زوجها. فالمتتبع يجد في هذه الواقعة والأحداث التي وقعت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته صلى الله عليه وآله أكبر دليل على أنّ الذين تصدروا لأمر الحكومة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا من المنافقين في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وقد اختبرهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعرّفهم الناس ولكن استولوا على الحكم بالغدر والقهر والإرهاب، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح كيف يصحّ لمن يدّعي وجود النصّ على إمامة أبي بكر مع وجود الأخبار الدالّة على أنّ عمرو بن العاص كان أميراً على أبي بكر وعمر في غزوة ذات السلاسل فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي عثمان أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل و... (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ١١٣ كتاب

➔

→

المغازي باب غزوة ذات السلاسل).

وأخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن بريدة قال: بعث رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبوبكر وعمر فلمّا انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن ينوّروا ناراً فغضب عمر وهمّ أن ينال منه، فنهاه أبوبكر و أخبره أنّه لم يستعمله رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه عليك إلّا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر ... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٤٢) وإلى غير ذلك من الروايات، فإنّها صريحة في أنّ أبابكر كان تحت إمرة جماعة من الصحابة في عصر النبي صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه وإذا كانت الإمارة على الجيش في بعض الغزوات دليلاً على الخلافة والإمامة فلماذا لا يكون عمرو بن العاص خليفة؟!!

فالسؤال الذي يتوجّه إلى من يدّعي وجود النصّ على خلافة أبي بكر هو أنّه هل يقصدون أنّ هذه الرواية تكون نصّاً في خلافة أبي بكر.

فان قالوا نعم، فهذه فرية عظيمة على رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه إذ كثيراً من الصحابة قد استعملهم رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه للإمارة في الحروب وغيرها، فهل يصحّ دعوى خلافتهم؟!.

وإن قالوا: لا يدلّ على الخلافة فالبهتان والفرية أكبر لأنّ الاستدلال يكون بالدليل الذي ليس فيه الدلالة على المدّعى.

ثمّ إنّه لم يثبت في خبر أنّ أبابكر وعمر تولّيا أمر سريّة في حياة رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه ورجعا فاتحين بل صريح النصوص أنّ رسول الله صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه جعلهما على السرية في بعض الحروب فرجعا منهزمين كما في غزوة خيبر، فقد أخرج ابن حجر بسنده عن بريدة بن الخصيب لمّا كان يوم خيبر أخذ أبوبكر اللواء فرجع ولم يفتح له فلّما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له فقال النبي صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه لأدفعنّ لوائي غداً إلى رجل ... (فتح الباري ج٧: ص ٣٦٥) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤١: ص ٤٦٤ وغيره. والمهمّ أنّ المستفاد من هذه الأخبار هو أنّ النبي الأكرم صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه كان حكيماً في جميع أفعاله وأقواله وتقاريره فكان يعلم بما سيجري على أمته بعد وفاته وأراد في حياته أن يعرّف المنافقين من أصحابه ليعرفهم الناس ولا يلتبس عليهم الأمر، فتولية أبي بكر وعمر من قبل رسول

←

الحاكم عن ابن عباس حديثاً وصحّحه وهو: من استعمل شخصاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين [1] انتهى.

➔

الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أكبر دليل على أنّه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أراد أن يبيّن للناس أنّهما لا يصلحان لقيادة مجموعة قليلة من الناس فضلاً عن الإمارة العظمى والخلافة الكبرى.

وخلاصة الكلام أنّ هذه الأخبار لاتدلّ على خلافة أبي بكر، ومن ادّعى ذلك فقد كذب على رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص ٥٦٧ ح ٨٤١٤ و المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٤: ص ٩٢

وفي رواية أخرى عن ابن عباس عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: من استعمل عاملاً على المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين (انظر السنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص ١١٨ و كتاب السنة لابن أبي العاصم: ص ٦١٣ و كنز العمال ج٦: ص ٧٩ ح ١٤٩١٩، و غيرها.

وفي التمهيد للباقلاني: من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين (ثم قال الباقلاني): أمثال هذه الأخبار مما قد تواترت على المعنى وإن اختلفت ألفاظها ... (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني: ص ٤٧٤).

وأخرج البخاري في صحيحه بسند عن معقل عن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: ما من وال يلي رعيّة من المسلمين فيموت وهو غاشّ لهم إلّا حرّم الله عليه الجنّة (صحيح البخاري ج٨: ص ١٠٧ كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح).

فقد بيّن الرسول الأكرم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في هذه الأحاديث وغيرها أنّ من استعمل ولياً على المسلمين أو من تصدّى لولاية المسلمين ويكون غيره أولى بهذا المقام هو غاشّ للمسلمين وقد خان الله ورسوله و هو في جهنّم.

➔

فكيف بمن هو دون ابن العاص و دون أسامة و دون أبي عبيدة و دون سالم مولى أبي حذيفة [1] فهل يُتصوّر جعله خليفة على عامة المسلمين الذين

➔

فكيف يقول ابن تيمية و غيره إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد نصّ على إمامة أبي بكر ويستدلّ بهذه الأخبار، أليست هذه الأخبار صريحة في أنّ من افترى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقد خان الله ورسوله؟

وإذا كان الأمر كذلك فمعناه أنّ هذه الأخبار تشمل ابن تيمية، ومن يزعم النصّ على خلافة أبي بكر بهذه الأخبار فقد غاض المسلمين وخان الله ورسوله، فلاحظ.

(١) فإنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد استعمل كثيراً من أصحابه على الجيش في الحروب أو للمأمورية إلى مكان خاص فمثلاً بعث أبا موسى الأشعري و معاذ بن جبل إلى اليمن وبعث كلّ واحد منهما على سريّة كما جاء في صحيح البخاري ج٥: ص ١٠٧ كتاب المغازي باب بعث أبي موسى و معاذ إلى اليمن).

وأيضاً بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ... (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٨٢).

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عامر قال بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جيش ذات السلاسل فاستعمل أباعبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب... مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٩٦.

وأخرج عن أبي هريرة أنّه قال: بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سريّة علينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت و هو جدّ عاصم بن عمر فانطلقوا ... (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص ٣١٠).

وأخرج بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ علقمة بن محرز على بعث وأنا فيهم حتى انتهينا إلى رأس غزاتنا ... (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٦٧).

وأخرج بسنده عن جندب بن مكيث الجهني قال: بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غالب بن عبد الله الكلبي إلى بني ملوح بالكديد و أمره أن يغير عليهم فخرج فكنت في سريّته فمضينا حتّى

➔

→

إذا كنّا بقديد لقينا به الحارث بن مالك ... (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٤٦٧)

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن علي عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوه فأغضبوه في شيء ... (صحيح مسلم ج٦: ص ١٦ كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية).

وأخرج عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أرض جهينة واستعمل عليهم رجلاً و ساق الحديث ... (صحيح مسلم ج٦: ص ٦٢ كتاب الإمارة باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية).

وأخرج عن ابن عمر أنّه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثاً وأمّر عليهم أُسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمرة وان كان لمن أحبّ الناس إليّ ... (صحيح مسلم ج٧: ص ١٣٧ كتاب الفضائل باب فضائل زيد بن حارثة و أسامة بن زيد).

وأخرج أيضاً بسنده عن أبي برزة الأسلمي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً إلى حيّ من أحياء العرب فسبّوه وضربوه فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره ... (صحيح مسلم ج٧: ص ١٩٠ كتاب الفضائل باب فضل أهل عمان).

وأخرج الحاكم بسنده عن بريدة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبوبكر وعمر ... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٤٢).

وأخرج البيهقي بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رهطاً واستقل عليهم عبيدة بن الحارث قال فلمّا انطلق ليتوجّه بكى صبابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فبعث مكانه رجلاً يقال له عبد الله بن جحش و كتب له كتابا ... (السنن الكبرى للبيهقي ج٩: ص ١١).

وأخرج الطبري بسنده عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر بن عمرو في سبعين راكباً حتّى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر و حرة بني سليم ... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٢٢٠)

وأخرج الواقدي عن أيوب بن عبد الله قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أباسلمة في مائة وخمسة

←

منهم مَن استعملهمﷺ[1]،

➔

وعشرين رجلاً فيهم سعد بن أبي وقّاص وأبوحذيفة بن عتبة وسالم مولى أبي حذيفة ... (المغازي ج١: ص ٣٤٥).

وأخرج بسنده عن ثابت بن قيس قال: بعث رسول اللهﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في سريّة فيها المهاجرون والأنصار وفيه ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر إلى حيّ من جهينة ... (المغازي ج٢: ص ٧٧٤)

وأخرج ابن عساكر بسنده عن محمد بن أبي عدي و محمد بن عبد الله الأنصاري أنّهما قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة قال: سمعت شهر بن حوشب يقول: قال عمر بن الخطاب: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيكﷺ يقول: هو أمين هذه الأمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته فإن سألني ربّي قلت إنّي سمعت نبيك يقول إنّ الله يبعثه يوم القيامة رتوة بين العلماء (تاريخ مدينة دمشق ج٥٨: ص ٤٠٤).

(١) وبعبارة واضحة: إنّه لا إشكال في أنّ النبي الأكرمﷺ استعمل جماعة كثيرة من أصحابه أمراء على الجيوش والسرايا في الغزوات وغيرها، وهل يصحّ لقائل أن يقول جميع من استعمله النبي الأكرمﷺ خلفاء وأئمة من بعده؟!

وبعبارة أوضح: إنّ فعل النبيﷺ حجّة كما أنّ قوله وتقريره يكون كذلك ولكن السؤال الذي يطرح هنا هو أنّ الفعل ليس فيه لسان كي نعرف جهة الصدور فلا إطلاق فيه ولاتقييد بل يوجد فيه احتمالات كثيرة ومنها: يحتمل أنّ النبي ﷺ أراد أن يعرّف أصحابه للآخرين كي يعرفوا إيمانه وشجاعته و ...

فالفعل الصادر من النبي الأكرم ﷺ لايكون حجة على إطلاقه لأنّ الفعل ليس فيه لسان كالقول حتّى يؤخذ بإطلاقه، ومن الواضح أنّ هناك وجوه من الاحتمالات يمكن أن تكون مأخوذة في اعتباره، ومع اعتبار تلك الوجوه لا يمكن الأخذ بالإطلاق.

➔

➔

وعليه فإنّ أهل الخبرة يقولون: بأنّ القدر المتيقّن منه يكون حجّة لوجود الاحتمالات التي تمنع إجراء الإطلاق، وحينئذٍ تحدّد دلالة الفعل على القصد الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي المقام القدر المتيقّن حمل فعل رسول الله صلى الله عليه وآله على الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأوّل: أن يكون مقصود رسول الله صلى الله عليه وآله استعمال بعض أصحابه لإثبات أنّ هؤلاء لا يصلحون لإدارة مجموعة صغيرة من الناس فضلاً عن مجموعة أكبر وحينئذٍ كيف يمكن الاستدلال بفعله صلى الله عليه وآله للإمامة الكبرى؟!

الاحتمال الثاني: أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يثبت لأصحابه أنّ مجموعة من أصحابه منافقون حيث لم يظهروا وجوههم الحقيقيّة للناس، فلابدّ أن يعرفهم الناس في أمثال ميادين الحرب.

الاحتمال الثالث: هو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يبيّن لأصحابه من هو الأصلح للإمارة والإمامة والخلافة ليعرف الناس من هو الأحقّ بالإمارة، فبعث المنافقين والذين خذلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهربوا من الحروب كأبي بكر و عمر و غيرهما من كبار الصحابة ليعرفهم الناس ويعلمون أنّ هولاء لا يصلحون ولايليقون بمقام الإمامة، بل وجميع الصحابة ليس لديهم هذه الصلاحية إلّا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو كرّار غير فرّار لا يرجع حتى يفتح في الحروب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه بعد ما كان عدّة من الصحابة يفشلون في ميادين الحرب، وكان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يجاهد بإخلاص وإيمان ومحبّة لله وصدق وعزيمة ووفاء وإخلاص، فلم يكن أحد من الصحابة مثله أبداً و ذلك باعتراف جميع أعدائه، كما تحقّق ذلك في غزوة خيبر عندما دفع رسول الله صلى الله عليه وآله الراية للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال : لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله ويحبّه الله ورسوله، ثمّ وصفه فقال: كرّار غير فرّار، فبعثه مؤيداً وشهد له بالإخلاص والمحبّة والصدق والوفاء فليس بين المسلمين مثله، ولذلك قال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذٍ (انظر صحيح مسلم ج٧: ص ١٢١ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام) وعليه فإنّ الفعل حجّة بقيد القرينة .

ومنهم من هو أحبّ الخلق إليه [١] ولذلك جعله الله سبحانه نفسه باية

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الطير المروي عن غير واحد من الصحابة وقد رواه جمع كبير من المحدّثين والمفسّرين والمؤرّخين من علماء أهل السنة والجماعة ومنهم الحاكم النيسابوري بسنده عن أنس بن مالك قال: والذي بعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالحقّ لقد كنت خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بين يديه وكان كلّ يوم يخدم بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي فجاءت أُم أيمن مولاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بطير فوضعته بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللّهم جئني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر. وضرب الباب فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يا أنس انظر من على الباب، قلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار فذهبت فإذا عليّ بالباب، قلت: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على حاجة، فجئت حتّى قدمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب فقال: يا أنس انظر من على الباب، فقلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار فذهبت فإذا عليّ بالباب، قلت: إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليّ حاجة، فجئت حتّى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا أنس اذهب فأدخله فلست بأوّل رجل أحبّ قومه، ليس هو من الأنصار، فذهبت فأدخلته، فقال يا أنس قرّب إليه الطير، قال: فوضعته بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأكلا جميعاً (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٢) وأخرجه الترمذي في سننه ج٥: ص ٣٠٠ ح ٣٨٠٥ و الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٥ و ص ١٢٦ و النسائي في سننه الكبرى ج ٥ : ص ١٠٧ وفيه: فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء أبوبكر فردّه وجاء عمر فردّه و جاء عليّ فأذن له. ومثله في خصائصه : ص ٥١ و أبويعلى الموصلي في مسنده ج٧: ص ١٠٥ والطبراني في المعجم الأوسط ج٢: ص ٢٠٧ و ج٦: ٩٠ و المعجم الكبير ج١: ص ٢٥٢ والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص ١١٤ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ١٠١ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص ١٦٦ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٣: ص ٢٩٠ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٧: ص ٢٠٧ و ابن الأثير في أسد ←

المباهلة [(١)]

→

الغابة ج٤: ص ٣٠ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٢: ص ١٤ وابن حجر في لسان الميزان ج١: ص ٢٧ والجاحظ في العثمانية: ص ١٢٤ و المسعودي في مروج الذهب ج٢: ص ٤٢٥ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص ٦٣٣ وابن كثير في البداية والنهاية ج٧: ص ٣٨٧ و ص٣٨٨ والمقريزي في إمتاع الأسماع ج٧: ص ٢٩٨ ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص ٨٩ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ١٧٥، وغيرهم.

وقد ذكر الذهبي في ترجمة الحاكم النيسابوري: إنّ له كتاباً في طرق حديث الطير (انظر تذكرة الحفاظ ج٣: ص ١٠٤٢، وكذلك غير الذهبي أفرد كتاباً في هذا الحديث كالطبري صاحب التاريخ وابن عقدة وابن مردويه غيرهم، وسنذكرها إن شاء في محلّه.

فالمقصود بقولهرَحِمَهُ اللَّهُ: من الذين بعثهم رسول اللهصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومن هو أحبّ الخلق إليه اشارة إلى هذا الحديث فلاحظ.

(١) وهي الآية: ٦١ من سورة آل عمران وتسمّى بـ«آية المباهلة» وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ وقد اتفق المفسرون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم من علماء الإسلام على أنّ هذه الآية المباركة نزلت بحقّ أهل بيت النبي الأكرمصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهم الذين اصطحبهم الرسول الأعظمصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معه للمباهلة مع علماء النصارى وإبطال دعواهم و تصوّراتهم الخاطئة وإحقاق كلمة التوحيد ورفع راية الإسلام.

وإجمال القضية أنّ النبيصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الأكرمصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كتب إلى أبي حارثة أسقف نجران الأعظم ودعاه إلى الإسلام، فتشاور أبوحارثة مع جماعة من قومه فاتفقوا على أن يرسلوا وفداً علمياً جامعاً لجميع الجهات عندهم لمقابلة رسول اللهصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والاحتجاج أو التفاوض معه.

ولمّا وصل الوفد إلى المدينة جرى بين رسول اللهصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعلماء نجران حوار طويل وقد بيّن

←

➔

النبي الأكرمﷺ الحقائق بالآيات والبراهين الواضحة عند الطرف المقابل ولكن مع ذلك لم يقبل الطرف المقابل وجعل ينكر الحقائق جدلاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة، وأمر تعالى نبيه أن يباهل علماء النصارى.

فالمباهلة كما اشير إليها في القرآن الكريم كانت بمثابة السهم الأخير بعد أن لم ينفع المنطق والاستدلال العلمي المقبول عند الجميع

وبعبارة أخرى: إنّ عادة العلماء والمحققين الصادقين في تحصيل العلم والمعرفة أنّه إذا وصلوا إلى حقيقة إمّا أن يعترفوا بذلك وإمّا يكونوا من أهل العناد فهم لا يمثّلون العلماء فيحتاج إلى كشف الحقيقة لهم إلى طرق أخرى.

ولعلّ المباهلة بهذا الشكل لم تكن معروفة عند العرف آنذاك بل كانت أسلوباً لتبيين صدق النبي الأكرمﷺ وإيمانه القاطع بما يقوله، بخلاف الطرف الآخر فإنّهم كانوا متزلزلين في قولهم وعملهم، ومع ذلك كانوا ينكرون الحقيقة لئلا ينقلب الأمر عليهم وإلّا فالدعاء وحده لم يكن المقصود في القضية، بل كان المقصود منه قطع جحودهم للحقّ قولاً واعتقاداً فآية المباهلة نزلت في شأن هذه الحادثة العظيمة التي سجّلها التاريخ وهي لا تنفصل عن تاريخ الإسلام حقيقته ومعالمه القويمة؛ لأنّ الله سبحانه و تعالى قد أنزل في كتابه العزيز ما فيه الدلالة على أهمية الأمر في الدفاع عن الإسلام والنبي الاكرمﷺ وتبيين عظمة أهل بيت النبي الأكرمعليهم السلام في تثبيت الإسلام وتقويم أسسه، فأمر تعالى نبيه الأكرمﷺ أن يأتي بأهل بيته و هم الذين يصلّى عليهم في كل الصلوات لأنّ منزلة هؤلاء عنده تعالى بمنزلة من يستجاب دعوته ولا تردّ طلبته فذكرهم تعالى بعنوان الأبناء والنساء والأنفس، ولكنّ جميع الناس وجدوا أنّ النبي الأكرمﷺ جاء بأحبّ الخلق لديه وهم الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام الذي عبّر القرآن عنه بنفس النبيﷺ والسيدة فاطمة الزهراءعليها السلام التي عبّر عنها القرآن الكريم بنسائنا والحسنين عليهما السلام الذين عبّر عنهما القرآن الكريم بأبنائنا.

وعندما جاء النبي الأكرمﷺ للمباهلة قال أبو حارثة: انظروا إن خرج رسول اللهﷺ في

🡐

➔
عدّة من أصحابه فباهلوه وإن خرج في خاصّة أهله فلا تباهلوه فلمّا جاء النبي الأكرمﷺ وجدوه جاء بأعزّ الخلق إليه وهم أهل بيته ولذلك طلبوا من النبيﷺ أن يعفو عنهم ويصالحوا على كلّ شيء طلب منهم النبي الأكرمﷺ، فأصبحت بذلك راية الإسلام عالية فوق كلّ الرايات ببركة أهل البيتعليهم السلام

ولكي نلقي الضوء على هذه الحقيقة نذكر هنا بعض المصادر السنية التي ذكرت الروايات الواردة في شأن نزول الآية الكريمة، منهم مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المعروف قد ذكر حديث المباهلة في صحيحه ج٧: ص ١٢١ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام و أحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص ١٨٥ والطبري في تفسيره ج٣: ص ١٩٢ وأبونعيم الإصبهاني في كتابه دلائل النبوة: ص ٢٩٧ والواحدي النيسابوري في كتابه أسباب النزول: ص ٧٤ و الفخر الرازي في تفسيره ج٨: ص ٨٥ و ابن الأثير في كتابه جامع الأصول ج٩: ص ٤٧٠ وابن الجوزية في تذكرة الخواص: ص ١٧ والقاضي البيضاوي في تفسيره ج٢: ص ٢٢ والآلوسي في تفسير روح المعاني ج٣: ص ١٦٧ و الطنطاوي في تفسيره المعروف بـ الجواهر ج٢: ص ١٢٠ والزمخشري في تفسيره الكشّاف ج١: ص ١٩٣ و ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة: ص ١٠٨ والقرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن ج٣: ص ١٠٤ و السمعاني في تفسيره ج١: ص ٢٢٧ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص ١٥٦ و الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل ج١: ص ١٥٥ وأبوحيان الأندلسي في البحر المحيط ج٢: ص ٥٠٢، وغيرهم.

فبإجماع أهل القبلة النبيّ الأكرم لم يخرج للمباهلة إلّا بأهل بيته الطاهرينعليهم السلام؛ لأنّ الله تعالى أمر نبيه باصطحاب هذه الأنوار الطاهرة فجعل تعالى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام نفس النبي الأكرم في قوله تعالى: ﴿وأنفسنا﴾ وعنى بقوله تعالى نسائنا الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وبأبنائنا الإمام الحسن والإمام الحسينعليهما السلام ولولا أنّهم معصومون ومبرّون من جميع الخطايا والذنوب ما صاروا بهذه الرتبة التي ليس فوقها رتبة وعظمة، فهم أقرب الناس إلى الله ورسوله، فيجب على كلّ من يصدّق بكتاب الله وسنة رسول
🡐

وجعلهصلى الله عليه وآله اخاه دون غيره من الصحابة [(١)] ، إلى غير ذلك من مناقبه التي

➔

اللهصلى الله عليه وآله أن يعتقد بأنّ مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام نفس رسول اللهصلى الله عليه وآله بحكم كلمة «أنفسنا» حيث جعل تعالى الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام في درجة نفس النبي الأكرم سيد الأولين و الآخرين وهذا بمعنى أنّ الإمام هو كالنبي في الفضل والإيمان وجميع الصفات النفسانية فأصبح خير الخلق وأفضل الخلائق بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وهو بمنزلة نفس النبيصلى الله عليه وآله فالإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام هو نفس رسول اللهصلى الله عليه وآله بتعبير القرآن الكريم أي أنّ الامام عليه السلام يتساوى في جميع الأمور النفسية ويماثل في جميع الصفات الكمالية النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وهذا معنى قوله تعالى: «وَأَنفُسَنَا»لأنّ الآية الكريمة أطلق في تعبيره بالنفس فيشمل جميع الصفات النفسانية و الكمالات الروحية إلّا ما خرج بالدليل وهو النبوة.

إذن كيف يجوز لرسول اللهصلى الله عليه وآله أن يترك من هو نفسه ويجعل من يعصي الله ورسوله خليفة وإماماً للمسلمين بعده لاسيّما من اختبره في الحروب فكان يهرب أو يخالف أمر الله ورسوله ولم يكن صالحاً لإمارة مجموعة قليلة من الناس فكيف يمكن أن ينسب إلى رسول ربّ العالمينصلى الله عليه وآله أن يجعل مثل هذا خليفة لما بعده ويترك من شهد الله تعالى بأنّه نفس النبيصلى الله عليه وآله في الكمالات والصفات وهو رجل ميادين الحرب، كرّار غير فرّار لا يرجع من الحروب حتّى يفتح ويرفع راية الإسلام، ولا يجعله إماماً و خليفة من بعده فأيّ عقل يقبل هذا؟!

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث المؤخاة المتواتر بين المسلمين. وهو من أدلّ الدليل على إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام وتقدّمه على جميع البشر بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله.

قال الفضل بن روزبهان : حديث المؤخاة مشهور معتبر معوّل عليه، ولا شكّ أنّ علياً أخ رسول اللهصلى الله عليه وآله ومحبّه وحبيبه، وكان رسول اللهصلى الله عليه وآله شديد الحبّ له ... (دلائل الصدق

🡐

➔

ج٦: ص ١٢٤). والى غير ذلك من أقوال علماء أهل السنة والجماعة في معنى الأخوة ولم يؤاخ رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً غير الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وقد أخرج الترمذي الحديث بسنده عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فجاء عليّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني و بين أحد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أخي في الدنيا و الآخرة (سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٠) وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٤ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩٩ والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٨ و ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٥١ وابن الأثير في أسد الغابة ج٤: ص ١٦ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ١٨٧ ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص ٩٢ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ص ٩٢ و القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ١٧٨ وابن المغازلي في المناقب: ص ٨٨ والخوارزمي في المناقب: ص ١٤٤ والطبراني في معجمه الأوسط ج٥: ص ٥٠٤ وأبونعيم في حلية الأولياء ج٧: ص ٢٥٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج٧: ص ٣٨٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١١١ والحلبي في سيرته ج٢: ص ٢٩٣ وابن كثير في البداية والنهاية ج٧: ص ٢٧١

وقال ابن كثير بعد ذكر الحديث: ورد هذا الحديث من طريق أنس وعمر وآخرون وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى وابن عباس ومحدوج بن زيد وكذلك من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري وعامر بن ربيعة وأبي ذر وعليّ نفسه نحو ذلك...

فحديث المؤاخاة من الأحاديث الثابتة عند جميع المسلمين ويثبت أنّ مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ن وهو تعريف بمنزلة الإمام عليه السلام وبيان فضله على غيره لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يواخي بين الرجل ونظيره فآخى بين أبي بكر و عمر و بين طلحة والزبير وبين عثمان وابن عوف وبين حمزة وزيد بن حارثة و بين سلمان و أبي ذر فلم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأحد، فقال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما تركتك لنفسي، أنت

➔

يُعلم منها تقدّمه بالفضل بعد الرسولﷺ على عامّة الخلق[(١)].

أخي وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب، والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

إذن كيف يمكن أن يدّعي أحد أنّ رسول اللهﷺ يترك أخاه الذي كان يرفع راية الإسلام في جميع المواطن ويختار أبابكر الذي أرسله النبي ﷺ يوم خيبر وهرب من ساحة الحرب ويجبن أصحابه كما جاء في الحديث الذي رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٩٢ ومن الغرائب أن يتّخذ هذا الحديث دليلاً خلافة أبي بكر! أليس هذا الكلام يضحك الثكلى؟!

(١) لقد وقفت جميع العقول حيارى أمام شخصية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لما حازت عليه من الفضائل والمناقب التي لم تجتمع في شخصٍ بعد رسول اللهﷺ، فأيّ صفحة تقرأ من حياته الشريفة تجدها تجلّي لك نموذجاً لا نظير له فقد أخرج الخوارزمي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ لو أنّ الأشجار أقلام والبحر مداد والجنّ حُسّاب والإنس كُتّاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب (المناقب للخوارزمي: ص ٢٢) وأخرجه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج١: ص ٣٦٤).

وأخرج القندوزي الحنفي بسنده عن سعيد بن جبير قال: أتيت عبد الله بن عباس فقلت له: يا ابن عمّ رسول الله، إنّي جئتك أسألك عن عليّ بن أبي طالب واختلاف الناس فيه؟

فقال ابن عباس: يا ابن جبير جئتني تسألني عن وصيّ رسول اللهﷺ ووزيره وخليفته وصاحب حوضه ولوائه وشفاعته، والذي نفس ابن عباس بيده، لو كانت بحار الدنيا مداداً، والأشجار أقلاماً و أهلها كتّاباً، فكتبوا مناقب عليّ بن أبي طالب وفضائله من يوم خلق الله عزوجل الدنيا إلى أن يفنيها ما بلغوا معشار ما آتاه الله تبارك وتعالى (ينابيع المودة ج١: ص ٣٦٥).

وقال ابن عبد البرّ في استيعابه: قال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب، (الاستيعاب ج٣: ص ١١١٥) وذكره المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص ١٨٨ وأبويعلى في طبقات الحنابلة ج٢: ص ١٢٠ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ٧٢، وغيرهم.

فالأخبار الواردة في فضائل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام أكثر من أن تحصى، وسنذكر بعضها من باب التيمّن والتبرّك ممّا ورد عن أعلام أهل السنة والجماعة، فمنها: ما رواه ابن المغازلي في مناقبه بسنده عن سلمان الفارسي قال: سمعت حبيبي محمداً صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففيَّ النبوة وفي عليّ الخلافة (مناقب الإمام علي لابن المغازلي: ص ٩٤ ح ١١٤) وأخرجه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٢٠ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٧ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٦٧ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٩: ص ١٧١ وقال: رواه أحمد في المسند وفي كتاب فضائل علي عليه السلام.

فهذا الحديث وحده يدلّ على أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام خلق من نفس النور الذي خلق الله منه رسول الله صلى الله عليه وآله فهما من نور واحد ومعناه أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام نفس النبي الأكرم من جهة الخلقة كما أنّه نفسه من جهة الصفات فهما نور واحد

وهناك أحاديث أخرى كثيرة في فضل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام ممّا يدلّ على إمامته وخلافته بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بلا فصل، كحديث لكلّ نبيّ وصيٌّ ووارث، وحديث لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك وحديث اختصاص الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بالمناجاة، وحديث المنزلة، وحديث الطير وحديث الراية، وحديث المؤاخاة، وحديث أنا مدينة العلم و عليٌّ بابها، وحديث لا يحبّك إلّا مؤمن، وحديث خاصف النعل، وحديث عليّ مع

وثالث عشرها: إنّ ما رووه من حديث تقديمه في الصلاة[1] من

➔

الحقّ، و حديث الثقلين، وحديث الكساء، وحديث إنّ علياً منّي و أنا منه، وإلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على إمامته وسيأتي ذكر جميع هذه الأحاديث في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) إنّ قضية صلاة أبي بكر في مرض النبي الأكرمﷺ قد أصبحت من القضايا المهمّة عند أهل السنة والجماعة بحيث تعتبر عندهم من أهمّ الأدلّة على خلافة أبي بكر، ولو راجعتم كتب القوم لوجدتم فيها أنّ الاستدلال بهذا الخبر في رأس جميع الأدلة، ولذلك رووا هذا الحديث في أصحّ كتبهم عن عدّة من الصحابة وعلى رأسهم عائشة بنت أبي بكر.

ولكنّك لو تأمّلت في الأسانيد لوجدت أنّ الصحابة يروون هذا الخبر مرسلاً ولم تجد أحداً يقول إني سمعت عن رسول اللهﷺ بل في كلّها ينقل عن عائشة فتكون هي الواسطة في نقل هذا الخبر، وعائشة التي تنتهي اليها جميع أسانيد هذا الخبر متّهمة في نقل مثل هذه القضايا لسببين.

الأوّل: مخالفتها للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام مع اعترافها بذلك

الثاني: كونها بنت أبي بكر فهي ذات منفعة في نقل مثل هذه القضية ومن الطبيعي أنها تريد جرّ النار إلى قرصها.

ولكن بغضّ النظر عن هذه الناحية لو نظرنا إلى ملابسات هذه القضية والقرائن الداخلية والخارجية في ألفاظ الخبر، وأيضاً القرائن التي لها علاقة بهذا الخبر ممّا حدث في التاريخ لرأيتم أنّ إرسال أبي بكر إلى الصلاة لو كان له واقع كان بإيعاز من عائشة نفسها ولم يكن من رسول اللهﷺ.

ومن جملة تلك القرائن التي لها الأثر البالغ في فهم هذه القضية هي قضية أمر رسول اللهﷺ بخروج الصحابة بما فيهم أبوبكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة مع أسامة بن زيد في جيشه، وإنّ قضية بعث أسامة من مسلمات التأريخ التي لا يمكن إنكارها.

➔

مفترياتهم المناقضة لما رووه صحيحاً في مقامات:

منها: ما في البخاري وغيره من أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه المهاجرين بالصلاة خلف

←

وأمّا لزوم حضور أبوبكر في سرية أسامة أيضاً من الضروريات التاريخية التي صرّح بها كبار علماء أهل السنة والجماعة بحيث أرسلوه إرسال المسلّمات، قال ابن حجر العسقلاني: قد روى ذلك ـ أي كون أبي بكر في بعث أسامة ـ الواقدي، وابن سعد، وابن إسحاق، وابن الجوزي، وابن عساكر وغيرهم ... (انظر فتح الباري في شرح البخاري ج٨: ص ١٢٤) وعليه كان من الواجب على أبي بكر أن يخرج إلى خارج المدينة ويحضر في سريّة أسامة لأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قد أمره بالحضور في تلك السرية وفي بعض النصوص قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة إذن لا يخفى أنّ وجوده في ذلك الزمان في المدينة كان عصياناً لأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، لأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أمره كبقية من أمر أن يحضروا في جيش أسامة وقال: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٢ والمواقف للإيجي ج٣: ص ٦٥٠ وشرح النهج ج١: ص ٥٢).

فكيف أنّ ابابكر كان في المدينة مع لزوم حضوره في جيش أسامة خارج المدينة!!

إن قلت: إنّه عصى أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وتخلّف عن جيش أسامة وكان حاضراً في المدينة.

قلت: إنّ عصيان أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه على أقلّ التقادير يوجب الفسق، وكيف يعقل أنّ النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يأمر الفاسق بإقامة صلاة الجماعة فهل أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أراد بذلك ـ والعياذ بالله ـ إشاعة المنكر؟! هذا بناءً على عدم الأخذ برواية لعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه لمن تخلّف عن جيش أسامة، وأمّا بناءً على هذه الرواية فالمسألة أوضح، لأنّ الملعون على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه خارج عن دائرة الإيمان بل الإسلام.

ثمّ إنّ ابن حجر قال: هذا الحديث ـ أي صلاة أبي بكر ـ مرسل ويحتمل أن يكون من تلقّاه عن عائشة... (فتح الباري ج٢: ص ١٣٠). وهناك قرائن أخرى نذكرها إن شاء الله في محلّه.

سالم مولى أبي حذيفة في أوّل الهجرة مدّة من الزمان ومنهم ابن أبي قحافة وعمر وعثمان وغيرهم(١).

---

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأولين، وأصحاب النبيﷺ في مسجد قباء وفيهم أبوبكر وعمر و أبوسلمة، وزيد و عامر بن ربيعة (صحيح البخاري ج٨: ص ١١٥ كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم) وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج٣: ص ٨٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٢: ص ٦٤ وابن أبي شيبة في المصنف ج١: ص ٣٧٨ والطبراني في معجمه الكبير ج٧: ص ٥٩ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٢: ص ٥٦٧، وغيرهم

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: قدم المهاجرون الأولون العصبة موضع بقباء قبل مقدم رسول اللهﷺ وكان يؤمّهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآناً (صحيح البخاري ج١: ص ١٧٠ كتاب الصلاة باب إمامة العبد والمولى) وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٢٢٦ وأبو داود في سننه ج١: ص ١٤١ والبيهقي في سننه ج٣: ص ٨٩، وغيرهم.

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن عمر قال: إنّ سالماً مولى أبي حذيفة كان يؤمّ المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة وفيهم عمر و غيره من المهاجرين لأنّه كان أكثرهم قرآنا (المعجم الكبير ج٧: ص ٥٩).

وأخرج ابن أبي شيبة الكوفي في المصنف بسنده عن ابن عمر قال: إنّ المهاجرين حين أقبلوا من مكة نزلوا إلى جنب قباء فأمّهم سالم مولى أبي حذيفة لأنّه كان أكثرهم قرآنا وفيهم أبوسلمة بن عبد الأسد و عمر بن الخطاب (المصنّف لابن أبي شيبة ج١: ص ٣٧٩) وأخرجه ابن عبد البر في الاستذكار ج٢: ص ٧٩ والذهبي في سير أعلام النبلاء ج١: ص ١٦٨ والبلاذري في أنساب الأشراف ج١: ص ٢٦٤، وغيرهم).

فإذا كانت الإمامة في الصلاة لها هذه الأهميّة كما يدّعون فقد كان سالم مولى أبي حذيفة أولى بالخلافة من أبي بكر عندهم؛ لأنّ سالماً كان أسبق من أبي بكر في هذا المجال إذ

←

فالذي هو دون سالم في الفضل كيف يصير إماماً لسالم بعد مأمُوميّته لسالم[١]،

➔

أنّه كان إماماً في الصلاة للمهاجرين الأولين، وحسب التعليل الذي جاء في بعض هذه الأحاديث أنّه كان أكثرهم قرآنا. فهذا نصّ صريح جاء في أصحّ كتب القوم فيلزم عليهم العمل به لأنّه حجّة عليهم، وحينئذٍ يلزم عليهم أن يقدّموا من لم يكن عربيّاً ولا قرشيّاً على أبي بكر وعمر، لأنّه تقدّم على المهاجرين بما فيهم أبوبكر وعمر و غيرهما من الصحابة في صلاة الجماعة.

(١) وبعبارة أوضح: إذا كانت الإمامة في الصلاة الجماعة توجب فضلاً وأولوية للخلافة والإمامة؛ فإنّ سالماً كان إماماً في الصلاة على أبي بكر وعمر و غيرهما من الصحابة في أوّل الهجرة، وبناءً على ذلك لابدّ من القول بأنّ سالماً كان أولى من أبي بكر للخلافة بناءً على القول بأنّ التقديم في الصلاة دليل على التقديم في الإمامة الكبرى، بل انّه كان اماماً للصلاة بالمهاجرين الأولين وإن كان هو غير عربيّ و غير قرشيّ ولكن مع ذلك كلّه يكون مقدّماً على أبي بكر وعمر؛ لأنّ صريح هذا النصّ أنّه كان إماماً على أبي بكر وعمر، وبعد ثبوت أفضليّة الإمام على المأموم لا وجه لتقدّم المأموم على الإمام، ولذلك قال العيني: وكانت في هذه الإمامة التي هي الصغرى دلالة على الإمامة الكبرى ... واختلف العلماء فيمن هو أولى بالإمامة، فقالت طائفة: الأفقه، وبه قال أبوحنيفة ومالك و الجمهور، وقال أبويوسف وأحمد وإسحاق: الأقرأ، وهو قول ابن سيرين وبعض الشافعية ... وكان سالم يؤمّ المهاجرين والأنصار في مسجد قباء حين أقبلوا من مكّة لعدم الحفّاظ حينئذ، وقال أصحابنا: أولى الناس بالإمامة أعلمهم بالسنة، أي بالفقه والأحكام الشرعية إذا كان يحسن من القراءة ما تجوز به الصلاة، وهو قول الجمهور وإليه ذهب عطاء والأوزاعي ومالك والشافعي، وعن أبي يوسف: أقرأ الناس أولى بالإمامة، يعني أعلمهم بالقرائة وكيفية أداء الحروف ووقوفها وما يتعلّق بالقراءة ... (عمدة القاري في شرح

➔

وكيف يتصوّر صيرورته إماماً لمن هو أعظم من سالم [١] ومن قال في حقه

➔

البخاري للعيني ج٥: ص ٢٠٣).

إذن قد ثبت أنّه بناءً على القول بأفضلية الإمام في الجماعة لزوم تقديم سالم مولى أبي حذيفة على أبي بكر وعمر لأنّ الأولى بالإمامة عندهم من هو أولى بالإمامة في الصلاة، ومن الطبيعي أنّ من هو أولى بالإمامة في الصلاة في الصدر الأوّل أولى ممّن كان بعده إلّا ما يخرج من هذه القاعدة العامّة بالدليل والحجة.

وحيث إنّ النص الوارد في البخاري صريح في إمامة سالم مولى أبي حذيفة فهو حجة على جميع أهل السنة، وماذكروه من الوجوه في مقابل هذا النصّ ليس لديهم حجّة عليها بل اجتهادات في مقابل هذا النصّ، فلا تعتن بها.

وعليه يلزم على القوم أن يقدّموا سالم مولى أبي حذيفة على أبي بكر وعمر لأنّه ثبت عندهم بالنصّ الصحيح أنّ سالماً كان إماماً في الصلاة على أبي بكر وعمر وأنّهما كانا مأمومين له فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرى: إنّ أبابكر الذي كان مأموماً لسالم مولى أبي حذيفة بالنصّ الصريح الوارد في صحيح البخاري لا يجوز له التقدّم عليه كيف بالتقدّم على من هو أفضل من سالم مولى أبي حذيفة الذي ورد في حقّه على ما رواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن مالك بن الحارث قال: كان زيد بن حارثة معروفاً بنسبه و كان سالم مولى أبي حذيفة لا يعرف نسبه فكان يقال سالم من الصالحين (الطبقات لابن سعد ج٣: ص ٨٥) ولذلك لما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة قال: سالم مولى أبي حذيفة وهو سالم بن عبيد بن ربيعة قاله ابن منده وقيل: سالم بن معقل، يكنّى أبا عبد الله ... (أُسد الغابة ج٢: ص ٢٤٥)

وقال الذهبي: قال موسى بن عقبة: هو سالم بن معقل أصله من إصطخر ... (سير أعلام النبلاء ج١: ص ١٦٧)

وقال ابن حجر: قال ابن شاهين: سمعت من أبي داود يقول: هو سالم بن معقل ... (الإصابة

➔

صاحب الشريعة صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولي كل مؤمن بعدي [(١)] وأوّلم سلماً، وأكثرهم علماً

➔

لابن حجر ج٣: ص ١١) فالذي لم يكن عربياً ولا قرشيّاً وكان لا يعرف له أب معلوم وإنّما ذكر له علماء الرجال أبا ليس على سبيل الجزم بل قد تردّدوا في أبيه بين أشخاص وبعضهم رووا أنّه لم يعرف نسبه كيف صار مقدّماً على أبي بكر؟ وهل يصحّ تقديم من هو أدنى مرتبة إلى من هو أعلى منه في الرتبة؟

وبعبارة أوضح: إن المفضول والمأموم لمن كان دنيّاً في نسبه وشرفه كان مقدّماً على أبي بكر في الصلاة وهل بعد ذلك يصحّ لأهل السنة أن يعتقدوا بأفضلية من تقدّم في صلاة الجماعة على من كان مأموماً؟

ولايخفى على أهل السنة والجماعة وجود من هو أفضل من سالم مولى أبي حذيفة في الصحابة، فإذا كان سالم مولى أبي حذيفة أفضل من أبي بكر لأنّه كان إماماً له في الصلاة فالأفضل من سالم يكون بالأولية أفضل من أبي بكر وبطريق أولى مقدّم عليه، فكيف يقدّم من هو مفضول بعدة درجات على من هو أفضل منه بمراتب عديدة؟! فلاحظ.

(١) أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمران بن حصين قال بعث رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ سرية وأمّر عليهم عليّ بن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفره فتعاهد أربعة من أصحاب محمد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أن يذكروا أمره لرسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فسلّمنا عليه، فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثمّ قام الثاني فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه ثمّ قام الثالث فقال: يا رسول الله إن علياً فعل كذا و كذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأقبل رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ على الرابع وقد تغيّر وجهه فقال: دعوا علياً إنّ علياً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٤٣٧) وأخرجه الترمذي في سننه ج٥: ص ٢٩٦ والنسائي في كتابه فضائل الصحابة: ص ١٥ وفي سننه الكبرى ج٥: ص ٤٥ وفي خصائصه: ص ٦٤ والطيالسي في

🡐

➔

مسنده: ص ١١١ وابن أبي شيبة في المصنّف ج٧: ص ٥٠٤ والضحاك في الآحاد والمثاني ج٤: ص ٢٧٩ وابن أبي عاصم في كتابه السنّة: ص ٥٥٠ وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ٢٩٣ وابن حبّان في صحيحه ج١٥: ص ١٧٤ والطبراني في معجمه الكبير ج١٨: ص ١٢٩، وغيرهم

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس عند أبن عباس إذ اتاه تسعة رهط فقالوا يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى قال: فابتدأوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ـ ابن عباس ـ ينفض ثوبه ويقول: اُف وتف! وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبيصلى الله عليه وآله: لأبعثّن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرف لها مستشرف فقال أين عليّ فقالوا إنّه في الرحى يطحن قال: وما كان أحدهم ليطحن قال: فجاء وهو أرمد العين لا يكاد أن يبصر، قال فنفث في عينيه ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إياه ... قال ابن عباس ثمّ بعث رسول اللهصلى الله عليه وآله فلاناً بسورة التوبة، فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلّا رجل هو منّي و أنا منه فقال ابن عباس: وقال النبيصلى الله عليه وآله لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة قال: وعليّ جالس فأبوا فقالصلى الله عليه وآله: لعلي: أنت وليّي في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: وكان عليّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها قال: وأخذ رسول اللهصلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين وقال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً. قال ابن عباس وكان المشركون يرمون رسول اللهصلى الله عليه وآله فجاء أبوبكر وعليّ نائم... قال ابن عباس: وخرج رسول اللهصلى الله عليه وآله في غزوة تبوك وخرج بالناس معه قال: فقال له عليّ أخرج معك قال: فقال النبيصلى الله عليه وآله: لا، فبكى عليّ، فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس نبيّ بعدي، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي. قال ابن عباس: وقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة. قال ابن عباس: وسدّ رسول

←

➔

الله ﷺ أبواب المسجد غير باب عليّ، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. قال ابن عباس: وقد أخبرنا الله عزوجل في القرآن أنّه رضي عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم فهل أخبرنا أنّه سخط عليهم بعد ذلك (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٤) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٠ والنسائي في خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام: ص ٦٣ والطبراني في المعجم الكبير ج١٢: ص ٧٨ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٠٠ وغيرهم.

وأخرج النسائي في سننه بسنده عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى اليمن مع خالد بن الوليد وبعث علياً على جيش آخر وقال: إن التقيتما فعلى الناس، وان تفرّقتما فكلّ واحد منكما على حدته، فلقينا بني زبيد من أهل اليمن وظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرّية، فاصطفى عليّ جارية لنفسه من السبي، فكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ وأمرني أن أنال منه فقال: فدفعت الكتاب إليه ونلت من علي فتغير وجه رسول الله ﷺ فقلت هذا مكان العائذ [بك]. بعثتني مع رجل وأمرتني بطاعته فبلّغت ما أرسلت به فقال رسول الله ﷺ: لا تقعنّ يا بريدة في عليّ فإنّ علياً منّي وأنا منه، وهذا وليّكم بعدي (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص ١٣٣).

وأخرج ابن عساكر بسنده عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن و مؤمنة وهو وليّكم بعدي (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٨٩) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة بهذا المضمون والمعروف بحديث الولاية، وهو من أصحّ الروايات وأثبتها، فإنّه مروي بأسانيد صحيحة في العديد من المصادر السنية، وقد نصّ على صحّته الكثير من علماء أهل السنة والجماعة قال ابن حجر في الإصابة: وأخرج الترمذي بإسناد قويّ عن عمران بن حصين قصّة قال: قال رسول الله ﷺ: ما تريدون من عليّ إنّ علياً منّي و أنا من عليّ وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي (الإصابة لابن حجر ج٤: ص ٥٦٩) وصحّحه الالباني في صحيح سنن الترمذي (صحيح سنن الترمذي للالباني ج٣: ص ٥٢١ رقم ٣٧١٢، وغيرهم. وسيأتي البحث في ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى في محلّه.

وأعظمهم حلماً(١) ، وأحبّ الخلق إلى الله ورسوله(٢)؟

---

(١) أخرج محمد بن أحمد الدولابي المتوفّى سنة ٣١٠ بسنده عن الحارث عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: خطب أبوبكر وعمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: أنت لها يا علي، فقال: مالي من شيء إلّا درعي أرهنها فزوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فلمّا بلغ ذلك فاطمة بكت، قال: فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال مالك تبكين يا فاطمة فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأوّلهم سلماً (الذريّة الطاهرة: ص ٩٣) وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص ١١٤ وابن الأثير في أُسد الغابة ج٥: ص ٥٢٠، وغيرهم.

(٢) لقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله فقدّم لرسول الله صلى الله عليه وآله فرخ مشويّ فقال: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير قال: فقلت اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء عليّ رضي الله عنه فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: على حاجة، ثمّ جاء فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله افتح، فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حبسك علي فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردّني أنس يزعم أنّك على حاجة فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الرجل قد يحبّ قومه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٠)

وأخرج الطبراني بسنده عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله فقدّم فرخاً مشوياً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ فجاء عليّ فدقّ الباب فقال أنس: من هذا؟ قال: عليّ فقلت: النبي صلى الله عليه وآله على حاجة، فانصرف ثمّ تنحّى رسول الله صلى الله عليه وآله وأكل ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ فجاء علي فدقّ الباب دقّاً وعطاء فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أنس من هذا؟ قلت عليّ قال: أدخله، فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد سألت الله ثلاثاً بأن يأتيني بأحبّ الخلق إليه وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ فقال علي: وأنا يا

←

➜

رسول الله صلى الله عليه وآله لقد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّني أنس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أنس ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن تدرك الدعوة رجلاً من قومي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يلام الرجل على حبّ قومه (المعجم الأوسط ج٦: ص ٣٣٦).

وأخرج ابن عساكر بسنده عن عبد العزيز بن زياد قال: إنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن عليّ بن أبي طالب فقال: أُهدي للنبي صلى الله عليه وآله طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال النبي صلى الله عليه وآله اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليّ يأكل معي فجاء عليّ فرددته، ثمّ جاء ثانية فرددته، ثمّ جاء الثالثة فرددته، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أنس إنّي قد دعوت ربّي وقد استجيب لي فانظر من كان بالباب فأدخله فخرجت فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب فأدخلته فقال النبي صلى الله عليه وآله إنّي قد دعوت ربّي أن يأتيني بأحبّ خلقه إليّ وقد أستجيب لي فما حبسك؟ قال: يا نبي الله حبست أربع مرات كلّ ذلك يردّني أنس، قال النبي صلى الله عليه وآله : ما حملك على ذلك؟ قال: قلت: يا نبي الله بأبي أنت و أمي إنّه ليس أحد إلّا وهو يحبّ قومه، وانّ علياً جاء فأحببت أن يصيب دعاؤك رجلاً من قومي، قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله نبي الرحمة فسكت ولم يقل شيئاً (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٥١)

وأخرج البلاذري بسنده عن أنس بن مالك قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله في حائط وبين يديه طائر فقال: يا ربّ ائتني بأحبّ الخلق إليّ يأكل منه، فجاء عليّ فأكل معه (أنساب الأشراف ج٢: ص ١٤٢).

وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن أنس بن مالك قال: قدّمت لرسول الله صلى الله عليه وآله طيراً فسمّى وأكل لقمة وقال: اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ، فأتى عليّ فضرب الباب، فقلت من أنت؟ قال: عليّ، قلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، ثمّ أكل لقمة وقال مثل الأولى، فضرب عليّ فقلت: من أنت؟ قال: عليّ قلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، ثمّ أكل لقمة وقال مثل ذلك، قال: فضرب عليّ ورفع صوته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس افتح الباب، فدخل فلمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله تبسّم ثمّ قال: الحمدلله الذي عجّلك فإنّي أدعو في كلّ لقمة أن يأتيني الله بأحبّ الخلق إليه وإليّ فكنت أنت. قال: فوالذي بعثك بالحقّ

➜

ومنها: ما في البخاري و غيره من الخبر الذي دلّ على أمرهﷺ بتعلّم الفرقان العظيم من أحد أربعة: منهم سالم مولى أبي حذيفة[1]، وليس

نبياً إنّي لأضرب الباب ثلاث مرات ويردّني أنس، قال: فقال رسول اللهﷺ لِمَ رددته؟ قال: كنت أحبّ معه رجلاً من الأنصار، فتبسّم النبيﷺ، وقال: ما يلام الرجل على قومه (الرياض النضرة ج٣: ص ١١٥) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا المجال وهي كثيرة جدّاً فإنّ هذه الروايات وغيرها تدلّ على أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ فكيف يتصوّر أن يكون غيره مقدّماً عليه؟!

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن مسروق قال ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمر قال: ذاك رجل لا أزال أحبّه، سمعت النبيﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبيل وأُبيّ بن كعب (صحيح البخاري ج٤: ص ٢٢٨ كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار).

وأخرج أيضاً بسنده عن مسروق قال: ذكر عبيد الله بن عمر وعبدالله بن مسعود فقال: لا أزال أحبّه، سمعت رسول اللهﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود و سالم و معاذ وأُبيّ بن كعب (صحيح البخاري ج٦: ص ١٠٢ كتاب التفسير، باب القرّاء من أصحاب النبيﷺ)

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن محمد بن عبدالله بن نمير... عن مسروق قال: كنّا نأتي عبد الله بن عمرو فنتحدّث إليه وقال ابن نمير عنده فذكرنا يوماً عبد الله بن مسعود فقال: لقد ذكرتم رجلاً لا أزال أحبّه بعد شيء سمعت من رسول اللهﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد، فبدأ به و معاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة (صحيح مسلم ج٧: ص ١٤٨ كتاب الفضائل باب فضائل عبد الله بن مسعود)

وأخرج البخاري في صحيحه عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ بضعاً و سبعين سورة والله لقد علم أصحاب

منهم الثلاثة[١].

➔

النبيﷺ أنّي من أعلمهم بكتاب الله (صحيح البخاري ج٦: ص ١٠٢ كتاب التفسير باب القرّاء من أصحاب النبيﷺ)

وأخرجه مسلم في صحيحه وأضاف إليه بعد قوله: «إنّي أعلمهم بكتاب الله» ولو أعلم أنّ أحداً أعلم منّي لرحلت إليه، قال شقيق: فجلست في حلق أصحاب محمدﷺ فما سمعت أحداً يردّ ذلك ولا يعيبه (صحيح مسلم ج٧: ص ١٤٨ كتاب الفضائل باب فضائل عبد الله بن مسعود)

(١) والوجه في ذلك أنّ الحديث صريح في أنّ النبي الأكرمﷺ أمر عامّة المسلمين وهم الأربعة المذكورين فيه أن يأخذوا القرآن من هؤلاء الأربعة و لم يذكر منهم الخلفاء الثلاث، ومعناه أنّ الخلفاء الثلاث يجب عليهم الرجوع إلى هؤلاء الأربعة كبقيّة المسلمين وذلك بمقتضى وجوب العمل بالأمر والوصيّة النبويّة.

فالحديث حجّة قطعيّة على جميع أهل السنة والجماعة ومدلوله واضح لا غبار عليه؛ لأنّ الأمر ظاهر في الوجوب ولم يستثن النبي الأكرمﷺ أحداً من الصحابة وغيرهم فكان من اللازم والواجب على أبي بكر و عمر و عثمان أن يرجعوا إلى هؤلاء الأربعة في أخذ القرآن و تعاليمه ومعارفه وقرائته، وإذا كان الأمر كذلك فمعناه أنّ هؤلاء الأربعة أفضل من الخلفاء؛ إذ لابدّ لهم من الرجوع إليهم و هؤلاء لا يحتاجون إلى الخلفاء وكيف يمكن أن يقال: إنّ أبابكر و عمر و عثمان خلفاء رسول اللهﷺ بعد كون من هو أفضل منهم في القرآن ومعناه أنّ موارد من القرآن لا يعرفها أبوبكر وعمر وعثمان مع أنّ القرآن من أهمّ أركان الإسلام، وكيف يمكن أن يكون شأن الخليفة أقلّ من المسلمين حيث يوجد فيهم الأعلم منه في القرآن؟

وهل يعقل أنّ يكون الخليفة جاهلاً ويلزم عليه الرجوع إلى العالم؟!

مضافاً إلى اعتراف الخليفة عمر بن الخطاب بعدم معرفته بالقرآن وإرجاع الناس إلى

➔

وقال ﷺ: يؤوم القوم أقرؤهم[(١)]،

➔

الآخرين، فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن علي بن رباح اللخمي عن أبيه قال: إنّ عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل و من أراد أن يسأل عن المال فليأتني (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٢٧١)

فانّ قوله: من أراد أن يسأل عن القرآن ... معناه أنّ أبيّ بن كعب أعرف منه بالقرآن وإلّا فلا معنى للإرجاع إليه.

فهذا شأن الخليفة في القرآن، والنبي الأكرم ﷺ كان يقول: قدّموا أقرأكم (انظر مسند أحمد ج١: ص ٤٠١).

وقال ﷺ: ما أقرأكم عبد الله فاقرأوه (سنن الترمذي ج٥: ص ٣٢٩).

وفي حديث رواه حذيفة قال: قلنا يا رسول الله لو استخلفت؟ قال: لو استخلفت لعصيتم، وإن عصيتم نزل بكم العذاب ولكن ما قرأكم ابن مسعود فاقرأوا و ما حدّثكم حذيفة فاقبلوا أو قال اسمعوا (مسند أبي داود الطيالسي: ص ٥٩))

(١) أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القرائة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً ... (صحيح مسلم ج٢: ص ١٣٣ كتاب الصلاة، باب من أحقّ بالإمامة) وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج٤: ص ١١٨ وابن ماجة في سننه ج١: ص ٣١٤ وأبوداود في سننه ج١: ص ١٤٠ والترمذي في سننه ج١: ص ١٤٩ والنسائي في سننه ج٢: ص ٧٦ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج١: ص ٢٤٣ والبيهقي في سننه الكبرى ج٢: ص ٣٥٢ وغيرهم.

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن مالك بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يؤمّ القوم أقرؤهم للقرآن (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ١٦٣) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢:

➔

أي أعلمهم بالفرقان العظيم [(١)]، وسالم و غيره من المشار إليهم موجودون

➔

ص ٦٣ والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص ٧٥٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٧: ص ٥٨٧ وغيرهم.

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ يؤمّ القوم أكثرهم قرآناً ... (المستدرك على الصحيحين ج١: ص ٢٤٣).

وأخرج النسائي بسنده عن عمرو بن سلمة قال له رجع قومي من عند رسول الله ﷺ قالوا له: إنّه قال لنا: ليؤمّكم أكثركم قراءة للقرآن، قال: فدعوني فعلّموني الركوع والسجود فكنت أصلي بهم وعلى بردة مفتوقة ... (سنن النسائي ج٢: ص ٧١).

وأخرج ابن أبي شيبة بسنده عن أبي سلمة عن عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ : إذا خرج ثلاثة مسلمين في سفر فليؤمّهم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كان أصغرهم فإذا أمّهم فهو أميرهم وذلك أمير أمّره رسول الله ﷺ (المصنّف لابن أبي شيبة ج١: ص ٢٧٩)

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمرو بن سلمة عن أبيه أنّهم وفدوا إلى النبي ﷺ فلّما أرادوا أن ينصرفوا قالوا: قلنا له يا رسول الله من يصلّي بنا؟ قال: أكثركم جمعاً للقرآن. فلم يكن فيهم أحد جمع من القرآن ما جمعت قال: فقدّموني و أنا غلام، فكنت أُصلّي بهم على شملة قال: فما شهدت مجمعاً من حرم إلّا كنت إمامهم وأُصلّي جنائزهم إلى يومي هذا (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٢٩) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتب القوم بهذا المضمون.

(١) قال العيني في شرح الحديث: وقوله: أكثرهم قرآناً ... وعن أبي يوسف أقرأ الناس أولى الناس بالإمامة، يعني أعلمهم بالقرائة وكيفية أداء حروفها وما يتعلّق بالقرائة ... (عمدة القاري في شرح البخاري ج٥: ص ٢٠٣).

وقال ابن حجر: «أكثرهم قرآناً» إشارة إلى سبب تقديمهم له ـ أي سالم مولى أبي حذيفة ـ مع كونهم أشرف منه؛ لأنّه كان أكثرهم قرآناً (انظر فتح الباري ج٢: ص ١٥٦)

🡐

في المدينة يومئذٍ [١]، فكيف يتصور تقديم المتعلّم على المعلّم في

➔

وقال العظيم آبادي : «أكثرهم قرآنا» قيل معناه أحسنهم قراءة وقيل أعلمهم بأحكامه (عون المعبود ج٢: ص ٢٠٤) وإلى غير ذلك ممّا ورد في شرح الحديث من كتب أهل السنة والجماعة، فإنّ صريح قولهم أكثرهم قرآناً أي أعلمهم إمّا بالنحو العام والمطلق أو بالنحو الخاصّ في القرائة فلاحظ.

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأوّلين وأصحاب النبيﷺ في مسجد قباء وفيهم أبوبكر وعمر و أبوسلمة وزيد و عامر بن ربيعة (صحيح البخاري ج٨: ص ١١٥ كتاب الأحكام باب استقضاء الموالي واستعمالهم)

وأخرج في صحيحه أيضاً بسنده عن ابن عمر قال: قدم المهاجرون الأوّلون العصبة موضع بقباء قبل مقدم رسول اللهﷺ وكان يؤمّهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآناً (صحيح البخاري ج١: ص ١٧٠ كتاب الصلاة باب إمامة العبد والمولى).

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني في المصنّف بسنده عن عمرو بن سلمة قال: قدم على النبيﷺ وفد جرم، فأمر عمرو بن سلمة أن يؤمّهم، وكان أصغرهم سنّاً، لأنّه كان أكثرهم قرآناً (المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٢: ص ٣٩٠).

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال: إنّ رسول اللهﷺ استخلف ابن اُم مكتوم على المدينة مرّتين يصلّي بهم وهو أعمى (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ١٩٢).

وقال ابن الأثير: إنّ رسول اللهﷺ كان يجعل في كلّ قبيلة رجلاً منهم يصلّي بهم ومعاذ بن جبل ينسب في بني سلمة وكان يصلّي بهم ... (اُسد الغابة ج٢: ص ٢٤٧).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمرو بن سلمة قال: قال لي أبو قلابة... فقال النبيﷺ: ... فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن أحدكم وليؤمّكم أكثركم قرآناً ... (صحيح البخاري ج٥: ص ٩٥ كتاب المغازي، باب غزوة الفتح).

⬅

➔
وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام. وملخّص الكلام أنّ الأخبار والروايات الواردة في كتب أهل السنة والجماعة تدل على أنّ الأولى بالإمامة في صلاة الجماعة أكثرهم قرآناً، وقد تضافرت النصوص في ذلك

وأمّا أقوال العلماء منهم على ذلك فهي كثيرة أيضاً منها قول ابن حجر: وكان أكثرهم قرآنا إشارة إلى سبب تقديمهم له (فتح الباري ج٢: ص ١٥٦).

وقال عطاء و مالك والأوزاعي وأبوثور: يؤمّهم أفقههم إذا كان يقرأ ما يكفي في الصلاة؛ لأنّه قد ينوبه ما لا يدري ما يفعل فيه إلّا بالفقه فيكون أولى كالإمامة الكبرى ... (المغني لابن قدامة ج٢: ص ١٧).

وقال النووي: الأفقه مقدّم على الأقرأ؛ لأنّ الذي يحتاج إليه من القرائة مضبوط، والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط وقد يعرض في الصلاة أمر لا يقدر على مراعاة الصواب فيه إلّا كامل الفقه، ولهذا قدّمه النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في الصلاة على الباقين مع أنّ النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نصّ على أنّ غيره أقرأ منه (شرح صحيح مسلم ج٥: ص ١٧٢) فالأحقّ بالإمامة عندهم في صلاة الجماعة هو أكثرهم قرآنا، ومعناه من هو أعلمهم وإن كان أصغرهم سنّاً وإن كان بعضهم حمله على الأقرأ و المراد به أحسنهم قرائة وان كان أقلّهم حفظاً وأقلّهم علماً و فقهاً قال ابن حجر: وقوله في حديث ابن مسعود أقرؤهم: قيل المراد به الأفقه و قيل هو على ظاهره و بحسب ذلك اختلف الفقهاء قال: النووي: قال أصحابنا: الأفقه مقدّم ... (فتح الباري ج٢: ص ١٤٣)

والظاهر أنّ عمدة علماء أهل السنة والجماعة يتمايلون إلى معنى الأعلم فيحملون قولهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «أكثركم قرآنا» على الأعلمية والأفقية، وإذا كان الأمر كذلك فالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر أنّه كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأولين وفيهم أبوبكر و عمر ... (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ١١٥)، معناه أنّ سالماً كان أعلم من أبي بكر وعمر، فإذا كان كذلك فإنّ سالماً مولى أبي حذيفة كان حيّاً عند وفاة رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ و ينصّ هذا الحديث الوارد في البخاري كان أعلم من أبي بكر؛ لأنّه كان إمامه
➔

الصلاة[١]؟

ومنها: الخبر المشار إليه وهو خبر أكثرهم علماً[٢]، فإنّه يستفاد منه أنّ

➔

وأكثر منه قرآنا فهل يعقل بناءً على مبنى القوم أنّ النبي الأكرمﷺ يترك الأعلم والأفقه والأكثر قرآناً ويأمر غيره للإمامة في صلاة الجماعة؟!

أليس هذا أمراً غريباً على ما بنوا عليه في كتبهم؟

(١) وتوضيح المقام أنّ الخبر الذي يَدلّ على الأولويّة بالإمامة في صلاة الجماعة فيه تعليل وهو قولهﷺ: أكثرهم قرآناً، فيلزم على أهل السنة والجماعة الأخذ بهذا التعليل في جميع الموارد، وبعد وجود أحاديث صحيحة عندهم من أنّ أبابكر كان مأموماً في صلاة الجماعة فكان سالم مولى أبي حذيفة مقدّماً عليه بالتعليل المذكور في الأخبار الصحيحة التي صحّحها كبار المحدّثين من أهل السنة والجماعة كما أنّ الشرّاح للآثار والسنن ذكروا معنى قولهﷺ: أكثرهم قرآنا تقدمه على الخليفة وايضاً ثبت من خلال المباحث السابقة من القوم كابن حجر والنووي وابن قدامة وغيرهم أنّ المراد هو أكثرهم علماً وفقهاً شرط في التقديم. فيلزم عليهم في الخلافة تقديم من كان إماماً على أبي بكر في صلاة الجماعة.

وبعبارة أخرى: إنّ الأعلمية في القرآن بهذا النصّ الصحيح عند أهل السنة والجماعة مناط في الأولويّة باستحقاق الإمامة.

وبعبارة أوضح: إنّ الأعلمية تكون بمثابة العلّة في الأولويّة بالإمامة وحيث إنّ العلّة تخصّص الحكم للموضوع فإنّ الأولويّة تختصّ بمن يكون أعلم بالقرآن، فيلزم على هؤلاء العلماء من أهل السنة والجماعة أن يعترفوا بأولوية سالم على أبي بكر.

(٢)لقد أخرج الموفق الخوارزمي بسنده عن سلمان رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: أعلم أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالبعليه السلام (المناقب للخوارزمي: ص ٨٢) و رواه الحمويني في فرائد السمطين ج١: ص ٩٧ والكنجي في كفاية الطالب: ص ٣٣٢ والمتقي الهندي

←

عليّاً عليه السلام أعلم منهم بكتاب الله [1]، فكيف يتصوّر تقديم غيره الذي هو

➔

في كنز العمال ج١١: ص ٦١٤ و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ص ١١٦٣ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ٢١٦ وغيرهم.

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن معقل بن يسار قال: وضأت النبي صلى الله عليه وآله ... وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال: أما ترضين أنّ زوجتك أقدم أمّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟ ثمّ قال الهيثمي رواه أحمد والطبراني برجال وثّقوا (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٠١) ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ج٦: ص ٢٢٤ وغيره.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن سلمان الفارسي قال: قلت: يا رسول الله لكلّ نبيّ وصيّ فمن وصيّك؟ فسكت عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: يا سلمان فأسرعت إليه، قلت: لبّيك قال: تعلم من وصيّ موسى؟ قلت: نعم يوشع بن نون، قال: لِمَ؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم، قال: فإنّ وصيّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب (المعجم الكبير ج٦: ص ٢٢١).

(١)وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينما أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابّة وهو يشتم عليّ بن أبي طالب والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقّاص فوقف عليهم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم عليّ بن أبي طالب، فتقدّم سعد فأفرجوا له حتّى وقف عليه فقال: يا هذا على ما تشتم عليّ بن أبي طالب؟ ألم يكن أوّل من أسلم؟ ألم يكن أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتّى قال: ألم يكن خطب رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته؟ ثمّ استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللّهم إنّ هذا يشتم وليّاً من أوليائك فلا تفرّق هذا الجمع حتّى تريهم قدرتك. فوالله ما تفرّقنا حتى ساخت به دابّته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه و مات. وقال الحاكم: هذا حديث على

🡐

➔

شرط الشيخين ولم يخرّجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري و مسلم (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٤٩٩). وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن حبشي قال: خطبنا الحسن بن عليّ بعد قتل عليّ رضي الله عنهما فقال: لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الأوّلون بعلم و لا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتى يفتح له، وما ترك من صفراء و لا بيضاء إلّا سبع مائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٢٤٧).

وقال المناوي في شرح قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»: وفي رواية «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»: أي علي بن أبي طالب هو الباب الذي يدخل منه الحكمة فناهيك بهذه الرتبة ما أسناها وهذه المنقبة ما أعلاها، ومن زعم أنّ المراد بقوله: وعليّ بابها أنّها مرتفع من العلوّ و هو الارتفاع فقد تنحّل لغرضه الفاسد بما لا يجزيه ولا يسمنه ولا يغنيه. أخرج أبونعيم عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن عليّ كرّم الله وجهه، فقال: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً. وعنه أيضاً أنزل القرآن على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا وله بطن و ظهر، وأمّا عليّ فعنده منه علم الظاهر والباطن، وأخرج أيضاً عن سيّد المرسلين وإمام المتّقين: أنا سيّد العرب وعليّ راية الهدى، وأخرج أيضاً: يا عليّ إنّ الله أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتسعى، وأنزلت عليه هذه الآية: وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَة. وأخرج عن ابن عباس كنّا نتحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى عليّ كرّم الله وجهه سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره. والأخبار في هذا الباب لا تكاد تحصى ... (فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٣: ص ٦٠).

وأخرج ابن عساكر بسنده عن ثوير عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كان لي لسان سؤول وقلب عقول، و مانزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وعلى من نزلت، و أنّ الدنيا يعطيها الله من أحبّ ومن أبغض، وأنّ الإيمان لا يعطيه الله إلّا من أحبّ (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٩٧).

🡐

→

وأخرج أيضاً بسنده عن سليمان الأحمسي عن أبيه قال: قال عليّ: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت و على من نزلت من ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٩٨).

وأخرج البلاذري بسنده عن أبي الطفيل قال: قال عليّ: سلوني عن كتاب الله فإنّه ليست آية إلّا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار في سهل أو جبل (أنساب الأشراف ج٢: ص ٩٩)

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: إنه قال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلّا عليّ بن أبي طالب (تاريخ الإسلام ج٣: ص ٦٣٨) وأخرجه الخوارزمي في مناقبه: ص ٩٠.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن أبي عون بن أبي صالح عن علي بن أبي طالب قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: قل ربّي الله ثمّ استقم قال: قلت: ربّي الله وما توفيقي إلّا بالله قال: هنيئاً لك العلم يا أباالحسن فقد شربت العلم شرباً وثاقبته ثقباً (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٩١).

وأخرج أحمد بن محمد المغربي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في حكمته وإلى إبراهيم في حلمه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب (فتح الملك العلي: ص ٧٠) وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر الغفاري قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه يوم الجمل فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس فكشف الله عنّي ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أميرالمؤمنين، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أم سلمة، فقلت: إنّي والله ماجئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكنّي مولى لأبي ذر، فقالت: مرحباً فقصصت عليها قصّتي، فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عنّي عند زوال الشمس قالت: أحسنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٤).

وقال المناوي في شرح هذا الحديث: أي في يوم القيامة. وكان عليّ أعلم الناس بتفسيره، قال

←

دونه علماً في الصلاة [1].

➔

المولى خسرو الرومي عندما قال القاضي: إنّه جمع في تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة أراد بعظمائهم علياً وابن عباس والعبادلة وأُبيّ وزيد، قال: وصدرهم عليّ حتّى قال ابن عباس: ما أخذت من تفسيره فعن علي، ويتلوه ابن عباس ... وكان عمر يتعوّذ من كلّ معضلة ليس لها أبوالحسن، ولم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني، إلّا هو ...

وأخرج أحمد أنّ عمر أمر برجم امرأة فمرّ بها عليّ فانتزعها فأخبر عمر، فقال: ما فعله إلّا لشيء فأرسل إليه فسأله فقال: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول رفع القلم عن ثلاث ... الحديث قال: نعم قال: فهذه مبتلاة بني فلان فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر. واتفق له مع أبي بكر نحوه .... (فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤: ص ٤٧٠) وإلى غير ذلك من الروايات.

(١) وتوضيح المقام أنّه بعد ثبوت أنّ الأولوية بالإمامة في صلاة الجماعة هو لمن يكون أكثر الناس قرآناً كما ورد ذلك في النصوص الصحيحة عند أهل السنة والجماعة، وأيضاً قد ثبت عند كبار علماء أهل السنة بأنّ معنى أكثرهم قرآناً أعلمهم بالقرآن كما استظهره جماعة منهم كالنووي في شرح صحيح مسلم ج٥: ص ١٧٢ وابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري ج٢: ص ١٥٦ و ابن قدامة في المغني ج٢: ص ١٧ وغيرهم فقد صرّحوا بأنّ المراد من أكثرهم قرآنا أكثرهم علماً وفقهاً وعليه لابد أن يلتزموا بأنّ المناط في الأولوية في إمامة الجماعة أعلمهم بالقرآن. وقد ثبت بالأدلّة والنصوص المتواترة عندهم أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ورد في ذلك من طرقهم روايات كثيرة، منها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٤) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣٤ والطبراني في المعجم الأوسط ج٥: ص ١٣٥ و في معجمه الكبير ج١: ص ٢٥٥

➔

ومنها: خبر أحبّ الخلق إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله[1]، فإنّه دليل على

➔

والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص ١٧٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٠٣، وغيرهم.

ومنها ما ورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: كان لي لسان سؤول و قلب عقول، وما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وبما نزلت وعلى من نزلت ... (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣٩٧)

وأيضاً ورد عنه عليه السلام قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت من ربّي ... (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٩٨ و...)

وأيضاً ورد عنه عليه السلام قال: سلوني عن كتاب الله فإنّه ليست آية إلّا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار في سهل أو جبل ... (أنساب الأشراف ج٢: ص ٩٩)

وعن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلّا عليّ بن أبي طالب (تاريخ الإسلام للذهبي ج٣: ص ٦٣٨).

فبهذه الأحاديث وغيرها تثبت عند أهل السنة والجماعة أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأيضاً ثبتت عندهم أنّ أكثر الناس قرآناً هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيكون هو الأحقّ بالإمامة لصلاة الجماعة، لأنّه أعلم الناس بالقرآن فيثبت أنّ مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان أحقّ الناس بالإمامة. إذن كيف يعقل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقدّم من هو دونه في العلم عليه، و هل يصحّ صدور فعل منه صلى الله عليه وآله على خلاف الميزان والعقل والحكمة؟ كلّا ثمّ كلّا.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الطير الذي له طرق كثيرة جداً قال الذهبي في ترجمة الحاكم النيسابوري: وأمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنّف، ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل (تذكرة الحفاظ ج٣: ص ١٠٤٢).

وقال ابن كثير و حديث الطير قد صنّف الناس فيه وله طرق متعدّدة ... (البداية والنهاية ج٧: ص ٣٨٧).

➔

➔

وقال في ترجمة محمد بن جرير الطبري المؤرّخ المشهور: قد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خمّ وفي مجلدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه طريق حديث الطير (البداية والنهاية ج١١: ص ١٦٧).

وقال الذهبي نقلاً عن ابن الطاهر قال: رأيت أنا حديث الطير، جمع الحاكم، في جزء ضخم بخطه (تاريخ الاسلام ج٢٨: ص ١٣٢).

وقد أخرج الحديث الترمذي في سننه عن مالك بن أنس قال: كان عند النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه طير فقال: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء عليّ فأكل معه (سنن الترمذي ج٥: ص ٥٩٥).

وفي رواية الطبراني: قال رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ. .. (انظر المعجم الأوسط ج٦: ص ٣٣٦).

وأخرجه أبونعيم في حلية الأولياء بسنده عن سعد بن أبي وقّاص (انظر حلية الأولياء ج٤: ص ٣٥٦) وابن كثير عن أبي سعيد الخدري (انظر البداية والنهاية ج٧: ص ٣٥٤) وعن أبي رافع (انظر البداية والنهاية ج٧: ص ٣٤٥) والكنجي الشافعي عن أبي الطفيل (انظر كفاية الطالب: ص ٣٦٨) وابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري (انظر ترجمة الإمام عليّ لابن عساكر ج٢: ص ١٠٥). وابن كثير عن حبشي بن جنادة (البداية والنهاية ج٧: ص ٣٥٤) والخطيب البغدادي عن يعلى بن مرّة (انظر تاريخ بغداد ج١١: ص ٣٧٦) والطبراني عن ابن عباس (انظر المعجم الكبير ج١٠: ص ٢٤٣) والحاكم النيسابوري في المستدرك عن الامام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَامُ (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٠) وخلاصة الكلام أنّ هذا الحديث من الأحاديث المتواترة عند أهل السنة والجماعة فلا إشكال في سند الحديث عندهم.

وأمّا من جهة الدلالة فإنّ هذه القضية قد أسفرت عن كون الإمام أميرالمؤمنينعَلَيهِالسَّلَامُ أحبّ الناس إلى الله ورسوله، فكان رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه انتهز هذه الفرصة للإعلان عن مقام الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيهِالسَّلَامُ وعن شأنه عند الله عزوجل ورسوله، هذا الشأن

➔

تقدّمه على غيره بالفضل، فكيف يتصوّر تقديم غيره عليه في الصلاة [١].

➜

الذي سترى أنّ عائشة تمنّت أن يكون لأبيها، وحفصة تمنت أن يكون لأبيها، وأنس بن مالك صاحب القصة تمنّى أن يكون لأحد من الأنصار. ولكن ثبت أنّ هذا المقام العظيم كان مخصوصاً بالإمام أميرالمؤمنينعليه السلام، بل سنقرأ في بعض ألفاظ هذا الحديث أنّ الشيخين أبابكر وعمر و في سند أنّ عثمان أيضاً جاؤوا إلى الباب ولم يتشرّفوا بخدمة رسول اللهصلى الله عليه وآله (انظر مسند أبي يعلى ج٧: ص ١٠٥) فلاحظوا الفوارق بين مقام الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام وبقيّة الصحابة.

(١)وتوضيح المقام أنّ حديث الطير الذي جاء فيه قولهصلى الله عليه وآله: ...: «اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ» من الأحاديث المعتبرة الصحيحة التي أجمعت على صحتّه أئمة الحديث من المسلمين قاطبة كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك، وهو يدلّ بالصراحة على أنّ مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله عزوجل ورسولهصلى الله عليه وآله؛ لأنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله دعا فيه: أنّ الله تعالى يأتيه بأحبّ الخلق إليه، فاستجاب له تبارك وتعالى، وحيث إنّ الله تعالى أمر عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة فقال عزوجل: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (سورة غافر: ٦٠) كما قال تعالى: وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (سورة الراعد: ٣١) لاسيما دعاء الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله التي لا يردّ أبداً لأنّه رحمة للعالمين، فلا يطلب من الله شيئاً إلّا وفيه رحمة للعالمين ولجميع الخلق أجمعين ولمّا طلب في دعائه من الله عزوجل أن يأتيه بأحبّ الخلق إلى الله ورسوله إنّما أراد بذلك إثبات ما فيه رحمة لأمته أجمعين، بل أراد الرحمة لجميع الخلق أجمعين إذ طلب من الله عزوجل في دعائه أن يأتيه بأفضل الخلق عنده وأكرمهم منزلة عنده، لأنّ المحبوبية عند الله عزوجل ليس إلّا إعطاء الثواب للطاعة والعبادة، فتبيّن أنّ هذا المقام وهو أكثر عبوديته لله تعالى الذي بل وأنّه في أعلى الدرجة بعد رسول ربّ العالمين؛ لأنّ الميزان في المحبوبية في هذا المجال هو القرب الإلهي والقرب الإلهي لا يحصل إلّا بالطاعة والعبودية، فأقرب الناس إلى الله

➜

ومنها : ما رووه في غزوة عُذرة وبليّ من جعل أبي بكر تحت إمارة أبي

➔
عزوجل أعبدهم وأكثرهم طاعة لله تعالى.

ومن الواضح أنّ أعلى مرتبة الطاعة والعبودية إنّما يكون للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حتى كانت هذه المرتبة أعلى من رسالته، ولذلك نحن نقول في الشهادة أشهد أنّ محمداً عبده و رسوله فنقدّم العبوديّة على الرسالة لأهميّتها.

فالعبودية أعلى مراتب يتصوّر للعبد عند الله عزوجل وكلّما كانت العبودية أكثر ازداد المقام والشأن عند الباري تعالى وكلّما ازداد المقام والشأن تقرّب العبد إلى الله عزوجل وكلّما تقرّب العبد إلى الله كان أحبّ عند الله ورسوله.

إذن إنّ المحبوبية عند الله ورسوله إنّما هو من أجل القرب إلى الله عزوجل ومن هنا نعرف أنّ ما طلبه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في دعائه من الله عزوجل من أن يأتيه بأحبّ الخلق إليه وإلى رسوله أراد أن يأتيه بمن هو أقرب الناس إلى الله عزوجل وإلى رسوله لأنّ اقرب الناس من هو أكثر طاعة لله وأكرمهم منزلة عندالله وأعلاهم درجةً في العبودية وهو يكون أشرف الناس أعمالاً وأكثرهم عبادة فهو أحبّ الناس إلى الله ورسوله.

وهذا برهان قاطع على أنّ مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أقرب الناس إلى الله عزوجل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد تبيّن من خلال هذه الواقعة أنّ مولانا أميرالمؤمنين أحبّ الخلق عند الله ورسوله وعليه فإذا كان الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب هو أحبّ الخلق إلى الله عزوجل وأقربهم منزلة عنده وعند رسول الله وأكثرهم طاعة لله وأكرمهم عند الله وأعلاهم درجة في العبودية فهو أولى بالإمامة العامّة من غيره، لأنّ من يتصدّى للإمامة لابدّ وأن يكون أولى من غيره للإمامة الكبرى، فأولويّته للإمامة في صلاة الجماعة بطريق أولى، لأنّ الإمامة الكبرى هي النيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله في جميع الحالات سوى نزول الوحي عليه فكيف يعقل أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يترك الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مع هذه العظمة ويعطي الإمامة لمن ليس لديه شأن ولا عبادة، فلاحظ.

عبيدة متابعاً له بالصلاة خلفه وغيرها [١]، فكيف يتصوّر تقديمه فيها على

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة في كتب أهل السنة والجماعة في غزوة ذات السلاسل فإنّه قد روى أرباب السير والتأريخ والحديث من أهل السنة والجماعة أنّه حدثت غزوة ذات السلاسل في السنة الثامنة من الهجرة في منطقة وادي القرى وكانت فيها بلاد بلي وعُذرة وبني القين (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ١١٣ كتاب غزوة ذات السلاسل مغازي) ويقال إنّ هذه المعركة سمّيت بذات السلاسل لأنّ السلاسل اسم لذلك المكان قال ابن سيد الناس: وذكر ابن اسحاق نزولهم على ماء بجذام يقال له السلسل، قال وبذلك سمّيت ذات السلاسل ... (السيرة النبوية لابن سيد الناس ج٢: ص ١٧٢).

وقيل سميت بهذا الاسم لأنهم جاؤوا بالأسرى مربوطين بعضهم إلى بعض (انظر كتاب غزوات الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسراياه لابن سعد: ص ١٣١).

وملخصها أنّه بلغ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّ جمعاً من قضاعة وغيرهم تجمّعوا يريدون إلى أطراف مدينة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فدعا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة... (انظر سبيل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج٦: ص ١٦٧)

وعقد له لواء وبعثه في سراة المهاجرين والأنصار في ثلاثمائة، وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب وهي بلاد بلي وعُذرة وبني القين، وذلك أنّ عمرو بن العاص كان ذا رحم بهم، وكانت أم العاص بن الوائل بلوية فأراد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يتألّفهم بعمرو ... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص ٢٢).

وقال ابن سعد: فسار عمرو بن العاص فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يستمدّه فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو فأراد أبوعبيدة أن يؤمّ الناس فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبوعبيدة وكان عمرو يصلّي بالناس ... (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص ١٣١).

←

➔
وقال ابن الجوزي: فأجنب عمرو فصلّى بأصحابه وهو جنب (انظر المنتظم ج٣: ص ١٢١).

أقول: لا يخفى على الخبير أنّ حكم الجنابة كان واضحاً عند المسلمين لأنّ من شرائط الصلاة الطهارة منها كما جاء التصريح بذلك في القرآن الكريم فهنا يتوجّه هذا السؤال لماذا الصحابة صلّوا خلف عمرو بن العاص الذي كان جنباً وهل كانوا يجهلون هذا الحكم الضروري في الإسلام؟!

هب أنّ عمرو بن العاص الذي استسلم بعد فتح مكّة في السنة السابعة من الهجرة لم يكن يعرف هذا الحكم لعدم مضي زمان على إسلامه الظاهري إلّا أقلّ من سنة واحدة ولكن كبار الصحابة الذين كانوا في السرية كيف لم يعرفوا هذا الحكم الضروري واقتدوا بالجنب؟!

فيعرف أنّ هؤلاء لم تكن مهمتهم الدفاع عن الدين وأوامر الرسولﷺ وإنّما كان هواهم في الإمارة والحكم، ولذلك ترى وقوع النزاع بين أبي عبيدة وعمرو بن العاص في من يتقدّم للإمامة في صلاة الجماعة، فمنعه عمرو بن العاص وقال له: إنما قدمت عليّ مدداً و أنا الأمير. فالملاك الوحيد الذي نراه عند الصحابة هي الإمارة، وكانوا يعتبرونها مناطاً للإمامة في صلاة الجماعة مع أنّه ورد عن النبيﷺ أنّه قال: يقدّم أكثرهم قرآناً وقد تقدم ذكر هذا الحديث في الفصول السابقة.

وعلى أيّ تقدير فإنّ تجهيز هذه السرية كانت من الحوادث التاريخية التي صرحوا بأنّ أبابكر و عمر كانا أولاً تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح وبالطبع إنهما كانا يصليان خلف أبي عبيدة، ثمّ وقعا تحت إمرة عمرو بن العاص وكانا يصلّيان خلفه كبقية الصحابة حتّى أنهما صليا خلف عمرو بن العاص الذي كان جنباً وهذا ممّا دلّت عليه المصادر (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢: ص ١٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢: ص ٢٢ وكتاب المغازي للواقدي ج٢: ص ٧٧٠ والمنتظم لابن الجوزي ج٣: ص ٢٢١ وكتاب غزوات الرسول لابن سعد: ص ١٣١ وغيرها من المصادر)

أبي عبيدة [١]، بل وعلى من هو أعظم منزلة عند الله سبحانه من عامّة بعد

---

(١) وهو عامر بن عبد الله بن الجراح المعروف بأبي عبيدة بن الجراح. قال ابن قتيبة في المعارف: هو أبوعبيدة بن عبد الله بن الجراح نسب إلى جدّه، واسمه عامر وهو من بني الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وبنو فهر هم من قريش ... (المعارف لابن قتيبة: ص ٢٤٧).

قال أبوبكر يوم السقيفة: رضيت لكم أحد صاحبي أباعبيدة وعمر بن الخطاب فبايعوا أيّهما شئتم ... (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ٢٧ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

مات أبوعبيدة بالشام في طاعون عمواس، ولا عقب له، قال الواقدي وكان رجلاً نحيفاً معروق الوجه خفيف اللحية طويلاً أخبأ أثرم الثنيتين (المعارف لابن قتيبة: ص ٢٤٨ نقلاً عن الواقدي).

وقال ابن حجر: قال موسى بن عقبة في المغازي: أمّر النبيﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وهي من مشارف الشام في بلي و نحوهم من قضاعة، فخشي عمرو فبعث يستمدّ فندب النبيﷺ من المهاجرين الأولين فانتدب أبوبكر وعمر في آخر فأمّر عليهم أباعبيدة بن الجراح مدداً لعمرو بن العاص فلمّا قدموا عليه قال: أنا أميركم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبوعبيدة أمير المهاجرين فقال: إنّما أنتم مددي، فلمّا رأى ذلك أبوعبيدة... فقال تعلم يا عمرو أنّ رسول اللهﷺ قال لي: إن قدمت على صاحبك فتطاوعا. وإنّك إن عصيتني أطعتك ... (الاصابة لابن حجر ج٣: ص ٤٧٦).

أقول: إنّ المصادر التاريخية ذكرت أنّ أبابكر وعمر كانا تحت إمارة أبي عبيدة أوّلاً حتّى وصلوا إلى مكان الحرب الذي كان فيه عمرو بن العاص وأصحابه (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص ١٣١) فقبل وصولهم إلى عمرو بن العاص كان أبوبكر وعمر تحت إمرة أبوعبيدة وكانا يصليان خلفه ثمّ لما لحقوا بعمرو بن العاص دخلوا تحت أمر عمرو بن العاص وكان عمرو بن العاص يصلّي بهم وهم يصلّون خلفه حتّى أنّه أجنب في ليلة ولم ←

خير الرسل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[(١)]؟

➔

يغتسل من الجنابة فصلّى بهم جماعة! فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمّمت ثمّ صلّيت بأصحابي الصبح، فذكروا للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟! (المستدرك على الصحيحين ج١: ص ١٧٧) ويظهر من ذلك أنّ الصحابة الذين اقتدوا به جماعة كانوا يعلمون أنه جنب لأنّهم أخبروا النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بما فعله عمرو بن العاص، فلو كانوا لم يعلموا ذلك لما أخبروا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولما استفسروا منه الحكم ولذلك هذا الحديث صار مورداً للبحث عند علماء أهل السنة في الفقه من أنّه هل تجوز إمامة الصلاة جماعة ويكون الإمام جنباً أو لا يجوز؟ فاسندوا بهذا الحديث لعدم الجواز. ولا يهمّنا الآن البحث عن ذلك ولمن أراد البحث فليراجع شرح هذا الحديث في كتب القوم.

والمهم أنّ أبابكر وعمر وكبار الصحابة الذين كانوا في السريّة كلّهم كانوا يصلّون خلف عمرو بن العاص جماعة وقد صرّح المؤرخون بأنّ هذه الواقعة كانت بعد سنة واحدة من إسلام عمرو لأنّه استسلم في السنة السابعة من الهجرة وغزوة ذات السلاسل كانت في السنة الثامنة من الهجرة، فهؤلاء الصحابة كانوا تحت إمرة عمرو بن العاص وكانوا يصلون خلفه جماعة، فهذا شأن أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وأمثالهم، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّه بعد وضوح أنّ الإمامة في الجماعة لا تدلّ على الأفضلية لابدّ أن نبحث عن الملاك والمناط في الأفضلية كي نعرف من هو خير الناس بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولو تأمّلنا في الأدلّة والنصوص نجد بوضوح أنّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المتفقه عليها بين جميع المسلمين تعطينا الملاك والمناط في الأفضلية، وهذا مما أجمعت على اعتباره الأمّة الإسلامية بلا خلاف.

ولنبدأ بالقرآن الكريم أولاً: فنقول، قال الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ

🡐

←

وَأَنفُسهِمْ عَلَى الْقَاعدينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهدينَ عَلَى الْقَاعدينَ أَجْرًا عَظيمًا ﴾ (النساء: ٩٥). هذه الآية الكريمة بيّنت أنّ المجاهدين أفضل من القاعدين، فلابدّ أن نعرف المجاهد من القاعد كي نعرف الأفضل من الصحابة، و لاشكّ أنّ المراد بالمجاهد في الآية الكريمة هو المجاهد حقيقة لا كلّ من يشارك في ميادين الحرب، لأنّه قد يشترك الإنسان في ميدان الحرب ولكن يعين الأعداء بنفاقه وزلّته وهزيمته وفراره.

فإنّ المجاهد الحقيقي يسعى ويبذل جميع جهده في سبيل الله من أجل الوصول إلى الأهداف الإلهية، والقرآن الكريم علّمنا بأنّه ليس كلّ جهاد فيه الفضيلة، بل الجهاد يلزم فيه الإخلاص في العمل قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) فالتعبير بقوله تعالى: «فينا» أكبر دليل على أنّ الجهاد الحقيقي هو الجهاد في سبيل الله بالإخلاص نظير تقوى الله، فكما يقال: جاهد في الله حق جهاده أي يكون متمحضاً في معنى الجهاد ويكون خالصاً لوجه الكريم ولا يشارك فيه غيره ففي التقوى الأمر كذلك، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاته ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

وأمّا المنافقون فكانوا يترصّدون الوحي، فإذا نزلت آية فيه جهة دنيويّة كانوا يتشوّقون إلى الوحي، وإذا نزلت سورة فيها جهة أُخروية ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْه﴾ (سورة محمد: ٢٠) فالجهاد الذي هو المناط في الأفضلية هو الجهاد الذي عبّر عنه في القرآن الكريم بحقّ جهاده قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ (الحج: ٧٨) فالمجاهد الحقيقي هو من جاهد في الله حقّ جهاده بإخلاص تامّ.

وعليه فإنّ المجاهد الحقيقي في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هو من كان يجاهد في الله حقّ جهاده ولا يأخذه في الله لومة لائم وكان يكشف الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وآله بجهاده لا من كان يأخذ الرأية ثمّ يأتي في ميدان الحرب و ينهزم ويهرب ويوجب فشل المسلمين

←

←

وخزيهم، فهذا عار على المسلمين فضلاً عن كونه مجاهداً بالمعنى الأعمّ حيث إنّ مثل هذا الشخص يكون موجباً لسرور العدوّ ولحزن النبيﷺ وتألّمه، ومن هنا يلزم على الباحث أن يدرس هذه الحقيقة في عمل أصحاب النبيﷺ بصورة واعية ولابدّ له من المراجعة إلى كتاب المغازي وأن يلاحظ فيه الحوادث الواقعة في غزوة خيبر فإنّه يذعن أنّ أبابكر وعمر كانا سبباً لانهزام قوّات المسلمين مع أنّهما لم يخدشا رجلاً قطّ من الكفّار، فرجعا منهزمين فاشلين يجبّنون أصحابهما وأصحابهما يجبّنونهما (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٣٧).

وبعد انهزام الرجلين قال رسول اللهﷺ: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كرّار ليس بفرّار لا يرجع حتّى يفتح الله عليه فلمّا أصبح قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي علياً فقالوا: يا رسول الله هو أرمد العين فأتي بعليّ بن أبي طالبعليه السلام أرمد العين فبصق رسول اللهﷺ في عينه ودفع له الراية ففتح الله عليه ...

وهذا الحديث ممّا اتفق على صحّته جميع أهل الإسلام، وقد أخرجه جميع الصحاح والمسانيد والمجاميع الحديثية لعلماء أهل السنة والجماعة، فأخرجه البخاري في صحيحه ج٤: ص ٥ باب دعاء النبيﷺ و ج٥: ص ٧٦ كتاب المغازي باب غزوة خيبر ومسلم في صحيحه ج٥: ص ١٩٥ كتاب المغازي باب قول الله عزوجل هو الذي كفّ أيديهم ... وج ٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص ٩٩ وابن ماجة في سننه ج١: ص ٤٥ والترمذي في سننه ج٥: ص ٣٠٢ والبيهقي في سننه ج٦: ص ٣٦٢ والنسائي في سننه ج٥: ص ٤٦ و في كتابه فضائل الصحابة: ص ١٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٦: ص ١٥٠ وغيرهم.

فالحديث ثابت وحجة على جميع المسلمين وبه يعرف أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام أفضل الناس بعد رسول اللهﷺ إذ أنّه المصداق الحقيقيّ والأتمّ للمجاهد الذي قال الله تعالى في وصفه أنّه جاهد في الله حقّ جهاده ولم يأخذه في الله لومة لائم. وهذا مناط الأفضلية في القرآن الكريم كما أنّ السنة النبوية المتفق عليها بين جميع

→

ومنها: ما رووه من جعله و جعل أميره في تلك الغزوة تحت إمارة ابن العاص، فصلّى جميعهم خلفه [(١)]، فمن هذه مرتبته في تقدّم ابن العاص

المسلمين تدلّ بالصراحة على أنّ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّ حديث الراية يدلّ على أنّ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام هو الوحيد الذي جاهد مع رسول الله وكان يحبّه الله وهو يحبّ الله، وهذه الفضيلة العظيمة إنّما حصرت في الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا غير.

ولا يخفى أنّ ما تقدّم يكون مورداً واحداً من الأدلّة، ولو أردنا أن نذكر الآيات والروايات الواردة في فضائل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام لطال بنا المقام وإن كان هذا المورد كافياً في مقام الاحتجاج حيث لو ثبتت عند أهل السنة والجماعة هذه الفضيلة العظيمة فهي كافية للدلالة بها على تقدّم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لقد صرّح أرباب التاريخ والسير والحديث من أهل السنة والجماعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سريّة إلى بلاد بُلي وعذرة و بني القين وولّى عليهم عمرو بن العاص وذلك من أجل تأليفهم لأنّ قضاعة كانت لهم قرابة مع عمرو فولاّه رسول الله صلى الله عليه وآله على الجيش في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبوبكر وعمرو قال رافع بن أبي رافع الطائي: قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً فأمّر عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبوبكر وعمر وأمرهم أن يستنفروا من مرّوا به، و استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص على جيش فيه أبوبكر وعمر ... (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٥: ص ٢٢). ورواه الجوهري في كتابه السقيفة: ص ٦٧.

وقال الذهبي: غزوة ذات السلاسل، قيل إنّه ماء بأرض جذام وقال ابن لهيعة: حدثنا أبوالأسود، عن عروة ورواه موسى بن عقبة، واللفظ له، قالا: غزوة ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي وسعد الله ومن يليهم من قضاعة ... قال ابن عقبة فخاف عمرو من جانبه الذي هو به فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستمدّه فندب رسول الله صلى الله عليه وآله المهاجرين

المعلوم بنفس صلاته به كونه أعلم بالفرقان من أبي بكر وأبي عبيدة

➔

فانتدب فيهم أبوبكر وعمر و جماعة، وأمّر عليهم أباعبيدة فأمدّ بهم عمراً ... (تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص ٥١٣).

فالأحاديث صريحة في أنّ أبابكر وعمر كانا من الجنود الذين كانوا تحت إمارة عمرو بن العاص وأنّهما كانا يصلّيان خلف أمير جيشهم لاسيما أنّ النصوص ظاهرة في أنّهما صلّيا خلف عمرو بن العاص وكان جنباً! فقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عمرو بن العاص قال: لما بعثه رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه عام ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت من أن أهلك، ثمّ صلّيت بأصحابي صلاة الصبح قال: فلمّا قدمنا على رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه ذكرت ذلك، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك و أنت جنب؟! (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٢٠٣).

وهذا الحديث أخرجه أكثر حفاظ أهل السنة وصار مورداً للبحث والنقاش عندهم حيث إنّ هذا الحديث صحيح على مبانيهم ومن ناحية أخرى إنّ فقهاء أهل السنة والجماعة تحيّروا في أنّ ابابكر وعمر قد اقتديا بإمام جنب، فهل يجوّزوا هذا الأمر مع كونه خلافاً للضرورة الفقهية أو يجعلون ذلك من مطاعنهما فوقعوا بين المحذورين ولم يصلوا إلى حلّ في هذه المسألة. ولمن أراد التحقيق فليراجع كتبهم في هذا المجال.

وعلى أيّ تقدير فإن الحديث صريح في أنّ أبابكر و عمر كانا تحت إمارة عمرو بن العاص في هذه الغزوة والرواية صريحة بأنّ عمرو بن العاص كان يصلي بهم، فإذا كان الرجلان قد صلّيا خلف عمرو بن العاص فمعناه أنّ عمرو بن العاص كان أعلم منهما لأنّ الحديث الذي كان يدلّ على لزوم تقديم أكثرهم قرآنا وكان معناه أعلمهم بالقرآن معناه أنّ عمرو بن العاص على مبنى القوم أعلم من أبي بكر وعمر في القرآن مع ما كان فيه من الجهل بالنسبة إلى حكم الجنب، فكيف يقدّم أبو بكر وعمر على عمرو بن العاص في الخلافة فضلاً عن بقية الصحابة، فلاحظ.

وعمر[١] كيف يتصوّر تقديمه فيها وفي غيرها على ابن العاص و غيره[٢]؟

---

(١) وذلك لأنّه ورد في صحاح أهل السنة والجماعة عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه أنه قال: وليؤمّكم أكثركم قرآناً ... (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ٩٦ كتاب المغازي، باب غزوة الفتح)
وفي رواية أخرى أخرجه أبو داود عن عمرو بن مسلمة عن أبيه: ... أنّهم قالوا: يا رسول الله من يؤمّنا؟ قال: أكثركم جمعاً للقرآن وأخذاً للقرآن (سنن أبي داود ج١: ص ١٤١)
وقد تقدّم البحث في هذه الجهة وثبت أنّ معنى أكثركم قرآنا أو أكثركم جمعاً أو أكثركم أخذاً للقرآن عند كبار علماء أهل السنة أي أعلمكم بالقرآن وإذا كان الأمر كذلك ففي المقام إمامة عمرو بن العاص على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة و غيرهم من الصحابة في صلاة الجماعة إنّما كان من أجل أعلمية عمرو بن العاص بالنسبة إلى هؤلاء في القرآن، وإلّا كيف يجوز له التقدّم عليهم في صلاة الجماعة مع أنّ النبي الأكرمصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه نصّ على أنّه يلزم أن يكون الإمام أكثرهم قرانا وأكثرهم أخذاً للقرآن.
فالجمع بين أحاديث غزوة ذات السلاسل وحديث أكثركم قرآنا هو أنّ عمرو بن العاص كان أعلم منهم.

(٢) وبعبارة أوضح: إنّه قد ورد من طرق أهل السنة والجماعة أحاديث عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه أنه قال: ليؤمّكم أكثركم قرآناً (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٤٧٥ وج٥: ص ٢٠ وسنن النسائي ج٢: ص ٧١ و سنن البيهقي ج٣: ص ٩١ وغيرها من المصادر).
وقد اختلفوا في معنى أكثركم قراناً فذهب جماعة منهم إلى أنّ المقصود منه أكثركم قرائة للقرآن والآخرون ذهبوا إلى أنّ المقصود هو الأعلم بالقرآن.
وقد تقدّم الكلام في هذا المجال وقلنا إنّ كبار علماء أهل السنة بل أكثرهم ذهبوا إلى القول الثاني أي الأعلمية لأنّ هذا القول ينسجم مع مسلكهم في باب الإمامة لأنّهم يدّعون بأنّ الإمامة في الجماعة دليل على الأولوية والأفضلية ولذلك يقولون: إنّ إمامة أبي بكر لصلاة الجماعة دليل على أفضليته للخلافة فالمراد من قولهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه: في الحديث أكثركم قراناً أي أعلمكم بالقرآن.

←

ومنها: ما رووه من جعله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أبابكر و عمر و عثمان و سائر وجوه الصحابة تحت إمارة أُسامة بن زيد في مرضه الذي توفّي فيه، وأمرهم بمتابعته ومنها: الصلاة خلفه[1]،

➔

وعليه إذا ثبت أنّ الإمامة للصلاة في الجماعة دليل على الأفضلية فمعناه أنّ عمرو بن العاص هو أفضل من أبي بكر وعمر حيث إنّه كان إماماً ومقدّماً عليهما في صلاة الجماعة بناءً على ما رووه في كتبهم من الأحاديث الصحيحة في واقعة غزوة ذات السلاسل فصرّحوا في كتبهم بأنّ أبا بكر وعمر كانا تحت إمارة عمرو بن العاص وهو كان يصلّي بهم جماعة حتّى إنّ أبا عبيدة أراد أن يصلّي جماعة فمنعه عمرو فصلّى بهم جماعة. فإذا كانت الإمامة لصلاة الجماعة توجب الأفضلية ومعنى الأفضلية بناءً على بعض الروايات الصحيحة عندهم أكثرهم قرآناً وذلك بمعنى أعلم بالقرآن فالنتيجة أنّ الأحاديث تدلّ على أنّ عمرو بن العاص كان أفضل من أبي بكر وعمر، وكيف يتقدّم المفضول على الفاضل وهل يعقل أن يقدّم النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ غير الأعلم على الأعلم ـ والعياذ بالله ـ

(١) لقد أجمعت المصادر الإسلامية على قضية سرّية أُسامة بن زيد بن حارثة، وذلك أنّ رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أمر أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى وعشرة، فلمّا كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال له: سر إلى موضع مقتل أبيك وقد ولّيتك على هذا الجيش فعقد له لواء يوم الأربعاء وجعل في جيشه وتحت رايته أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة ابن الجراح وسعد بن أبي وقاص وغيرهم فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ وقد عبّأهم رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بالجيش قال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد ولّيتك هذا الجيش وأغر صباحاً على أبنى وحرّق عليهم وأسرع السير تسبق الخبر فإن ظفرك الله بهم فأقلّ اللبث

🡐

←

فيهم. فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامه ودفعه الى جريدة وعسكر بالجرف، وكان ممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم... (فتح الباري ج٨: ص١١٥).

وقد نقل أصحاب السير والتاريخ والمغازي قصّة مطوّلة لهذه الواقعة وكانت هذه السرية آخر سريّة جهّزها النبي الأكرم ﷺ.

قال الذهبي: فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة.... فطعن الناس في امارته فقال رسول الله ﷺ إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله إن كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحبّ الناس إليّ، وإنّ ابنه هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده. متفق على صحته... (تاريخ الاسلام للذهبي ج٢: ص٧١٤).

وعلى أيّ حال فإنّ الرسول الأعظم أمّر أسامة بن زيد على كبار الصحابة وجعل فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وغيرهم وطلب من الجيش الخروج سريعاً الى جبهة القتال وكرر ذلك مرّات متعدّدة وحثّهم على الخروج، ولما سمع أنّ بعضهم طعن في تأميره إسامة قال: أيّها الناس ما مقالة بلغتني في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في تأميري فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنّه كان يخلق بالإمارة... (الطبقات لابن سعد ج٤: ص٢٩٧).

فحثّهم مرة أخرى على الخروج ثمّ قال: لعن الله من تخلّف عن بعث أسامة (الملل والنحل ج١: ص٢٢).

فتثاقل الصحابة للخروج وعصوا أمر الرسول كلّهم تحت إمارة أسامة بن زيد وكان أسامة يصلّي بهم جماعة فكان من الواجب على أبي بكر وعمر امتثال أوامر أسامة وهما تحت أمره، ومن الأمور التي كانت من لوازم الإمارة صلاة الجماعة بإمامة أمير الجيش، فأبو بكر وعمر قد شملهما لزوم هذه المتابعة.

وحسب المنصف في معرفة فرية مارووه من خبر الصلاة هذه الوجوه[(١)] حتّى لو قطعنا النظر عن غيرها ممّا دلّ على عدم لياقة أبي بكر لهذه المنزلة[(٢)].

---

(١) وبعبارة أوضح أنّ خبر صلاةأبي بكر في مرض النبي ﷺ لاينسجم مع ما تقدّم من الوجوه المذكورة؛ لأنّ الروايات الواردة في المقام متعارضة ومتنافية ودلالتها مضطربة فعلى سبيل المثال أنّ روايات صلاة أبي بكر متعارضة بالروايات المتواترة الدالة على أنّ النبي الاكرم ﷺ جعل أبا بكر في جيش اسامة بن زيد وأمره أن يخرج من المدينة ويشترك في الحرب في جيش اسامة فاذا كان أبو بكر في جيش اسامة كيف أمكن له الصلاة في المدينة؟

وثانياً: ان الروايات الواردة في صحيحي البخاري ومسلم عن عائشة في صلاة أبي بكر تدل على عدم رضاء النبيﷺ إذ في بعضها تقول عائشة: أنّ النبي الاكرم ﷺ وجد في نفسه خفة فقام وجاء الى المسجد فصلى النبي ﷺ واقتدى به أبو بكر (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٦١ كتاب الصلاة باب حد المريض ان يشهد جماعة وصحيح مسلم ج٢: ص٢١ كتاب الصلاة باب استخلاف امام اذا عرض له عذر).

فان خروج النبي ﷺ بتلك الحالة في مرضه وصلاته يدل على انّه ﷺ لم يكن راضياً بصلاة أبي بكر وإلاّ فما هو الوجه لخروجه ﷺ بهذه الحالة.

لاسيما انّ النبي ﷺ الذي كان في أعلى مراتب حسن الخلق ومكارم الأخلاق كيف يليق بشأنه أن يأمر أبابكر بالصلاة ثمّ يعزله عن امامة الجماعة.

(٢) وبعبارة أخرى: إنّه مع قطع النظر عن الأُمور المتناقضة والمتنافية في خبر صلاة أبي بكر وكونه مضطرب المتن والدلالة فعلى فرض تسليم صحته فلا دلالة له على الإمامة الكبرى؛ لأنّه قد ورد بطرق أهل السنة والجماعة أنّه يجوز الصلاة خلف كلّ برّ وفاجر فقد أخرج البيهقي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر (سنن الكبرى ج٤: ص١٩).

←

➔
وأخرج الدارقطني بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أصل الدين الصلاة خلف كلّ برّ وفاجر، والجهاد مع كلّ أمير، ولك أجرك (سنن الدارقطني ج٢: ص٤٤).

قال المناوي في شرح الحديث: صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر أي فاسق؛ فإنّ الصلاة خلفه صحيحة عند أبي حنيفة والشافعي لكنّها مكروهة لعدم اهتمامه بأمر دينه وقد يخلّ ببعض الواجبات (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٤: ص٢٦٥).

وقال السرخسي: ولنا حديث مكحول، إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: الصلاة خلف كلّ إمام وقال: صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر؛ لأنّ الصحابة والتابعين كانوا لايمتنعون من الاقتداء بالحجّاج في صلاة الجمعة وغيرها مع أنّه كان أفسق أهل زمانه. وقال الحسن البصري: لو جاء كلّ أمّة بخبيثها ونحن جئنا بأبي محمد ـ وأبو محمد كنية الحجّاج ـ لغلبناهم. وإنما يكره لأنّ في تقديمه تقليل الجماعة (المبسوط للسرخسي ج١: ص٤٠).

وقال أبو بكر الكاشاني: ولنا ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: صلّوا خلف من قال لا اله الاّ الله، وقوله صلى الله عليه وآله: صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر. والحديث والله أعلم وإن ورد في الجمع والأعياد لتعلّقها بالأمراء وأكثرهم فسّاق لكنّه بظاهره حجّة فيما نحن فيه إذ العبرة لعموم اللفظ، وكذا الصحابة كابن عمر والتابعيون اقتدوا بالحجّاج في صلاة الجمعة وغيرها مع أنّه أفسق أهل زمانه حتّى كان عمر بن عبد العزيز يقول: لو جائت كلّ أمّة بخبيثها وجئنا بأبي محمّد لغلبناهم. وأبو محمد كنية الحجّاج (بدائع الصنائع ج١: ص١٥٦).

وقال ابن قدامة: فصل فأمّا الجمع والأعياد فإنّها تصلى خلف كلّ برّ وفاجر وقد كان أحمد يشهد مع المعتزلة وكذلك العلماء الذين في عصره ... (المغني لابن قدامة ج٢: ص٢٥).

وإلى غير ذلك من الأقوال في شرح الحديث فإنّ الحديث بضميمة فعل الصحابة عندهم من الحجج التي لابدّ من العمل بها. فالإمامة في الصلاة عندهم لا تدلّ على الإمامة الكبرى لأنّهم شرطوا في الإمامة الكبرى العدالة والشجاعة والقرشية وغيرها التي ليست مشروطة في الجماعة، فلاحظ.

بل وممّا دلّ على مشاقّاته لله ورسوله[١]

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الأنفال: ١٣) فإنّ كلمة «شاقّوا» من مادة الشقاق، وهي بمعنى الانفطار والانفصال، وحيث إنّ أعداء الله ورسوله غرقى في الآثام والذنوب فهم منفصلون عن صفوف المطيعين، فانّ تخلّفهم عن طاعة الله ورسوله أحد عوامل الانفصال والانقطاع من الله ورسوله، بل وفي بعض الأحيان يسعون الى إطفاء نور الله فينقطع بذلك ارتباطهم من جميع الجهات فيقفون أمام أولياء الله ليعادون الله ورسوله فيشكّلون الصفوف الإلحادية لمحاربة أهل الايمان، فمع أنّ هولاء لاينالون أهدافهم الخبيثة إذ يقول تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة التوبة: ٣٢) فشبه في هذه الآية الكريمة الدين بنور الله فإنّ أعداء الله يريدون القضاء على دين الله وتعاليم الإسلام النورانية والله يأبى ذلك فلا يمكنّهم إطفاء نور الله فأمثال هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله كالخفافيش الذين يسعون في الظلمات كيلا ينفذ نور في الفضاء ويعيشون في الظلمات ويتصوّرون أنّهم يقدرون على إمحاء نور الله ويسعون في سبيل ذلك عبثاً لإطفاء نور الشمس التي تضيء العالم كلّه بنفحة ربانية، فهم في العذاب والخسران لأنّ الشمس مادام يكون موجوداً أشعّتها ساطعة على عالم الكون وإن كان البعض في النوم ولايحسون بها.

والنقطة المهمة من هذه الآية الكريمة الإشارة إلى قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ.... هي شمولها لأعداء أهل البيت؛ حيث إنّهم أرادوا أن يجعلوا إمامة الجماعة للصلاة في حياة النبي الأكرم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسيلة مبكّرة لانقطاع الناس عن أهل البيت عليهم السلام وصدّهم عن الخلافة والإمامة ولم يمكنهم ذلك.

وبعبارة أوضح هذه المحاولة كانت تمهيداً لتشيد أركان العداء لأهل البيت عليهم السلام وتقويم أسس المحاربة معهم، والدليل على ذلك أنّنا نجد هذه العداوة بوضوح في ألفاظ خبر صلاة أبي بكر حيث إنّ عائشة التي تروي هذا الخبر تقول: إنّ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وجد في

←

ومبتدعاته[١]. ومن هذه الوجوه يعلم يقيناً بأنّ الصحيحين وغيرهما من

➔

نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر... (صحيح البخاري ج١: ص١٦٩ كتاب الصلاة باب أهل العلم والفضل أحقّ بالامامة) فلم تذكر اسم الرجل الثاني الذي كان مع العباس وقد روى ابن سعد هذا الحديث عن عبيدالله بن العباس مثله وزاد في آخره: قال عبيدالله: فأخبرت ابن عباس بما قالت، قال: فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ قال قلت: لا، قال ابن عباس هو عليّ فإنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٩). فهذه الرواية من الأدلّة الواضحة في أنّ عائشة هي التي أرادت أن يصلّي أبوها مكان رسول الله صلى الله عليه وآله لشدّة حسدها وعدائها لأهل البيت عليهم السلام، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ وقوف أبي بكر في محراب رسول الله صلى الله عليه وآله للإعلان بأنّه إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكونه وقف مكان رسول الله صلى الله عليه وآله لصلاة الجماعة من مصاديق البدعة في الدين من جهتين، الأولى: أنّ عمله وقيامه في المحراب أمر لم يسبقه فيه أحد في التاريخ لأنّه لم يثبت ذلك، فهو لأوّل مرّة في الإسلام فعل ذلك ووضع الحجر الأساس فلم يثبت في التاريخ من يقف مكان رسول الله صلى الله عليه وآله ويصلّي بالناس جماعة في حياته.

الجهة الثانية: أنّ ظاهر ما فعله أبو بكر دعوة الناس الى الضلالة والغواية حيث إنّه استهدف بعمله هذا إثارة الفتنة بين المسلمين وإيجاد الفرقة والاختلاف بينهم حيث إنّه قصد بعمله هذا إيقاع الشبهة في النفوس الضعيفة حيث إنّ الناس وإن رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام علماً وإماماً من بعده إلاّ أنّ الذي ليس له المعرفة الكافية قد يقع في ذهنه أنّ سكوت النبي صلى الله عليه وآله على فعل أبي بكر علامة لإمامته.

ولذلك قام رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج من بيته على أشدّ حاله في مرضه وعزل أبا بكر عن إمامة الجماعة ووقف بنفسه وصلّى بالناس لدفع هذه الشبهة.

وبعبارة أوضح: إنّ أبا بكر أراد بفعله الصدّ عن سبيل الله عزوجل؛ لأنّ الناس كانوا يعرفون

⬅

كتبهم المعتمدة متضمنة للبهتان على سيّد بني عدنان[(١)] صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإنّه قد ثبت

→
الإسلام والإيمان بالله ورسوله وبما جاء به النبي الأكرم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأراد أبو بكر أن يمنع الناس عن هذا السبيل بعمله المثير للفتنة وقد شمله قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِباً أُوْلَئكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالمينَ (١٨) الَّذينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه وَيَبْغُونَهَا عوَجاً وَهُمْ بِالآخرَة هُمْ كَافِرُونَ**﴾ (سورة هود: ١٨ و١٩) فقد شملت الآية أبا بكر من جهة أنّه صدّ عن سبيل الله وأنّ فعله كان ظلماً في حقّ أمّة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومن جهة أنّه افترى على الله ورسوله وأيضاً شمله قوله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ به وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً**﴾ (سورة النساء: ٧٦) فإنّ نتيجة الصدّ عن سبيل الله هي العذاب وجهنم والكفر فأهل البدعة هم أهل النار والكفر، فلاحظ.

(١) لقد روى البخاري حديث صلاة أبي بكر في صحيحه ج١: ص١٦٩ كتاب الصلاة باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة وكذا مسلم في صحيحه ج٢: ص٢١ كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر. كما أخرجه جميع أهل الصحاح والمسانيد من علماء أهل السنة والجماعة واستدلّ به فقهائهم في الفقه.

ولكنّ الخبير يعلم أنّ ادعاء أهل السنة من أنّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أمره بالصلاة باطل لأنّ الحديث صريح في أنّ عائشة هي التي قالت: مروا أبا بكر أن يصلّي بالناس، فكانت هي الآمرة بذلك من جهتها فادعاء المخالفين من أنّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أمرها لم يوجد له وجه في الحديث ولم تثبت هذه الدعوى بحجّة يجب قبولها عند أهل السنة والجماعة.

والدليل على أنّ قول عائشة في الحديث لم يكن بأمر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو مبادرة النبي الأكرم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معجّلاً في شدة مرضه معتمداً على مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ والفضل بن العباس ورجلاه تخطّان الأرض من الضعف حتّى نحّى أبا بكر عن المحراب، فلو كان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو الذي أمره بالصلاة لما رجع باللوم على أزواجه في ذلك
←

فرية خبر الصلاة وهو ثابت في صحاحهم وغيرها من زبرهم التي يعتبرون

➔

على ما في البخاري من قوله صلى الله عليه وآله: «إنّكن لصويحبات يوسف...» ولمّا بادر هو على الحال الذي وصفه البخاري في صحيحه حتّى صرفه عن الصلاة قال صلى الله عليه وآله إنّكن صويحبات يوسف ومعنى ذلك إنّكنّ مثل نساء زمان يوسف لاتهتمّون بالنبي ولا الدين.

ولو كان النبي صلى الله عليه وآله راضياً بفعل أبي بكر لتركه في المحراب ولكان قد أقرّه حتّى يقضي فرضه ويتمّ الصلاة، وفي صرفه له وقوله لعائشة ماذكرناه دليل على بطلان ادعاء أهل السنة والجماعة من أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمره بالصلاة.

بل يظهر من أحاديث البخاري ومسلم أنّ محاولة عائشة وأبي بكر للصلاة بالناس كانت فاشلة لأنّ صريح الحديث هو: لما دخل أبو بكر في الصلاة، وجد رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه خفّة فخرج بين رجلين: أحدهما الفضل بن العباس، وكأنّي أنظر الى رجليه يخطان الأرض من الوجع.

قال عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود: فدخلت على ابن عباس فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنّه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قال: لا، قال ابن عبّاس: عليّ بن أبي طالب ولكن عائشة لا تطيب له نفساً بخير (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص٢٤ و٢٢٨).

وقال ابن أبي الحديد: ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب علي عليه السلام إلى عائشة أنّها أمرت بلالاً مولى أبيها ـ حسب زعمهم ـ أن يأمره فليصلّ بالناس، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل ذلك بل قال: فليصلّ بهم أحدهم ولم يعيّن... (شرح نهج البلاغة ج٩: ص١٩٦).

ثمّ قال: وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ويقول: إنّه صلى الله عليه وآله لم يقل: إنّكن لصويحبات يوسف إلاّ انكاراً لهذه الحال وغضباً، لأنّها وحفصة تبادرتا الى تعيين أبويهما، وإنه صلى الله عليه وآله استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب (شرح نهج البلاغة ج٩: ص١٩٧).

ماروي فيها. وقد علم فيما مضى فرية غيره وهو النصوص التي دلّت على إمامة الثلاثة[١].

---

(١) وخلاصة الكلام أنّ من أهمّ الأدلّة عند أهل السنة والجماعة في خلافة أبي بكر حديث صلاة أبي بكر في مرض النبي صلى الله عليه وآله، ولذلك تجد أنّ جميع صحاحهم نقلوا هذا الحديث واستدلوّا به في جميع كتبهم الفقهية والاعتقادية وقد اهتمّوا به اهتماماً بالغاً.

ولكن كما تقدّم فانّ هذا الحديث لاينسجم مع الوجوه التي تقدّم ذكرها مع ما كان فيه من الاضطراب في المتن وعدم دلالتها على ما استدلّوا به لأنّ ظاهر الحديث أولاً لايدل على أمر النبي صلى الله عليه وآله.

وثانياً: أنّ النبي صلى الله عليه وآله غضب غضباً شديداً من محاولة عائشة وأبيها وخرج على حاله ونحّى أبا بكر وصلّى مكانه.

وثالثاً: لما رجع النبي صلى الله عليه وآله أخذ باللوم على عائشة وقال لها: إنّكن لصويحبات يوسف.

ورابعاً: أنّ الحديث معارض بحديث بعث أسامة وجعل أبا بكر تحت أمر أسامة في الجيش وأمرهم بالخروج الى الحرب كما صرّح به كبار علماء أهل السنة منهم ابن حجر قال: فبدأ برسول الله ٠ص) وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة ودفعه الى بريدة وعسكر بالجرف وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر.... (فتح الباري ج٨: ص١١٥).

وخامساً: أنّه مع فرض التسليم وفرض الحال لا دلالة في إمامة الجماعة على الإمامة الكبرى لأنّه قد ورد في كتب القوم جواز الصلاة خلف كلّ برّ وفاجر.

فإنّ صراحة الحديث بعدم دلالته على مدّعاهم والمناقضات الموجودة فيه لم يبق مجالاً للقول بذلك إلاّ من المعاند.

وأخيراً نقول: إذا كان الوجع قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى صار يهجر ـ والعياذ بالله ـ أو غلبه الوجع حتّى أسقط كلامه عن الاعتبار كما زعمه عمر ومن وافقه عليه من الصحابة وذلك عندما قال النبي صلى الله عليه وآله آتوني بداوة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً

←

ورابع عشرها: ما زعمه ابن حزم من دعوى كون (خليفة) يقال على خصوص الذي يستخلفه غيره[١].

➔

يقول عمر بن الخطاب بدل استجابة أمر النبي ﷺ انّ الرجل يهجر، حسبنا كتاب الله ولكن عندما يقول: مروا أبا بكر يصلّي بالناس لم يهجر؟!

ولكلّ هذه الوجوه وغيرها لا يمكن لأهل السنة الاستدلال بهذه الرواية المخترعة على خلافة أبي بكر، فلاحظ.

(١) قال ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء: ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه ... (الفصل في الملل والأهواء ج٤: ص١٠٧).

أقول: أولاً: إنّ المقصود بالخليفة في المقام الذي ينوب النبي ﷺ في جميع الشؤون كما صرّح به علماء الكلام، فالخلافة هي النيابة عن رسول الله ﷺ في جميع شؤون النبوّة سوى نزول الوحي عليه وهذا بالطبع يحتاج الى الاستخلاف كما أنّ النبوة تكون كذلك تحتاج الى من يرسله.

إذن مجرد تولّي الحكم من بعد رسول الله ﷺ لا يحقّق معنى الخلافة.

وثانياً: أيّ ربط بين الاستخلاف للإمامة الكبرى والاستخلاف لإمامة الجماعة؟ فإنّ الاستخلاف في صلاة الجماعة على فرض تحقّقه لأبي بكر لا يكون محقّقاً للخلافة الكبرى، لأنّ اقامة الصلاة جماعة عندهم جائز لكل برّ و فاجر والإمامة الكبرى لا تكون كذلك بل من شؤون الإمامة العدالة وعدم تحقّقه لعامة الناس فإنّها لا تتحقق الاّ بالدليل.

وثالثا: إنّ أهل السنة والجماعة يرون جواز تقديم المفضول على الفاضل. قال الحلبي في السيرة النبوية: إنّ أبا بكر كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه، وهو الحقّ عند أهل السنة والجماعة، لأنّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الأمر وما فيه النظام (السيرة الحلبية ج٣: ص٤٨١).

وبهذا أجاب عن أنّ أبابكر قدّم عمر وأبا عبيدة بن الجراح على نفسه حيث إنّ أبا بكر قال

🡐

فإنّه من عظيم البهتان والتدليس[١]. وبيان ذلك بوجوه:

➔

يوم السقيفة: بايعوا أيّ الرجلين شئتم عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين).

أقول: مع عدم وجود النصّ من الله ورسوله كيف يمكن معرفة من هو الأفضل من الناس؟ فلابدّ من إثبات من هو الأفضل بالنصّ ثمّ القول بأنّ غيره فاضل أو مفضول.

نعم يمكن الالتزام من تقديم غيره على نفسه بالإقرار والاعتراف على أنّه مفضول بالنسبة إلى من قدّمه على نفسه.

إذن معنى الخليفة في اللغة أو في الاصطلاح لاربط له بخلافة أبي بكر كما أنّ غصبه للخلافة أيضاً لايوجب تسميته خليفة رسول الله ﷺ فانّ الخلافة من الأمور الشرعية التي تحتاج إلى الإثبات بالدليل الشرعي، فلاحظ.

(١) والوجه في ذلك واضح لأنّ معنى الخلافة والخليفة عند المسلمين واضح أما الخلافة عند الشيعة الاثنى عشرية فإنّها منصب إلهي كالنبوة، فكما لا يطلق لفظ النبوة على من ادعى الرسالة أو من قال الناس برسالته ادعاءً بل المراد من انتجبه الله للرسالة كذلك لايراد من خليفة رسول الله من ادعى الخلافة أو من قال الناس بخلافته، بل المراد من استخلفه الله والرسول.

والسؤال المتوجه هنا إلى من يدعي خلافة أبي بكر هو أنّه: هل استخلف رسول الله ﷺ أبا بكر حتّى يسمي نفسه خليفة رسول الله؟!

أمّا الخلافة عند أهل السنة والجماعة، فإنّه لم يدع أحد أبداً أنّ رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر خليفة له بل إنّهم رووا عدم وجود النصّ، فقد روى الشيخان البخاري ومسلم أنّ عمر ابن الخطاب حين ما طعن جاءه ابنه وقال له ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي، يعني أبا بكر، وان أترككم فقد ترككم من هو خير منّي يعني رسول الله ﷺ (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف وصحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة باب الاستخلاف وتركه) وكذلك رووا عن

➔

منها: ما نقلوه عن أبي بكر من كتابته إلى عماله وغيرهم: (من خليفة رسول الله) مدّة إمارته[1]،

➔

عائشة أنّها سألت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قال: أبو بكر (سنن النسائي ج٥: ص٥٨).

قال النووي في شرح هذا الخبر ما هذا نصّ عبارته وفيه دلالة لأهل السنة أنّ خلافة أبي بكر ليست بنصّ من النبي على خلافته صريحاً، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة وتقديمه... (شرح صحيح مسلم للنووي ج١٥: ص١٥٤).

إذن كيف يجوز لأبي بكر أن يسمّي نفسه خليفة رسول الله مع أنّ الأدلّة صريحة في عدم خلافته فإنّ خلافة الرسول نسبة إضافية لابدّ من وجود الدليل عليها. فلا اعتبار لقول لاتسنده حجة عند جميع المسلمين سواء كان من أهل السنة والجماعة أو غيرهم فإضافة الخلافة إلى النبي ﷺ لابدّ من إثباته و إن كان أهل السنة والجماعة يصرّحون بأنّ خلافة أبي بكر كانت مجرد تولي الحكم والحكومة بعد رسول الله ﷺ لا الخلافة، فإنّ القول بمشروعية الحكم والحكومة بعد رسول الله ﷺ بلا دليل بدعة في الدين لأنّهم ينسبون ذلك إلى الدين فالانتساب بالدين بلا دليل بدعة وكلّ بدعة ضلالة.

(١) قال ابن عبدالبر: وأجمعوا أنّ أبا بكر كان يكتب: من خليفة رسول الله ﷺ في كتبه كلّها، وذكر نافع بن عمر الحجمي عن ابن أبي ملكية أنّ رجلاً قال لأبي بكر: يا خليفة الله! فقال أبو بكر: أنا خليفة رسول الله ﷺ... (التمهيد لابن عبد البرّ ج٢٢: ص١٢٧).

ولنا أن نسأل جميع أهل السنة والجماعة: من أين سمّى نفسه خليفة رسول الله ﷺ فإنّ اعتبار هذه النسبة أي تسمية نفسه بأنّه الخليفة وإضافة الخلافة بالرسول يحتاج الى الدليل إمّا من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ بحيث يكون معتبراً عند جميع المسلمين كما أنّ الأمر في رسول الله ﷺ يكون كذلك فإنّ نسبة رسالته الى الله ثابت بالدليل القطعي من الكتاب والسنة النبوية القطعيّة لدى الكلّ.

➔

وقد عرفت من قوله في السقيفة وغيرها بأنّ صاحب الشريعة لم يجعله خليفة[1].

➔

ثمّ إنّ أبا بكر نفسه قال يوم السقيفة: بايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فلو كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لماذا قال: بايعوا عمر أو أبا عبيدة فإنّه إمّا يكون صادقاً في قوله أو لا يكون كذلك، فإذا كان صادقاً في قوله فمعناه أنه اعترف بعدم لياقته لمقام الخلافة؛ فإنّ سلب هذا المقام عن نفسه دليل على عدم لياقته بذلك المقام وإذا كان كاذباً فلايقبل أحد قوله فضلاً عن كونه خليفة لرسول الله.

ومن الملفت أنّ ابن حجر قال في شرح الحديث ما هذا نصّ عبارته: وفي رواية ابن عباس عن عمر وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة فلم أكره ممّا قال... وقد استشكل قول أبي بكر هذا مع معرفته بأنّه الأحقّ بالخلافة... لأنّه علم أنّ كلاّ منهما لايقبل ذلك (فتح الباري ج٧: ص٢٤).

أقول: إنّ قوله كان يعلم أنّ كلاً منهما لايقبل ذلك إما أنّه كان له علم الغيب فهذا ادعاء لم يدعه أحد أبداً.

وإمّا أنّ علمه كان محققاً من قبل، أي أنّهم قد تواطئوا قبل حضورهم في السقيفة، فهذا ممكن ولكن من أين عرفه ابن حجر ولم يعرفه الآخرون؟

وعلى كلّ حال فإنّ دعوة الآخرين للبيعة مع أحدهما دليل عدم لياقته بهذا المقام وهو اعتراف ضمني منه.

(١) فإنّ قول أبي بكر في السقيفة هذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح بايعوا أيّهما شئتم... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم) دليل على عدم ورود نصّ في خلافته بناءً على زعمه؛ وإذا كان نصّ في إمامته فما معنى بايعوا عمر وأبا عبيدة؟

➔

فعلى ما زعمه ابن حزم يلزم فرية إمامه في وصف نفسه بالخليفة لما بيّنّاه من تصديقه بأنّه ليس بمنصوص عليه[١].

ومنها: ما نقلوه عن عمر من خطابه له بـ(يا خليفة رسول الله ﷺ) مدّة حياته[٢]،

➔

وقوله: وددت أنّي كنت سألت رسول الله ﷺ: هل للأنصار في هذا الأمر ـ أي الخلافة ـ نصيب؟ (تاريخ الطبري ج٢: ص٦٢٠) فلو كان نصّ في إمامته لما تمنّى أن يسأل رسول الله ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟

وقوله: أقيلوني ولست بخيركم... (المعجم الأوسط ج٨: ص٢٦٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٦٩ وتفسير القرطبي ج١: ص٢٧٢ والسير الكبير للشيباني ج١: ص٣٦ والامامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص٣١ وغير ذلك من المصادر) فإنّ الاستقالة دليل على عدم النصب وإلاّ فما معنى الاستقالة بعد النصب؟

وقوله: في جواب من سأله: ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمّر على اثنين؟ فقال: لم أجد من ذلك بدّاً خشيت على أمّة محمّد الفرقة... (الصواعق المحرقة لابن حجر المكي: ص١٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٧٩ والسيرة النبوية للحلبي ج٣: ص٤٨٤ وغيرها) فإنّه لو كان النبي ﷺ نصّ على إمامته لامعنى لهذا الجواب بل كان له أن يقول قد نصّ عليّ رسول الله ﷺ، فإنّ قوله خشيت على أمّة الفرقة دليل على عدم وجود النصّ على إمامته وإلى غير ذلك ممّا ورد عنه.

(١) وبعبارة أوضح: أنّ الأدلة القطعية تدلّ بوضوح على أنّ ابن حزم افترى على أبي بكر في المقام حيث انّ النصوص تدل على اعتراف الخليفة بعدم وجود النصّ على امامته فما نسبه الى أبي بكر افتراء واضح كما ثبت بالبرهان.

(٢) فإنّ الروايات الواردة في المقام عن أهل السنة والجماعة كثيرة: منها: ما أخرجه اليعقوبي عن عمر بن الخطاب: قلت لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، إنّ حملة القران قد قتل أكثرهم

➔

وتعبيره عنه بخليفة رسول الله بعد مماته، و كتابته إلى الناس في إمارته مدّة من الزمان (من خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله)[(١)]

←

يوم اليمامة، فلو جمعت القرآن... (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٣٥).

ومنها: ما أخرجه أيضاً في حديث طويل ذكر فيه قصة قتل مالك بن نويرة بيد خالد بن الوليد وفيه أنّه قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، إنّ خالداً قتل رجلاً مسلماً وتزوّج امرأته من يومها، فكتب أبو بكر الى خالد فأشخصه، فقال: يا خليفة رسول الله إنّي تأوّلت، وأصبت، وأخطأت....)تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٢).

ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري بسنده عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنّها دخلت على أبي بكر فألقى لها ثوبه حتّى جلست عليه فدخل عمر بن الخطاب فقال: يا خليفة رسول الله من هذه؟ قال: هذه بنت من هو خير منّي ومنك... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٦٠٧) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم.

(١) قال ابن سعد في الطبقات: لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله واستخلف أبو بكر وكان يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا توفّي أبو بكر و استخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدع به من بعده من الخلفاء.... (الطبقات لابن سعد ج٣: ص٢٨١).

وأخرج ابن عساكر بسنده عن الشفاء: إنّ عمر بن الخطاب كتب إلى عامله في العراق وطلب منه أن يبعث إليه برجلين يسألهما عن أمر الناس فبعث إليه بعَديّ بن حاتم ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحليتهما بفناء المسجد ثمّ دخلا فاستقبلا عمرو بن العاص فاستأذنا أن يدخلا على عمر وكان قبل ذلك يكتب من عمر خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا دخلا قال عمر كيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله هذا يطول فقال له المغيرة بن شعبة أنت أميرنا ونحن المؤمنين وأنت أمير المؤمنين قال: فذاك... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٤:

→

➔

ص٩ و ص ٢٦٠).

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في عنوان محمد بن حازم أبو معاوية دخلت علىٰ هارون فقال لي: هممت أنّه من ثبّت خلافة عليّ فعلت به وفعلت به؟ فسكتّ. فقال لي: تكلّم قال: قلت: إن أذنت لي تكلّمت قال: تكلّم فقلت: يا أمير المؤمنين قالت تيم: منّا خليفة رسول الله ﷺ وقالت: عديّ: منّا خليفة رسول الله ﷺ وقالت بنو أمية: منا خليفة الخلفاء فاين حظكم يا بني هاشم من الخلافة؟ والله ما حظّكم فيها إلاّ ابن أبي طالب، فقال: يا أبا معاوية لا يبلغني أنّ أحداً لم يثبت خلافة عليّ إلاّ فعلت به كذا وكذا (تاريخ بغداد ج٢: ص٣١٠) وإلى غير ذلك من الأخبار والروايات. فالباحث عندما يراجع هذه الروايات والأخبار من كتب القوم يجد بوضوح أنّ اعتبار عنوان خليفة رسول الله عندهم ليس بالنصّ بل باعتبار قول الناس العاديين، فكأنّما هذا العنوان عندهم حسب الأهواء والميول فمن كان يرىٰ من اللفظ الصحيح عنده يذكره، فمثلاً يذكر خليفة رسول الله ﷺ أو يذكر أمير المؤمنين أو يذكر خليفة الخلفاء أو ما شابه ذلك وليس هناك ميزان شرعيّ لتثبيت هذه العناوين عندهم.

ولذلك قال البلاذري في أنساب الأشراف: لمّا ولي أبو بكر كان سعد القرظ يقف علىٰ بابه فيقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، فلمّا استخلف عمر كان يقف علىٰ بابه فيقول: السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله حيّ علىٰ الصلاة وحيّ على الفلاح... (أنساب الأشراف ج١: ص٥٢٨). فإنّ التاريخ وكتب الحديث لم يرد فيه الدليل على مشروعية هذا العنوان وإنّما المستفاد من الخبر أنّ سعد القرظ كان يهوى الخليفة فيذكر هذا العنوان وإذا سأله سائل من أين جئت بهذا العنوان تجد لا يوجد لديه دليل علىٰ ذلك سوىٰ ما كان يراه في نفسه أو كان يرىٰ بعض الناس يذكرونه، فليس هناك دليل على اعتباره شرعاً، وعليه فلا اعتبار للعنوان الذي ليس له دليل شرعي وإنّما هو عنوان قائم علىٰ أساس الهوىٰ والميول لا غير.

وهو على ما عرفت قد نفى النصّ عليه. فلزم فريته في ذلك على زعم ابن حزم[1].

---

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ما زعمه ابن حزم من وجود النصّ علىٰ خلافة أبي بكر مناقض لما جاء في الأخبار والروايات المعتبرة عند أهل السنة والجماعة من أنّ استعمال لفظ الخليفة بالنسبة إلى أبي بكر وعمر و غيرهما من خلفائهم سوىٰ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يكن أمراً مشروعاً وسائغاً من ناحية الشرع الأقدس وإنّما كان اعتباره من جهة استعمال الناس فلا دليل علىٰ اعتباره شرعاً كما تقدّمت الإشارة إليه؛ اذ من الواضح أنّ اعتبار العنوان إنّما يكون باعتبار مشرّعه، فاعتبار عنوان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى أبي بكر كان من جهة استعمال عمر بن الخطاب كما جاء ذلك في التواريخ (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٥ و ١٢٢ وغيره) كما أنّ اعتبار عنوان خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى عمر بن الخطاب كان من بعض الناس كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وأمثالهم من أصحاب أبي بكر و عمر بن الخطاب (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٩ و ٢٦٠ و الطبقات لابن سعد ج٣: ص٢٨١ وغيرها من المصادر) بل الأمر سار بالنسبة إلى الخلفاء الثلاثة ثمّ إلى جميع خلفاء بني أميّه وبني العباس مع علمهم بعدم وجود دليل شرعيّ على اعتبار عنوان الخلافة بالنسبة إلى هؤلاء. ومن الواضح لدى الخبير أنّ اعتبار العنوان باعتبار معتبرها فإذا كان المعتبر حجّة شرعيّة كما أنّ الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة حجّتان شرعيّتان فالدليل القائم بها على اعتبار الشيء يجعل ذلك الشيء معتبراً شرعياً، وأمّا استعمال الناس بلا دليل شرعيّ لا يثبت شيئاً من جهة الشرع الأقدس فهذه العناوين إنّما هي باعتبار أشخاص عاديّين، فلا يثبت به العنوان الشرعي.

وعليه ما زعمه ابن حزم من أنّ خلافة أبي بكر بالنصّ مخالف لهذه الروايات، وهذه الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة تدلّ بالصراحة على أنّ ابن حزم افترىٰ علىٰ الله ورسوله، لأنّ ما زعمه لا دليل عليه وما جاء من الدليل من قبل أهل السنة والجماعة يدلّ علىٰ عدم مشروعيّة خلافة أبي بكر وعمر. وإنّما كان ذلك باعتبار قول الناس وهو لا ←

ومنها: ما مضى من تقرير الصحابة لعمر على نفي النصّ على أبي بكر[١] وهم جميعهم سمّوه خليفة رسول الله سوى علي عليه السلام ومن تابعه، على ما نقله عنه صاحب كتاب [الإمامة و] السياسة[٢]

➔

يسمن ولا يغني من جوع. فما زعمه ابن حزم باطل ونسبته إلى النصّ الشرعي افتراء على الله ورسوله، فلاحظ.

(١) أخرج البخاري في صحيحة بسنده عن ابن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي رسول الله صلى الله عليه وآله.... (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف) وأخرجه مسلم في صحيحه ج٦: ص٤ كتاب الإمارة باب الاستخلاف وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٤٣ و ص٤٦ والنسائي في سننه ج٧: ص١٥٨ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٩٥ والبيهقي في سننه الكبرىٰ ج٨: ص١٤٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص٣٢٢ والطيالسي في مسنده: ص٧ وغيرهم.

(٢) لقد روىٰ ابن قتيبة الحديث في كتابه الإمامة والسياسة عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري يذكر فيه قضية السقيفة وما جرىٰ بعدها من الحوادث في رواية طويلة وفيها: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ كرّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر بن الخطاب، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده: لتخرجنّ أو لأحرقها علىٰ من فيها، فقيل له يا أبا حفص: إنّ فيها فاطمة! قال: وإن! فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي علىٰ عاتقي حتّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة رضي الله عنها علىٰ بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازته بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولىٰ له: اذهب فادع لي علياً، قال:

➔

➔

فذهب إلى عليّ. فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ: لسريع ما كذبتم على رسول الله ؟!

فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع فجائه قنفذ، فأدىٰ ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله لقد ادّعىٰ ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكىٰ أبو بكر طويلاً، ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة. فلمّا سمع القوم صوتها وبكائها، انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا اله إلاّ هو نضرب عنقك فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله! قال عمر: أمّا عبد الله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليّ بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: يا بن عمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني. فقال عمر لابي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا علىٰ فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط. فسلّما عليها، فلم ترد عليهما السلام. فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله ﷺ والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقىٰ بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ﷺ؟ إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم فقالت: أنشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، و من أرضى فاطمة فقد

➔

➔

أرضاني. و من أسخط فاطمة فقد أسخطني به قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونّكما إليه.

فقال أبو بكر أنا عائذ بالله تعالىٰ من سخطه و سخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها.

ثمّ خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي، قالوا: يا خليفة رسول الله إنّ هذا الأمر لا يستقيم.

قال: فلم يبايع عليّ كرّم الله وجهه حتّى ماتت فاطمة رضي الله عنها... (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١: ص١٩ ـ ٢٠).

أقول: ما جاء في هذه الرواية كفاية للاحتجاج علىٰ جميع أهل السنة من أنّ خلافة أبي بكر لم تكن مشروعة بل كانت بيعته بالقهر والعنف، ويشهد لذلك الهجوم على بيت الصديقة الطاهرةعليها السلام وتهديد أهلها بالنار وبالعنف وهو أكبر دليل على أنّ خلافة أبي بكر كانت بالإرهاب لا النصّ كما أنّ سخط الصديقة على أبي بكر وعمر ودعاؤها عليهما بعد كلّ صلاة إلى آخر حياتها الشريفة أيضاً يدلّ على ذلك.

ثمّ إنّ التعبير بخليفة رسول الله بالنسبة إلى أبي بكر إنّما هو أمر غير مقبول حتّى عند أبي بكر نفسه ولذلك قال: أقيلوني بيعتي أي إنّ ما سمّيتموني بالخليفة بواسطة هذه البيعة لا أريده، أقيلوني. فهذه البيعة الجبريّة التي أخذها أهل السنة والجماعة دليلاً على جواز تسمية أبي بكر بخليفة رسول الله هي بيعة باطلة شرعاً، وهل لعاقل أن يقبل بعد هذا وجود نصّ علىٰ خلافة أبي بكر؟!

ا فإنّ ما رواه ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة ج ١: ص١٩ صريح من حيث الدلالة على عدم ورود النصّ على خلافة أبي بكر و كون وقوع البيعة له على سبيل القهر والمكر.

وبهذه الرواية بطل قول ابن حزم حيث ادّعىٰ وجود النصّ على خلافة أبي بكر، والأمر واضح

➔

فيلزم فريتهم جميعاً في هذه التسمية على زعم ابن حزم[(١)] .

➔

لمن لاحظ الرواية و تأمّل فيها فانّه يجد بوضوح أنّ أبا بكر نفسه لم ير الخلافة من حقّه فجعل يطلب من الناس الاستقالة عن البيعة التي حصلت له، ولكن حبّ الشيء يعمي ويُصمّ ولا غرو من علماء العامة بعد غورهم في العصبية أن يعترفوا بهذه الحقيقة، ومع ذلك يبقون علىٰ ضلالتهم لأنّ قلوبهم ممسوخة ومسخّرة للشيطان.

قال ابن حجر المكّي في الصواعق: اعلم أنّهم اختلفوا في ذلك ـ النصّ علىٰ خلافة أبي بكر ـ .... قال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج لم ينصّ على أحد. ويؤيده ما أخرجه البزار في مسنده عن حذيفة قال: قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علينا؟ قال: إنّي إن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب. وأخرجه الحاكم في المستدرك وما أخرجه الشيخان عن عمر بن الخطاب قال حين طعن: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي يعني أبا بكر، وإن أترككم فقد تركّكم من هو خير منّي، رسول الله.... (الصواعق المحرقة: ص٢٦).

وبعد هذه الروايات فهل يبقىٰ للباحث والعلماء أمر بلا حجّة؟ فلماذا هم يسكتوا عن هذه الأدلّة ولم يتكلموا فيها بالبرهان والأدلّة المقنعة؟

فهذا كتاب البخاري الذي عندهم من أصحّ الكتب فيه الاعتراف من عمر بن الخطاب على عدم وجود النصّ على أبي بكر. لماذا يتعصّب ابن حزم وأمثاله ويدّعون النصّ عليه؟!

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ما زعمه ابن حزم من وجود النصّ على خلافة أبي بكر مناقض لما ورد عن عمر بن الخطاب عند ما سأله ابنه عبد الله هل تستخلف؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ. (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

وبعد هذا الحديث الذي هو صريح في عدم وجود النصّ بالنسبة إلى خلافة أبي بكر هل إنّ ابن حزم يقبل صحّته أم لا؟ وإذا كان مقبولاً عنده فقوله جود النصّ على خلافة أبي بكر تكذيب لقول عمر بن الخطاب. فهل إنّ ابن حزم يكذّب عمر بن الخطاب أو ينكر ما

➔

➔
نقله؟

مضافاً إلى أنّ هذا الزعم مناقض لما ورد من الروايات الدالّة علىٰ تسمية عمر بخليفة خليفة رسول الله فقد أخرج ابن سعد في الطبقات في حديث قال: لمّا توفّي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكان يقال له خليفة رسول الله ﷺ فلمّا توفي أبو بكر واستخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله... فيطول هذا، ولكن أجمعوا علىٰ اسم تدعون به خليفة يدع من بعده من الخلفاء... (الطبقات لابن سعد ج٣: ص٢٨١).

وأخرج ابن عساكر بسنده عن سليمان بن أبي حثمه عن جدّته الشفاء، وكانت من المهاجرات الأول.... فقالت: كتب عمر بن الخطاب إلى عامله عن العراقين أن ابعث إليّ برجلين جلدين نبيلين أسألها عن أمر الناس، قال فبعث إليه بعديّ بن حاتم بن طيّ ولبيد بن ربيعة فأناخا راحلتيها بفناء المسجد ثمّ دخلا المسجد فاستقبلا عمرو بن العاص فقالا: استاذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، هو الأمير ونحن المؤمنون. فانطلقت فدخلت على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين فقال: لتخرجنّ ممّا قلت أو لأفعلنّ قال: يا أمير المؤمنين بعث عامل العراقيين بعديّ بن حاتم ولبيد بن ربيعة فأناخا راحلتيها بفناء المسجد ثمّ استقبلاني فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه هو الأمير ونحن المؤمنون. وكان قبل ذلك يكتب عن عمر خليفة خليفة رسول الله ﷺ فجرىٰ الكتاب (من عمر أمير المؤمنين) من ذلك (تاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٢٦٠).

وهذا الحديث صريح في أنّ عمر بن الخطاب لم يكن خليفة رسول الله ﷺ وإنّما كان خليفة أبي بكر، ثمّ بعض الناس كعمرو بن العاص سمّوه أمير المؤمنين. فتسمية أبي بكر بعنوان لم تكن مشروعة من ناحية الشرع الأقدس وإنّما كان من الصحابة وذلك باعتراف عمر بن الخطاب حيث قال: إنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً كما في صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦) كما أنّه لا يكون عنوان خليفة خليفة رسول الله أو أمير المؤمنين بالنسبة إلى عمر بن الخطاب مشروعاً؛ لأنّ هذه التسمية ليست من قبل الرسول ﷺ ولا من ناحية الشرع الأقدس فما زعمه ابن حزم من وجود النصّ الشرعي على خلافة أبي
➔

فعلم من هذه الوجوه أنّ تسميتهم له بخليفة رسول الله بعد علمهم وهو و عمر معهم بأنّه لم يجعله الرسول ﷺ خليفة، فهم إمّا مفترون في هذه التسمية، وإمّا صادقون من حيث إنّه لا يلزم كون الخليفة معناه من يستخلفه غيره بل هو عامّ شامل لمن يستخلفه غيره ولمن لم يستخلفه الغير[1]،

➔

بكر باطل ومخالف لهذه النصوص و أمثالها.

وبعبارة أخرى: الأمر هنا بين الادّعاء والنصّ فادّعاء ابن حزم لا يسنده دليل بل إنّما هو قول بلا حجّة، وفي مقابله النصّ الذي هو حجّة عليه وعلى جميع أهل السنة والجماعة وهو رواية البخاري الدالّة علىٰ أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف، وهو دليل على عدم وجود النصّ على أبي بكر، فلاحظ.

(١) وبعبارة أخرىٰ: لابدّ لابن حزم من الإجابة عن هذا السؤال و هو ما معنى خليفة رسول الله؟

فإن قال معناه من يستخلفه رسول الله ﷺ، قلنا له: أليس أنّ النصوص الصحيحة الواردة في صحيح البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنّه قال: إنّ النبي ﷺ لم يستخلف؟(انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

فمدلول هذا النصّ وأمثاله دليل على عدم وجود نصّ على خلافة أبي بكر، لأنّ الحديث صريح في أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف. فادّعاء ابن حزم بالنسبة إلى وجود النصّ على خلافة أبي بكر مناقض لهذا النصّ الصريح ومعناه أنّه إمّا افترى علىٰ رسول الله ﷺ أو يلزم عليه أن يقول إنّ الخليفة ليس بمعنى من يستخلفه الرسول ﷺ بل عامّ و شامل لكلّ من جلس مكان رسول الله ﷺ وإن لم يرد في حقّه النصّ، وهذا أيضاً لا يوافق ادّعائه، لأنّ ادّعائه وجود النصّ علىٰ خلافة أبي بكر.

وبعبارة أوضح: إنّ ما زعمه ابن حزم من وجود النصّ على خلافة أبي بكر مرجعه إلى أمرين لا ثالث لها.

➔

فليختر ابن حزم ما يحبّه من هذين المعنيين، فأيّ هذين قصد فهو على الباطل: فإن حملهم على الصدق فهم بعد تصديقهم بعدم النصّ سمّوه بخليفة رسول الله ﷺ فليس يلزم عندهم كون الخليفة من يستخلفه غيره، فبطل حينئذٍ قوله وهو دعوى النصّ. ولو حملهم على الكذب فإمامه حينئذ لم ينصّ عليه، فدعوى النصّ منه بهتان بيّن[1].

إمّا أن يقول بأنّ معنى الخليفة من استخلفه رسول الله ﷺ وحينئذ ما زعمه يكون مناقضاً للنصوص الصحيحة الصريحة في عدم استخلاف رسول الله ﷺ، وإمّا أن يقول معنى الخليفة أعمّ من أن يستخلفه الرسول ﷺ بل شامل حتّى لمن جلس مكان رسول الله ﷺ بالقهر والغلبة وإن كان من أعظم الطواغيت، وحينئذٍ هذا لا يناسب ادّعائه لأنّ ادّعائه وجود النصّ على خلافة أبي بكر.

فيجب عليه أن يختار أحد هذين الأمرين، فإن اختار الأوّل فإنّه واضح الكذب عنده بل انّ ادعائه افتراء على رسول الله وعلىٰ خليفة عمر بن الخطاب.

وإن اختار الثاني فهو مخالف لادّعائه لأنّه يلزمه الإقرار بعدم وجود النصّ، لأنّ الروايات صريحة في عدم وجود النصّ وكون تسميته بخليفة رسول الله لا من جهة ورد النصّ الشرعيّ بل من جهة أنّه جلس مكان رسول الله ﷺ فسمّاه الناس خليفة رسول الله ﷺ بلا وجه شرعيّ.

(١) وخلاصة الكلام: إنّ ما ادعاه ابن حزم من وجود النصّ على خلافة أبي بكر باطل على أي حالٍ لأنّه بناءً على هذا الادّعاء لابدّ له أن يختار أحد الأمرين.

إمّا أن يلتزم بوجود النصّ وهو مخالف لما ورد في الروايات ونتيجة قوله مخالفة الروايات أي مخالفة لقول عمر بن الخطاب وما نسبه إلى النبيﷺ من عدم وجود النصّ على خلافة أحد (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

وإمّا أن يعترف بأنّه ليس معنى قوله الخليفة من يستخلفه الرسول ﷺ وحينئذٍ يكون ادّعائه

ومنها: ما مرّ من تصديق أبي بكر للحسن عليه السلام وتصديق عمر للحسين عليه السلام بأنّ المنبر منبر أبيهما، وتقرير من حضر من الصحابة في المقامين لهم على ذلك[1]،

→

باطلاً إذ اعترافه بالمعنى العام دليل على عدم وجود النصّ على أحد لأنّ معنى الخليفة عنده هو من سمّاه الناس خليفة ولم يكن خليفة بالنصّ، فلاحظ.

(١) لقد أخرج كبار علماء أهل السنة والجماعة بسند صحيح أنّ أبا بكر كان على المنبر فصعد إليه الإمام الحسن عليه السلام وكان صبيّاً فقال له: انزل عن منبر أبي واجلس على منبر أبيك، فقال له أبو بكر: نعم إنّه منبر أبيك وأبي لا منبر له، وإنّ كلّ ما عندنا منكم، فهل أنبت الشعر علىٰ رؤوسنا إلاّ الله وأنتم.... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٣٠٧ والرياض النضرة ج١: ص٢٠٢ و أنساب الأشراف ج٢: ص٢٦ وكنز العمال ج٥: ص٦١٦ وغيرها من المصادر).

وليتأمل الباحث في اعتراف أبي بكر للامام الحسن عليه السلام: حيث قال: صدقت إنّه منبر أبيك، وأبي لا منبر له، وقوله في آخر الحديث: هل أنبت الشعر علىٰ رؤوسنا إلاّ الله وأنتم. ومعناه واضح ظاهر عند كل من له معرفة باللغة العربية حيث الظاهر منه هو أنّ الله تعالى جعلكم سبباً لعطائه حتّى نبت الشعر على رؤوسنا وقد رواه الذهبي في تاريخه وفيه: قال أبو بكر: يا بنيّ وهل أنبت الشعر إلاّ الله وأنتم ووضع يده علىٰ رأسه، و قال: أي بنيّ لو حصلت تأتينا وتغشانا (ثم قال) إسناده صحيح (انظر تاريخ الاسلام ج٣: ص٢٨٥).

وهناك موقف مماثل لهذا الموقف من أبي الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام مع عمر بن الخطاب. فقال الإمام الحسين عليه السلام لعمر: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: صدقت، منبر أبيك والله، ولا منبر لأبي، وهل أنبت الشعر علىٰ رؤوسنا إلاّ أنتم، لو جعلت تغشانا (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤: ص١٧٥ و ج٣٠: ص٣٠٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٥٨ والرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج٢: ص٢٤١

←

فإنّه حجة بيّنة دلّت على أنّ الخليفة المنصوص عليه هو عليّ عليه السلام دونهما. وبعد علمهم بذلك سمّوه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله[1]،

←

وكنز العمال للمتقي الهندي ج١٣: ص٦٥٤ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١: ص١٥٢و تهذيب الكمال للمزّي ج٦: ص٤٠٤ والاصابة لابن حجر ج٢: ص٦٩ وتهذيب التهذيب له ج٢: ص٢٠٠ وتاريخ المدينة ج٢: ص٧٩٨ والمنتظم لابن الجوزي ج٤: ص٧٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥: ص١٠٠ والسيرة الحلبية ج١: ص٤٤٢ وغيرها من المصادر).

والحديث صريح في اعتراف عمر بأنّ الخلافة إنّما هي حق ثابت للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنّه قد أخذها منه غصباً كما أنّ صاحبه أبا بكر كان غاصباً لخلافة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهذا الاعتراف يعتبر عند الشرع والعقلاء اعترافا نافذاً؛ لأنّ اعتراف العقلاء على أنفسهم نافذ فيكون دليلاً على أحقّية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ عنوان الخليفة إنّما يصحّ إطلاقه علىٰ شخص إذا كان يستحقّ ذلك المقام، لأنّ الخلافة بمعنى من يخلف غيره وينوب عنه فلابدّ أن يكون الخليفة منصوصاً عليه من قبل المستخلِف وإلاّ لا تصحّ التسمية، فإنّ خلافة الرسول صلى الله عليه وآله عنوان لا يصدق إلاّ إذا ثبت الاستخلاف من الرسول صلى الله عليه وآله كما أنّ الله تعالى قد بيّن هذه الحقيقة في القرآن الكريم عندما قال تعالى: **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**.... (سورة ص: ٢٦) أي إنّا جعلناك نائباً عنّا في الأرض لتتولي أمور الناس، ومن هنا يعلم أنّ الحكومة في الأرض يجب أن تستلهم شرعيّتها من الحكومة الإلهيّة، وأيّ حكومة لا تستلهم شرعيّتها من الحكومة الإلهية فإنّها حكومة ظالمة وغاصبة.

فالخلافة الشرعية هي الخلافة التي تكون بالجعل الشرعي من قبل الله ورسوله وإلاّ فإنّ مجرّد تسمية الناس شخصاً باسم خليفة رسول الله لا يجعله خليفة واقعياً بل إنّما هو غاصب لهذه التسمية فإطلاق خليفة رسول الله يلزم فيه التثبيت من استخلاف النبوة و صحة هذه

→

فعلم من ذلك عدم لزوم كون الخليفة من يستخلفه غيره[1].

➔

الحقيقة يحتاج إلى النصّ الثابت لدى جميع المسلمين كصريح قوله تعالى: **وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي....** (سورة الاعراف: ١٤٢) فإنّ هذه الخلافة خلافة شرعيّة، لأنّ نبي الله موسىٰ عليه السلام استخلف هارون بالنصّ وأمره بإصلاح قومه. وهل لأهل السنة نصّ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كي تصحّ تسميتهم بعنوان خليفة رسول الله؟!

(١) وهذا من الواضحات الأوّليّة؛ لأنّ خلافة الرسول صلى الله عليه وآله هي الخلافة المتقوّمة باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله فلا معنى لادّعاء الخلافة بلا استخلاف من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فنسبة الخلافة إلى رسول الله لا تكون صادقة إلّا إذا كانت الخلافة بتنصيب من رسول الله صلى الله عليه وآله. فالإمام أو الخليفة إنّما يسمّىٰ خليفة رسول الله لأنّه خلف رسول الله صلى الله عليه وآله بالنصّ وإلاّ فإنّ دعوى خلافة رسول الله بلا نصّ ادعاء باطل.

ولذلك روى النووي: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله فقال له عمر بن عبد العزيز: ويلك لقد تناولت تناولاً بعيداً، إنّ أُمي سمّتني عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثمّ كبرت فكنت أبا حفص، فلو دعوتني به قبلت، ثمّ ولّيتموني أموركم فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذاك كفاك.

وذكر أبو الحسن الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية: إنّ الإمام سمّي خليفة لأنّه خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمّته... (الأذكار النووية: ص٢٦١).

وملخّص الكلام أنّ القاعدة الأولية في التسمية توقيفي، ومعنى ذلك: أنّ التسمية إنّما تكون صادقاً ومنطبقاً على المسمّى إذا كانت النسبة حقيقيّاً ولا تصحّ النسبة ولا التسمية إلاّ بعد المطابقة، فبالضرورة إنّ الحاكم الذي وصل إلى القدرة ولو باختيار الناس لا يطلق عليه عنوان خليفة رسول الله إذ من الواضح أنّ رسول الله لم يستخلفه، فلاحظ.

ومنها: ما نبهّنا عليه فيما مضي وما نبيّنه فيما يأتي من النصوص التي دلّت على أنّ الخليفة الذي قد نصّ عليه هو عليّ عليه السلام دون غيره[1]،

---

(١) فإنّ النصوص الدالّة علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أكثر من أن تحصىٰ، وقد بلغت من الكثرة بدرجة لا يمكن لأحد استيعابها قطّ لأنّ إحصائها صعب مستصعب، وقد ألّفت في ذلك المجلدات الكثيرة والمؤلفات العديدة الجامعة المفيدة، وذكرها أرباب الفهارس والتراجم.

منها: كتاب الألفين للعلامة الحلّي ـ رضوان الله عليه ـ وقد جمع فيه ألفي دليل عقليّ ونقليّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهذه الأدلّة قصيرة ومختصرة يمكن أن تؤلّف في كلّ واحدة منها علىٰ وجه التفصيل مؤلفات كثيرة.

وأكثر هذه النصوص ملزمة لعموم المسلمين التي هي حجّة عليهم وفق الضوابط العلمية الملزمة عند العلماء.

ومن تلك الأحاديث والنصوص حديث الغدير وهو حديث متواتر بين الشيعة وأهل السنة و لا مجال للمناقشة في سنده ولا دلالته فهو مرويّ عن أكثر من مائة صحابي، والكثير من طرقه صحاح وحسان عند جميع المسلمين، ولا يضاهيه حديث من الأحاديث المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث كثرة طرقه. وقد ألّف فيه جماعة كتباً مستقلةً منهم العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني رضوان الله تعالى عليه فقد ألّف موسوعته الموسومة بـ «الغدير في الكتاب والسنة والأدب» الذي خصّص الجزء الأوّل والثاني منها بالكلام حول طرق ثبوت الحديث وواقعة الغدير من روايات أهل السنة والجماعة، وقد أنهىٰ الرواة لذلك في طرقهم من الصحابة إلى مائة وعشرة ومن التابعين إلى أربعة وثمانين، كما أنهىٰ رواته من علماء أهل السنة والجماعة ومؤلفيهم طبقة بعد طبقة إلى ثلاثمائة وستين، وقد وثّق ذلك كلّه بالمصادر المعتبرة عندهم، ومن الطبيعي أنّ قضية بهذه السعة لا يسعنا استقصاء طرقها و تبيين دلالتها على نحو التفصيل واستيفاء جميع ما ورد في هذا المجال ولكن بقدر الميسور نشير إلى الواقعة كي يراجع القارئ المنصف من أهل السنة والجماعة إلى تصحيحات علمائهم وتصريحاتهم بتواتر الحديث ودلالته على المقصود.

←

➔

ولا يخفى أنّ النبي الأكرم ﷺ أحاط الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منذ صغره بعناية خاصة، حيث تولّى تربيته وإعداده، ودأب على الإشارة بمكانته وفضائله في كثير من المواقف وفي كلّ مرّة وقف فيها النبي الأكرم ﷺ ليعلن عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأيّ صورة من الصور. وفي مختلف المناسبات كان هناك من يعارض ذلك جهرة أو خفية حتّى قام بتنصيبه رسمياً في غدير خمّ ليكون خليفة وإماماً للأمّة بعده، وقد أخذ له البيعة من عامّة المسلمين ليتمّ الإعلان الرسمي تجنّباً عن أيّ اختلاف بعد ذلك وإن كان المنافقون يحاولون التكذيب والتشكيك مخالفة للرسول ﷺ لئلا تتحقّق أهداف الإسلام والرسالة المحمّدية.

ولكن الرسول قام بإنجاز مهمّته العسيرة بأمر الله عزو جل بعد أن أدّى حجّه الأخير في السنة الحادية عشرة للهجرة والتي عرفت بـ«حجّة الوداع»، وحضرها ما لا يقلّ عن تسعين ألفاً حسب أقلّ ما روي في ذلك. فقبل أن تتفرّق هذه الجموع الغفيرة نزل على رسول الله ﷺ عند مكان خارج مكّة يدعى غدير خمّ وهو المكان الذي تتفرّق منه الطرق إلى المدينة والشام والعراق ومصر قوله تعالى: **يَا أَيّهَا الرّسُولُ بَلّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رّبّكَ وَإِن لّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ** (سورة المائدة: ٦٧) وقد نزلت هذه الآية الكريمة في الثامن عشر من ذي الحجّة والتي يظهر منها أنّ الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه بإعلان بلاغ رسمي وبيان الخطبة فيهم فالآية واضحة الدلالة على أنّ ما يجب تبليغه على النبي ﷺ هي الإمامة والولاية لأنّ مصير الرسالة وهداية الأمّة متوقّفة عليها ومن دون تبليغه تكون الرسالة بأجمعها كأن لم تبلّغ، وإلى جانب التهديد بإحباط الرسالة تتضمن الآية ضماناً للنبي ﷺ بعصمته من الناس ﴿**وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ**﴾، ولكن ما حاجة النبي ﷺ إلى مثل هذا الضمان؟ وهل كان يخشى على نفسه؟ أيخاف أن يقتلوه؟ ولماذا يخاف بعد أن أنبأ الناس بانتقاله إلى الرفيق الأعلى قريباً؟!

ولماذا الخوف؟ ألم يبلّغ من قبل أموراً أخطر على حياته من هذا الأمر؟ ألم يبلّغ رسالة التوحيد في مجتمع وثنيّ مشرك، فأراد مشركو قريش أن يقضوا عليه فأنقذه الله وأخرجه

➔

➔

من مكة إلى المدينة؟! ألم يواجه اليهود والنصارىٰ وهم أشد خطراً من غيرهم؟!

ثمّ صريح قوله تعالى أنّ الرسالة المحمّدية متوقّفة علىٰ هذا التبليغ وانتشار ما أمر الله تعالى به رسوله.

فنزل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بغدير خمّ وأمر باجتماع الناس في مجلس عظيم وخطب فيهم خطبة عظيمة فقال: أيها الناس، إنّي يوشك أن اُدعىٰ فأُجيب وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً قال: ألستم تشهدون أن لا اله إلاّ الله، و أنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ جنّته حقّ وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلىٰ نشهد بذلك، قال: الّلهم اشهد، ثمّ قال: أيّها الناس، ألا تسمعون؟ قالوا نعم قال: إنّي فرط على الحوض فانظروني كيف تخلفوني في الثقلين، فنادىٰ مناد: وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله والأخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثمّ أخذ بيد عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فرفعها حتّى رأىٰ الناس بياض إبطيهما وعرفه القوم أجمعون فقال: أيّها الناس من أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولىٰ المؤمنين، وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه قاله ثلاث مرات ثمّ قال: الّلهم وال من والاه وعاد من عاداه، أحبّ الله من أحبّه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغايب

(هذه الخطبة قد وردت في عشرات المصادر الإسلامية وقد استخرجها علماء الإسلام ولمن أراد الوقوف عليه فليراجع كتاب الغدير ج١: ص٢٩٤ ـ ٣٢٢) للعلامة الأميني فإنّه قد جمع أكثر المصادر السنية في هذا المجال ونقل الواقعة من روايات أهل السنة و الجماعة والباحث عندما يراجع المصادر يذعن بأنّ حديث الغدير من الأحاديث التي اتفقت الأمّة الإسلامية علىٰ روايته حتّى الذين ناصبوا أهل البيت لا يمكنهم إنكاره لأنه رواه مسلم وأحمد بن حنبل وجميع أهل الصحاح والمسانيد والمفسّرون وأهل السير والتاريخ. فعن

🡐

فمن سمّى أبا بكر و عمر وعثمان بالخليفة لم يقصد بذلك أنّهم منصوص عليهم(١).

➔

أبي هريرة قال: لمّا أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه فأنزل الله عزوجل **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** (سورة المائدة: ٣) قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خمّ، من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين يوماً (السيرة النبوية لابن كثير ج ٤: ص ٤١٤ ـ ٤٢٥).

فهذه الرواية من أصحّ رواياتهم، كما روىٰ مثلها ابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة قال من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست وليّ المؤمنين؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مسلم فأنزل الله اليوم أكملت لكم دينكم.... (تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢: ص ٢٣٣).

(١) لقد تأسست نظرية الخلافة والإمامة عند أهل السنة والجماعة على أساس عدم وجود النصّ في تعيين من يخلف النبي ﷺ فاتّفق مشايخ المتكلّمين منهم علىٰ أنّ النبي الأكرم ﷺ التحق إلى الرفيق الأعلىٰ ولم يوص لأحد بالإمامة والخلافة وترك أمّته بلا مرشد ينصحهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويخرجهم من الظلمات الى النور، فجميعهم يدّعون أنّه ﷺ ترك الأمر إلى اختيار الناس الخليفة بعده.

وهذا هو صريح قول علماء أهل السنة في أول باب الإمامة بأنّها هي الحكومة والسياسة الوقتية الزمنية يقودها الحاكم العادي إن أخذ زمام المسلمين بيده وعلىٰ ذلك يرجع تعيين الإمام عندهم إلى نفس الأمّة، لا إلى الله ولا إلىٰ رسوله و إليك بعض ما جاء في كلماتهم:

١ـ قال الإسفرائيني في كتاب الجنايات: وتنعقد الإمامة بالقهر و الاستيلاء ولو كان فاسقاً أو

➔

➔

جاهلاً أو أعجمياً... (انظر كتاب إحقاق الحقّ للشهيد القاضي نور الله التستري ج٢: ص٣١٧ نقلاً من كتاب الجنايات).

٢ـ وقال الماوردي: اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم علىٰ مذاهب شتى، فقالت طائفة: لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل الحلّ والعقد من كلّ بلد، ليكون الرضا به عامّاً، والتسليم لإمامته إجماعاً....

وقالت طائفة أخرى: أقلّ ما تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون علىٰ عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة...

وقال آخرون تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكماً و شاهدين كما يصحّ عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أخرىٰ تنعقد بواحد، لأنّ ابن العباس قال لعليّ: أمدد يدك أبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله ﷺ بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك اثنان.... (الأحكام السلطانية: ص٦ـ ٧).

٣ـ وقال امام الحرمين الجويني: اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها... (الإرشاد: ص٤٢٤).

وقال القرطبي: فإن عقدها ـ أي الإمامة ـ واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله خلافاً لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد. دليلنا أنّ عمر عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك.... (تفسير القرطبي ج١: ص٢٦٠).

٤ـ وقال القاضي عضد الدين اللاهيجي: المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة وأنّها تثبت بالنصّ من الرسول، ومن الإمام السابق، وبالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد.... (المراقف: ص٣٩٩).

٥ـ وقال التفتازاني: وتنعقد الإمامة بطرق: أحدها: بيعة أهل الحلّ والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسّر حضورهم، من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من في سائر البلاد،

➔

ومنها: ما صدر من أبي بكر وعمر وعثمان من المشاقّات لله ورسوله، وجعلهم المبتدعات في الدين حسبما مضى شيء منها ويأتي بيان شيء فإنّها بيّنات قاطعات دلّت على عدم لياقتهم لهذه المنزلة، وبُعدهم عنها فمن سمّاهم بالخليفة لم يقصد النصّ، لعدم وجوده وعدم لياقتهم بما فعلوه لذلك[1].

بل لو تعلّق الحلّ والعقد بواحد مطاع كفت بيعته.

الثاني: استخلاف الإمام وعهده وجعله الأمر شورىٰ بمنزلة الاستخلاف...

الثالث: القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدّى للإمامة من يجتمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكته انعقدت الخلافة له، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً علىٰ الأظهر (شرح المقاصد ج٢: ص٢٧٢) وإلى غير ذلك من أقوالهم في هذا المجال فإنّ صريح قولهم في المقام هو القول بأنّ الخلافة أمرها بيد الناس ويستدلّون علىٰ ذلك بما تحقّق في التاريخ من انعقاد الإمامة لخلفائهم.

وفي الواقع هم يستدلّون للمدّعىٰ بنفس المدّعىٰ وهو دور واضح، حتّى أنّ بعضهم لم يفرّق بين عقد النكاح و الإمامة التي تتوقّف عليها حياة الأمّة، وحتّى بعضهم صرّح بأنّ الإمامة تنعقد ببيعة شخص واحد كما أنّ عمر بن الخطاب بايع أبا بكر و تحقّقت بذلك إمامته.

والمهمّ أنّ كلّ ذلك يدلّ على أنّ أهل السنة والجماعة تعتقد بعدم وجود النصّ على إمامة أحد، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه قد ذكر علماء أهل السنة والجماعة في مطاعن الخلفاء ومخالفاتهم للإسلام جملة كثيرة من البدع التي أحدثوها في الدين مع اعترافهم بأنّ كلّ بدعة ضلالة؛ لما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذا خطب... ويقول: أمّا بعد فإنّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدىٰ هدىٰ محمّد وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة... (صحيح مسلم ج٣: ص١١ كتاب

➔

الصلاة باب تخفيف الصلاة والخطبة).

فإنّ صريح هذا الحديث «كلّ بدعة ضلالة» وكلّ أمر محدث في الدين فهو بدعة حرمة كلّ بدعة على الإطلاق ومعناه أنّه لا توجد بدعة في الدين إلاّ وهي ضلالة. وإذا أردنا أن ندخل في هذا الموضوع في كلمات علماء أهل السنة والجماعة نجد أنّهم مع اعترافهم بصحة هذا الحديث وأمثاله ذكروا لخلفائهم البدع الكثيرة التي أحدثوها في الدين، منها: ما رووا عن أبي بكر من أنّه قال في أوّل خطبة صلاة الجمعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس ولوددت أنّ هذا ـ أي الخلافة ـ كفانية غيري، ولئن أخذتموني بسنّة نبيكم ما أطيقها وان كان معصوماً من الشيطان وإن كان ينزل عليه الوحي من السماء (مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٨٤) ورواه المحبّ الطبري في الرياض النفرة ج١: ص٢٥٤ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٣٠٦ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٧٩ وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة: ص١٢ وغيرهم.

ومعنى قوله: «لئن أخذتموني....» أي لا تحملوني علىٰ سنة نبيّكم فإنّي لا أطيقها. فهذا الكلام يدلّ علىٰ بُعد الخليفة عن السنة النبوية وإلاّ كيف لا يحمله أحد علىٰ أمر قد كلّف الله تعالى جميع المسلمين العمل به؟ فإنّ الله أمر جميع المسلمين بالعمل بسنة النبي صلى الله عليه وآله فقال تعالى: **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** (سورة الحشر: ٧)

ثمّ إنّ الله تعالىٰ لم يكلّف أحداً بالتكليف العسير فقال تعالى: **مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** (سورة الحج: ٧٨) وقال تعالى: **يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** (سورة البقرة: ١٨٥).

وقال تعالى: **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** (سورة البقرة: ٢٨٥) وقوله تعالى: **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا** (سورة الطلاق: ٧).وقوله تعالى: **لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** (سورة الأنعام: ١٥٢) وقوله تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** (سورة الاعراف: ٤٢).فهذه الآيات تدلّ بالصراحة على أنّ الله تبارك وتعالى لا

➔

➔

يكلّف أحداً بالتكليف الشاقّ العسير وإنما يكون تكليفه حسب وسع الإنسان وطاقته، فما معنى لا تحملوني على سنّة نبيكم؟ أليس أنّه أراد أن يخرج من هذا الاطار الشرعي الذي حدّده الله تعالى لجميع المسلمين؟ ومن الواضح أنّ عدم إرادته العمل على طبق سنة رسول الله ﷺ لا محالة يكون عمله بدعة في الدين لأن الحمل على قول النبي حمل على قول الدين وعدمه لا ينتج إلاّ مخالفة الدين الحنيف.

ومنها: ما رواه الشافعي من أنّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحّيان كراهية أن يقتدىٰ بهما ليظنّ من رآهما أنّها واجبة (انظر كتاب الأمّ ج٢: ص٢٤٦).

وعن الشعبي: أنّ أبا بكر وعمر شهدا الموسم فلم يضحيّا (كنز العمال ج٥: ص٢١٩).

أقول: وهل وقف الرجلان علىٰ شيء من حكمة هذا الحكم الشرعي ولم يقف عليه رسول الله ﷺ الذي ضحّىٰ وأمر به وأكد علىٰ ذلك وتركها الرجلان فتركا سنة رسول الله ﷺ؟

وهل خفي عليهما من اتخاذ الأمة ذلك من الطقوس الواجبة؟ أو أنّ الرجلين كانا أشفق علىٰ الأمة من النبي الأكرم ﷺ فأحبّا أن لا يبهضاها بنفقة الأضاحي؟

فإنّ القرائن القطعية قائمة علىٰ أنّ عدم تضحيتها كان من باب المخالفة لأمر رسول الله ﷺ، فما فعلهما إلا بدعة في الدين لأنّ عملهما ينقض السنة الثابتة من الرسول الأكرم ﷺ.

ومنها: ما رواه البيهقي بسنده عن أبي وائل قال: كانوا يكبّرون علىٰ عهد رسول الله ﷺ سبعاً و خمساً وستاً أو قال أربعاً فجمع عمر أصحاب رسول الله ﷺ فأخبر كلّ رجل بما رأىٰ فجمعهم علىٰ أربع تكبيرات كأطول الصلاة (السنن الكبرىٰ للبيهقي ج٤: ص٣٧).

وقال السيوطي: وكان عمر أوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات (تاريخ الخلفاء: ص١٣٧).

أقول: والذي ثبت من السنة وعمل الصحابة اختلاف العدد في التكبير علىٰ الجنازة المحمول علىٰ مراتب الفضل في الميت أو الصلاة نفسها وذلك يكشف عن إجزاء كلّ من تلك الأعداد، فاختيار واحد منها والجمع عليه والمنع عن البقية بدعة واجتهاد في مقابل النصّ.

🡐

ومنها: ما في نهاية الجزري[١] في مادة خلف من قوله أتى رجل إلى أبي

➔

وبعبارة أوضح إذا ورد شيء في لسان الشرع على نحو البدلية ككفارة الصوم وأمر الشارع المكلّفين باختيار أحد الأعدال لابدّ للمكلّف من اختيار أحد الأعدال، فإذا قال أحد أنا أختار شيئاً غير هذه الأعدال أو لم يكن في الشرع هذه الأعدال وإنّما هو مورد واحد يكون فعله بدعة في الدين ومخالفة لصاحب الشرعية لأنّ البدعة عبارة عن إدخال ما ليس في الدين فيه، والتصرّف في التشريع بإيجاد السعة أو الضيق فيه.

ومنها: ما رواه ابن عبد البر بسنده عن نافع وهو عن مالك أنّه قال: أول من قدم الخطبة في العيدين قبل الصلاة عثمان بن عفان، قال مالك والسنّة أن تقدّم الصلاة قبل الخطبة وبذلك عمل رسول الله صلى الله عليه وآله.... (الاستنكار ج٢: ص٣٨٣).

أقول: وهل يمكن أن يدعي أحد أنّ عثمان لم يخالف السنة النبوية في هذا المجال، وليتني كنت أدري كيف تقرّب عثمان بهذه الصلاة إلى المولىٰ عزوجل؟ فإنّ تبديل سنة الله التي لا تبديل لها محرّم حرمة مؤكّدة في الشريعة المقدّسة، فكيف يمكن التقرّب بالحرام إلى الله عزوجل؟!

فهذه الموارد شيء بسيط من بدع الخلفاء الثلاثة وهي كثيرة جدّاً ولايسعنا المجال لذكر جميعها وإن كان الحكم عليهم ثابتاً بتحقّق مورد واحد من الموضوع حيث إنّ الأدلّة القطعية قائمة على أنّ كلّ بدعة ضلالة وكلّ من تبع صاحب البدعة فهو أيضاً ضال بل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من وقّر صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام (انظر المجمع الأوسط للطبراني ج٧: ص٣٥) والنتيجة أن أهل البدع ومن تبعهم كلّهم في النار، فلاحظ.

(١) ابن الأثير وهو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري الأربلي صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث، والإنصاف في الجمع بين الكشف و الكشّاف في تفسير القرآن، أخذه من تفسير الثعلبي و الزمخشري، وجامع الأصول في أحاديث الرسول جمع بين الصحاح الستة. كانت ولادته بجزيرة ابن عمر (من نواحي الموصل بالعراق) سنة ٥٥٤ ونشأ بها ثمّ انتقل إلى الموصل

➔

بكر فقال له: أنت خليفة رسول الله فنفى ذلك عن نفسه فقال له: فما أنت؟ قال: انا الخالفة بعده[١] انتهى.

قلت: قد علم من قول الرجل أنّه يريد من قوله أنت الذي جعلك رسول الله ﷺ خليفة بعده، فنفى ذلك عن نفسه[٢]

←

واتصل بخدمة عزّ الدين محمود ابن مودود صاحب الموصل، وكانت وفاته سنة ٦٠٦ بالموصل (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج٢١: ص٤٤٨).

(١) قال ابن الأثير في كتابه النهاية باب الخاء بعد اللام ما هذا نصّ عبارته: وفي حديث أبي بكر جاء أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، قال: فما أنت؟ قال: أنا الخالفة بعده... (انظر النهاية في غريب الحديث ج٢: ص٦٩).

(٢) وبعبارة أوضح: إنّ نفي الخلافة عن نفسه اعتراف صريح من أبي بكر على نفسه ويؤكد هذا الاعتراف جوابه بعد سؤال السائل الذي قال له فما أنت؟ فإنّ معنى قول الأعرابي إذن أنت لا تكون خليفة فلماذا صلّيت مكان رسول الله ﷺ؟ فما شأنك؟ فقال: أنا الذي خالفته بعده أي أنا جعلت نفسي خليفة بعده.

ثمّ يقول ابن الأثير: المقصود من: « الخالفة بعده» هو الذي غناء عنده ولا خير فيه... (انظر النهاية في غريب الحديث ج٢: ص٦٩).

ثمّ يذكر التوجيه لقول أبي بكر: «أنا الخالفة بعده» ويقول: إنّما قال ذلك تواضعاً منه...

أقول: لا يخفى على الخبير أنّ السؤال في أمثال هذه المجالات عادة من أجل السؤال عن مسائل الدين وأحكامه فإذا سأل الأعرابي أنّه خليفة رسول الله ﷺ فإنّه يقصد السؤال عن أمر من الأُمور الدينية حيث إنّ الخلافة من أمور الدين، وحينئذٍ لا مجال للمجاملة والتواضع إذ الأمر خطير لابدّ أن يذكر في الجواب ما هو المطابق للدين، و لعلّ السائل لا يمكن له قبول أن يأخذ جوابه من غير خليفة رسول الله ﷺ، وإذا لم يحصل على الجواب يقع في الشبهات والوقوع في الشبهات نتيجته الضلالة والهلاكة. فالموقف حازم

→

ويشهد لذلك ما مرّ عنه ممّا دلّ على عدم النصّ عليه[١].

ومنها: ما في كتب اللغة مثل القاموس وغيره من أن معنى الخليفة هو من خلف غيره ولو لم يستخلفه الغير[٢] قال في القاموس: خلفه كان خليفته[٣].

➔

يلزم فيه الصدق و إلاّ يوجب الهلاكة والضلالة.

وبعبارة أخرىٰ: إنّ ما قاله أبو بكر يرجع إلى أمرين لا ثالث لهما، إمّا أن يكون كاذباً في قوله فالكاذب لا يستحقّ الخلافة.

وإمّا أن يكون صادقاً و حينئذٍ يكون كلامه اعتراف بعدم كونه خليفة لرسول الله ﷺ لأنّ خلافة الرسول ﷺ نسبة لاتتحقق الاّ بنصب الرسول ﷺ فلابدّ أن يكون منصوباً من قبل رسول الله ﷺ، وإلاّ فالنسبة كاذبة فقوله: إنّه لا يكون خليفة رسول الله ﷺ معناه أنّه لا يستحقّ مقام الخلافة فعلىٰ جميع التقادير فهو لا يستحقّ هذا المقام العظيم، فلاحظ.

(١) وهي الرواية التي رواها البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبو بكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف). فإنّ هذا الحديث يدلّ على نفي وجود النصّ علىٰ خلافة أبي بكر.

وأيضاً يشهد لذلك ما رواه ابن قتيبة في حديث طويل ذكر فيه حوادث السقيفة وما جرىٰ بعدها من الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام و استئذان الخليفتين للتكلم مع الصديقة الطاهرة و قولها لهما لأدعونّ الله عليكما في كلّ صلاتي فخرج أبو بكر و كان يقول: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي.... (الإمامة والسياسة ج١: ص١٩ـ ٢٠).

(٢) انظر القاموس ج٣: ص١٣٧.

(٣) انظر القاموس ج٢: ص١٣٧.

وقال في النهاية: خليفة من يقوم مقام الماضي يسد مسده[١] وبمعنى قوليهما قال غير هما من أهل اللغة[٢] فعلم من ذلك عدم لزوم كون الخليفة من يستخلفه غيره[٣] وتبين بهذه الوجوه فساد ما زعمه ابن حزم من دعوى النصّ على أبي بكر من جهة تسميته بخليفة رسول الله ﷺ، وثبت عدم

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث ج: ص٦٩ وفيه: الخليفة من يقوم مقام الذاهب ويسدّ مسدّه... .

(٢) انظر لسان العرب ج٩: ص٨٩ باب الخاء المعجمة وتاج العروس ج١٢: ص١٩٥ مادة خلف والصحاح ج٤: ص١٥٤ وغيرها من الكتب.

(٣) وبعبارة أخرىٰ إنّ مجرّد التسمية لا أثر له شرعاً حيث إنّ كلّ عنوان شرعيّ لابد من إثبات اعتباره بالدليل والنصّ الشرعي، فإذا لم يتمّ الدليل علىٰ اعتبار العنوان شرعاً فلا يكون معتبراً عند أهل الشرع، ولا يكون مشروعاً عند المتشرّعة وإن كان متداولاً بين الناس.

وفي المقام حيث إنّ جمهور أهل السنة والجماعة يعتقدون بأنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً للخلافة لما بعده اعتبار وعنوان الخليفة يحتاج إلى النصّ وحيث لم يوجد نصّ على اعتبار العنوان فلا دليل على اعتقاد أهل السنة والجماعة، نعم إنّ الناس و الصحابة اجتمعوا بعد رحلته إلى الرفيق الاعلىٰ في سقيفة بني ساعدة وانتخبوا أبا بكر خليفة لأنفسهم وعلىٰ هذا الأساس سمّوه خليفة رسول الله ﷺ.

فجمهور أهل السنة يعترفون بعدم وجود النصّ الشرعي علىٰ خلافة أبي بكر ومعنى ذلك عدم مشروعية اطلاق عنوان الخليفة عليه إن قصدوا بذلك الوصف الحقيقيّ أي المطابقة مع الواقع لأنّ الإطلاق مع قصد الواقع يلزم الافتراء على رسول الله ﷺ حيث إنّهم يعتقدون بعدم تنصيب أبي بكر من قبل رسول الله ﷺ، وعلى هذا الأساس التزموا بأنّ خلافة السقيفة لم تكن خلافة حقيقية وإنّما هي مجرّد تسمية من الناس بلا إرادة للمعنى الحقيقي وإلاّ يلزم الافتراء على رسول الله ﷺ كما هو واضح ظاهر.

المنافات بين هذه التسمية وكونه غير مستخلَف بل المقصود من (خليفة) ما عرفته من قيامه بعده في مقامه[١]،

---

(١) وبعبارة أخرىٰ يتوجّه هنا سؤال إلى ابن حزم الذي يدّعي وجود النصّ على خلافة أبي بكر: وهو ماذا يعني الخليفة؟

وبعبارة أُخرى يسئل منه هل أنّ الخليفة وصف مطابق للموصوف حقيقةً وواقعاً، أو أنّ العنوان مجرّد تسمية من الناس بلا إرادة الواقع منه؟

وبعبارة أوضح: هل أنّ عنوان الخليفة عندك يطلق علىٰ من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة أو أنّك تقصد أنّه مجرد تسمية خالية عن المطابقة مع الواقع، فإنّ الناس حيث سمّوه خليفة الرسول بلا إرادة الوصف الواقعي صار هذا العنوان علماً له بلا إرادة الحقيقة الشرعية.

وعندما نرجع الى ادعاء ابن حزم في مقام نرى أنّه أراد بذلك الإمامة الكبرىٰ وهو القسم الأوّل من الكلام حيث إنّه قال: إنّ عنوان الخليفة هو العنوان الوصفيّ الذي يكون مطابقاً مع الواقع أي الخليفة من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة فهذا ادعاؤه في مقام بيان الإمامة الكبرى ولكن عندما يأتي إلى بيان الصغرىٰ يقول إنّ جمهور أهل السنة يصرّحون بأنّ أبا بكر قد انتخبه الناس خليفة وبعد انتخابهم سمّوه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. فصحّة تسميته بخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما جاءت من قبل الناس لا الشرع الأقدس ولذلك قال: الخليفة من اختاره الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جمع بين متناقضين؛ إذن يلزم على جميع أهل السنة والجماعة باختلاف نحلهم أن يلتزموا بعدم مشروعية أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ اعتقادهم في باب الخلافة متوقّفة علىٰ عدم وجود النصّ علىٰ خلافة أحد.

وعليه يلزم على ابن حزم أن يلتزم بأحد طرفي الأمرين:

إمّا أن يلتزم باعتبار الخلافة المتقوّمة بالانتخاب في سقيفة بني ساعدة و عليه لابدّ أن يقول بعدم وجود النصّ على خلافة أحد.

وإمّا أن يلتزم بوجود النصّ. وعليه لو كان نصّ على خلافة أحد من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله لابدّ

←

ولذلك لمّا فهم هو من قول ذلك الرجل النصّ عليه نفاه عن نفسه[1]. فآية

➔

من إثباته ولاشكّ أنّ انتخاب السقيفة يكون مخالفاً للنص، حيث كان من الواجب على من اجتمع في السقيفة الالتزام بالنصّ، والالتزام بالنصّ يلازم قبول خلافة من عيّنه رسول الله ﷺ وعندئذ لامعنى للاجتماع في السقيفة لانتخاب الخليفة؛ لأنّ الخليفة معين بالنصّ. فالاجتماعٍ في السقيفة لاختيار الخليفة يكون عملاً مخالفاً للنصّ.

وإذا كان اعتقاد ابن حزم في خلافة أبي بكر النصّ على خلافة أبي بكر من رسول الله ﷺ فمعناه أنّ الصحابة خالفوا أمر رسول الله ﷺ لأنّه مع أنّ رسول الله ﷺ نصّ على الخلافة فإنّ الصحابة اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار الامام والخليفة على خلاف أمر رسول الله ﷺ لأنّ اجتماعهم فيها مخالفة صريحة للنصّ النبويّ.

وملخّص الكلام أنّه يعرف من جميع ما تقدّم أنّ ابن حزم مع علمه بأنّ أهل السنة والجماعة يعتقدون بعدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر ومع علمه كذلك بعدم وجود نصّ على خلافة أبي بكر ادعى هذه الدعوة الباطلة وكانت تنتهي إلى الجمع بين المتناقضين.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ابن تيمية حيث كان يعلم أنّ بناء اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الخلافة مبنية على عدم وجود النصّ، ومن ناحية أخرىٰ كان يعلم أنّ ادعاء ابن حزم بوجود النصّ على خلافة أبي بكر مخالف لأصل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الإمامة والخلافة لم يدّعي هذا الجزاف، لأنّه كان يعلم أنّ ابن حزم قد وقع بين المحذورين لا مفرّ له منها حيث يلزم عليه إمّا أن يفتري على رسول الله ﷺ أو يطعن في الصحابة، ولا مفرّ من أحد الأمرين فذهب إلى أنّ هذا قول ابن حزم ولم ينسبه إلى نفسه لأنّه يعلم أنّ هناك علماء من أهل السنة والجماعة سوف يعترضون عليه بكلا شقّي المحذور ويعتبون عليه ذلك فلم يلتزم بما التزم به ابن حزم وإنّما ذكره كقول من الأقوال ليغترّ بذلك عوام الناس وجهّالهم وضعفاء العقول منهم ليلتبس عليهم الأمر ويقلب الباطل حقّاً والحقّ باطلاً. ففي كلامه غشّ وخديعة واضحة وفي الواقع أراد أن يغالط مغالطة واهية لمخالفة الشيعة، فلاحظ.

الصادقين[(١)]

---

(١) قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** (سورة التوبة: ١١٩)
هذه الآية المباركة أمرت المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، فأوجب الله تعالى في هذه الآية المباركة على كلّ مؤمن أن يكون مع الصادقين.

فأولاً: إنّ الأمر توجّه في الآية إلى المؤمنين، ومعناه أنّ الصادقين أعلىٰ مرتبة من المؤمنين فلو كان المراد من الصادق نفس المؤمن لقال تعالى: يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ولم يقل تعالى ذلك بل قال: **كُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** فإنّ المعية تكشف أنّ الذين أمروا أن يكونوا مع الصادقين فلابدّ أن يكون أشخاص صادقين حتّى يلزم على المؤمنين أن يكونوا معهم.

ثانياً: إنّ المعيّة ليست مكانيّة؛ إذ لو كانت مع عدم المتابعة لا أثر لها فيفهم أنّ المقصود منها وجوب الاقتداء .

وثالثاً: يلزم علينا أن نعرف من هم الصادقون؟

الظاهر من الآية الكريمة أنّ الصادق علىٰ الإطلاق هو من يكون صادقاً في جميع أقواله وأفعاله وتقاديره، وهذا لا يمكن تصوّره على نحو الإطلاق إلاّ لمن كان يعلم واقع الأمور كي يصدق عليه الصادق على الإطلاق في القول والفعل والتقرير فمثل ذلك يكون صادقاً حقيقة على نحو الإطلاق وهذا لا يمكن تصوّره لأحد إلاّ من أودع الله فيه العلم بواقع جميع الأمور وهم الأنبياء وأوصيائهم المعصومون عليهم السلام فإنّ كلّ قول أو عمل يصدر منهم يكون حجّة لأنّه لا يصدر منهم إلاّ عن العلم الذي استودعه الله فيهم

وبعبارة أخرىٰ: إنّ الصادق علىٰ الإطلاق هو المعصوم الذي آتاه الله العلم والحكمة وعلّمه جميع الحقائق في الدنيا والآخرة ويعرف كلّ شيء من الحلال والحرام وغير ذلك فيكون قوله وعمله مطابقاً لما هو في الواقع لأنّ الله تعالى قد أعطاه الإحاطة بالواقع.

وحيث إنّ الإحاطة بالواقع علىٰ نحو الإطلاق لا تمكن لأحد إلاّ من الله عزوجل فالصادق الحقيقي هو المعصوم الذي أعطاه الله علم والحكمة، وقد أوجب الله تعالى في هذه الآية الكريمة متابعته ووجوب الاقتداء به.

←

➔

وبمقتضى الآية الكريمة يلزم على كلّ مؤمن أن يقتدي بالصادقين والصادق الحقيقي هو الذي يشير اليه تعالى في سورة الحجرات تقرأ: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثمّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (الحجرات: ١٥) هذه الآية الكريمة أيضاً تعرّف الصدق الحقيقي بأنّه مجموع الإيمان و العمل الذي لا يشوبه أية شائبة من التردّد أو المخالفة.

وأيضاً نقرأ في سورة الحشر قوله تعالى: **لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (سورة الحشر: ٨) فالآية قد عرّفت الصادقين بأنّهم المؤمنون الذين استقاموا وثبتوا رغم كلّ المشاكل وأخرجوا من ديارهم وأموالهم ولم يكن لهم هدف وغاية سوىٰ الله ورضاه ونصره ورسوله صلى الله عليه وآله.

ونقرأ في سورة البقرة: قوله تعالى: **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** (سورة البقرة: ١٧٧) هذه الآية الكريمة تبين أنّ الصادق الحقيقي يتجلّىٰ صدقه في انطباق أعماله وسلوكه مع إيمانه ويتجلّىٰ تقواه في التزامه بواجبه تجاه الله عزوجل وتجاه المحتاجين والمحرومين وكلّ المجتمع الإنساني.

والملفت للنظر أنّ الآية الكريمة تريد أن تبيّن أهميّة انطباق الأعمال مع الاعتقاد الصحيح الواقعي وهذا الانطباق لا يكون أمراً يسهل على كلّ مؤمن أو مسلم بل يلزم فيه رعاية جميع الحقول التي جاءت في الآية الكريمة.

والنتيجة أنّ مجموع هذه الآيات تبيّن لنا من هو الصادق ومن هم الصادقون الذين يجب علينا

➔

لم تدلّ على صدقهم من حيث تسميتهم له بذلك من جهة النصّ عليه، بل من جهة قيامه في مقام الرسول ﷺ فإنّ قيامه فيه صدق و لو على جهة الباطل وغصب حقّ المنصوص عليه(١).

➔

متابعتهم في الأعمال والاعتقادات، ومن خلال هذه الآيات يعرف بأنّ هذه الصفة والصفات والدرجات لا ينالها إلاّ من نسمّيهم بالمعصومين

والمهمّ أنّه قد ورد في تفسير هذه الآيات روايات كثيرة من الفريقين أنّ المقصود بالصادقين هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام كما سنذكرها إن شاء الله تعالى في محله.

(١) وتوضيح المقام: أنّه لو كان مقصود أهل السنة والجماعة من قولهم ـ لأبي بكر ـ خليفة رسول الله حقيقة بمعنى أنّه خليفته المنصوص عليه من قبل رسول الله ﷺ فهذا كذب وافتراء على رسول الله ﷺ ولا يقبله أحد منهم حيث لا يوجد نصّ في ذلك، مضافا إلى أنّه لا شبهة في أنّ اجتماع المهاجرين والأنصار في السقيفة بعد رحلة النبي الأكرم ﷺ كان من أجل انتخاب الخليفة، فكلّ من المهاجرين والأنصار أراد عقد الإمارة لأنفسهم لانتظام أمور دنياهم، والدليل عليه ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب لمّا توفّى الله نبيّه ﷺ إنّ الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فقلت لأبي بكر: انطلق بنا فجئناهم في سقيفة بني ساعدة... (صحيح البخاري ج٣: ص١٠٢ كتاب المظالم باب ما جاء في السقائف).

وقال ابن حجر في شرح الحديث: هو مختصر من قصة بيعة أبي بكر... (انظر فتح الباري ج٥: ص٧٩).

وعلى كلّ حال فإنّ اجتماعهم في السقيفة كان من أجل انتخاب الإمام، وعليه لو اعتقد أهل السنة والجماعة بأنّ النبي ﷺ قد نصّ علىٰ إمامة أحد فيكون اجتماع الأنصار والمهاجرين في السقيفة لانتخاب الإمام مخالفة لنصّ رسول الله ﷺ.

فإنّ كرامة الصحابة عندهم يلزمهم بالقول بعدم وجود النصّ على إمامة أحد وإلّا يلزم القول

←

وخامس عشرها: ما زعمه من أنّ خبر النصّ قد خفي على عمر مثل ما خفي عليه غيره. فإنّه من عظيم تدليسه؛ لما عرفته من أنّ الدليل ليس قول عمر وحده بل قوله وتقرير الصحابة له على قوله فهو و هم متّفقون على عدم النصّ على أبي بكر[1]. وقد عرفت عدم المعارضة بين إجماعهم على

←

بمخالفتهم للنصّ وإذا كان الأمر عندهم كذلك فإنّ قولهم في أبي بكر: إنّه خليفة رسول الله ﷺ ليس صادقاً، لأنّهم يعتقدون أنّ النبي ﷺ لم ينصّ عليه، وإلاّ يلزم أن يكونوا غير صادقين والله تبارك وتعالى أمرهم أن يكونوا مع الصادقين. وإنّ قولهم خليفة رسول الله كذب محض حيث إنّ الخليفة هو الذي يكون منصوصاً عليه من قبل رسول الله ﷺ إذ معنى الخليفة هو القائم مقامه والنائب منابه في كلّ ما كان له من الصلاحيّات والأهليّات والولايات، فالمنزلة الثابتة للرسول من الولاية تثبت لمن استخلفه وإلاّ يكون الإطلاق مغايراً للمعنى العرفي. فتسمية أبي بكر نفسه خليفة رسول الله ﷺ تكون تسمية كاذبة والقرآن قد أمر جميع الناس بالاقتداء بالصادقين والإعراض عن الكاذبين، فلاحظ.

(١) فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عروة عن ابن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبو بكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ.... (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

وأخرج مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: حضرت أبي حين أصيب فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيراً، فقال: راغب وراهب قالوا: استخلف، فقال: أتحمّل أمركم حيّاً و ميتاً؟ لوددت أنّ حظي منها الكفاف لا عليّ ولا لي، فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي «يعني أبا بكر» وإن أترككم فقد تركَكم من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ.... (صحيح مسلم ج٦: ص٤ كتاب الإمارة باب الاستخلاف وتركه).

وقال النووي في شرحه: وفيه دلالة لأهل السنة أنّ خلافة أبي بكر ليست بنصّ من النبي على

←

عدم النصّ عليه وبين إجماعهم لو ثبت على تسميتهم له بخليفة رسول الله لما بيّناه من قصدهم من التسمية[١].

وقد عرفتّ بهتان جميع ما رووه من النصوص عليه[٢].

➔

خلافته صريحاً، بل اجتمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله، ولو كان هناك نصّ عليه أو علىٰ غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولاً.... (المنهاج في شرح صحيح مسلم ج١٥: ص١٥٤).

وقال ابن حجر المكي: قال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج: لم ينصّ على أحد.... (الصواعق المحرقة ج١: ص٦٩ الفصل الرابع من الباب الأول).

إذن لا نصّ ولا قائل به من أهل السنة والجماعة على خلافة أبي بكر.

(١) فإنّ النصوص والأخبار الصحيحة عند أهل السنة والجماعة تدلّ بالصراحة علىٰ أنّ تسمية القوم لأبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ليس من باب وجود النصّ وإنّما هو مجرد الاسم الذي سمّوه به. ففي رواية ابن سعد لمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله واستخلف أبو بكر وكان يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا توفّي أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر: خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يدع به من بعده من الخلفاء.... (الطبقات لابن سعد ج٣: ص٢٨١).

فهذا الحديث وأمثاله دليل على أنّ اعتبار عنوان خليفة رسول الله كان من الناس لا من النصّ ومن الواضح أنّ قولهم هذا خليفة رسول الله لا يثبت وجود النصّ فلا يعارض القول بعدم وجود النصّ عليه، فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح: إنّ تسمية أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يصحّ إلاّ إذا كان منصوصاً عليه للخلافة؛ لأنّ معنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله هو من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة.

وحيث إنّه لا يوجد نصّ على خلافة أبي بكر بل إنّ النصوص الصحيحة عند أهل السنة

←

➔

والجماعة صريحة في عدم وجود النصّ عليه كما أنّ أقوال العلماء مجمعة على ذلك فلا تكون التسمية حقيقة ويؤيد ذلك أنّ الصحابة اجتمعوا في السقيفة بعد وفاة النبي الأكرمﷺ لانتخاب الخليفة، فإذا كان النبي ﷺ قد نصّ على خلافته فما معنى انتخاب الصحابة خليفة لهم؟

ودعوىٰ وجود النصّ يرجع إلى الالتزام بأحد الأمرين إمّا مخالفة الرسول ﷺ لأنّه لو قلنا: إنّ رسول الله ﷺ عيّن خليفته فالاجتماع لانتخاب الخليفة مخالفة لتعيين رسول اللهﷺ وإمّا أن يرجع إلى الافتراء على رسول الله ﷺ لأنّه مع فرض عدم تنصيص رسول اللهﷺ دعوىٰ وجود النصّ افتراء عليه.

وعلى كلّ حال فإنّ إجماع أهل السنة والجماعة قائمة على عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر.

وأمّا تسميته بخليفة رسول الله ﷺ فقد قال أهل السنة والجماعة بأنّ أبا بكر سمّىٰ نفسه خليفة رسول الله ﷺ وكتب إلى الأطراف بذلك كما صرّح بذلك ابن حجر المكي في كتابه الصواعق المحرقة: ص٥٤ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٢: ص٤٦٦ وغيرهما.

وصرّح بعضهم أنّ الناس سمّوه خليفة رسول الله ﷺ استناداً ببعض الروايات الواردة في المقام منها ما رواه ابن سعد في الطبقات قال: إنّه لمّا توفّي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكان يقال له خليفة رسول الله فلما توفي أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله فقال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يدع به من بعده من الخلفاء (الطبقات ج٣: ص٢٨١).

ومثله ما رواه ابن عساكر عن الشفاء انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٩ و ص ٢٦٠ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٢: ص٣٠١ والبلاذري في أنساب الأشراف ج١: ص٥٢٨ وغيرهم.

فإنّ هذه الروايات وغيرها تدلّ بالصراحة علىٰ أنّ الناس هم الذين اختاروا هذا الاسم لأبي

🡐

وسادس عشرها: ما زعمه السنيّ بقوله وحينئذ فقد بطل قول الشيعيّ في أهل السنة بأنّهم يقولون بعدم النصّ.... (إلى آخره)[1]. فإنّه من عجيب

➔

بكر و عمر وغيرهما من خلفائهم لا أنّ النسبة باعتبار وجود النص.

وعليه فإذا كان هذا العنوان مجرّد تسمية منهم لا أثر له شرعاً فإن أرادوا بذلك الاعتبار الشرعي فلاشكّ أنّه افتراء على رسول الله ﷺ والشارع الأقدس كما هو واضح ظاهر.

(١) فإنّ ما زعمه ابن تيمية في المقام ادّعاء عجيب حيث إنّه يدّعي أنّ أهل السنة والجماعة في باب وجود النصّ علىٰ خلافة أبي بكر وعدم وجوده على طائفتين، طائفة منهم ذهبوا إلى وجود النصّ عليه وطائفة أخرىٰ ذهبوا إلى عدم وجود النصّ عليه فهم بين الأمرين، والحق بين أحد هذين الطائفتين.

أقول: لا يخفى علىٰ الخبير أنّ ما دعا ابن تيمية إلى هذه الدعوىٰ العجيبة هو قبول الإشكال الوارد من الشيعة الإمامية حيث إنّ الشيعة الامامية يقولون: إطلاق الخليفة علىٰ من لم ينصبه رسول الله ﷺ إطلاق غير مشروع، لأنّ معنى الخلافة الشرعية هو أن يستخلفه رسول الله ﷺ حقيقة فابن تيمية لا يمكنه الفرار من هذا الإشكال.

ومن ناحية أخرىٰ إنّ أساس الخلافة عند مذهب أهل السنة قائمة علىٰ الخلافة التي أسّست في السقيفة، والخلافة التي أسّست في السقيفة كانت مبنيّة علىٰ ادّعاء عدم وجود النصّ على الخلافة فابن تيمية حيث وجد نفسه بين المحذورين جعل يهجر و يهذي ويدّعي المتناقضين ليدلّس على الجاهلين حقيقة الأمر.

ولكن من الواضح أنّ جمهور أهل السنة والجماعة لا يقبلون وجود النصّ إذ لو اعترفوا بوجود النصّ يلزم عليهم أن يعترفوا أنّ الصحابة خالفوا أمر النبي ﷺ لأنّهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لانتخاب الخليفة فلو كان هناك نصّ من النبي ﷺ على خلافة أحد لماذا اجتمعوا في السقيفة؟

وعليه فإنّ ادعاء ابن تيمية لا يرضىٰ بها جمهور أهل السنة والجماعة لأنّ مذهبهم قائمة على عدم وجود النصّ.

تدليسه على الغفلة؛ لأنّ محض دعوى النصّ غير موجب لثبوته[١] وكونه حقّاً حتى يزعم السني ذهاب طائفة منهم إلى القول به[٢] بل قد عرفت بهتان ما زعموه من النصّ في حق الثلاثة بما تقدم من الوجوه التي هي صحيحة المستند من طرقهم[٣] وعرفت صحة النصّ وثبوته من طرق عديدة دلّت

---

(١) وتوضيح المقام أنّ دعوىٰ النصّ على خلافة أبي بكر لا أثر له عند أهل السنة والجماعة؛ إذ بعد ثبوت خلافة أبي بكر عندهم بانتخاب الناس وبيعتهم له في السقيفة لا بوجود النصّ عليه فلا أثر لهذه الدعوى الكاذبة.

وعليه فإنّ ادعاء وجود النصّ عليه لا يفيدهم لأنّه لا يكون مثبتاً للخلافة كما بيّناه، فلاحظ.

(٢) وبعبارة أوضح إن ابن تيمية حيث وجد أنّ ثبوت الخلافة بالنصّ أولىٰ من ثبوتها بالإجماع كما يدّعون ولذلك جعل يهرّج ويدّعي أنّ جماعة من أهل السنة يعتقدون ذلك مع أنّه يعلم بأنّ هذه النظرية يهدم أساس الخلافة المبنيّة في السقيفة وله لوازم أخرىٰ كعصيان الصحابة والمخالفة لأوامر الرسول ﷺ والافتراء علىٰ رسول الله ﷺ ومحاذير أخرىٰ.

ولكن مع ذلك كلّه أراد أن يخبط بين الأمور المتناقضة لعلمه أنّ الحقّ مع الشيعة من أنّ الخلافة المشروعة هي الخلافة التي تكون بالنصّ من رسول الله ﷺ ومن ناحية يرىٰ أنّ أهل نحلته ذهبوا إلى نقيض هذا الاعتقاد فجعل يدّعي المتناقضين ليهرب من الإشكال ولكن بهذا الادّعاء أثبت حقيقة ما كان يضمره في نفسه فإنّ حقيقة المرء وراء لسانه وعقله وهي بين الأمرين إمّا أن يكون غير معتقد بأحد الطرفين أي اعتقاد الشيعة الإمامية واعتقاد أهل السنة والجماعة ومعناه أنّه غير معتقد بالإسلام لأنّه لابدّ من اختيار أحد المذهبين لا ثالث لهما. وإمّا أن لا يكون له عقل يشخّص التنافي بين المتناقضين.

(٣) فإنّ الوجوه التي تنفي وجود النصّ علىٰ خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كثيرة جدّاً وهي من الوجوه المعتبرة عند أهل السنة والجماعة نشير إلى بعضها من باب المثال.

فمنها ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة في حديث طويل ذكرت فيها قصة ←

➔

السقيفة... (إلى أن قالت): فقال أبو بكر: فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح ... (صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

ولنا أن نسأل أهل السنة والجماعة إذا كان رسول الله ﷺ قد نصّ علىٰ خلافة أبي بكر كيف جاز لأبي بكر أن يقول للناس بايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة، أليس هذا مخالفة للنصّ النبوي؟ ولماذا لم يقل هو أنّ النبي ﷺ قد نصّ على خلافتي؟!

ومنها: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه... فقال أبو بكر: وددت أنّي كنت سألته (أي النبي ﷺ) هل للأنصار في هذا الأمر (أي الخلافة) نصيب؟ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٦٢٠).

ولنا أن نسأل إذا كان النصّ ثابتاً على خلافة أبي بكر لماذا تمنّىٰ أبو بكر أن يسأل رسول الله ﷺ هل للأنصار نصيب في مسالة الخلافة؟ فإذا كان قد نصّ رسول الله ﷺ على إمامته لا معنى لأن يسأل ذلك منه ولا معنى لتمنّي هذا السؤال.

ومنها: ما أخرجه البخاري في صحيحة بسنده عن ابن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ..... (صحيح البخاري ج٨: ص١٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

وهذا اعتراف صريح من عمر بن الخطاب بعدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر وغيره.

ومنها: ما رواه ابن حجر المكي عن ابن اسحاق وغيره أنّه سأل أبا بكر فقال له: ما حملك على أن تلي أمر الناس و قد نهيتني أن أتأمّر على اثنين؟ فقال: لم أجد من ذلك بدّاً، خشيت على أمّة محمد الفرقة... (الصواعق المحرقة: ص١٠). فإذا كان النصّ ثابتاً على خلافته لكان عليه أن يقول: قد نصّ رسول الله ﷺ على خلافتي لا أنّه خشي على الأمة الفرقة.

ومنها: ما قاله أبو بكر: أقيلوني ولست بخيركم (انظر المعجم الأوسط ج٨: ص٢٦٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٦٩ و القرطبي في تفسيره ج١: ص٢٧٢ وغيرهم.

فإنّ الاستقاله منه دليل على عدم وجود النصّ عليه وإلاّ فإنّ معناه مخالفة النصّ. فإمّا أن

🡐

جميعها على أنّ الخليفة على الخلق بعد سيّد الهادين إلى الحقّ ﷺ هو علي عليه السلام حتّى بتصديق من أبي بكر وعمر[1]. فعلم عدم بيان السنيّ للحقّ

←

يلتزموا بعدم وجود النصّ أو مخالفته للنصّ.

فهذه الوجوه ذكرناها هنا من باب المثال وإلاّ فهي كثيرة لا يمكن استقصائها في هذه العجالة.

(١) لقد وردت روايات كثيرة في مصادر أهل السنة والجماعة وفيها الاعتراف من أبي بكر وعمر علىٰ أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أولىٰ بالإمامة والخلافة وإليك بعض هذه النصوص:

منها: ما رواه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان بإسناده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيها الناس عليكم بعليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ خير من طلعت عليه الشمس وغربت. (لسان الميزان ج٦: ص٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعيد الجبلي).

ومنها: ما رواه العيني الحنفي بسنده عن أبي بكر عن رسول الله ﷺ لمّا سمع صوتا خرج من النخلة قال ﷺ: أتدرون ما قالت النخلة؟ قال أبو بكر: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: صاحت: هذا محمّد رسول الله ﷺ ووصيّه عليّ بن أبي طالب. (مناقب سيدنا علي للعيني: ص١٥ ح ٤ طبعة أعظم برليس حيدر آباد).

ومنها: ما رواه المحبّ الطبري بإسناده عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا عليّ ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ منّي كمنزلتي (بمنزلتي) من ربّي.... (الرياض النضرة ج١: ص١٢٤ وذخائر العقبىٰ: ص٦٤) ورواه ابن حجر المكي في الصواعق: ص١٧٧ والعيني في المناقب: ص ٣٩ وغيرهم.

ومنها: ما رواه الكشفي الحنفي في كتابه المناقب الرضوية بإسناده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه: هذا عليّ أخي في الدنيا والآخرة وخليفتي في أهلي، ووصيّ في أمّتي ووارث علمي وقاضي ديني، له منّي مالي منه، نفعه

→

وكتمانه له عن غَفَلة الخلق وجعله الباطل في مقام الحقّ وترويجه لدى الجهلة[1].

←

نفعي وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني... (المناقب المرتضوية: ص١٢٩) ورواه محمد بن صالح الحنفي الترمذي في الكوكب الدريّ: ص١٣٤.

ومنها: ما أخرجه الراغب الاصفهاني في كتابه المحاضرات بسنده عن ابن عباس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر علىٰ بغل وأنا علىٰ فرس فقرأ آية فيها ذكر عليّ بن أبي طالب، فقال: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولىٰ بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر فقلت في نفسي لا أقالني الله إن أقلته، فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما عليه و اقترعتما الأمر منه دون الناس؟

فقال: إليكم يا بني عبد المطلب أما إنّكم أصحاب عمر بن الخطاب. قال: فتأخّرت عنه وتقدّم هنية. ثمّ قال عمر: سر لا سرت وقال: أعد عليّ كلامك، فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ولو سكتّ سكتنا فقال: إنّا والله ما فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب و قريش لما قد وترها. قال: فأردت أن أقول كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها أفتستصغره أنت وصاحبك؟! فقال: لا جرم فكيف ترىٰ؟ والله لا نقطع أمراً دونه. ولا نعمل شيئاً حتّى نستأذنه... (انظر محاضرات الأدباء للراغب الاصفهاني ج٢: ص٤٩٥ ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١: ص١٣٤ وعن الجوهري في كتاب السقيفة وغيرهم والى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام وسنذكرها إن شاء الله في محله.

(١) فإنّ حطام الدنيا والزعامة الكاذبة دعت ابن تيمية إلى التجاهل و ترويج الباطل واضلال الناس وإخفاء الحق وإطفاء نور الحقيقة، فهو من أبرز مصاديق قوله تعالى: **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** (سورة الجاثية: ٢٣).

فلا شكّ أنّ ما ادّعاه كذب واضح لأنّ أبا بكر وعمر قد حضرا غدير خمّ بتصريح النصوص

←

←

الواردة عن طرق أهل السنة و الجماعة وهما قد بايعا الإمام أمير المومنين بعد ما نصبه رسول الله ﷺ إماماً وعلماً وخليفة لما بعده، وجاء ذلك في حديث الغدير الذي رواه علماء الإسلام وقد بلغت من الكثرة ما احتاج المؤلفون إلى تدوين مجلّدات كثيرة وعديدة مستقلة ببيان هذا الحديث من جهة تواتره ودلالته وغير ذلك، ومنهم العلامة الشيخ الأميني رضوان الله تعالى عليه فإنّه ألّف كتابه الغدير وخصّص الجزء الأوّل منه للكلام لذكر طرق أهل السنة والجماعة وقد أنهىٰ الرواة لذلك في طرقهم من الصحابة إلى مائة وعشرة ومن التابعين إلى أربعة وثمانين كما أنهى رواته من علماء السنة ومؤلفيهم طبقة بعد طبقة إلى ثلاثمائة وستين، وقد وثّق ذلك كلّه بالمصادر (انظر كتاب الغدير ج١: ص٢٩٤ ـ ٣٢٢).

وقد ذكر ابن عقدة المتوفّى سنة ٣٣٣ هـ الحديث في رسالة له الموسومة بحديث الولاية و رواه عن مائة وخمسة صحابيّ رووا ذلك عن رسول الله ﷺ ثمّ قال: إنّ أوّل من روىٰ حديث الغدير هو أبو بكر بن أبي قحافة (انظر الإصابة لابن حجر ج ٤: ص٢٢٦ واسد الغابة لابن الأثير ج٣: ص٢٧٣ في ترجمة عبد الله بن ياميل).

وذكر القاضي أبو بكر الجعابي المتوفى سنة ٣٥٦ حديث الغدير و قال: روي هذا الحديث عن مائة وخمس وعشرين طريقاً من الصحابة منهم أبو بكر بن أبي قحافة (انظر المناقب للسروي ج٣: ص٢٥).

وذكر العلامة اللاتي الرازي من أعلام القرن الخامس في كتابه حديث الغدير أسماء من رووا هذا الحديث مرتّباً علىٰ حروف المعجم وذكر أنّه منهم أبو بكر (انظر المناقب للسروي ج٣: ص٢٥ وكتاب الغدير للعلامة الاميني ج١: ص١٧ و ١٥٥).

وأمّا حديث تهنئة الشيخين يوم غدير خمّ فقد رواه جماعة كثيرة من أئمة الحديث و التفسير والتاريخ والرجال لا يستهان بعدّتهم بمسانيد صحاح وبرجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة كابن عباس و أبي هريرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وغيرهم (راجع كتاب الغدير ج١: ص٢٧٢ ـ ٢٨٣).

←

وسابع عشرها: ما زعمه من ذهاب فرقة إلى النصّ على العباس[(١)] فإنّه

➔

إذن لا إشكال في بطلان ادّعاء ابن تيمية بل إنّ الدليل ثابت على نقيض ما ادّعاه.

(١) وهو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي عمّ رسول الله ﷺ ولد قبل النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، وأمّه نتيلة بنت خباب بن كليب أوّل عربية كست الكعبة الحرير، قالوا سببه أنّ العباس ضاع وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسوها، فوجدته ففعلت (انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج١: ص٢٥٧).

وكان العباس من سادة قريش في الجاهليّة والإسلام، وكانت إليه السقاية وعمارة المسجد الحرام (انظر أسد الغابة لابن الأثير ج٣: ص١٠٩).

وقد روىٰ عن النبي ﷺ روايات كثيرة منها: أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: أبشّرك يا عماه أنّ الله أيّدني بسيد الوصيين عليّ فجعله كفواً لفاطمة ابنتي (ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ج٢: ص٦٨ ح ٥٩).

ومنها: أنّه قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل عليّ بن أبي طالب فلمّا رآه النبي ﷺ أسفر وجهه، فقلت: يا رسول الله إنّك لتسفر في وجه هذا الغلام؟ فقال: يا عمّ والله لله أشدّ حباً له منّي، إنّه لم يكن نبيّ إلاّ وذريّته من صلبه، وإنّ ذريتي بعدي من صلب هذا، وإنّه اذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم ستراً من الله عليهم إلاّ هذا وشيعته فإنّهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم (تاريخ بغداد ج١: ص٣١٧).

وأيضاً روىٰ هذا الحديث وقال: لمّا ولدت فاطمة بنت أسد عليّاً سمّته باسم أبيها (أسد) ولم يرض أبوطالب بهذا، فقال: هلمّ حتّى نعلو أبا قيس ليلاً وندعو الخالق فلعلّه أن ينبّئنا في اسمه، فلمّا أمسيا خرجا و صعدا أبا قبيس ودعيا الله تعالى فأنشأ أبو طالب شعراً:

يارِبّ هذا الغسق الدجيِّ ... والفلق المبتلج المضيِّ

بيّن لنا عن أمرك المقضيِّ ... ماذا ترى في إسم ذا الصبيِّ

فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه فإذا الوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر، فأخذه بكلتا يديه وضمّه إلى صدره ضمّاً شديداً فإذا مكتوب فيه:

➔

➔

خصصتما بالولد الزكـيّ والطاهر المنتخب الرضيّ

وإسمه من قاهر العلـــي عليّ اشتقّ من العلـــيّ

فسرّ أبو طالب سروراً عظيماً وخرّ ساجداً لله تبارك وتعالىٰ وعقّ بعشرة من الإبل وكان اللوح معلّقاً في بيت الحرام يفتخر به بنو هاشم علىٰ قريش حتّى غاب زمان الحجاج أو ابن الزبير (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص ٣٠٥).

فالعباس بن عبد المطلب كان من بني هاشم وبني عبد المطلب الذي يحامي النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكان ملازماً لبيت النبوّة والإمامة. والشاهد علىٰ ذلك ماروته عائشة قالت: لمّا ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله واشتدّ به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنّ له، فخرج وهو بين رجلين تخطّ رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة قال: قلت: لا. قال ابن عباس: هو عليّ بن أبي طالب ..... (صحيح البخاري ج٥: ص١٤٠ كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته).

وقال ابن حجر بعد ذكر الحديث: إنّه زاد الإسماعيلي من رواية عبد الرزاق عن معمر أنّه قال: ولكن عائشة لا تطيب نفساً لعليّ بخير (انظر فتح الباري ج٢: ص١٣١).

والمهمّ أنّ العباس كان محبّاً للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وكان ملازماً لبيتهم ويفتخر بأنّه من بني عبد المطلب الذي يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويحبّ أهل بيته بخلاف عائشة التي كانت لا تطيب نفساً للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يحبّه الله ورسوله بنصّ البخاري.

وقد روىٰ الخوارزمي بإسناده عن عباس بن عبد المطلب أنّه كان يمدح عليّاً عليه السلام حين بويع لأبي بكر فكان يقول:

➔

قد علم ممّا نبّهنا عليه بهتان هذه الفرقة في دعوى النصّ مثل بهتان من

➔

ما كنت أحسب أنّ الأمر منحرف	عن هاشم ثمّ عنها عن أبي الحسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم	وأعلم الناس بالآثار والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن	جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلّهم	وليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّكم عنه فنعرفه	ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

(المناقب للخوارزمي: ص٨).

وعلى كلّ حال فإنّ الروايات والشواهد التاريخية تدلّ على أنّ العباس بن عبد المطلب كان محبّاً لأهل البيت عليهم السلام وكان من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولم يثبت في التاريخ أنّه ادعى الخلافة، فلو كان هناك نصّ على خلافته لكان على مثله الملازم لبيت النبي صلى الله عليه وآله والمحبّ لأهل بيته أن يذكر ذلك ولو مرّة واحدة.

بل القرائن والشواهد التاريخية دالّة على أنّه كان يساعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إثبات ولايته وإمامته وتكذيب ادّعاء الخلفاء الغاصبين لحقوق أهل البيت عليهم السلام. ومن تلك القرائن ما رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل أنّه دخل مع الامام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب على عمر بن الخطاب في أيام حكومته فكان العباس يريد أخذ الإقرار من عمر على أنّ أبا بكر وعمر كانا عند الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كاذبين آثمين غادرين خائنين، وبعد كلام طويل دار بينهم قال عمر بن الخطاب: .... فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو بكر أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله فجئتما؛ تطلب ميراثك من ابن اخيك وهذا يطلب ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه صدقة فرأيتماه كاذباً آثما غادراً خائناً.... ثمّ توفّي أبو بكر وأنا وليّ رسول الله ووليّ أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثما غادراً خائناً.... (صحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء).

وعليه فلا معنى لوجود النصّ عليه بعد وجود هذه الروايات والشواهد التاريخية، فلاحظ.

تسمّىٰ بأهل السنة في دعوى النصّ على أبي بكر[١].

وقد تبيّن بحمد الله ولطفه ممّا مضي ثبوت النصّ على عليّ عليه السلام من طرق من تسمّى بأهل السنة، وسيأتي فيما بعد بيان صحّة نبذة منها[٢].

---

(١) لا شكّ ولا شبهة في أنّ ما ذكره ابن تيمية ـ من وجود فرقة من المسلمين تقول بالنصّ على خلافة العباس ـ ادعاء باطل وافتراء واضح، لأنّه لم توجد فرقة بهذا الاعتقاد ولم يوجد نصّ عليه.

نعم ورد في بعض المتون التاريخية أنّ بعض الخلفاء العباسيين كانوا يرغبون في وضع الأحاديث في ابتداء دولة بني العباس بما فيها الدلالة علىٰ خلافة العباس، فكانوا يستخدمون بعض المرتزقة من أبناء المحدّثين لوضع الحديث في العباس وكانوا يفعلون ذلك ويقولون إنّها تدلّ على إمامة العباس ولكن الناس عرفوا السياسية الغاشمة وافتضح الوضّاعون وانتهكت سرّهم فكفّوا عن إشاعة الافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر كتاب أخبار العباس: ص٧٤).

ثمّ جاء ابن تيمية فأخذ هذه الدعاوي الكاذبة وجعلها مذهباً في باب الإمامة ولكن الدعوىٰ كاذبة وافتراء واضح لا ينطلي علىٰ أيّ إنسان حيث إنّ الحق لا يبقىٰ تحت الستار فينكشف فيفتضح الكاذب، وهو كاف في الردّ علىٰ مثل هذه الدعاوي.

ولكن الذي يكثر التعجّب هو أنّ ابن تيمية مع مشاهدة الفضاحة من الخلفاء العباسيين مع ذلك لم يخجل من بيان هذا الافتراء والكذب المكشوف فأصرّ على هذه الدعوىٰ وهذا يدلّ علىٰ أنّ الرجل كان يعيش في عالم الإشاعات والأوهام والخيالات فما ذكره لا طائل تحته فلا نضيّع الوقت به.

(٢) إنّ ممّا امتازت به الشيعة الإماميّة علىٰ جميع المذاهب الإسلامية هو أنّ الشيعة يستدلّون في باب الإمامة بالأدلّة الشرعيّة والعقليّة التي تكون حجّة قاطعة عند جميع المسلمين قاطبة.

فهم يستندون في باب الإمامة إلى القرآن الكريم والنصوص النبويّة المتواترة التي أطبقت علىٰ روايتها جميع المذاهب الإسلامية وهي النصوص الملزمة للعمل بها عند عموم ←

فالشيعة لم تتفرد بنقل هذه السنن حتى يرميها السني وغيره بانّها بهتان بل هم معرضون عما رووه من النصوص وفارضون عدم ورودها عن طرقهم ومستندون في اثبات امامة علي عليه السلام وفي نفي غيرها إلى ما ورد من طرق من تسمى بأهل السنة فانّها حسبما عرفت سنن صحيحة عديدة معروفة مشهورة لديهم[1]

➔

المسلمين والتي هي حجّة عليهم وفق الضوابط المتداولة عندهم في باب العمل بالحجّة والأدلّة الواردة في مقام الاستدلال بها. وقد استدلّوا على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأدلّة كثيرة جدّاً وهي إمّا عقليّة وإمّا نقليّة.

والنقلية: إمّا أن تكون نصوص قرآنية وإمّا سنة المتواترة، فهناك آيات عديده من القرآن و روايات كثيرة تدل على امامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) لقد ثبت بالتواتر القطعي نقل النصّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند جميع المسلمين علىٰ اختلاف مذاهبهم وتشتّت آرائهم ويكفي للباحث أن يراجع كتب القوم في الحديث والتفسير والتأريخ وغيرها فيجدها طافحة بالنصوص والآثار الثابتة والصحيحة الملزمة لعموم المسلمين العمل بها؛ لأنّها حجة قطعية عليهم وفق الضوابط العلميّة الثابته عندهم والمندرجة في كتبهم.

ولو تأمّلوا فيها سوف لا يبقىٰ لديهم أدنىٰ شكّ في أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يأل جهداً ولم يدّخر وسعاً في تأكيد هذا الأمر وتثبيته، وقطع دابر مختلف التعللات والمعاذير فيه، في كل زمان ومكان وفي مختلف الظروف والأحوال والأصعدة على مرّ العصور والدهور.

وقد استخدم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في سبيل هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب التعبيريّة وشتّى المضامين البيانيّة فعلاً وقولاً، تصريحاً و تلويحاً، إثباتاً ونفياً للجانب الآخر، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك ما لايكاد يمكن حصره في تنوّعه وفي مناسباته.

➔

ولذلك صارت حجة عليهم ملزمون بمتابعتها فمن خالفها فقد دخل في خبر ستة لعنتهم[(١)]

➔

وإذا كنّا لا ننسب المخالفين إلى العناد ودفع ما علموه فنلومهم غاية اللوم لأنّ هذه النصوص لا يمكن إنكارها وهي جليّة في الإمامة و الولاية كقوله صلى الله عليه وآله هذا خليفتي من بعدي (انظر تفسير الآلوسي ج١٨: ص٢٠٦ وفي ميزان الاعتدال ج٢: ص٣ في ترجمة داهر بن يحيى في حديث عبد الله بن داهر عن ابن عباس و غيرهم).

وقد توّجت جميع تلك الجهود المتواصلة باحتفال جماهيري عام نصب فيه النبي صلى الله عليه وآله رسمياً الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد انتهائه من حجّة الوداع في مكان يقال له: «غدير خمّ» وأخذ البيعة له من عشرات الألوف من المسلمين الذين يرون نبيّهم للمرّة الأخيرة. فقال صلى الله عليه وآله بعد خطبته وتنصيبه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وعلماً للمسلمين: سلّموا علىٰ عليّ بإمرة المسلمين وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فإنّه يعلم كلّ صوت وخائنة كلّ نفس فمن نكث فإنّما ينكث علىٰ نفسه و من أوفىٰ بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً.... (إلى آخر الحديث) وسمّي بحديث الغدير الذي رواه أكثر من مائة صحابيّ ورویٰ عنهم أكثر من ثلاثمائة تابعيّ وقد دوّن فيه المؤلفات والكتب المستقلّة لبيان تواتره ودلالته ومنهم العلامة الأميني رحمه الله فإنّه ألّف كتاب الغدير في القران و السنّة والأدب وخصّص الجزء الأوّل منه للكلام حول طرق أهل السنة والجماعة لهذا الحديث وقد أنهىٰ الرواة لذلك في طرقهم من الصحابة إلى مائة وعشر ومن التابعين إلى أربعة وثمانين كما أنهىٰ رواته من علماء أهل السنة ومؤلفيهم طبقة بعد طبقة إلى ثلاثمائة وستين وقد وثّق ذلك كلّه بالمصادر المعتبرة عندهم (لاحظ كتاب الغدير ج١: ص٢٩٤ ـ ٣٢٢)، والى غير ذلك من النصوص الدالّة على إمامته عليه السلام.

(١) أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة لعنهم الله و كلّ نبيّ مجاب: المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله،

➔

➔

و المتسلّط بالجبروت بذلّ من أعزّ الله وبعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٣٦ و ج٢: ص٥٢٥ و ج٤: ص٩٠) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦ وابن حبّان في صحيحه ج١٣: ص٦٠ والطبراني في معجمه الأوسط ج٢: ص١٨٢ والبيهقي في الشعب الإيمان ج٢: ص٤٤٣ وغيرهم.

فإنّ من الستة الذين لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب الدعوة هو التارك لسنة رسول الله ﷺ لا سيّما التارك لسنة رسول الله ﷺ المرويّة بالتواتر أو عنه الثابتة من الطرق الصحيحة يشمله هذا اللعن بأوضح الصور.

قال المناوي: التارك لسنتي بأن أعرض عنها بالكليّة، أو ترك بعضها استخفافاً وقلّة احتفال بها. وأراد باللعنة هنا أحد قسميها وهو الإبعاد عن الخير والرحمة، والإنسان ما دام في معصية بعيد عنها (فيض القدير ج٤: ص١٢٧).

أقول: إنّ قيد الاستخفاف قيد زائد حيث انّ ترك السنة ذنب ليس فوقه ذنب إذ بمقتضى صريح حديث رسول الله ﷺ معناه الإعراض عن ذلك، والإعراض عن السنة النبوية إعراض عن الإسلام، ولذلك قال النبي ﷺ من أعرض عن سنتي فليس مني، أي ليس هو مسلم، يشمله حديث الستّة الذين لعنهم الله.

وأمّا معنى اللعن فإنّه الطرد والإبعاد عن الرحمة الإلهية الممزوج بالغضب والاستياء، فاللعن الإلهي إبعاد عن جميع المواهب المغدقة علىٰ العباد في الدنيا والآخرة.

ولا شكّ أنّ نتيجة ذلك هو الوقوع في العذاب الإلهي ولذلك قال العيني: المراد باللعنة هنا البعد عن الجنّة... (عمدة القارئ ج٢٥: ص٢٩).

وقال الفخر الرازي: إنّ الخلود في النار أثر اللعن؛ لأنّ اللعن يوجب العقاب.... (تفسير الفخر الرازي ج٨: ص١٣٨).

والمستفاد من القرآن الكريم هو أنّ الله تبارك وتعالى قد لعن الذين يستحقّون العقاب والخلود في النار كما قال تعالىٰ: **إِنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدّنْيَا**

➔

وغيره[(١)].

➔

وَالْآخِرَةِ وَأَعَدّ لَهُمْ عَذَابًا مّهِينًا (سورة الأحزاب: ٥٧).

ومن ناحية أخرىٰ إنّ العذاب المهين والخالد إنّما أعدّه الله تبارك وتعالىٰ للكفّار فقال تعالىٰ: **وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مّهِينًا** (سورة النساء: ١٥١) وقال تعالىٰ: **إِنّ اللّهَ أَعَدّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مّهِينًا** (سورة النساء: ١٠٢) وقال تعالىٰ: **إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ** (سورة البقرة: ١٦١) وقال تعالىٰ: **وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفّارَ نَارَ جَهَنّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مّقِيمٌ** (سورة التوبة: ٦٨).

فاللعن الإلهي شامل للكافرين والمنافقين الذين يستحقّون العذاب الخالد، والمستفاد من ذلك أنّ التارك للسنة النبويّة داخل في الكفّار والمنافقين لأنّ الحديث صريح في أنّ الله تبارك وتعالى و كلّ نبيّ مجاب الدعوة يلعنه إذ هو من الخالدين في النار والخلود أحد علائم جواز اللعن كما صرّح بذلك الفخر الرازي.

(١) وذلك كحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ أمتي يدخلون الجنّة إلاّ من أبىٰ، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يأبىٰ؟ قال: من أطاعني دخل الجنّة ومن عصاني فقد أبىٰ (صحيح البخاري ج٨: ص١٣٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله).

فإنّ مدلول الحديث واضح في أنّ من لم يعمل بالسنة النبوية بعد ثبوتها له خارج عن الإيمان لأنّ المؤمن مهما كان عاصياً يدخل الجنّة بعد تصفية الحقوق يوم القيامة وأمّا من لا إيمان له لا يشمّ رائحة الجنّة. فمدلول الحديث أنّ من لم يطع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعمل بأوامره ونواهيه وأعرض عن سنته فلا يدخل الجنّة.

وهذا حسب القاعدة الأوّليّة؛ لأنّ الحديث النبوي يعتبر في الإسلام تالي القرآن الكريم قال الله تعالىٰ: **مَا آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** (سورة الحشر: ٧). هذه

➔

➔

الآية الكريمة ذات حكم كلّي في وجوب الالتزام بالسنة النبوية وذلك يعني أنّه لابدّ من تتبع أقواله وأفعاله ومواقفه ﷺ لمعرفة مايتوجّب على المكلّفين معرفته في نطاق الالتزام بالحكم الشرعي والتأسّي بالرسول الأكرم ﷺ.

كما أنّ ذلك يعني أنّ النبي ﷺ معصوم في كلّ قول وفعل أو موقف يصدر عنه، ولا تختصّ عصمته بمقام التبليغ القولي للأحكام، كما يزعمه البعض في المقام.

ولأجل ذلك وجب على المسلمين نقل كلّ ما يصدر عن النبي ﷺ من قول وفعل وتقرير عبر الأجيال لأنّ كلامه ﷺ حجّة واجب العمل به كما أنّ القرآن يكون كذلك، فكما يجب على المسلمين معرفة القرآن وتعليمه للآخرين يجب على المسلمين معرفة السنة النبوية وتعليمها إلى الآخرين.

واللافت هنا للنظر هو أنّ القرآن الكريم قد أمر الناس بطاعة الرسول ﷺ على نحو الإطلاق فقال تعالى: **أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ** (سورة النساء: ٥٩) فإنّ طاعة الرسول متمثّلة في السنة الشريفة فيجب على جميع المسلمين العمل بسنة رسول الله ﷺ على نحو الاطلاق.

وعليه فمن ترك سنة رسول الله ﷺ فقد عصىٰ رسول الله ﷺ و عصيان رسول الله مساوق لعصيان الله عزوجل لأنّ طاعته طاعة الله حيث قال الله تعالىٰ: **يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** (سورة النساء: ٥٩) فقد أمر تبارك وتعالى بطاعة الرسول ﷺ في الآية الكريمة تفريعاً وعطفاً على طاعته عز وجل.

فهذه الآية المباركة توضح لنا منشأ وجوب العمل بالسنة النبوية و هو أنّ كلّ قيادة وولاية من الله تعالى يجب أن تتبّع لأنهما من ولاية الله سبحانه وذاته المقدّسة وحيث إنّ النبي الأكرم طاعته كطاعة الله عزوجل تجب طاعته على جميع المسلمين على نحو الإطلاق، فالقرآن يعطينا القانون في المرجعيّة أوّلاً بأن تكون الطاعة بأمر الله، ثانياً: عند تحقّق النزاع

🡐

وثامن عشرها: ما نقله عن الحسن البصريّ[(١)]

➔

يجب على جميع المؤمنين الرجوع إلى الله ورسوله، وهذا علامة إيمان المؤمن الحقيقي، ولذلك قال تعالىٰ إن كنتم تؤمنون بالله ورسوله... .

(١) روىٰ البلاذري مرفوعاً عن الحسن البصري قال: أمر رسول الله ﷺ أبا بكر وهو مريض أن يصلّي بالناس. ثمّ قال الحسن ـ البصري ـ وليعلمهم والله من صاحبهم بعده (انساب الأشراف ج٨: ص٥٢١).

وروى ابن عساكر بسنده عن أحمد بن ملاعب البغدادي عن خلف بن الوليد عن مبارك بن فضالة عن محمد بن الزبير قال: أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء فصعدت إليه، فإذا هو متّكئ علىٰ وسادة من أدم، فقلت: أرسلني فيما اختلف فيه الناس هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟

فاستوىٰ الحسن قاعداً فقال: أ وفي شكّ هو لا أباً لك؟! أي والله الذي لا اله إلاّ هو لقد استخلفه ولهو كان أعلم بالله وأتقىٰ له وأشدّ له مخافة من أن يموت عليها لو لم يأمره (انظر تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠: ص٢٩٧).

وقد علّق على هذه الرواية العلامة الأميني رضوان الله تعالى عليه بقوله: انظر إلى هذا المتقشّف المتزهّد الجامد كيف يحلف كذباً بالله تعالى على ما تعترف به الأمّة جمعاء حتّى نفس أبي بكر و عمر... (الغدير ج٥: ص٢٤٥).

أقول: مع قطع النظر عن ضعف سند الحديث، كان عصر بني أمية عصر الاضطهاد الذي قتلوا فيه عشرات الآلاف من المسلمين من أجل تثبيت حكومتهم فكان الناس يخافون أن يتكلّموا على خلاف مصالحهم ولعلّ ما ذكره كان من باب التقية وفي الواقع قصد أنّ رسول الله ﷺ استخلف ولم يقصد أنّ من استخلفه أبو بكر ولذلك تجده لم يذكر اسم أبي بكر في الجواب.

وعلى كلّ تقدير فإنّ الظاهر من هذا الحديث أنّ صلاة أبي بكر حتّى في عهد عمر بن عبد العزيز كان مشكوكاً عند الناس مع أنّ الخلافة والحكومة كانت في أيديهم لا سيما في

➔

→

عصر الأمويين فليس هناك مانع يتصوّر من نقل هذا الحديث، ولو كان حديثاً صحيحاً لماذا شكّ عمر بن عبدالعزيز في ذلك وهذا الشك صار سببا لإرسال محمد بن الزبير إلى الحسن البصري؟ ثمّ إنّه لا بأس هنا أن نتعرّف علىٰ شخصية الحسن البصري كي نعرف انتمائه الفكري والعقدي. فمن هو الحسن البصري؟

الحسن البصري هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار مولىٰ زيد بن ثابت الأنصاري أخو سعيد وعمارة وأُمّهم خيرة مولاة أُم سلمة زوجة رسول الله ﷺ وكان يسار والده من سبي ميسان. ويقال: إنّ أُمّه أيضاً كانت من سبايا ميسان و كانت حاملاً بالحسن حين السبي.

ولد الحسن البصري بالمدينة سنة إحدىٰ وعشرين من الهجرة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وعاش بالمدينة حتّى سنة ٣٧ من الهجرة ثمّ هاجر إلى البصرة واستقرّ بها ما يقارب الـ ٤٣ سنة حتّى أصبح فيها زعيماً من زعمائها ومفتياً عامّاً فيها، وكان يقال إنّه من الزهّاد الثمانية، وكان يلقىٰ الناس بما يهوون ويتصنع الرئاسة وكان رئيس القدريّة.

توفّي في شهر رجب سنة ١١٠ من الهجرة وله تسع و ثمانين سنة (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ج٤: ص٥٦٣ وتذكرة الحفّاظ له ج١: ص٦٦ والطبقات لابن سعد ج٧: ص١٥١ والتاريخ الكبير للبخاري ج٢: ص٢٨٩ والمعارف لابن قتيبة: ص٤٤ و حلية الاولياء لأبي نعيم الاصبهاني ج٣: ص١٢١ وغيرها من كتب الرجال والتراجم).

فالمستفاد من الرجال والتراجم أنّ الرجل لم يكن له نسب وحسب معروف بل المستفاد من بعض العبارات أنّه لا يعلم هل أنّ والده كان يساراً أم لا؟ ولذلك نجد في ترجمته لم يذكروا اسم أبيه يسار؛ بل أكثر أهل الترجمة والرجال ذكره بعنوان الحسن بن أبي الحسن البصري.

وعلىٰ أيّ تقدير فإنّ ما ورد في أحواله يدل علىٰ أنّ الرجل كان منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام، قال ابن أبي الحديد: وممّن قيل إنّه يبغض علياً ويذمّه الحسن بن أبي الحسن البصري.... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص٩٥).

وروىٰ قطب الدين الراوندي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى الحسن البصري يتوضّأ في ساقية

←

فإنّه من عجيب تدليسه وظلمه للحقّ، لأنّه روى ذلك عن الحسن بإسناد مشتمل على محمّد بن الزبير الحنظلي[1]

➔

فقال عليه السلام: أسبغ طهورك يا فتى، قال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء قال الإمام عليه السلام: وإنّك لحزين عليهم؟ قال: نعم، فقال الإمام عليه السلام فأطال الله حزنك. قال أيوب السجستاني: فما رأينا الحسن قطّ إلاّ حزيناً كأنه رجع عن دفن حميم أو كأنّه خربندج (لعلّه معرّب خربنده: أي مكاري الحمار) ضلّ حماره، فقلنا له في ذلك، فقال: عمل في دعوة الرجل الصالح.... (الخرائج والجراغ ج٢: ص٥٤٧).

وفي حديث آخر قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه: إنّ لكلّ قوم سامريّ، وهذا ـ الحسن البصري ـ سامريّ هذه الأمّة (انظر الاحتجاج للطبرسي ج١: ص٢٥١).

وله مكاتبة مع الإمام المجتبىٰ يسأل فيها الإمام عن القدر؟ فأجاب الإمام عليه السلام فيها بجواب واف لما يتعلّق بسؤاله وفيه الذمّ عليه لم نذكرها رعاية للاختصار.

وقد ذكر العلامة المجلسي بعض ما ورد في ذمّه في كتاب بحار الأنوار وخصّص لذلك باباً خاصّاً (راجع بحار الأنوار ج٤٢: ص١٤١).

وملخّص الكلام أنّ الرجل كان من أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن مبغضيهم. وهو كاف في ردّ الحديث. فمع قطع النظر عن هذه الجهة فإنّ حديثه مرسل فاقد لاعتبار السند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

مضافاً إلى أنّ الحسن البصري ذكر في الحديث بعد نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه استخلفه وقصد أبا بكر فقال: كان أعلم بالله وأتقى، فلو كان هو الخليفة لكان عليه أن يذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حقّه كذا وكذا لا أنّه يمدحه بلا دليل ولا حجّة شرعيّة، ولا يخفى علىٰ الخبير أنّ رأيه لا يكون حجّة عند العلماء، فلاحظ.

(١) وهو محمّد بن الزبير التميمي الحنظلي البصري روىٰ عن أبيه والحسن البصري وعلي بن عبد الله بن عباس وعمر بن عبد العزيز وغيرهم.

وروىٰ عنه حريز بن حازم وابن إسحاق وأبو حنيفة ويحيىٰ بن أبي كثير والثوري وغيرهم.
➔

وعلى المبارك بن فضالة[1].

←

لاحظ ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري ج١: ص٨٦ رقم ٢٣٦ والضعفاء والمتروكين للنسائي: ص٢٣٥ رقم ٥٤٦ والضعفاء للعقيلي ج٤: ص٦٨ رقم ١٦٢٢ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ج٧: ص٢٥٩ رقم ١٤١٧ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٥٣: ص٢٥ رقم ٦٣٥٥ وتهذيب الكمال للمزّي ج٢٥: ص٢١١ رقم ٥٢١٩ و الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة للذهبي ج٢: ص١٧١ رقم ٤٨٥١ وميزان الاعتدال له ج٣: ص٥٤٧ رقم ٧٥٣٠ والمغني في الضعفاء له ج٢: ص٢٩٩ رقم ٥٥٠٦ وتقريب التهذيب لابن حجر العقلاني ج٢: ص٧٦ رقم ٥٩٠٣ وتهذيب التهذيب له ج٩: ص١٤٧ رقم ٢٤٧ ولسان الميزان له ج٧: ٢٥٨ رقم ٤٥٩٦ وغيرها من كتب الرجال والتراجم.

(١) وهو المبارك بن فضالة بن أبي أمية البصري، وكان جدّه مولىٰ عمر بن الخطاب ومكاتباً له واسمه عبد الرحمن يكنىٰ أبا فضالة، وكان المبارك بن فضالة من علماء الحديث بالبصرة رأىٰ أنس بن مالك يصلّي. وحدّث عن جماعة منهم محمد بن المنكدر وثابت وغيره. قدم إصبهان على أيوب بن زياد وكان والياً عليه من قبل أبي جعفر المنصور خمس سنين، وروىٰ عنه من أهل إصبهان النعمان بن عبد السلام و عصام بن يزيد وغالب ابن فرقد وشعبة وغيرهم. مات سنة أربع وستين ومائة انظر ترجمته في طبقات المحدّثين بإصبهان لابن حبّان ج١: ص٣٩٧ رقم ٥٤ وتذكرة الحفّاظ للذهبي ج١: ص ٢٠٠ رقم ١٩٣ وميزان الاعتدال له ج٢: ص٢٤٣ رقم ٥١٦٤ والتبيين لأسماء المدلّسين لسبط بن العجمي: ص٤٦ رقم ٥٨ والكامل لابن عَديّ ج٦: ص٣١٩ وتاريخ ابن معين ج٢: ٦٥ رقم ٣٢٤٤ والعلل لأحمد بن حنبل ج٣: ص١٠ رقم ٣٩١٣ والضعفاء والمتروكين للنسائي: ص٢٣٩ رقم ٥٧٤ والضعفاء للعقيلي ج٤: ص٢٢٤ رقم ١٨١٦ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ج٨: ص٣٣٨ رقم ٥٥٧ أو التاريخ الكبير للبخاري ج٧: ص٤٢٦ رقم ١٨٦٧ وتهذيب الكمال للمزّي ج٢٧: ص ١٨٠ رقم ٥٧٦٦ والكاشف في معرفة الرجال للذهبي ج٢: ص٢٣٨ رقم ٥٢٧٤ وسير أعلام النبلاء له ج٧: ص ٢٨١ وتقريب التهذيب له ج ١٠:

←

ولنبيّن جهات فساد استناده إلى خبر الحسن[١].

فمنها: ما نقله في تهذيب التهذيب من تضعيف ابن معين والنسائي لمحمد بن الزبير الحنظلي[٢].

ونقل عن البخاري أنّه قال: منكر الحديث[٣].

وعن أبي حاتم: ليس بالقويّ، في حديثه إنكار[٤].

و لم يرتضه شعبة ولم ينقل عنه شيئاً. انتهى حاصل ما في تهذيب التهذيب[٥].

وقال الذهبي ضعّفوه[٦] وقال صاحب التقريب تركوه[٧].

وأمّا مبارك بن فضلة فاختلف فيه، فبعض وثّقه[٨]،

➔

ص٢٧ رقم ٥٠ وطبقات المدلّسين له: ص٤٣ رقم ٩ وغيرها من كتب الرجال والتراجم.

(١) ولا يخفي أنّ الحديث الضعيف من حيث السند ولا يكون حجّة ولا اعتبار له في مقام الاحتجاج نعم يمكن البحث في ضعف الدلالة مع قطع النظر عن عدم اعتبار سنده وإلاّ فإنّ البحث في دلالة الحديث مع عدم اعتبار سنده لا يسمن ولا يغني من جوع فما أفاده المصنّف رحمه الله أراد به بعد ثبوت عدم اعتبار سند الحديث يقع البحث في دلالة الحديث.

(٢) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٩: ص١٤٧ رقم ٢٤٧ وتاريخ ابن معين الدوري ج٢: ص٨٤ رقم ٣٣٨٢.

(٣) انظر التاريخ الكبير للبخاري ج١: ص٨٦ رقم ٢٣٦.

(٤) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ج٧: ص٢٥٩ رقم ١٤١٧.

(٥) انظر تهذيب التهذيب ج٩: ص١٤٧.

(٦) انظر الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة ج٢: ص١٧١ رقم ٤٨٥١.

(٧) انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٢: ص٧٦ رقم ٥٩٠٣.

(٨) انظر تاريخ يحيى بن معين ج٢: ص٦٥ ومعرفة الثقات للعجلي ج٢: ص٢٦٣ والثقات

➔

وبعض ضعّفه[١]، ورماه بعضهم بالتدليس وشدّته[٢]. وقال خاتمة حفّاظهم في طبقات المدلّسين: هو مشهور بالتدليس[٣].

والحسن نفسه، وصفه النسائي وغيره بتدليس السند[٤].

فانظر يا طالب الحقّ هل يجوز للسنّي أن يستند في إثبات إمامة رجل من الناس بخبر هذه حال سنده بعد قوله في المقام إنّه قد ترك عدة أخبار لم يرتضها أهل المعرفة بالحديث؟ فذكره للخبر بعد قوله المزبور دليل على كونه مرضيّاً عند أهل المعرفة بالحديث[٥]!

لابن حبان ج٧: ص٥٠١.

(١) انظر الضعفاء للنسائي: ص٢٣٩ والضعفاء للعقيلي ج٤: ص٢٢٤ والعلل لأحمد بن حنبل ج٣: ص١٠.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ج٧: ص٢٨١ (عن عبد الله بن أحمد قال: كان المبارك يدلّس). (وعن أبي داود كان مبارك شديد التدليس).

(٣) انظر طبقات المدلّسين لابن حجر العسقلاني: ص٤٢ رقم ٩٣.

(٤) انظر الضعفاء للنسائي: ص٢٣٩ وسير أعلام النبلاء ج٤: ص٥٧٢.

(٥) الظاهر أنّ ما ذكره ابن تيمية مخالف للواقع بجميع احتمالاته في قوله: إنّه مرضيّ عند أهل السنة والجماعة، سواء قصد بالرضا رضا علماء أهل السنة والجماعة بحديث صلاة أبي بكر أم رضاهم بوثاقة الحسن البصري.

فالأوّل غير صحيح لأنّه لا دليل ولا حجّة عليه، إذ لو كان حجّة قائمة على ذلك لم يكن وجه للنقاش والاختلاف في المقام.

والثاني: إنّه قد ضعف الحسن البصري عدّة كبيرة من علماء رجال أهل السنة والجماعة، وعليه إذا كان ابن تيمية يقصد به علماء أهل السنة والجماعة الذين صنّفوا في علوم الحديث من الرجال والطبقات والقواعد الحديثيّة وغيرها ممّا يرتبط بمباحث تمييز

فأعجب منه وممن مدحه على رده وشدة تعصبهم للباطل وترويجهم له بمثل الخبر[1].

➔

الحديث الصحيح عن غيره فقوله خلاف للواقع.

وبعبارة أخرىٰ: إنّ علماء الحديث من أهل السنة والجماعة قد صنّفوا كتباً كثيرة وأسفاراً ضخمة في علم الرجال وأحوال الرواة كي يمكنهم تمييز الحديث المعتبر عن غيره والصحيح عن غيره بعد تسالمهم على حجّة أصل السنة النبويّة ووجوب العمل بها إذا ثبتت صحة إسنادها إلى النبي ﷺ وخلاصة الكلام: إنّ مقصود ابن تيمية من رضىٰ أهل معرفة الحديث بحديث الحسن البصري هم علماء الحديث من أهل السنة والجماعة.

ولا أدري كيف سكت علماء أهل السنة والجماعة عن هذه الدعوىٰ والنسبة إليهم؛ لأنّ مرجع قول ابن تيمية إلى أنّ علماء أهل السنة يعملون بالخبر الضعيف، ومع كونهم من أهل المعرفة بعلوم الحديث ولكن يعملون على خلاف القواعد المدوّنة في كتبهم، إذ قد نسب إليهم أنّهم راضون بالحديث الذي ورد عن المدلّسين والكذّابين والوضّاعين، لأنّ في سند حديث الحسن البصري من ذكره علماء أهل السنة بكونه مدلساً وضعيفاً و لا يمكن الاعتماد عليه.

ومع الأسف نرىٰ أنّ علماء أهل السنة والجماعة لم يعترضوا علىٰ ابن تيمية في المقام، و هذا دليل تعصّبهم وشدّة حبّهم لأعداء أهل البيت، فلاحظ.

(١) فإنّ حديث الحسن البصري الذي فيه صلاة أبي بكر قد رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٢٩٧ وابن الأثير في أسد الغابة ج٣: ص٢٢٠ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٧٢ وغيرهم.

والعجيب أنّ هؤلاء وغيرهم يعترفون بعدم وجود النصّ من النبي الأكرم ﷺ علىٰ خلافة أحد فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟!

ثم إنّ عمر بن عبد العزيز والتابعين لخلافة السقيفة كانوا يرون أنّ الخلافة عندهم لا تكون بالنصّ وإنّ بني أمية قد بنوا علىٰ هذا الأساس الخلافة الشرعية عندهم. وكان معاوية قد

➔

ومنها: ما لو فرضنا صحّة سند الخبر إلى الحسن فأيّ دليل دلّ على حجّة قول الحسن ووجوب متابعته[1]؟ أما درىٰ السنّيّ ومادحوه بأنّ قول جماعة

➔

فتح أيدي الوضاعين لجعل الحديث في خلفائهم بما يؤهن النصّ حتّى أنّ بعض المرتزقة قد رووا أحاديث في أبي بكر وعمر وعثمان أكثر من كلّ صحابة.

ومن هذه الجهة فقد وقع الناس في حيرة كيف يمكن أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل أبي بكر وعمر وعثمان ما يرويه علماؤهم و مع ذلك الخلافة لا تكون بالنص؟!

فمن جملة الناس هو عمر بن عبد العزيز فإنّ الظاهر من هذا الحديث أنّه كان في حال الحيرة والشك فأراد أن (يشفي) شكّه بسؤال عن هذه المشكلة من الحسن البصري. والذي يظهر من الحديث أنّ الحسن البصري أيضاً استفزّ من السؤال وقال للسائل لا أباً لك. وهذا يدلّ إمّا على عناده بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام أو على أنّه كان يعيش في أجواء التقية. وعلى أيّ تقدير فإنّ ما ذكره رأيه الخاص وليس بحجّة عند أهل العلم، وهذا مع قطع النظر عن صحة سند الحديث، فلاحظ.

(١) لا إشكال في عدم حجّيّة قول الحسن البصري لأنّه أجمعت الأمّة الإسلاميّة علىٰ عدم حجية قول كلّ أحد إلاّ ما ثبت بالدليل القطعيّ أعني من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة المتفقة بين المسلمين، وعليه فلا دليل على حجية قول التابعين بل ولا دليل على حجية قول الصحابة قال الفخر الرازي: إنّ قول كلّ واحد من الصحابة وحده ليس بحجّة (المحصول ج٤: ص١٧٦).

وقال النووي: والصحيح عندنا أنّ قول الصحابة ليس بحجة ... (المجموع ج٩: ص٣٠٢).

وقال المارديني: قال الشافعي قول الصحابة وفعلهم ليس بحجّة (الجواهر النقي ج٤: ص٦) وإلى غير ذلك من أقوالهم فإذا لم يكن قول الصحابة حجة عندهم فقول التابعي بالأولويّة القطعيّة لا يكون حجّة.

إذن لابدّ من إثبات حجية القول كبرويّاً ثمّ البحث عن قول الحسن البصري صغرويّاً، فإنّ القرآن الكريم قد أوجب طاعة الله ورسوله والمعصومين في قوله تعالىٰ: **أَطِيعُواْ اللَّهَ**

➔

من الصحابة ليس بحجّة ما لم يستند إلى ما هو حجّة من آية صريحة وسنة صحيحة[1]؟

➔

وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ (سورة النساء: ٥٩)، فإنّ وجوب طاعة الله ورسوله والمعصومين عليهم السلام واضحة عند جميع المسلمين، وهي من ضروريات دين الإسلام، وأولي الأمر في الآية الكريمة لابدّ من حمله على المعصومين، وذلك بمقتضى ظاهر العطف من قوله تعالىٰ « **وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** » فإنّ مقتضي عطف أولى الأمر علىٰ الرسول وجوب الطاعة علىٰ نحو الاطلاق كما هو في طاعة الرسول ومعنى ذلك أنّ أولي الأمر يكون له جميع شرائط الطاعة كالرسول، وأحد هذه الشرائط العصمة المطلقة.

إذن إنّ القرآن الكريم يأمرنا بطاعة المعصومين فقط ولا دليل على وجوب طاعة غير المعصوم من الناس، والأصل عدم حجية قول كلّ أحد إلاّ ما ثبت بالدليل.

وعليه فإنّ الحسن البصري لا دليل على حجية قوله، فكيف يجوز لابن تيمية أن يستدلّ به؟!

(١) فإنّ الحجيّة حكم من الأحكام الشرعية الوضعية، ولابدّ من أن تكون مجعولة بجعل الشارع الأقدس.

ومن الواضح أنّ الحجة المعتبرة شرعاً عند جميع المسلمين كافّة هي القرآن الكريم والسنة النبوية قال الله تعالىٰ: **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ** ....(سورة النساء: ٥٩).

وقال تعالىٰ: **فَلاَ وَرَبّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مّمّا قَضَيْتَ وَيُسَلّمُواْ تَسْلِيمًا** (سورة النساء: ٦٥).

وقال تعالىٰ: **مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** (سورة الأحزاب: ٣٦).

مقتضى هذه الآيات وغيرها وجوب طاعة الله ورسوله فيجب على جميع المسلمين العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة فالحجة المعتبرة عند جميع المسلمين كافة الكتاب

➔

ومنها: ما لو فرضنا كون قول الحسن بالنظر إلى نفسه حجّة فليس يجدي المستدلَّ به في المقام نفعاً، فإنّه مقام مناظرة حتّى في قبال الحسن، فانّه ممّن زعم إمامة أبي بكر، فهو في المقام خصم وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة فإنّها من باب الشهادة للنفس، فهي مردودة حتّى بتصديق من السنّيّ نفسه حسبما يأتي نقله عنه. فما أدرى لم ناقض نفسه فأخذ يستدلّ على خصمه بما قد صدّق بأنّه ليس بحجّة عليه[1].

→

والسنة النبوية، أمّا الكتاب فلا ريب في حجيّته والمسلمون متّفقون علىٰ تصديقه والاحتجاج به، أمّا السنة النبوية فهي أيضاً لا ريب في حجيتها والاحتجاج بها في كلّ باب، ولكنّهم مختلفون في طريق ثبوتها كما هو المعلوم عند أهل الخبرة.

ومن هنا يجب علىٰ المسلمين أن يلتزموا بالعمل بالسنة النبوية وأنّ أصلها حجة عندهم كافّة فيجب عليهم أن يخضعوا لها في مقام الاحتجاج إذا ثبت لديهم اعتبار طريقها حسب ما يرونه حجة من جهة السند والدلالة.

وعليه فإنّ السنة النبوية إمّا أن تكون متفقاً علىٰ تصديقها عند جميع المسلمين فهي عندنا تكون مرجعاً للجميع وإمّا أن تكون مختلفاً فيها، ففي هذا القسم يجب علىٰ المستدلّ أن يحتجّ على طرفه الآخر بما يكون حجّة عليه. وهذا أمر مسلّم عند الكلّ.

وعليه فإنّ رواية الحسن البصري ليس فيها مدلول من القرآن الكريم ولا السنة النبوية الشريفة ولا ما يكون حجة عند أهل السنة والجماعة، فلاحظ.

(١) فإنّ الاحتجاج في نفسه نوع من أنواع المناظرة؛ لأنّ المستدلّ في مقام الاحتجاج والمناظرة يقيم الدليل والحجة لاثبات شيء علىٰ طرفه الآخر، فإذا لم يكن الدليل عند الطرف الآخر معتبراً لم تكن حجة معتبرة ويكون الاحتجاج والاستدلال باطلاً، ولا يفيد المستدل شيئاً لعدم اعتبار الدليل الذي استدلّ به على الطرف الآخر. وهذا أمر مسلّم عند الكل.

←

ومنها: ما لو قطعنا النظر عن كون قول الحسن شهادة للنفس فنقول: ما

➔

قال ابن حزم الأندلسي: لا معنى لاحتجاجنا عليهم (أي على الإمامية) برواياتنا، فهم لا يصدّقونها، ولا معنى لاحتجاجهم برواياتهم، فنحن لا نصدّقهم، وإنّما يجب أن يحتجّ الخصوم بعضهم على بعض بما يصدّقه الذي تقام عليه الحجّة به، سواء صدّقه المحتجّ أو لم يصدّقه؛ لأنّ من صدّق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذٍ مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه (انظر الفصل في الملل والنحل و الأهواء ج٣: ص١٢).

هذا والمستفاد من قوله تعالى: **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** (سورة النحل: ١٢٥). أنّ المقصود بالجدال التي هي أحسن إقامة الحجة المعتبرة حيث إن كلمة «جدل» فسّرت بالمناظرة والاحتجاج، وجملة بالتي هي أحسن إشارة إلى الطريقة التي هي أصلح وأقرب للنتيجة والنفع (انظر تفسير الكشاف للزمخشري ج٢: ٤٣٥ وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٥: ص٥٤٩ و تفسير الطبري ج١٠: ص١٤١ وغيرها من التفاسير).

ثمّ إنّ هذه الآية الكريمة تدلّ على أنّ الاحتجاج والمناظرة لابدّ أن تكون من أجل الوصول إلى الحقّ والحقيقة لا مجرّد الاستدلال والبحث بلا إقامة الحجّة على الطرف الآخر. إذن ما ذكره ابن تيمية من الاحتجاج بكلام الحسن البصري مخالف لمنطق القرآن والسنة النبوية وما تداول عند العلماء في مقام الاحتجاج والمناظرة؛ فإنّ من الضروري عند العلماء أن يكون الاستدلال في المحاجة والمناظرة بالدليل المعتبر عند الخصم و الحجّة المعتبرة عند الطرف المقابل كما لا يخفى ذلك على أحد وعلىٰ ضوء ذلك فإنّ ما ذكره من الاستدلال بقول الحسن البصري في مقام الاحتجاج على الشيعة الاثنى عشرية يكون مخالفاً لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ومخالفاً للضابطة المتداولة والمستخدمة عند العلماء في باب المناظرة. فالاستدلال بالدليل الذي لا يكون حجة على الخصم يعبّر عنه بالشهادة للنفس وهي لا تكون مقبولة عند جميع العقلاء فضلاً عن المسلمين وعلمائهم، فلاحظ.

زعمه بيّن الفساد لما عرفته من تصديق أبي بكر وعمر و تقرير الصحابة لهما على عدم صدور نصّ علىٰ إمامة أبي بكر[(١)]،

---

(١) ويدلّ عليه ما رواه جمع من كبار علماء أهل السنة بأسناد صحيحة عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت علىٰ أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه... فقال أبو بكر: «وددت أنّي كنت سألته (أي النبي الأكرم ﷺ) هل للأنصار في هذا الأمر (أي الخلافة نصيب؟ (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٦٢٠).

والسؤال الذي يتوجّه هنا لابن تيمية ومن يدافع عن نظريّاته وآرائه هو أنّه إذا كان هناك نصّ علىٰ خلافة أبي بكر لماذا تمنّىٰ أبو بكر أن يسأل رسول الله ﷺ هل للأنصار نصيب في مسألة الخلافة أم لا؟ فانّه بعد وجود النصّ لا معنى لهذا التمنّي كما هو واضح ظاهر.

وأخرج البخاري بسنده عن عائشة قالت: قال أبو بكر فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

هذه القضية معروفة بين المحدّثين والمؤرخين وأصحاب السير، و قد رواها علماء أهل السنة ضمن قصّة السقيفة، وهي من الشواهد الواضحة علىٰ عدم وجود النصّ على أبي بكر حيث إنّه لو كان هناك نصّ علىٰ خلافته كيف جاز له أن يقول للناس بايعوا عمر أو أبا عبيدة؟ فانّ معنى قوله: بايعوا فلاناً وفلاناً عدم وجود النصّ على أحد فلو كان هناك نصّ على خلافة أحد ومع ذلك قال أبو بكر بايعوا فلاناً معناه أنّ أبا بكر خالف النصّ النبويّ وهل يرضى بذلك ابن تيمية وأتباعه؟!

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحة بسنده عن ابن عمر سأل أباه أن يستخلف أو لا؟ فقال له عمر بن الخطاب: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبو بكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

فالحديث صريح في أنّ عمر بن الخطاب أقرّ أمام الصحابة أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً.

←

فقول الحسن حينئذٍ بهتان معلوم[1]،

→

وأخرج المتقي الهندي في كنز العمال بسنده عن ابن الأعرابي قال: روي أنّ أعرابياً جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: لا قال: فما أنت؟ قال: أنا الخالفة بعده. أي القاعدة بعده (انظر كنز العمال ج١٢: ص٥٣١ ح٣٥٧٠٨) وقد رواه ابن الأثير في النهاية باب حرف الخاء مع اللام (انظر النهاية في غريب الحديث ج٢: ص٦٩).

وهذا أيضاً اعتراف صريح من أبي بكر على عدم كونه خليفة رسول الله ﷺ بالنصّ وإلى غير ذلك من الروايات وهي كثيرة جدّاً لا يسعنا استقصائها في هذا المجال.

(١) إذ بعد تصريح أبي بكر نفسه بعدم وجود النصّ علىٰ خلافته وكذلك تصريح عمر بن الخطاب وتقرير الصحابة لهما كما تقدم في النصوص المعتبرة إنّ قول الحسن البصري بهتان علىٰ رسول الله ﷺ، ويشمله قول النبي ﷺ: من كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النار (انظر صحيح البخاري ج١: ص٣٥ كتاب العلم باب إثم من كذب علىٰ النبيﷺ)وفي حديث آخر رواه البخاري بسنده عن ربعي بن حراش قال سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: لا تكذبوا عليّ فإنّه من كذب عليّ فليلج النار (صحيح البخاري ج١: ص٣٥).

ثمّ إنّ ابن حجر قال في الشرح: إنّه ليس في الأحاديث التي في الباب تصريح بالإثم، وإنّما هو مستفاد من الوعيد بالنار علىٰ ذلك لأنّه لازمه (فتح الباري ج١: ص١٧٨)

أقول: لايخفى أنّ البخاري ذكر عنوان الباب «إثم من كذب على رسول الله ﷺ» وكأنّما أراد أن يقول إنّ الكذب على رسول الله ﷺذنب كبقية الذنوب التي يمكن أن يغفر له بينما أنّ الحديث صريح في العذاب والخلود في النار، لأنّ من كذب على رسول اللهﷺ فإنّه قد ردّ على رسول الله ﷺ ومن ردّ على رسول الله ﷺ فقد ردّ علىٰ الله سبحانه ومن ردّ على الله فهو مرتدّ ومأواه جهنم خالداً فيها أبداً، والخلود في جهنم معناه الكفر والشرك، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلا هُمْ**

←

وهل يستدلّ مسلم يخشى الله ورسوله ﷺ على أصل مذهبه بالبهتان البيّن ويغرّ بذلك الغفلة فيقودهم إلى الباطل[1]؟

➔

يُنظَرُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٦١ ـ ١٦٢) فالمستفاد من هذه الآيات وغيرها أنّ الردّ على الله في الكفر به أو الشرك به كما في قوله تعالى: **﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾** (سورة ال عمران : ١٥١).

وبعد ثبوت الخلود في جهنّم وكونه من المشركين بالله لا معنى للغفران لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: **إنّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ** (سورة النساء: ٤٨ و ١١٦) فمن الواضح أنّ الذنب والإثم بوحده لا يكون قادراً على إزالة الإيمان وانّما الشرك والكفر ينافيان الإيمان بالله ورسله، وهما مساوقان لزوال الإيمان، بل يدّلان على عدم وجود الإيمان في الشخص ومن الواضح أنّ غير المؤمن لابدّ أن يدخل النار، ولذلك قال تعالىٰ: **إنّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** (سورة النساء: ٤٨).

فالتعبير بالإثم في عنوان الباب مساوق للافتراء على الله حيث قال تعالى **مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى**.

وملخّص الكلام أنّه يتبين من هذا العرض الموجز أنّ ما قاله الحسن البصري مخالف للقرآن والسنة النبوية، ومخالف أيضاً لقول عمر بن الخطاب من أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف كما في حديث البخاري ومعنى ذلك أنّه كذب على رسول الله ﷺ ومن كذب علىٰ رسول الله فقد كذب علىٰ الله ومن كذب علىٰ الله فقد ردّ على الله وهو كافر أو مشرك على مبنى ابن تيمية، فلاحظ..

(١) لا شكّ أنّ الغشّ ظاهرة اجتماعية خطيرة وأساسه قيام الكذب مكان الصدق، والخيانة مكان الأمانة، والهوىٰ مقام الرشد، فالمسلم الذي يؤمن بالله ورسوله حقيقة لا يرضىٰ أن

➔

➔

يغشّ غيره للروايات الكثيرة التي وردت في المصادر الإسلامية. ففي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من غشّ فليس منّي (صحيح مسلم ج١: ص٦٩ كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وآله من غشّنا فليس منّا).

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بردة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ليس منّا من غشّنا (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٦٦).

وفي مجمع الزوائد للهيثمي بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وآله من غشّنا فليس منّا، والمكر والخداع في النار (مجمع الزوائد ج٤: ص٧٨) والى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، فإنّ لسان هذه الروايات النهي الشديد ونفي الإيمان عمّن يغشّ غيره و يوقعه في خلاف ما هو عليه في الواقع.

ولا شكّ أن إخفاء الحقيقة و تزيين الباطل خارج عن المنهج الربّاني وسنّة رسول ربّ العالمين لا سيمّا أنّ لسان الأدلّة والروايات فيه: نفي الغاشّ عن النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك يقتضي عدم شموله و دخوله في الأمّة الإسلاميّة، لأنّ من يغشّ الناس لا يبالي من وقوع الناس في الباطل ولا يهتمّ لانحراف الناس عن العقيدة فهو في الواقع محارب لله ولرسوله فلذلك قال صلى الله عليه وآله: ليس منّا من غشّنا فإنّه لا يمكن لأحد أن يدّعي أنّ المقصود من هذه العبارة تأثير الغشّ في رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ هذه الدعوىٰ تنافي العصمة حيث إنّ العصمة تلازم العلم اللدنّي الذي هو مستمد من علم الله عزوجل، فهو من لدن حكيم عليم.

إذن المقصود من قوله صلى الله عليه وآله: ليس منّا من غشّنا أي ليس من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله من سعىٰ في تحريف الدين وغشّ المسلمين بقلب الحقائق وتزييفها بالمقالات السخيفة والردّ على كلّ حجّة شرعية وتزيين الباطل في قبال الحقّ. ومثل هذا السلوك لا يصدر إلاّ من الشقيّ الذي يريد الحرب مع الله ورسوله حيث إنّ الغاشّ يريد تحريف الدين وتحريف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وفي النتيجة تحريف قول الله عزوجل. وهذا تفسير قوله صلى الله عليه وآله: من غشّنا ليس منّا.

➔

ومنها: ما نقله عن الحسن. فإنّه مناقض لما ثبت صحيحاً عن أبي بكر وعمر من تصديقهما بأنّ الخليفة المنصوص عليه هو عليّ عليه السلام حسبما مضى نقل ذلك عنهما وتقرير الصحابة لهما على ذلك[1].

➔

فابن تيمية نقل قول الحسن البصري في مقام الاحتجاج مع علمه بأنّ قول الحسن لا يكون حجة حتّى على كثير من علماء أهل السنة والجماعة فضلاً عن أن يكون حجة عند الشيعي، ومضافاً إلى أنّه يعلم أنّ سند الحديث ضعيف ومضافاً إلى كلّ ذلك أنّ قول الحسن البصري مخالف لما جاء من الروايات الصحيحة في مصادر القوم ممّا ورد عن أبي بكر وعمر كما تقدّم ولكن غفل عن أن هناك علماء أهل الخبرة لا يتركونه حسب ما يريد من الإضلال فهم يدافعون عن الدين بردّهم ويوضّحون للناس الحقائق، وبذلك يحمل الخزي العظيم في الدنيا والآخرة.

(١) لقد أخرج علماء أهل السنة والجماعة روايات كثيرة بأسناد صحيحة عن أبي بكر وعمر أنّهما رويا عن رسول الله صلى الله عليه وآله النصوص الصريحة الدالّة على أنّ الأولىٰ بالإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد تقدّم ذكر بعضها من المصنّف رحمه الله. ونحن نذكر هنا بعض هذه الروايات التي عثرنا عليها في مصادرهم إضافة لما ذكره رحمه الله.

ومن الطبيعيّ أنّ استقصاء هذه الروايات لا يمكننا في هذا المجال لكثرتها فنذكر بعضها من باب المثال لا الحصر رعاية للاختصار، فمنها: ما أخرجه ابن حجر العسقلاني بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت أبا بكر يقول: أيّها الناس عليكم بعليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ خير من طلعت عليه الشمس وغربت (لسان الميزان ج٦: ص٧٨ في ترجمة المغيرة بن سعيد البجلي).

ومنها: ما أخرجه العيني الحنفي شارح البخاري بسنده عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا سمع صوتاً خرج من النخلة قال صلى الله عليه وآله أتدرون ما قالت النخلة؟ قال أبو بكر: قلنا: الله

➔

➔

ورسوله أعلم قال ﷺ: صاحت: هذا محمّد رسول الله ﷺ ووصيّه علي بن أبي طالب (مناقب سيدنا علي للعيني: ص١٥ ح٤).

ومنها: ما أخرجه الطبري بإسناده عن ابن عباس قال:..... قال أبو بكر: يا عليّ ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: عليّ كمنزلتي (بمنزلتي) من ربّي (ذخائر العقبىٰ: ص٦٤ والرياض النضرة ج٢: ص١١٨ و ص٢٢) ورواه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: ص١٧٧ والعيني في مناقب سيّدنا علي: ص٣٩ وغيرهم.

ولا يخفى على الخبير ما في الحديث من الدلالة علىٰ أنّ جميع منازل رسول الله ﷺ عند الله يكون للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومنها الولاية الإلهيّة التي أعطاها الله تعالى لرسولهﷺ كما في قوله تعالى: **النّبيّ أَوْلَى بِالْمُؤْمنينَ منْ أَنفُسهمْ** (سورة الأحزاب: ٦) فإنّ هذه الآية الكريمة ذكرت أولويّة النبي ﷺ بالمسلمين بصورة مطلقه ومعنى ذلك أنّ النبي ﷺ أولىٰ بهم من أنفسهم في جميع الصلاحيات التي يمتلكها الانسان في حقّ نفسه من المسائل الاجتماعية والسياسية وغير ذلك، ولذلك يجب أن يقال: إنّ النبيﷺ أولىٰ بكلّ مسلم في جميع المسائل الفرديّة والاجتماعيّة والمسائل المتعلّقة بالحكومة وغيرها بصورة مطلقة.

ولا ينبغي العجب من هذه المسألة لأنّ النبي الأكرم ﷺ معصوم و وكيل لله سبحانه وتعالى فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً يكون كذلك بنصّ هذه الرواية التي رواها أبو بكر عن النبي ﷺ وقد أخرج الحريفيش هذا الحديث بلفظ آخر وفيه: إنّ أبا بكر قال: أنا لا أتقدّم على رجل قال في حقّه رسول الله ﷺ: إنّ علياً يجيء يوم القيامة و معه أولاده وزوجته فيقول أهل القيامة: أيّ نبيّ هذا؟ فينادي مناد: هذا حبيب الله، هذا عليّ بن أبي طالب (الروض الفائق في المواعظ والدقائق لشعيب بن عبد الله المعروف بالحريفيش: ص٢٦٧).

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر الدمشقي بسنده عن الحبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فقال: من كانت له عند رسول الله ﷺعدَة فليقم، فقام رجل، فقال: إنّه قد وعدني

🡐

←

ثلاث حثيات من تمر، فقال أبو بكر: أرسلوا إلى عليّ، فجاء فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إنّ هذا يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يجيء له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها، فقال أبو بكر: عدّوها، فوجدوا في كلّ حثية ستين تمراً لا تزيد واحدة على الأخرى، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار نريد المدينة ـ: يا أبا بكر كفّي وكفّ عليّ في العدل سواء (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٦٩).

ومنها: ما أخرجه المحب الطبري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب عليه السلام فتبسمّ أبو بكر في وجه علي عليه السلام فقال عليه السلام له: مالك تبسّمت؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز (ذخائر العقبى: ص٧١ والرياض النضرة ج٢: ص١٣٧) وأخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة: ص١٢٦ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٣: ص ٢٣٠ وغيرهم.

وأخرج الخطيب البغدادي ما هو قريب من هذا المضمون بسنده عن أنس بن مالك قال: قال أبو بكر عند موته: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلاّ بجواز من عليّ بن أبي طالب (تاريخ بغداد ج١٠: ص٣٥٧ في ترجمة عبيد الله بن لؤلؤ بن جعفر بن حمويه) ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٢: ص٤٠٣ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٤: ص٢٥٤ وابن حجر في لسان الميزان ج٤: ص١١١ وغيرهم.

واخرج ابن المغازلي ما قريب منه بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ يوم القيامة على الحوض، لا يدخل الجنّة إلاّ من جاء بجواز من عليّ بن أبي طالب (مناقب عليّ بن أبي طالب لابن المغازلي: ص١٢٠ ح ١٤٣).

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن أبي رافع قال: كنت قاعداً بعدما بايع الناس أبا بكر فسمعت أبا بكر يقول للعباس: أنشدك الله، هل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال صلى الله عليه وآله: يا بني عبدالمطلب، إنّه لم يبعث الله نبياً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله، فمن منكم ـ يقوم و ـ

→

➔

يبايعني علىٰ أن يكون أخي ووزيري ووصيي في أهلي؟ فلم يقم منكم أحد، فقال ﷺ: يا بني عبد المطلب، كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا أذناباً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ، فقام عليّ من بينكم، فبايعه علىٰ ما شرط له ودعا إليه، أتعلم هذا له من رسول الله ﷺ؟ قال العباس: نعم، (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٥٠) ورواه ابن قتيبة في مختلف الحديث وأخرج الطبري باسناده عن أبي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ أنّه كان عند أبي بكر إذ جاء عليّ والعباس، فقال العباس: أنا عمّ رسول الله ﷺ ووارثه وقد حال عليّ بيني وبين تركته، فقال أبو بكر: فأين كنت يا عبّاس حين جمع النبي ﷺ بني عبد المطلب و أنت أحدهم، فقال: أيّكم يؤازرني ويكون وصيي، وخليفتي في أهلي وينجز عدتي ويقضي ديني؟

فقال العباس: بمجلسك تقدّمته وتأمّرت عليه؟ (أي إن كان هكذا كما تقول: فلماذا تقدمت عليه وغصبت أمره؟!). فقال أبو بكر: أعذراً يا بني عبد المطلب؟ أي إنّكما أردتما بدعواكما هذه المصطنعة علىٰ إرث النبي ﷺ وتركته، أن تأخذوا منّي الإقرار و الاعتراف بحقّ عليّ وأولويّته للخلافة، وتحكموا عليّ بما اتفوّه به وأقوله بنفسي ولساني.... (المسترشد لابن رستم الطبري: ص١٧١).

ومنها: ما أخرجه الخوارزمي بسنده عن عثمان بن عفّان قال: سمعت عمر بن الخطّاب قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله تعالىٰ خلق من نور وجه عليّ بن أبي طالب ملائكة يسبّحون الله ويقدّسون الله، ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه و محبّي ولده (المناقب للخوارزمي: ص٣٢٩ فصل ١٩ ح ٣٤٨).

وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن عمر بن الخطاب قال: إنّ النبي ﷺ آخىٰ بين الناس وترك علياً حتّى بقي آخرهم لا يرىٰ له أخاً فقال عليّ: آخيت بين الناس وتركتني؟ قال ﷺ: ولم تراني تركتك؟ إنّي تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك فان ذاكرك أحد فقل أنا عبد الله و أخو رسوله لا يدّعيها بعدي الاّ كذّاب. ثمّ قال المحبّ الطبري أخرجه أحمد في المناقب (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٢٥).

➔

➔
ومنها: ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن عمر بن الخطاب أنّه رأىٰ رجلاً يسبّ علياًعليه السلام؛ فقال عمر: إنّي أظنك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ انّه لا نبيّ بعدي (تاريخ بغداد ج٧: ص٤٦٣ في ترجمة الحسن بن يزيد المؤذن) ورواه المحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١١٨ وقال أخرجه ابن السمان في مواقفه وأيضاً أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٦٧ وغيرهم.

وأخرج بهاء الدين القفطي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال عمر بن الخطاب: كنت أجفو علياً عليه السلام فلقيني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: آذيتني يا عمر ! فقلت: بأيش؟ قال صلى الله عليه وآله: تجفو علياً ! من آذىٰ علياً فقد آذاني فقلت: والله لا أجفوا عليّاً أبداً (الأنباء المستطابة: ص٦٤). ورواه الرافعي القزويني في التدوين في أخبار قزوين ج٣: ص٣٩٠ و غيره.

أقول: لابد لأهل السنة والجماعة أن يتأمّلوا في القسم بالله عزوجل من عمر بن الخطاب لأنّ إحراق باب دار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بيد عمر بن الخطاب من مسلّمات التاريخ، فكيف هو يعاهد النبي ويحلف قسماً بالله أن لا يجفو علياً ومع ذلك قد هجم على بيت أمير المؤمنين وأحرق باب داره، أهذا وفاء بالعهد واليمين؟!

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن عبد الله بن ضبيعة العبدري عن جدّه قال: أتىٰ عمر بن الخطاب رجلان سألاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع فقال: أيها الأصلع، ما ترى في طلاق الأمة فرفع رأسه إليه ثمّ أومأ إليه بالسبابة والوسطىٰ فقال له عمر تطليقتان فقال أحدهما: سبحان جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت علىٰ هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومأ اليك فقال لهما: ما تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال: هذا عليّ بن أبي طالب أشهد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: إنّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعتا في كفّة ثمّ وضع إيمان عليّ في كفّة ميزان لرجح إيمان عليّ (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٢٤١) ورواه ابن المغازلي
➔

➔

في مناقبه: ص٢٣٠ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص٢٠٦ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٣: ص٤٩٤ والخوارزمي في مناقبه: ص١٣١ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٢: ص١٨٨ وغيرهم.

ومنها: ما أخرجه القندوزي الحنفي بسنده عن عمر بن الخطاب انه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لو أنّ البحر مداد، والرياض أقلام، و الإنس كُتّاب، والجنّ حسّاب ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن (ينابيع المودة ج٢: ص٢٨٥).

ومنها ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس قال مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقّة المدينة فقال لي: يا ابن عباس، أظنّ أنّ القوم استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم، فقلت: والله ما استصغره الله إذ اختاره لسورة البراءة ـ مع عزل أبي بكر ـ يبلغها أهل مكّة فقال لي: الصواب تقول، والله لسمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول لعليّ بن أبي طالب: من أحبّك أحبّني ومن أحبّني أحبّ الله ومن أحبّ الله أدخله الجنّة (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص٤).

ومنها: ما أخرجه الكشفي بسنده عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول لعلي بن أبي طالب، من أحبّك يا عليّ كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانيّاً (الكوكب الدري: ص١٢٥ والمناقب المرتضوية: ص١١٧).

ومنها: ما أخرجه جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة من اعتراف عمر بن الخطاب بحديث الغدير وتهنئته للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنّه لمّا حضر المؤتمر العالمي يوم غدير خمّ في الحشو الجماهيري في غدير خمّ فلا جرم سمع خطبة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكاملها، ثمّ أمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يبايعوا عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فبايعه الناس ومنهم أبو بكر وعمر فقالا له بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنه وقد أخرج هذا الحديث جمع كبير من المحدّثين و المؤرّخين والمفسّرين من علماء أهل السنة والجماعة وقد ذكرها العلامة الأميني في كتابه الغدير ج١: ص٢١٤ ـ ٢٧٠) فراجع

➔

ومنها: ما مضى نقله وبيانه من فرية خبر صلاة أبي بكر بالناس فمستند الحسن البصري قد علم بهتانه[1].

→

ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل عن أبي بكر قال: إنّ النبي ﷺ بعثه بالبراءة لأهل مكّة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة وفيها ـ أيضاً ـ لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عرياناً ولا يدخل الجنّة إلاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه و بين رسول الله ﷺ مدّة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله.

فسار بها ثلاثاً متوجّهاً نحو مكّة، ثمّ قال ﷺ لعليّ: الحقه، فردّ عليّ أبا بكر. فلمّا قدم على النبي ﷺ أبو بكر قال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال ﷺ: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلاّ أنا أو رجل منّي (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٢ وج١: ص٧).

وإلى غير ذلك من الأحاديث والروايات، فانّها كثيرة جدّاً ولا يسعنا المجال لذكرها كما أنّه لا يسعنا المجال للاستشهاد والاستدلال بها على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ الخبير يعلم أنّ كلّ واحد من هذه الأحاديث يكفي للاستدلال علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ويكون ذلك باعتراف أبي بكر وعمر كما هو واضح ظاهر.

(١) لقد تقدّم البحث حول سند الحديث وثبت أنّ سند الحديث ضعيف بمحمّد بن الزبير الحنظلي البصري الذي ضعّفه علماء الرجال والتراجم من أهل السنة والجماعة، وكذلك بالمبارك بن فضالة بن أبي أمية، فإنّه أيضاً من الضعفاء والمتروكين كما تقدّم البحث في ذلك فلا نعيد الكلام فيه.

ومضافاً إلى أنّ حديث الحسن البصري لا ينسجم مع الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة وعلىٰ سبيل المثال: إنّ هذا الحديث يعارض الروايات المتواترة الدالّة علىٰ أنّ النبي الأكرم ﷺ جعل أبا بكر في جيش أسامة وأمره أن يخرج من المدينة ويكون في الجيش ويخرج معهم للحرب، وهذه الروايات من المسلّمات عند أهل السنة والجماعة، وإذا كان الأمر كذلك كيف أمكن لأبي بكر أن يحضر في المدينة ويصلي بالناس، فهل

←

ومنها: ما رووه من السنن الخاصّة التي دلّت على إمامة عليّ عليه السلام وولده عليهم السلام دون غيرهم من قريش. وبها خصّص ما دلّ على كون الخليفة

➔

يصحّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله يأمره بالجهاد خارج المدينة ثمّ يأمره بالصلاة في المسجد النبوي؟!

ثمّ إنّ بعض الروايات الواردة في صحيح البخاري تنصّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله عزل أبا بكر عن الصلاة وهو صلّىٰ مكانه (انظر صحيح البخاري ج١: ص١٦١ كتاب الصلاة باب حدّ المريض أن يشهد جماعة وكذلك في صحيح مسلم ج٢: ص٢١ كتاب الصلاة باب استخلاف إمام إذا عرض له عذر).

وكذلك مناقض لما ورد عن عمر بن الخطاب من أنّه قال حين ما سئل عمّن يستخلف: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبو بكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله صلى الله عليه وآله (انظر صحيح البخاري ج٨: ص١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

فإنّ هذا الحديث صريح في أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يستخلف. فكيف يدّعي الحسن البصري ذلك؟!

وأيضاً مناقض لما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: يؤمّ القوم أقرأهم لكتاب الله... (انظر صحيح مسلم ج٢: ص١٣٣ كتاب الصلاة باب من أحقّ بالإمامة).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كان سالم مولىٰ أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأوّلين وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر و أبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة... (صحيح البخاري ج٨: ص١١٥ كتاب الأحكام باب استقضاء الموالي و استعمالهم).

والمستفاد من الحديثين أنّ سالم مولىٰ أبي حذيفة كان أحقّ بالتقديم من أبي بكر لأنّ الملاك والمناط في تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله كون الأمام أقرأهم لكتاب الله عزوجل، وحيث إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قدّم سالماً على أبي بكر وعمر فمعناه أنّه كان أقرأ منهما، فكيف يجوز له أن يأمر أبا بكر بالصلاة مع وجود الأقرأ في الصحابة؟! فثبت أنّ ما رواه الحسن البصري بهتان على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

من قريش[١].

---

(١) هذه العبارة اشارة إلى حديث اثنى عشر خليفة وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصّة العامّة وقد رواه علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم وجوامعهم الحديثية وكتبهم المعتبرة بأسانيد متعددة وألفاظ مختلفة وهو قول النبي ﷺ لا يزال أمر أمتي قائماً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة... كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش)وقوله ﷺ: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً... كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش)

وقوله ﷺ: يكون اثنا عشر أميراً... كلّهم من قريش (صحيح البخاري ج٨: ص١٢٧ كتاب الأحكام باب قبل باب إخراج الخصوم)

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن مسروق قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله بن مسعود يقرؤنا القرآن فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال: عبد الله ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك قال: سألناه فقال: اثنا عشر، عدة نقباء بني إسرائيل (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٥٠١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة وطرقها متعدّدة تصل أسنادها إلى كبار الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري و أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله الأنصاري وجابر بن سمرة وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وعمّار بن ياسر و حذيفة بن اليمان وغيرهم.

قال ابن حجر المكّي: أخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يكون خلفي اثنا عشر خليفة... (إلى أن قال): قال الأئمة صدر هذا الحديث مجمع علىٰ صحته وارد من عدّة طرق أخرجه الشيخان و غيرهما... (الصواعق المحرقة: ص٢٠).

فالحديث من حيث السند في أعلىٰ درجة الاعتبار عند أهل السنة والجماعة بل إنّه من الأحاديث المتواترة عندهم وسيأتي تفصيل الكلام في هذا المجال إن شاء الله تعالى ←

ومنها: ما مضى التنبيه عليه من مشاقّات أبي بكر لله ورسوله ومثله عمر وعثمان ومخالفاتهم وتحريفاتهم للشريعة، القاضية ببعدهم وعدم لياقتهم

➔

في محله.

وأمّا من حيث الدلالة ففي دلالة هذه الأحاديث النقاط التالية:

١ـ حصر الخلفاء في اثني عشر.

٢ـ استمرار خلافة الاثنى عشر إلى يوم القيامة.

٣ـ توقّف عزّ الإسلام وأمّة رسول الله ﷺ ومنعتهما عليهم.

٤ـ إنّ قوام الدين علماً وعملاً يكون بهم، لأنّ قوامه العلمي بمفسّر الكتاب ومبيّن حقائقه ومعارفه، وقوامه العملي ينفّذ قوانينه وأحكامه العادلة، وهذان الفرضان المهمّان لا يتيسّران إلاّ بتحقّق شروط خاصّة في هؤلاء الأئمة الاثني عشر.

٥ـ إنّ اختياره ﷺ للتنظير بنقباء بني اسرائيل مع أنّ النظير للعدد متعدّد تنبيه علىٰ أنّ خلافتهم ليست بانتخاب من الناس، بل بتعيين من الله عزوجل إذ قد قال الله تعالىٰ: **وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا** (سورة المائدة: ١٢).

٦ـ إنّ هؤلاء الأئمة من قريش، فهل يوجد خلفاء فيهم هذه المزايا، إلاّ علىٰ المذهب الحق الشيعة الاثني عشرية؟

ومع ذلك كلّه فإنّهم رووا الروايات والأحاديث الصحيحة عن النبي الأكرم ﷺ أنّ المقصود بقريش هم بنو هاشم كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: بعدي اثنا عشر خليفة ... كلّهم من قريش (ينابيع المودة ج٢ : ص٣١٥ ثمّ إنّ هذه الروايات تخصّص بحديث الغدير وحديث المنزلة وحديث الثقلين وحديث الطير وغيرها من الأحاديث الصحيحة عند جميع أهل السنة والجماعة والتي تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسنذكر هذه الأحاديث والاستدلال بها على إمامته عليه السلام في محلّه إن شاء الله تعالى.

لهذه المنزلة الرفيعة[١].

---

(١) لا يخفى على الخبير والباحث في التأريخ والعلوم الإسلامية أنّ المخالفات والتحريفات والبدع التي ارتكبها الخلفاء الثلاثة في الدين والشريعة المحمّدية، كثيرة جدّاً وقد ذكرها علماء الإسلام في تأليفاتهم ونقلوها في صحاحهم وكتبهم المعتبرة ونحن نشير هنا إلى جانب يسير من تلك الموارد فمنها: مخالفتهم للكتاب والسنة النبوية في تخلّفهم عن جيش أسامة بن زيد، فإنّه قد أجمعت المصادر الإسلامية على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقد لأسامة بن زيد سريّة في أواخر عمره الشريف وأمر كبار الصحابة أن يلتحقوا به، قال ابن حجر: وكان ممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر و أبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص و... (انظر فتح الباري ج٨: ص١٢٤).

وقد تواترت الأخبار عن المؤرخين والمحدّثين أنّ الصحابة تثاقلوا في الالتحاق بجيش أسامة ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان (انظر المعيار و الموازنة للإسكافي: ص٢٢٤).

و أخرج أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه السقيفة وفدك بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته أمّر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيهي جلّة المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر و عمر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأمره أن يغير على مؤته حيث قتل أبوه زيد وأن يغزو وادي فلسطين فتثاقل أسامة وتثاقل الجيش بتثاقله، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه يثقل ويخفّ ويؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث حتّى قال له أسامة: بأبي أنت و أمّي أتاذن لي أن امكث أيّاماً حتّى يشفيك الله تعالى، فقال صلى الله عليه وآله: اخرج وسر على بركة الله، فقال: يا رسول الله إن أنا خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي قلبي قرحة، فقال صلى الله عليه وآله: سر على النصر والعافية، فقال: يا رسول الله إنّي أكره أن أسائل عنك الركبان، فقال: أنفذ كما أمرتك به، ثمّ أغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أسامة فتجهّز، فلمّا أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله سأل عن أسامة والبعث فأخبرهم أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلّف عنه. وكرّر ذلك... (السقيفة وفدك للجوهري: ص٧٧).

والسؤال الذي يتوجه إلى ابن تيمية وأتباعه هو أنّه ألم يكن أبا بكر وعمر و عثمان وأبا عبيدة

←

وحسب المنصف وجه من هذه الوجوه في معرفة فساد قول الحسن، فكيف بجمعها وغيرها معها ممّا مضى وممّا سيأتي بيانه[1].

➔

بن الجراح وطلحة والزبير والنخبة الباقية من المهاجرين والأنصار في من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله في الالتحاق بجيش أسامة؟ كيف تخلّفوا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله رغم إصرار رسول الله صلى الله عليه وآله بالإسراع في السير؟ وكيف تحمّل هؤلاء المتخلفون لعن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

ومن الواضح أنّ من شمله لعن الرسول يحقّ لكلّ مسلم أن يلعنه، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (سورة البقرة: ١٦١).

ثمّ إنّ القرآن الكريم نفىٰ الإيمان عن كلّ من يخالف الرسول في قوله تعالى: **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حتّى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثمّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مّمّا قَضَيْتَ وَيُسَلّمُواْ تَسْلِيمًا** (سورة النساء: ٦٥).

فأبو بكر وعمر وعثمان عصوا أمر الرسول وخالفوه، فهم مشمولون لهذه الآية الكريمة التي تنفي الإيمان عمّن خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

أضف إلى ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن المتخلّف عن جيش أسامة، و قد ثبت متواتراً أنّ أبا بكر وعمر وعثمان تخلّفوا عن جيش أسامة فهل يصحّ أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه لعن المؤمن؟ كلاّ ثمّ كلاّ.

وإذا كان الأمر كذلك كيف يمكن لأحد أن يصدّق الحسن البصري افترائه على رسول الله في قضية صلاة أبي بكر؟ فهذا مورد واحد من تلك الموارد الكثيرة التي يكفى الاستدلال بها على عدم لياقة أبي بكر وعمر وعثمان للخلافة، وهناك موارد أخرى لمخالفاتهم والتي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) وخلاصة الكلام أنّ ما نقله ابن تيمية عن الحسن البصري لايصحّ الاحتجاج به على

➔

→
الشيعة الإمامية، لأنّه ليس حجّة عندهم، والاحتجاج بلا حجّة غير مقبول عند العلماء.
أولاً: لأنّ الاحتجاج لا يصحّ إلاّ بما يكون حجّة عند الطرف المقابل، فإنّ قول الحسن البصري لا يكون حجّة عند علماء الشيعة كالعلاّمة الحلّي. فالاحتجاج بقول الحسن البصري في مقابل العلاّمة الحلي وكلّ الشيعة غير مقبول و غير صحيح.
وثانياً: لأنّ قول الحسن البصري لا يكون حجّة حتّى عند أهل السنة والجماعة؛ لأنّه من التابعين وقول التابعي كالصحابي وحده لا يكون حجة عند أهل السنة والجماعة كما تقدّم البحث في ذلك.
وثالثاً: لأنّ سند الحديث ضعيف بمحمد بن الزبير الحنظلي والمبارك بن فضالة وإذا كان السند غير معتبر لا يصحّ الاحتجاج بخبر ضعيف حتّى عند أهل السنة والجماعة.
ورابعاً: لأنّ ما نقله الحسن البصري مناقض لما ورد في الأخبار الصحيحة عند أهل السنة والجماعة، فإنّه قد ورد عنهم إقرار أبي بكر وعمر بعدم لياقتهما لمقام الإمامة والخلافة كما تقدّم بعض الأخبار في ذلك، وسيأتي البحث مفصلاً إن شاء الله تعالى.
وأيضاً لما ورد من إقرار الشيخين أبي بكر وعمر والتصريح بأولويّة الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بالإمامة والخلافة، وقد تقدّم ذكر بعض هذه النصوص وسيأتي البحث فيه إن شاء الله تعالى مفصّلاً.
وخامساً: لأنّ خبر الحسن البصري مناقض لما ورد في باب صلاة الجماعة، فإنّ الأخبار الواردة فيه تكذّب قول الحسن البصري، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقدّم الأقرأ، وقد تبيّن من خلال ما ورد من النصّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه قد قدّم على أبي بكر من هو أقرأ منه، ومعناه أنّ غير أبي بكر كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله أقرأ منه، فكيف يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله ما قاله في هذا المقام؟ وقد تقدّمت الاشارة إلى هذه روايات.
وأيضاً إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل أُمراء الجيوش أئمةً للجماعة حسب ما ورد في بعض نصوصهم فكان أبو بكر ممّن جعلهم تحت أمر بعض الصحابة كعمرو بن العاص وأسامة بن زيد وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم، فإنّ هؤلاء كانوا أحقّ بإمامة الجماعة من أبي
←

وتاسع عشرها: ما نقله عن عبد الله بن جعفر[1].

➔

بكر، كيف يقدّم عليهم من هو مأموم لهم؟

وخلاصة الكلام أنّ ما ذكره ابن تيمية في مقام الاحتجاج باطل عند جميع العلماء وحتّى عند علماء أهل السنة والجماعة.

بل إنّ مرجع كلامه الافتراء على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأنّه كان يعلم أنّ الحسن البصري إمّا أن يكون الخبر منسوب إليه كذباً أو أنّه كذب على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقبول الكذب على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عين تكذيب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(١) وهو أبو جعفر عبد الله بن جعفر أبي طالب بن عبد المطلب وأمّه أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث.

ولد في الحبشة في الهجرة الأولىٰ، وهو أوّل مولود ولد للمسلمين في أرض حبشة، إذ كان أبواه مهاجرين فيها.

وقدم مع أبيه وأمه إلى النبي الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في السنة السابعة من الهجرة وسكن المدينة وبايع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ونشأ في حجره.

وقد استشهد أبوه في معركة مؤتة السنة الثامنة من الهجرة فتكفلّه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعندما توفّي رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان له من العمر عشر سنين. ففي هذه المدّة تربّىٰ في بيت عمّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان منقطعاً إليه، حتّىٰ أنّه خرج مع الامام أمير المؤمنين والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم من المؤمنين في توديع أبي ذر الغفاري عندما نفاه عثمان إلى الربذة. وزوّجه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنته الحوراء زينب عقيلة بني هاشم، وعمل كاتباً عند الامام عَلَيْهِ السَّلَامُ أيّام خلافته في الكوفة، كما أنّه اشترك مع الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في معارك الجمل وصفين والنهروان وكان أحد أمراء الجيش في تلك المعارك.

وكذلك اشترك مع الإمامين الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في تغسيل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد استشهاده.

➔

فإنه من بيّن البهتان، فإنّه من ذوي الفضل والديانة والتقوى[(١)] كيف يتصوّر

➔

ولقد كان له مع معاوية بن أبي سفيان مواقف كثيرة في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام واحتجّ عليه بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله. وقام أيضاً بملازمة الإمام الحسن والحسين عليهما السلام بعد وفاة أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام واقتدىٰ بهما.

فكان عبد الله بن جعفر أكثر الناس موالاةً لأهل البيت عليهم السلام وكان سريع الجواب حاضر البديهة فصيحاً وافر الحشمة كثير العبادة يديم قراءة القرآن سيّداً عالماً عفيفاً حليماً جواداً كريماً سخيّاً حتّى قيل عنه قطب السخاء وبحر الجود، حتّى ذكروه في أجود العرب في الإسلام.

وعندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج إلى العراق قدّم أولاده فداءً لأبي عبد الله عليه السلام وبقي هو في المدينة بأمر الإمام الحسين عليه السلام لأنّ الإمام عليه السلام كان يعلم أنّ أُخته الحوراء زينب تقف بوجه بني أمية بعد استشهاده كما أنّ أمّه الزهراء عليها السلام وقفت أمام الغاصبين للخلافة، فكان الإمام عليه السلام يعلم أنّ بني أمية ينفونها خوفاً من الانقلاب عليهم إلى الشام، فأراد الإمام عليه السلام أن يكون معها رجل يحميها في الغربة، فأمره أن يبقىٰ في المدينة حتّى ترجع الأسرة، فقبل ذلك.

وخلاصة الكلام أنّ عبد الله بن جعفر من أهل بيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فهو كان يعرف الحقّ ويعرف أعداء أهل البيت وكان ممّن يوالي أهل البيت عليهم السلام توفّي في المدينة وكان عمره ناهز السبعين ودفن في مقبرة البقيع.

(١) إنّ عبد الله بن جعفر الطيار ابن أخ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان فذاً من أفذاذ الاسلام ومن الذين صحب النبي صلى الله عليه وآله ورافق بيته فهو ممّن قال تعالىٰ في حقه: **مَن يُطِعِ اللّهَ وَالرّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم** (سورة النساء: ٦٩) وكان منقطعاً إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و قد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون خلفاً صالحاً لأبيه. أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن جعفر في حديث طويل يذكر فيه كيفية شهادة أبيه... (إلى أن قال) وبعد شهادة أبي أخذني رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرة

➔

➔

وقال: أمّا عبد الله فشبيه خلقي وخُلقي. اللّهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٤٤)

وقد استجاب الله دعاء نبيّه فكان عبد الله من أتقىٰ الناس ورعاً ومن أثرىٰ الناس مالاً قال ابن حجر في الإصابة: إنّه أخرج ابن أبي الدنيا والخراطي بسند حسن إلى ابن سيرين قال: إنّ دهقاناً من أهل السواد كلّم ابن جعفر في أن يكلّم علياً في حاجة فكلّمه فيها فقضاها فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً فردّها و قال: إنّا لا نبيع معروفاً (الإصابة لابن حجر ج٤: ص٢٨).

فاذا كان عبد الله بن جعفر لا يبيع معروفاً كيف يبيع آخرته بدنياه ويكذب على الله ورسوله في مسألة الإمامة؟ فإنّ التاريخ أكبر شاهد علىٰ أنّ عبد الله بن جعفر كان ملازماً لعمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه كان أحد أمراء جيشه في الجمل وصفين والنهروان، فكيف يمكن أن يذكر في حقه ما هو مخالف لعقيدته.

قال ابن عبد ربّه الأندلسي: إنّ عبد الله بن جعفر كان كاتباً لعمّه الإمام الأمير المؤمنين فترة خلافته (انظر العقد الفريد ج٤: ص١٦٤).

وقد أخرج ابن قتيبة في الإمامة السياسة كتاباً لمعاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن جعفر يطلب منه التوجّه إليه وإن لم يتوجه إليه فيجبره على ذلك.

فكتب في جوابه ردّاً عليه، فلعمري لئن أجبرتني على ما تريد فقد أجبرناك أنت وآبائك على الإسلام حتّى دخلتم فيه كارهين غير طائعين... (الإمامة والسياسة ج١: ص١٥٥).

فمثل عبد الله بن جعفر في الإيمان والتقوىٰ لا يمكن تصديق الرواية المرسلة المكذوبة التي رواها عنه ابن عبد البر في الاستيعاب وهذا نص عبارته: وروّينا عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أنّه قال: ولّينا أبو بكر فخير خليفة، أرحمه بنا وأحناه علينا (الاستيعاب ج٣: ص٩٧٢).

فالحديث الذي نسبه ابن تيمية إلى عبدالله بن جعفر ليس له سند، بل رواية مرسلة، فلا اعتبار لها عند العلماء وهي مخالفة صريحاً لاعتقاد عبد الله بن جعفر، لأنّه كان من أهل البيت

🡐

في حقّه هذه الفرية المخالفة للسنن المعلومة لديه ولدى غيره وهو قد علم بأنّ الخليفة عمّه[(١)]،

➔

ومن أعداء الغاصبين للخلافة كما سنوضح ذلك من خلال المباحث الآتية.

(١) فإنّ النصوص الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ في امامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كثيرة جدّاً لا يمكن تحديدها واستقصاؤها وستمرّ عليك إن شاء الله في المباحث الآتية، وكلّها وردت عن الصحابة الذين عاصروا النبي ﷺ وأخذوا عنه الحديث مباشرة.

ونحن نكتفي هنا بذكر بعض ما تواترت صدوره عن النبي الأكرم ﷺ واتّفق علماؤهم بأصنافهم من المفسّر والمحدّث والمؤرّخ وأهل الأدب واللغة عليه ولم يخف على شيخ وشاب.

ومن تلك الأحاديث حديث الغدير الذي أصبح من الأحاديث المتواترة عند جميع المسلمين حتّى عند المتعصبين من أعداء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن قاسم عن عمر بن عبد الغفار أنّ أبا هريرة لمّا قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيّات بباب كندة ويجلس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه... قال: اللّهم نعم، قال: فأشهد بالله لقد واليتَ عدوّه وعاديتَ وليّه ثمّ قام عنه (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ٤: ص٩٨).

وقال ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري: وأمّا حديث من كنت مولاه فعليّ مولاه فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرف جدّاً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح و حسان... (فتح الباري ج ٧: ص٦١).

وقال الذهبي: وأمّا حديث من كنت مولاه، فله طرق جيّدة و قد أفردت ذلك أيضاً... (تذكرة الحفّاظ ج٣: ص١٠٤٣).

➔

←

وقال في ترجمة الحاكم النيسابوري: ... وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء وطرق حديث من كنت مولاه، وهو أصحّ، وأصحّ منها ما أخرجه مسلم عن علي قال: إنّه لعهد النبي الأمّي ﷺ: أنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق.... (سير أعلام النبلاء ج١٧: ص١٦٩).

وقد روى هذا الحديث أرباب الصحاح كمسلم بن الحجاج في صحيحه وغيره عن زيد بن أرقم وإليك نصّ الحديث عن الحاكم النيسابوري قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن، فقال: كأنّي قد دعيت فأجبت، وإنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله عزوجل مولاي وأنا مولىٰ كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه... (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٣: ص١٠٩).

فإنّ الملفت للنظر في هذا الحديث اهتمام النبي الأكرم ﷺ بإمامة الأمّة من بعده فإنّه ﷺ لم يقتصر على ما أكّد عليه في هذه الرواية بلزوم الاعتقاد بالإمامة بل بيّن فيها بأنّ مصير الأُمّة ترتبط بالإمامة، فإنّ ضلالة الأمّة وهدايتها مربوطة بهذه المسألة إلى يوم القيامة.

فالإمامة من أهمّ الأمور الدينية التي لا يمكن أن يغفل عنها، لأنها قضية أساسية ترتبط بمصير الأمّة.

ولذلك الشيعة يعتقدون بأنّ الإمامة لابدّ من إثباتها مفهوماً ومصداقاً بالأدلّة المتقنة من الكتاب والسنّة النبوية التي لا شك في حجيّتها عند كافة المسلمين، فلابدّ أن يكون الإمام منصوصاً عليه من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة المتّفق على اعتبارها عند جميع المسلمين كافّة.

ولذلك يستدلّون علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام بأصحّ الروايات عند المسلمين قاطبة. ومنها حديث الغدير وحديث الثقلين، وهما من أصحّ الأحاديث في الإسلام. وتقدّمت الإشارة إليهما وهما في غاية

→

وبأنّ أبا بكر ظلمه بأخذ هذه المنزلة منه[1] ؟ بل كيف يتصوّر في حق

➔

الوضوح حيث إنّ النبي الأكرم ﷺ أكّد فيها علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما أكّد عليه في مناسبات متعدّدة قبل حجّة الوداع وبعدها، ومنها في مرض وفاته حيث كان الصحابة مجتمعين عنده فأوصاهم بالقرآن والعترة بتعابير مختلفة.

فتارة بلفظ: «إنّي تركت فيكم الثقلين» (انظر مسند احمد بن حنبل ج٣: ص٢٦ والمستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٠٩).

وأخرىٰ بلفظ: «إنّي تركت فيكم الخليفتين» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص١٨٢ و ص١٨٩ والمصنّف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤١٨).

وثالثة بلفظ: «إنّي تارك فيكم الثقلين» (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص١٤ و ١٧ والمستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٨).

وفي بعضها «لن يفترقا» (انظر مسند أبي يعلىٰ الموصلي ج٣: ص٢٩٧ و ٣٧٦ ومسند أبي جعد: ص٣٩٧).

وفي بعضها: «لن تتفرقا» (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩).

وفي بعضها: «لا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم» (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٣: ص١٠٩).

ولا يمكننا توضيح هذه الجمل والمفردات؛ لأنّ فيها مباحث مفصّلة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

والمهمّ أنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي نشأ في بيت النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وسمع هذه الأحاديث والروايات النبوية كيف يمكن أن يخالف رسول الله ﷺ فلا شكّ أنّه كان يعتقد بإمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنّ النبي ﷺ أمره أن يعتقد بإمامته؟!

(١) إنّ ممّا يدلّ علىٰ ظلم أبي بكر وعدم لياقته للخلافة إظهار الندم منه علىٰ توليته للخلافة في عدّة مرات:

➔

←

منها: ما رواه المحدّثون والمؤرّخون بأسناد صحيحة عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت علىٰ أبي بكر أعوده فاستوىٰ جالساً ثمّ قال عبد الرحمن له: ما أرىٰ بك بأساً والحمد لله، فلا تأس علىٰ الدنيا، .... فقال أبو بكر: إنّي لا آسىٰ علىٰ شيء إلاّ علىٰ ثلاث، وددت أنّي لم أفعلهنّ، وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب، وددت أنّي يوم السقيفة كنت قد قذفت الأمر في عنق أبي عبيدة أو عمر فكان أميراً وكنت وزيراً... (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص٢٠٣ والمعجم الكبير للطبراني ج١: ص٦٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج٢: ص٤٧ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٣٠: ص٤٢٢ وميزان الاعتدال للذهبي ج٣: ص١٠٩ في ترجمة علوان بن داود الجبلي وتاريخ الطبري ج٢: ص٦١٩ ومروج الذهب للمسعودي ج٢: ص٣٠١ وغيرها من المصادر).

وقد جاء هذا النصّ في كتاب أبي عبيد وهو كتاب «الأموال» وهو أبو عبيد قاسم بن سلام المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ أحد الفقهاء الكبار عند أهل السنة والجماعة، وقد اشتهر بكتابه «الأموال» وطبع هذا الكتاب غير مرّة، وبه زاح الستار عن وجه بعض الحقائق منها قضيّة ندم أبي بكر (انظر إلى كتاب الأموال: ص١٩٣ ـ ١٩٤ طبع مكتبة الكليات الأزهرية).

ومنها: ما ورد عن أبي بكر أيضاً من أنّه ارتقىٰ منبر رسول الله ﷺ يوماً بعد بيعة السقيفة وقال في خطبته: أيها الناس فإنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني... (انظر صفوة الصفوة ج١: ص٩٨). ورواه ابن هشام في سيرته ج٤: ص٢٤٠ والطبراني في تاريخه ج٢: ص٢٠٣ وابن قتيبة في عيون الأخبار ج٢: ص٢٣٤ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص١٦٧ وابن كثير في تاريخه ج٥: ص٢٤٨ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٤٧ وغيرهم.

فإنّ اعترافه بوجود من هو خير منه وعدم لياقته لمنصب الخلافة واضح وصريح لا يمكن إنكاره، أليس من تصدّى لمقام وهو لايليق به فقد ظلم حقّ من كان لائقاً بذلك المقام وأيضاً في حقّ من حكم عليهم؟ فإنّ غصب الخلافة ظلم لجميع الناس وهناك أدلّة تدلّ

←

عبدالله التفوّه بهذه الفرية وهو قد علم بأنّ من يغضب الله لغضبها قد ماتت وهي غضبى على أبي بكر[1]

→

على هذا المعنى بوضوح، وإليك بعضها:

ومنها: ما روي عن أبي بكر أنّه قال عند موته: ليتني كنت طيراً في القفار وآكل من الثمار وأشرب من الأنهار وآوي إلى الأشجار ولم أولّ الناس فدخل عليه الثاني فقال: هذا أوردني الموارد (الصراط المستقيم ج٢: ص٢٢٩).

ومنها: ما روي عن الواقدي أنّه قال حدثنا عبد الله بن جعفر عن ابن عوف قال: قال أبو بكر: قد علمت أنّي داخل في النار أو واردها فليت شعري هل أخرج منها أم لا؟ (المسترشد: ص٣١٦).

أقول: هذه الرواية الأخيرة عن عبد الله جعفر ينقل عن أبي بكر الذي اعترف أنّه في النار، فهل يعقل أنّ عبد الله بن جعفر يتولّىٰ من يعترف أنّه في النار؟!

(١) لقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن عائشة أنّها قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله عن ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله.... فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة علىٰ أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، و صلّىٰ عليها وكان لعليّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة فلمّا توفّيت استنكر علىٰ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته و لم يكن يبايع تلك الأشهر... (صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورث)

فإنّ لفظ وجدت بمعنىٰ غضبت كما جاء ذلك في كتب اللغة قال صاحب لسان العرب: ووجد عليه في الغضب يجُد يجِدُ وجْداً وجِدَة وموجدة ووِجداناً أي غضب (لسان العرب ج٣: ص٤٤٦).

←

➔
والحديث ظاهر بل صريح في أنّ غضبها بلغت إلى أنّها أوصت بأن تدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحد ولا يصلّي عليها أبو بكر، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر، وصلّىٰ عليها الإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام. وهو الذي غسّلها مع أسماء بنت عميس (انظر الاستيعاب لابن عبد البرّ ج٤: ص١٨٩٨).

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبية: ثبت عندنا أنّ علياً كرم الله وجهه دفنها ليلاً، وصلىٰ عليها، ومعه العباس والفضل، ولم يعلموا بها أحداً (السيرة الحلبية ج٣: ص ٣٦٠ ـ ٣٦١).

وأخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن عائشة أنّها قالت: دفنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً، دفنها عليّ ولم يشعر بها أبو بكر حتّى دفنت وصلّىٰ عليها علي بن أبي طالب (المستدرك علي الصحيحين ج٣: ص١٦٢).

وفي رواية الطبري: ولم يعلم بها، ولم يحضر دفنها، ولا صلّىٰ عليها أحد من سائر الناس (دلائل الامامة: ص١٢٦).

والى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام الدالّة علىٰ غضب الزهراء عليها السلام من أبي بكر.

فأهل السنة والجماعة بهذه الأدلّة والروايات الصحيحة عندهم أمام احتمالين لا ثالث لها:

فإمّا أن يكون أبو بكر عندهم هو الخليفة الواجب الطاعة فتكون فاطمه الزهراء سلام الله عليها التي أخبر الله تعالى بعصمتها في آية التطهير ماتت ميتة جاهلية (نستجير بالله)

وإمّا أنّ فاطمة لم تمت ميتة جاهلية، فيكون أبو بكر ليس بخليفة، بل يكون غاصباً للخلافة وهذا هو الاحتمال الصحيح على جميع مباني علماء أهل السنة والجماعة؛ لأنّ مدلول هذه الأدلّة والروايات الصحيحة أنّه غضبت فاطمة وهي التي يكون غضبها موجباً لغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وغضب رسول الله صلى الله عليه وآله موجب لغضب الله عز وجل كما ورد في الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة والجماعة فأبو بكر الذي هو من المغضوب عليهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله كيف يمكن أن يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وأيضاً كيف يمكن أنّ عبد الله بن جعفر يترك أمير المؤمنين عليه السلام ويتولّىٰ الغاصب للخلافة الذي هو مغضوب الله ورسوله؟!

حسبما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما من كتبهم المعتمدة[١]؟

---

(١) فإنّ الروايات الواردة في أصح كتب القوم صريحة في أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام ماتت وهي غضبىٰ علىٰ أبي بكر منها ما أخرجها البخاري بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر... (صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب الخمس، باب فرض الخمس).

ومنها: ما أخرجها مسلم في صحيحة بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة... فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة علىٰ أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت ودفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً و لم يؤذن بها أبا بكر، وصلّىٰ عليها عليّ.... (صحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الأنفال باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه صدقة).

ومنها: ما أخرجها أحمد بن حنبل في مسنده سنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة. فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت. وعاشت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة أشهر.... (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٦).

ومنها: ما أخرجها الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: إنّ فاطمة عليها السلام جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّي لا أورث! فقالت عليها السلام: والله لا أكلّمكما أبداً، فماتت ولا تكلّمهما (سنن الترمذي ج٤: ص١٥٧ ـ ١٥٨ ح ١٦٠٩ كتاب السير باب ما جاء في تركة رسول الله).

ومنها: ما أخرجها ابن قتيبة في الإمامة والسياسة في حديث طويل... أنّ عمر بن الخطاب قال ←

➔

لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ﷺ؟ إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه و تفعلان به؟ قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ.

فقالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني لئن لقيت النبي ﷺ لأشكونّكما إليه... ثمّ انتحب أبو بكر يبكي فقالت فاطمة: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها... (انظر الإمامة وسياسة لابن قتيبة ج١: ٢٠)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام.

قال ابن أبي الحديد: إنّه وردت الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالتواتر أنّها (أي فاطمة الزهراء عليها السلام) أوصت بأن تدفن ليلاً حتّى لا يصلّي الرجلان عليها وصرّحت بذلك وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استاذنا عليها في مرضها ليعوداها فأبت أن تأذن لهما، فلمّا طالت عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أن يستأذن لهما وجعلاها حاجة إليه وكلّمها عليه السلام في ذلك وألحّ عليها فأذنت لهما في الدخول ثمّ أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلّمهما، فلمّا خرجا قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: هل صنعت ما أردت؟ قال: نعم: قالت: فهل أنت صانع ما آمرك به؟ قال: نعم قالت: فإنّي أنشدك الله ألا يصلّيا علىٰ جنازتي ولا يقوما علىٰ قبري.

وروي أنّه عفىٰ قبرها ورشّ أربعين قبراً في البقيع ولم يرش قبرها حتى لا يهتدى إليه....

➔

فالتي هذه منزلتها عند الله وهي سيّدة نسوة أهل الجنّة[(١)]

➔

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص٢٨١).

وقال ابن قتيبة: وقد طالبت فاطمة عليها السلام أبا بكر بتراث أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا لم يعطها إياه حلفت لا تكلّمه أبداً وأوصت أن تدفن ليلا لئلا يحضرها فدفنت عليها السلام ليلاً (تأويل مختلف الحديث: ص٣٠٠).

وقال ابن عبد البر: فاطمة عليها السلام أوّل من غطي نعشها في الإسلام وكانت أشارت على زوجها أن يدفنها ليلاً (الاستيعاب ج٤: ص١٨٩٨).

وقال النووي: وأوصت أن تدفن ليلاً ففعل عليّ ذلك ونزل قبرها والعباس والفضل بن العباس (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج٢: ص٣٥٣ رقم ٧٥٥)، وإلى غير ذلك من الروايات والأقوال في هذا المجال.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحة بسنده عن عائشة أنّها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشي النبيّ صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله: مرحباً يا بنتي ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثمّ أسرّ إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟

ثمّ أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قبض النبي صلى الله عليه وآله فسألتها؟ فقالت: أسرَّ إليّ أنّ جبريل كان يعارضني القرآن كلّ سنّة مرّة وأنّه عارضني العام مرّتين، ولا أراه إلاّ حضر أجلي، وإنّكِ أوّل أهل بيتي لحاقاً بي. فبكيت فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنّة أو نساء المؤمنين فضحكت (صحيح البخاري ج٤: ص١٨٣ كتاب المناقب باب علامات النبوة).

وأخرج مسلم في صحيحة بسنده عن عائشة أنّها قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله فلم يغادر منهنّ امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: مرحباً بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثمّ أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثمّ إنّه سارّها فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى

🡐

قد ظلمها ابن أبي قحافة ولم يسترضها حتّى ماتت وهي غضبى عليه[1]

➔

إذا قبض سألتها؟ فقالت: إنّه كان حدّثني أنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ عام مرّة وإنّه عارضه في العام مرّتين ولا أراني إلاّ قد حضر أجلي وإنّك أوّل أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك. فبكيت لذلك ثمّ إنّه سارّني فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمّة فضحكت لذلك (صحيح مسلم ج٧: ص١٤٢ كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله).

وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المناقب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٩ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأخرج الترمذي بسنده عن حذيفة قال (في حديث): فأتيت النبي صلى الله عليه وآله .... فقال النبي صلى الله عليه وآله هذا ملك لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلّم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة (سنن الترمذي ج٥: ص٢٢٦ ح ٣٨٧٠).

وأخرج أيضاً بسنده عن أم سلمة قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثمّ حدّثها فضحكت، قالت: فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها عن بكائها وضحكها، قالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يموت فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي سيدة نساء أهل الجنّة... فضحكت (سنن الترمذي ج٥: ص٣٦٨ ح ٣٩٨٥)، والى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون.

(١) إنّ من الحقائق المؤلمة التي تهزّ الأركان وتحرّك الوجدان وتوقظ مشاعر كلّ انسان منصف هي الحقيقة التي لا مناص لأهل السنة والجماعة من الاعتراف بها وهي أنّ أبا بكر ظلم الزهراء عليها السلام واغتصب حقّها. ويكفي لإثبات ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم من الروايات التي تكشف الحقيقة.

فها هو البخاري ومسلم يعترفان بأنّ أبا بكر يصدّق أيّ واحد من الصحابة العاديين في ادّعائه ويكذّب فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنّة ومن شهد لها الله بإذهاب الرجس عنها

➔

➔
وطهّرها تطهيراً، وكذلك يكذّب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أبرز المصاديق المذكورة في آية التطهير. وإليك ما أخرجه البخاري ومسلم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: لمّا مات النبي صلى الله عليه وآله جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي فقال أبو بكر: من كان له على النبي صلى الله عليه وآله دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا قال جابر: فقلت: وعدني رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعطيني هكذا و هكذا وهكذا فبسط يديه ثلاث مرات قال جابر: فعد في يدي خمسمائة ثمّ خمسمائة ثمّ خمسمائة (صحيح البخاري ج٣: ص١٦٣ كتاب الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد).

وأخرجه مسلم في صحيحه ج٧: ص٧٦ كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً قطّ فقال: لا، وكثرة عطائه)

فرغم أنّهما أخرجا هذا الحديث الذي مدلوله تصديق الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري، فقد أخرجا بسندهما عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسّم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: قال: لا نورث ما تركناه صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر... (صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب الخمس باب فرض الخمس) و أخرجه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٣ كتاب الأنفال باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه صدقة).

فمع أنّ الشيخين البخاري ومسلم اختصرا الحديث لئلا تنكشف الحقيقة للباحثين حيث إنّ ادّعاء فاطمة عليها السلام هي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطاها فدك نحلة في حياته لا أنّها من الإرث كما قال الفخر الرازي في تفسيره: وهذا نصّ عبارته: فلمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله ادّعت فاطمة عليها السلام أنّه كان ينحلها فدكاً، فقال أبو بكر: أنت أعزّ الناس عليّ فقراً وأحبّهم إليّ غنى، لكنّي لا أعرف صحّة قولك، ولا يجوز أن أحكم بذلك، فشهد لها أم أعين و مولى للرسول عليه السلام، فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم
➔

➔

يكن... (تفسير الفخر الرازي ج٢٩: ص٢٨٤) فمع غضّ النظر عن هذا التحريف الواضح من البخاري ومسلم كعادتهما في موارد القدح للصحابة لا سيما عند ورود القدح للخلفاء فإنّ ما روایاه في المقام كاف للاحتجاج عليهما؛ لأنّ الرواية صريحة في أنّ أبا بكر كان يقبل قول كلّ صحابيّ ولم يقبل قول الزهراء عليها السلام.

وهل من سائل يسأل أبا بكر لماذا صدّقت جابر بن عبد الله الأنصاري في ادّعائه بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وعده أن يعطيه هكذا وهكذا وهكذا فيملأ أبو بكر يده ثلاث مرات بما قدره ألف وخمسمائة بدون أن يطلب منه شاهداً واحداً علىٰ ادّعائه؟ وهل كان جابر بن عبد الله أتقىٰ وأبرّ من فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء أهل الجنّة؟ (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٨٣ كتاب المناقب باب علامات النبوة).

وأغرب من كل ذلك ردّ شهادة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيراً. فإنّ أبا بكر لم يطلب من جابر الشاهد على دعواه ولكن طلب من الزهراء سلام الله عليها، وعندما شهد لها أمير المؤمنين عليه السلام ردّ شهادة المولىٰ الذي هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ آية المباهلة. انظر أيّها المسلم إلى هذه التصريحات والأحكام والتصرّفات من الخليفة بشأن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ثمّ إنّ الحديث الذي ادّعاه أبو بكر هو: نحن معاشر الأنبياء لا نورث إلاّ العلم والحكمة يضرب بعضه بعضاً؛ لأنّه اذا كان الأنبياء يورثون العلم والحكمة ليس المال فإنّ فاطمة عليها السلام بنص هذا الحديث هي التي ترث علم النبي صلى الله عليه وآله وحكمته، وبالتالي تكون مطالبتها بالإرث حجّة علىٰ الخليفة بوصفها أعلم بدين رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ الحديث الذي رواه أبو بكر نفسه.

وأيضاً يترتّب عليه أنّه إذا كانت فاطمة وعلي عليهما السلام يرثان العلم والحكمة من النبي صلى الله عليه وآله فلماذا منعوا من ميراثهم هذا العلم والحكمة، وابعدوهم عن الإمامة والخلافة؟!

إذ لوصحّ هذا الحديث يكون حجّة لالهم بل عليهم فهل لأبي بكر أن يجيب عن هذاالسؤال؟

➔

➔

ثمّ إنّ البخاري أخرج في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها (صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة عليها السلام).

وإذا كان رسول الله ﷺ يغضب لغضب بضعته الزهراء ويتأذّىٰ بأذاها فمعناه أنّ الزهراء عليها السلام معصومة عن الخطأ، وإلاّ لما جاز للنبيّ ﷺ أن يقول مثل هذا، لأنّ الذي يرتكب معصية يجوز إيذائه وإغضابه مهما علت منزلته، لأنّ الشرع الإسلامي لا يراعي قريباً و لا بعيداً، وإذا كان الأمر كذلك فمعناه أنّ أبا بكر آذىٰ رسول الله ﷺ لأنّ صريح ما جاء في صحيح البخاري أنّ غضب الزهراء عليها السلام مساوق لغضب رسول الله ﷺ وصريح صحيح مسلم أنّ إيذاء الزهراء عليها السلام مساوق لإيذاء رسول الله ﷺ.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ من آذىٰ فاطمة فقد آذىٰ رسول الله ﷺ ويشمله قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** (سورة الأحزاب: ٥٧) فاللعن الوارد في الآية الكريمة بمعنى الطرد عن رحمة الله وهو في مقابل الرحمة والصلوات التي وردت في الآية السابقة عليها تماماً فصريح تلك الآية أنّ الله تعالى و ملائكته يصلّون علىٰ النبي ﷺ وقد ورد في تفسير الآية الكريمة في صحيح البخاري عن كعب بن عجزة قال: قيل لرسول الله ﷺ فقد عرفنا السلام عليك. فكيف الصلاة؟ قال: قولوا: اللّهم صل على محمّد وآل محمّد كما صلّيت علىٰ آل ابراهيم إنّك حميد مجيد (صحيح البخاري ج٦: ص٢٧ كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب).

فأولاً، إنّ المستفاد من القرآن الكريم وما جاء في صحيح البخاري أنّ أبا بكر قد آذى من صلّى عليهم الله وملائكته

وثانياً قد شمله اللعن من الآية الثانية حيث أن إيذائه لأهل البيت و فاطمة الزهراء و الإمام أمير

➔

فكيف يصدق المخبر عن سيرته[(١)] معها[(٢)] و مع غيرها بأنّه رحيم بها[(٣)] وبغيرها من قومها[(٤)]؟

←

المؤمنين عليها السلام موجب لإيذاء الرسول، صلى الله عليه وآله وإيذاء الرسول موجب لغضب الله عز وجل، ومن يغضب عليه الله فقد شمله اللعن، ويدخل ضمن الآية الكريمة واللعن والطرد التي وردت في الآية بأسوأ أنواع اللعن وأنواع العذاب.

فمعنى قوله صلى الله عليه وآله يؤذيني ما آذاها إشارة إلى الآية الكريمة أي أنّ من يؤذي الزهراء يشمله اللعن الغليظ من الله و ملائكته كما أنّ قوله صلى الله عليه وآله من أغضبها فقد أغضبني إشارة إلى قوله تعالى: **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** (سوره طه: ٨١) و معنى «هوى» السقوط في الدرك الأسفل لأنّ السقوط هنا السقوط الرتبي وهو البعد عن قرب الله والطرد عن رحمته؛ لأنّ من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أغضب الله ومن أغضب الله فقد باء بغضب منه وعذاب أليم.

وقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت حين رأت رسول الله صلى الله عليه وآله غضبان: فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار.... (صحيح مسلم ج٤: ص٢٤ كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام) وقال النووي في شرح الحديث: أمّا غضبه صلى الله عليه وآله فلانتهاك حرمة الشرع وتردّدهم في قبول حكمه وقد قال الله تعالى: **وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا...** (شرح صحيح مسلم ج٨: ص١٥٥) إذن إنّ المستفاد ممّا جاء في القرآن والحديث أنّ إيذاء فاطمة وغضبها سبب لغضب الربّ جلّ وعلا.

(١) أي: سيرة أبي بكر...

(٢) أي: مع الزهراء عليها السلام...

(٣) أي: رحيم بالزهراء عليها السلام...

(٤) إنّ ممّا لا ريب فيه عداوة أبي بكر لكافّة أهل البيت كما أنّ كتب الحديث والتأريخ

←

➔

مشحونة بذلك.

والظاهر من الروايات أنّ أبا بكر وعمر وطلقّاء قريش كانوا متحالفين على هدفهم المنشود قبل وفاة رسول الله ﷺ، وقد أبرزوه بكلّ الوضوح بعد ما أغمض رسول الله ﷺ عينيه وارتحل إلى الرفيق الأعلىٰ، فأسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة واثنان من الأوس و صفّقوا على يد أبي بكر ليكون خليفة رسول الله ﷺ في حين أنّ مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم وشيعتهم كانوا مشغولين بتجهيز جنازة رسول الله ﷺ وعندما سمع المولىٰ عليه السلام بذلك أخبر أصحابه بأنّ الأمّة قد وقعت في فتنة عظيمة وابتلت بالاختلاف والتفرّق والتمزّق بين المسلمين المؤدي إلى تهلكة النفوس وانتشار الفساد والظلم بين المسلمين فاجتمع بنو هاشم وشيعتهم في بيت الإمام عليه السلام فأعلنت طلقاء قريش تأييدهم لأبي بكر وقاموا بمهاجمة بيت آل الرسول وأنصارهم وهدّدوهم بالقتل و إحراق البيت إن لم يبايعوا.

ونحن نكتفي من الأحداث الكثيرة التي وقعت أيّام وفاة النبي ﷺ بما في رواية ابن قتيبة وهو من أئمة السنة، قال في كتابه الإمامة و السياسة: أنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ كرّم الله وجهه فبعث إليهم عمر، فجاء، فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها علىٰ من فيها! فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن!

فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً... فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً، فأتىٰ عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولىٰ له: اذهب فادع لي عليّاً، قال: فذهب إلى عليّ فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله !

فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله ﷺ؟! فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه،

➔

➔

فقل له خليفة رسول الله يدعوك لتبايع!

فجاءه قنفذ، فأدّىٰ ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله، لقد ادّعىٰ ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكىٰ أبو بكر طويلا، ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافة. فلمّا سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع، وأكبادهم تنفطر. وبقي عمر و معه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: أن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذن والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك!

فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله، فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم وأمّا أخو رسول الله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه علىٰ شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليّ بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي:

يابن أم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

فقال عمر لأبي بكر، انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا علىٰ فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله ﷺ و الله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقىٰ بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله ﷺ؟ إلا أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه و تفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت

🡐

أما درىٰ عبدالله بن جعفر بما فعله ابن أبي قحافة[(١)] بمن باهل خير

←

النبيّ صلى الله عليه وآله لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها. ثمّ خرج باكياً... (الإمامة والسياسة ج١: ص١٩ ـ ٢١) و هناك عشرات المصادر تؤيّد هذه الرواية فإذا كان أبو بكر قد غصب حقّ أهل البيت عليهم السلام علىٰ رؤوس الأشهاد كيف يعقل أن ينسب إلى عبدالله بن جعفر الذي تربّى في بيت أهل البيت عليهم السلام أن يكون في زمرة من أغضب الله ورسوله ممّن غصبوا حقوق أهل البيت عليهم السلام.

(١) إنّ من أهمّ الأمور التي بيّنها التاريخ هو ظلم أبي بكر للصدّيقة الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

وقد ورد في مصادر الفريقين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطى فدك لبضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في حياته. وقد ذكر السيوطي في الدُّرّ المنثور، في تفسير قوله تعالى: **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** (سورة الإسراء: ٢٦) أنّه روىٰ ابن عباس وأبو سعيد الخدري وغيرهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك (الدر المنثور ج٤: ص٣٢٠). فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله كما هو صريح القرآن والتاريخ. وأخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق:.... أنّه حاصر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل خيبر في حصنهم، الوطيح والسلالم، حتّى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيّرهم ويحقن لهم دمائهم، ففعل. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حاز الأموال كلّها، الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلاّ ما كان من ذينك الحصنين، فلمّا سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ففعل وكان ممّن مشى، فلمّا نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعاملهم بالأموال على النصف وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على النصف علىٰ أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم،

←

البشر[(١)]

➔

وصالحه أهل فدك علىٰ مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنّهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.... (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص١٥ وكذلك في تفسير الآية ٦ من سورة المحشر) وعندما نزلت قوله تعالى: وَآتِ ذا القُرْبى حَقَّهُ آية ... (سورة الإسراء: ٢٦) فأعطاها رسول الله ﷺ لفاطمة. والقصّة مشهورة رواها العامّة والخاصّة.

وفي القضية المعروفة عن موقف عمر بن عبد العزيز والمأمون في ردّ فدك إلى ولد الزهراء عليها السلام تتوضّح هذه الواقعة أكثر وضوحاً لأنّ القضية وصلت إلى مرحلة اعترف خلفاؤهم بذلك. ذكر الجوهري: أنّه روي أنّه ردّها بغلاّتها منذ ولي، فقيل له نقمت علىٰ أبي بكر فعلها، فطعنت عليها ونسبتهما إلى الظلم والغضب، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء؟ قال عمر بن عبد العزيز: قد صحّ عندي وعندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ادّعت فدك وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله ﷺ مع شهادة عليّ وأم أيمن وأم سلمة وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي وإن لم تقم البينة؟ وهي سيّدة نساء أهل الجنّة. فأنا اليوم أردّها علىٰ ورثتها، أتقرّب بذلك إلى رسول الله ﷺ، و أرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين يشفعون لي في يوم القيامة. ولو كنت بدل أبي بكر وادّعت فاطمة كنت أصدّقها علىٰ دعواها. فسلّمها إلى محمّد بن علي الباقر عليه السلام ... (انظر السقيفة للجوهري ص١٤٨).

وأقول: وهل يمكن أنّ عمر بن العزيز يعلم من كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ أنّ الحقّ مع فاطمة وأنّ أبا بكر قد ظلمها ولكن لا يعلمه عبد الله بن جعفر الذي تربّىٰ في بيت رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام؟!

(١) لقد روىٰ علماء أهل السنة والجماعة بطرق عديدة و أسناد صحيحة حديث (عليّ خير البشر) نذكر هنا ما تيسّر منها في هذه العجالة ونحيل بعدها إلى القارئ الكريم، فقد روىٰ الخطيب البغدادي بسند حسن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

➔

➔

قال رسول الله ﷺ: عليّ خير البشر فمن امترى فقد كفر (تاريخ بغداد ج٧: ص٤٣٣).

وروى ابن عساكر بسنده صحيح عن خيثمه بن سليمان عن حذيفة بن اليماني قال: قال رسول الله ﷺ: عليّ خير البشر من أبى فقد كفر (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧٢).

وروى أحمد بن حنبل في كتابه الفضائل بسنده عن عطية بن سعد العوفي قال: دخلنا على جابر بن عبد الله الأنصاري وقد سقط حاجباه على عينيه فسألناه عن عليّ كرم الله وجهه، فقلت: أخبرنا عنه، قال: فرفع حاجبيه بيديه فقال: ذلك من خير البشر (الفضائل ج٢: ص٥٦٤ ح ٩٤٩) ورجال هذا الحديث كلّهم ثقات وعدول عند أهل السنة والجماعة، وحتّى عطية العوفي قال ابن سعد في الطبقات: وكان ثقة وله أحاديث صالحة (انظر الطبقات ج٦: ص٣٠٤).

وروى أحمد بن حنبل أيضاً بطريق آخر عن ابن الزبير قال: قلت لجابر بن عبد الله الأنصاري: كيف كان عليّ فيكم؟ قال: ذلك خير البشر، ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم إياه (انظر الفضائل ج٢: ص٦٧١).

وروى ابن حبان بسند صحيح عن سالم بن أبي الجعد قال: سئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن عليّ؟ فقال: ذلك خير البشر، من شكّ فيه فقد كفر (كتاب الثقات لابن حبان ج٩: ص٢٨١).

وروى ابن عساكر بسند صحيح في تاريخه عن الأعمش عن عطاء قال: سألت عائشة عن عليّ رضي الله عنه فقالت: ذلك خير البشر لا يشكّ فيه إلاّ كافر (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٧٤).

وروى أبو داود الزهاوي كما في ميزان الاعتدال أنّه سمع شريكاً يقول: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر (ميزان الاعتدال ج٢: ص٢٧١).

وقد قال الذهبي في حقّ شريك: الحافظ الصدوق، أحد الأئمّة (ميزان الاعتدال ج٣: ص٢٧٠ رقم الترجمة ٣٦٩٧).

هذه جمله يسيره عن الروايات الصحيحة التي وردت في كتب أهل السنة والجماعة ولو أردنا

➔

بهم النصارى[(١)]، وبمن طهّرهم الله سبحانه من الرجس[(٢)]،

أن نستقصي جميع ما ورد بهذا المضمون لطال بنا المقام فاكتفينا بهذا المقدار إشارة إلى كثرة رواية هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأثر الذي جرى على ألسنة الصحابة.

وهناك أحاديث وأخبار كثيرة وردت بهذا المضمون أو قريب من ذلك بطرق كثيرة لا يبعد استفادة التواتر منها وقد جمعها صاحب إحقاق الحقّ في كتابه القيّم ج ٤: ص ٢٥٤ وذكر له خمسة وسبعين طريقاً، فللباحثين أن يراجعوا الكتاب والمصادر التي جائت فيه.

(١) لعلّ هذه الجملة إشارة إلى ما جاء في رواية أبي الزبير المكي: يا معشر الأنصار... وإليك نصّ الحديث: قال أبو الزبير المكي: رأيت جابراً متوكّئاً على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم، وهو يقول: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر، يا معشر الأنصار أدّبوا أولادكم على حبّ عليّ، فمن أبى فانظروا في شأن أمّه (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣: ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

وقريب منه في كتاب المصنّف لابن أبي شيبة ج٧: ص ٥٠٤ و الرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج٣: ص ١٩٨، وغيرهم.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى آية التطهير وما ورد في شأن نزولها و هي قوله تعالى: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (سورة الأحزاب: ٣٣) وقد نزلت كراراً ومراراً كما يظهر من روايات أهل السنة، وذلك للتأكيد على عصمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم العظيم عند الله عزوجل فيظهر من روايات أهل السنة والجماعة أنّها نزلت مرّة في بيت أمّ سلمه كما أخرج الترمذي بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة و حسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعليٌّ خلف ظهره فجلّلهم بكساء ثمّ قال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً. قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنت على خير

➔

(سنن الترمذي ج٥: ص٣٠).

ومرّة في بيت عائشة كما أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (صحيح مسلم ج٦: ص١٤٥ كتاب الفضائل باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ).

قال الفخر الرازي بعد ذكر هذه الرواية: اعلم أنّ هذه الرواية كالمتفق علىٰ صحتها بين أهل التفسير والحديث (تفسير الفخر الرازي ج٨: ص٨٥).

ومرّة في بيت صفيّة، فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: لمّا نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا لي ادعوا لي، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين. فجيء بهم فألقىٰ عليهم النبي ﷺ كسائه، ثمّ رفع يديه، وقال: اللّهم هؤلاء آلي، فصلّ على محمّد وآل محمد. فأنزل الله عزوجل **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٨) هذا الحديث يدلّ على أنّ الآية نزلت بعد ما ألقىٰ النبي ﷺ كسائه على أهل بيته عليهم السلام و عيّنهم بأنّهم المقصود من الآية الكريمة.

ثمّ إنّ الملفت للنظر هو أنّ الراوي لهذه الواقعة هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي نسب إليه بعض أعداء الدين أنّه روىٰ حديث صلاة أبي بكر فإنّ مثل عبد الله بن جعفر الذي تربّىٰ في بيت النبي ﷺ والذي روىٰ هذا الحديث لا يذكر ما يناقض هذا الحديث. فهذا الحديث يكذّب ادّعاء أعداء أهل البيت وما نسبوا إلى عبد الله بن جعفر، لأنّ النبي الأكرم ﷺ مع وجود أهل بيته الذين هم في درجة النبي ﷺ في العصمة والكمال لا يمكن أن يقول مثل عبد الله بن جعفر تركهم ومال إلى أعدائهم مع ما ورد في فضله حتّى عند أهل السنة والجماعة، بل وهذا الأمر بعيد عن الأفراد العاديين فضلاً عن عبد الله بن

🡐

وبمن حبّهم إيمان وبغضهم نفاق[1] ؟ حيث بعث عمر وجماعة معه بالنـار

➔

جعفر، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما وردت من النصوص الإسلامية بمضامين متقاربة من أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام علامة الإيمان وبغضهم علامة الكفر والنفاق. وتتجلّى ذلك بقرائة الأحاديث الواردة في حبّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره علامة لحبّ أهل البيت عليهم السلام ومن تلك النصوص ما رواه ابن حجر بسنده عن سلمان الفارسي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: لا يؤمن رجل حتّى يحبّ أهل بيتي فقال عمر بن الخطاب: وما علامة حبّ أهل بيتك؟ قال صلى الله عليه وآله: هذا وضرب بيده علىٰ عليّ (الصواعق المحرقة: ص٨٨) ورواه الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص٢٣٣ وغيره.

ومن هنا يعرف أنّ التأكيد علىٰ محبّة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام هو تأكيد على محبة أهل البيت عليهم السلام وتمسّك بهم واقتداء بآثارهم.

من تلك النصوص ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك قال: والله الذي لا اله إلاّ هو لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام (تاريخ بغداد ج٥: ص١٧٧ في ترجمة أحمد بن محمد بن جوري أبو الفرج العكبري) ورواه السيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص١٨٢ ح٥٦٣٣.

قال المناوي في شرح الحديث: أي: حبّه علامة يعرف المؤمن بها يوم القيامة... (فيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٤: ص٤٨١).

ومن تلك النصوص ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عمّار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ يا عليّ طوبىٰ لمن أحبّك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٣: ص١٣٥) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٣ وأبو يعلي الموصلي في مسنده ج٣: ص١٧٩ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١٩١ وغيرهم.

ومن تلك النصوص ما رواه الخوارزمي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول

🡐

والحطب إلى بيتهم ليحرقوهم لو لم يبايعوه[1]، بعد علمه بأنّ الخليفة عليه

➔

الله ﷺ: إنّ الله لمّا خلق السماوات والأرض دعاهنّ فأجبنه فعرض عليهنّ نبوّتي وولاية عليّ بن أبي طالب فقبلتاهما، ثمّ خلق الخلق وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقيّ من شقي بنا، نحن المحلّون لحلاله والمحرّمون لحرامه (المناقب للخوارزمي: ص١٣٥) والى غير ذلك ممّا ورد في أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام علامة الإيمان والسعادة وبغضهم علامة الكفر والشقاء.

(١) لقد أجمعت المصادر الإسلامية علىٰ أنّ أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى بيت الزهراء عليها السلام مع جماعة من الطلقاء ليأخذوا من المولىٰ أمير المؤمنين عليه السلام البيعة وأمرهم أن يضرموا على البيت النار إن لم يبايعوا، فأقبل عمر بن الخطاب مع جماعة بقبس من النار علىٰ أن يضرم على بيت الزهراء عليها السلام النار، فتلقّته فاطمة فقالت له: يابن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة (انظر العقد الفريد ج٤: ص٢٥٩ وتاريخ أبي الفداء ج١: ص١٥٦ وأعلام النساء ج٤: ص١٤).

ولمّا وصل عمر بن الخطاب إلى بيت الزهراء عليها السلام قال لهم: لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: إنّ فيها فاطمة، قال: وإن. (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٣ والإمامة والسياسة ج١: ١٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص١٣٤).

وقال الطبري: أتىٰ عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٢).

وقال البلاذري: إنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس فتلقّته فاطمة عليها السلام على الباب، فقالت فاطمة: يابن الخطاب أتراك محرّقاً عليّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوىٰ فيما جاء أبوك (أنساب الأشراف ج٢: ص٢٦٨).

وقال أبو بكر الجوهري: جاء عمر إلى بيت فاطمة عليها السلام في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم! فخرج

➔

➔

إليه الزبير مصلتاً بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره، ثمّ أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبا بكر... (السقيفة: ص٧٣).

وقال ابن عبد ربّه الأندلسي تحت عنوان: الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر: عليّ والعباس والزبير وسعد بن عبادة (فقال): فأمّا عليّ والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فتلقّته فاطمة عليها السلام، فقالت: يا ابن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت في الأمّة (العقد الفريد ج٤: ص٢٥٩ ط دار الكتب العربي بيروت وج٥: ص١٢ ؟ نشر دار الكتب العلمية).

وقال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنّما أراد بذلك إلاّ تنتشر الكملة، ولا يختلف المسلمون وأن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم، لمّا تأخّروا عن بيعة أبي بكر، فإنّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار (مروج الذهب ج٢: ص٨٦ ط السعادة القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٦٤ م ولا توجد في الطبعات الأخيرة جملة: (كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم...) فإنّ يد التحريف قد أسقطها منها).

وقال الشهرستاني: عن إبراهيم بن يسار بن هاني النظام: قال: إنّ عمر بن الخطاب كان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (كتاب الملل و النحل ج١: ص٥٧).

وقال أبو الفداء عماد الدين إسماعيل: إنّ أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى عليّ ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة عليها السلام وقال: أن أبوا عليك فقاتلهم ! فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار فلقيته فاطمة عليها السلام وقالت: إلى أين يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟!

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمّة (المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج١: ص١٥٦).

➔

وعلى سائر الخلق الذي يجب مبايعته ومتابعته هو عليٌّ عليه السلام دونه ودون غيره من الناس[(١)] و مسألة حمل النار والحطب بأمره لحرق أهل بيت

←

وقال شاعر النيل حافظ ابراهيم تحت عنوان عمر وعليّ:

وقولـــه لعلـــيّ قالهـــا عمـــر	أكـــرم بـــسامعها أعظـــم بملقيهـــا
حرّقـــتُ دارك لا أبقـــي عليـــك بهـــا	إن لـم تبـايع وبنـت المـصطفى فيهـا
ما كان غير أبي حفص يفوه بهـــــا	أمام فارس عدنـــــــان وحاميهـــا

(انظر الغدير ج٨: ص٨٥).

وجاء في هامش الديوان المذكور ما يلي: يشير هذه الأبيات إلى امتناع عليّ عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة، و تهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمرّ على امتناعه، وكان فيه زوجة علي فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله (انظر ديوان حافظ إبراهيم ج١: ص٨٢).

وقال الدكتور عبد الفتاح عبد المقصود: أقبل الرجل (عمر بن الخطاب) محنقاً مندلع الثورة علىٰ دار عليّ وقد ظاهره معاونوه ومن جاء بهم، فاقتحموها أو أوشكوا على اقتحام، فإذا جاء وجه كوجه رسول الله صلى الله عليه وآله يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، وفي عينيه لمعات دمع، وفوق جبينه عبسة غضب فائر، وحنق ثائر.... وتوقف عمر من خشية و راحت دفعته شعاعاً، وتوقّف خلفه ـ أمام الباب ـ صحبه الذين جاء بهم، إذ رأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته الزهراء عليها السلام وغضّوا الأبصار، من خزي أو من استحياء...

ثمّ ولّت عنهم عزمات القلوب، وهم يشهدون فاطمة عليها السلام تتحرّك كالخيال، وئيداً وئيداً بخطوات المحزونة الثكلىٰ فتقترب من ناحية قبر أبيها صلى الله عليه وآله... تهتف بمحمّد صلى الله عليه وآله الثاوي بقربها تناديه باكية مريرة البكاء يا أبت يا رسول الله هكذا يفعل بحبيبتك؟!... (المجموعة الكاملة الإمام عليّ بن أبي طالب ج١: ص١٩٠).

(١) وبعبارة أوضح: إنّ عبد الله بن جعفر تربّىٰ في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام

←

➔

فيعرف أهل البيت عليهم السلام أكثر من بقية الصحابة كما يعرف أعدائهم أكثر من بقية الصحابة، إذ أنّه لمس الحقيقة علىٰ واقعها، والذي يعرف الحقيقة عن بصيرة لا يقبلها أبداً إذ لا يمكن أن يتصوّر أنّ الإنسان المؤمن الذي يعتقد بالله تبارك وتعالى وبما جاء من قبل الله ويعرف الحقّ حقّ معرفته يترك الحقيقة ومن أجل وضوح الأمر في المقام نذكر هنا ما ورد في شخصية عبدالله بن جعفر. وإليك نموذج ممّا وقع في حياته، قال عبد الله بن جعفر، كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين عليهما السلام وعنده عبد الله بن العباس، فالتفت إليّ معاوية فقال: يا عبد الله ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين عليهما السلام؟ ! وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك، ولولا أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لقلت ما أمّك أسماء بنت عميس بدونها. فقلت: والله إنّك لقليل العلم بها وبأبيها وبأمها بل والله لهما خير منّي وأبوها خير من أبي وأمّها خير من أمّي. يا معاوية إنّك لغافل عمّا سمعته أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيها وفي أبيها وأمّها قد حفظته ووعيته ورويته. قال: هات يابن جعفر فو الله ما أنت بكذّاب ولا متّهم، فقلت: إنّه أعظم ممّا في نفسك. قال: وإن كان أعظم من أحد وحراء جميعاً فلست أبالي إذ قتل الله صاحبك وفرّق جمعكم وصار الأمر في أهله فحدّثنا فما نبالي بما قلتم ولا يضرّنا ما عدمتم.

قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل عن هذه الآية: « **وَمَا جَعَلْنَا الرّؤيَا الّتي أَرَيْنَاكَ إلاّ فِتْنَةً لّلنّاسِ وَالشّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ** » فقال: إنّي رأيت اثني عشر رجلا من أئمة الضلالة يصعدون منبري وينزلون، يردّون أمتي علىٰ أدبارهم القهقرىٰ وسمعته يقول: إنّ بني أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولا ومال الله دولاً.

يا معاوية إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول علىٰ المنبر وأنا بين يديه وعمرو بن أبي سلمة وأسامة بين زيد وسعد بن أبي وقّاص وسلمان الفارسي وأبو ذرّ والمقداد والزبير بن العوام وهو يقول: ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، أولىٰ به من نفسه وضرب بيده على منكب عليّ فقال: اللّهم وال من

➔

➔

والاه وعاد من عاداه، أيّها الناس أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، وعليّ من بعدي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر، ثمّ ابني الحسن أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر، ثمّ عاد فقال: أيها الناس إذا أنا استشهدت فعليّ أولىٰ بكم من أنفسكم فإذا استشهد عليٌّ فابني الحسن أولىٰ بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد الحسين فابني عليّ بن الحسين أولىٰ بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام فقال: يا عليّ إنّك مستدركه فاقرأه منّي السلام، فإذا استشهد فابني محمّد أولىٰ بالمؤمنين منهم بأنفسهم ومستدركه أنت يا حسين فأقرأه منّي السلام، ثمّ يكون في عقب محمّد رجال واحد بعد واحد وليس منهم أحد إلاّ وهو أولىٰ بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر، كلّهم هادون مهتدون.... (إلى أن قال) فقال معاوية يابن جعفر لقد تكلّمت بعظيم، ولئن كان ما تقول حقّاً لقد هلكت أمّة محمد صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت و أولياءكم وأنصاركم؟ فقلت: والله أنّ الذي قلت حقّ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال معاوية: يا حسن ويا حسين ويا بن عباس ما يقول ابن جعفر؟ فقال ابن عباس: إن كنت لا تؤمن بالذي قال فأرسل إلى الذين سمّاهم فاسألهم عن ذلك.

فأرسل معاوية إلى عمرو بن أبي سلمة والى أسامة بن زيد فسألهما، فشهدا أنّ الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما سمعه، فقال معاوية: يابن جعفر قد سمعناه في الحسن والحسين وفي أبيهما فما سمعت في أمّهما؟

ومعاوية كالمستهزئ والمنكر، فقلت: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس في جنّة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربّي من منزلي، ومعي ثلاثة عشر من أهل بيتي؛ أخي عليّ بن أبي طالب وابنتي فاطمة الزهراء وابناي الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً هداة مهتدون، وأنا المبلّغ عن الله وهم المبلّغون عنّي، وهم حجج الله علىٰ خلقه وشهداؤه في أرضه علىٰ علمه و معادن حكمته من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصىٰ الله لا تبقىٰ الأرض طرفة عين إلاّ

➔

➔

ببقائهم ولا تصلح إلاّ بهم. يخبرون الأمّة بأمر دينهم حلالهم وحرامهم، يدلّونهم على رضا ربّهم وينهونهم عن سخطه بأمر واحد ونهي واحد ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع، يأخذ آخرهم عن أوّلهم إملائي وخطّ أخي عليّ بيده، يتوارثونه إلى يوم القيامة، أهل الأرض كلّهم في غمرة وغفلة وتيه وحيرة غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم. لا يحتاجون إلى أحد من الأمّة في شيء من أمر دينهم والأمّة تحتاج إليهم، هم الذين عنى الله في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله ﷺ فقال: **أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**.

فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عباس والفضل بن العباس وعمرو بن أبي سلمة وأسامة بن زيد فقال: كلّكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا نعم قال: يا بني عبد المطلب إنّكم لتدّعون أمراً عظيماً وتحتجّون بحجج قوية إن كانت حقاً. وإنّكم لتضمرون على أمر تسرّونه والناس عنه في غفلة عمياء، ولئن كان ما يقولون حقاً لقد هلكت الأمّة، وارتدّت عن دينها وتركت عهد نبينا بخيركم أهل البيت، ومن قال بقولكم فأولئك في الناس قليل.

فقلت: يا معاوية إنّ الله تبارك وتعالى يقول: « **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** » ويقول: « **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** » ويقول: **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** » ويقول لنوح: « **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ** ».

يا معاوية: المؤمنون في الناس قليل، وإنّ أمر بني اسرائيل أعجب حيث قال السحرة لفرعون: « **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا** » فآمنوا بموسىٰ وصدّقوه، واتبعوه، فسار بهم وبمن تبعه من بني إسرائيل فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب وهم يصدّقون به وبالتوراة، يقرّون له بدينه، فمرّ بهم على قوم يعبدون أصناماً لهم فقالوا: **يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** » ثمّ اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعاً غير هارون وأهل بيته وقال لهم السامري: « **هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى** ».

←

➔

قال لهم بعد ذلك: « ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدّسَةَ الّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ » فكان من جوابهم ما قصّ الله في كتابه « إنّ فِيهَا قَوْمًا جَبّارِينَ وَإِنّا لَن نّدْخُلَهَا حَتّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنّا دَاخِلُونَ » قال موسى عليه السلام: « رَبّ إِنّي لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ »

فأخذت هذه الأمّة ذلك المقال سواء وقد كانت فضائل و سوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومنازل منه قريبة مقرّين بدين محمّد والقرآن حتّى فارقهم نبيّهم صلى الله عليه وآله فاختلفوا وتفرّقوا وتحاسدوا وخالفوا إمامهم ووليّهم حتّى لم يبق منهم علىٰ ماعاهدوا عليه بنبيّهم غير صاحبنا الذي هو من نبيّنا صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى ونفر قليل لقوا الله عزوجل على دينهم وإيمانهم، ورجع الآخرون القهقرىٰ على أدبارهم كما فعل أصحاب موسىٰ عليه السلام باتّخاذهم العجل وعبادتهم إياه، وزعمهم أنّه ربّهم وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته.

ونبيّنا صلى الله عليه وآله قد نصب لأمّته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خمّ وفي غير موطن واحتجّ عليهم به وأمرهم بطاعته وأخبرهم أنّه بمنزلة هارون من موسىٰ وأنّه وليّ كلّ مؤمن بعده وأنّه كلّ من كان وليّه فعليّ وليّه، و من كان أولى به من نفسه فعليّ أولىٰ به، وأنّه خليفته فيهم ووصيّه وأنّ من أطاعه أطاع الله ومن عصاه عصىٰ الله ومن والاه والى الله ومن عاداه عادىٰ الله، فأنكروه وجهلوه وتولّوا غيره يا معاوية أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين بعث إلى مؤتة أمّر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثمّ قال: إن هلك جعفر فزيد بن حارثة، فإن هلك زيد فعبد الله بن رواحة ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم؟

أفكان يترك اُمّته لا يبيّن لهم خليفته فيهم؟ بلىٰ والله ما تركهم في عمياء ولا شبهة، بل ركب القوم ما ركبوا بعد نبيّهم، وكذبوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فهلكوا وهلك من شايعهم وضلّوا وضلّ من تابعهم، فبعداً للقوم الظالمين.

فقال معاوية: يا بن عباس إنّك لتتفوّه بعظيم الاجتماع عندنا خير من الاختلاف وقد علمت أنّ الأمّة لم تستقم على صاحبك.

➔

←

فقال ابن عباس: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما اختلفت أمّة بعد نبيها إلاّ وظهر أهل باطلها على أهل حقّها، وإنّ هذه الأمّة اجتمعت على أمور كثيرة ليس بينها اختلاف ولا منازعة ولا فرقة؛ شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ والصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحجّ البيت وأشياء كثيرة من طاعة الله ونهي الله مثل تحريم الزنا والسرقة وقطع الأرحام والكذب والخيانة، واختلفت في شيئين؛ أحدهما: اقتتلت عليه وتفرّقت فيه وصارت فرقاً يلعن بعضها بعضاً ويبرأ بعضها من بعض.

والثاني: لم تقتتل عليه و لم تتفرّق فيه ووسع بعضهم فيه لبعض وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما يحدث زعمت أنّه ليس في كتاب الله ولا سنّة نبيه ﷺ وأمّا الذي اختلفت فيه و تفرّقت وتبرّأت بعضها من بعض فالملك والخلافة، زعمت أنّها أحقّ بها من أهل بيت نبيّ الله ﷺ. فمن أخذ بما ليس فيه ـ بين أهل القبلة ـ اختلاف وردّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله فقد سلم ونجا من النار، ولم يسأله الله عمّا أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلف فيهما، ومن وفّقه الله ومَنّ عليه ونوّر قلبه وعرّفه ولاة الأمر ومعدن العلم أين هو فعرف ذلك كان سعيداً ولله وليّاً وكان نبيّ الله ﷺ يقول رحم الله عبداً قال حقّاً فغنم أو سكت فلم يتكلّم.

فالأئمة من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومنزل الكتاب ومهبط الوحي ومختلف الملائكة لا تصلح إلاّ فيها، لأنّ الله خصّها و جعلها أهلاً في كتابه على لسان نبيه ﷺ فالعلم فيهم وهم أهله وهو عندهم كلّه بحذافيره باطنه وظاهره ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

يا معاوية إنّ عمر بن الخطاب أرسلني في إمرته إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّي أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث إلينا ما كتبت من القرآن.

فقال: تضرب عنقي والله قبل أن تصل إليه، قلت: ولم؟ قال: إنّ الله يقول: « **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** » يعني لا يناله إلاّ المطهّرون. إيّانا عنى، نحن الذين أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً وقال: « **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** » فنحن الذين اصطفانا الله من عباده ونحن صفوة الله ولنا ضرب الأمثال وعلينا نزل الوحي فغضب عمر

→

الرسول ﷺ من المطالب المعروفة المعلومة لديهم بنقل جماعات من

➔

وقال: إنّ ابن أبي طالب يحسب أنّه ليس عند أحد علم غيره، فمن كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتنا به. فكان إذا جاء رجل بقرآن فقرأه ومعه آخر كتبه وإلا لم يكتبه يكتبه.

فمن قال يا معاوية إنّه ضاع من القرآن شيء فقد كتب هو عند أهله مجموع. ثمّ أمر عمر قضاته وولاته فقال: اجتهدوا لأيّكم واتبعوا ما ترون أنّه الحقّ، فلم يزل هو وبعض ولاته قد وقعوا في عظيمة، فكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخبرهم بما يحتجّ به عليهم وكان عمّاله وقضاته يحكمون في شيء واحد بقضايا مختلفة، فيجيزها لهم؛ لأنّ الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب. وزعم كلّ صنف من أهل القبلة أنّهم معدن العلم، والخلافة دونهم فبالله نستعين علىٰ ما جحدهم حقّهم وسنّ للناس ما يحتجّ به مثلك عليهم. ثمّ قاموا فخرجوا (كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص ١٩٠ ح ٤٧ وبحار الأنوار ج ٤٤: ص٩٧).

فإنّ هذا الحديث وإن كان منقولاً في المصادر الشيعية إلاّ أنّ كلّ ما فيه من مسلّمات التاريخ والاستدلالات القرآنية والروايات المتّفق علىٰ صحّتها لدى جميع المسلمين والاستدلالات العقلية والبرهانية المقبولة عند الكلّ.

والمهمّ أنّ عبد الله بن جعفر له مواقف كثيرة مشابهة لهذا الموقف مع أعداء أهل البيت قد أبدىٰ اعتقاده الراسخ في قبال خلفاء الجور، ووقف أمام الخلافة والسلطة الغاصبة وأيضاً له مواقف مشهورة مع معاوية و عمرو بن العاص في دفاعه عن عمّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم نذكره رعاية للاختصار، كما أنّه واسىٰ ابن عمّه الحسين عليه السلام بولده عون ومحمد وعبد الله في مجزرة كربلاء على يد يزيد بن معاوية وجلاوزته ولمّا كان الإمام الحسين عليه السلام طلب منه أن يبقىٰ في المدينة بقي بأمر إمام زمانه، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أنّ بني أميه سوف ينفون زينب سلام الله عليها من المدينة إلى الشام فأراد الإمام أن يكون عبد الله حامياً لها في بلاد الغربة التي كانت مسخّرة لأعداء أهل البيت وهل يمكن لمثل هذا الرجل أن ينسب الكذب إلى رسول الله ﷺ ؟! كلا ثمّ كلا.

عمد مشيّدي طريقتهم مثل ابن جرير الطبري في تاريخه[١] وابن أبي شيبة[٢] وابن قتيبة[٣]، وصاحب العقد الفريد[٤] وغيرهم[٥]. وسيأتي التعرض لجماعة منهم.

فعلم من هذه النبذة بهتان هذه النسبة إلى عبدالله بن جعفر[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٢.

(٢) كتاب المصنّف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٣٢ ح ٣٧٠٤٥.

(٣) الإمامة والسياسة ج١: ص١٩.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج ٥: ص ١٣ ط نشر دار الكتب العلمية و ج ٤: ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ط دار الكتب العربي بيروت

(٥) انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج٢: ص ٢٦٨ و كتاب السقيفة وفدك للجوهري: ص ٧١ و ٥٠ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج٦: ص ٤٨ و ج٢: ص ٥٦ و مروج الذهب للمسعودي ج٢: ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ و الملل و النحل للشهرستاني ج١: ص ٥٩ و المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء الشامي ج١: ص ١٥٦ و مسند فاطمة للسيوطي: ص ٢٠ و ٢١ ح ٢١ و كنز العمّال للمتّقي الهندي ج٥: ص ٦٥١ ح ١٤١٣٨ و البدء والتاريخ للمقدسي ج٥: ص ٢٠ و فرائد السمطين للحمويني الجويني ج٢: ص ٢٤ ـ ٢٥ ح ٣٧١ و ميزان الاعتدال للذهبي ج١: ص ١٢٩ و أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج ٤: ص ١٤ وغيرها من المصادر الاسلامية.

(٦) لا شك أنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من جملة الشخصيّات المعروفة في التاريخ الإسلامي و هو أحد الأصحاب المقرّبين من أئمة الشيعة. أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله و روى عنه وكان ذات منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام و قد تربّى في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته إذ استشهد أبوه في معركة مؤتة السنة الثامنة من الهجرة وكان له من العمر عشر سنين فتكفّله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أخر حياته، ثمّ لازم عمّه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام و كان منقطعاً إليه، فخرج مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والحسن

←

العشرون: ما نقله عن عبدالله بن جعفر من سماعة من معاوية بن قرّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف أبابكر. فإنّه من غريب و عجيب البهتان

➔

والحسين عليهما السلام وغيرهم من المؤمنين في توديع أبي ذر الغفاري عندما نفاه عثمان إلى الربذة.

وزوّجه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنته زينب الكبرى عقيلة بني هاشم و عمل كاتباً عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته كما اشترك مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في معارك الجمل و صفين و نهروان وكان أحد أمراء الجيش في تلك المعارك.

وكذلك اشترك مع الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في تغسيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد استشهاده.

وكانت له مع معاوية مواقف كثيرة في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام ومناظرات سجّلها التاريخ.

وقام أيضاً بملازمة الإمام الحسن والامام الحسين عليهما السلام بعد وفاة أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام واقتدى بهما.

وأمر ابنيه عوناً و محمداً بالسير مع الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء و بقي هو في المدينة بأمر من الإمام عليه السلام لمصالح ما و منها الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام عندما رجعوا من كربلاء لأنّ بيوتهم قد فرغت من الرجال. ثمّ إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أنّ أخته الحوراء زينب عليها السلام تقف بوجه بني أميه كأمّه الزهراء التي وقفت أمام الغاصبين للخلافة وأنّ الحكومة الأموية لا تكفّ أذاها عن ابنة أمير المؤمنين عليه السلام فأراد الإمام عليه السلام أن يكون عبدالله بن جعفر حامياً لها، و لذلك عندما طلب يزيد الحوراء زينب إلى الشام لتكون تحت النظر من جانب حكومته فكان عبد الله بن جعفر حاضراً عندها يساعدها في هذه المهمّة والجهاد ضدّ بني أميّة.

وعلى كّل تقدير فإنّ عبد الله بن جعفر كان من أقرب الناس بأهل البيت عليهم السلام. فلا ينسب إليه هذه الفرية العظيمة التي نسبها ابن تيمية إليه، فلاحظ.

ووساوس الشيطان [١]، فإنّ عبدالله بن جعفر من صغار الصحابة. قال ابن عبد البرّ في استيعابه [٢]، وخاتمة حفّاظهم في إصابته: روى عن النبيﷺ وكان له من العمر عشر سنين حين توفّي النبيﷺ وروى عن جماعة من الصحابة وعن عمّه عليعليه السلام و غيره [٣].

---

(١) لا شكّ أنّ ما نسبه ابن تيمية إلى عبد الله بن جعفر و قوله إنّ معاوية بن قرّة سمع منه هذا الخبر كذب محض لايوجد في المصادر الإسلامية وإنّما هو من مختلقات ابن تيمية. وبإمكان كلّ باحث أن يبحث في جميع الكتب فيجد قطعاً كذب هذا الرجل و افترائه على عبد الله بن جعفر بالبحث في كتب التاريخ و الحديث والسيرة والرجال و غيرها من المصادر الإسلامية، لاسيما في عصرنا الحاضر مع توفير أجهزة التحقيق ووجود الأقراص الكمبيوترية الحاوية للكتب المدمجة فيها، فكلّ باحث يمكنه الوصول إلى النتيجة بأسرع وقت وأدقّ صرة.

فلا شكّ أنّ كلّ باحث بعد الرجوع إلى المصادر والبحث عمّا قاله ابن تيمية يذعن بأنّ ابن تيمية لا يبالي من الكذب والافتراء على صحابة رسول اللهﷺ في سبيل إغواء الآخرين. وإن كان الباحث يرى ذلك في كلماته بأقلّ مراجعة إلى كتبه ومباحثاته حيث إنّه لا يبالي من ذكر أيّ كذب وافتراء في الدين. وهذه حالته السخيفة صارت عادة له في مسلكه ومحادثاته. ومع الأسف إنّ كثيراً من أهل السنة والجماعة يلّقبونه بشيخ الإسلام لتعصّبه ومخالفته الصريحة لأهل البيت عليهم السلام. وإذا كان مثل هذا الرجل الذي لا يبالي من الكذب والافتراء عندكم شيخاً للإسلام فلابّد أن نقول و على إسلامكم السلام؛ لأنّ الرجل لم يبال في نسبة أي كذب إلى الله ورسوله وإلى الإسلام في سبيل مسلكه الباطل، فلاحظ..

(٢) انظر الاستيعاب ج٣: ص ٨٨٠ رقم الترجمة ١٤٨٨.

(٣) انظر الإصابة لابن حجر ج٤: ص ٣٥ رقم الترجمة ٤٦٠٩

قلت: فهو قد شاهد أبابكر وعمر و عثمان و إمارتهم و مبانيها وشاهد عمّه وإمامته. و مات سنة ثمانين عن تسعين سنة [(١)]

ومعاوية بن قرة [(٢)] تولّد سنة سبع و ثلاثين من الهجرة سنة حرب الجمل نصّ عليه خليفة [(٣)] وقال ابن معين: مات سنة ثلاث عشر و مائة عن ستة و سبعين سنة فهو مطابق لما قاله خليفة [(٤)].

فانظر إلى هذه العجيبة الغريبة حيث يجهل النصّ على أبي بكر من هو في المدينة و عمره عشر سنين يوم فوت النبيﷺ وقد روى عنه،

---

(١) قال ابن عبد البرّ: وتوفّي بالمدينة سنة ثمانين و هو ابن تسعين سنة .... (الاستيعاب ج٣: ص ٨٨١).

وقال ابن الأثير: وتوفّي سنة ثمانين عام الجحاف... (أسد الغابة ج٣: ص ١٣٥)

وقال الذهبي: له صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة... قال الواقدي: مات سنة ثمانين (سير أعلام النبلاء ج٣: ص ٤٥٦)

وقال ابن حجر في الإصابة مات سنة ثمانين عام الجحاف، وهو سيل كان ببطن مكّة جحف الحاجّ و ذهب بالإبل وعليها الحمولة ... (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤: ص ٣٧).

(٢) هو معاوية بن قرة المزني أبو إلياس ولد سنة سبع و ثلاثين يوم الجمل حدّث عن والده قرة بن إلياس البصري و عبد الله بن مغفل و ابن عمر و غيرهم. وتوفّي سنة ثلاث عشرة و مائة و هو ابن ستة وسبعين سنة (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥: ص ١٥٣ والطبقات لابن سعد ج٧: ص ٢٢١ و طبقات خليفة: ص ٢٠٧ و تاريخ خليفة: ص ٢٥٧ وتاريخ البخاري ج٧: ص ٣٣٠ وتهذيب الكمال للمزّي ج ٢٨: ص ٢١٠ وغيرها من كتب الرجال والتراجم).

(٣) انظر الطبقات لخليفة بن خيّاط : ص ٢٠٧ و تاريخ خليفة: ص ٢٠٧.

(٤) انظر تاريخ ابن معين ج٢: ص ١٤٧.

وشاهد إمارة أبي بكر و إمارة عمر وإمارة عثمان وإمامة عمّه، و قد نشأ بينهم و بين غيرهم من الصحابة ولم يخبره منهم مخبر ولم يعثر في هذه المدّة على صحابيّ يخبره بما قاله له معاوية بن قرّة [(١)].

---

(١) هذا بناء على فرض وجود هذه الرواية و تسليم أنّ معاوية بن قرّة سمع من عبد الله بن جعفر. فإنّ ما نسب ابن تيمية إلى عبد الله بن جعفر متوقّف على هذه المقدّمات الباطلة ومع الغض عمّا يترتب على ما نسبه إلى عبد الله بن جعفر فإنّ الناس يعرفون عبدالله بن جعفر ويعرفون مواقفه، فإنّ الكلّ يعرف أنّه كان فذّاً من أفذاذ الإسلام وسيداً من سادات بني هاشم ومقدّماً في العلم والدين كسائر بني هاشم الذين كانوا يأخذون العلم والفقه والدراية في الدين من أئمة أهل البيت عليهم السلام. فكان عبد الله بن جعفر فقيهاً متضلّعاً عالماً بالقرآن والحديث يعرف الحلال والحرام ويعرف الحقّ والباطل، لأنّه صحب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله صحبة الذين أتمّ الله نعمه عليهم ومرافقيهم كما قال الله تعالى في حقهم: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا...**﴾ (سورة النساء: ٦٩). كما أنّه لازم عمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع المواقف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ الإمام الحسن عليه السلام ثمّ الإمام الحسين عليه السلام وأخذ منهم العلم والدين فكان ممّن يشار إليه بالبنان في الفضل والأخلاق والمسائل الدينية، فكيف يمكن أن يكون أفعاله على خلاف الموازين الدينية والعقلائية؟!

فإنّ عظمته تنفي هذا الادعاء الواهي حيث إنّ شخصيّته الموزونة في الحالات المختلفة صار سبباً لأن يزوّجه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ابنته الحوراء زينب عقيلة بني هاشم لأنّه كان يعتمد عليه اعتماداً كاملاً.

قال السيد خوئي: وممّا يدلّ على جلالته أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتحفّظ عليه من القتل كما كان يتحفّظ على الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد بن الحنفية.. (معجم رجال الحديث ج١١: ص ١٤٧) وقد وردت في هذا المجال عن خصال عبد الله بن جعفر روايات كثيرة

←

فعلى زعمهم حال [ابن] جعفر غير خال من وجهين: إمّا قد عرض له الجنون في إمارة الثلاثة فلم يدر بما صدر في السقيفة وما بعدها من قول عمر: فلتة [1]،

➔

لا يمكننا استقصائها في هذه العجالة.

والمهمّ أنّه كان ثقة وورعاً وموردًا للاعتماد لرسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الميامين عليهم السلام. فكيف يعقل ذلك ممّن يكون من أهل بيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو صهره وملازم أولاده الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام وبذلك يعرف اعتقاده بأهل البيت عليهم السلام فإنّه الميزان في الاعتقاد والمعرفة، ولذلك يعرف أهل الباطل بعداوتهم لأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام حبّك علامة الإيمان وبغضك علامة الكفر والنفاق (انظر صحيح مسلم ج١: ص ٦١ كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله ...) فإنّ عبد الله بن جعفر موقفه واضح لكلّ من أراد التحقيق في ترجمته فإنّه كان من الصحابة الأوفياء ومن أهل الولاء لأهل البيت عليهم السلام فلم يترك إمام زمانه لحظة واحدة وكيف يمكن من يكون ملازماً للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام أن يتكلّم على خلاف معتقداته؟!

وهل من عاقل يقبل هذا الكذب الواضح والافتراء البيّن؟!

(١) هذه الجملة إشارة إلى الروايات التي وردت عن عمر بن الخطاب و هو يصف بيعة أبي بكر بأنّها كانت فلتة، وأنّها لم تكن برضا ولا باختيار ولا بمشورة من المسلمين ولا مراعاة لأوامر الشرع والدين. وما أقرب هذه الأحوال بما تضمنه الروايات الواردة في أصحّ كتبهم وهي كثيرة، منها ما أخرجها البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس في حديث طويل أسموه بحديث السقيفة، قال فيه عمر: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرّها..

من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة ان يقتلا (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٦ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

⬅

➔

ومنها ما أخرجها أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس تحت عنوان حديث السقيفة، وفيه: قال عمر بن الخطاب: ألا إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله المؤمنين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٥٥) وقد روى هذا الحديث أكثر علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم. فللباحثين أن يراجعوا كتاب المصنّف لابن أبي شيبة ج٧: ص٦١٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٤: ص ٢٧٢ وصحيح ابن حبان ج٢: ص ١٤٨ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢: ص ١٥٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٢٦ و السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ٥١ و ابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص ٢١٥ وابن الأثير في الكامل ج٢: ص ٣٢٦ وغيرها.

ولنقف نتأمّل في الحديث وقول عمر: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة»، قال ابن منظور: يقال: كان ذلك الأمر فلتة أي فجأة، إذا لم يكن عن تدبّر ولا تروّ، والفلتة: الأمر يقع من غير إحكام(لسان العرب ج٢: ص ٦٧)

وقال ابن الأثير في تفسير ذلك: أراد بالفلتة الفجأة... والفلتة كلّ شيء فعل من غير رويّة (النهاية في غريب الحديث ج٣: ص ٤٦٧).

وقال المحب الطبري: الفلتة: ما وقع عاجلاً من غير تروّ ولا تدبير في الأمر ولا احتياط فيه، وكذلك كانت بيعة أبي بكر، كأنّهم استعجلوا خوف الفتنة، وإنّما قال عمر ذلك لأنّ مثلها من الوقائع العظيمة التي ينبغي للعقلاء التروّي في عقدها لعظم المتعلّق بها، فلا تبرم فلتة من غير اجتماع أهل العقد والحلّ من كلّ قاص ودان، لتطيب الأنفس، ولا تحمل من لم يدع إليها نفسه على المخالفة والمنازعة وإرادة الفتنة، ولا سيّما أشراف الناس وسادات العرب، فلمّا وقعت بيعة أبي بكر على خلاف ذلك قال عمر ما قال، ثمّ إنّ الله وقى شرّها، فإنّ المعهود في وقوع مثلها في الوجود كثرة الفتن، ووقوع العداوة والإحن؟؟، فلذلك قال عمر: وقى الله شرّها (الرياض النضرة ج١: ص ٢٣٧).

أقول: إذا كانت بيعة أبي بكر فلتة، وأنّها وقعت بلا تدبير ولا تروّ ومن غير مشورة أهل الحلّ والعقد، فهذا يدلّ على أنّها لم تكن بنصّ من النبيّ الأكرمﷺ لا نصّ صريح ولا خفيّ

➔

وإن أستخلف [(١)]....،

➔

لأنّه لو كان هناك نصّ لكانت البيعة بتدبير كما لا يخفى ذلك على أحد.

(١) هذه العبارة إشارة إلى قول عمر الذي رواه كبار علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم منهم البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قيل لعمر ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبوبكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ... (صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف).

ومنهم مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: حضرت أبي حين أصيب فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيراً، فقال: راغب وراهب، قالوا: استخلف، فقال: أتحمّل أمركم حيّاً وميتاً؟ لوددت أنّ حظّي منها الكفاف لا عليّ ولا لي، فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي يعني أبابكر، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير منّي؛ رسول الله ﷺ... (صحيح مسلم ج٦: ص ٤ كتاب الامارة، باب الاستخلاف وتركه).

أقول: ويستفاد من هذه الجملات الأمور التالية:

الأول: أنّه استبصر في آخر ساعة من حياته بأنّ تحمّله للخلافة قد وقع في غير محلّه وعلى خلاف صلاحه، ولا شك أنّ الكفائة لا تجتمع مع التردد إذ من له الكفائة لا يعرض عليه حالة التردد في جميع الأُمور فضلا عن الاستخلاف وعدمه.

الثاني: أنّه مع هذا القول: بأنّ عدم التحميل حياً وميتاً أوقع له وأنّ رسول الله ﷺ ما استخلف ويلزم اتباع الرسول ﷺ خالف الأول قول رسول الله ﷺ وسيرته واستخلف فهو أيضاً قد فتح لنفسه هذا الباب للمخالفة فاستخلف بطريق الشورى بين ستّة على شرائط ومقررات مقصودة أنتجت خلافة عثمان.

الثالث: أنّ عمر بن الخطاب قد استخلف أيضاً، فإنّ تعيين شخص على نحو التفصيل أو الإجمال لا فرق بينهما من جهة أصل التعيين، مضافاً إلى أن التعيين الإجمالي يدلّ على

←

وغير ذلك[(١)]. وإمّا سكناه الجبال عند الوحوش من حين تولّده و لم ير النبيﷺ ولم يسمع منه شيئاً ولم ير صحابياً، حتّى ورد إلى الديار فلم ير فيها سوى من ولد سنة سبع و ثلاثين، فأخبره بخبر مخالف للسنن المعروفة وغيرها من النقول الثابتة[(٢)] ولما قاله عمّه على المنبر بمحضر ألوف من

➔

تحقّق الضعف والعجز والتردّد إمّا من ناحية العلم والمعرفة، وإمّا من ناحية رعاية التقية وملاحظة الأحوال وعدم التمكن والاستطاعة من التعيين التفصيلي.

ثمّ إذا كان رسول اللهﷺ أهمّ بالنسبة إلى هذه القضية فكيف لم يعمل الآخرون بهذه السنة؟

وعلى كلّ تقدير فإنّ عبد الله بن جعفر كان يعلم أنّ هذه الأمور المتناقضة والمتضادّة مع الدين ومعارفه القويمة وجميع هذه الأمور كانت واضحة لديه وكان يعلم مسلك الغاصبين لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام، فمثله لا يصدر منه خلاف الدين والعقل.

(١) وذلك كاعتراف الشيخين في غدير خمّ بإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام واعترافهما بمحضر الصحابة أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أولى بالخلافة والإمامة كما سيأتي البحث فيه عند ذكر الروايات الواردة في هذا المجال وكذلك الروايات الدالّة على أنّ الإمام الحسن والحسين عليهما السلام اعترضا عليهما وصعدا المنبر بمحضر الصحابة وقالا لأبي بكر وعمر انزل من منبر أبي و هما اعترفا بأنّ المنبر هو منبر أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد نبّهنا على ما فيها من الدلالة، فراجع.

(٢) وبعبارة أوضح: إنّ الادّعاء مردود لأنّ الروايات صريحة في أنّ عبد الله بن جعفر كان بعد شهادة أبيه تحت تكفّل النبي الأكرمﷺ وبعد وفاة رسول اللهﷺ كان تحت رعاية الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتّى أنّ الإمام عليه السلام زوّجه ابنته الحوراء زينب عليها السلام.

فما نسبه ابن تيمية إليه من أنّه كان في الجبال وأمثال هذه الافتراءات واضحة البطلان لا

➔

الخلق وهو معهم منادياً بأنّ الخليفة هو دون ابن أبي قحافة[١].

➔

يحتاج إلى الردّ لأنّ جميع علماء الرجال من أهل السنة والجماعة ذكروا ترجمته ولم يذكروا هذا الكذب الواضح، فلاحظ.

(١) الظاهر أنّ ما افاده إشارة إلى الخطبة المعروفة بالشقشقيّة وهي من أهمّ خطب نهج البلاغة حيث إنّها تشمل شرح مسألة الخلافة بعد رحيل الرسول الأكرمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وهناك بعض الأمور التي تضمّنتها هذه الخطبة بما لم يرد شبيهها في سائر خطب نهج البلاغة.

ورغم قلّة عباراتها إنّها أوجزت عصر الخلافة وأبلغت من الشكوى من أمر الخلافة التي نهضت بالأمر بعد رحيل رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقالعَلَيْهِالسَّلَامُ في مطلع هذه الخطبة:

أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عني السَّيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها المؤمن حتّى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً...

أمّا بالنسبة إلى مصدر هذه الخطبة العظيمة فكما تعلمون إنّ المصادر السنية الأساسية كالصحاح الستة تتجنّب الرواية التي فيها ما يتعلّق بإثبات حقّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ حتّى عن لسانه، ولذا لا نتوقّع أن يرووا مثل خطبته الشقشقيّة الصريحة بإدانة أبي بكر و عمر وإن كانت فلتت منهم بعض الروايات التي سجّلت حقيقة موقف مولانا أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ من أبي بكر و عمر كالذي رواه مسلم في صحيحه من شهادة عمر بن الخطاب بأنّ عليّاً عَلَيْهِالسَّلَامُ والعباس قالا له ولأبي بكر: إنّكما غادران، خائنان آثمان (انظر صحيح مسلم ج٥: ص ١٥٣).

وأمّا المصادر الأخرى لأهل السنة فقد روت هذه الخطبة، فتجد فيها ما يثبت صدور هذه الخطبة عن الإمام أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ وقد تتبّع ذلك العلامة الأميني في كتابه الغدير ج٧:

➔

←

ص ٨٢ و ج٤: ص ١٩ وقال حول هذه الخطبة: إنّ هذه الخطبة تسمّى بالشقشقيّة، وقد كثر الكلام حولها، فأثبتها مهرة الفنّ من الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الثابتة التي لا مغمز فيها، فلا يسمع إذن قول الجاهل بأنّها من كلام الشريف الرضي، وقد رواها غير واحد في القرون الأولى قبل أن تنعقد للرضي نطفةٌ كما جاءت بإسناد معاصريه والمتأخرين عنه من غير طريقه وإليك أمّة من أولئك:

١ـ الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحماني المتوفّى ٢٢٨ كما في طريق الجلودي في العلل والمعاني

٢ـ أبوجعفر دعبل الخزاعي المتوفّى ٢٤٦ رواها بإسناده عن ابن عباس كما في أمالي شيخ الطائفة ص ٢٣٧، ورواها عنه أخوه أبوالحسن علي

٣ـ أبوجعفر أحمد بن محمد البرقي المتوفّى ٢٧٤ كما في علل الشرائع

٤ـ أبوعلي الجبائي شيخ المعتزلة المتوفّى ٣٠٣ كما في الفرقة الناجية للشيخ إبراهيم القطيفي، والبحار للعلامة المجلسي

٥ـ وجدت بخط قديم عليه كتابة الوزير أبي الحسن عليّ بن الفرات المتوفّى ٣١٢ كما في شرح ابن ميثم

٦ـ أبو القاسم النجلي أحد مشايخ المعتزلة المتوفّى٣١٧ كما في شرح ابن أبي الحديد ١: ص ٦٩.

٧ـ أبوأحمد عبد العزيز الجلودي البصري المتوفّى ٣٣٢ كما في معاني الأخبار

٨ـ أبوجعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور رواها في كتابه (الانصاف) كما في شرح ابن أبي الحديد ج١: ص ٦٩ وشرح ابن ميثم.

٩ـ الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّى ٣٦٠ كما في طريق القطب الراوندي في شرح النهج.

١٠ـ أبوجعفر ابن بابويه القمّي المتوفّى ٣٨١ في كتابه علل الشرائع ومعاني الأخبار

١١ـ أبوأحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفّى ٣٨٢ حكى عنه شيخنا الصدوق في شرح

→

→

الخطبة في معاني الأخبار والعلل..

١٢ـ أبو عبد الله المفيد المتوفّى ٤١٢ أستاذ الشريف الرضي رواها في كتابه الإرشاد

١٣ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفّى ٤١٥ ذكر في كتابه المغني تأويل بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدّم على أمير المؤمنين من دون أيّ إيعاز إلى الغمز في إسنادها.

١٤ـ الحافظ أبوبكر ابن مردويه المتوفّى ٤١٦ كما في طريق الراوندي في شرح النهج

١٥ـ الوزير أبوسعيد الآبي المتوفّى ٤٢٢ في كتابه نثر الدرر ونزهة الأديب

١٦ـ الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر توفّي سنة ٤٣٦ ذكر جملة منها في الشافي: ص ٢٠٣ فقال مشهور: وذكر صدرها في ص ٢٠٤ فقال معروف

١٧ـ شيخ الطائفة الطوسي المتوفّي ٤٦٠ رواها في أماليه ٣٢٧ عن السيد أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار المترجم في مستدرك العلامة النوري ج٣: ص ٥٠٩ من طريق الخزاعيين وفي تلخيص الشافي

١٨ـ أبوالفضل الميلاني المتوفّى ٥١٨ في مجمع الأمثال ص ٣٨٣ قال: ولأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه خطبة تعرف بالشقشقية لأنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه يا أمير المؤمنين: لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت فقال هيهات يا بن عباس: تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت..

إلى آخر كلام العلامة الأميني الذي عدّ من روى خطبة الشقشقية وأوصل عددهم إلى ٢٨ من العلماء فللباحث أن يراجع الغدير ج٧: ص ٨٩ ـ ٨٦ ثمّ هنا نقاط نشير إلى بعضها:

منها: اسم الخطبة قد اقتبس من عبارتها الأخيرة التي أطلقها الإمام عليه السلام حين قاطع أحدهما الإمام عليه السلام فتوقّف فناشده ابن عباس مواصلة الخطبة فقال له عليه السلام: تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت، وهكذا رفض الإمام عليه السلام طلب ابن عباس، حيث تغيّر الجوّ الذي كان سائداً لإطلاق الإمام عليه السلام تلك العبارات الحماسية.

منها: سند الخطبة فإنّ البحث عن سنده مع تواتره بحث زائد خال عن الفائدة. و سنذكر في

←

ومن الضروري حضور عبد الله في المدينة وصحة عقله ووفوره فهذه اعجوبة ليس مثلها اعجوبة حيث يخفى النص على عبد الله ابن جعفر و المخبر له به معاوية بن قره دون غيره ولعله نزل الوحي بذلك على معاوية فأخبر به عبد الله بن جعفر وحده!

فيالهفي على ذوي الشعور الذين يصدّقون بأمثال هذه المفتريات الشنيعة [(١)].

➔

محلّه تواتر هذه الخطبة في المصادر الإسلامية.

وأمّا مضمون الخطبة فإنّ الامام عليه السلام قد تعرّض فيها إلى مسألة الخلافة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والمشاكل التي أفرزها الخلفاء الغاصبون ممّن سبقوه ثمّ تطرّق صراحة إلى أحقّيته بالخلافة من الجميع معرباً عن أسفه وابتقاسه لخروج الخلافة عن محورها الأصلي الذي خطّط له الإسلام والنبيّ.

وأخيراً تحدّث الإمام عليه السلام عن قضية مبايعة الأمّة والأهداف الكامنة وراء قبول البيعة بعبارات قصيرة في غاية الروعة والبيان. وسنذكر شرحها إن شاء الله في محلّه عندما يأتي البحث حوله

وخلاصة الكلام أنّ هذه الخطبة من الخطب التي قلّ نظيرها إن لم نقل لا نظير لها في نهج البلاغة التي يثبت الإمام عليه السلام فيها أحقّيته بالخلافة والظروف الخاصة التي حالت بينه وبين هذا الحقّ و مظلوميته رغم أحقّيته وكفائته وأنّ مع وجود المرشد والمرجع الحقيقي للإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يكون الانتخاب باطلا وسيجعل الانتخاب الباطل الأمّة في الضلال والانحراف.

(١) وخلاصة الكلام أنّ شخصية عبد الله بن جعفر واضحة و مذكورة في كتب التاريخ والسير فهو الذي نشأ في حجر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصحبه صحبةً طيبةً، وهي صحبة من

➔

←

أتمّ الله نعمه عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم...﴾ (سورة النساء: ٦٩) فقد مَنّ الله عليه بأن يكون مع النبيﷺ أهل بيته عليهم السلام إلى آخر حياته.

ثمّ إنّ اختيار مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبد الله بن جعفر زوجاً لعقيلة بني هاشم زينب عليها السلام اختيار على حسب الموازين العقلية والعرفية لأنّ العقيلة الحوراء سلام الله عليها كان لها شأن عظيم لم يكن أحد من الصحابة كفواً لها لأنّها فوق جميع الناس بعد المعصومين عليهم السلام وتشهد لذلك خطبها في الكوفة والشام وما ورد عنها من الآثار، فاختيار الإمام عليه السلام لم يكن اعتباطاً وإنّما كان على أساس ميزان الشرع والعرف والعقل فحيث إنّ عبدالله بن جعفر قد تربّى في حجر النبيﷺ وأخذ منه المكارم والأخلاق وكذلك في بيت الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وأخذ منه العلم والحكمة بحيث أصبح فقيهاً عالماً من نوادر عصره ومتخلّقاً بأخلاق الله عزوجل فالإمام عليه السلام كان يعرف مكانة ابن أخيه ويعرف هذا الإنسان لكونه اكتسب المعرفة والاخلاق من أهل بيت النبوة ذلك البيت العظيم الذي أشار الله تعالى إليه في القرآن بقوله: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ (النور: ٣٦ و ٣٧).

وهذه الشخصية العظيمة طول حياته كان في خدمة أهل البيت عليهم السلام وكان ملازماً لهم في جميع الحالات و كان حليفاً للتقوى والزهد وحسن الخلق و كان إنساناً ثريّاً بدعاء رسول اللهﷺ ولم يكن يحتاج إلى الأموال بل كان سخيّاً يبذل الأموال وينفق في سبيل الله وكانت له أخلاق حسنة كأخلاق أهل البيت عليهم السلام، كيف يصدّق العاقل ما نسب إليه ابن تيمية إلى جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

لاسيّما أنّ آثاره ومناظراته مع أعداء أهل البيت باقية فإنّه قد ناظر معاوية بن أبي سفيان في

←

الحادي والعشرون: ما زعمه من خبر الخُلّة[1]. فإنّه قد علم بهتانه

➔

أيّام حكومته مع ما كان له القدرة والسلطة فلم يخف منه ومن جلاوزته بل غلب عليه باحتجاجاته وبإقامة الحقّ عليه بلسان طلق خارج عن التقية ولم يذكر في التاريخ شيء لا يناسب شخصيته، فما ادّعاه ابن تيمية يضحك الثكلى لا سيما أنّ عبد الله بن جعفر لم ير من أهل البيت عليهم السلام إلّا الحق والتقرّب إلى الله تعالى ولم ير من الخلفاء إلّا الغدر والقتل والفتك والتسلّط على رقاب الناس وأخذ أموالهم ظلماً وعدواناً وهتك أعراض الناس وشرب الخمور و...

فالإنسان المؤمن القويم في اعتقاده والمتّقي الذي تربّى في بيت الشرف والدين والزهد لا يصدر منه قول أو فعل على خلاف الإيمان والتقوى لاسيّما من كان أبوه شهيداً من شهداء الإسلام وله صيته بين المسلمين.

ثمّ إنّ ما نسبه ابن تيمية إلى عبد الله بن جعفر يكون مخالفاً لما قاله أبوبكر نفسه من أنّه تمنّى في آخر عمره أن يسأل النبي صلى الله عليه وآله في مسألة الخلافة ولم يوفّق بذلك. أليس ما نسب إلى عبد الله بن جعفر تكذيب لقول أبي بكر؟ ولقول عمر حيث قال: إن أترككم فقد تركَكم رسول الله بلا خليفة ...

(١) والمقصود بخبر الخُلّة هو الحديث المختلق: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلا» وهو من الأحاديث الموضوعة والمختلقة، اختلقه بعض الوضّاعين للمقابلة للأحاديث المتواترة في فضائل مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قال ابن أبي الحديد: إنّ البكريّة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة الأحاديث (الواردة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) نحو: «لو كنت متخذاً خليلاً...» فإنّهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء ونحو: «سدّ الأبواب» فإنّه كان لعلي عليه السلام فقلبته البكريّة إلى أبي بكر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١١: ص ٤٩) وآثار الوضع فيه لائحة لا تخفى على المطّلع بكتب الحديث، بل ولا على ذي لبّ بصير ينظر فيه بعين الحقيقة السالمة عن

➔

➔

العصبية العمياء؛ إذ كيف يمكن أن يكون أبوبكر خليلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد ردّه رسول الله صلى الله عليه وآله عن تبليغ آية البرائة وأعطاه للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرت ألا يؤدّي عنّي إلّا أنا وأحد منّي (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ١٦٥ وسنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٠ ح ٣٨٠٣ وفضائل الصحابة للنسائي: ص ١٥ وغيرها من المصادر) وهذه العبارة صريحة في أنّ ما يؤدّيه الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام نفس ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه التأدية الخاصّة لا ينالها أحد من الناس أجمعين إلا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعليه كيف يمكن أن لا يكون المؤدّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله متّصفاً بالخلّة ولكن من ردّه الله ورسوله عن تبليغ آية البرائة يكون له مقام الخلة؟!

وأيضاً كيف يمكن الجمع بين هذا الحديث وحديث المؤاخاة المتواتر الذي أخرجه علماء الإسلام في صحاحهم ومسانيدهم بأسناد صحيحة وقد أخرجه الحاكم النيسابوري بسنده عن ابن عمر قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر و بين طلحة والزبير وبين عثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف فقال عليّ: يا رسول الله إنّك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى يا عليّ أن أكون أخاك؟ قال ابن عمر و كان عليّ رضي الله عنه جلداً شجاعاً فقال علي: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أخي في الدنيا و الآخرة (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٤) هذا الحديث صريح في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد آخى بين أبي بكر و عمر وقد اختار رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام امير المؤمنين عليه السلام لنفسه وآخاه، وبعد ذلك كيف يعقل أنّ النبي صلى الله عليه وآله يتمنّى الخلّة لأبي بكر مع وجود أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟!

فهذه الرواية المختلقة تكشف لنا الحقيقة بصورة واضحة من أنّ ورائها كانت أيادي التحريف من بني أمية لقلب الحقائق كي يمّوهوا الحقائق على الناس البسطاء والسذّج زاعمين أنّ أبابكر له هذه الفضيلة التي لا يقبلها عاقل إلا أنّه يمشي ذلك عند عوامّهم لأنّهم يكتفون بذلك بلا تحقيق.

ممّا مضى بيانه من مخالفات أبي بكر للشريعة [(١)]، وقد جعلهﷺ تحت

---

(١) لاشكّ أنّ مخالفته لولاية أميرالمؤمنينعليه السلام مخالفة لأوامر الله ورسوله، لأنّ امامة أميرالمؤمنينعليه السلام ثابتة بالنصّ الجلي من القرآن الكريم والسنة المتواترة وسيتبين كلّ ذلك للقارئ الكريم من خلال المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

والذي يؤيد ذلك الروايات الواردة عن أبي بكر نفسه وإظهار ندمه في أواخر حياته ممّا ارتكبه أيام خلافته. فمنها قوله: أقيلوني ولست بخيركم (شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١: ص ١٦٨) وفي رواية قال: أقيلوني بيعتي ... (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ٢٠). ومنها: قوله في خطبته بعد بيعة السقيفة فقال: أيها الناس فإنّي قد ولّيت عليكم ولست بخيركم فإن أصبت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني، أطيعوني ما أطعت الله وإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .. (المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص ٣٣٦). ورواه الطبري وقال: خطب أبوبكر الناس يوماً بعد بيعته فقال: أيها الناس إنّما أنا مثلكم وإنّي لا أدري لعلّكم ستكلّفوني ما كان رسول اللهﷺ يطيق، إنّ الله اصطفى محمّداً على العالمين وعصمه من الآفات وإنّما أنا متّبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوّموني .. إنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني ... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٤٦٠).

وإلى غير ذلك مما جاء في التاريخ ومن إظهار الندامة على ما فعله من غصب الخلافة.

أقول: لو كنّا نحن وهذه العبارات الواردة في كتب القوم عن أبي بكر الصريحة في عدم صلاحيته لمقام الإمامة والخلافة باعترافه، ومع الغضّ عمّا فعله في أيام خلافته من الإجرام كالهجوم على بيت الزهراءعليها السلام وغيره فإنّه يكفي للاستدلال بعدم لياقته لمقام الخلافة والإمامة، أوّلاً: لاعترافه على ذلك على رؤوس الأشهاد.

وثانياً: لوجود النصوص المتواترة في أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان خليفة رسول الله ﷺ بلا فصل ومع وجود هذه الروايات لايمكن لأحد أن يدّعي الخلافة والإمامة، فلاحظ.

إطاعة أبي عبيدة [١] تارة

---

(١) وهو عامر بن عبد الله بن الجراح المعروف بأبي عبيدة بن الجراح قال ابن قتيبة وهو أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح نسب إلى جدّه واسمه عامر وهو من بني الحارث بن فهر بن مالك... (المعارف لابن قتيبة: ص ٢٤٧).

وهو الذي قال في حقّه أبوبكر يوم السقيفة: رضيت لكم أحد صاحبيّ أبا عبيدة وعمر بن الخطاب فبايعوا أيّهما شئتم .. (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ٢٧ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى).

وقال ابن قتيبة: مات أبو عبيدة بالشام في طاعون عمواس، ولا عقب له... (المعارف: ص ٢٤٨ نقلاً عن الواقدي).

وأما قضية إمارة أبي عبيدة فقد قال ابن حجر في الإصابة نقلاً عن موسى بن عقبة في كتابه المغازي: أمّر النبي الأكرمﷺ عمرو بن العاص في غزو ذات السلاسل وهي من مشارف الشام في بلي و نحوهم من قضاعة، فخشي عمرو فبعث يستمدّ فندب النبيﷺ من المهاجرين الأوّلين فانتدب أبوبكر وعمر في آخرين فأمّر عليهم أباعبيدة بن الجراح مدداً لعمرو بن العاص، فلمّا قدموا عليه قال: أنا أميركم، فقال المهاجرون، بل أنت أمير أصحابك، وأبوعبيدة أمير المهاجرين، فقال: إنّما أنتم مددي، فلمّا رأى ذلك أبو عبيدة فقال تعلم يا عمرو إنّ رسول اللهﷺ قال لي: إن قدمت على صاحبك فتطاوعا وإنّك إن عصيتني أطعتك (الإصابة ج٣: ص ٤٧٦).

أقول: إنّ أبابكر وعمر حسب هذا النصّ الصحيح كانا تحت إمارة أبي عبيدة أوّلاً حتّى وصلوا إلى مكان الحرب الذي كان فيه عمرو بن العاص وهو الآمر على السرية وكان أبوبكر يصلّي أولاً خلف أبي عبيدة ثمّ خلف عمرو بن العاص.

ثمّ روى الحاكم النيسابوري بسنده أنّ عمرو بن العاص كان يصلّي بهم وهو جنب فروى عن ابن العاص أنّه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمّمت ثمّ صلّيت بأصحابي الصبح، فذكروا للنبيﷺ فقال: يا عمرو صلّيت

←

وتحت اطاعة ابن العاص[1] مرة

➔

بأصحابك وأنت جنب؟ (المستدرك على الصحيحين ج١: ص ١٧٧).

فأبوبكر الذي شأنه في حدّ أنّه اقتدى بعمرو بن العاص الذي كان في حال الجنابة أو أنّه كان تحت إمرة عبدالرحمن بن عوف فلا شكّ أنّ شأنه يكون دونهما، فكيف يعقل أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الحكيم على الإطلاق يتّخذه خليلاً ويترك من هو أفضل منه؟!

وعلى أيّ تقدير فإنّ غزوة ذات السلاسل من الحوادث التي بيّنت شأن الصحابة بوضوح فكان من شأن كلّ من حضر في تلك السريّة أن يقتدي بعمرو بن العاص الذي أسلم في السنة السابعة من الهجرة وقد صلّى بهم جنباً ولا شكّ أنّ عمرو بن العاص حاله معلوم في النفاق، فمن جعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مأموماً له يكون دون شأن عمرو بن العاص، ومن يكون دون شأن هذا الرجل يكون خليلاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟!

(١) لايخفى أنّه قد روى أرباب السير والتاريخ والحديث من أهل السنة والجماعة في حوادث السنة الثامنة من الهجرة غزوة ذات السلاسل وهي معركة كانت في بلاد بلي وعُذرة وبني القين وملّخصها أنّه بلغ النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّ جمعاً من قضاعة وغيرهم تجمّعوا يريدون إلى أطراف مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عمرو بن العاص بعد أن أسلم في السنة السابعة من الهجرة وجعله أميراً على السرية على ما جاء في المصادر السنية وعقد له لواءً وبعثه في ثلاثمائة إلى تلك الغزوة وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب، وهي بلاد بلي وعُذرة وبني القين وذلك أنّ عمرو بن العاص كان ذا رحم بهم وكانت ام العاص بن وائل بلويّة فأراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يتألّفهم بعمرو ... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص ٢٢ وكتاب غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسراياه لابن سعد: ص ١٣١ والسيرة النبويّة لابن سيّد ج٢: ص ١٧٢.

قال ابن سعد: فسار عمرو بن العاص فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن سكيت الجهني إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يستمدّه، فبعث إليه أبا عبيدة الجرّاح وفيهم

←

وتحت إطاعة أُسامة [١] أخرى..

➔

أبوبكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو، فأراد أبوعبيدة أن يؤمّ الناس، فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة وكان عمرو يصلّي بالناس ... (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص ١٣١).

وقال ابن الجوزي: فأجنب عمرو فصلّى بأصحابه وهو جنب ... (انظر المنتظم ج٣: ص ١٢١).

أقول: ولا يخفى على الخبير حكم الجنب وعدم جواز الصلاة في هذه الحالة لأنّ القرآن الكريم قد صرّح بوجوب الغسل وتحصيل الطهارة للصلاة فكيف كان عمرو والصحابة في الجهل بالنسبة إلى هذا الحكم الضروري الإسلامي ؟!

هب أنّ عمرو بن العاص الذي استسلم بعد فتح مكّة في السنة السابعة من الهجرة لم يكن يعرف أحكام الإسلام لأنّه لم يمض من إسلامه إلا سنة واحدة ولكن البقية الذين كانوا يعيشون مع رسول الله صلى الله عليه وآله خلال السنوات الكثيرة بعد الهجرة ومسألة الصلاة والطهارة للصلاة من أهمّ مسائل الدين بل إنّها من أوضح الواضحات كيف جهلوا ذلك واقتدوا بمن هو جنب؟!

فمن هنا نعرف شأن هؤلاء الصحابة ومقدار إيمانهم وأنّ مجيئهم في الجيش ليس من أجل الدفاع عن الدين ولم تكن مهمتهم الجهاد عن حريم الإسلام وإنّما كان هدفهم الوصول إلى الإمارة والقيادة في الدولة الإسلامية.

فهذه الحادثة تكشف عن شأن أبي بكر وأمثاله من الصحابة الذين كانوا في معسكر عمرو بن العاص فشأنهم دون عمرو بن العاص فكيف يمكن من يكون شأنه هذا أن يتّخذه أشرف الكائنات خليلاً لنفسه؟!!

(١) لقد أجمعت المصادر الإسلامية على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقد لأسامة بن زيد في أواخر حياته الشريفة سريّة أو لواءً للغزو إلى بلاد روم و أمر الصحابة أن يلتحقوا بالجيش ويسيروا مع أسامة إلى الحرب.

➔

في مرضه الذي توفّي فيه(١) ومن هذه بعض حاله بعيد و محروم من مرتبة

→

قال ابن حجر: وممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمرو أبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان و... (انظر فتح الباري ج٨: ص ١٢٤).

وعندما نزل الجيش في المعسكر خارج المدينة تكلّم بعض الصحابة بكلمات في تجريح تأمير أسامة والاعتراض على إمارته لحداثة سنه لأنّه كان ابن ثمان عشرة سنة فقالوا: استعمل النبيﷺ على المهاجرين والأنصار هذا الغلام الشاب!

ولمّا بلغ الخبر إلى النبيﷺ غضب غضباً شديداً وعصب على رأسه عصابة وأمر الناس أن يجتمعوا فاجتمع الناس، فصعد رسول اللهﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارتي لقد طعنتم في إمارتي أباه ... (عمدة القاري للعيني ج١٨: ص ٧٦).

وبعد خطبة النبيﷺ وقع الاختلاف والتشاجر بين الصحابة فبعضهم قال: أنفذوا أمر النبيﷺ وبعضهم تثاقل وطعن في تأمير أسامة بن زيد وعصوا أمر الرسولﷺ ولم يلتحقوا بجيش أسامة حتّى أغضبوا رسول اللهﷺ فأمر رسول اللهﷺ مرّة ثانية وثالثة وأن يخرجوا مع أسامة، وعندما وجد أنّ القوم لا يخرجون معه قال: أنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة ... (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٩).

فكان أبوبكر في جيش أسامة وتحت إمارته وطاعته ولكن خالف رسول الله وتخلّف عن جيش أسامة.

وهل يعقل أنّ من شمله لعن رسول الله ﷺ يكون خليلاً له وكيف يمكن ذلك؟!

(١) لقد ذكر أرباب التاريخ والسير أنّ تجهيز أسامة للحرب من قبل النبيﷺ كان يوم السبت قبل موت النبيﷺ بيومين، فبدأ برسول اللهﷺ وجعه في اليوم الثالث، وقد وجد رسول اللهﷺ أنّ كثيراً ممّن أمره بالالتحاق بجيش أسامة خالفوا أوامره ورجعوا

←

الخليفة لبعض خيار تابعي تابعي الصحابة فكيف يتصوّر في حقّه بلوغه إلى مقام خُلّة خير الرسلصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ[1] الذي قد جعل أخاه علياً عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ غيره وجعله

➔

إلى المدينة، فاشتدّ برسول اللهصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وجعه فلمّا أصبح وجدهم متثاقلين خرج إليهم وحضّهم على السير، قال ابن سعد: ومرض رسول اللهصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ فجعل يقول في مرضه: أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، قال: فسار حتّى بلغ الجرف... (الطبقات لابن سعد ج ٤: ص ٦٧).

وقال الجاحظ: قد كان النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ جعل أبابكر في جيش أُسامة، وما زال يقول في شكاته: أنفذوا جيش أسامة، ويعيد ذلك ويكرّره إلى أن قبضه الله إلى جنّته (العثمانية للجاحظ: ص ١٦٣).

وقال الشهرستاني : عندما تمرّد بعض الصحابة عن الالتحاق بجيش أسامة جعل النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ ينادي: أنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عن جيش اسامة (انظر الملل والنحل ج ١: ص ٢٣).

وعليه فلا يمكن الوثوق برواية الخُلّة بعد ما كان أبوبكر مشمولاً للعن على لسان النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ

(١) وبعبارة أخرى: إنّه لو فرضنا أنّ أصحاب النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ كانوا على قسمين: الأوّل: الذين أطاعوا أوامر النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ واجتنبوا عمّا نهى عنه، فهم في زمرة المؤمنين حقّاً.

والثاني: الذين تمرّدوا عن أوامر النبيصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ ولم يمتثلوا ما نهى عنهصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، فمن المسلّم أنّ هؤلاء ليسوا من المؤمنين الذين وعدهم الله الجنّة فيختلف مراتبهم حسب الإيمان والعصيان وتختلف مرتبة العاصي منهم بمن نال التوبة ومن لم يحصل له التوفيق للتوبة، وأيضاً تختلف مرتبة من عصى أمر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وشمله اللعن عمّن لم يشمله اللعن فمن الواضح أنّ من تخلّف عن جيش اسامة فهو في القسم الذي عصى أمر الرسولصَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وشمله اللعن.

ولا شكّ أنّ المؤمنين ليس لهم منزلة خُلّة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ إلاّ من كان له المقام العظيم كأن

➔

منه بمنزلة هارون من موسى في غير النبوّة [(١)]، أحبّ الخلق إلى الله سبحانه

➔

يكون نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في صاته وحياته فكيف يمكن ادّعاء الخلّة لمن هو ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث المنزلة وهو من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين المقطوع بصدورها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما، وهو قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٨ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم وج٥: ص ١٢٩ كتاب المغازي باب غزوة تبوك وصحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب ومسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٧٠ و ص ١٧٣ و ص ١٧٥ و ص ١٧٧ و سنن ابن ماجة ج١: ص ٤٣ وسنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٢ و المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٢: ص ٣٣٧ وغيرها).

ولا يخفى أنّ من أبرز منازل هارون من موسى هي الخلافة، حيث قال موسى لهارون ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ (سورة الأعراف: ١٤٢)

ومنها: الوزارة حيث قال موسى في دعائه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(سورة طه: ٢٥ ـ ٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾(سورة الفرقان: ٣٥).

فالحديث يكشف بوضوح عن ثبوت كلّ هذه المنازل للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما أنّها كانت ثابتة لهارون وهذا الحديث دالّ بوضوح على أحقّية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. ولذلك إنّ معاوية لمّا أمر سعد بن أبي

➔

وإليه [١]،

➔

وقّاص أن يسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فامتنع سعد واستشهد بهذا الحديث (لاحظ صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي) لأنّه كان يعلم بأنّ من لعن من له منزلة النبي صلى الله عليه وآله فكأنّما لعن النبي صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الطير وهو من الأحاديث الصحيحة التي رواها علماء الإسلام بطرق عديدة من الصحابة والتابعين بأسناد عديدة معتبرة، قال الذهبي: وأمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جدّاً أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل ... (تذكرة الحفاظ ج٣: ص ١٠٤٣).

وقال ابن كثير: قد جمع الناس في هذا الحديث مصنّفات مفردة، منهم أبوبكر ابن مردوية، والحافظ أبو الطاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبدالله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جميع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسّر صاحب التاريخ... (البداية والنهاية ج٧: ص ٣٨٧).

فالمستفاد من كلماتهم أنّ حديث الطير قد بلغت طرقه من الكثرة بحيث يكون متواتراً ومقطوعاً بصدوره من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وقد رواه ابن حبان في صحيحه و الترمذي في سننه و النسائي في سننه الكبرى وغيرهم من أرباب الصحاح والمجاميع الحديثية وقد أخرجه الترمذي في سننه بسنده عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير فقال: اللّهم ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء عليّ فأكل منه (سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٠ ح ٣٠٠).

وأخرجه النسائي بسنده عن أنس بن مالك قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان عنده طائر فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء أبوبكر فردّه وجاء عمر فردّه وجاء عليّ فأذن له (سنن النسائي ج٥: ص ١٠٧)

وأخرجه ابن عساكر بسنده عن أنس بن مالك قال: أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله حجل مشوي

➔

أوّل الناس سلماً[١]،

➔

بخبزة وصنابة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي من هذا الطعام، فقالت عائشة: اللّهم اجعله أبي، وقالت حفصة: اللّهم اجعله أبي، قال أنس: وقلت: اللهم اجعله سعد بن عبادة، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجت فإذا عليّ بالباب فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، فانصرف، ثمّ سمعت حركة بالباب فخرجت فإذا عليٌّ بالباب، فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، فانصرف، ثمّ سمعت حركة بالباب فسلم عليّ فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله صوته، فقال: انظر من هذا فخرجت فإذا هو عليٌّ، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: ائذن له، فدخل عليٌّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم وال اللهم والي ... (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٤٧) وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم وأمّا دلالة الحديث فهي واضحة على المدّعى إذ الرواية صريحة في أنّ أحبّ الخلق إلى الله هو مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام الذي يكون هو الأحبّ عند الله فهذا الرجل العظيم هو كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله، فأين هذا المقام ومن هو ملعون على لسان النبي؟

(١) لا شكّ أنّ روايات كثيرة وردت بطرق متعددة عن العامّة والخاصّة في أنّ أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام نذكر بعض الروايات الواردة في الباب على سبيل المثال:

منها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّلكم وارداً عليّ الحوض أوّلكم إسلاماً عليّ بن ابي طالب (المستدرك) على الصحيحين ج٣: ص ١٣٦) ورواه الطبراني في الأوائل: ص ٦٦ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩١ وفي التمهيد ج٢: ص ٣٠٥ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٤: ص ١١٧ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١١٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦١٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج٢: ص٧٩ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٤٠ وغيرهم.

➔

وأكثرهم علماً[١]،

→

ومنها: ما أخرجه الهيثمي بسنده عن سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ فقال: انّ هذا أوّل من آمن بي و هذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمّة يفرّق بين الحق والباطل وهذا يعسوب المؤمنين... (مجمع الزوائد ج٩ ص ١٠٢) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٦: ص ٢٦٩ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص ٢٢٥ وص ٢٢٨ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١١٠ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين : ص٨١ والمتقي لهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦١٦ والمناوي في فيض القدير ج٤: ص ٤٧٢ وغيرهم

ومنها: ما أخرجه أبونعيم بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ وضرب على كتفه: يا عليّ لك سبع خصال لا يحاجّك فيهنّ أحد إلى يوم القيامة، أنت أو المؤمنين، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله (حلية الأولياء ج١: ص ٦٦) ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦١٧ والبدخشي في مفتاح النجاة: ص ٣٧ والخوارزمي مناقبه: ص ١١٠ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٩٨ وغيرهم.

ومنها: ما أخرجه الترمذي بسنده عن زيد بن أرقم قال: أوّل من أسلم عليّ بن أبي طالب (سنن الترمذي ج٢: ص ٣٠١).

ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في كتابه الفضائل بسنده عن سلمة بن كهيل قال سمعت حبة العُرني يقول: سمعت علياً يقول: أنا أوّل رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله أو أسلم (فضائل الصحابة ج٢: ص ٥٩١) ورواه في مسنده ج١: ص ١٤١ وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذا المضمون.

(١) لقد وردت روايات كثيرة في المصادر الاسلامية بأسانيد معتبرة عن النبي صلى الله عليه وآله بمضامين مختلفة تدلّ على أنّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منها: ما رواه الهيثمي بسنده عن معقل بن يسار قال وضّأت النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم فقال: هل لك في

←

→

فاطمة تعودها؟ فقلت: نعم فقام متوكئاً عليّ فقال: أما إنّه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك، قال:فكأنّه لم يكن عليّ شيء حتى دخلنا على فاطمةعليها السلام، فقال: كيف تجدينك؟ فقالت: والله لقد اشتدّ حزني، واشتدّت فاقتي وطال سقمي، قال عبد الله: وجدت في كتاب أبي بخطّ يده في هذا الحديث: قال: أما ترضين أن أزوّجك أقدم أمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٠١) ومنها: ما رواه ابن أبي شيبة الكوفي بسنده عن أبي إسحاق قال: قالت فاطمة: يا رسول الله، زوّجتني حمش الساقين عظيم البطن أعمش العين، قال: زوّجتك أقدم أمتي سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً (المصنف ج٧: ص ٥٠٥ ح ٦٨).

ومنها: ما رواه المحب الطبراني بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت بخط أبي في هذا الحديث قال: أو ما ترضين أنّي زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً (الرياض النضرة ج٣: ص ١٦٠)

ومنها: ما رواه الخوارزمي بسنده عن أم سلمة وسلمان الفارسي والإمام علي بن أبي طالب قالوا: لمّا أدركت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مدرك النساء خطبها أكابر قريش وأهل السابقة والفضل في الإسلام والشرف والمال، وكان كلّما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض رسول الله صلى الله عليه وآله بوجهه حتى كان الرجل منهم يظنّ في نفسه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وحي ... فكان رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل زوجته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، فدقّ عليّ بن أبي طالب الباب فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يقول عليّ: أنا علي: قومي يا أم سلمة افتحي له الباب ومريه بالدخول... قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة: كيف انتِ وكيف رأيت زوجك؟ قال: يا أبّه خير زوج إلّا أنّه دخل عليّ نساء قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله صلى الله عليه وآله من رجل فقير، لا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت عليّ خزائن الأرض من الذهب والفضّة فاخترت ما عند ربي عزوجل، لو تعلمين ما يعلم أبوك لسمجت الدنيا في عينيك، والله يا بنية ما آلوتك نصحاً

←

وليّ كلّ مؤمن بعده [1]،

➔

أن زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ... (المناقب للخوارزمي: ص ٣٤٢) إلى غير ذلك من الروايات.

(١) لقد أخرج علماء أهل السنة والجماعة هذا الحديث في كتبهم بأسانيد عديدة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإليك بعض ما جاء في كتبهم: منها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة وأمّر عليهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأحدث شيئاً في سفره فتعاهد. قال عفان: فتعاقد أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن يذكروا أمره لرسول الله صلى الله عليه وآله. وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله صلى الله عليه وآله قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إنّ عليّا فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمّ قام الثاني فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا و كذا، فأعرض عنه ثمّ قام الثالث فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه ثمّ قام الرابع فقال يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا وكذا، قال فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الرابع وقد تغيّر وجهه فقال: دعوا علياً، إنّ علياً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٤٣٨) ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص ٢٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة وفي سننه الكبرى ج٤: ص ٤٥ ص ١٤ و ابن أبي شيبة في المصنّف ج٧: ص ٥٠٤ والضحّاك في الآحاد والمثاني ج٤: ص ٢٧٩ وابن أبي عاصم في كتاب السنة: ص ٥٥٠ وأبويعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ٢٩٣ وابن حبان في صحيحه ج١٥: ص ٣٧٤ والطبراني في معجمه الكبير ج١٨: ص ١٢٩ وابن أبي الحديد في شرح النهج ج٩: ص ١٧١ وغيرهم.

ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن عمرو بن ميمون قال: إنّي لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى قال: فابتدؤوا فتحدّثوا، فلا ندري ما قالوا، فجاء ينفض ثوبه ويقول: أُفّ وتفّ!

➔

وبه يهتدي المهتدون بعده[(١)].

➔

وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليس لأحد غيره، وقعوا في رجل ... قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة (المستدرك على الصحيحن ج٣: ص ١٣٤) ورواه الطيالسي في مسنده: ص ٣٦٠ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩١ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٨: ص ٢٤ والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٧٥ وإلى غير ذلك ممّا ورد في كتبهم، وهي كثيرة جداً.

ولا يخفى أنّ هذا الحديث رواه علماء الإسلام في أجواء خطرة فيما كان الخوف من أسياف بني أمية المانع من ذكر الروايات في فضل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال الهيثمي بعد ذكر الحديث: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجال أحمد رجال الصحيح ... (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٠)

وملخص الكلام أنّ الحديث نص صريح في انّ مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولي الأمر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله للمسلمين وهو القائم مقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنّ ولايته نفس الولاية رسول الله صلّى الله عليه وآله كما سيأتي شرحه ان شاء الله تعالى في محله.

(١) لقد أخرج المفسرون والحدثون وأرباب السير بعبارات مختلفة وأسناد متعددة في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (سورة الرعد: ٧) روايات صحيحة منها ما رواه الطبري بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت أنّما أنت منذر ولكل قوم هاد وضع رسول الله صلّى الله عليه وآله يده على صدره، فقال: أنا المنذر، ولكل قوم هاد، وأومأ بيده إلى منكب علي، فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعدي (تفسير الطبري ج١٣: ص١٤٢) ورواه الثعلبي في تفسيره ج٥: ص ٢٧٢ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٣٨٢ والفخر الرازي في تفسيره ج١٩: ص ١٤ و ابن كثير الشامي في تفسيره ج٢: ص ٥٢٠ والسيوطي في الدر المنثور ج٤: ص ٤٥ والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص ٧٩ والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص ١٠٨ والشبلنجي في نور الابصار: ص ٧٠ والقندوزي

➔

فمن هذه بعض فضائله هو الخليل دون من عرفت نبذة من مشاقّاته لله ورسوله ومبتدعاته في الدين التي منها إمامته وإمامة عمر بعده وإمامة عثمان و غير ذلك[1] فعلم ممّا بيّنّاه كذب خبر الخلّة وغيره ممّا دلّ على وجود

➔

الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ٢٩٦ وغيرهم.

وقد روى ابن حجر العسقلاني الحديث عن الطبري و قال: أنه أخرجه الطبري باسناد حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس انّه قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال: أنا المنذر وأومأ إلى علي وقال: أنت الهادي بك يهتدي المهتدون بعدي ... (فتح الباري ج٨: ص٢٨٥.

وهذا الحديث صريح في اثبات خلافة مولانا الإمام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل وذلك لقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ (سورة يونس: ٢٥) فانّ الهداية والانذار من مسؤوليات النبي صلى الله عليه وآله والامام والنبي الاكرم صلى الله عليه وآله قد بين هذه الحقيقة في تفسير قوله تعالى انّما انت السيد منذر الحكيم: ولكل قوم هاد ومعنى ذلك انّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو الهادي على لسان القرآن الكريم فالهادي بالحق أحق أن يتبع ...

وبعد وضوح الأمر هل يمكن أن يدعى خليل رسول الله صلى الله عليه وآله غير خليفته الذي يهتدي به الناس أم من لا يكون كذلك كيف يعقل أنّ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله الذي جاء لهداية الناس لا يجعل خليله من يكون مسؤوليته مشتركة معه.

وبعبارة أخرى: كيف لا يجعل رسول الله صلى الله عليه وآله خليله من يهدي الناس بقوله وفعله أليس هو حكيم على الاطلاق والحكيم يقدم للخلّة من له هذه الصفات ويكون هو الأولى بالخلافة؟!!!

(١) لا شك أنّ غصب الخلافة من أكبر الموبقات التي ليس نظيرها موبقة في الاسلام، لأنّ

➔

فضل في أبي بكر وعمر وعثمان[١].

➔

جميع المفاسد والأحداث والبدع والانحرافات انّما تكون بسبب غصب الخلافة وكذلك جميع الأعمال الشنيعة والأفعال القبيحة الصادرة من الحكومات الظالمة الردية من قتل النفوس الزاكية ونهب الاموال والتعدي إلى حقوق المسلمين ونواميسهم وسائر ما يتعلق بذلك إلى يوم القيامة، ولا سيما التشتت والنفاق بين السملمين فانّها من تبعات غصب الخلافة في السقيفة وسير الخلافة على غير محورها، فغصب الخلافة أكبر جريمة قام بها الجماعة لأنّها حرفت مسار الاسلام فاي جريمة أعظم من انحراف الناس والظلم إليهم، فغصب الخلافة الذي هو أكبر جريمة في الاسلام كيف يمكن أن يكون الغاصب للخلافة هو خليل رسول الله صلى الله عليه وآله وهل يعقل التفوه بذلك؟!!

(١) وخلاصة الكلام انه بعد معرفة شأن الغاصبين للخلافة ومعرفة كونهم من المضلين الذين أضلوا الناس عن الحق فلايليق بهم مقام الخلّة؛ لأنّ من غصب الخلافة وجلس مكان الخليفة الذي جعله الله خليفة على المسلمين فقد حكم على خلاف ما أنزل الله وشمله قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (سورة المائدة: ٤٤) وقوله تعالى: ﴿ **لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (المائدة: ٤٥) وقوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ فهذه الآيات المباركة قد صدرت حكماً صارماً وجازماً على من لم يحكم بما أنزل الله فهو في زمرة الظالمين والفاسقين والكافرين وذلك لأنّ الحكم على خلاف ما انزل الله سبب لوقوع الناس في الضلالة ومن يباشر هذه الرذيلة يصد الناس عن سبيل الله عزوجل فيشمله قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ** ﴾ (سورة الأعراف: ٤٥)

ولا شك الثلاثة الذين غصبوا الخلافة من مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهم مشمولون لهذه الآية المباركة كما هو ظاهر واضح ويشهد لذلك تصريح عمر بن

➔

➔ الخطاب حيث قال بيعة أبي بكر فلتة فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلى عبد الرحمن فقال:لو رأيت رجلاً أتى أميرالمؤمنين اليوم فقال: يا أميرالمؤمنين هل لك في فلان يقول لوقد مات عمر لقد بايعت فلاناً فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم.

العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذي يريدون أن يغضبوهم أمورهم ... (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين باب رجم المحصن).

وهذا دليل واضح لامجال للشك فيه حيث أنّ أبابكر كانت بيعته فلتة كما هو صريح هذا الحديث وانّ البيعة إذا كانت فلتة بنظر الخليفة معناها أنّها غير شرعية ولذلك قال عمر بن الخطاب: ومستحقة للقتل إن عاد مثل هذه البيعة فاذا كان حكم العود بمثل هذه البيعة التي كانت غير شرعية عقوبتها الموت والقتل فالمرتكب لها أوّل مرة ايضاً حكمه القتل لكونها غير شرعية إلاّ أن الخليفة عمر بن الخطاب أراد أن يقول للناس اغمضوا عما سبق من الإجرام في الماضي، لأنّها كانت غير شرعية ولذلك قال: وقى الله شرها.

فهذا الإقرار من عمر بن الخطاب دليل على عدم شرعية خلافة أبي بكر وكون خلافته غاصبة.

لأن حكم المتشابهات فيما يجوز وما لا يجوز واحد، فعمر اعتبر البيعة التي تكون فلتة بيعة شرعية على ما أنزل الله ولا شك أن بيعته كانت متوقفة على هذه البيعة التي سماه فلتة فهما غاصبان للخلافة.

إذن هل يعقل عند أهل السنة الجماعة أنّ الغاصب للخلافة والامامة يكون خليلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟!!

الثاني والعشرون: ما نقله من خبر سفينة[1]. فإنّه معلوم البهتان من

---

(١) لقد أخرج أبوداود في سننه بسنده عن سفينة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثمّ يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء ... (سنن أبي داود ج٢: ص ٤٠١).

أقول: أولاً: مع قطع النظر عن سند الحديث فإنّه منافٍ للروايات المتواترة الدالّة على أنّ خلفاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اثنى عشر خليفة إلى يوم القيامة.

وثانياً: حديث سفينة مناف للأحاديث المتواترة كحديث الثقلين وأمثاله حيث إن حديث الثقلين يدلّ بالصراحة على أنّ الخلافة والإمامة في جنب القرآن خالدة إلى يوم القيامة وهما لايفترقان أبداً. وحديث سفينة يدلّ على أنّ الخلافة مدّتها ثلاثون سنة! فلايمكن الجمع بينهما.

ثمّ إنّ المستفاد من حديث السفينة مشروعيّة حكومة بني أميّة ولكن الأحاديث الواردة في ذمّهم تنفي هذا الاعتقاد الباطل لأنّه قد ورد في ذمّهم النصوص العديدة من القرآن وروايات متواترة مضافاً إلى اعتراف علماء أهل السنة والجماعة بأنّ حديث سفينة مناقض للأحاديث المتواترة. ولذلك قال العيني في مقام دفع التنافي والتناقض عن الحديث: إن قلت: يعارض حديث سفينة ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة: لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.. قلت: قيل الدين لم يزل قائماً حتّى ولي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش وأراد بهذا خلافة النبوّة، ولم يرد أنّه لا يوجد غيرهم.

وقيل هذا الحديث فيه إشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلين من قريش، ولم يوجدوا على الولاء، وإنّما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوّة في ثلاثين سنة، ثمّ قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون منهم عمر بن عبد العزيز ومنهم المهتدي بأمر الله العباسي، ومنهم المهديّ المبشّر بوجوده في آخر الزمان (عمدة القاري، ج١٦:ص ٧٤)

فانظر إلى خلطه بين الحقّ والباطل للدفاع عن خلافة الأمويّين وغيرهم من الفسّاق حيث التزم بأنّ الفسّاق من خلفاء بني أميّة كيزيد وأضرابه من العدول وعليه قسّم الخلافة الشرعية إلى نوعين: خلافة نبوّة وهي التي كانت لمدّة ثلاثين سنة وخلافة شرعيّة مع وصف أنّها

←

وجوه عديدة،

منها: الوجوه التي تقدمت في بيان بهتان مطلق النص على أبي بكر وعمر وعثمان [(١)].

➔

لم تكن عادلة، وكلّها خلافة النبيّ على حسب زعمه، ولكن عندما يصل إلى أنّ العدد أكثر من اثني عشر يجعل لنفسه طريقاً اعتباطياً من دون أيّ دليل يذكره له بأن يختار منهم جماعة ولم يذكر أيّ دليل على اعتبار ذلك، وهل هذه المحاولة الفاشلة لها أثر علميّ عند أهل العلم؟ كلاّ ثم كلاّ، لأنّه قد يسأل منه أنّ اثني عشر العدد المذكور في الروايات الصحيحة هل يفهم منه التحديد أو لا؟ إذا قال: نعم، يسأل هل أنّ العدد المذكور في خبر سفينة مطابق لهذا التحديد أو لا؟ فلابدّ أن يقول: لا. وإذا لم يكن عدد الخلفاء اثني عشر فهل باختيار الناس أن يختاروا من خلفاء العامّة أو لا؟ فإذا كان الأمر كذلك فلابدّ أن يقول: لكلٍ أن يختار لنفسه اثني عشر ممّن يحبّه! وهل هذا هو مذهب أهل السنة؟!

فالحقّ أنّهم تحيّروا في توجيه هذا الحديث مع أنّه مطابق لأصل اعتقاد أهل السنة والجماعة وهو حديث مكذوب ليس له واقع.

نعم يمكن أن يقال الخلافة عندهم بالهوى والميل أي من كان يميل أن يختار منهم من يريده ومن لم تمل إليه نفسه فلا يجعله خليفة حتّى يتمّ عدد الاثني عشر كائناً من كان. فهو أمر غريب وحريّ أن يسمّى هذا المذهب مذهب الأميال والأهواء لا الدين الإسلامي. فهل يقصد ذلك؟! بأنّ مذهب من تسمّى بأهل السنة والجماعة هو مذهب الأميال والأهواء؟!

(١) فإنّ أحد الوجوه التي استدلّ به أهل السنة والجماعة على خلافة أبي بكر وجعلوه أساساً لاعتقادهم في باب الخلافة والإمامة هو عدم وجود النصّ على إمامة أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فإنّ هذا الاعتقاد صار منشأً لمشروعية الخلافة عند أهل السنة بانعقاد السقيفة

➔

ومنها: مناقضة سيرة الثلاثة لسيرة النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه حسبما عرفت نبذة منها فيما مضى فانّ معنى خليفة النبي هو المشيد سيرة النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه والعام هو بنفسه عليها فاما من خالفها ودعى الناس إلى مخالفتها فليس بخليفة قطعا وقد خالفها الثلاثة في عدة مقامات مضي بيان بعضها وسيأتي بيان بعض [1].

➔

وانتخاب أبي بكر خليفة للمسلمين، ولكن هذا الاعتقاد ينافي مشروعيّة خلافة عمر بن الخطاب عند أهل السنة والجماعة لأنّ خلافة عمر كانت بتنصيب أبي بكر وخلافة عثمان بالشورى العمريّة فلم تكن خلافتهما بانتخاب الناس.

فأصل الخلافة عند أهل السنة والجماعة متوقّفة على عدم وجود النصّ وبناءً على ذلك فإنّ قول ابن تيمية وبعض علماء أهل السنة بوجود النصّ على خلافة الخلفاء الثلاثة بهتان عظيم على رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه ومبطل لأساس اعتقاد أهل السنة والجماعة، إذ من الواضح أنّه لو كان هناك نصّ على خلافة أحد لبطل ما توقّف عليه انتخاب الخليفة في السقيفة، ومضافاً إلى ذلك كلّه لو كان هناك نصّ على خلافة أحد منهم لاحتجّوا به في السقيفة. ولم يدّع أحد منهم ذلك.

وثانياً: إنّ الخلفاء الثلاثة اعترفوا بعدم وجود النصّ عليهم كما بينّاه سابقاً، وسيأتي تفصيل ذلك في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

(١) لا شكّ أنّ من درس التأريخ الإسلامي دراسة علميّة موضوعيّة بقصد التمحيص الخالي عن التعصبات والمعاندات التي لا مستند لها، وأخلص ذهنه عن الاعتقادات المألوفة يرى بوضوح أنّ الأحداث التي توالت على الأمّة الإسلامية بعد وفاة رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه هي التي كانت سبب انحراف الأمّة عن مسيرها الذي رسمه الله ورسوله لهم، وأنّ جميع ما حدث من الانحراف والضلالة نتيجة مؤامرة السقيفة وغصب الخلافة من أهلها وجلوس أبي بكر وعمر و عثمان مكان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعَلَيْهِالسَّلَامُ غصباً وعدواناً حيث إنّهم أسّسوا بنيان الانحراف عن الرسالة الإلهية، وبسيطرتهم على أعناق الناس منعوا إجراء

➔

➔

الحكم الإلهي بيد الإمام والخليفة الإلهية.

وأوّل جريمة ارتكبها الحزب الحاكم بعد غصب الخلافة في السقيفة الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام ليعرف الناس أنّ هؤلاء لا مانع لهم من ارتكاب أي إجرام في سبيل الوصول إلى القدرة والرئاسة، لأنّ الناس كانوا يعرفون منزلة الزهراء عليها السلام وحرمة بيتها وشأنها عند الله ورسوله، فأرادوا بذلك أن يبيّنوا للناس أنّه لا مانع لهم من هتك ذلك البيت الرفيع ولا يبالون بارتكاب أيّ جريمة نكراء على رؤوس الأشهاد في سبيل الوصول إلى الرئاسة فخالفوا أوامر الله عزوجل حيث أمر تبارك وتعالى المسلمين بمودّة أهل البيت عليهم السلام وجعلها أجراً للرسالة المحمّدية فأوّل خطوة اتخذها الغاصبون للخلافة إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن ساحة الحكم لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الدين الإسلامي متقوّم بوجود أهل البيت عليهم السلام لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله صرّح في عديد من الروايات أنّه ترك فيهم الثقلين كتاب الله وعترته وقال: إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. وضمن النجاة لهم من الانحراف إن هم تمسّكوا بهما معاً. ولكنّ الخلفاء الغاصبين منعوا الناس من العمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وصاروا سبباً لانحراف الأمّة الإسلامية، و شملهم قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾(سورة الكهف: ١٠٣ــ١٠٦)

والظاهر أنّ التعبير بالأخسرين من أجل أنهم صاروا سبباً لضلالة الناس، فهم أخسر ممّن وقعوا في الضلالة لأنّ هؤلاء مهّدوا الأُمور لضلالة الآخرين، فهم أخسر من بقية الكفّار وأهل الضلال وقد وردت في تفسير هذه الآية المباركة روايات فيها تصريح بأنّ المراد بالأخسرين أعمالاً هم أهل البدعة كما ورد ذلك في رواية أصبغ بن نباتة عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال: هم كفرة أهل الكتاب وقد كانوا ابتدعوا في أديانهم وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً (انظر كتاب الغارات لأبراهيم بن محمد الثقفي ج ١: ص١٨).

🡐

ومنها: ما في مسند أحمد عن عمر انّه قال فان أدركني أجلي ومعاذ بن جبل حيّ استخلفتُه [١].

قلت: فأقرّه الصحابة على قوله [٢]، وهو مناقض لخبر سفينة من حيث

←

ولاشكّ أنّ الغاصبين للخلافة هم من أبرز مصاديق هذه الآية الكريمة لأنّ بسبب غصبهم الخلافة أحدثوا في الإسلام البدع والمعاصي الظاهرة، وبذلك أسّسوا أساس الضلالة والانحراف. فمؤامرة السقيفة المشؤومة الظالمة غيّرت مسيرة الأمّة الإسلامية عن الرسالة الإلهية التي جاءت عن الأنبياء والمرسلين، وبذلك بدّلت الرسالة الإلهية بالسياسة التابعة لعصر الجاهلية وهي سياسة العنف والتحكّم وتحطّم جميع القيم الإنسانية والأخلاقية، وعلى أصحّ تعبير هي السياسة الجاهلية بالمعنى الحقيقي والتي حاربت الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، وهي سياسة الطغيان والانحطاط الفكري التي كانت في العصر الجاهلي فحملت الحكّام والغاصبين للخلافة الناس على هذه السياسة القبلية والنخوة الجاهلية السائدة في المجتمع الجاهليّ، فأعادوا على الناس تلك العريكة.

وهناك وثائق تاريخية مقبولة عند جميع المؤرّخين والمحدّثين حيث أخرجها كبار علماء الإسلام وكبار علماء أهل السنة والجماعة وهي تدلّ بالصراحة على أنّ الخلفاء الثلاثة قد خالفوا نصوص الكتاب والسنّة النبوية مخالفة صريحة قطعيّة وروّجوا بدل ذلك السنن الجاهلية وسنذكرها إن شاء الله في محلّه، وقد جاء ذكر بعضها في كتاب الغدير للعلامة الأميني رضوان الله تعالى عليه فللباحثين الرجوع إلى هذا الكتاب القيّم وملاحظة المباحث فيها.

(١) انظر مسند أحمد بن حنبل ج ١: ص ١٨

(٢) وتوضيح المقام أنّ عمر بن الخطاب ذكر في الحديث المذكور أنّه لو كان معاذ بن جبل حيّاً لاستخلفته. فلو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لكان على الصحابة أن يعترضوا على الخليفة بأنّ خلافة الخلفاءالثلاثة قد ورد النصّ في حقّهم ولا

←

تعيّن من يلي فيه في الثلاثين سنة[(١)] وصاحب فتح الباري نقل الخبر من حيث مناقضته لما دلّ على كون الخليفة من قريش، وقال: بأنّ معاذ بن جبل ليس بقرشيّ بل هو أنصاريّ، ثم قال: لعلّهم مجمعون على لزوم القرشيّة بعد عمر، أو تغيّر اجتهاد عمر في ذلك[(٢)].

قلت: وهذه زلّة عجيبة، أما علم أنّ مبنى إمامة أبي بكر في السقيفة على كون الخليفة من قريش ومن هذه الجهة بايعه عمر؟ فما معنى كونهم مجمعين على ذلك بعد عمر أو تغيّر اجتهاد عمر، وقدبُنيت حتّى إمامة عمر على ذلك الخبر؟ وقد عرفت فيما مضى ما ترتّب على ذلك المبنى من المناقضة المسبّبة عن اللعب بالدين[(٣)].

➔

وجه لقولك: لو سألني ربّي عزوجل لم استخلفته؟ قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة.

فإنّ قوله هذا دليل على عدم وجود نصّ على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فأوّلاً لإقرار عمر ابن الخطّاب، وثانياً بتقرير الصحابة لقول عمر بن الخطاب، فلاحظ.

(١) فإنّ خبر سفينة ظاهر في تنصيص الخلفاء الثلاثة. فلو كان عثمان منصوصاً عليه كيف يقول عمر بن الخطاب: لو كان معاذ بن جبل استخلفته؟ فالأمر في قبول هاتين الروايتين بين أحد قولين إمّا القول بعدم وجود النصّ على خلافة أحد من الخلفاء الثلاثة ورفع اليد عن حديث سفينة، وإمّا القول بأنّ عمر بن الخطاب خالف النصّ وأقرّ الصحابة على ذلك. فيلزم عليهم الالتزام بأحد الأمرين.

(٢) انظر فتح الباري ج١٣: ص ١٠٦.

(٣) لا شكّ أنّ هذه الحقيقة تتّضح أكثر من خلال ملاحظة الحوادث التي حدثت في

➔

ومنها: ما هم متّفقون عليه من أنّ إمارة عمر بن عبد العزيز حالها حال إمارة أهل هذه الثلاثين، فخبر الثلاثين منقوض بها[(١)].

السقيفة، فإنّ نظام الخلافة في السقيفة أصرّ على لزوم كون الخليفة من قريش كما هو معروف عن عمر بن الخطاب وقد اعترض في السقيفة على الأنصار بأنّ قريشاً قبيلة النبيﷺ والخلافة لا تكون إلّا في قريش فهم أحقّ بسلطانه ... فمن ذا ينازعنا سلطان محمّد ونحن قومه وعشيرته؟ ... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٢٨)

ولكنّ عمر نفسه تخلّف عن هذا المبدأ الذي أسّسه في السقيفة وهو مبدأ قرشيّة الخلافة فقال: فإن أدركني أجلي وقد توفّي أبوعبيدة استخلفت معاذ بن جبل ... (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٨)

فلاشكّ أنّ معاذ بن جبل كان من الأنصار فكيف رفع عمر بن الخطاب اليد عمّا بنى عليه في السقيفة.

وهل من حقّ القارئ أن يسأل أنّ القرابة أحقّ للخلافة أم لا؟

وهل أنّ أحقّية قريش بالخلافة والذي ذكره عمر في السقيفة صحيح أم لا؟ وأنّ ما ذكره في شأن معاذ بن جبل هل ينافي كون الخلفاء من قريش أو لا؟ وغير ذلك من الأسئلة التي لا تجد لها جواباً في كتب القوم؟

وهذا من أبرز مصاديق التلاعب بالدين وأمور المسلمين. فلماذا سكت علماء أهل السنة والجماعة عن هذه التناقضات وما صدرت من خلفائهم في المقام؟ فهذه الأسئلة وغيرها تدلّ على أنّ خبر سفينة كذب وافتراء واضح.

(١) ما أفادهرحمه الله إشارة إلى ما ذكره بعض علماء أهل السنة والجماعة في شرح حديث جابر بن سمرة: إنّه لا يزال الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش ... الحديث. قلت: وقيل: إنّ الدين لم يزل قائماً حتّى ولي اثنا عشر خليفة. أراد بهذا خلافة النبوة وهذا الحديث إشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلين من قريش وإن لم يوجدوا على الولاء

ومنها: ما هم متّفقون عليه من أنّ الدنيا تفيض بالعدل زمان الخليفة المهدي عليه السلام[1]،

→

وانّما اتفق وقوع المتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة، ثم قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون منهم عمر بن عبد العزيز ومنهم المهتدي بأمر الله ومنهم المهدي المبشّر بوجوده في آخر الزمان... (عمدة القاري في شرح البخاري ج١٦: ص ٧٤).

فإنّ صريح ثلاثين سنة معارض مع قوله صلى الله عليه وآله لايزال إلى يوم القيامة. فلايمكن الجمع بين حديث السفينة وحديث اثني عشر خليفة.

مضافاً إلى أنّ المستفاد من حديث اثني عشر استمرار وجود الخلفاء إلى يوم القيامة، ومعناه أنّ هذا الخطّ الرسالي لا ينقطع إلى يوم القيامة. وأما حديث سفينة أمره ثلاثون سنة. إذن إنّ خبر سفينة واضح البطلان حتّى عند علماء أهل السنة والجماعة.

وبعبارة أوضح: إنّ معنى حديث اثني عشر خليفة لزوم وجود خليفة بعد النبي في كلّ عصر وزمان إلى يوم القيامة. ومعنى حديث السفينة وجود الخليفة في ثلاثين سنة فقط، فأين ثلاثين سنة وأين وجود الخليفة إلى يوم القيامة؟!

(١) لا شكّ أنّ جماعة كثيرة من علماء أهل السنة والجماعة صرّحوا بظهور الإمام المهدي عليه السلام وأنّه آخر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، نشير هنا إلى بعض من روى هذه الروايات، فمنهم الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ج٢٠: ص ١٦٠ ـ ١٦١ في حوادث سنة ٢٦٥ و منهم ابن خلّكان في وفيات الأعيان ج٤: ص ١٧٦ رقم الترجمة ٥٦٣ ومنهم الحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص ٣١٩ ومنهم سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ٣٢٥ ومنهم ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ج٢: ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ومنهم ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة: ص ٢٩١ ومنهم الكلنجي الشافعي في البيان في أخبار صاحب الزمان: ص ١٤٨ ومنهم ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٧: ص ٢٧٤ ومنهم ابن الوردي في تاريخه ج١: ص ٢٢٣ ومنهم أبوالفداء في تاريخه ج١: ص

←

والسنة الصحيحة قد وردت بذلك [(١)]،

➔

٣٦٨ وعبدالملك العصامي في كتابه سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج٣: ص ٣٤٧ ومنهم خواجه بارسا في كتابه فصل الخطاب (انظر الزام الناصب ج١: ص ٢٩٣ نقلاً عن فصل الخطاب) ومنهم المتقي الهندي في مرقاة المفاتيح: ص ١٧٩ ومنهم عبدالحقّ الدهلوي في رسالته في مناقب الأئمة عليهم السلام (انظر الزام الناصب ج١: ص ٢٩٤ نقلاً عن الدهلوي) وأيضاً في كتابه التحفة الاثني عشرية: ص ١٦٦ وغيرهم من العلماء والمحققين. راجع منهاج الشريعة ج١: ص ٤٢٦ ـ ٤٥٣.

(١) فإنّ الأحاديث الصادرة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ظهور الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ودولته في آخر الزمان كثيرة جداً بحيث لو فحص الباحث جميعها يقطع بصدورها عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ونحن نذكر بعض ماورد في هذا المجال من باب المثال. فمنها ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تذهب الأيام والليالي حتّى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص ٤٤٢).

ومنها ما رواه أبوداود في سننه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي منّي أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا و عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويملك سبع سنين (سنن أبي داود ج٢: ص ٣١٠).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة قال:فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمّة (صحيح مسلم ج١: ص ٩٥ كتاب الإيمان باب بيان نزول عيسى بن مريم).

➔

وخبر سفينة أخرجه أحمد[١] وأصحاب السنن [٢]

➔

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم (صحيح البخاري ج٤: ص ١٤٣ كتاب بدء الخلق باب نزول عيسى وصحيح مسلم ج١: ص ٩٤ كتاب الإيمان باب نزول عيسى).

ومنها ما رواه أبوداود بسنده عن أم سلمة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: المهديّ من عترتي من ولد فاطمة (سنن أبي داود ج٢: ص ٣١٠).

ومنها ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ: يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظّم الأمّة، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً (المستدرك على الصحيحين ج٤: ص ٥٥٨).

ومنها ما رواه المقدسيّ بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللهﷺ قال: تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يمتنعوا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلّا أخرجته (عقد الدرر في أخبار المنتظر ص ١٤٥) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في الإمام المهديعليه السلام وهي متجاوزة حدّ التواتر. وسيأتي البحث في ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٢٢١.

(٢) انظر سنن أبي داود ج٢: ص ٤٠١ ح ٤٦٤٦ وسنن الترمذي ج٣: ص ٣٤١ ح ٢٣٢٦ والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص ١٤٥ وفضائل الصحابة للنسائي: ص ١٧ ومسند أبي الجعد: ص ٤٧٩ وكتاب السنة لابن أبي عاصم: ص ٥٤٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص ٤٧ والمعجم الكبير للطبراني ج١: ص ٥٥ وغيرها من المصادر.

وصحّحه ابن حبان [(١)] وغيره [(٢)]، وآخره: ثمّ يكون بعد ذلك الملك [(٣)] فكيف تصير إمامة المهديّ إمامة دين وعدل؟ وهذه مناقضة بيّنة لما زعموه من الخبر [(٤)].

---

(١) انظر صحيح ابن حبان ج١٥: ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٩٢.

(٢) قال ابن حجر: أخرجه (أي حديث سفينة) أصحاب السنن وصحّحه ابن حبان وغيره .. (فتح الباري ج٧: ص ٤٧).

(٣) كما جاء ذلك في سنن الترمذي. وإليك نصّ الحديث: حدّثنا سوار بن عبد الله حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثمّ يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء، قال سعيد: قال لي سفينة: أمسك عليك أبابكر سنتين وعمر عشراً وعثمان اثنتي عشرة وعليّ كذا.

قال سعيد: قلت لسفينة: إنّ هؤلاء يزعمون أنّ علياً عليه السلام لم يكن بخليفة، قال: كذبت أستاه بني الزرقاء. يعني بني مروان (سنن أبي داود ج٢: ص ٤٠١ ح ٤٦٤٦).

أقول: أوّلاً إنّ العدد المذكور في النصوص الصحيحة المتواترة اثنا عشر خليفة.

وثانياً: إنّ حديث سفينة لا ينسجم مع ما حدث في التاريخ وعدد خلفاء أهل السنة والجماعة، فمعناه إمّا بطلان خلافة خلفاء أهل السنة والجماعة، وإمّا القول بعدم صدق كلام النبي صلى الله عليه وآله والعياذ بالله فلابدّ من اختيار أحد الأمرين ومن الواضح أنّ الثاني باطل.

وثالثاً: إنّ حديث سفينة معارض للروايات المتواترة كحديث الثقلين وغيره كما تقدّم ذكره. فيبقى القول بأنّ حديث سفينة من الأحاديث المجعولة التي اختلقها الأمويّون.

(٤) وبعبارة أوضح إنّ أهل السنة والجماعة في هذا الحديث بين أمرين: إمّا أن يصدّقوا هذا الحديث و يلتزموا بلوازمها وإمّا أن يكذّبوه، فإذا صدّقوه يلزم عليهم أن يكذّبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في كثير من الأحاديث الصادرة منه بالتواتر القطعي لدى جميع المسلمين كحديث الأئمة من بعدي اثنا عشر، والأحاديث الواردة في إمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف و غيرها من الأحاديث المتواترة، لأنّ حديث سفينة لا ينسجم مع تلك

←

ومنها: مناقضته لخبر: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش[1].

➔

الأحاديث فيلزم إمّا الأخذ بحديث سفينة و تكذيب تلك الأحاديث أو تكذيب حديث سفينة ورفع اليد عنه و تصديق الأحاديث الصحيحة المتواترة لدى جميع المسلمين و عند ذلك لا يبقى تعارض ولا تناقض.

(١) فإنّ حديث «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش» رواه أئمة الحديث من أهل السنة والجماعة منهم البخاري في صحيحة بسنده عن جابر بن سمرة قال سمعت النبيﷺ يقول: اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه يقول كلّهم من قريش (صحيح البخاري ج٤: ص ١٧٥ كتاب الأحكام باب جعله قبل إخراج الخصوم).

ومنهم مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٢ : ص ١٩١ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش)

وأيضاً عنه قال سمعت النبيﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ثمّ قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش (صحيح مسلم ج٢: ص ١٩١ كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش)

ومنهم أبوداود السجستاني في سننه بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، فكبّر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيت قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: كلّهم من قريش (سنن أبي داود ج٢: ص ١٢٦ كتاب المهدي)

ومنهم: أحمد بن حنبل بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ١٠٦) وإلى غير ذلك من المحدّثين وأصحاب الصحاح والسنن والمسانيد من أهل السنة والجماعة الذين رووا هذا الحديث

➔

←

بعبارات مختلفة وفي بعضها كعدّة نقباء بني إسرائيل (انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٣٩٨ و مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص ١٩٠).

فحديث «الخلفاء من بعدي عشر» صحيح سنداً، بل متواتر عند أهل السنة والجماعة وواضح دلالة، حيث إنّ دلالته صريحة في تحديد خلفاء رسول اللهﷺ وهم لا يتجاوزون عدد الاثني عشر و لا يقلّون عن ذلك، وهم يمتدّون إلى قيام يوم الدين وأمّا حديث سفينة يدلّ على أنّ الخلافة بعد الرسول ثلاثون سنة فقط وعددهم أربعة وبعد ذلك ملوك فلا ينطبق مع حديث اثني عشر خليفة لا من حيث العدد ولا من حيث الزمان كما هو واضح ظاهر. ولذلك صرّح كثير من علماء أهل السنة بأنّه لا يمكن الجمع بين الحديثين بل بينهما تعارض جليّ فعن القاضي عياض: توجّه على هذا العدد «أي الاثني عشر» سؤالان أحدهما أنّه يعارضه ظاهر قولهﷺ في حديث سفينة الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثمّ يكون ملكاً، لأنّ الثلاثين سنة لم يكن فيها إلّا الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن بن علي. والثاني أنّه ولي الخلافة أكثر من هذا العدد. (انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١٣: ص ١٨٢ نقلاً عن القاضي عياض).

وعن ابن الجوزي قال: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث و تطلبت مظانّه و سألت عنه فلم أقع على مقصود، لأنّ ألفاظه مختلفة، ولاشكّ أنّ التخبط فيها من الرواة (انظر فتح الباري ج١٣: ص ١٨٣ نقلاً عن كتاب كشف المشكل لابن الجوزي).

وقال السيوطي بعد ذكر أقوال العلماء في هذا الحديث: وعلى هذا فقد وجد من الإثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضمّ إليهم المهتدي من العباسيين، لأنّه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أميّة، وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل. وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنّه من ال بيت محمدﷺ (تاريخ الخلفاء: ص ١٥) انتهى. ولم يذكر السيوطي المنتظر الثاني ولم يبينه.

أقول: وهل يمكن العثور على تحليل يثير السخريّة أكثر من هذا ؟

ثمّ إنّه كيف يذكر الإمام الحسن عليه السلام ولم يذكر الإمام الحسين عليه السلام فمن أجل هذا التضارب

←

➔
التجأ القندوزي الحنفي إلى قول بعض المحققين فقال: إنّه قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث دالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، عُلم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن نحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز و لكونهم غير بني هاشم ، لأنّ النبيﷺ قال: كلّهم من بني هاشم، في رواية عبد الملك عن جابر وإخفاء صوتهﷺ في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنّهم لا يحسنون خلافة بني هاشم (انظر ينابيع المودة ج٢ ص ١٠٥).

والحقيقة أنّ اثني عشر خليفة لا يقبل توجيهاً إلّا على مذهب الإمامية حيث وردت الأخبار في أئمتهم، معتبرين أنّ ذلك من دلائل النبوة وصدقه في الإخبار بالمغيبات.

ثمّ السؤال الذي يطرح هنا هو لماذا الصحابة لم يسألوا رسول اللهﷺ من هم هؤلاء الخلفاء والأئمّة الاثنا عشر؟

هنا توجد عدّة احتمالات، الأوّل: أنّ الامة والصحابة لم يهتمّوا بذلك، رغم الاهتمام الخاصّ الذي أولاه الرسول الكريم لبيان هذه الحقيقة من خلال العشرات بل المئات من الروايات التي بيّنت أنّ الرسولﷺ أشار إلى أنّ الخلفاء من بعده اثنا عشر.

وهذا الاحتمال لا يمكن قبوله إلّا مع الطعن في الصحابة والتابعين ولا شكّ أنّ أهل السنة والجماعة لا يرضون بذلك.

الثاني: أنّهم سألوا رسول اللهﷺ ولكن الرسول لم يهتمّ ببيان ذلك. وهذا أيضاً لا يمكن قبوله؛ لأنّه خلاف ما صرّح به القرآن الكريم بالنسبة لرسوله الأمين حيث قال تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾ (سورة التكوير: ٢٤) بل هو مأمور ببيان ما نزّل إليه من الأمر الالهي حيث قال تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (سورة النحل: ٤٤).

فيبقى الاحتمال الثالث وهو أنّ رسول اللهﷺ ذكرهم في الأحاديث ولكن الأمّة والصحابة خالفوا رسول اللهﷺ في قبول خلفائه، والشاهد على ذلك الروايات الواردة في كتب
➔

فإنّ معنى خليفة غير معنى ملِك (بكسر العين)[١]، فإنّ خبر الثلاثين قد دلّ

➔

أهل السنة والجماعة وفيها ذكر عدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وخلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وذكر أسمائهم أوّلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف (لاحظ فرائد السمطين ج٢: ص١٣٢ وينابيع المودة ج٣: ص ٣٨١).

(١) وتوضيح المقام أنّ الخليفة إمّا بمعنى الشخص الذي جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس على كرسيّ الحكم والإمارة بلا تنصيب من رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون بمعنى اسم الفاعل أي خلفه وإن كان ظلماً أو غصباً، وإمّا بمعنى الشخص الذي عينّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بصفة خليفة له فيكون بمعنى اسم المفعول أي أنّه منصوب من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله

فعلى كلا التقديرين لا يكون معنى الخليفة الملك، لأنّ الملك لا يكون خليفة لا على نحو القسم الأوّل ليكون بمعنى اسم الفاعل ولا على نحو القسم الثاني، بل المقصود به التسلّط على رقاب الناس، ولا يشترط فيه رعاية أحكام الإسلام ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ الملك عبارة عن: التحكّم بحسب الأهواء والآراء التي يمكن أن تكون على أساس الدين أو على أساس العلم والتجربة أو لا على أساس الدين ولا العلم.

فعلى فرض أن يكون الملك عندهم على أساس الدين باعتبار مشرويعة حكومته عند أهل السنة والجماعة فلايكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بل ملك مشروع حكومته عندهم.

إذن لابد لمن يدعي خلافة الرسول إمّا أن يردّ مدلول حديث سفينة ويقول ليس بعد الثلاثين ملوك بل كلّهم كانوا خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله، وعليه يكون عدد خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله عندهم أكثر من اثني عشر الذي حدّده الرسول صلى الله عليه وآله في الأحاديث المتواترة، أو يقول: بأنّ عدد خلفاء الرسول أربع أو خمس أشخاص والملوك من بعدهم ليسوا خلفاء الرسول، صلى الله عليه وآله وعليه يلزم أن يكون عدد الخلفاء أقلّ ممّن حدّدهم رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث اثني عشر خليفة.

🡐

على عدم وجود خليفة بعدها [١]، فالموجود بعدها ملوك، و لم يوجد في مدّة الثلاثين بزعمهم سوى خمسة: الثلاثة، و عليّ عليه السلام وابنه الحسن عليه السلام [٢]، فتدبّر.

ومنها: مناقضته لخبر العدد الذي دلّ على عدد خلفائه صلى الله عليه وآله وتحديدهم بأنّ أوّلهم عليٌّ عليه السلام وآخرهم المهديّ عجّل الله تعالى فرجه

فحديث سفينة لا ينسجم مع الروايات المتواترة عند أهل السنة والجماعة ولا على أيّ أساس ديني ومعالمه القويمة، فلاحظ.

(١) فإنّ المقصود بخبر الثلاثين هو حديث سفينة الذي فيه: خلافة النبوة إلى مدّة ثلاثين سنة ثمّ يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء ... (سنن أبي داود ج٢: ص ٤٠١) فالحديث صريح في أنّ زمان الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة.

ومن الواضح أنّه لم يذكر فيه أنّ الملك سيبدّل بالخلافة، ومعنى ذلك أنّ الخلافة تنتهي بانتهاء ثلاثين سنة، وبعد الثلاثين يؤتي الله الملك، والملك يكون باقياً بلاخلافة.

أقول: كيف ينسجم هذا المعنى مع ما جاء في الروايات المتواترة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بل وحتّى مع ما حدث في التأريخ؟!

(٢) وذلك لأنّ حديث سفينة فيه تعيين مدّة الخلافة إلى ثلاثين سنة و على أرض الواقع فإنّ مجموع مدّة خلافة أبي بكر و عمر و عثمان خمس وثلاثين سنة فكيف يكون منطبقاً على ما حدث؟

فهذا الحديث لا يشمل حتى جميع مدّة خلافة الخلفاء الثلاثة فضلاً عن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان على حسب زعمهم الرابع وكذلك الإمام المجتبى عليه السلام فكلّ ذلك يدلّ بالصراحة والوضوح على كذب الخبر.

الشريف حسب ما ذهبت إليه اثنا عشرية الشيعة[١] وسيأتي بيان مخرجيه منهم[٢].

---

(١) لقد وردت عدّة أحاديث صحيحة عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله بأنّ عدد خلفائه والائمة من بعده اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل، و هم من أهل بيته، وأوّلهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام ثمّ بعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام ثمّ بعده الإمام الحسينعليه السلام ثمّ التسعة المعصومين من ذريّة الإمام الحسينعليه السلام. وهذه الأحاديث متواترة في كتب الشيعة منها ما رواه الصدوق بسنده عن يحيى بن أبي القاسم عن الإمام الصادقعليه السلام عن آبائه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: الأئمة بعدي اثنا عشر أوّلهم علي بن أبي طالبعليه السلام آخرهم القائم. وهم خلفائي، وأوصيائي، وحجج الله على أمّتي بعديّ، المقرّ بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر (كمال الدين: ص ٢٥٩).

ومنها ما رواه بسنده عن ثابت بن دينار عن الإمام زين العابدينعليه السلام عن أبيه سيد الشهداءعليه السلام عن أبيه أمير المؤمنينعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله الأئمة من بعدي اثنا عشر أوّلهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزوجل على يديه مشارق الأرض و مغاربها (كمال الدين: ص ٢٨٢).

ومنها ما رواه بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّ خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر: أولهم أخي و آخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله و من أخوك؟ قال: عليّ بن أبي طالب قيل: فمن ولدك؟ قال المهدي الذي يملأها قسطاً و عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحقّ نبياً لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب (كمال الدين: ص ٢٨٠) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا المجال، وهي كثيرة جدّاً.

(٢) لقد نصّ رسول اللهصلى الله عليه وآله على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته ليكونوا خلفائه من بعده وأوصيائه على الأمّة، وجاء ذكر عددهم وأسمائهم في كثير من الروايات التي رواها ←

ويشهد لصحّته خبر الثقلين [(١)] وما بمعناه فبان بحمد الله سبحانه كذب خبر

➔

علماء أهل السنة والجماعة وهي كثيرة منها: ما رواه الحمويني في فرائد السمطين بسنده عن ابن عباس قال: قدم يهودي يقال له: نعثل فقال: يا محمد أسألك على أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك، قال صلى الله عليه وآله: سل يا أبا عمارة، فسأله عن أشياء وكلّما كان النبي صلى الله عليه وآله يجيب عنه يقول: صدقت (إلى أن قال): فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبي إلّا وله وصيّ وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى ليوشع بن نون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ وصيّي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة من صلب الحسين، فقال: يا محمّد فسمّهم لي: قال صلى الله عليه وآله: إذا مضى الحسين فابنه عليّ فإذا مضى عليّ فابنه محمّد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر فإذا مضى جعفر فابنه موسى فإذا مضى موسى فابنه عليّ فإذا مضى عليّ فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه عليّ فإذا مضى عليّ فابنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية (انظر فرائد السمطين ج٢: ص ١٣٢ ج ٧٣١). ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٣: ص ٢٨١ وغيره وهناك روايات أخرى بهذا المضمون في كتبهم سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ممّا يدلّ على أنّ خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله هم الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته هو حديث الثقلين المتواتر لدى جميع المسلمين قاطبة وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً، وإنّ اللطيف الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم رواه كثير من أصحاب الصحاح والمسانيد من أهل السنة والجماعة، وسيأتي ذكر مصادرها إن شاء الله تعالى

وهذا الحديث صريح بما لا مزيد عليه من أنّ العترة الطاهرة والقرآن الكريم معاً خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله ولا غيرهما.

🡐

الثلاثين سنة بهذه الوجوه وغيرها ممّا تقدّم [(١)].

➔

فيجب على كلّ باحث أن يدرس المعطيات بصورة واعية، وإلّا سوف يكون من المتخلّفين والضالّين إن لم يعرف أوامر صاحب الرسالة، لأنّ الحديث صريح في وجوب التمسّك بالثقلين معاً وأراد النبيﷺ بذلك أنّ التمسّك بأحدهما لا يغني عن التمسّك بالاخر، وإلّا يستلزم أن يكون إقرانه ﷺ العترة بالقرآن أمراً لغواً ـ والعياذ بالله ـ فهذا الإقران منهﷺ يدلّنا على أنّ القرآن وحده لا يعصم الأمة من الضلال، فلابدّ أن يكون إلى جنبه العترة الطاهرة بأعتبار أنّهم شرّاح القرآن وحملة مفاهيم الإسلام. فالأمة إن لم تتمسّك بهما معاً تكون في الضلال والخسران.

وأيضاً إنّ الحديث يدلّ على عصمة العترة الطاهرة كما أنّ القرآن كذلك وسيأتي البحث في ذلك مفصّلاً إن شاء الله تعالى.

(١) وخلاصة الكلام أنّ حديث سفينة ينفي خلافة كثير من خلفاء أهل السنة أولاً، وثانياً: لا ينسجم مع ما حدث في التاريخ وثالثاً: لا ينسجم مع اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الخلافة ورابعاً: مخالف للنصوص الصحيحة المتواترة لدى جميع المسلمين كحديث اثني عشر خليفة و حديث الثقلين وغيرها من الأحاديث كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك فراجع.

قال السنّيّ:

والتحقيق أنّ النبيﷺ دلّ المسلمين على إمامة أبي بكر و أرشدهم إليها بأمور متعددة من أقاويله، وأفعاله، وأخبر بها إخبار مرتض لها، وعزم على أن يكتب بها كتاباً في مرضه يوم الخميس ثمّ لمّا حصل لبعضهم شكّ أنّ ذلك القول من المرض أم يجب اتّباعه لم يكتب مكتفياً بما علم من أنّ الله يختاره و المؤمنون. فلو كان التعيّن ممّا يشتبه على المسلمين لبيّنه ﷺ بياناً قاطعاً للعذر. ولذلك قال عمر يوم السقيفة بمحضر من المسلمين مهاجريهم و أنصارهم: و ليس فيكم من تقطع إليه الرقاب مثل أبي بكر وقال عمر فيها بمحضرهم: أنت خيرنا وسيّدنا وأحبّنا إلى الرسولﷺ، قال ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر ذلك عليه أحد، روى البخاري ومسلم هذين الخبرين في الصحيحين ولم يخالف في إمامته سوى سعد بن عبادة، ولم يقل أحد من الصحابة بالنصّ على غير أبي بكر ولم يدّعه أحد مثل عليّ والعباس و من بحبالهما، ولم يقل أحد من الصحابة بأنّ في قريش من يستحقّها غير أبي بكر و هذه جميعها يعلمها أهل العلم بالمنقول من السنن وغيرها، وقد نقل عن بعض بني عبد مناف مثل أبي سفيان وخالد بن سعيد أنّهم يريدون حصرها في بني عبد مناف فلم يلتفت إليهم عليّ وعثمان

لعلمهما وعلم سائر المسلمين أنّه ليس في القوم مثل أبي بكر. ففي الجملة جميع من نقل عنه أنّه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجّة شرعية وإنّما نشأ قوله عن حبّ لقومه وقبيلته انتهى ملّخص مقاله في المقام بحذف مكرّره وحشوه[1].

---

(١) منهاج السنة ج١: ص ٥١٧.

قلت:

وفيه من تشييد الباطل والبهتان ما نشير إليه بوجوه وقد تقدّم جلّها.

أحدها: ما زعمه من أنّ النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه دلّ المسلمين على إمامة أبي بكر، فإنّه من أعظم العجب العجاب؛ لما عرفته في الوجوه السابقة من نقيض ما زعمه السنّيّ [1] فإنّ إمام الخلق هو المقدّم عليهم جميعهم في عامّة

---

(١) لقد تقدّم البحث في هذه الجهة وتبيّن افتراء ابن تيمية على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وثبت أنّ ما نسبه إلى النبي الأكرمصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه من أنّه أشار إلى خلافة أبي بكر منقوض بما يلي:

١ـ إنّه منقوض بقول عمر بن الخطاب حيث قال في جواب السائل عندما سأله هل يستخلف أحداً؟ فقال له: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبوبكر. وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف) فهل يمكن لابن تيمية أن يكذّب عمر بن الخطاب؟ أو ينكر ما نسبه إلى رسول الله؟ أو ينكر صحة هذا الحديث؟

٢ـ إنّ الأخبار والأحاديث المتواترة لدى القوم صريحة في أنّ اجتماع الصحابة في السقيفة كانت من أجل عدم وجود النصّ على خلافة أحد (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص ١٩) فإنّ هذه الأخبار مناقضة لادعاء ابن تيمية من وجود النصّ عليه.

٣ـ إنّه منقوض بما قاله أبوبكر في سقيفة فإنّه قال: بايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح .. (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم) فإذا صحّ أنّه كانت إشارة من رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه إلى خلافة أبي بكر كيف قال أبوبكر: بايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة؟! فانّه لو كان يعلم إشارة رسول اللهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه إليه بالخلافة كيف جاز له أن يقول بايعوا فلاناً و فلاناً.

←

وجوه الفضل [(١)]

➔

٤ـ إنّه منقوض بقول أبي بكر فقد ورد في الأخبار الصحيحة لدى أهل السنة والجماعة أنّ عبد الرحمن بن عوف دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفّي فيه فقال أبوبكر: وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار نصيب في أمر الخلافة؟ (انظر تاريخ الطبرسي ح٢: ص ٦٢٠). ومعنى ذلك عدم وجود أيّ إشارة من رسول الله صلى الله عليه وآله على خلافة أحد، لأنّ أبابكر تمنّى أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار نصيب في الخلافة أم لا؟ فإذا كانت هناك اشارة إلى خلافته فما معنى تمنّيه؟

٥ـ إنّه منقوض بقول أبي بكر حيث قال: أقيلوني ولست بخيركم ... (انظر المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص ٢٦٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٦٩ وتفسير القرطبي ج١: ص ٢٧٢). لأنّ الاستقالة دليل على عدم وجود إشارة من رسول الله صلى الله عليه وآله تدلّ على خلافته، إذ لو كان هناك ما يدلّ عليها فإنّ قوله هذا مخالفة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهنا لابدّ لابن تيمية الالتزام بأحد الأمرين إمّا أن يقف على ادعائه ويلتزم بلوازمه ويقول بأنّ أبابكر خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وإمّا أن يرفع إليد عن ادعائه الباطل.

(١) وذلك لأنّ تقديم المفضول على الفاضل قبيح حتّى باعتراف ابن تيمية فإنّه قال: ومن حقّ الفاضل التقدّم على المفضول .. (منهاج السنة ج٤: ص ١١٩).

والناس إنّما تتفاضل بالصفات الحسنة النفسية كالعلم والحلم والصفح والشجاعة والسماحة والفصاحة والبلاغة والعدل ومكارم الأخلاق والعبادة والزهادة والجهاد وغير ذلك فإنّ الفاضل في جميع هذه الصفات مقدّم على المفضول، ولا شكّ أنّ مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مقدّماً في جميع هذه الصفات على جميع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى سبيل المثال فإنّ تقدمه في العلم بإجماع جميع المسلمين واتفاقهم إلّا النواصب حيث إنّ الخلفاء الثلاثة كانوا يرجعون إليه في المشكلات ولم يرجع هو إلى

🡐

➔

أحد وكفى في ذلك قول عمر بن الخطاب: لولا عليّ لهلك عمر (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص ١١٠٣ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٨ وتفسير الفخر الرازي ج٢١: ص ٢٢ وغيرهم). وقوله: أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبوالحسن (انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص ١٥٢ ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبري: ص ٨٢ ونور الأبصار للشبلنجي: ص ٧٩ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١٠: ص ٣٠٠ وغيرهم).

وقوله: لا يفتينّ أحد في المسجد وعليّ حاضر (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٨).

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص ١٢٦ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص ١١٤ والمعجم الكبير للطبراني ج١١: ص ٥٥ والاستيعاب لابن عبد البر ج ٣: ص ١١٠٢).

وفي حديث قال عبد الملك بن سليمان قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمّد أعلم من عليّ؟ قال: لا والله وقال ابن عباس: لقد أعطي عليّ تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر (أسد الغابة ج٤: ص ٢٢).

وفي حديث: إنّه عليه السلام ما شكّ في قضاء بين اثنين (انظر مسند أحمد بن ج١: ص ٨٢ وسنن ابن ماجة ج٢: ص ٧٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص ٨٦ وغيرها من الكتب والمصادر).

وقد ألّفت المؤلفات قضاياه بالخصوص وقوله عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، سلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. وإنّه ما كان أحد يقول سلوني غيره (فتح الباري ج٨: ص ٤٥٩ وكنز العمال ج٢: ص ٥٦٥ وشواهد التنزيل ج١: ص ٤٢) وإلى غير ذلك من الروايات في علمه وفضله وهناك روايات كثيرة في جميع صفاته الكماليّة وهل يعقل تقدم الجاهل على العالم بل هل يعقل تقدم المفضول على الفاضل.

فمحال تقدّم رجل عليه في شيء منها [(١)]، فإنّ تقدّم رجل على غيره في

---

(١) وذلك لأنّ تقديم المفضول على الفاضل قبيح عقلاً وشرعاً أمّا عقلاً لأنّ جميع العقلاء متّفقون على ذلك و أمّا شرعاً لأنّ القرآن والسنة النبوية دال على ذلك

وتوضيح المقام: أنّه اتفق أهل المعقول على قبح تقديم المفضول على الفاضل؛ لأنّه من ضروريات العقل تقدّم العالم على الجاهل والفقيه الماهر في الفقه على التلميذ الذي لا يعرف الموازين العلمية وكذلك تقديم الشجاع في الحرب على الجبان العاري من التدبير وغير ذلك من صفات الفضل، فإنّه من البديهيّات عند العقل ومن الواضحات التي لا تخفى على أحد، ولذلك نحن لا نجشم أنفسنا عناء نقل أقوال أهل المعقول لأنّ القضية أوضح من أن تخفى.

وأمّا ما جاء في الكتاب فقوله تعالى: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (سورة يونس: ٣٥) فإنّ الآية الكريمة صريحة في أنّ المتبوع يجب أن يكون أعلم من التابع وأنّ الذي يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع ممّن لا يهدّي إليه، فيجب تقديم من يهدّي إلى الحقّ. فاسناد الهداية إلى هذه الأمّة عن المصونية من الضلال إلّا باعتصامهم بمن يكون له هذا الشأن وهم الذين يتصفون بالعصمة كالأنبياء وأوصيائهم المعصومين عليهم السلام.

وقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الزمر: ٩) وإلى غيرها من الآيات الكريمة الدالّة على المقام.

وأمّا السنة النبوية فقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٤: ص ٩٢ و السنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص ١١٨ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص ٢١١ والمعجم الكبير للطبراني ج١١: ص ٩٤ وغيرها من المصادر).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن معقل وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من والٍ يلي ←

➔

رعية من المسلمين فيموت و هو غاشّ لهم إلّا حرّم الله عليه الجنّة (صحيح البخاري ج٨: ص ١٠٧ كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح).

وفي تمهيد الباقلاني: من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله و رسوله والمسلمين ... (تمهيد الأوائل للباقلاني: ص ٤٨٦).

وقد جرت على هذا الارتكاز العقلي والشرعي عقائد الناس قال: أحمد بن محمد بن الوتري البغدادي في كتابه روضة الناظرين: اعلم أنّ جماهير أهل السنة والجماعة يعتقدون أنّ أفضل الناس بعد النبيﷺ ... وأنّ المتقدّم في الخلافة هو المقدّم في الفضيلة، لاستحالة تقديم المفضول على الفاضل، لأنّهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل.. (روضة الناظرين: ص٢).

أقول: ولا أدري كيف غفل هؤلاء عن النصوص الصريحة في كتبهم الدالّة على أفضلية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على جميع الخلق بعد رسول اللهﷺ، فإنّ كثيراً من الصحابة كانوا يعتقدون بهذا الأمر كما نصّ على ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب حيث إنّه روى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر بن عبد الله الأنصاري و أبي سعيد الخدري و زيد بن أرقم: أنّ علي بن أبي طالب أوّل من أسلم وفضّله هؤلاء الصحابة على غيره (انظر الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩٠).

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن سلمان الفارسي أنّه قال: قال رسول اللهﷺ: أوّلكم وارداً عليّ الحوض أوّلكم إسلاما عليّ بن أبي طالب (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٦) ورواه ابن عبد البر في التمهيد ج٢ : ص ٣٠٥ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٤: ص ١١٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦١٦ وغيرهم.

وأورد العلامة الأمينيرحمه الله في كتابه الغدير أقوالاً عن العشرات من كبار الصحابة والتابعين، وغيرهم من الأعلام و عن العشرات من المصادر غير الشيعية تؤيّد وتؤكّد عن أنّ أمير المؤمنينعليه السلام هو أوّل الأمّة إسلاماً (راجع الغدير ج٣: ص ٩٥ وص ٩٩ و ٢٢٤ و٢٣٦ وج٩: ص ١١٥ و ١٢٢ و ج ١٠ : ص ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦٤ و ١٦٨ و ٢٩٠ و ٣٢٢.

➔

جهة من جهات الفضل دليل بيّن وحجّة قاطعة على مفضوليّة ذلك الغير بالنسبة إلى الرجل حسبما دلّ على ذلك خبر غشّ الله ورسوله وجماعة المسلمين[١].

وقد عرفت تقديم سالم مولى أبي حذيفة على أبي بكر في إمامته له ولغيره من الصحابة[٢]، وتقدّمه عليه وعلى غالبهم في معرفة الفرقان العظيم

➔

وهذا مورد واحد من عشرات الموارد الواردة في فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

وخلاصة الكلام أنّ الأدلّة العقلية والنقلية تدلّ على أفضلية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ولا شكّ من وجوب تقديم الأفضل على المفضول لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً ووجداناً ونصّاً صريحاً من القرآن الكريم والسنة النبوية وقول الصحابة والتابعين وغير ذلك ممّا يكون حجّة عند أهل السنة والجماعة وعليه لو وجد الأفضل كيف يحقّ للمفضول أن يقدّم عليه؟!

ثمّ إنّ البخاري عنون باباً في صحيحه بعنوان أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة .. (انظر صحيح البخاري ج١: ص ١٦٥ كتاب الصلاة). وهذا الباب يدلّ على أنّ هناك روايات كثيرة كانت حتّى عند البخاري تدلّ على المقام بحيث جعل لهذا العنوان باباً.

فالحجّة القطعية قائمة على قبح تقديم المفضول على الفاضل، فلاحظ.

(١) لاحظ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦: ص ١٩ ح١٤٦٥٣ والجامع الصغير للسيوطي ج١: ص ٤٥٥ وفيض القدير للمناوي ج٣: ص١٨٠.

(٢) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأولين، وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله في مسجد قباء وفيهم أبوبكر وعمر وأبوسلمة وزيد، وعامر بن ربيعة (صحيح البخاري ج٨: ص ١١٥ كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم).

[(١)] من حيث أمره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ بتعلمه من أحد أربعة أحدهم سالم [(٢)] فسالم والثلاثة الباقية[(٣)] أعلم من أبي بكر به، فعلى أبي بكر التعلّم من سالم والثلاثة لمعاني الفرقان العظيم[(٤)] وقد عرفت تقدّم أبي عبيدة في إمارة الجيش وفيه

---

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: قدم المهاجرون الأوّلون العصبة موضع بقباء قبل مقدم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وكان يؤمّهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآناً (صحيح البخاري ج ١: ص ١٧٠ كتاب الصلاة باب إمامة العبد والمولى.

(٢) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن مسروق قال: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمر فقال: ذاك رجل لا أزال أحبّه سمعت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل و أبيّ بن كعب (صحيح البخاري ج ٤: ص ٢٢٨ كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن مسروق قال: كنّا نأتي عبد الله بن عمر فنتحدّث إليه، وقال ابن نمير عنده فذكرنا يوماً عبد الله بن مسعود فقال: لقد ذكرتم رجلاً لا أزال أحبّه بعد شيء سمعت من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ يقول: خذوا القرآن من أربعة؛ من ابن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن بن جبل و أبيّ بن كعب و سالم مولى أبي حذيفة (صحيح مسلم ج٧: ص ١٤٨ كتاب الفضائل باب فضائل عبد الله بن مسعود).

(٣) وهم عبد الله مسعود و معاذ بن جبل و أبيّ بن كعب، لاحظ ما رواه البخاري في صحيحه ج٦: ص ١٠٢ كتاب التفسير باب القرّاء من أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ).

(٤) وذلك لأنّ ظاهر الأمر في الشرع الأقدس يقتضي الوجوب كما قرّر في محلّه وقد أمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ جميع المسلمين أن يأخذوا القرآن من الأربعة وهم سالم مولى أبي حذيفة و معاذ بن جبل و أُبيّ بن كعب وعبدالله بن مسعود (لاحظ صحيح البخاري ج ٤: ص ٢٢٨ كتاب المناقب باب مناقب الأنصار و ج٦: ص ١٠٢ كتاب التفسير باب القرّاء من أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وصحيح مسلم ج٧: ص ١٤٨ كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن مسعود).

←

ابن أبي قحافة[١]

➔

فكان من الواجب على أبي بكر أن يأخذ القرآن من هؤلاء الأربعة بمقتضى هذا النصّ الصحيح عند جميع أهل السنة والجماعة، ومعنى ذلك أنّ هؤلاء الأربعة هم أفقه من أبي بكر وأفضل منه، وعليه فلماذا تقدّم عليهم؟

(١) لقد ذكر أرباب السير والتأريخ من أهل السنة والجماعة في حوادث السنة الثامنة من الهجرة وقوع معركة ذات السلاسل.

وملخّصها أنّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جمعاً من قضاعة وغيرهم تجمّعوا يريدون إلى أطراف مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة، وعقد له لواء وبعثه إلى بلاد بلي وعُذرة وبني القين، وذلك لأنّ عمرو بن العاص كان ذا رحم بهم وكانت أم العاص بن الوائل بلويّة، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتألّفهم بعمرو، فسار عمرو بن العاص فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستمدّه، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمرو وأمرهم أن يلحقوا بعمرو (انظر السيرة النبوية لابن سيد الناس ج٢: ص ١٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢: ص ٢٣ والطبقات لابن سعد ج٢: ص ١٣١ وكتاب غزوات الرسول سراياه : ص ١٣١ وغيرها من كتب السير وتاريخ).

والمهم أنّ أبابكر وعمر و غيرهما من كبار المهاجرين والأنصار كانوا في هذه الواقعة أولاً تحت إمارة أبي عبيدة بن الجرّاح عندما بعثهم النبي صلى الله عليه وآله مدداً لعمرو بن العاص ولوائه وعند التحاقهم بعمرو صار أبوبكر وعمر تحت إمرة عمرو بن العاص وكانوا يصلّون خلفه لأنّه الآمر عليهم.

وعليه إذا ثبت عند أهل السنة والجماعة تقدّم أبي عبيدة، على أبي بكر و عمر و كذلك تقدّم عمرو بن العاص عليهما لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قدّمهما على أبي بكر وعمر حسب ما جاء في كتبهم فكيف جاز لهم أن يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله ويقدموا ابابكر على أبي عبيدة

←

وتقدّم ابن العاص في إمارة الجيش وابن أبي قحافة فيه [(١)]، وتقدّم أسامة بن زيد في إمارة الجيش وهو فيه يصلّي بصلاته ويأتمر بأمره [(٢)] فهو دون هؤلاء

➔

وعلى عمرو بن العاص؟

وكيف جاز لأبي بكر الذي كان مأموماً لأبي عبيدة ولعمرو بن العاص أن يقدّم عليهما في الصلاة بعد ثبوت أنّهما كانا إمامين له.

(١) لأنّ أبا بكر كان تحت أمره في معركة ذات السلاسل حسب ما ورد في مصادر أهل السنة والجماعة و كما تقدّم ذكره في المصادر السابقة فلاحظ.

(٢) لقد أجمعت المصادر السنّية على أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عقد لأُسامة بن زيد سريّة في أواخر حياته الشريفة، وأمر كبار الصحابة أن يلتحقوا به قال ابن حجر: وممّن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم أبوبكر وعمر وأبوعبيدة وسعد بن أبي وقّاص و سعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم.. (فتح الباري ج٨: ص١١٥).

وقد نصّ أصحاب السير والتأريخ القضية بتفصيلها، قال الذهبي: فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة وكان فيهم أبوبكر وعمرو أبوعبيدة . فطعن الناس في إمارته، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله ان كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحبّ الناس إليّ وإنّ ابنه هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده. متفق على صحته.. (تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص ٧١٤) ومثله في الطبقات لابن سعد ج٤: ص ٢٦٧ وغيرهم.

فحثّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على خروج الصحابة مع أسامة بن زيد عدّة مرات فتثاقل بعض الصحابة عن الخروج و عصوا أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة. (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٢).

فالمتخلّفين عن البعث شملهم لعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ولا نريد الآن أن نذكر هذه الجهة وإن كانت ذات أهميّة حيث إنّ بعض الصحابة صاروا ملعونين على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأيضاً

←

في الفضل فكيف يصدّق القائل على الرسول صلى الله عليه وآله بأنّه قد دلّ المسلمين بأقاويله على إمامة أبي بكر [(١)]؟!

فانظر إلى البهتان الجليّ على خير الرسل و ميّز الحقّ عن الباطل [(٢)].

وثانيها: ما زعمه من صدور البيان الذي هدى الناس إلى إمامة أبي

➔ لا نريد الآن إثبات من كان المتخلّف من الصحابة الذي شمله لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما نحن الآن في صدد إثبات أنّ أبابكر و عمر و عثمان والذين كانوا تحت إمارة أسامة قد وجب عليهم أن يحضروا في جيش أسامة وأن يكونوا تحت أمره ويصلّوا خلفه لأنّ من لوازم الإمارة الصلاة خلف الآمر جماعة، فكان من الواجب على أبي بكر و عمر و عثمان أن يصلّوا خلف أميرهم أسامة.

(١) وبعبارة أوضح: لو كان أبوبكر أفضل من اُسامة لقدّمه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه، ولكن الأمر بالعكس، أي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قدّم أسامة على أبي بكر و عمر و عثمان، ومعناه أنّ أسامة أفضل منهم، لأنّه من الواضح أنّ من له الإمارة يقدّم عليهم في صلاة الجماعة، وبناءً على مسلك القوم من أنّه لا يجوز التقديم في الصلاة جماعة إلّا من هو أقرأ للقرآن أي إنّه أفضل من المأمومين بقرائة القرآن، فإذا كان أسامة أفضل من أبي بكر لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قدّمه عليه في الإمارة والصلاة كيف جاز لأبي بكر التقدّم عليه وهل يعقل تقديم المفضول على الفاضل؟!

(٢) وخلاصة الكلام أنّه بناءً على مسلك أهل السنة والجماعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد بيّن من هو الأفضل ومن له أن يتقدّم على غيره في أحاديث كثيرة وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله الضابطة الكلّية في التقديم في الصلاة وغيرها على نحو الكبرى الكلّية وعين الأشخاص فقدّمهم على الأخرين على نحو الصغروية ولم يقدّم أبابكر، بل قدّم عليه غيره من الصحابة وهذا حجة على من تسمى بأهل السنة والجماعة ولا يمكن لهم رفع اليد عنها.

بكر. فإنّه مناقض لقول عمر: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه»(١) قال ذلك على المنبر بمحضر الصحابة ولم ينكر

---

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجّة حجّها، إذ رجع إلى عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أميرالمؤمنين اليوم: فقال هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمّت، فغضب عمر ثمّ قال: إنّي إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذّرهم هؤلاء.. فجلس عمر على المنبر فلمّا سكت المؤذّنون قام ... قائلاً يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت ألا وإنّها قد كانت كذلك ولكنّ الله وقى شرّها .. (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥ كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى).

وفي رواية أخرى قال: ألا إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المؤمنين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (انظر تاريخ الخلفاء: ص ٥١ والسيرة النبوية ج٤: ص ٦٥٧ وتاريخ الطبرسي ج١: ص ٢٣٣ وغيرها).

أقول: كما يظهر من الحديث المتّفق على صحته جميع علماء أهل السنة والجماعة أنّ عمر بن الخطاب اعتذر من مسارعته في بيعة أبي بكر وعدم مشاورته للمسلمين ولذلك قال: إنّا والله ما وجدنا فيما حضرنا (أي في السقيفة) من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإمّا فبايعناهم على ما لا نرضى، وإمّا نخالفهم فيكون فساد (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٨ وأنساب الأشراف ج٤: ص ١٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج٣: ص ٢٨٥ فيظهر من كلامه أنّ الخلافة عنده وعند من حضر السقيفة لم تكن قائمة على أساس دينيّ أو اجتماعيّ أو غير ذلك من الضوابط المقبولة عند الناس إذ لم يكن يرضى بصيرورتها قاعدة وسنّة كما قال في خطبته: إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها.

←

عليه رجل منهم(١)

←

ثمّ أشار أبوبكر إلى ذلك في خطبته في المسجد بعد ذلك، معتذراً للناس عن قبوله البيعة لنفسه، فقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً، ولا ليلة، ولا كنت راغباً فيها، ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية، ولكن أشفقت من الفتنة (انظر السيرة الحلبية ج٣: ص ٤٨٤ ومروج الذهب ج٢: ص ٣٠١).

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي بكر أنّه قال: فبايعوني لذلك وقبلتها منهم، وتخوّفت أن تكون فتنة تكون بعدها ردّة (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٤١).

وعليه فإنّ ما أصيب به الإسلام والمسلمون من المصيبة العظمى والداهية الكبرى بفقد النبيّ صلى الله عليه وآله وما تبعه من حوادث، استغلّها أهل السقيفة ببيعة لا أساس لها في الدين ولا في المجتمع، وإنّما هي فلتة وقى الله شرّها على حدّ بيان عمر بن الخطاب.

ثمّ إنّ الشاهد على أنّ البيعة لم تكن على أساس مقبول في الدين والعرف هو قول عمر وتهديده الناس: فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، أي إنّها غير شرعية!

(١) هذه القضية مرويّة في صحيح البخاري كما تقدّمت الإشارة إليها و هي خطبة عمر بن الخطاب ألقاها بين الناس، و صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال على رؤوس الأشهاد بالصراحة أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها.

ولا يخفى على الخبير موقف عمر بن الخطاب هنا وما قاله في السقيفة. فمن يلاحظ موقفه وكلماته يرى بوضوح أنّ منطقه كان المنطق القبلي حيث إنّه غيّر منطقه هنا بوضوح، لأنّه استدلّ في السقيفة بكونه أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنصار أراد بذلك تفرّق كلمة الأنصار، رغم مخالفة رئيسهم سعد بن عبادة مخالفة عنيفة.

ولكن عمر نفسه لمّا وجد أنّ هذا المنطق الذي استعمله في السقيفة ضدّ الأنصار قد يكون يوماً لصالح أهل البيت عليهم السلام كما في يشير في خطبته بقوله: بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً... (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٥) حيث إنّ المستفاد منه

←

وقد عرفت معنى الفلتة[١] فإنّه لو كان عليه نصّ يشير إلى تقدّمه على غيره

➔

استدلال القوم على استدلال عمر بن الخطاب في السقيفة بالأقربيّة برسول الله ﷺ وحيث كان يعلم أنّ أهل البيت عليهم السلام أقرب الناس من رسول الله ﷺ فكان يعلم أنّه قد يستعمل منطقه على خلاف ما سلكه في السقيفة فأراد أن يغيّر هذا المنطق الذي هو أسّسه وبنى عليه نظام الخلافة في السقيفة فقال: بيعة أبا بكر كانت فلتة وقى الله شرّها.

والمهم أنّ العملين المتناقضين قد صدرا من الخليفة بمحضر الصحابة مرّة في السقيفة عندما قال: إنّ المهاجرين أولى بالخلافة، وأخرى عندما وجد الناس يميلون إلى أهل البيت عليهم السلام قال: بيعة أبي بكر كانت فلتة! وذلك في الخطبة التي كانت ردّاً على ما وقع في السقيفة، فلاحظ.

(١) قال ابن الأثير في النهاية: الفلتة هي الفجأة، وقال: إنّ مثل هذه البيعة جديرة أن تكون مهيّجة للشرّ والفتنة ووقى الله شرّها، والفلتة كلّ شيء فعل من غير رويّة، وإنّما بودر بها خوف انتشار الأمر.

ثم قال: وقيل: أراد بالفلتة الخلسة، أي إنّ الإمامة يوم السقيفة مالت إلى تولّيها الأنفس، ولذلك كثر فيها التشاجر، فما قلدها أبوبكر إلّا انتزاعاً من الأيدي واختلاساً ... (النهاية في غريب الحديث ج٣: ص ٤٦٧).

والمستفاد من قول ابن الأثير: أنّه إمّا أن نقول بأنّ بيعة أبي بكر حصلت فجأة من دون تروّ وإنّما استبق إليها أبوبكر استباقاً، أو نقول: إنّ البيعة حصلت خلسة بين جماعة فوقعت سرقة، ولم يكن بمثل هذا السوء حادث في الإسلام لأنّ عمر بن الخطاب قال: وقى الله شرّها، ونهى عن العودة لمثلها.

ومن معاني الفلتة هو الزلّة فبيعة أبي بكر عند عمر بن الخطاب زلّة. والذي يرجع إليه هذا المعنى هو وصفها بالشرّ من قبل عمر بن الخطاب وهو مبيّن لمدى قبح تلك البيعة ولذلك قال: فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

➔

لصارت بيعته مقصودة لله ورسوله مشاراً إليها بما فرض من النصّ[(١)].

فعلم من قول عمر و تقرير الصحابة له على قوله عدم وجود نصّ يشير إلى إمامته[(٢)].

➔

ويؤيد ما تقدّم أنّ جميع شرّاح صحيح البخاري فهموا من ذلك: ((ما يُندم عليه)) أي كلّ شيء فعل من غير رويّة، وهذا المعنى قد تسالم عليه أهل السنة والجماعة. فالبيعة التي تكون هذه حالها جديرة أن تكون مهيّجة للشرّ والفتنة، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّ عمر بن الخطاب الذي شيّد بيعة أبي بكر في السقيفة وهو أوّل من بايعه رغم مخالفة جمع كبير من الصحابة والأنصار، فانّه عند ما وصل إلى الخلافة خطب بالناس خطبة معروفة وقال فيها: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها...

هذه الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة لابدّ أن تقع مورد البحث والتأمّل عند الباحثين حيث إنّ فيها جهات من البحث. ومن تلك الجهات عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر. إذ لولا ذلك معناه أنّ عمر بن الخطاب خالف النصّ بقوله بيعة أبي بكر فلتة، إذ لو كان هناك نصّ لكان عليه أن يلتزم بذلك ويصرّح به ويقول إنّ بيعة أبي بكر كانت بالنصّ.

وعلى فرض أنّه كان جاهلاً بذلك هل يعقل القول بأنّ جميع الصحابة كانوا جاهلين عن هذا الأمر الهامّ؟! إذ لم يرد عليه أحد ممّن سمع قوله: إنّ بيعة أبي بكر فلتة ولم يقل له أحد: إنّ بيعة أبي بكر كانت بالنصّ.

فالقائل بالنصّ إمّا هو قائل بجهل عمر و الصحابة الذين كانوا مستمعين لخطبته وإمّا أنّه كاذب ومفتر على رسول الله صلّى الله عليه وآله. وعليه فليختر ابن تيمية ومن تبعه أحد هذين الأمرين ولا ثالث لهما.

(٢) إذ من الواضح أنّ عمر بن الخطاب أراد من بيعة أبي بكر إمامته أي أنّ إمامة أبي بكر تحقّقت فجأة بلا مشورة ولا رأي

➔

ومن هنا علم مناقضة ما في الصحيحين [(١)]، فإنّ خبر الفلتة [(٢)] وخبر

→

وبعبارة أوضح: إنّ عمر بن الخطاب كان يرى خلافة أبي بكر تحقّقت عن استعجال، وأراد في الخطبة أن يبيّن أنّه لا يصحّ بعد ذلك أن تكون الخلافة بهذه الصورة أي عن استعجال و بلا مشورة. وعليه لو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر هل كان لعمر أن يقول خلافة أبي بكر تحقّقت عن استعجال وبلا مشورة ولا رويّة.

إذ معنى قوله ذلك يرجع إلى أحد أمرين: إمّا أنّه كان هناك نصّ ولم يعتن به عمر بن الخطاب وإمّا أنّه لم يكن نصّ على خلافة أبي بكر

أمّا الأوّل فلا يقبله أهل السنة والجماعة، فيبقى الثاني.

وعليه فلو قال أحد بالأوّل معناه أنّ عمر بن الخطاب خالف نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهل يلتزم بذلك أحد من أهل السنة والجماعة؟

إذ معنى قول عمر وتقرير الصحابة له عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر وهذا أمر ثابت عند جميع أهل السنة والجماعة ومن يعتقد بخلافة عمر بن الخطاب، إذ لو التزموا بالأوّل لزمهم القول بمخالفة عمر والصحابة للنصوص النبويّة وحيث إنّهم يقدّسون عمر بن الخطاب فينفون عنه مخالفة النصوص فيلتزمون بالثاني والقول بعدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر كما هو واضح ظاهر.

(١) فإنّ ادعاء النصّ على خلافة أبي بكر مخالف لما قاله عمر بن الخطاب في خطبته: من أنّ بيعة أبي بكر فلتة و لو كان على زعم ابن تيمية نصّ على خلافة أبي بكر كيف جاز لعمر ابن الخطاب أن يقول بيعة أبي بكر فلتة لأنّ معنى قوله يرجع إلى أحد أمرين إمّا انّه ردّ على نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وإمّا أنّ يكون ادعاء ابن تيمية كذباً وباطلاً فلاحظ.

(٢) فإنّ حديث بيعة أبي بكر فلتة أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المحاربين باب رجم الحبلى ج٨: ص ١٦٨ ـ ١٧٠ وفيه قال عمر بن الخطاب على المنبر: انّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك و لكن وقى الله شرّها...

←

أحبّنا إلى رسول الله[(١)] وما بمعناه مرويّان فيهما ومناقضهما دليل على بهتان

←

وأيضاً قال في هذه الخطبة: وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أدري منه بعض الحدّ، فلمّا أردت أن أتكلّم قال أبوبكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبوبكر فقال: ... ولن يعرف هذا الأمر لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً...

ومهما كانت في الخبر بطوله اعترافات من الخليفة على ما قاله وما فعله فإنّ المهم هنا كيفية تحقّق بيعة أبي بكر في السقيفة حيث صرّح عمر بن الخطاب في هذه الرواية التي أخرجها الشيخان البخاري ومسلم أنّ البيعة تحقّقت فجأة ولم تكن له سابقة من نصّ وغير ذلك، وهذا أمر لا يمكن إنكاره إلّا بتكذيب عمر بن الخطاب في قوله.

إذن لابدّ لابن تيمية ومن يدّعي وجود النصّ على خلافة أبي بكر الالتزام بأحد الأمرين:

١ـ إمّا أن يصدّقوا عمر بن الخطاب ويلتزموا بما قاله في هذه الخطبة وهو عدم وجود النصّ وكون بيعته فجأة.

٢ـ وامّا أن يكذّبوا عمر بن الخطاب في قوله ويلتزموا بالنصّ. ولامفرّ منهما.

(١) وهو حديث عائشة الذي رواه ابن حبان في صحيحه بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن عمر بن الخطاب قال: كان أبوبكر أحبّنا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وكان خيرنا وسيدنا... (صحيح ابن حبان ج١٥: ص ٢٧٨) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٢٧٥.

وفي أدب الإملاء للسمعاني قالت عائشة: إنّ عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: لا، بل نبايعك وأنت سيّدنا وخيرنا وأنت أحبّنا إلى الله تعالى وإلى رسوله. فبايعه (أدب الإملاء والاستملاء: ص ١١٥).

فصريح هذه الرواية أيضاً على عدم وجود النصّ، لأنّ اعتراف عائشة وعمر أنّ البيعة كانت من أجل زعمهم حبّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ له لا النصّ.

أحدهما و هو ما دلّ على تقدّم أبي بكر على غيره بالفضل وما يشير إلى إمامته [(١)]، وذلك من وجوه:

---

(١) لقد وردت النصوص والأخبار الصحيحة من طرق أهل السنة والجماعة تدلّ بالصراحة على أنّ أبابكر وعمر اعترفا بعدم وجود النصّ على إمامتهما. ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عروة عن ابن عمر قال: قيل لعمر بن الخطاب ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبوبكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ... (صحيح البخاري ج٨: ص ١٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف) وأخرجه مسلم في صحيحه ج٦: ص ٤ كتاب الإمارة باب الاستخلاف وتركه. قال النووي في شرح الحديث: فيه دلالة لأهل السنة أنّ خلافة أبي بكر ليست بنصّ من النبي على خلافته صريحاً، بل اجتمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه... ولو كان هناك نصّ عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم ... (المنهاج في شرح صحيح مسلم ج١٥: ص ١٥٤)

وقال ابن حجر المكي: قال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج لم ينصّ (النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على أحد ... (الصواعق المحرقة ج١: ص ٦٩).

ومن النصوص قول أبي بكر في السقيفة: هذا عمر بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح، بايعوا أيّهما شئتم ... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم) وإلى غير ذلك من النصوص والروايات الواردة في كتبهم.

إذن لسائل أن يسأل: إنّه لو كان هناك نصّ على خلافة أبي بكر لماذا قال بايعوا عمر وأبا عبيدة؟ فإنّ قوله ذلك لا يخرج عن أمرين:

الأوّل: إمّا أن يكون منصوصاً عليه بالخلافة وقال بايعوا أحدهما ومعناه أنّ أبابكر خالف النصّ النبوي. فلابدّ للقائل بالنصّ الالتزام بهذا اللازم.

الثاني: إنّه لم يكن نصّ على خلافته، ولذلك قال: بايعوا أحدهما، وقال أيضاً: وددت أنّي سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هل للأنصار في هذا الأمر (أي الخلافة) نصيب؟ (انظر تاريخ

←

منها: قوله في يوم السقيفة: إنّي أختار لكم أحد هذين الرجلين [(١)]،

←

الطبري ج٢: ص ٦٢٠).

ولو كان نصّ على إمامته كيف تمنّى وودّ أن يسأل رسول اللهﷺ هل للأنصار نصيب أو حظّ من الخلافة أو لا؟ وأيضاً قوله في جواب من سأله: ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمّر على اثنين؟ فقال: لم أجد من ذلك بّداً، خشيت على أمّة محمّد الفرقة ... (الصواعق المحرقة: ص ١٠) والمستفاد منه أنّه لو كان هناك نصّ على إمامته لما جاز له أن يقول خشيت على الأمّة الفرقة بل كان عليه أن يقول: إنّي عملت بالنصّ. إذن كلّ هذه الروايات والنصوص تدلّ على عدم وجود النصّ على خلافته، فلاحظ.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس في حديث طويل يذكر فيه ما جرى بينه بين عمر بن الخطاب في منى وما قاله عمر في خطبته ويذكر فيها قصة أحداث السقيفة ... (إلى أن قال): قال أبوبكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم، فأخذ بيدي (أي عمر بن الخطاب) وبيد أبي عبيدة بن الجراح و هو جالس بينهما ... (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٧ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى)

أقول: من الواضح أنّه لو كان أبوبكر منصوصاً عليه لما جاز له أن يفوّض أمر الخلافة إلى أحد إذ لايجوز له مخالفة النصّ. فيلزم على أهل السنة والجماعة أن يلتزموا بأحد أمرين:

إمّا أن يعتقدوا بعدم وجود النصّ لأنّ ابابكر صرّح في السقيفة مخاطباً الصحابة بايعوا فلاناً أو فلاناً على التخيير. ولازم قوله عدم وجود النصّ عليه.

وإمّا أن يعتقدوا بأنّ أبابكر خالف النصّ. إذ معناه أنّه مع وجود النصّ على خلافته قال للناس بايعوا فلاناً وفلاناً ...

فلابدّ من أن يختاروا أحد هذين الأمرين ومن الواضح أنّ إنكاره للنصّ النبويّ موجب للكفر ولا أظن أن يلتزم بذلك أحد من أهل السنة والجماعة لأنّه كيف يعقل أنّ الرسول ينصبه للخلافة وهو لا يعلم بذلك وكذلك لا أظنّ أنّ أهل السنة يعتقدون بعصيانه في هذا

→

ولم يقل رجل من الحاضرين بأنّك المنصوص عليه [(١)].

ومنها: تمنّيه في مرض موته كونه قد قذفها يوم السقيفة في عنق أحد الرجلين وصار هو الوزير [(٢)].

المجال فيبقى الاحتمال الأوّل وهو عدم وجود النصّ، مضافاً إلى أنّه خيّر الناس بين أحد الرجلين فلو كان هناك نصّ على خلافة أحد ما معنى التخيير في الأمر؟!

(١) من الواضح لدى الخبير أنّ السقيفة كانت مليئة بالمهاجرين والأنصار من الصحابة وكانوا يهتمّون بذلك غاية الاهتمام حيث إنّ المتصدّي لأمر الخلافة كان مصير الأمّة بيده، وقبول ذلك إنّما هو قبول مصيره حسب أفكار المتصدّي لها، فكانت القضية في غاية الاهتمام. ففي تلك الحالة خطب أبوبكر وقال في خطبته بايعوا أحد الرجلين، وأهل السقيفة سمعوا كلامه وفهموا مقصوده ولم يعترض عليه أحد بأنّك كيف تقول: بايعوا فلاناً وفلاناً أليس إنّك منصوص عليه؟!

وحيث لم يعترض عليه أحد من الصحابة فمعناه، إمّا أنّ أبابكر خالف النصّ النبوي وأقرّه على ذلك الصحابة، وإمّا أن يختاروا القول بعدم وجود النصّ على خلافته.

(٢) لقد أخرج الطبري في تاريخه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه أنّه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفّي فيه فأصابه مهتمّاً فقال له عبد الرحمن أصبحت والحمدلله بارئاً، فقال أبوبكر: أتراه؟ فقال: نعم، قال أبوبكر: إنّي وليت أمركم خيركم في نفسي فكلّكم ورم أنفه ... إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ وثلاث تركتهنّ وددت أنيّ فعلتهنّ وثلاث وددت أنيّ سألت عنهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمّا الثلاثة اللاتي وددت أنّي تركتهنّ، ووددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنّي كنت قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في

ومنها: تمنّيه المسألة من الرسولﷺ عن الخليفة[(١)].

←

عنق أحد الرجلين عمر وأبا عبيدة فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٦١٩) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٤١٨ وغيره.

فإنّ ما تمناه أبوبكر يكذّب دعوى وجود النصّ عليه. إذ كيف يعقل وجود النصّ على خلافته وإمامته وهو يتمنّى أن يجعلها في غيره؟!

فإنّ من يدّعي النصّ على خلافته لابدّ أن يختار أحد الأمرين:

أمّا أن يقول بأنّ ما تمنّاه أبوبكر كان على خلاف ما ورد من النصّ عليه وأنّه تمنّى على خلاف ما قاله رسول اللهﷺ.

وإمّا أن يقول بأنّ أبابكر كان يهذي ويهجر.

وخلاصة الكلام إذا كانت خلافته منصوصاً عليها لا معنى لأن يتمنّى أن يقذف أمر الخلافة في عنق غيره وهو يكون وزيراً له فلو كان هناك نصّ معناه أنّ ما تمنّاه أبوبكر يكون مخالفاً صريحاً للنصّ.

والسؤال المتوجّه إلى ابن تيمية ومن يدّعي وجود النصّ على خلافة أبي بكر هو أنّه لماذا تمنّى أبوبكر في مرضه أن يكون عمر بن الخطاب أو أبوعبيدة أميراً وهو يكون وزيراً؟

(١) لقد أخرج الطبري في تاريخه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنّه دخل على أبي بكر في مرضه فسأله عن أحواله؟ فقال له أبوبكر: ... إني لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ وثلاث تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ وثلاث وددت أنّي سألت عنهنّ رسول اللهﷺ... وددت أنّي سألت رسول اللهﷺ لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد وووددت أنّي سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب (تاريخ الطبري ج٢: ص ٦١٩) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٤١٨ وغيره)

أقول: إنّ ما تمنّاه أبوبكر أن يسأل رسول اللهﷺ يكذّب دعوى وجود النصّ على خلافته.

وبعبارة أوضح: أنّ من يدعي وجود النصّ على خلافة أبي بكر لابدّ له من الالتزام بأحد هذه

←

ومنها: تصديقه بمحضر من الصحابة للحسن عليه السلام بأنّ أباه هو الخليفة(١)

➔

الأمور:

الأوّل: أن يلتزم بوجود النصّ على خلافة أبي بكر ويكذّب أبابكر في قوله وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله ..

الثاني: أن يلتزم بوجود النصّ. ولازمه أنّ أبابكر كذّب رسول الله صلى الله عليه وآله. والالتزام بالشيء التزام بلوازمه، فيلزم على من يدّعي النصّ الالتزام بأنّ أبابكر كذّب رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثالث: أن يرفض القول بوجود النصّ على خلافة أبي بكر، لأنّه يلزم منه تكذيب أبي بكر أو تكذيبه للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. وهل يلتزم ـ ابن تيمية ومن يدّعي النصّ على خلافة أبي بكر ـ بهذه اللوازم؟

(١) لقد أخرج علماء أهل السنة والجماعة في مصادرهم المعتبرة بأسانيد صحيحة عن هشام ابن عروة أنّه قال: قعد أبوبكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء الحسن بن عليّ فصعد المنبر وقال: انزل عن منبر أبي فقال له أبوبكر: منبر أبيك لا منبر أبي، ... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٣٠٧) ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٠٣ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص ٦١٦ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٣: ص ٢٦ وابن شبه في تاريخ المدينة ج٣: ص ٧٩٨ وابن الجوزي في المنتظم ج١٩: ص ٤٢٥ وغيرهم ورواه ابن أبي الحديد وفيه: قال الحسن بن علي عليه السلام لأبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له: انزل عن منبر أبي، فقال أبوبكر: صدقت والله، إنّه لمنبر أبيك، ولا منبر لأبي،... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص ٤٢) وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون في مصادرهم.

أقول: من الواضح أنّ قول أبي بكر للإمام الحسن عليه السلام: صدقت إنّه منبر أبيك ولا منبر لأبي اعتراف منه على أنّه كان غاصباً لخلافة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، إذ معنى قوله: إنّه منبر

🡐

ومنها تصديق عمر للحسين عليه السلام بأنّ أباه هو الخليفة [(١)].

أبيك أي: نعم لا يجوز لي أن أصعد هذا المنبر وليس من شأني أن أكون فوق المنبر، فمرجع هذا الكلام الصادر من أبي بكر إلى أمرين لا ثالث لهما إمّا أن يكون صادقاً في كلامه أو كاذباً.

فإن كان كاذباً فلا يليق بالمقام؛ لأنّ الخلافة مقام عظيم لايليق به الكاذب أن يتصدّى هذا المقام العظيم حتّى عند أهل السنة والجماعة. وإن كان صادقاً فهو اعتراف منه على أنّه لم يكن له حقّ أن يصعد المنبر ولكن صعده غاصباً.

ثمّ إنّ هذا الاعتراف دليل على كذب ادعاء وجود النصّ على خلافة أبي بكر إذ لو كان هناك نصّ على خلافته لكان له أن يقول للإمام الحسن عليه السلام إنّما صعدت المنبر لأنه قد ورد النصّ في خلافتي وصلاحية صعودي عليه، ولكن لم يذكر ذلك بل أقرّ على أنّه لم يكن من حقّه أن يصعد عليه، إذن هذا الحديث دليل على عدم وجود النصّ على خلافته أيضاً.

(١) لقد أخرج الكثير من علماء أهل السنة والجماعة بأسانيد صحيحه أنّ عمر بن الخطاب عندما كان يخطب على المنبر في أيام خلافته صعد إليه الإمام الحسين عليه السلام وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن عبيد بن حنين عن الإمام الحسين عليه السلام قال: صعدت إلى عمر بن الخطاب وهو على المنبر فقلت له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر ابيك، فقال: من علّمك هذا؟ قلت ما علّمنيه أحد، قال: منبر أبيك والله منبر أبيك والله منبر أبيك والله منبر أبيك وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلّا أنتم؟ لو جعلت تأتينا وجعلت تغشانا (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص ١٧٥) وأخرج ابن شبة بسنده عن عبد الله بن كعب أنّ الحسين بن علي عليه السلام قام إلى عمر بن الخطاب وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب الناس يوم الجمعة، فقال: انزل عن منبر جدّي، فقال عمر: تأخّر يا ابن أخي وقال: وأخذ الحسين عليه السلام برداء عمر فلم يزل يجذبه ويقول: انزل عن منبر

←

جدّي، وتردّد عليه حتّى قطع خطبته ونزل عن المنبر وأقام الصلاة فلمّا صلّى أرسل إلى الحسين عليه السلام، فلمّا جاء قال: يا ابن أخي ما أمرك بالذي صنعت؟ قال: ما أمرني به أحد، قال له ذلك ثلاث مرات... (تاريخ المدينة لابن شبة ج٣: ص ٧٩٨)

وإلى غير ذلك ممّن روى هذا الحديث وقد صحّحه جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة منهم السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ١٥٩ وغيره.

فإنّ ما فعله الإمام الحسين عليه السلام فيه دلالة واضحة على إتمام الحجّة على الخليفة والناس، وإنّ موقفه كموقف أخيه يعتبر تحدّياً واضحاً للسلطة آن ذاك، ولذلك نجد أنّ أبابكر وعمر اعترفا على رؤوس الأشهاد من أنّهما قد غصبا حقّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ إنّهما كانا يعلمان أنّه لو لم يعترفا بذلك لكان الأمر أخطر لهما لعلمهما أنّ الحسنين عليهما السلام هما فرعان من دوحة الإمامة وغرس الرسالة فلا يمكنهما الفرار من الموقف العظيم من الإمامين ولا الفرار عن الحجّة التي أقامها الإمام الحسن والحسين عليهما السلام على رؤوس الأشهاد.

وكلّ أحد يعلم بأنّ هذا العمل لا يصدر إلّا من الصبي الذي نشأ وتربّى في حجر النبي صلى الله عليه وآله ولذلك لم يمكن للخليفة أن يردّ على ذلك، فلاحظ.

ولكن العجيب من الوهابية اليوم كيف غفلوا عمّا قال إمامهم عمر بن الخطاب في هذا الحديث فإنّه قال مخاطباً للإمام الحسين عليه السلام: وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلّا أنتم؟ لو جعلت تأتينا وجعلت تغشانا... (تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص ١٧٥). فإنّه أسند إنبات الشعبر على رأسه إلى أهل البيت عليهم السلام أليس قوله يرجع إلى الشرك في الخالقيّة؟

بل ومعنى قوله أنّه لا يمكن أن ينبت الشعر على رؤوس الناس إلّا باذن أهل البيت عليهم السلام ومعنى ذلك أنّه بلا إذن من أهل البيت عليهم السلام لاينبت شعر على رأس أحد.

ولا أدري لماذا لم يستشكل أحد من الوهابية على عمر بن الخطاب حيث إنّ مرجع قوله هذا أي إنبات الشعر بإذن أهل البيت عليهم السلام معناه نسبة الخلق إلى المخلوق فلماذا لم يقولوا إنّ هذا شرك بالله؟!

→

منها: استقالته منها، فإنّه لو كان المنصوص عليه لكانت استقالته عبثاً وغلطاً لعدم قدرة الخلق على عزل من نصبه الرسول صلى الله عليه وآله[1].

←

وإن كان نحن الشيعة نعتقد بأنّ هذا الأمر بإذن الله تعالى لا مانع منه و لا يوجب الشرك، لأنّ الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِه﴾ (سورة التوبة: ٧٤) فقد نسبت تعالى الرزق إلى الرسول صلى الله عليه وآله وهو معنى أنّ الرزق بإذن الله و يكون بيد الرسول صلى الله عليه وآله فلا محذور من ذلك.

(١) لقد روى كبار علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم المعتمد عليها أنّ أبابكر قام على المنبر بعد ما بايعه الناس فقال: أقيلوني، فلست بخيركم ... (انظر الصواعق المحرقة ج١: ص ٣٠).

أو قال: لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي ... (انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ١٦).

أو قال: هذا عليّ بن أبي طالب لابيعة لي في عنقه، وهو بالخيار من أمره، ألا وأنتم بالخيار جميعاً في بيعتكم، فإن رأيتم لها غيري فأنا أوّل من يبايعه (السيرة الحلبية ج١: ص ٣٨٩).

أو قال: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره؟ ... (الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج١: ص ٢٥١) وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون والمعنى واحد وهو استقالته من الخلافة وهذا أمر متّفق عليه بين المحدّثين والمؤرّخين من أهل السنة والجماعة ولذلك قال ابن روزبهان: إنّ خبر استقالة أبي بكر بكامله في الصحاح والسيرة ... (انظر دلائل الصدق ج٣: ص ٨١ ـ ٨٢).

وقد عقد المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة باباً لهذه الجهة وعنونه بعنوان: ((باب ذكر استقالة أبي بكر من البيعة)) (انظر الرياض النضرة ج١: ص ٢٥١).

وممّا يدلّ على صحّة الخبر وقوع ذلك مورد البحث بين علماء أهل السنة والجماعة في جواز الاستقالة من الإمامة، فاستدلّ بذلك بعض علمائهم على الجواز منهم القرطبي قال في

→

ومنها: قوله: إنّ لي شيطاناً يغويني[1]. نقله عنه جماعة من عمدة

➔

تفسيره: والدليل على أنّ الإمام إذا عزل نفسه انعزل قول أبي بكر أقيلوني أقيلوني ... (تفسير القرطبي ج١: ص ٢٧١)

وكذلك الباقلاني في التمهيد فإنّه أرسل الحديث إرسال المسلّم (انظر التمهيد: ص ٢٩٤)

وكذلك السرخسي في شرح الكبير ج١: ص ٣٦ والشنقيطي في أضواء البيان ج١: ص ٣١ وغيرهم.

والعجيب أنّ الفخر الرازي الذي يهتمّ بالإيراد والإشكال في المطالب العلمية بحيث لقّب بإمام المشكّكين لم يمنع صحة فعل أبي بكر في كتابه نهاية العقول بعد اعترافه بصحة الحديث (انظر إحقاق الحق ج٤: ص ٢٧٦).

ولا يهمّنا الآن ذكر هذه الأقوال وإنّما المهمّ هو اعترافهم بصحة الخبر الذي هو من الأُمور الواضحة عندهم، ولذلك أشار مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقيّة بقوله: فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته..

فإنّ من الواضح أنّه لو كان هناك نصّ على خلافته لكانت استقالته عبثاً ولغواً وهل يستطيع المسلم أن يخالف النصوص النبوية؟!

فإذا كان منصوباً من قبل الرسول كيف جاز له الاستقالة؟ هل إنّه خالف نصّ الرسول صلى الله عليه وآله أو كانت استقالته أمراً عبثاً ولغواً؟

(١) لقد أخرج المحدّثون والمؤرّخون من علماء أهل السنّة والجماعة في كتبهم المعتبرة اعتراف أبي بكر بكلّ صراحة: إنّ لي شيطاناً يغويني أو يعتريني أو يحضرني على اختلاف اللفظ والمعنى واحد كما يظهر من ملاحظة الأحاديث والأخبار. وإليك ما ورد في الأخبار في هذا المجال، فقد أخرج ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي بكر أنّه خطب الناس فحمد لله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّي وليتكم ولست بخيركم ولعلّكم تطلبوني بعمل نبيّكم صلى الله عليه وآله ولست هناك، إنّ

🡐

←
نبيّكمﷺ كان يعصم بالوحي وإنّ لي شيطاناً يغويني، فإذا رأيتموني أحسن فأعينوني وإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، أن لا أصيب من أبشاركم وأعراضكم (تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠: ص ٣٠٣).

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنّف بسنده عن الحسن البصري قال: إنّ أبابكر خطب فقال: أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت لو أنّ فيكم من يكفيني فتظنّون أنّي أعمل فيكم بسنة رسول اللهﷺ إذن لا أقوم لها، إنّ رسول اللهﷺ كان يعصم بالوحي وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني (المصنّف لبعد الرزاق الصنعاني ج ١١: ص ٣٣٦) ورواه أبوجعفر الاسكافي في المعيار والموازنة: ص ٣٢١ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص ٢٠ وج١٧: ص ١٥٦ وص ١٥٧ و ص ١٥٨ و ص ١٥٩ وكنز العمال ج٥: ص ٥٩٠ ح ١٤٠٥٠ وابن سعد في طبقاته ج٣: ص ٣١٢ و ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠: ص ٣٠١ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٣: ص ٢٤١ والطبري في تاريخه ج٢: ص ٤٦٠ وابن الجوزي في المنتظم ج ٤: ص ٦٩ وابن كثير في البداية والنهاية ج٦: ص ٣٣٤ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ٧٩ وفي المحاضرات: ص ٤٣٦ وغيرهم.

وأخرج الهيثمي بسنده عن عيسى بن عطية قال: قام أبوبكر الغد حين بويع فخطب الناس فقال: أيها الناس إنّي قد أقلتكم رأيكم إنّي لست بخيركم فبايعوا خيركم. فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله أنت والله خيرنا فقال: يا أيها الناس إنّ الناس دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً فهم عواد الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يطلبنّكم الله بشيء من ذمّته فافعلوا. إنّ لي شيطاناً يحضرني، فإذا رأيتموني فأجيبوني لا أمثل بأشعاركم ... (مجمع الزوائد ج٥: ص ١٨٢) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج٨: ص ٢٦٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٥: ص ٦٣١ ح ١٤١١٢ وغيرهم فإنّه وإن كان مختلفاً في اللفظ إلّا أنّ القرينة القائمة في المقام دالّة على أنّ المعنى واحد أي أنّه في مقابل ما رووه في عصمة
→

مشيّدي طريقتهم، منهم: محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة خرّجه عن حمزة بن الحارث و عن ابن السمّان [١]، ومنهم: ابن سعد [٢]، نقله عنه جماعة، منهم: ابن حجر في ردّه على الشيعة [٣]، والسيوطي في تاريخه [٤]، وغيرهم [٥] فهل يجوّز عاقل صيرورة مغوى الشيطان خليفة عمّن عصمه الرحمن [٦].

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّه قال: له ملك يعصمه من كل زلّة، ففي مقابل ذلك قال أبوبكر: فإنّ لي شيطاناً يعتريني.

(١) الرياض النضرة ج١: ص ٢٥٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ج٣: ص ٢١٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٢.

(٤) تاريخ الخلفاء: ص ٧٩.

(٥) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ٢٢ والمحاضرات والمحاورات للسيوطي: ص ٤٣٦ والبداية والنهاية لابن كثير الشامي ج٦: ص ٣٣٤ وبغية الطلب لابن العديم ج١٠: ص ٤٥٣٤ والمنتظم لابن الجوزي ج٤: ص ٦٩ وتاريخ الطبري ج٢: ص ٤٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص ٣٠٣ و ص ٣٠٤ والطبقات لابن سعد ج٣٤: ص ٢١٢ وتفسير الآلوسي ج١٢: ص ١٥ وتفسير أبي السعود ج٣: ص ٣٠٨ وتفسير الكشّاف للزمخشري ج٢: ص ١٣٩ ومدارك التنزيل للنسفي ج٢: ص ٥٢ والتمهيد للباقلاني: ص ٤٩٢ وتخريج الأحاديث للزيعلي ج١: ص ٤٨١، وغيرها من المصادر.

(٦) وتوضيح المقام أنّه قد صرّح أبو بكر في خطبته بأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان معه ملك دائماً يعصمه من الأخطاء والزلّات والانحرافات وأمّا هو فلم يكن له ذلك بل كان له شيطان يغويه أو يعتريه وبعبارة أخرى: إنّ أبابكر اعترف في خطبته بأنّه ليس له سبيل من النجاة

➔

ومنها: قوله: وليتكم ولست بخير من أحدكم [١] وما بمعناه [٢]. نقله

➔

عندما كان يقع في المشكلات والمزالق الخطيرة سوى ما يغويه الشيطان ومعناه أنّ إمارته ليست إلاّ توريط في المشكلات العديدة والانحرافات الدائمية؛ لأنّ الشيطان دائماً كان في حال إغوائه ويعتريه فلامناص له من التسليم إليه.

ويقول البعض إنّه كان يريد بذلك الإشارة إلى أنّ عمر بن الخطاب الذي كان يطلب منه الركوب على دابّة الإمارة هو الشيطان الذي كان يغويه فكان مقصوده اتهام عمر بن الخطاب بتوريطه في المشكلات والمزالق الخطيرة.

وعلى كلّ حال فإنّ المقصود واضح حيث إنّه يريد أن يقول كما أنّ النبيﷺ كان معصوماً بالوحي وكان مصوناً من المزالق والانحرافات، أنا في معرض الانحراف والاشتباه لأنّي تحت اختيار الشيطان وعليه هل يصلح أن يجعل النبيﷺ من هو في معرض إغواء الشيطان خليفة للمسلمين؟!

(١) أخرج السيوطي في تاريخ الخلفاء بسنده عن الحسن البصري قال: لما بويع أبوبكر قام خطيباً فقال: أمّا بعد فإنّي ولّيت هذا الأمر... ولست بخير من أحدكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوّموني ... (تاريخ الخلفاء: ص ٧٩) ورواه ابن الجوزي في المنتظم ج٤: ص ٦٩ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ١٢ وغيرهم

(٢) أخرج الهيثمي بسنده عن عيسى بن عطيّة قال: قام أبوبكر الغد حين بويع فخطب الناس فقال: إنّي قد أقلتكم رأيكم إنّي لست بخيركم فبايعوا خيركم ... (مجمع الزوائد ج٥: ص ١٨٣).

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن الحسن البصري قال: إنّ أبابكر خطب الناس فقال: أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت لو أنّ فيكم من يكفيني فتظنّون أنّي أعمل فيكم سنة رسول اللهﷺ إذن لا أقوم لها ... (المصنّف لعبد الرزاق

➔

عنه جماعة من مشاهير عمد علمائهم مثل إمامهم أحمد [١] ونظيره أبي عبيد [٢] وابن سعد [٣] وابن إسحاق [٤] والخطيب [٥] والقوشجي [٦] وصاحب الرياض النضرة [٧]، وغيرهم [٨]. فإن قيل: قد قال ابن أبي قحافة: ولست بخير

➔

الصنعاني ج١١: ص ٣٣٦)

وأخرج ابن أبي الحديد بسنده عن زريق قال عمر بن الخطاب يوم بويع أبوبكر... جاء أبوبكر جلس على منبر رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فحمد لله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فإنّي ولّيتكم ولست بخيركم ولكنّه نزل القرآن وسنت السنن ... (شرح نهج البلاغة ج٢: ص ٥٥).

وأيضاً قال: إنّي ولّيت أمركم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني ... (شرح نهج البلاغة ج٦: ص ٢٠).

(١) لم أعثر على ذلك في مسند أحمد بن حنبل ولا في كتاب فضائله.

(٢) انظر مختلف الحديث لقاسم السلام ج١: ص ١١٦.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ج٣: ص ١٦٣.

(٤) انظر السير والمغازي لمحمد بن إسحاق المطّلبي ج١: ص ٢٠.

(٥) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٤: ص ١٩٤.

(٦) انظر شرح التجريد للقوشجي: ص ٤٨٤.

(٧) انظر الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج١: ص ٢٤٠.

(٨) انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٦: ص ٣٥٣ والمصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص ٣٣٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج٢: ص ٥٥ وتخريج الآثار للزبعلي ج٢: ص ٤٠٦ وكنزالعمال للمتقي الهندي ج٥: ص ٥٩٩ والثقات لابن حبان ج٢: ص ١٥٧ وأنساب الأشراف للبلاذري ج١٠: ص ٣٤٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢: ص ١٢٧ وتاريخ الطبري ج٢: ص ٤٥٠ وغيرها من الكتب.

من أحدكم من باب هضم نفسه و تحقيرها قل: هذه معذرة باردة فاسدة[١] ؛

---

(١) وبعبارة أوضح: فإن قصد بذلك التواضع فأوّلاً يتوجه إليه هذا السؤال وهو هل إنّ أبابكر كان صادقاً في قوله أو لم يكن كذلك؟

فإن كان صادقاً في قوله فمعناه الاعتراف منه على عدم صلاحيته لمقام الإمامة والخلافة، لأنّه بهذا الكلام اعترف بعدم صلاحيّته لذلك المقام كما هو ظاهر واضح.

وإن كان كاذباً في قوله فأيضاً لا يليق بمقام الإمامة لأنّ هذا المقام لا ينال الكاذبين.

وإن كان المقصود من الكذب التواضع، قلت: التواضع عبارة عن أن يكون الإنسان ذا صفة لين مع كونه صادقاً مع نفسه و مع ربّه ومع الناس لا أنّ يستعمل الكذب والفعل القبيح كي يتّصف بالتواضع، فإنّ التواضع من الصفات الحميدة والكذب من الصفات الرذيلة فلا تجتمع الرذيلة مع الحميدة.

وبعبارة أوضح: إنّ التواضع أصله أن يكون أمراً قلبياً وناوياً به الصدق في ذلك كما ورد في الحديث النبوي حيث قال صلى الله عليه وآله: عليكم بالتواضع فإنّ التواضع في القلب .. (مجمع الزوائد ج٨: ص ٨٢).

قال المناوي في شرح هذا الحديث: فإنّ التواضع في القلب، لا في الزيّ واللباس ...(فيض القدير ج٤ : ص ٤٤٥) فالتواضع الصحيح أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ومع الله ومع الناس.

ثمّ إنّ للتواضع قيوداً و شروطاً وحدوداً لابدّ أن تعرف قيوده وشروطه و حدوده كي لا يقع الإنسان فريسة للجهل ويتخيّل أنّه متواضع وفي الواقع لم يكن كذلك، ولابدّ أن نعرف قيوده و شروطه كي لا نكون ممّن اختار التواضع المذموم، فإنّ التواضع المذموم هو التواضع الذي يحثّ نحو عمل غير مشروع وهو ما يراد به غير وجه الله.

يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من أتى غنيّاً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه (بحار الانوار ج٧٠: ص ١٧٠) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٩: ص ٥٢.

وفي حديث آخر: أيّما مؤمن خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه، طلباً لما في

←

لما تقدّم بيانه عن السنن الصحيحة من تقديم سالم مولى أبي حذيفة عليه في الصلاة [(١)]،

➔

يديه أحمله الله ومقته عليه، ووكّله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه وصار في يديه منه شيء نزع الله البركة منه، ولم يأجره على شيء ينفقه في حجّ ولا عمرة ولا عتق (وسائل الشيعة ج١٠: ص ١٤٦)

فالتواضع المذموم أن يكون الإنسان كاذباً مع الله ومع نفسه ومع الناس بخلاف التواضع الممدوح وهو أن يكون على عكس ذلك. ومن الواضح لو كان أبوبكر كاذباً كما وضّحناه فتواضعه يدخل في التواضع المذموم.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأولين وأصحاب النبيﷺ في مسجد قباء وفيهم أبوبكر وعمر وأبوسلمة وزيد وعامر بن ربيعة (صحيح البخاري ج٨: ص ١١٥ كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم)

وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى ج٣: ص ٨٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٢: ص ٦٤ وابن أبي شيبة الكوفي في المصنّف ج١: ص ٣٧٨ والطبراني في معجمه الكبير ج٧: ص ٥٩ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٢: ص ٥٦٧ وغيرهم.

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: قدم المهاجرون الأوّلون العصبة موضع بقباء قبل مقدم رسول اللهﷺ وكان يؤمّهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآناً (صحيح البخاري ج١: ص ١٧٠ كتاب الصلاة باب إمامة العبد والمولى).

وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٣٢٦ وأبوداود في سننه ج١: ص ١٤١ وغيرهم.

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن عمر قال: إنّ سالماً مولى أبي حذيفة كان يؤمّ المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة وفيهم عمر و غيره لأنّه كان أكثرهم قرانا

➔

وتأمير أبي عبيدة عليه وتأمير ابن العاص عليه [(١)]،

➔

(المعجم الكبير ج٧: ص ٥٩)

وأخرج ابن أبي شيبة الكوفي في المصنّف بسنده عن ابن عمر قال: كان المهاجرون حين أقبلوا من مكّة نزلوا إلى جنب قباء وأمّهم سالم مولى أبي حذيفة لأنّه كان أكثرهم قرآناً وفيهم أبو سلمة بن عبد الأسد وعمر بن الخطاب (المصنّف لابن أبي شيبة ج١: ص٣٧٩).

فالحديث صحيح عند جميع أهل السنّة والجماعة وفيه دلالة واضحة على أنّ سالماً قدّمه رسول الله ﷺ على المهاجرين في صلاة الجماعة؛ لأنّه كان أكثرهم قرآناً وقد تقدّم على أبي بكر في الصلاة بنصّ الروايات الواردة في صحاح أهل السنة والجماعة.

فبناءً على هذه النصوص الصحيحة عند أهل السنة والجماعة إنّ سالم مولى أبي حذيفة كان أولى بالخلافة من أبي بكر، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ أكثر مصادر أهل السنة من التاريخ والحديث ذكرت في جملة الحوادث الواقعة في السنة الثامنة من الهجرة غزوة ذات السلاسل، فقد أخرج البخاري في صحيحه في باب المغازي في حديث: ... و كانت الغزوة في منطقة وادي القرى وهي تتضمّن بلاد بلي وعُذرة وبني القين (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ١١٣ كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل).

وأخرج الصالحي الشامي أنّ جمعاً من قضاعة وغيرهم تجمّعوا وأرادوا أن يهجموا على المدينة فاجتمعوا أطراف المدينة، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة وعقد له لواء وبعثه في سراة المهاجرين والأنصار في ثلاثمائة... (انظر سبيل الهدى والرشاد ج٦: ص ١٦٧).

وأخرج ابن عساكر أنّ النبي ﷺ بعث عمرو بن العاص في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب وإنّ بلاد بلي وعذرة وبني القين كانوا من أرحام عمرو بن العاص لأنّ أم العاص بن الوائل بلويّة فأراد رسول الله ﷺ أن

🡐

وتأمير أُسامة[(١)] عليه،

➔

يتألّفهم بعمرو... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص ٢٢).

فسار عمرو بن العاص لمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمدّه فبعث اليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في مائتين، وعقد له لواء، وأرسل معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمر، و أمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا فلحق بعمرو، فأراد أبوعبيدة أن يؤمّ الناس فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير. فأطاع أبوعبيدة وكان عمرو يصلّي بالناس ... (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص ١٣١).

وأضاف ابن الجوزي أنّ عمرو بن العاص أجنب في ليلة وصلّى بأصحابه صلاة الصبح و هو جنب ... (انظر المنتظم لابن الجوزي ج٣: ص ١٢١).

وبالجملة فإنّ الأخبار والروايات تدلّ على أنّ أبابكر كان يصلّي خلف أبي عبيدة ثمّ خلف عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وكان عمرو بن العاص الذي صلّى بالناس جنباً مقدّماً على أبي بكر فكيف يمكن أن يقدّمه رسول الله ﷺ على الصحابة والمؤمنين ؟!

(١) لقد أجمعت المصادر السنيّة على أنّ أبابكر كان في سريّة أسامة بن زيد عندما أمره النبي الأكرم ﷺ أن يجمع الصحابة ويتهيّأ لغزو الروم، فكان أبوبكر من جملة الصحابة الذين عبّأهم رسول الله ﷺ في جيش اسامة وتحت رايته مع أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار.

قال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش وأغر صباحاً على أبني وحرّق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فأقلّ اللبث فيهم.

فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه اسامة ودفعه إلى

➔

فيصلّي خلفهم بصلاتهم، ويأتمر بأمرهم [(١)] وقد عرفت ما دلّ عليه خبر فقد

➔

بريدة وعسكر بالجرف وكان مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبوبكر وعمر و أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقّاص وسعيد و قتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم ... (فتح الباري ج٨: ص ١١٥).

وقال الذهبي: فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة وفيهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة ... فطعن الناس في إمارته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه. وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان من أحبّ الناس إليّ، وإنّ ابنه هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده (ثم قال الذهبي): هذا متفق على صحته (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص ٧١٤).

وروى ابن سعد بسنده عن نافع عن ابن عمر قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله بعث سريّة فيهم أبوبكر وعمر واستعمل عليهم أسامة بن زيد. فكان الناس طعنوا فيه أي في صغره فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ الناس طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله وإنّهما لخليقان لها وإنّه لمن أحبّ الناس إليّ. ألا فأوصيكم بأُسامة خيراً ...(الطبقات لابن سعد ج٢: ص ٢٤٩).

وروى مثله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق وزاد فيه: وإنّي لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً. قال ومرض رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يقول في مرضه أنفذوا جيش أسامة أنفذوا جيش أسامة (تاريخ مدينة دمشق ج٨: ص ٦٢).

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٣).

وعلى أيّ حال فإنّ أبابكر كان في جيش أسامة وتحت أمره، وكان يصلّي خلفه. فأسامه كان مقدّماً عليه، فكيف يمكن أن يكون المأموم إماماً.

(١) وذلك لأنّ طاعة أولي الأمر من الواجبات عند جميع أهل السنة والجماعة، لاسيما الأمير

➔

غشّ الله ورسوله وجماعة المؤمنين [(١)].

ومنها: إشارته على النبيّ ﷺ بردّ غلمان قريش المنهزمين منهم، فغضب ﷺ من قوله فعلم كونه من بطانة الشر التي تأمر به وتحثّ عليه [(٢)].

←

الذي نصبه رسول الله ﷺ عليهم فكان من اللازم على أبي بكر و عمر أن يطيعوا أمر من ولّى عليهم رسول الله ﷺ ويطيعا أمره.

وعليه كيف جاز لأبي بكر وعمر أن يتقدّما على من هو مقدّم عليهم بالنصّ الذي هو مجمع عليه عند جميع أهل السنة والجماعة، أليس مخالفة أسامة مخالفة لأمر رسول الله ﷺ؟

فإنّ هذه النصوص حجّة قاطعة على جميع من يعتقد بخلافة أبي بكر وخلفاء أهل السنة والجماعة، وإذا كان الأمر كذلك كيف يجوز لهم تقديمهم على من قدّمه رسول الله ﷺ ؟

(١) لقد أخرج المتقي الهندي بسنده عن حذيفة ـ عن رسول الله ﷺ قال: أيّما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أنّ في العشرة أفضل ممّن استعمل فقد غشّ الله وغشّ رسوله وغشّ جماعة المسلمين (كنزالعمال ج٦: ص ١٩ ح ٤٦٥٣) ورواه السيوطي في الجامع الصغير ج١: ص ٤٥٥ والزبعلي في نصب الراية والمناوي في فيض القدير ج٣: ص ١٨٠.

ثمّ قال المناوي في شرح الحديث: لعكسه المقتضي، لتأميره المفضول على الفاضل.

(٢) إنّ حديث البطانة من الأحاديث المشهورة عند علماء أهل السنة والجماعة وهو قول النبي ﷺ: ما بعث الله من نبيّ ولا استخلف من خليفه إلّا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه. فالمعصوم من عصمه الله (انظر صحيح البخاري ج٧: ص ٢١٣ كتاب الرقاق باب المعصوم من عصمه الله).

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أنّ الصحابة كانوا على قسمين: قسم منهم ليس فيهم البطانة التي تأمر بالمعروف وتحضّ عليه، وقسم منهم فيهم بطانة الشرّ، ومن الواضح أنّ البطانة التي تأمر بالشرّ وتحضّ عليه لا يمكن أن تكون البطانة التي تأمر بالمعروف. وأمّا

→

فإنّه ﷺ منزّه عن الغضب من الحقّ[١]، فكيف يتصّور جعل من هو من

→

المثال الذي هو فيما نحن فيه ما أخرجه الخطيب في تاريخه أنّه جاء إلى النبيﷺ أناس من قريش فقالوا: يا محمد إنّا جيرانك وحلفاؤك، وإنّ أناساً من غلماننا قد أتوك ليس بهم رغبة في الإسلام ولا رغبة في الفقه، إنّما فرّوا من ضياعنا، فقال النبيﷺ لأبي بكر: ما تقول؟ قال: صدقوا، إنّهم جيرانك وحلفاؤك فتغيّر وجه النبيﷺ بما أشار به هو الآخر عليه (انظر تاريخ بغداد ج١: ص ١٣٣).

هذه القصة هي مصداق لحديث البطانتين والذي أشار به أبوبكر لم يكن من الخير ولا من المعروف وإلّا لما تغيّر وجه النبيﷺ.

(١) لا شكّ أنّ مقام النبوّة منزّه عن الغضب بغير الحقّ لأنّ الغضب يصرف الإنسان عن حالة الاعتدال إلى العصبية.

وبعبارة أوضح: إنّ الغضب على قسمين: الأوّل: الغضب الممدوح وهو الغضب الذي يتحقّق في سبيل الله وللدفاع عن الحق وهذا القسم من الغضب قد أكّدت عليه الآيات والروايات. منها: قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ (سورة التوبة: ٧٣) أي جاهدهم بكلّ قوّة وحزم، ولا تأخذك بهم رأفة ورحمة، بل شدّد واغلظ عليهم. وهذا نوع من الجهاد ضد الكفار والمنافقين بل وهو نوع من العقاب، وهو العقاب الدنيوي وروى عن ابن مسعود أنّه قال: لا تلق المنافق إلّا بوجه مكفهرّ (تفسير السمعاني ج٢: ص ٢٢٨) ومنها قوله تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾ (سورة الفتح: ٢٩) هذه الآية الكريمة تصف صفات رسول اللهﷺ والذين معه سواء كانوا من أصحابه أو كانوا معه في الإيمان والاعتقاد فمن سجاياهم الباطنية والظاهرية هذه الصفات المذكورة أحدها: أشدّاء على الكفار. ثانيها: رحماء بينهم. وفي الحقيقة عواطفهم وأفكارهم تتلخّص في هاتين الخصلتين؛ الرحمة والشدّة ولكن لا تضادّ في الجمع بينهما، إذ الرحمة بالمؤمنين والشدّة بالكافرين وهذا هو

←

بطانة الشر خليفة على بطانة الخير[(١)] و غيرهم؟

➔

الغضب الممدوح، وقد ورد عن النبي الأكرمﷺ وأهل بيته المعصومينعليهم السلام روايات كثيرة في هذا المجال نشير إلى واحدة من باب التيمّن والتبرّك. عن مولانا أميرالمؤمنينعليه السلام قال لأبي ذر عندما أُخرج إلى الربذة: يا أبا ذر إنّك غضبت لله .. (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٨ :ص ٢٥٢).

وهناك روايات كثيرة في هذا المجال لم نذكرها رعاية للاختصار فالغضب الممدوح كما هو المستفاد من الآيات والروايات أن يكون لله ولرسوله وأهل بيته الطاهرين المعصومينعليهم السلام ولنصرة الدين وأهله فهذا النوع من الغضب حقّ ومحمود.

والثاني: هو الغضب المذموم وهو الغضب الذي يُخرِج الإنسان عن حالة الاعتدال متحدّياً ضوابط العقل والشرع ويسعر الأنانية والعصبيات البغيضة الدنيوية البحته والسقوط عن المعنويات والفضائل الإنسانية، وهذا النوع من الغضب لا يمكن أن يحصل للمعصوم، ومقام النبوة والإمامة منزّه عن ذلك، لأنّ هذا النوع من الغضب من وساوس الشيطان، وهو كيفية نفسية موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج ومبدأه شهوة الانتقام ونشوة الفتح والأنانية وحبّ النفس والجاه الدنيوي. ومن الواضح أنّ المقصود بالغضب المنزّه عن رسول الله هو الغضب من القسم الثاني.

(١) وتوضيح المقام: أنّ البطانة عبارة عما يُبطّن به كبطانة الثوب التي يبطّن بها الثوب. فالبطانة ما يبطّن به الرجل أسراره. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ (سورة ال عمران: ١١٨). تحذّر الآية الكريمة المسلمين عن إظهار الأسرار لليهود وأعداء الإسلام؛ لأنّ اليهود كانوا يتظاهرون بالمودّة للمسلمين كي يطّلعوا على أسرارهم، فنزلت الآية تحذيراً للمسلمين من هذه الصداقة والعلاقة مع أعداء الإسلام حيث إنّهم كانوا لا يتورّعون عن استخدام كلّ وسيلة ممكنة لإلحاق الأذى والضرر

➔

روى خبر إشارته بردّ غلمان قريش أحمد في مسنده[١]، وابن جرير وصحّحه[٢]، وسعيد بن منصور في سننه نقل ذلك عنهم صاحب منتخب كنزالعمال[٣].

(ومنها:) هربه عن الرجف يوم خيبر روى[٤] ذلك في منتخب

➔

بالمسلمين، فالشاهد أنّ البطانة بمعنى ما يبطن به الناس أو قولك إنّها وليجة وخاصة يعرف ويفشى به أسرارهم.

وفي المقام كيف يتصوّر أن يكون للأنبياء وخلفائهم بطانة الشرّ؟ فإنّها تخالف العصمة كما هو واضح ظاهر.

(١) أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن علي عليه السلام قال: جاء النبي صلى الله عليه وآله أناس من قريش فقالوا يا محمّد إنّا جيرانك وحلفاؤك، وإنّ ناساً من عبيدك قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه، إنّما فرّوا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا. فقال لأبي بكر ما تقول؟ قال: صدقوا، إنّهم جيرانك. قال فتغيّر وجه النبي صلى الله عليه وآله (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ١٥٥).

(٢) لاحظ كنز العمال ج١٣: ص ١٢٧ ذكر المتقي الهندي بعد ذكر الحديث: رواه ابن جرير الطبري وصحّحه.

(٣) انظر منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٢٤.

(٤) لقد أخرج كبار علماء أهل السنة والجماعة هروب أبي بكر وعمر في غزوة خيبر بأسناد صحيحه منهم الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عليّ عليه السلام أنّه قال: يا أبا ليلى، أما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى و الله كنت معكم، قال: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبابكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم حتّى رجع. ثمّ قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٢٧ وقال

➔

كنزالعمال عن ابن أبي شيبة[١] ومسند أحمد[٢] وابن ماجة[٣] وابن جرير[٤] وصححه، والطبراني[٥] والحاكم[٦] والبيهقي[٧] والمقدسي في المختارة[٨] وغيرهم من العمد[٩].

➔
الذهبي في التلخيص: صحيح).

وأيضاً أخرج عن عليّ عليه السلام قال: سار النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر فلمّا أتاها بعث عمر و بعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصورهم فقاتلوهم، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاؤوا يجبّنونه ويجبّنهم. فسار النبي صلى الله عليه وآله الحديث. ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٢٧ قال الذهبي في تلخيصه : صحيح).

(١) انظر منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٦: ص ٣٩٣ والمصنّف لابن أبي شبية ج٨: ص ٥٢٠ و ص ٥٢٢.

(٢) انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٩٩ و ص ١٣٣ وج٢: ص ٣٨٤.

(٣) انظر سنن ابن ماجة ج١: ص ٤٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٢٩٨ في حوادث السنة السابعة للهجرة.

(٥) انظر المعجم الكبير ج٧: ص ١٦.

(٦) المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٢٧.

(٧) انظر السنن الكبرى للبيهقي ج٩: ص ١٠٧.

(٨) انظر الأحاديث المختارة لمحمد بن عبد الواحد المقدسي ج٢: ص ٣٧٠ رقم ٧٥٤.

(٩) انظر سنن النسائي ج٥: ص٨١ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢٤ والمصنّف لابن أبي شيبة ج٨: ص٥٢٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٧: ص٣٥ والدرر لابن عبدالبر: ص٩٨ وتفسير الثعلبي ج٩: ص٥ وغير ذلك.

ومن المعلوم كون الهرب من الزحف من أعظم الكبائر[١]، فكيف يتصوّر جعل من يرتكب هذه الموبقة الموجبة وهناً عظيماً في الدين خليفة على عامّة المسلمين[٢]، الباذلين نفوسهم في سبيل ربِّ العالمين، الثابتين في

---

(١) انظر سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٢ وفضائل الصحابة للنسائي: ص ١٦ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦: ص ١٥٠ وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٧: ص ٣٦٥ وكتاب السنة لابن أبي عاصم: ص ٥٩٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥: ص ٤٦ والخصائص له: ص ٤٩ ومسند أبي يعلى الموصلي ج١: ص ٢٩١ و صحيح ابن حبان ج١٥: ص ٣٧٧ والمعجم الأوسط للطبراني ج٦: ص ٥٩ والمسند الشاميين له ج٣: ص ٣٤٨ والدرر لابن عبد البر: ص ١٩٨ والرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ج٣: ص ١٥٠ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ٩٨ وغيرها من المصادر

(٢) لاشكّ أنّه يجب على المسلمين الثبات أمام الكفار عند القتال، وعند التقاء الجيشين يحرم الفرار من الزحف، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة الأنفال: ١٥ و ١٦) فإنّ خطاب الآيتين إلى المؤمنين ألا تسحبوا الأقدام في الحروب وان كان عدد المؤمنين أقلّ من الكفار، لأنّ الفرار من الحرب يعدّ في الإسلام من كبائر الذنوب وموجب لغضب ربّ العالمين.

والاستثناء في الحقيقة صورتان للقتال والجهاد لا الفرار والزحف واقعاً لأنّ التحرّف عبارة عن الابتعاد جانباً من الوسط نحو الأطراف والجوانب، والمقصود به هو أنّ المقاتلين قد يقومون بعملية تكتيكية في القتال بإزاء الأعداء فيفرّون من أمامهم نحو الأطراف ليلحقهم الأعداء، ثمّ يغافلون في توجيه ضربة قوية إليهم واستخدام فنّ في الهجوم والانسحاب المتتابع كما يعبّرون عنه بحرب الكرّ والفرّ.

وأيضاً إنّ المتحيّز بمعنى أن يرى المقاتل نفسه وحيداً في ساحة القتال، فينسحب للالتحاق

←

جهاد الظالمين، وقد قال سبحانه: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾[1]

←

بإخوانه المقاتلين ليهجم معهم من جديد. وعلى كلّ حال فلا يجوز للمؤمن أن ينسحب من ميدان الحرب بقصد الفرار منها حيث إنّه يوجب غضب ربّ العالمين وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (سورة طه: ٨١) وهذه الآية الكريمة تحذّر عن موجبات غضب الله سبحانه فتقول: ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى، والهوى بمعنى السقوط من المكان المرتفع والذي تكون نتيجته الهلاك عادة وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ (سورة المجادلة: ١٤)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الممتحنة: ١٣) والقرآن يحذّر من أن يتّخذ أمثال هؤلاء أولياء.

ويرى البعض أنّهم المراد بالمغضوب عليهم في سورة حمد الذي يلزم على المسلمين التبرّي منهم.

إذن الفرار من الحرب من المعاصي الكبيرة التي توجب غضب الله سبحانه ومن غضب الله عليه فهو في نار جهنّم ولبئس المصير.

وبعد ثبوت أنّ أبابكر وعمر هربا في حرب خيبر أولاً إنّهما استوجبا غضب الله سبحانه بهروبهما من الحرب. ثمّ دخلا في زمرة المغضوبين الذين هم في نار جهنّم وهل يمكن لأحد أن يدّعي أنّ رسول الله استخلف من هو في النار؟!

(١) سورة النساء: ٩٥ هذه الآية الكريمة تبين التمايز بين المجاهدين وغيرهم من القاعدين، فتؤكّد عدم التساوي بين من يبذل المال والنفس في سبيل الهدف الإلهي السامي، وبين من يقعد عن هذا البذل من غير مرض ولا عذر للمشاركة في الجهاد، فلا تساوي بينهما.

ولا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم

→

فما حال الفارّين الموهنين بهربهم عن الزحف قوة الدين[١]؟

➔

وانفسهم...

و من الواضح أنّ المقصود بالقاعدين في الآية الكريمة هم أولئك الذين لم يشاركوا في الجهاد، وهذه الفضيلة العظيمة غير قابلة للإنكار حتّى لو لم يكن الجهاد واجباً عينيّاً.

وفي المقام كيف يمكن أن يجمع بين المجاهدين من الصحابة والذين فرّوا من ساحة الحرب، فهل يمكن التساوي بين أبي بكر وعمر الذين فروا من ساحة الحرب في غزوة خيبر والمجاهدين من الصحابة الذين بذلوا أنفسهم في سبيل الله لاعتلاء كلمة الله،؟!

(١) لقد حرّم الله تعالى الفرار من الزحف؛ لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسولﷺ وأئمة الحقّ وقادة الدين وترك نصرتهم على أعدائهم، الموجب لتسلّط القوى الكافرة على الإسلام، و قيامها بمحق الاسلام والتنكيل بالمؤمنين. وقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن معاذ قال: أوصاني رسول اللهﷺ بعشر كلمات قال: لا تشرك بالله شيئاً .. وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت.. (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٢٣٨).

وأخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول اللهﷺ ما من عبد يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويجتنب الكبائر إلّا دخل الجنّة، قال: فسألوه ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله والفرار من الزحف وقتل النفس (المستدرك على الصحيحين ج١: ص ٢٣).

وأخرج البيهقي بسنده عن عبيدة بن عمير عن أبيه قال: كنت مع النبيﷺ في حجة الوداع فسمعته يقول: ألا إنّ أولياء الله المصلّون. ألا وإنّه من يتمّ الصلاة المكتوبة يراها الله عليه حقاً، ويؤدي الزكاة المفروضة، ويصوم رمضان، ويجتنب الكبائر، فقال له رجل: يا رسول الله و ما الكبائر؟ قال: الكبائر تسع، أعظمهنّ الشرك بالله وقتل نفس مؤمن وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، والفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسحر

➔

ومن المعلوم ثبوت بغض الله سبحانه على من عصاه بالهرب عن الزحف. فكيف يتصوّر جعله المغضوب عليه خليفة وإماماً على المحبوب لديه حسبما ثبت في الصحيحين وغيرهما في هذه الغزوة في حقّ علي عليه السلام: يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله[1]؟ وحسب المنصف هذه الوجوه في

➔

واستحلال البيت الحرام ... (السنن الكبرى للبيهقي ج١٠: ص ١٨٦). وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام، وفيها النهي عن الفرار من الزحف وهي روايات صحيحة عند أهل السنة والجماعة.

ومن الملفت للنظر أنّ الفرار من الزحف قد جعله النبي صلى الله عليه وآله في عداد الشرك بالله وقتل النفس وأكل الربا وأمثال ذلك. قال ابن أبي الحديد: الفرار من الزحف ذنب عظيم وهو عند أصحابنا من الكبائر قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (سورة الانفال: ١٦) والجهاد بين يدي الإمام كالجهاد بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله ... لأنّ الفرار من الزحف فيه ذهاب العزّ والغلبة على الفيء وذلّ المحيا والممات، وعار الدنيا والآخرة... (شرح نهج البلاغة ج٥: ص ٢٠٣).

وقال المناوي: لأنّ في الفرار من الزحف كسراً لقلوب البقية وسعياً في إهلاكهم... (فيض القدير ج٤: ص ٣٧٨) وإلى غير ذلك ما ورد في كلماتهم.

إذن بناءً على مسلك علماء أهل السنة إن أبابكر وعمر بما أنّهما انهزما من الحرب في غزوة خيبر فقد شملهم النصوص والروايات الناهية عن الفرار من الزحف، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الراية الذي هو من الأحاديث المتواترة بين المسلمين وهو من أصحّ الأحاديث وأثبتها عند أهل السنة والجماعة، وقد رواه أرباب الصحاح بما فيهم البخاري ومسلم بسندهما عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ولنذكر هنا بعض ما ورد عنهم فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي حازم قال أخبرني سهيل بن سعد

➔

معرفة ثبوت نقيض ما زعمه السنّيّ في حقّ ابن أبي قحافة من صدور

➔

أنّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدركون أيّهم يعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتى فبصق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم (صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٧ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: كان عليّ قد تخلّف عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في خيبر وكان رمداً قال: أنا أتخلّف عن رسول الله؟! فلحق، فلمّا بتنا الليلة التي فتحت، قال لأعطينّ الراية غداً رجل يحبّه الله ورسوله أو يحبّ الله ورسوله يفتح الله عليه، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه فقالوا: هذا عليّ. فأعطاه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ الراية، ففتح الله عليه (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٢ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ).

وفي حديث قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ : لأدفعنّ الراية إلى رجل يحبّ الله ورسوله، لا يولّي الدبر، يفتح الله عزوجل على يده فيمكّنه الله من قاتل أخيك ... (السيرة الحلبية ج٢: ص ٢٤) وإلى غير ذلك ممن أخرج هذا الحديث وهو صريح في أنّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب رجل يحبه الله ورسوله وهو يحب الله ورسوله ومن المعلوم أنّ من يحبه الله على نحو الإطلاق لا يمكن أن يعصي الله أبداً لأنّه لو كان يعصي الله لما كان الله يحبه على نحو الإطلاق ومعنى ذلك أنّ الامام أميرالمؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ معصوم بنصّ هذا الحديث.

وعليه فكيف يمكن تصوّر تقدّم من يرتكب الفرار من الزحف الذي يكون فعله من الكبائر خليفة على المعصوم؟! فلاحظ.

النصوص التي دلّت على عدم لياقته لدرجة إمامة الخلق وبُعدُه عن منزلتها بسبب ما صدر منه من المنافيات لهذه المرتبة على عهد النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ[1]

---

[1] لا شكّ أنّ أبا بكر قد خالف أوأمر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في مواطن كثيرة و مناسبات عديدة، في حياة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وبعد وفاته، والأخبار الواردة في هذا المجال كثيرة جداً لا يسعنا استقصاؤها في هذه العجالة، نشير إلى بعض ما جاء في الروايات الصحيحة عن القوم، فمن تلك الموارد عدم التحاقه بجيش أسامة وتخلّفه عنه وذلك عندما أمر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في أواخر حياته الشريفه كبار الصحابة أن يلتحقوا بجيش أسامة لغزو الروم، وعقد له لواء فتخلّف جماعة عن جيش أسامه، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم حتّى أغضبوا النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فجعل يقول النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في المرتبة الثانية: أنفذوا جيش أسامة. ولمّا وجد أنّ الجماعة لم يلتحقوا به قال: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة. وقد روىٰ هذه الواقعة الأليمة أكثر المؤرخين والمحدّثين. و ممّن روىٰ أنّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعن المتخلّفين عن جيش أسامة: الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ج١: ص٢٠ و أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة: ص٧٦ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغه ج٦: ص ٥٢ والقاضي عضد الدين الإيجي في المواقف ج٣: ص ١٥٠ و القاضي الجرجاني في شرح المواقف ج٨: ص٣٧٦ وغيرهم.

ومن الطرائف شهادة الأئمة الأربعة للمذاهب السنيّة بأنّ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ جعل أبا بكر وعمر في جيش أسامة وأمرهم بالخروج في ذلك الجيش وشهدوا أنّهما خالفا أمر نبيّهم وعصيا أمره! و سنذكر ما ورد في مصادرهم في هذا المجال مفصّلاً في محلّه إن شاء الله تعالى

ومن تلك الموارد ما رواه جمع من علماء أهل السنة عن أنس بن مالك قال: كنّا جلوساً عند النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فتذاكرنا رجلاً يصلّي ويصوم ويزكّي فقال لنا رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: لا أعرفه: بينا نحن في ذكر الرجل إذا خلع علينا، فقلنا: هو ذا فنظر إليه رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوقال لأبي بكر: خذ سيفي هذا وامض إلى هذا الرجل واضرب عنقه، فإنّه أوّل من يأتيه من حزب الشيطان، فدخل أبو بكر المسجد فراه راكعاً، فقال: لا والله لا أقتله.... (العقد الفريد لابن

←

وبعده[1] من المخالفات التي هي وحدها كافية في ثبوت عدم لياقته وعدم

➔

عبد ربّه ج١: ص٣٠٥) وهذا هو الذي عرف بذي الثدية الذي ورد في حقّه: إنّه يقتله خير الخلق (انظر المواقف للإيجي ج٣: ص٦٢٥)

ولا يخفى أنّه قد قتله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة النهروان (انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤: ص٢٢٤)

وعلى أيّ حال فإنّ أبا بكر قد عصى أمر النبي صلى الله عليه وآله في هذا المورد كبقية الموارد التي سنذكرها إن شاء الله في محلّه، وإن كان يكفي لإثبات المخالفة ذكر مورد واحد كما لايخفى ذلك على الخبير..

[1] لا شكّ أنّ المتتبّع في الأخبار والآثار لا يخفى عليه مخالفات أبي بكر لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته، وفي بعض الموارد تمنّى أنّه لم يفعل تلك المخالفات والجرائم فمنها ما رواه البخاري في صحيح بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة بنت محمد أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة.... فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجر فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً وصلّىٰ عليها ولم يؤذن بها أبا بكر (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر).

فهذا الحديث وإن اقتضبه البخاري واختصره ولم يذكر الحقائق فيه حيث إنّ ادعاء فاطمة عليها السلام كانت نحلة لا إرثاً، ولكن حيث ردّ عليها أبوبكر بحديث مجعول من أنّ الأنبياء لا يورثون، احتجّت عليه فاطمة عليها السلام بأنّه على فرض كون فدك إرثاً أيضاً فمنعك غصب، لأنّ الأنبياء يورثون. وما تنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مخالف للقرآن الكريم. ومعناه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقول قولاً مخالفاً لقول رب العالمين.

ثمّ شهدت لها أم أيمن عند ما طلب منها أبو بكر الشاهد (انظر تفسير الفخر الرازي ج٢٩:

←

➔
ص ٢٨٤).
فالبخاري غيّر هذه الحقيقة ولم يذكر إلاّ طلب الزهراء عليها السلام بخصوص الإرث.
وعلى فرض أنّ طلبها كان الأرث فإنّ استدلال فاطمة الزهراء سلام الله عليها بالقرآن بيّن جميع الحقائق للناس حيث إنّ الزهراء بيّنت أنّ صريح القرآن توريث الأنبياء أموالهم،
وبعبارة أخرى: إنّ الأنبياء يورثون كبقيّة الناس. ومعنى ذلك أنّ أبابكر هو الذي خالف القرآن الكريم أولاً: من جهة أنّه نسب الكذب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وثانياً: من جهة مخالفة القرآن الكريم وثالثاً: من جهة مخالفة قول رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذه الحقيقة تبيّنت من خلال قول فاطمة عليها السلام : حيث قالت: أنسيت قول الله عزوجل: **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ.....**
فهذه قضية واحدة يجد المتتبّع فيها مخالفات عديدة من أبي بكر. ونحن اكتفينا في الذكر بشهادة البخاري على ما أقرّه في هذا الحديث، فإنّ فيه كفاية للاحتجاج على جميع أهل السنة والجماعة حيث إنّ أبا بكر ردّ دعوى فاطمة عليها السلام أولاً، ومن الواضح أنّ فاطمة عليها السلام معصومة بنصّ القرآن لأنّها من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً كما أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله). فإذا كانت فاطمة عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها من كلّ الذنوب والمعاصي في العالمين فمعناه أنّها معصومة فما لأبي بكر يكذّبها ويطلب منها الشهود يا ترى؟
وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: إنّا كنّا أزواج النبي صلى الله عليه وآله عند جميعاً لم تغادر منا واحدة فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا رأها رحّب بها قال: مرحباً بابنتي. ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثما
➔

➔

سارها فبكت بكاءً شديداً فلمّا راى حزنها سارّها الثانية إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه: خصّك رسول الله ﷺ بالسرّ من بيننا ثمّ أنت تبكين؟ فلمّا قام رسول الله ﷺ سألتها عما سارّك؟ قالت: ما كنت لأفشي علىٰ رسول الله ﷺ سيره فلمّا توفّي قلت لها غرمت بمالي عليك من الحقّ لما أخبرتني؟ قالت: أمّا الآن فنعم فأخبرتني قالت: أمّا حين سارّني في الأمر الأوّل فإنّه: أخبرني أنّ جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة، وإنّه عارضني به العام مرّتين، ولا أرىٰ الأجل إلاّ قد اقترب، فاتّقي الله واصبري فإنّني نعم السّلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلمّا رأى جزعي سرّني الثانية قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمّة؟ (صحيح البخاري ج٧: ص١٤٢ كتاب الاستئذان باب من ناجىٰ بين يدي الناس ولم يخبر) هذه الرواية صريحة في أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء المؤمنين على لسان النبيّ الصادق. وإذا كانت هي سيدة نساء المؤمنين كيف يكذّبها أبو بكر في ادّعائها فدك ولا يقبل شهادتها، فأيّ شهادة تقبل بعدها يا ترىٰ؟

وفي حديث آخر أخرج البخاري: عن رسول الله ﷺ قال: فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة (صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٩ كتاب المناقب باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ).

وإذا كانت فاطمة عليها السلام سيدة نساء أهل الجنّة معناه أنّها سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين؛ لأنّ أهل الجنّة ليسوا فقط من أمة محمّد ﷺ كما لا يخفى، فيشمل جميع النساء من أهل الجنة من الأولين والآخرين. وهذا معناه أنّها أفضل من النساء التي أخبر الله تعالى و الأنبياء بعصمتهنّ. ففاطمة الزهراء سلام الله عليها أفضل النساء اللاتي هنّ من المعصومين؛ إذن كيف يكذّبها أبوبكر والحال أنّها معصومة؟!

وأيضاً أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن مسور بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب باب مناقب فاطمة).

وإذا كان رسول الله ﷺ يغضب لغضبها ويتأذّىٰ بأذاها فمعنى ذلك أيضاً أنّ فاطمة الزهراء

🡐

أهليّته لهذه المنزلة الرفيعة(١)

➔

سلام الله عليها معصومة عن الخطأ، وإلاّ لما جاز للنبي ﷺ أن يقول مثل هذا، لأنّ الذي يرتكب معصية يجوز إيذائه وإغضابه مهما علت منزلته، لأنّ الشرع الإسلامي لا يراعي قريباً و لا بعيداً بشرياً أو وصفياً غنياً أو فقيراً، وإذا كان الأمر كذلك فما بال أبي بكر يؤذي فاطمة سلام الله عليها ولا يبالي بغضبها حتّى تحدث وهي واجدة وغضبي علىٰ أبي بكر فلم تكلّمه حتّى توفّيت وهي تدعو عليه دبر كلّ صلاتها التي كانت تصلّيها، كما جاء ذلك في تاريخ ابن قتيبة.

وثانياً: أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قد أقامت على أبي بكر الحجج من القرآن الكريم فلماذا لم يعتن أبوبكر بالقرآن الكريم وخالف آيات الله سبحانه؟

وثالثاً: قد أقامت فاطمة الشهود، فلماذا ردّ أبوبكر شهود فاطمة، فإنّ الشهادة في باب القضاء سبيل إلى الوصول إلى العلم واليقين، فشهود فاطمة كانت مقبولة عند جميع المسلمين، فكيف ردّها أبوبكر؟ ولهذا إنّ أبابكر كان يتمنّى أواخر حياته أنّه لم يغتصب فدك من الزهراء عليها السلام. وهذا مورد واحد من مئات الموارد لمخالفات أبي بكر والتي سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) فإنّ المخالفة الواحدة للشريعة المقدسة موجبة للسقوط عن أهلية القيام بمقام المرجعيّة العظمىٰ والتصدّي لمقام الإمامة بعد النبي ﷺ؛ لأنّ الإمامة ليست منحصرة في الحكومة الظاهرية المحدودة بسلطة ظاهرية كسلطة الحكّام والسلاطين والفراعنة، وإنّما الإمام هو من يقوم مقام النبيّ ويتلو تلوه، ويمثّله في جميع الشؤون الدينيّة والاجتماعيّة و السياسيّة و.......

وهذا معنى الخلافة، فإنّ الخليفة هو من يخلف من خلفه في جميع المقامات. قال الفلقشندي الشافعي: أمّا الخلافة فهي في الأصل مصدر خلف يقال: خلفه في قومه يخلفه فهو خليفة، ومنه قوله تعالى: **وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي** .... ثمّ أطلق في العرف العام علىٰ الزعامة العظمىٰ وهي الولاية العامّة علىٰ كافّة الأمّة، والقيام بأمورها، والنهوض

🡠

➔

بأعبائها.... (مآثر الاناقة في معالم الخلافة ج١: ص٨).

فالخلافة في الإسلام أساس الكمال الإنساني وغايته، لأنّ الخلافة بمعنى النيابة عمّن خلفه في جميع المجالات. وقد استعمل في القرآن الكريم بهذا المعنى حيث قال تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**... (سورة البقرة: ٣٠).

فإنّ الله تعالى قد جعل الإنسان خليفته في الأرض وأخبر ملائكته بشأن خلافة الإنسان في الأرض.

فالمقصود بالخليفة هو خليفة الله ونائبه على وجه الأرض إذ أنّ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كان خليفة الله على الأرض وله نيابة عن الله سبحانه، فخليفة رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يكون خليفة خليفة الله في الأرض. ولا شكّ أنّ الله تبارك وتعالى لا يجعل من يرتكب الذنب خليفته. ولو كان كذلك لكان اعتراض الملائكة في محلّه حيث قالوا: **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** (سورة البقرة: ٣١).

فإنّ في قوله تعالى: إنّي أعلم ما لا تعلمون إشارة واضحة إلى أنّ المقصود من الخلافة ليس من يرتكب الذنب، وإنّما يكون خليفة الله تبارك وتعالى من لا يرتكب الذنب وحتّى مرّة واحدة في طول حياته.

حيث إنّه لو ارتكب الذنب ولو مرّة واحدة خرج عن النيابة و الخلافة الإلهية. وإلاّ لم يصحّ قوله تعالى في جواب الملائكة إنّي أعلم ما لا تعلمون، حيث أنّ الملائكة صادق القول في كلامه فلو أخبر الملائكة بخبر يكون له منشأ صدق و عليه جاز لخليفة الله ارتكاب المعصية، فإنّهم اعترضوا على من يرتكب المعصية، لا على المعصوم، حيث إنّ المعصوم ليس فيه جهة للاعتراض. فلو كان الله قد جعل خليفته مرتكب المعاصي لكان اعتراض الملائكة في محلّه وكلامهم صادقاً فيما قالوا.

إذن إنّ المخالفة الواحدة تسلب الإنسان لياقة الخلافة وإن كانت لمرّة واحدة، فيكفي سلب لياقة الخلافة عن أبي بكر وعمر وعثمان وجميع خلفاء أهل السنة والجماعة بارتكاب

🡐

التي منها محاربته لمن منعه زكاة ماله[1] فانّه قد بانّ المحارب على التاويل

➔

المعصية والمخالفة لأوامر الله ورسوله فلاحظ.

(١) إنّ من الحقائق التي لا يمكن إنكارها لدىٰ الباحثين في المسائل الإسلامية هي قتل المسلمين الأبرياء الذين امتنعوا عن إعطاء الزكاة لأبي بكر لعدم وثوقهم بخلافته، قال النووي: إنّ حديث قتال أبي بكر مانعي الزكاة فرواه البخاري ومسلم من رواية أبي هريرة.... (المجموع ج٥: ص٣٣٢).

وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: لمّا توفّي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا اله إلاّ الله، فمن قال لا اله إلاّ الله عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقّه وحسابه علىٰ الله..... (صحيح البخاري ج٢: ص١١٠ كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة) ورواه مسلم في صحيحه ج١: ص٣٨ كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتّى يقولوا لا اله إلاّ الله محمد رسول الله.

أقول: هذا الحديث وإن كان قد حذف منه البخاري ومسلم كعادتهما في هذه الموارد دفاعاً عن أبي بكر وأتباعه إلاّ أنّه كاف للاحتجاج عليهم، فإنّ قصة مالك بن نويرة و قتله غدراً من القضايا المسلّمة في التاريخ، فلا يمكن إنكارها إذ لا شكّ أنّ التاريخ أكبر شاهد على أنّ خالد بن الوليد قد غدر بقوم مالك و ضرب أعناقهم صبراً وقتل مالك بن نويرة الصحابيّ الجليل الذي ولّاه رسول الله ﷺ علىٰ صدقات قومه لثقته به، ودخل بزوجته في ليلة قتل زوجها مع أنّه صلّىٰ معهم. قال ابن حجر فكان أبو قتادة ممّن شهد أنّهم أذّنوا و أقاموا الصلاة وصلّوا، فجلس بهم خالد في ليلة باردة ثمّ أمر منادياً فنادىٰ أدفئوا أساركم وهي لغة كناية عن القتل، ففتلوهم وتزوّج خالد بعد ذلك امرأة مالك (الإصابة لابن حجر ج٥: ص٥٦٠ ـ ٥٦١).

وأمّا دعوىٰ المدافعين بأنّ هؤلاء ارتدوا عن الإسلام فبطلانه أوضح من أن يخفىٰ حيث إن من له أدنى اطّلاع عن كتب التأريخ والحديث يعلم علم اليقين أنّ مانعي الزكاة لم

➔

➔

يرتدوا عن الإسلام.

أوّلاً: لأنّ منع الزكاة لا يوجب الردّة. غايته أنّه معصية كبيرة، و ارتكاب المعصية لا يوجب الارتداد والكفر، وإلاّ يلزم أن نقول أكثر المسلمين في أيامنا كفّار، لانّ معظمهم لا يصلّون و لا يزكّون، فهل يمكن القول بأنّهم كفار؟!

وثانياً: إنّ مالك بن نويرة وأصحابه قد أقاموا الصلاة علىٰ رؤوس الأشهاد وكما جاء في رواية ابن حجر المتقدّم ذكرها.

ومن الملفت للنظر أنّ خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة كان له موقف مع رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد تمّت بها الحجّة عليه، وهو ماجاء في البخاري عن عامر بن الطفيل و جماعة من الصحابة حيث نقلوا أنّ رجلاً قام فقال يا رسول الله اتّق الله قال: ويلك أولست أحقّ أهل الأرض أن يتّقي الله قال: ثمّ ولّى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: لا، لعلّه أن يكون يصلّي، فقال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: إنّي لم أؤمر أن انقلب قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم قال: ثمّ نظر إليه وهو مقف.... (صحيح البخاري ٥: ص١١٠ كتاب المغازي، باب بعث عليّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجّة الوداع). وقد تمّت هذه الحجّة علىٰ خالد ولم يكن له أيّ عذر لقتل مالك

وثالثاً: لو كانت الزكاة حقّ المال وهي للفقراء فغاية ما في الباب أنّه يباح للحاكم الشرعي أن يأخذها بقوّة من مانعها بدون قتله وسفك دمه.

ورابعاً: إنّ مالك أبطل هذه الدعوىٰ كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه المتقي الهندي بسنده عن أبي عون وغيره حيث قالوا: إنّ خالد بن الوليد ادّعىٰ أنّ مالك بن نويرة ارتدّ بكلام بلغه عنه، فأنكر مالك ذلك وقال: أنا علىٰ الإسلام، ما غيّرت و لا بدلّت. وشهد له بذلك أبو قتادة وعبد الله بن عمر، فقدّمه خالد وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فضرب عنقه، وقبض خالد امرأته، فقال لأبي بكر: إنّه قد زنىٰ فارجمه، فقال أبوبكر: ما كنت لأرجمه، تأوّل فأخطأ، قال: فإنّه قد قتل مسلماً فاقتله، قال: ما كنت لأقتله، تأوّل فأخطأ،

🡐

عليّ عليه السلام[١]، بسماعه ذلك بنفسه من النبي صلى الله عليه وآله حسبما روىٰ في منتخب

←

قال فاعزله، قال: ما كنت لأثيم سيفا سلّه الله عليهم أبداً (كنز العمال ج٥: ص٦١٩).

وخامساً: إنّ أبابكر نفسه أبطل هذه الدعوىٰ الكاذبة حيث دفع دية مالك بن نويرة من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله. والمرتدّ لا يعتذر عن قتله.

فقد روىٰ ابن الأثير في حديث طويل: ..... فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون قالوا لهم: ضعوا السلاح فوضعوه، ثمّ صلّوا. وكان يعتذر في قتله أنّه قال: ما أخال صاحبكم إلا قال: كذا و كذا، فقال له: أو ما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ ضرب عنقه، وخدم تمم بن نويرة علىٰ أبي بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يردّ عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر بردّ السبي و ودىٰ مالكاً من بيت المال.... (الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢: ص٣٥٩).

وقد ذكر ابن الأثير هذا الحديث وغيره في كتابه أسد الغابة ثمّ قال: فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة ويدلّ علىٰ أنّه (أي مالك بن نويرة) لم يرتدّ وقد ذكروا في الصحابة أبعد من هذا، فتركهم هذا عجب. و قد اختلف في ردّته وعمر يقول لخالد: قتلت امرأ مسلماً و أبو قتاده يشهد أنّهم أذّنوا وصلّوا وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال فهذا جميعه يدلّ علىٰ أنّه مسلم.... (اسد الغابة ج٤: ص٢٩٦).

والنتيجة أنّ ابابكر قد ارتكب هذه الجريمة النكراء أيام خلافته. وهل لعاقل أن يقول بعد ذلك إنّه يستحق الخلافة والإمامة؟!

(١) وتوضيح المقام: أنّ مشروعية القتال في الإسلام تنحصر في قسمين، الأوّل: القتال لأجل التنزيل، والثاني: القتال لأجل التأويل

وهذا التقسيم يظهر من بيان رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث صحيح رواه الفريقان الخاصّة والعامّة. فمن مصادر أهل السنة والجماعة فقد رواه النسائي في خصائصه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله فرمىٰ به إلى عليّ رضي الله عنه فقال: إنّ منكم رجلاً يقاتل الناس علىٰ تأويل القرآن كما قاتلت علىٰ تنزيله. قال أبو بكر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل.

→

➔

(الخصائص للنسائي: ص١٣١) ورواه محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول: ص١٣٤ وغيره.

وهذا الحديث يكشف لنا بوضوح أنّ الحروب المشروعة في الإسلام على نوعين، الأوّل: الحروب التي تكون على التنزيل الثاني: الحروب التي تكون على التأويل.

فالحروب لابدّ أن تكون لها صبغة المشروعية بأحد هذين القسمين ولا ثالث لهما حيث إنّ العلماء قد أسّسوا قاعدة مسلّمة وهي أنّ القسمة قاطعة للشركة

وتوضيح المقام أنّه لو قال أحد: الكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف، معناه أنّ الكلمة تنقسم إلى ثلاثة اقسام ولا يعقل لها قسم آخر لأنّ التقسيم قاطع للشركة. وفي المقام حيث إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الحرب إمّا أن تكون علىٰ التنزيل أو علىٰ التأويل فمعناه أنّ غيرهما لا تكون مشروعة. وهذا من الواضحات الأوّلية عند جميع المسلمين.

ولذلك قال محمد بن طلحة الشافعي بعد ذكر هذا الحديث: وكان عليّ عليه السلام قد أخذ نعل رسول الله ﷺ وهو يخصفها فقضىٰ ﷺ أنّ علياً عليه السلام يقوم بالقتال على تأويل القرآن كما قام هو ﷺ بالقتال على تنزيله. فهذا منطوق الحديث.

وأمّا دلالته على فضيلة عليّ عليه السلام فأقول: اعلم أرشدك الله إلىٰ مناهج الحقّ ومدارج الهدىٰ أنّ التنزيل والتأويل أمران متعلقان بالقرآن. فتنزيله مختصّ برسول الله ﷺ، فإنّ الله عزوجل أنزل القرآن عليه من الحكم قدّرها وأرادها فقال تعالىٰ: **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** وقال تعالى: **وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** (سورة النحل: ٨٩): وقال تعالى: **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** (سورة الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤) وإلى غير ذلك من الآيات البيّنات الدالّة علىٰ أنّ حكم التنزيل عند النبي ﷺ وطريق معرفة الآيات منحصرة به.

فمن أنكر تنزيله ومعرفة تنزيله من طريق النبي ﷺ فقد كذّب به وجحده واتّصف بصفة

➔

←

الكفر كما قال تعالى: **وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ** (سورة العنكبوت: ٤٧). وقوله تعالىٰ: **وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** (سورة لقمان: ٣٢). فإنكار تنزيل القرآن موجب للكفر علىٰ ما نطق به القرآن الكريم: وما قدروا الله حقَّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله تعالى على بشر من شيء. فإنكارهم للتنزيل صار سبباً لوجوب قتلهم. فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بأن يقاتلهم إلى أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، فهذا بيان القتال على تنزيله.

أمّا تأويله: فمعناه وما يؤول إليه وما هو المدلول الذي أراده الله تعالى في القرآن، حيث إنّ القرآن له ظاهر وباطن، ولكلّ بطن له سبعة أبطن، فهذه البطون لايعرفها الاّ من له علم الكتاب وهو النبي صلى الله عليه وآله ومن علّمه النبي صلى الله عليه وآله علم الكتاب، فالتأويل هو العلم بالمعاني المنطوية في الآيات المباركة من القرآن الكريم، و لايعرفها الاّ أهل البيت المعصومون عليهم السلام الذين علّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله علم الكتاب.

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم تأويل الكتاب ويعلم قتال الذين أمر الله تعالى بقتالهم في القرآن الكريم

ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وآله القتال علىٰ تاويله كالقتال علىٰ تنزيله، فقد ظهر مناط القتال علىٰ التأويلٰ كما ظهر مناط القتال على التنزيل، اشترك الأمران في أنّ كلّ واحد منها قتال أهل ضلالته على التنزيل أعظم وأشدّ من الجريمة الصادرة من المقاتلين على التأويل، فلهذا كانت المقاتلة علىٰ أعظم الجريمتين مختصّة بمنصب النبوّة، فقام بها النبي صلى الله عليه وآله ودعا إليها وقاتل الذين كفروا حتّى آمنوا، وكانت المقاتلة علىٰ جريمة التأويل التي هي دون الجريمة الأدلىٰ موكولة إلى الإمام لكون الإمامة دون النبوة، فهي فرعها. فقام بها عليه السلام ودعا إليها وقاتل الخوارج المأوّلين، فإنّهم عهدوا إلى آيات من القرآن الكريم نزلت في الكفّار واختصّت بهم فصرفوها عن محلّ مدلولها وحملوها على المؤمنين، وجعلوها محلّها و استدلّوا عليهم بها.... (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص١٣٤ ـ ١٣٦).

فهذا بعض ما ذكره علماء أهل السنة تأييداً لما ذكرناه في المقام من أنّ القتال في الاسلام

←

➔

يلزم أن تكون الحرب على أحد هذين القسمين، القسم الأوّل هي الحرب التي باشرها رسول الله ﷺ والثاني هي الحرب التي باشرها الامام أمير المؤمنين عليه السلام. ولذلك كان من المفروض على الصحابة أن يقفوا إلى جنب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في جميع حروبه ومواقفه بعد النبيّ ﷺ لأنّ النصّ النبوي أكبر دليل على أحقّية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في مواقفه من الحروب وغيرها.

ومن الواضح أنّ من يقاتل على التأويل لابدّ أن يعرف القرآن كما يعرفه من يقاتل على تنزيله، وإلاّ فلا يمكن أن يصدر من النبيّ الصادق ﷺ ذلك في شأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

أضف إلى ذلك أنّ بعض علماء أهل السنة والجماعة صرّحوا بأنّ القتال علىٰ التأويل أهمّ وأولىٰ من القتال على التنزيل. قال ابن حجر: قال ابن هبيرة: وفي الحديث أنّ قتال الخوارج أولىٰ من قتال المشركين. والحكمة فيه أنّ قتالهم حفظ رأس مال الاسلام وقتال أهل الشرك طلب الريح وحفظ رأس المال أولىٰ.... (فتح الباري ج١٢: ص٢٦٨).

وبعبارة أوضح إنّ الذين قاتلوا الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كانوا بصدد هدم أساس الدين والقرآن وقتل المسلمين ونهب أموالهم، وأمّا رسول الله ﷺ فكان في صدر الاسلام يقاتل آبائهم على تنزيل القرآن وتبيين أصل كلمة الاسلام. وبعد معرفة ذلك كانت الوظيفة تقتضي حفظ تلك الأسس والقيم والأحكام. فوظيفة الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي ﷺ حفظ الدين والأحكام الإسلامية. وعليه فإنّا يمكننا أن نعرف من خلال هذه المقدّمات أنّ قتال مولانا الامام أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان من أجل بقاء الاسلام فمعناه أنّ حفظ الدين كان يقتضي الحرب وإذا كان يسكت ويجلس سوف لن يبقى من الدين شيء؛ لأنّ أعداء الاسلام كانوا بصدد إفناء الدين، وعليه كان من الواجب علىٰ الصحابة أن يقفوا إلى جنب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع المجالات.

وملخّص الكلام أنّ معنى قوله ﷺ: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام يقاتل علىٰ التأويل كما

➔

كنز العمال[١] ذلك عن ابن أبي شيبة[٢] وأحمد[٣] وأبي يعلى[٤] وابن حبّان[٥] والحاكم[٦] وأبي نعيم[٧] والمقدسي في المختارة[٨] عن أبي سعيد أنّه خرج عليهم النبي صلى الله عليه وآله وهم جلوس فقال لهم: إنّ فيكم من يقاتل على تأويل الفرقان كما قاتلتُ على تنزيله، فقام إليه ابن أبي قحافة فقال أنا هو يا رسول

➔

قاتلت علىٰ التنزيل أنّ قتال عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتال على أساس القرآن والدين الاسلامي أي إنّه علىٰ الحقّ، لأنّه لا يقام إلاّ استناداً بالقرآن، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله في حديث رواه الفريقين عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٤ والطبراني في المعجم الأوسط ج٥: ص١٣٥ والمعجم الكبير ج١: ص٢٢٥ و السيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص١٧٧ وغيرهم.

وهذه الملازمة تبيّن أنّ جميع مواقف مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان مع القرآن لا الحروب خاصّة.

إذن حرب أبي بكر لا تكون مشروعة لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خصّ المشروعية بحروب أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) انظر منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج٥: ص٢٧٩.

(٢) انظر المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧: ص٤٩٨ ح ١٩.

(٣) انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٣١.

(٤) انظر مسند أبي يعلىٰ الموصلي ج٢: ص٣٤١ ح١١٢.

(٥) انظر صحيح ابن حبان ج١٥: ص٣٨٥.

(٦) انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٣.

(٧) انظر حلية الأولياء ج٣: ص٢٢٤.

(٨) الأصول المختارة لضياء الدين القدسي ج٢: ص١٠٦ رقم ٤٨٠ و ص١٧٤ رقم ٥٥٣.

الله؟ فنفى عنه ذلك وقال: ولكنّه هو عليٌّ[١]. نقلناه بالمعنى.

ومنها: حكمه بنظره فيما جهله من مسائل الدين[٢]. روى ذلك عنه

---

(١) انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٣١ والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٣ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٨٦ المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ج١٠: ص١٢١ والمصنّف لابن أبي شيبة ج٦: ص٤٢٩ والسنن الكبرىٰ للنسائي ج٥: ص١٥٤ والخصائص له: ص١٣١ ومسند أبي يعلىٰ الموصلي ج: ص٣٤١ وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٣٨٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج٢: ص٢٢٧ وج٣: ص٢٠٧ و ج٩: ص٢٠٦ و ج١٤: ص٤٢ والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج٣: ص١٥٧ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١١٥ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١١: ص٦١٣ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص٤٥١ و أسد الغابة لابن الأثير ج٤: ص٢٢، وغير ذلك من المصادر.

(٢) لا يخفى علىٰ الخبير أنّ أبا بكر الذي كان يدّعي خلافة رسول الله ﷺ وأهل السنة والجماعة يزعمون أنّه أعلم الصحابة كان لا يعرف أبسط أحكام الإسلام وكان الناس يتعجّبون من جهله فقد أخرج السيوطي في تفسيره عند الآية ٩٥ من سورة المائدة هذا الحديث بسنده عن ميمون بن مهران قال: إنّ أعرابياً أتىٰ أبابكر فقال: قتلت صيداً وأنا محرم، فما ترىٰ عليّ من الجزاء؟ فقال أبو بكر لأبيّ بن كعب وهو جالس عنده ما ترىٰ فيها؟ فقال الأعرابي: أتيتك وأنت خليفة رسول الله ﷺ أسألك فإذا أنت تسأل غيرك؟! قال أبوبكر: فما تنكر؟ يقول الله: يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي حتّى إذا اتفقنا علىٰ أمر أمرناك به.... (الدرّ المنثور ج٢: ص٣٢٩) ورواه الفخر الرازي في تفسيره ج١٢: ص٩٢ و ابن كثير في تفسيره ج٢: ص١٠٢ والغيبي في شرح البخاري ج١٠: ص١٦٣ وغيرهم.

أقول: لاشكّ أنّه كان جاهلاً بالحكم إذ لو كان عالماً لما سأل أحداً، لأنّ ذكر الأحكام لا يحتاج إلى الشهود، ولذلك تعجّب الأعرابي من فعل الخليفة عندما سأل غيره فقال له:

←

→

أتيتك وأنت خليفة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أسالك فإذا أنت تسأل غيرك وهو كما يقول المثل: طبيب يداوي الناس و هو عليل.

والمهمّ أنّ أحكام الدين لا يستشار بها أحد، بل هي تؤخذ من النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أو ممّن أمر النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يؤخذ منه، ولا أدري كيف يقنع علماء أهل السنة أنفسهم مع وضوح الأمر في المقام من أنّ أبابكر كان يأخذ أحكام دينه من غير النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثمّ يدّعون أنّ أبا بكر أفضل الصحابة مع أنّه كان لا يعرف أبسط الأحكام ويسأل به غيره؟ فإنّ حكم قتل الصيد للمحرم موجود في القرآن في الآية رقم ٩٥ من سورة المائدة حيث قال تعالىٰ: **يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مّتَعَمّدًا فَجَزَاء مّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَف.....**

وهذه الآية الكريمة صريحة في بيان حكم الصيد، فكيف أبو بكر لم يعرفها؟ ألا يتعجّب أهل السنة كيف يدّعون أنّ أبا بكر أفضل الصحابة وهو جاهل بأبسط حكم شرعي جاء ذكره في القرآن الكريم وهو يسأل غيره عن هذا الحكم و لا يعرفه؟

فالباحث الخبير لو درس المصادر الإسلامية يجد بوضوح أنّ الأحداث التي توالت علىٰ الأمّة الاسلامية بعد وفاة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِهي التي سبّبت انحراف الأمّة عن مسيرها الذي رسمه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لهم. فإنّ أحداث السقيفة و مؤامرة الشيخين أبي بكر وعمر قد أسّست البنيان لتغيير أحكام الدين ونشر البدع وترويجها لإيجاد التغيير في مسير الأمّة الإسلامية. وأوّل خطوة اتخذها الحزب الحاكم هو إبعاد أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن ساحة الحكم ومنعهم عن كلّ نشاط دينيّ وسياسيّ بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فلم يفسحوا لهم المجال في أداء دورهم أصلاً، لئلا يعرف الناس حقيقة شأنهم ومقامهم لكي يبقى جهل المحاربين لأهل البيتعَلَيْهِمُ السَّلَامُ مستوراً.

ولذلك هجموا علىٰ بيت الزهراء وأمير المؤمنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ليعرف الناس أنّهم لا مانع لديهم من إيذاء فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وغصب حقّ أولىٰ الناس برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فأرادوا بذلك أن

←

جماعة، منهم البغوي(١)

➔

يبيّنوا للناس أن لا مانع لديهم من ارتكاب أيّ جريمة شنعاء وانتهاك أيّ حرمة من أجل الوصول إلى الهدف الذي كانوا يتابعونه من قبل إسلامهم وهو محو كلمة الإسلام.

ومن الواضح أنّ الأمر في هذا المجال ينتهي إلى مخالفة الله عزوجل في قرآنه الكريم وهي الآيات الصريحة المحكمة التي نزلت في وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام و هي صريحة في وجوبها على كافّة المسلمين. وقد أكّدت أغلب كتب التفسير وكثير من مصادر الحديث و السيرة والتاريخ على نزولها في قربى النبي صلى الله عليه وآله، وهم أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء و الحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذريّة الحسين عليهم السلام. روى ذلك علماء أهل السنة والجماعة في تفسير آية المودّة، ولكنّ أبا بكر وعمر وأتباعهما قد خالفوا هذه الآيات البيّنات، وقد شملهم قوله تعالى: **الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاة الدّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُولَئِكَ الّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبّهِمْ وَلِقَائه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة وَزْنًا** (سورة الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥).

(١) إنّ من الأحاديث المخالفة للقران الكريم هو الحديث الذي اختلقه أبو بكر ونسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أنّه قال: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. رواه أكثر علماء أهل السنة والجماعة عن أبي بكر منهم البغوي في تفسيره ج٤: ص٣١٧ أخرجه عنه في تفسير الآية رقم ٧ من سورة الحشر. ولاشكّ أنّ هذه الرواية مخالفة لصريح الآية التي تذكر أنّ الأنبياء يورثون المال كما في أنّ غيرهم من أحاد الناس فإنّ زكريا عليه السلام صرّح بدعائه وطلب من يرثه ويحجب بني عمّه وعصبته بالولد.

وحقيقة الميراث انتقال ملك المورث إلى ورثته بعد موته بحكم الله عزوجل، وأمّا النبوة والعلم فلا يورثان؛ لأنّ النبوة تابعة للمصلحة لا دخل للنسب فيها والعلم موقوف علىٰ من يتعرّض له ويتعلّمه فلا معنى للوارثة فيه.

فزكريا إنّما سأل الله عزوجل أن يهبه ولداً يحجب به بني عمّه وعصبته من الميراث فالإرث

🡐

وابن سعد[(١)] والبيهقي[(٢)]

➔

المذكور لا يليق إلاّ بالمال. إذن هذا الحديث المختلق الذي ذكره أبو بكر و به منع فاطمة الزهراء عليها السلام فدك مخالف لصريح الآيات القرآنية والأحكام الإسلامية. ولذلك أخرج البغوي في هذا المجال عن النضري أنّ عباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام دخلا على عمر بن الخطاب فقال عباس لعمر: اقض بيني وبين عليّ بن أبي طالب فاستدلّ عمر بحديث رواه أبو بكر... (تفسير البغوي ج٤: ص٣١٧).

فكيف هذا الحديث لم يسمعه أحد من رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى عمر بن الخطاب نفسه؟!

فمن المسلّم به عند جميع المسلمين أنّ حديث: «لا نورث ما تركناه صدقة» تفرّد بنقله أبو بكر، وأنّه مخالف لنصّ القرآن الكريم، ولا يوجد له مؤيّد، ولا يمكن لأحد أن يقول إنّ خبر الواحد ينسخ القرآن، لأنّه خلاف القاعدة المسلّمة عند جميع المسلمين حيث إنّ القرآن لا ينسخه إلاّ القرآن.

وذلك لما ورد في حديث متّفق عليه بين جميع المسلمين انّ ما جاء على خلاف القرآن زخرف وباطل يضرب به عرض الجدار كما سنذكره إن شاء الله في محلّه. فحديث لا نورث لابدّ أن يضرب به عرض الجدار لأنّه مخالف للقرآن والأحكام الشرعية الضرورية في الإسلام، فلاحظ.

(١) ذكر ابن سعد مخالفته لأمر النبي صلى الله عليه وآله في عدم التحاقه بجيش أسامه (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص٢٤٨).

(٢) أخرج البيهقي بسنده عن الشعبي قال: سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: إنّي سأقول فيها برأيي، فإن يك صواباً فمن الله وان يك خطأ فمنّي ومن الشيطان أراه ما خلا الولد والوالد. فلمّا اختلف عمر قال: إنّي لأستحي الله أن أذر شيئاً قاله أبو بكر (السنن الكبرى ج٦: ص٢٢٣).

فإنّ في هذه الرواية مخالفة صريحة من أبي بكر للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أولاً: قوله: سأقول فيها برأيي. مخالف للقرآن. وهل لأحد أن يقضي في الدين برأيه ما شاء

➔

ومحبّ الدين الطبري[1]

→

ذاهلاً عن قوله تعالىٰ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** (سورة الاسراء: ٣٦) وقوله تعالى: وعن قوله تعالى: **وَلَوْ تَقَوّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** (سورة الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧).

وثانياً: إنّه مخالف للقرآن الكريم. ألا يتعجّب أهل السنة والجماعة أنّ خليفتهم يسأل عن حكم الكلالة التي أوضحها الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال: **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ** ..... (سورة النساء: ١٧٦) وقد بيّنه رسول الله ﷺ في سننه (راجع تفسير هذه الآية الكريمة في التفاسير السنّية) والرجل يقول فيها برأيه، ثمّ يعترف بأنّ الشيطان قد يستحوذ علىٰ رأيه.

وعلى كلّ تقدير فإنّ هذه الرواية التي رواها البيهقي وغيرها من مخالفاته للإسلام.

(١) لقد روىٰ محب الدين الطبري بسنده عن محمد بن سعد و هو بإسناده عن جماعة من الصحابة دخلوا علىٰ أبي بكر لمّا عزم على استخلاف عمر بن الخطاب فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترىٰ غلظته؟! قال أبو بكر: أجلسوني، أبا لله تخيفوني!!! خاب من أمركم بظلم، أقول: اللهم إنّي أستخلف عليهم خير أهلك، أبلغ عنّي ما قلت لك من ورائك، ثمّ اضطجع وجاء عثمان بن عفّان وقال: اكتب بسم الله الرحمن هذا ما عهد أبو بكر في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أوّل عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث مؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أنّي أستخلف بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا فإنّي لم ال الله ورسوله ودينه ونفسي إيّاكم إلاّ خيراً فإن عدل فذاك الظنّ به و علمي فيه، وإن بدّل فلكلّ امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا علم لي بالغيب.... (الرياض النضرة ج١: ص ٢٦٠).

←

وغيرهم[١]. فكيف يتصوّر في حقّ من خصّ سبحانه نطقه بالوحي جعل

➔

أقول: أولاً: لا ندري أنّ الصحابة كيف يسمّون أنفسهم أصحاب النبيّ الأكرمﷺ وحواريه الذي يجب عليهم متابعتهﷺ في كلّ الأقوال والأفعال، ومع ذلك لم يتابعوا النبيﷺ على حدّ زعمهم أنّه لم يستخلف.

وثانياً: كيف هدم القوم المبنىٰ الذي بنوا عليه أساس أمر الخلافة بالشورىٰ.

وثالثاً: كيف جاز لأبي بكر أن يستخلف رجلاً معروفاً عند الناس بكونه فظّاً غليظ القلب بل هو أفظّ وأغلظ الناس، فهل يجوز له أن يستخلف من لا يرضىٰ له الناس بالخلافة؟

ورابعاً: إنّما يدّعي أبو بكر الأفضلية لعمر من دون أن يؤيّده أحد؛ فكان يقول للمعترضين إنّه يليق بهذا المنصب! أليس كانت دعواه مردودة عند المعترضين؟

وخامساً: إنّ أبا بكر كان في حال المرض والإغماء، ففي هذه الحالة التي لا يعتبر تنفيذ حتّى الوصية للأفراد العاديين كيف جاز له أن يستخلف؟ ولا شكّ أنّ الذي فيه حالة بين يقضىٰ والإغماء لا يعرف كلّ شيء حقّ معرفته، إذ أنّه لم يكن في حال الاعتدال و الوعي، ففي هذه الحالة فالوصيّة في الشرع المقدس لا اعتبار لها، مضافاً إلى أنّها غير مقبولة عند العقلاء.

ثمّ إنّ الموقف العجيب والغريب من الصحابة هو الذي سجّله التاريخ في قبال النبي الأكرمﷺ وذلك عندما طلب منهم النبي ﷺ الدواة والكتاب ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً وقال عمر إنّ الرجل ليهجر!! والعياذ بالله.... فصدّقه الصحابة! مع أنّ مقام النبيﷺ لا يحتاج إلى بيان فوق بيان القرآن حيث قال تعالى ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ (سورة النجم: ١١) وأمّا أبو بكر فلم يقل له أحد ذلك.

(١) ومن الذين روىٰ مخالفة أبي بكر للشرع الإسلامي الحاكم النيسابوري، فإنّه أخرج في المستدرك على الصحيحين بسنده عن الحارث بن حاطب أنّ رجلاً سرق على عهد رسول الله ﷺ فأتي به النبي ﷺ فقالوا: سرق، قال: فاقطعوه، ثمّ سرق أيضاً فقطع ثمّ

➔

سرق علىٰ عهد أبي بكر فقطع حتّى قطعت قوائه، ثمّ سرق الخامسة فقال أبـو بكـر: اقتلـوه (المستدرك على الصحيحين ج ٤: ص٣٨٢).

وأخرجه مالك بن أنس في الموطأ بسنده عن القاسم بن محمد أنّ جدّتين أتتا أبا بكـر فـأعطى الميراث أمّ الأمّ دون أمّ الأب. فقال له رجل من الأنصار من بنـي حارثـة يـا خليفـة رسـول الله قد أعطيت الميراث التي لو أنّها ماتت لم يرثها، فجعله أبو بكر بينهما ـ يعنـي السـدس ـ (الموطأ: ص٣٣٥).

أقول: أوّلا: يتعجّب الباحث عن جهل الرجل بحكم إرث الجدّتين وسرعة انقلابه عمّا ارتـآه! وإذا لم يكن الرجل المنتقد من الأنصار الذي انتقد رأي الخليفة لكان خطأ الخليفة موجباً لحرمان الجدّة من الميراث. ثمّ إنّ الذي انتقده كـان أعلـم منـه فـي هـذه المسألة فكيـف يقدّم المفضول على من هو أفضل منه ؟

وثانياً: إنّ حكم الإرث من الواضحات الموجود في كتاب الله المجيد، فكلّ مسلم يعرف هـذا الحكم من خلال المراجعة إلى القرآن الكريم.

وأخرج المتقي الهندي بسنده عن ابن عمر قال: جاء رجـل إلـى أبـي بكـر فقـال: أرأيـت الزنـا بقدر؟ قال: نعم، قال الرجل: الله قدّره ثمّ يعذّبني به؟! قال: نعم، يا ابـن اللخنـاء أمـا والله لـو كان عندي إنسان لأمرته أن يجأ أنفك (كنز العمال ج١: ص٣٣٤ ح ١٥٣٧).

أقول: أولاً: إنّ الخليفة لم يكن يعرف معنى القدر الصحيح حيث إنّ الله تبارك وتعـالى يقـول: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** (سورة الانسان: ٣) ويقول: **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** (سورة لقمان: ١٢) ويقول: **وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه** (سـورة البلـد: ١٠) وإلى غير ذلك من الآيات البيّنات التي وضّحت معنـى القـدر، وثبـوت الأمـر الجـاري فـي علمه الأزلي مع اعطاء القدرة على الفعل والترك للعبد، ومع تعريف الخيـر والـشر والجبـر والاختيار كلّ ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الانسان مـع خلـق عوامـل النجـاح ونجـاة النفس من السوء فهناك صرّح في كتابه العزيز: **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** (سورة يونس: ١٠٨) وقوله تعـالى: **فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن**

المسيّس بعده لعامّة أُمته الجاهلَ بشريعته الحاكم فيما جهله منها بنظره وقد قال سبحانه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]

➔

ضَلّ فَإنّمَا يَضِلّ عَلَيْهَا (سوره الزمر: ٤١) وقوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسه وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمّ إلَى رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ (سورة الجاثية: ١٥) وإلى غير ذلك من الآيات فالقدر لا يستلزم جبراً.

وثانياً: إنّه لم يعرف هذه الآيات الواضحة من القرآن الكريم وخالفها في قوله ولمّا أشكل عليه الرجل وكان إشكاله وارداً عليه لماذا يهدّد الرجل بإيجاء الأنف؟!

والى غير ذلك من الموارد التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة، وإذا أردنا أن نستقصيها لطال بنا المقام

(١) سورة المائدة: ٤٥، هذه الآية المباركة قد حكمت حكماً صارماً وحازماً علىٰ مثل أولئك الذين يحكمون خلافاً لما أنزل الله تعالى: فتقول الآية: وَمَن لّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ؛ و المقصود من الظالمين هم الذين بدّلوا الحقّ إلى الباطل واختاروا الكفر علىٰ الإيمان؛ لأنّ الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير محلّه، فالتجاوز عن الحدّ الذي رسمه الشارع الأقدس يعدّ ظلماً حقيقيّاً؛ لأنّه إضاعة الحقّ والحقوق وعدم تأديته إلى أهله، فالمخالفة للشرع الذي عيّنه الشارع الأقدس يعتبر تجاوزاً عمّا حدّده الشارع والتجاوز عن الحدّ ظلم. ومن الواضح أنّ من ارتكب هذا النوع من الظلم فهو يخرج عن إطار الهداية؛ قال الله تعالى: وَلاَ تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (سورة ابراهيم: ٤٢) هذا في الحقيقة جواب لأولئك الذين ينكرون أنّ للعالم حاكم عادل يرىٰ جميع ما يفعله الناس ولا يغفل عمّا يعمله الظالمون. حتّى يعرف الذين يبدلّون الحقّ إلى الباطل أنّ مجازاتهم أشدّ من غيرهم لأنّهم يمهّدون أسباب الضلالة والانحراف فحالهم حال المضلّين الذين قال تعالى في حقهم: قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ١٠٣ الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاة الدّنْيَا

🡐

وقال صلى الله عليه وآله في خبر القضاة: و قاض قضى بالحقّ وهو لم يعلم فهو في النار، فما حال من قضى بالباطل بغير علم[(١)]؟!

←

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (سورة الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥) وفي الحقيقة أنّ انعكاس أعمالهم من الظلم والحكم على خلاف ما أنزل الله لا ينتج لهم إلاّ الخسران، لأنّ سعيهم سعي باطل ومخرّب فيضيّعه فهو كمثل إنسان يحمل ثروة عظيمة معه ولكنّه أثناء ذهابه إلى السوق يفقد هذه الثروة فيتحيّر بفقدانه، فهو كالخاسر ليس في يده شيء إلاّ الندامة. فأيّ خسارة أعظم من أن يرىٰ الانسان عمله القبيح حسناً ثمّ يتبيّن له قبح ذلك فيرىٰ عمله هدراً و جميع طاقاته ضايعة فيتضرر بحياته وآخرته وليس له من أعماله إلاّ ما ارتكبه على نفسه، وبدّل الحقّ بالباطل وأقدم على نفسه بالضرر وخروجه من الصراط المستقيم وعدم التوفيق للنيل إلى السعادة وتبديل الخير بالشرّ والخسران بدل السعادة. فالاختيار بيده لأنّه اختار الباطل بدل الحقّ والكفر بدل الإيمان وأضاع علىٰ نفسه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

وخلاصة الكلام أنّ الخسران وسوء التوفيق من مكاسب الناس والسعي إلى الخير والسعادة أيضاً يكون باختيار العبد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (سورة النجم: ٣٩، ٤٠).

(١) لقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قاضيان في النار ... قاض قضى بجور فهو في النار وقاض قضى بجهله فهو في النار.... (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٤: ص٩٠) ورواه البيهقي في سننه الكبرىٰ ج١٠: ص١١٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤: ص١٩٣ والطبراني في معجمه الكبير ج٢: ص٢٠ وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج٢: ص٧٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج٦: ص٩٦ وغيرهم.

←

ومنها: موت فاطمة وهي غضبىٰ عليه[(١)]

➔

لا يخفى أنّ العذاب المذكور في الحديث إنّما هو لمن قضى بالباطل ولم يعلم، وأمّا من يعلم الحق ويقضي بالباطل فعذابه أشد، وحسرته أدوم. والسّر في ذلك واضح لأنّ الجاهل بالواقع وإن قضى بالجور إلّا أنّ جهله يمكن أن يخفف عنه في إرادته بالنسبة إلى الجور وأمّا من يعلم الجور ويقضي بالجور فهو قاصد للجور والظلم في قضائه ولم يقصد إلاّ الفعل المحرّم وعصيان الله عزوجل.

(١) لاشكّ أنّ حديث «ماتت فاطمة وهي غضبىٰ علىٰ أبي بكر وعمر» من الأحاديث المتواترة لدىٰ جميع المسلمين ولم يختلف في ذلك أحد من المسلمين قاطبة وقد أخرجه جميع أرباب الصحاح والمسانيد من أهل السنة والجماعة فأخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسألها ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله... قال: لا نورث..... فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر و صلّىٰ عليها..... (صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب المغازي باب غزوة خيبر) ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد وسير باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه صدقة وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٩ و البيهقي في سننه الكبرىٰ ج٦: ص٣٠٠ وابن حبان في صحيحه ج١١: ص١٥٣، وغيرهم.

وقد روى هذا الحديث أكثر علماء أهل السنة والجماعة، وروى جماعة منهم بصورة أكمل وأشمل ما حدث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من بيعة أبي بكر و الهجوم على بيت الزهراء سلام الله عليها بأمر من أبي بكر و مباشرة من عمر بن الخطاب. فقد أخرج ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة من الطبعة القديمة تحت عنوان كيف كانت بيعة عليّ بن أبي طالب قال: وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن البيعة عند عليّ كرم الله وجهه فبعث إليهم عمر بن الخطاب فجاء فناداهم وهم في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال:

←

←

والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّ علىٰ من فيها. فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة! فقال: وإن.... فدفعوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة! فلمّا سمع القوم صوتها و بكائها انصرفوا باكين، وبقي عمر ومعه قوم فخرجوا علياً خمضوا به إلى أبي بكر.... (انظر الإمامة والسياسة الطبعة القديمة: ص١٣ والطبعة المصرية: ص ٣٠).

والرواية رواها جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة وسنذكر جميع المصادر إن شاء الله تعالى في محلّه.

والمهمّ أنّ فاطمة وجدت على أبي بكر، و قد بلغت من موجدتها أنّها أوصت بأن تدفن ليلاً وألاّ يصلّي عليها أحد منهم ولا يصلّي عليها أبو بكر. فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر، وصلّىٰ عليه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو الذي غسّلها مع أسماء بنت عميس في منتصف الليل حينما هدأت الأصوات ونامت العيون.

قال الواقدي: ثبت عندنا أنّ علياً كرّم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلاً و صلّىٰ عليها ليلاً ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها أحداً (انظر السيرة الحلبيّة ج٣: ص٢٦٠ ـ ٢٦١ نقلاً عن الواقدي).

وأيضاً قد ذكر علماء أهل السنة والجماعة الروايات التي فيها اعتذار الخليفة إلى الصدّيقة الطاهرة فلم تقبل منهما أبداً. منها ما أخرجه ابن قتيبة في حديث طويل يذكر فيه دخول الشيخين أبيبكر و عمر على الصدّيقة الطاهرة.... (إلى أن قال) فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة عليها السلام فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاًفاستأذنا علىٰ فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما فأتيا علياً عليه السلام فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنيّ متّ ولا أبقىٰ. أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله؟ إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة، فقالت:

→

حسبما ثبت ذلك في الصحيحين(١)

➔

أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلانه؟ فقالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ ﷺ لأشكونّكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثمّ انتحب أبو بكر يبكي وكادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها.... (الإمامة والسياسة ج ١: ص ٢٠).

وروىٰ ابن هشام أنّ فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر: إنّ أم أيمن تشهد لي أنّ رسول الله ﷺ أعطاني فدك، فقال لها: يا ابنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله ﷺ ولوددت أنّ السماء وقعت علىٰ الأرض يوم مات أبوك... إنّ هذا المال لم يكن للنبي ﷺ وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين.... قالت فاطمة: والله لا كلّمتك أبداً، والله لأدعونّ عليك. فلمّا حضرتها الوفاة أوصت ألّا يصلّي عليها. فدفنت ليلاً..... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص٢١٤ نقلا عن ابن هشام) وإلى غير ذلك من الروايات الصريحة في أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت غاضبة علىٰ أبي بكر مع علمه بأنّها سيدة نساء العالمين وأنّها بضعة النبي ﷺ وأنّ رسول الله ﷺ كان يرضىٰ لرضاها ويغضب لغضبها ويتأذّى بأذاها كما أنّه كان يعلم أنّ الزهراء عليها السلام كانت من الخمسة الطيبة الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً كما في آية التطهير، وهي من آل النبيّ ﷺ الذين أوجب الله عليهم الصلوات حتّى في صلواتنا.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه في مواضع عديدة بسنده عن عائشة وهي نقلت هذه الرواية بعبارات مختلفة، منها ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب الخمس بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسّم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أخاه الله عليه فقال أبوبكر: إنّ رسول

🡐

وغيرهما[١]. وثبت فيهما وفي غيرهما: فاطمة بضعة منّي يغضبني ما يغضبها[٢].

➔

الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقه، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهر (صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب الخمس باب فرض الخمس).

وأخرج أيضاً بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام ينت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة.... فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت. وعاشت بعد النبي ﷺ ستّة أشهر. فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّىٰ عليها..... (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر) وأخرجه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركناه صدقه.

(١) انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٦ وسنن الكبرىٰ للنسائي ج٦: ص٣٠٠ و ص٣٠١ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥: ص٣٠٦ والسنن الكبرىٰ للبيهقي وصحيح ابن حبان ج١١: ص١٥٣ وج١٤: ص٥٧٢ ومسند الشاميين للطبراني ج٤: ص١٩٨ و كنز العمال للمتقي الهندي ج٥: ص٦٠٤ وج٧: ص٢٤٢ والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج٢: ص٣١٥ و ج٨: ص٢٨ وتاريخ المدينة لابن شبة الضميري ج١: ص١٩٦ وغيرها من الكتب.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم) وأخرجه النسائي في سننه ج٥: ص٩٧ و في كتاب فضائل الصحابة: ص٧٨ و ابن أبي شيبة في المصنّف ج٧: ص٥٢٦ والضحّاك في الآحاد والمثاني

➔

ومن المعلوم كون المغضب لخير الرسل صلى الله عليه وآله من بطانة الشر فكيف يتصوّر جعله إماماً على بطانة الخير وغيرهم[1]؟

➔

ج٥: ص٣٦١ الطبراني في المعجم الكبير ج٢٢: ص٤٠٤ و السيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٢٠٨ و غيرهم

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن المسور بن المخرمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإنّما هي (فاطمة) بضعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها (صحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة عليها السلام) ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٤: ص٣٢٨ وابن ماجة في سننه ج١: ص٦٤٤ وأبو داود في سننه ج١: ص٤٦٠ والترمذي في سننه ج٥: ص٣٥٩ والنسائي في فضائل الصحابة وفي سننه الكبرىٰ ج٥: ص٩٧ و ص١٤٧ وفي خصائصه ص١٢٠ ـ ١٢١ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٥٨ والبيهقي في سننه الكبرىٰ ج٧: ص٣٠٧ و ج١٠: ص٢٢٨ والضحّاك في الآحاد والمثاني ج٥: ص٣٦١ و ابن حبان في صحيحه ج١٥: ص٤٠٦ والطبراني في معجمه الكبير ج٢٢: ص٤٠٤ وغيرهم.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ أقبح الناس أفعالاً و أسوأهم من له بطانة السوء؛ لأنّ بطانة الرجل وليجته وخاصّته وصفيّه الذي يعرفه الرجل ويفشي إليه أسراره، قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً** (سورة آل عمران: ص١١٨) أي من لم يبلغ منزلتكم في الديانة لا تتّخذوه بطانة. فالذي يعتقد بخلافة أبي بكر لابدّ له من الاعتراف بانّ له بطانة الشرّ والسوء حيث إنّ البخاري روىٰ أنّ من أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام وآذاها فقد أغضب وآذىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ومعنى ذلك أنّ من أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وآذاه فقد أغضب ربّ العالمين ويشمله قوله تعالىٰ: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** (سورة الاحزاب: ٥٧) من المعلوم أنّ الله سبحانه منزّه من أن يناله الأذىٰ وكلّ ما فيه وصمة النقص و الهوان

⬅

ومنها: دخوله في خبر القضاة[(١)] من حيث حكمه بحرق الفجاة

←

فذكره مع الرسول وتشريكه في إيذائه إشارة إلى أنّ من قصد الرسول ﷺ بالسوء فقد قصد الله عزوجل أيضاً بالسوء، إذ ليس للرسول بما أنّه رسول إلاّ ربّه، فمن قصده فقد قصد ربّه. و قد أوعد الله الذين قصدوا النبي ﷺ بالسوء اللعن في الدنيا والآخرة، واللعن هو الإبعاد من الرحمة والرحمة الخاصّة بالمؤمنين هي الهداية والاعتقاد بالحقّ والحقيقة والإيمان بالله وبرسوله، ومتابعة العمل الصالح.

فالإبعاد عن الرحمة الإلهية في الدنيا حرمانه من تلك النعمة العظيمة و نتيجة ذلك العذاب المهين الذي ابتلي به أهل النار بكفرهم وبتكذيبهم بالله وبرسوله.

ومن المعلوم أنّ مفاد الحديث الذي رواه البخاري ومسلم هو أنّ أبابكر مغضوب الله عزوجل؛ لأنّ صريح الحديث الصحيح عند علماء أهل السنة والجماعة أنّ من أغضب فاطمة وآذاها فقد أغضب رسول الله ﷺ وآذاه، ومن آذىٰ رسول الله ﷺ فقد آذىٰ الله تعالىٰ ومن آذىٰ الله يشمله قوله تعالى: **إِنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ**... وأيضاً يشمله قول رسول الله ﷺ: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب فاطمة عليها السلام وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: يا رسول الله من أغضبك أدخله الله النار.... (صحيح مسلم ج٤: ص٣٤).

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك علىٰ الصحيحين بسنده عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاض في الجنّة، قاض عرف الحقّ فقضى به فهو في الجنّة وقاض عرف الحقّ فجار متعمّداً فهو في النار وقاض قضىٰ بغير علم فهو في النار (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٤: ص٩٠) وأخرج البيهقي مثله عن بريدة وفي آخره: وقاض قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس (السنن الكبرىٰ للبيهقي ج١٠: ص١١٧).

وأخرج الهيثمي بسنده عن ابن عمر حينما أراده عثمان علىٰ القضاء فأبىٰ وقال: سمعت رسول

→

والسلمي[1] فإنّه رجل مسلم مفسد، وقد بيّن سبحانه حكم المفسدين في

➔

الله ﷺ يقول: القضاة ثلاثة؛ واحد ناج واثنان في النار، من قضىٰ بالجور أو بالهوىٰ هلك و من قضى بالحقّ نجا (مجمع الزوائد ج ٤: ص١٩٣).

وأخرج أيضاً بسنده عن ابن مسعود قال: يؤتىٰ بالقاضي يوم القيامة فيوقف علىٰ شفير جهنّم فإن أمر به ودفع فهوىٰ فيها سبعين خريفاً (مجمع الزوائد ج ٤: ص١٩٣).

وأخرج أبو داود بسنده عن يزيد بن عبدالرحمن قال حدثني أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: من طلب قضاء المسلمين حتّى يناله ثمّ غلب عدله جوره فله الجنّة ومن غلب جوره عدله فله النار (سنن أبي داود ج٢: ص١٥٩).

وأخرج الحاكم عن ابن أبي أوفىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله مع القاضي ما لم يجُر، فإذا جار تبرّأ الله عزوجل منه (المستدرك علىٰ الصحيحين ج٤: ص٩٤).

وأخرج ابن جعد بسنده عن قتادة عن أبي العالية قال: قال عليّ رضي الله عنه: القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة، فأمّا اللذان في النار فرجل جار متعمّداً فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار أمّا الذي في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحقّ فهو في الجنّة، قال قتادة فقلت لأبي العالية ما ذنب هذا الذي اجتهد فأخطأ؟ قال: ذنبه أن لا يكون قاضياً إذا لم يعلم (مسند ابن جعد الجوهري: ص١٥٥).

وأخرج محمد بن سلامة بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة، قاض قضىٰ بغير ما أنزل الله فهو في النار وقاض قضىٰ بالهوىٰ فهو في النار وقاض قضىٰ بما أنزل الله فهو في الجنّة (مسند الشهاب ج١: ص٢٠٩) وإلى غير ذلك من الروايات التي جائت في كتب القوم بهذا المضمون وما يدلّ على أنّ القاضي إذا قضىٰ بغير الحقّ سواء كان يعلم أولا يعلم فهو في النار، فلاحظ.

(١) وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف من بني سليم وقد ندم أبوبكر علىٰ ما فعله به، فقال في حديث حين وفاته: وددت أنّي لم أكن حرقت الفجأة السلمي (انظر تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٢٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١: ص١١٧ والعقد الفريد

🡐

➔

لابن عبد ربّه ج٤: ص٢٦٨ ومروج الذهب للمسعودي ج١: ص٤١٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص٢٤ وغيرها).

وقد ذكر أرباب السير والتاريخ والحديث أنّ الفجأة السلمي قدم علىٰ أبي بكر أيّام خلافته فقال له: إنّي مسلم وقد أردت جهاد من ارتدّ من الكفار فأحملني وأعنّي فحمله أبوبكر على ظهره وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم، ومعه رجل من بني الشريد يقال له: نجبة بن أبي الميشاء، فلمّا بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طريقة بن حاجز: إنّ عدو الله الفجأة أتاني يزعم أنّه مسلم و يسألني أن أقوّيه علىٰ من ارتدّ عن الإسلام فحملته وسلّحته ثم انتهىٰ إليّ من يقين الخبر أنّ عدوّ الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد أموالهم ويقتل من خالفه منهم فسر إليه بمن معك من المسلمين حتّى تقتله أو تأخذه فتأتيني به، فسار إليه طريقة فلمّا التقي الناس كانت بينهم الرميا بالنبال فقتل نجبة بن أبي الميشاء بسهم رميٰ به. فلمّا رأىٰ الفجأة من المسلمين الجدّ قال لطريقة: والله ما أنت بأولىٰ بالأمر منّي، أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره، فقال له طريقة: إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر. فخرج معه، فلمّا قدما عليه أمر أبو بكر طريقة بن حاجز فقال أخرج إلى هذا البيقع فحرّقه فيه بالنار. فخرج به طريقة إلى المصلّىٰ فأوقد له ناراً فقذفه فيها. وفي بعض الروايات رماه في النار مقموطاً (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٤٩٢ و ٤٩٣ والبداية والنهاية لابن كثير ج٩: ص٤٥٦ في حوادث سنة إحدىٰ وعشرة من الهجرة والعقد الفريد لابن عبد ربه ج١: ص٢٩ والكامل لابن الأثير ج٢: ص٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٤١٨ وتاريخ ابن خلدون ج٢: ص٧٣ وأسد الغابة ج٣: ص٥١ والتمهيد لابن عبد البر ج٥: ص٣١٦ وفيض القدير ج٦: ص٢٩٥ والوافي بالوفيات ج١٣: ص١٦٢ و سير أعلام النبلاء ج١: ص٣٧٢ والرياض النضرة ج٢: ص٤٨ و غيرها من المصادر).

ولا يخفىٰ على الخبير من أنّ فعل الخليفة مخالف للمعايير الإسلامية بدأً وختماً إذ أولاً: إنّ أمر الخليفة بإيجاد السرايا للحرب مع المعارضين له أمر غير مشروع، وقد سمّوا

🡐

فرقانه العظيم[(١)]

➔

المعارضين للخلافة الغاصبة بأهل الردّة، فأمر أبو بكر بالقتال معهم، فعرفت هذه الحروب بحروب الردّة مع أنّها حروب اعتراض علىٰ خلافة أبي بكر لا أكثر.

وثانياً: إنّ الخليفة أمره بإحراقه بالنار وفي الإسلام لا يجوز التعذيب أو القتل بالنار فقد أخرج أحمد بن حنبل وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٩٤) ورواه الدارمي في سننه ج٢: ص٢٢٢ وأبو داود في سننه ج١: ص٦٠٣ والبيهقي في سننه الكبرىٰ ج٩: ص٧٢ وغيرهم.

وقال النووي: وأمّا في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان فكيف بالإنسان، للحديث المشهور: لا يعذبّ بالنار إلاّ الله (شرح صحيح مسلم للنووي ج١٤: ص٢٣٩).

وثالثاً: إنّ الفجأة السلمي كان متظاهراً بالإسلام وتلقّاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً وسلّحه وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما تقدّم.

ورابعاً: إذا كان ما فعله أبو بكر من الأمر بإحراق الرجل مشروعاً لماذا تندّم في آخر عمره وقال: وددت أنّي لم اكن حرقت الفجأة السلمي فإنّ الندم دليل علىٰ أنّه لم يتورّع في أمره بالإحراق. فمع العلم بأنّه كان مخالفاً للإسلام قد فعله.

(١) قد بيّن الله تبارك وتعالى حكم المفسد في الأرض في القرآن الكريم وهو قوله تعالىٰ: **إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (سورة المائدة: ٣٣) هذه الآية الكريمة تشير إلى عقوبة المفسدين في الدنيا والآخرة، أمّا عقوبتهم في الدنيا فهي أحد الأمور الأربعة التي بيّنتها الآية الكريمة وهي: ١ـ أن يقتّلوا ٢ـ أو يصلّبوا ٣ـ أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ٤ـ أو ينفوا من الأرض. ذلك لهم خزي في الدنيا.

وأمّا عقوبتهم في الآخرة فهي عذاب عظيم وهو الخلود في جهنّم. والخلود في جهنم لايكون

➔

وليس فيه الحرق[١]

➔ إلاّ للكفّار. فهذه الآية الكريمة تبيّن عقاب من شهر السلاح بوجه المسلمين ونهب أموالهم عن طريق التهديد بالقتل. فالمراد من جملة يحاربون الله ورسوله الواردة في الآية الكريمة هو ارتكاب العدوان ضد الناس باستخدام السلاح والتهديد سواء كان هذا العدوان من فعل قطّاع الطريق خارج المدن أو داخلها، وعلىٰ هذا الأساس فإنّ الآية الكريمة تشمل أيضاً الأشرار الذين يعتدون علىٰ أرواح الناس وأموالهم ونواميسهم.

وأمّا العقوبات الأربع المذكورة في الآية فإنّها تجري علىٰ المحارب حسب ما ارتكب من الجريمة، لأنّ القتل والصلب لا يكونان متساويين مع عقوبة قطع اليد والرجل ونفي البلد. ومن الواضح لدىٰ الخبير أنّ كلّ هذه العقوبات مرحلة خاصة من مراحل العقوبة للمحارب فإنّ نوع المحاربة يقتضي ما يترتب علىٰ المحارب أحد أنواع هذه العقوبات من حيث الشدّة وعدمها، فإنّ المحاربة مختلفة وعقوبتها أيضاً تكون مختلفة. وقد جاء تفصيل الكلام فيه في باب الحدود في الفقه والروايات الواردة في تفسير الآية الكريمة تبيّن المراتب وما تترتب عليها من العقوبة.

والمهم أنّ ما ارتكبه أبو بكر من الجرائم التي جعل القران لها عقوبة في الدنيا و الآخرة كما جاء في القرآن والروايات فلاحظ.

(١) فإنّ حكم المفسد في الأرض جاء في القرآن الكريم وهو أحد الأمور الأربعة المذكورة في الآية الكريمة من القتل والصلب وقطع اليد والرجل من خلاف ونفي البلد، وليس فيه الإحراق بالنار.

ومن المعلوم أنّ الشريعة المقدسة الإسلامية تدعو إلى الرحمة بالإنسان والحيوان وغيره. والإحراق لم يشرّع في الإسلام لكونه يوجب الإفناء، لأنّ الإحراق لا يبقي من الإنسان إلاّ الرماد والشريعة المقدسة له أحكام بعد الموت فإذا كان الإحراق مشروعاً معناه أنّه لم يبق من الإنسان أثر من القبر و الدفن وغير ذلك ممّا هو رحمة بحال الإنسان. فالحكم به مخالف للرحمة والرأفة الإسلامية.

فدخل فيمن حكم بالجور وهو يعلم فهو في النار[١].

ومنها: بعثه عمر وجماعة معه بالنار والحطب إلى بيت عليّ وفاطمة وولدهم عليهم السلام ليحرقوهم لو لم يبايعوه[٢] فاستحلّ من العترة ما حرّمه الله

---

(١) وبعبارة أوضح: إنّ ما حكم به أبو بكر من إحراق الفجأة السلمي يكون مخالفاً للدين الحنيف ومنافياً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله. فحكمه باطل لكونه حكماً بالجور، ومشمولاً لقوله صلى الله عليه وآله: رجل قضىٰ بالجور وهو يعلم فهو في النار (انظر المستدرك علىٰ الصحيحين ج٤: ص ٩٠).

(٢) إنّ الهجوم علىٰ بيت فاطمة عليها السلام و التهديد بإحراق باب دارها من الأمور المسلّمة عند جميع المسلمين وعليه إجماع علماء الإسلام، ومن أنكر ذلك فإنّه قد أنكر الشمس في رابعة النهار، لأنّ الأخبار والروايات الواردة في ذلك متواترة. ونحن نذكر هنا بعض الروايات و القضايا التاريخية علىٰ حسب الترتيب حتّى لا يضيع الأمر على القارئ الكريم ولا يخبط بين القضايا والحوادث التي قد يتلاعب به الخصم ومن ترك الحقيقة عمداً دفاعاً عن أبي بكر وعمر وبعض الصحابة الذين هجموا على بيت الزهراء عليها السلام. فسنذكر جانب من هذه الحوادث المؤلمة تحت العناوين التالية:

١ـ التهديد بالإحراق: فإنّ الأخبار والروايات الواردة في هذا المجال كثيرة جدّاً وهي صريحة بأنّ أبا بكر أمر عمر بن الخطاب أن يذهب إلى بيت فاطمة ويهدّدهم إن لم يخرجوا للبيعة. فتقول الروايات إنّ عمر بن الخطاب جاء مع جماعة وقد هدّدهم بالإحراق. وممّن ذكر ذلك ابن أبي شيبة وهو أحد مشايخ البخاري المتوفّى سنة ٢٣٥هـ فإنه يروي في كتابه المصنّف بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم وهو مولىٰ عمر بن الخطاب يقول: حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي والزبير يدخلان علىٰ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فيشاونها ويرتجعون في أمرهم فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتّى دخل علىٰ فاطمة فقال: يا بنت رسول الله، والله ما أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذلك بمانعي أن اجتمع هؤلاء ؟؟؟ عندك أن أمرتهم

←

→

أن يحرق عليهم البيت (المصنف لابن أبي شيبة ج٧: ص٤٣٢).

وفي تاريخ الطبري بسند آخر: إنّه أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ، و فيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأُحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلىٰ البيعة!! فخرج الزبير مصلتاً سيفه، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه... (تاريخ الطبري ج٣: ص٢٠٢).

وأنا اكتفي هنا بنقل هذين المصدرين في عنوان التهديد ولكن أشير إلى نقطة، وهي أنّ جماعة من علماء أهل السنة لم تسمح لهم العصبية والحبّ للمذهب أن ينقلوا هذه الأخبار بلا تحريف فقد روىٰ ابن عبد البر في الاستيعاب رواية ابن أبي شيبة عن طريق أبي بكر البزار بنفس السند عن زيد بن أسلم عن أسلم مولىٰ عمر بن الخطاب وفيه: إنّ عمر قال لها: ما أحد أحبّ إلينا بعده منك، ثم قال: ولقد بلغني أنّ هؤلاء النفر يدخلون عليك، ولإن يبلغني لأفعلنّ ولأفعلنّ (انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج٣: ص٩٧٥) فإنّه واضح في خيانة الرجل في النقل. ولا غرو فإنّ العاقل لا يتوقّع من المتعصّب أن ينقل القضية كما وقعت، وإن كان الخبير يضحك علىٰ هذه التصرفات الجاهلة.

٢ـ المجيء بقبس أو فتيلة من النار عنوان آخر، جاء في رواياتهم وإليك بعض ما ورد بهذا العنوان فقد روى البلاذري المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ في أنساب الأشراف بسنده أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ عليه السلام يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة عليها السلام علىٰ الباب فقالت فاطمة: يابن الخطاب: أتراك محرقاً عليّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوىٰ فيما جاء به أبوك (أنساب الأشراف ج١: ص٥٨٦) وروىٰ ابن عبد ربه في العقد الفريد وأمّا عليّ والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر ليخرجوا من بيت فاطمة قال أبو بكر لعمر: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل عمر بقبس من نار علىٰ أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمّة (العقد الفريد ج٥: ص١٣).

وروىٰ أبو الفداء في تاريخه الخبر (إلى أن قال) وإن أبوا فقاتلهم، ثمّ قال: فأقبل عمر بشيء

←

←

من نار على أن يضرم الدار (انظر المختصر في أخبار البشر ج١: ص١٥٦).

٣ـ إحضار الحطب ليحرق الدار: وهذا هو العنوان الثالث الذي جاء في رواياتهم، ففي رواية المسعودي في مروج الذهب وعن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن عروة بن الزبير أنّه كان يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم، قال عروة في مقام العذر والاعتذار لأخيه عبد الله بن الزبير: إنّ عمر بن الخطاب أحضر الحطب ليحرق الدار على من تخلّف عن البيعة لأبي بكر (انظر مروج الذهب ج٣: ص٨٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢٠: ص١٤٧) وأيضاً هنا نكتفي بذكر هذه الرواية.

وهناك روايات كثيرة تدلّ علىٰ أنّ عمر جاء إلى بيت فاطمة ليحرق عليهم الدار.

٤ـ مسألة إسقاط جنين فاطمة عليها السلام فقد نصّت رواياتهم علىٰ أنّه كان للإمام أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام ثلاث أولاد ذكور وهم الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام ومحسن، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد سمىّ هؤلاء بهذه الأسماء تشبيهاً بأسماء أولاد هارون: شبر وشبير و مشبر. وهذا موجود في مسند أحمد بن حنبل، فقد أخرج بسنده عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: لمّا ولد الحسن سمّيته حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني ما سمّيتموه قال قلت: حرباً، قال: بل حسن فلمّا ولد الحسين سمّيته حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ قلت حرباً، قال: هو حسين، فلمّا ولد الثالث سمّيته حرباً فجاء النبي صلى الله عليه وآله قال: أروني ما سمّيتموه؟ قلت: حرباً، قال: بل هو محسن، ثمّ قال: سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر و شبير و مشبر (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٩٨).

ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٦٥ وصحّحه الذهبي في الهامش. والبيهقي في السنن الكبرىٰ ج٦: ص١٦٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٨: ص٥٢ و البخاري في كتابه الأدب المفرد: ص١٧٨ وابن حبان في صحيحه ج١٥: ص٤١٠ والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٩٦ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج١:

→

سبحانه[1]، ولم يعمل بالسنن التي دلّت على وجوب تعظيمهم وتوقيرهم

→

ص٣٨٤ و المتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص٦٦٠ و قال ابن قتيبة في كتابه المعارف: ولدت لعلي: الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم.... وأمّا محسن بن عليّ فهلك وهو صغير (المعارف لابن قتيبة: ص٢١٠ و ١٤٢).

وقال ابن طلحة الشافعي: من أكثر فعدّ السقط، يقصد بذلك المحسن (انظر مطالب السؤول: ص٤٥).

وقال جمال الدين المحدّث الهروي بعد أن عدّ محسناً في جملة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا محسن بن علي فهلك وهو صغير. والحقّ أنّه كان سقط (كتاب الأربعين: ص٦٨ ـ ٦٧).

وقال علي بن محمد العمري النسّابة: ولم يحتسبوا بمحسن، لأنّه ولد ميّتاً. وقد روت الشيعة خبر المحسن، والرفسة. ووجدت بعض كتب أهل السنة يحتوىٰ على ذكر محسن (المجدي في أنساب الطالبيين: ص١٢).

وقال ابن شهرآشوب:وعند البعض: وأولادها الحسن والحسين والمحسن سقط. وفي معارف القتيبي: إنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي (مناقب ابن شهرآشوب ج٣: ص٤٠٧) والى غير ذلك مما ورد في هذا المجال.

وعندما نراجع كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد نجده يذكر قضية هبار بن الأسود عن شيخه وروع زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فألقت ما في بطنها فأهدر النبي صلى الله عليه وآله دم هبار فكان لابدّ من أنّه لو حضر توريع القوم فاطمة الزهراء عليها السلام وإسقاط ما في بطنها لحكم عليهم بإهدار دمهم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤: ص١٩٢) فقضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام من الأمور المسلّمة عند أهل السنة.

(١) لاشكّ أنّ أبا بكر قد استباح حرمة العترة الطاهرة وقد همّ بإحراق بيت سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام وأرسل عمر بن الخطاب غليظ القلب واستعمل أنواع أساليب الجور والعنف والإرهاب ضد أهل البيت عليهم السلام، وقد كان في البيت الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام فهدّدهم عمر بن الخطاب وآذاهم مع

←

➔

رفعة شأنهم عند الله عزوجل وعند رسوله ﷺ ممّا لا ينكره أحد.

وإنّ اعتدائه علىٰ البيت الذي كان مفخرة الإسلام صار سبباً لندامته وهو علىٰ فراش الموت كما أخرج حديثه جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة منهم الطبري في تاريخه ج٤: ص٥٢ ومنهم ابن عبد ربّه في العقد الفريد ج٢: ص٢٥٤ ولكن لا ينفع الندم وفي قلبه حقد علىٰ آل محمد: فقال: والله ما آسىٰ إلاّ علىٰ ثلاث فعلتهنّ ليتني كنت تركتهنّ وثلاث تركتهنّ ليتني فعلتهنّ.... فأمّا اللاتي فعلتهنّ وليتني لم أفعلهنّ فليتني تركت بيت عليّ وإن كان أعلن عليّ الحرب....

ثمّ إنّه قد اعتدى على أهل البيت عليهم السلام باغتصابه فدك من الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكر عامّة المؤرّخين والمحدّثين قصّة فدك وأنّ أبا بكر سلبها من السيدة المعظّمة الزهراء البتول عليها السلام كما نصّ علىٰ ذلك البخاري في صحيحه ج٤: ص٤٢ كتاب الخمس باب فرض الخمس وج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر. ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ لا نورث. مع علمه بأنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم وصحيح مسلم ج٧: ص١٤١ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل ومناقب فاطمة عليها السلام وغير ذلك ممّا ورد في هذا المجال فإنّه بسبب ذلك آذىٰ فاطمة الزهراء عليها السلام التي كان إيذائها ايذاء رسول الله ﷺ. ومن المعلوم أنّ إيذاء رسول الله ﷺ إيذاء لله تبارك وتعالىٰ، قال الله تعالى: **إِنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدّ لَهُمْ عَذَابًا مّهِينًا** (سورة الأحزاب: ٥٧).

فما ارتكبه أبو بكر من اغتصاب فدك والاعتداء عليهم مشمول لقوله ﷺ ستة لعنهم الله... لأنّ منهم من: «استحلّ حرمة العترة الطاهرة واستباح ذلك فارتكب بذلك أكبر إجرام في الإسلام لأنّ مودة أهل البيت عليهم السلام واجبة وقد جعلها القرآن الكريم مساوية لأجر الرسالة المحمّدية ومعنى ذلك أنّه تجب مودّتهم على جميع المسلمين كافّة فمن لم يكن في قلبه

←

ومحبتهم عليهم السلام[1]،

←

مودّتهم لم يكن مسلماً بلا ريب باتفاق جميع المسلمين فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ وجوب محبّة أهل البيت عليهم السلام من ضروريّات الإسلام كما أنّ وجوب أداء حقوقهم ممّا لاخلاف فيه بين المسلمين لأنّ النصوص القرآنية والروائية المتجاوزة عن حدّ التواتر تدلّ علىٰ ذلك بالصراحة فمن القرآن الكريم قوله تعالى: **قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى** (سورة الشورىٰ: ٢٣) و هذه الآية الكريمة التي أكّدت على وجوب محبّة أهل البيت عليهم السلام وجعلت ذلك أجراً للرسالة المحمّدية، وقد أجمعت التفاسير الإسلامية علىٰ أنّ المقصود بالقربىٰ هم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام. فروى الفخر الرازي نقلا عن الكشّاف أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: عليّ وفاطمة و ابناهما (تفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص١٦٦) ورواه الزمخشري ج٤: ص٢١٩و أبو السعود في تفسيره ج٨: ص٣٠ والشوكاني في فتح القدير ج٤: ص٥٢٧ والسيوطي في الدرّ المنثور ج٦: ص٧ وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ج٢: ص٦٦٩ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٧٢ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج٢: ص١٣٠ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص١٧٠ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٨ والمحب الطبري في ذخائر العقبىٰ: ص٢٥ وغيرهم.

واستدلّ الفخر الرازي بما نقله عن الزمخشري من الرواية قائلاً بأنّه ثبت بالرواية: أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله وإذا ثبت هذا وجب أن يكون هؤلاء مخصوصين لمزيد من التعظيم، ويدلّ عليه وجوه: الأوّل قوله تعالى: **إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى** ،

والثاني: لاشكّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحبّ فاطمة عليها السلام وقال صلى الله عليه وآله فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها وثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان يحبّ عليّاً عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله لقوله تعالى: **وَاتّبِعُوهُ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ** (سورة

←

بل تركها فأمر بتحقيرهم وتذليلهم إلى ما سمعت[١]. فدخل في خبر: ستة

→

الأعراف: ١٥٨) وقوله تعالى: **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِه** (سورة النور: ٦٣).

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جُعل هذا الدعاء قائمة لتشهد في الصلاة وهو قوله: «اللّهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد» و هذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ علىٰ أنّ حبّ محمد وآل محمد واجب وقال الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى — واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى — فيضاً كما نظم الفرات الفائض

أن كان رفضاً حب آل محمد — فليشهد الثقلان أني رافض

(تفسير الفخر الرازي ج٢٧: ص١٦٦)

وقال الشافعي أيضاً:

يا آل بيت رسول الله حبّكم — فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنّكم — من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

(انظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٤٨ وشرح المواهب للزرقاني ج١: ص٧ ومشارق الأنوار للحمراوي المالكي ج١: ص١٨٨ والاتحاف في حبّ الأشراف للشبراوي: ص٨٢ وغيرها من المصادر).

(١) إنّ من الحقائق التاريخية الثابتة اعتداء أبي بكر و عمر ومن معهما علىٰ بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام مع علمهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بتعظيم ذلك البيت الرفيع ومع العلم بعظمة الصديقة الطاهرة عليها السلام حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّها: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص٢١٠ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم. ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص١٤١ كتاب الفضائل باب فاطمة عليها السلام) فمن الواضح أنّ إغضاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقع مصداقاً لقوله تعالىٰ: **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (سورة الاحزاب ٥٧) وهذه

←

➔

الآية صريحة في أنّ من آذىٰ رسول الله ﷺ فهو في النار.

هنا يجب على القارئ من أهل السنة والجماعة أن تكون لديه صراحة الحقّ وجرأة الإيمان فيلزم عليه أن يؤمن بما جاء في القرآن الكريم وأصحّ كتبهم لأنّ القرآن وصحيح البخاري حجّة قطعيّة عندهم. وبعد وضوح الآية والرواية لابدّ لهم من الجواب عن هذا السؤال وهو: أليس إنّ أبا بكر وعمر أغضبا فاطمة الزهراء عليها السلام باعتدائهما علىٰ بيت الزهراء عليها السلام كما جاء ذلك في صحيح البخاري ومسلم فإنّهما رويا بسند صحيح عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهر.... (صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب الخمس باب فرض الخمس) ومثله في كتاب المغازي باب غزوة خيبر انظر صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٣ كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركناه صدقة، وغيرها من كتب أهل السنة والجماعة

وهذه الرواية صريحة في أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت غاضبة علىٰ أبي بكر إلىٰ أن توفّيت فالهجوم علىٰ بيت الزهراء عليها السلام وإيذائها ويحقيرها وتذليلها من الأمور الثابتة عند أهل السنة والجماعة لأنّ المتكفّل لنقل ذلك أصحّ كتبهم بل إجماع الأمّة قائم علىٰ اعتداء أبي بكر على بيت أهل البيت عليهم السلام وإن كان بعض المتعصّبين أرادوا إنكار هذه الحقيقة الواضحة لأنّه من الواضح أنّ من اعتدىٰ على بيت أهل البيت عليهم السلام يشمله أولاً مخالفة القرآن في وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام

وثانياً مخالفة قول رسول الله ﷺ في شأن فاطمة الزهراء عليها السلام من أغضبها فقد أغضبني. ومن أغضب رسول الله ﷺ موجب لشمول قوله تعالىٰ الدخول في العذاب الإلهي حسب ما ورد في الآية. فإنكار هذه الحقيقة لا يكون إلا عن التعصّب والعناد، فلاحظ.

لعنتهم ولعنهم الله و كلّ نبيّ مجاب. وعَدَّ صلى الله عليه وآله منهم المستحلّ من عترته ما حرّمه الله والتارك لسنّته[1]. فمن هذه عاقبة حاله كيف يتصوّر جعل صاحب

---

(١) أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك علىٰ الصحيحين بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستّة لعنهم الله و كلّ نبيّ مجاب، المكذّب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلّط بالجبروت بذل من أعزّ الله وبعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ لحرم الله من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي (المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص٣٦) ورواه ابن حبان في صحيحه ج١٣: ص٦٠ و الطبراني في معجمه الأوسط ج٢: ص١٨٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ج١: ص١٧٦ والبيهقي في شعب الإيمان ج٣: ص٤٤٢ وغيرهم. وهذا الحديث صريح بما لا مزيد عليه من أنّ بعض أعمال الإنسان توجب سخط ربّ العالمين، ويكون صاحبه على خطر عظيم، بل و قد يصل الأمر به إلى الطرد والإبعاد واللعن من الله سبحانه وتعالى وجميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين. ومعناه أنّ الله تعالىٰ قد تبرّأ منه، والذي تبرّأ منه الله تعالى تبرّأت منه جميع الأنبياء وجميع المؤمنين والصالحين من عباد الله، ويشمله اللعنة من الله وكلّ نبيّ مستجاب الدعوة وقد لعن الله تعالى عدّة من الناس في القرآن الكريم كما جاء لعن عدّة من الناس في الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمتواترة لدىٰ جميع المسلمين قاطبة، ومنها هذه الرواية التي أجمعت المسلمين على نقلها وصحّتها وتواترها بلا ريب.

ومن الواضح أنّ من لعنه الله ورسله يلزم علىٰ جميع المؤمنين والصالحين أن يلعنوه ويتّبعوا الله ورسوله في ذلك إلزاماً قطعيّاً تكليفاً وإلاّ سوف يكونوا في زمرة الملعونين، لأنّ من لم يرض بفعل الله وجميع الأنبياء فهو مورد سخط الله عزوجل ومشمول لهذا اللعن.

وعليه فإنّ أبا بكر مشمول لهذا الحديث من عدّة جهات: الجهة الأولىٰ: مشمول لكونه المتسلّط بالجبروت بذلّ من أعزّه الله و عزّ من أذلّه الله، والمقصود به العزّ و الذلّ الظاهري لأنّ العزّ والذلّ الحقيقي إنّما يكونان في الطبع والفطرة الإنسانية، فإنّ الإنسان مطبوع على أن يحبّ العدل ويبغض الظلم والجور ولكن قد يغلب الظالم بالقوّة الظاهريّة علىٰ العادل

←

الشريعة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه له خليفة على أمّته[١]؟

فيكون الظالم غالباً بحسب الظاهر ولكن يكون مذموماً ومنفوراً في الطبائع والفطرة الإنسانية، وحينئذٍ يصدق عليه أنّه أذلّ من أعزّه الله، فهو مشمول لحديث: ستّة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب من هذه الجهة..

الجهة الثانية: إنّ الحديث شامل لأبي بكر لكونه استحلّ حرمة أهل البيت عليهم السلام الذين جعل الله تبارك وتعالى لهم الحرمة والشأن العظيم والقداسة في كتابه العزيز. فمن استحل تلك الحرمة فهو مشمول لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه ستّة لعنهم الله ورسوله، فإنّ الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام من أبرز مصاديق هتك حرمة أهل البيت عليهم السلام. فشمله حديث ستّة لعنهم الله وكلّ رسول مجاب.

الجهة الثالثة: إنّه مشمول للحديث من جهة كونه تاركاً لسنّة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه في عترته الطاهرة كما تقدّم ذكر الموارد منها وهي كثيرة جدّاً، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح أنّه قد بيّن الله تبارك وتعالىٰ في كتابه العزيز أنّ من لعنه الله هو المرتكب للجرائم التي قد استوجب بها غضب ربّ العالمين فقال تعالى: **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** (سورة المائدة: ٦٠) فأوضح لنا تبارك وتعالىٰ: أنّ اولئك الذين شملتهم لعنة الله هم الذين غضب الله عليهم بأفعالهم المجرمة، فابتعدوا بذلك عن رحمة الله ابتعاداً كثيراً لابتعادهم عن طريق الحقّ وعن جادة الصواب. ولا شكّ أنّ من آذى العترة الطاهرة فقد آذىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، وليس جريمة فوق ذلك. فهو ملعون كما قال الله تعالى ومشمول لحديث ستّة لعنهم الله، الذي منهم المستحلّ من عترتي ما حرّم الله، فإنّ الاعتداء علىٰ بيت فاطمة عليها السلام جريمة موجبة لأذيّة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وغضب الربّ جلّ وعلا ليس فوقها حيث إنّ الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام كان موجباً لغضبها سلام الله عليها وإيذائها وبالطبع إنّ غضب الزهراء عليها السلام

ومنها: أمره خالد بن الوليد بحرق من لم يطعه من المسلمين المرتدين تابعي مسيلمة وغيره. فحرق خالد جماعة منهم[(١)]. وقد عرفت مخالفة

➔

وإيذائها إيذاء لرسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لأنّه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال: من أغضبها فقد أغضبني، والله تبارك وتعالى يقول: **إِنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدّ لَهُمْ عَذَابًا مّهِينًا** (سورة الاحزاب: ٥٧) وهذه الآية صريحة في أنّ من أغضب وآذىٰ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فهو مورد اللعن والغضب من الله تعالى.

اذن إنّ من هجم على بيت الزهراء عليها السلام مشمول لهذه الآيات أولاً من جهة أنّه آذىٰ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لانّه آذىٰ بضعته المظلومة فاطمة الزهراء عليها السلام فشمله اللعن من الله تعالىٰ.

وثانياً: من جهة كونه قد أغضب رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وإنّ غضب رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ موجب لغضب ربّ العالمين، ومن غضب عليه الله ولعنه فهو في زمرة الأخسرين أعمالاً، وقد عبّر عنهم القرآن الكريم **وَأَضَلّ عَن سَوَاء السّبِيلِ** (سورة المائدة: ٦٠).

وعليه فإنّ أضلّ الناس من هو ملعون على لسان الله ورسوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وكيف يمكن أن يكون أغضب الناس عند الله ورسوله خليفة لرسول رب العالمين؟!

وبعبارة أوضح: إنّ في صريح القرآن والروايات المتواترة أنّ من آذى رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ليس له إيمان بالله سبحانه فضلاً عن كونه خليفة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فإنّ من يوجب غضب الله تعالى ورسوله فهو في حكم المحارب لله ورسوله، فكيف يمكن أن يكون المحارب لله ولرسول ربّ العالمين خليفة لله ولرسوله؟! فلاحظ.

(١) من الفجائع التي مورست في التاريخ الإسلامي هي إحراق الناس بأمر أبي بكر في المعارك التي سمّيت بحروب الردّة في أيام خلافته، وذلك عندما بعث خالد بن الوليد مع شرذمة من أتباع قريش إلى تلك المعارك التي منها معركة اليمامة وهي التي انتهت إلى حوادث إحراق جماعة من الناس منهم مسيلمة بن حبيب اليمامي المعروف بسيملة الكذّاب. وعندما أرسل أبو بكر خالداً ومن معه من المحاربين والمقاتلين أمرهم في

➔

➔

كتاب رسمي عامّ بتجميع القبائل العربية علىٰ لزوم قبول خلافته وإلاّ فهم في حلّ من قتل الناس على أيّ صورة شاؤوا. وإليك نصّ ما جاء في كتابه إلى جيع القبائل: قال أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامّة وخاصّة... وإنّي بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار.... فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحاً قبل منه و أعانه عليه، ومن أبىٰ أمرت أن يقاتله على ذلك، ثمّ لا يبقى أحد منهم قدر عليه ودن يحرقهم بالنار و يقتلهم كلّ قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلاّ الإسلام فمن اتّبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعز الله .... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٢٨٠) ورواه النويري في نهاية الارب ج١٩: ص٦٧ وغيره.

وهذه الرسالة صريحة في أنّ أبا بكر هو الذي أمر خالد بن الوليد بإحراق الناس، بل بكلّ قتلة وأنواع الذبح والحرق وغير ذلك ممّا لم ينزّل به الله تعالى من سلطان، فإنّ القتل له في الإسلام أحكام خاصّة وضوابط معينة لا يجوز التعدّي منها حتّى بالكلب العقور فقد روىٰ الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أبي أيّوب الأنصاري قال: نهىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عن النهبة والمثلة.... (مجمع الزوائد ج٦:ص٢٤٩).

وقد أخرج جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة بأسناد صحيحة عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار (انظر مسند احمد بن حنبل ج٣: ص٤٩٤ وسنن أبي داود ج١: ص٦٠٣ والسنن الكبرىٰ البيهقي ج٩: ص٧٢ وغيرهم).

وأيضاً ورد عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أنّه قال: إنّ النار لا يعذّب بها إلاّ الله (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٧ باب دعاء النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه).

وأخرج المحبّ الطبري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان في بني سليم ردّة، فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم الخطائر ثمّ أحرقها عليهم بالنار، فبلغ ذلك عمر فأتىٰ أبا بكر فقال: تدع رجلاً يعذّب بعذاب الله عزوجل؟! فقال أبو بكر: والله لا أثيم سيفاً سلّه الله على عدوّه حتّى يكون هذا الذي يشيمه، ثمّ أره من وجهه ذلك إلى مسيلة (الرياض النضرة ج١: ص١٠٠).

➔

حكمه بذلك للخبر الذي دلّ على كون عليّ عليه السلام هو المقاتل على التأويل[1].

➔

أقول: كيف جاز لأبي بكر أن يقتل الناس ـ حتّى بناءً على زعمه من أنّهم أهل الردّة ـ بالنار ألم ينه النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك؟!

(١) لقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علينا من بعض بيوت نسائه قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلّف عليها عليّ يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله ومضينا معه، ثمّ قام ينتظره وقمنا معه فقال: إنّ منكم من يقاتل علىٰ التأويل كما قاتلت علىٰ تنزيله، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: لا ولكنّه خاصف النعل، قال: فجئنا نبشّره قال: وكأنّه سمعه (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٢).

وأخرج الحاكم النيسابوري هذا الحديث وفيه دلالة واضحة علىٰ أنّ أحمد بن حنبل لم ينقل الحديث بتمامه و اقتطع منه بعض عبارات الحديث لئلا يعرف الناس عظمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكون الشيخين غير صالحين لمقام الخلافة والإمامة. وإليك نصّ ما رواه الحاكم فإنّه روىٰ الحديث بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطعت نعله فتخلّف عليّ يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ قال: إنّ منكم من يقاتل علىٰ تأويل القرآن الكريم كما قاتلت على تنزيله، فاسنشرق لها القوم وفيهم أبو بكر و عمر، قال أبو بكر أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، يعني عليّاً، فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ثم قال الحاكم ـ: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرّجاه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج١٢: ص٦٤ والبغوي في شرح السنة ج١٠: ص٣٣ و أبو نعيم في حلية الأولياء ج١: ص٦٧ والحمويني في فرائد السمطين ج١: ص١٥٩.

➔

فبأيّ وجه بعث هو لحرق من لم يطعه وقاتله[(١)]؟

➔

وقال السيوطي بعد ذكر الحديث: وأخرج الحاكم وصحّحه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري (إلى آخر الحديث) (انظر الخصائص الكبرىٰ للسيوطي ج٢: ص١٣٨).

فالحديث صحيح عند أهل السنة والجماعة بلا شكّ ولا ريب وإن كان بعضهم أراد طمس الحقيقة ولكنّ الحقّ ظهر على لسان من أنكر فضائل المولىٰ عليه السلام.

والمستفاد من الحديث أنّ القتال في صدر الإسلام كان ينقسم إلى قسمين: قتال في عصر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وهو الذي قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله فيه على تنزيل القرآن والقسم الثاني: القتال بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عصر يلزم فيه القتال علىٰ التأويل.

فصريح الحديث أنّ قتال الحقّ ينحصر في هذين القسمين.

ومن الواضح أنّ الحديث يدلّ علىٰ أنّ الوحيد الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل علىٰ التأويل هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومعناه أنّ قتال غيره لم يكن على الحقّ، إذ لابدّ أن يكون القتال ضمن أحد هذين القسمين الذين ذكرهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ القتال والجهاد مفردة شرعية وردت في الكتاب و السنّة، ولا يستطيع أيّ كائن يباشر ذلك إلاّ بأمر من الشارع الأقدس. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله، فإنّ أحدنا يقاتل غضباً ويقاتل حميّة: فرفع إليه رأسه قال: وما رفع إليه رأسه إلاّ أنّه كان قائماً، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزوجل (صحيح البخاري ج١: ص٤٠ كتاب العلم، باب من سأل و هو قائم عالماً جالساً) فظاهر الحديث يدلّ بالصراحة على أنّ القتال لابدّ أن يكون بأمر الشارع وبنيّة إعلاء كلمة الله. قال ابن حجر في شرح قوله صلى الله عليه وآله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا» أي إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنّه لو أضاف إلى ذلك سبباً من الأسباب المذكورة أخلّ بذلك.... (فتح الباري ج٦: ص٢١).

فالقتال في الإسلام ليس للسيطرة والشهرة ونحوها وإنّما هو للهداية وتبيين سبيل الله، ومعناه

➔

وعلى فرض ثبوت فساد من لم يطعه وردّته، فليس الحرق حقّه[1] بل القتل.

←

القرب المعنوي، وهو بعينه قصد القربة، أي أنّ الجهاد لا يتحقّق إلاّ بقصد القربة. قال محمّد بن اسماعيل الكحلاني الصنعاني في كتابه سبل الإسلام في شرح الحديث: والحديث دليل علىٰ أنّ القتال في سبيل الله يكتب أجره لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ومفهومه أنّ من خلا عن هذه الخصلة فليس في سبيل الله، وهو من مفهوم الشرط.... (سبل الإسلام ج٤: ص٤٤).

إذن لابدّ من إثبات أنّ قتال أبي بكر كان في سبيل الله. وحيث ثبت بالدليل القطعيّ أنّ الجهاد والقتال المشروع كان على قسمين: إمّا القتال على التنزيل وهو قتال رسول الله ﷺ وإمّا القتال على التأويل وهو القتال الذي قال رسول الله ﷺ منحصر في قتال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالأدّلة القطعية الثابتة عند جميع أهل السنة والجماعة فعليه فالقتال الذي لم يكن تحت أحد هذين القسمين يكون خارجاً عن دائرة الشرع الذي رسمه رسول الله ﷺ. فقتال أبي بكر يكون خارجاً عن إطار الشرع لأنّه لا يكون داخلاً في القتال المشروع.

ومن الواضح أنّ القتال الذي لا يكون مشروعاً لا يكون قتالاً في سبيل الله وإن كان المقاتل يدّعي ذلك، لأنّ الملاك هو قول الله ورسوله والشرع المقدس. والشرع قد اشترط في الجهاد والقتال إذن رسول الله ﷺ وإذن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما ثبت في النصوص الصحيحة عند أهل السنة والجماعة، وبعد ثبوت أنّ قتال أبي بكر لم يتحقّق بإذن الشرع ولا بإذن رسول الله ﷺ ولا إذن أمير المؤمنين عليه السلام نسأل جميع علماء أهل السنة بأيّ وجه قاتل أبو بكر الناس؟

(١) فإنّ الروايات الصحيحة الواردة عن النبي الأكرم ﷺ الدالّة على أنّه لا يعذّب بالنار إلاّ ربّ النار مورد اتفاق جميع المسلمين فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث وقال لنا: أن لقيتم فلاناً وفلاناً فرجلين من قريش سمّاهما.... وإنّ النّار لا يعذّب بها إلاّ الله، فإن أخذتموهما فاقتلوهما (صحيح البخاري

←

إلى غير هذه من مخالفاته للشريعة التي دلّت على عدم لياقته لمنصب

➔

ج٤: ص٧ باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله).

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن محمد بن حمزه الأسلمي عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمّره على سريّة فخرجت فيها.... فقال: إن أخذتموه فاقتلوه فإنّه لا يعذّب بالنّار إلاّ ربّ النّار (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٤٩٤) ورواه أبو داود في سننه ج١: ص٦٠٣ والبيهقي في سننه الكبرىٰ ج٩: ص٧٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٦: ص٢٥١ وعبد الرزاق الصنعاني في المصنّف ج٥: ص٢١٥ وأبو يعلىٰ الموصلي في مسنده ج٣: ١٠٦ والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص١٥٨ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٤: ص١٥٣٦ وغيرهم.

وأخرج أبو داود بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فانطلق كحاجته فرأينا حمرة معها خرجان فأخذنا فرخيها فجاءت الجهرة فجعلت تفرش، فجاء النبي صلى الله عليه وآله من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنّه لا ينبغي أن يعذّب بالنّار إلاّ ربّ النّار (سنن أبي داود ج١: ص٦٠٣). و إلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام الدالّة على عدم جواز القتل بالنار والإحراق حتّى بالنسبة إلى الحيوانات فضلاً عن الناس وهي كثيرة جدّاً لا يسعنا المجال لاستقصائها ومع هذه الروايات الكثيرة التي سمعها أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أمر بقتل الناس بالإحراق؟ فقد أخرج المحب الطبري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان في بني سليم ردّة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم الخطائر ثمّ أحرقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال: تدع رجلاً يعذّب بعذاب الله عزوجل؟! فقال أبو بكر: والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوه حتّى يكون هذا الذي يشيمه.... (الرياض النضرة ج١: ص١٠٠).

أقول: هذه الرواية صريحة في أنّ القتل بالإحراق كان ممنوعاً عند المسلمين وهو من المسلّمات حيث إن اعتراض عمر إشارة إلى ضرورة عدم جواز ذلك، ومع ذلك إنّ أبا بكر لم يهتمّ بذلك، كما هو ظاهر الحديث.

الخليفة عن الرسول صلى الله عليه وآله[1]. فكيف يدّعى أنّ صاحب الشريعة دلّ على

---

(١) وبعبارة أوضح: إنّ الأمر بالقتل لا يجوز إلاّ لمن له أهليّة الإمامة الشرعيّة أو من له التصدّي للحكم شرعاً أو من له منصب القضاء شرعاً. ومن الواضح أنّ هذه المناصب إنّما تكون لرسول الله صلى الله عليه وآله ذاتاً لأنّها من لوازم النبوّة والرسالة، وعليه فإنّها تكون لمن يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله شرعاً.

ومن الضروريّ أنّ من يقوم مقامه شرعاً لابدّ أن تكون له المؤهّلات الشرعيّة كالعصمة والعلم والكمال وغيرها التي هي من لوازم الإمامة والحكم الشرعي.

وقد قام إجماع المسلمين قاطبة علىٰ عدم وجود هذه المؤهّلات في أبي بكر الذي ادّعىٰ الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه قام الإجماع علىٰ عدم عصمته وعدم أعلميّته وعدم صلاحيّته لمقام الحكم باعتراف نفسه حيث قال في عدّة مواضع أقيلوني ولست بخيركم (انظر الإمامة والسياسة ج١: ص١٤) بل وحتّى كان عاجزاً عن الإجابة عن الأسئلة التي يعرفها عموم المسلمين، فكان يسأل من حوله ليجيبوا عن تلك المسائل، وإذا لم يعرف المسلمون جوابها كان يرجع إلى مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما ورد ذلك في الروايات الصحيحة الواردة عن أهل السنة والجماعة وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

إذن كيف جاز لمن ليس له أدنىٰ معرفة بالأحكام الشرعية الأمر بقتل الناس الأبرياء الذي اهتم وأكّد به الشارع الأقدس كما ورد في الأدلة الشرعية تاكيداً بالغاً؟ فإنّ ادعاء الخلافة منه وممّن تبعه لا يسمن ولا يغني من جوع، فلابدّ من إثباتها بالأدلّة القطعيّة المتّفقة بين جميع المسلمين.ولا شكّ أنّ الأدلّة الصحيحة المتّفقه عليها بين جميع المسلمين تدلّ بالصراحة على أنّ الإمامة الشرعية كانت لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث إنّ النصوص القرآنية والروايات المتواترة تدلّ على ذلك بوضوح تامّ.. وهي حجّة على جميع المسلمين قاطبة.

فكان من اللازم علىٰ أبي بكر و من تبعه أن يرجعوا إلى مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الأمر بالقتل، لأنّه الوحيد الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله له مؤهّلات

←

إمامته وعيّنه لهذه المرتبة المنيفة؟ فإنّ هذه الدعوىٰ أعجوبة غريبة من مدّعيها بعد علمه بنبذة من النصوص التي دلّت على كون الخليفة عليّاً عليه السلام [(١)]

➔

الإمامة و الحكم والقضاء بلا ريب، فكيف يجوز بعد ذلك لأبي بكر الأمر بقتل الناس الأبرياء لا سيّما بالاحراق؟!

(١) فإنّ النصوص الدالّة علىٰ خلافة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل كثيرة جداً وهي تستدعي الإطالة، وإجمالها أنّها تنقسم إلى قسمين: النصوص القرآنية والنصوص الروائية وسنذكرها إن شاء الله في محلّه وهنا نذكر بعضها من باب التيمّن والتبرّك، وهي كافية لإلزام الخصم. فمن النصوص الروائية حديث المنزلة المتواتر عند الفريقين، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وهما من أصحّ الكتب عند أهل السنة والجماعة بعد القرآن الكريم واشتهر بينهم قطعية صدور أحاديثهما، مضافاً إلى تصريح غير واحد من كبار محدّثيهم بتواتره كابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص١٠٩٠ وغيره.

وقد أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى (صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأخرج أيضاً بطريق آخر عن سعد بن أبي وقّاص قال: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: تخلفني في الصبيان و النساء؟ قال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي (صحيح البخاري ج٥: ص١٢٩ كتاب المغازي باب غزوة تبوك).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن سعد بن أبي وقّاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ

➔

➔

أنّه لا نبيّ بعدي، قال سعيد: فأجبت أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدّثته بما حدّثني عامر فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم، وإلاّ فاستكتا (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل، باب فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام).

وهذا الحديث يدلّ بالصراحة على أن لأمير المؤمنين عليه السلام جميع منازل هارون من موسى إلاّ النبوة، واستثناء النبوّة دليل على العموم فجميع منازل هارون من موسى كالأخوّة والوزارة والخلافة وشدّ الأزر وغيرها التي ذكرها القرآن الكريم يكون للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو ظاهر واضح. ومن تلك المنازل الخلافة بلا فصل. فالحديث يدلّ على خلافة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ من تلك المنازل الخلافة والوزارة، وهي ثابتة بهذا النصّ المتواتر لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ثمّ إنّ مسلم روى في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له محلي: يا رسول الله خلفتي مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه فتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبنائنا وابنائكم.... دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام).

وهذا الحديث يشتمل على مباحث كثيرة نشير إلى بعضها:

الأوّل: إنّ معاوية كان يأمر الناس بسبّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع علمه

🡐

➔

بأنّه كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. ولذلك استدلّ سعد بن أبي وقاص بقول رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الدالّ على خلافته وإمامته، ومنه حديث المنزلة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فامتنع سعد عن لعن الإمام لصراحة دلالة حديث المنزلة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يستشكل عليه معاوية والصحابة بعدم صدور الحديث من النبيّ صلى الله عليه وآله ولا على دلالته.

الثاني: استدل سعد بن أبي وقاص بحديث الراية لعدم سبّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من الأحاديث المتواترة التي أخرجها جميع صحاح أهل السنة والجماعة بما فيهم البخاري ومسلم. فيكون معتبراً عند جميع علمائهم بلا ريب.

الثالث: إنّ حديث الراية فيه انهزام أبي بكر وعمر من المعركة و عدم لياقتهما بمنصب من المناصب العسكرية والنظامية فضلاً عن الحكومة والولاية والإمامة.

الرابع: إنّ حديث الراية فيه دلالة واضحة على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الرجل الذي يحبّه الله ورسوله وهو يحبّ الله و رسوله والحبّ هنا في الحقيقة هو العلقة الرابطة التي تربط أحد الشيئن بالآخر فإنّ حبّ الله إذا تعلّق بأحد يقتضي أن يحبّ جميع ما يتعلّق بالمحبوب.

وبعبارة أوضح: إنّ الحبّ من الله على الإطلاق يقتضي أن يكون محبوباً لله تبارك وتعالى من جميع الجهات، وهذا معناه عصمة من أحبّه الله، لأنّ المحبوب من جميع الجهات لابدّ وأن يكون جميع أفعاله وسكناته مرضيّاً لله تعالى ومن يكون كذلك فهو معصوم. فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكون معصوماً إذ أنّه محبوب لله على الإطلاق، والمحبوب من جميع الجهات بلا استثناء معناه أنّ جميع أفعاله وسكناته يكون مرضياً لله تبارك وتعالى، فيكون معصوماً من جميع الذنوب والخطايا، إذ لايمكن فرض الرضا على نحو الإطلاق إلاّ مع عدم وجود الخطأ في أفعاله وسكناته وهذا دليل على عصمته ومن ناحية أخرى إنّ حبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لله ورسوله دليل على أنّ خضوعه وتسليمه كان على الإطلاق لله ورسوله. فهو أعبد الناس وأكثرهم طاعة لله ورسوله فهو مقدّم على جميع الخلق بعد

➔

ومن بعده ولده عليهم السلام دون غيره من الناس في عصره[1]. مثل خبر: وليّ كلّ

➔

رسول الله صلى الله عليه وآله.

الخامس: استدل سعد بن أبي وقّاص بآية التطهير التي تدلّ بالوضوح على عصمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وولايته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ الله تعالى شهد بعصمته في الآية الكريمة. وسيأتي البحث في دلالة هذه الآية وغيرها من النصوص مفصّلاً في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) لقد تولّى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام منصب الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الواحد والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هجرية في السابعة والثلاثين من عمره المبارك. وقد استمرّ بعد أبيه يحلّ مشعل القيادة الربانية حتّى السابع أو الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ٥٠ هجرية وله يومئذ ثمان واربعون سنة. وكانت للإمام الحسن عليه السلام مواقف مشهودة خلال الفترة الممتدّة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم شهادته، فقد عاش في المحن والشدائد وجور السلاطين وخلفاء الجور ومخاصمات أعداء أهل البيت عليهم السلام من غصب الخلافة والهجوم على بيتهم وإحراق الباب وعصر أمّه سيدة النساء بين الحائط والباب وسقوط جنينها محسن والمسمار الذي أقرح صدرها وكسر ظلعها وصفقها على خدّها وقود أبيه بحمائل السيف نحو المسجد للبيعة و هرولة أمّه ورائهم وهي تناشدهم بأن يخلوا سبيله وتهديدها لهم بأن تكشف رأسها للدعاء عليهم، فخافوا ذلك وأطلقوا سراح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وما إلى ذلك من مصائب عظيمة يشبّ لها الصغير. وبعد أشهر معدودة انتقلت الزهراء عليها السلام إلى جوار بارئها شهيدة وقد شجى بذلك حزناً وحسرة على جدّه وأمّه. ثمّ بعد تولي أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة الظاهرية بعد مقتل عثمان كان الإمام الحسن عليه السلام اليد اليمنى لأبيه في إدارة الحكومة والحروب التي أجّجها أعداء أهل البيت عليهم السلام خلال السنوات القليلة التي تصدّى بها الإمام عليه السلام، فكان الإمام الحسن عليه السلام قائداً للجيوش بخوض عباب الحرب وينازل الأقران ويقارع الأبطال ويجالد الانحراف بسيفه مضحيّاً بنفسه في سبيل

🡐

➔

استقامة دين جدّه صلى الله عليه وآله.

وقد دخل الكوفة مع مجموعة من أصحاب أبيه عندما توجّه الإمام إلى البصرة، وخطب فيهم يستفزّهم للقتال، فمنع أبو موسى الأشعري وكان والياً على الكوفة الناس من الذهاب إلى نصرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فالتفت إليه الإمام الحسن عليه السلام وقال له: اعتزل عما لنا لا أم لك وتنحّ عن منبرنا (الغارات ج٢: ص٩٢٧).

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطاه الراية في كتيبته الخضراء التي جمعت فيها وجوه المهاجرين والأنصار، فحمل بها علىٰ أنصار الجمل حتّى زعزع صفوفهم، ولمّا رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شجاعة ابنه الحسن عليه السلام وبسالته في ميدان القتال وهو لا يبالي بالموت صاح بمن حوله: املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإنّي أنفس بهذين ـ أي الحسن والحسين عليهما السلام ـ على الموت لئلا ينقطع بموتها نسل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهكذا بقي الامام الحسن عليه السلام إلى جنب والده إلى آخر لحظة من حياته حينما انبعث أشقاها في صبيحة ١٩ من شهر رمضان سنة ٤٠ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ رأسه وهو يصلّي الفجر في محرابه، فنقل إلى داره وبقي ثلاثاً، أوصىٰ خلالها إلى الامام الحسن المجتبى عليه السلام بالإمامة و ورّثه مواريث الأنبياء، فاجتمع عليه جماعة ممّن بقي من المهاجرين والأنصار وأهل الكوفة وبايعوه بالخلافة. وجاء في رواية الكليني أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أوصىٰ إلى ولده الحسن عليه السلام وأشهد علىٰ وصيّته الحسين عليه السلام ومحمّد بن الحنفيّة و جميع ولده ورؤساء الشيعة وأهل بيته، ودفع إليه الكتب والسلاح وقال له: يا بنيّ أمرني جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصىٰ إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام.... (الكافي ج١: ص٢٩٧).

هذا و قد نزلت آيات عديدة في حقّ الإمام الحسن عليه السلام منضمّاً مع أهل بيت العصمة عليهم السلام كآية التطهير وآية يطعمون الطعام وآية المباهلة وآية المودّة وغيرها من الآيات التي ورد في تفسيرها أنّها في شأن الإمام الحسن عليه السلام. وكذلك الروايات الكثيرة الواردة عن النبي

➔

مؤمن بعدي[(١)]

➔

الأكرم صلى الله عليه وآله في إمامته والتي رواها علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنة والجماعة وهي كثيرة جداً لا يسعنا استقصائها في هذا المجال.

ولكن أهل الغدر والمكر قد تسلّطوا على الحكومة الظاهرية بالقهر والغدر. وبعد استقرار الأمر لمعاوية أخذ يفكّر في التخلّص من مناوئيه على الحكم ومن يترقّب منهم مبايعة الناس لهم بالخلافة، فعمد إلى قتل سعد بن أبي وقّاص بالسمّ، ثمّ حاول قتل الامام الحسن عليه السلام بالسمّ مراراً ولكن محاولاته كانت تبوء بالفشل الواحدة تلو الأخرى، فأرسل إلى ملك الروم يطلب منه سمّاً فتّاكاً سريع التأثير، فكتب إليه ملك الروم إنّه لا يصلح في ديننا أن نعين على قتل من لم يقاتلنا.

فأجابه معاوية: إنّ الرجل الذي أردت قتله هو ابن الرجل الذي خرج في أرض تهامة وقد خرج الآن يطلب ملك أبيه، وأنا أريد قتله بالسمّ لأريح منه العباد والبلاد.

فأرسل إليه ما أراده، وأغرى معاوية جعدة بنت الأشعث زوجة الامام الحسن عليه السلام ووعدها بأن يزوّجها من ولده يزيد ويدفع لها مائة ألف درهم، فوافقت على ذلك ودست السمّ إلى الامام الحسن عليه السلام فتقطعت أمعائه وكبده، وطلب طشتاً وتقيّأ كبده فيه، ثمّ طلب أن يوضع فراشه في صحن الدار فأخرجوه، ورفع رأسه نحو السماء و قال: اللّهم إني أحتسب عندك نفسي فإنّها أعزّ الأنفس عليّ اللّهم ارحم صرعتي وآنس في القبر وحدتي....

فلم يلبث الامام الحسن عليه السلام بعدها إلاّ أياماً وأوصى الإمامة إلى الإمام الحسين عليه السلام واستشهد في سنة ٥٠ من الهجرة.

(١) لقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة وأمّر عليهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأحدث شيئاً في سفره قال عفان: فتعاهد أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن يذكروا أمره لرسول الله صلى الله عليه وآله قال: عمران: وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمنا عليه قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه، ثمّ قام الثاني فقال: يا

➔

←

رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الرابع وقد تغيّر وجهه فقال: دعوا علياً إنّ علياً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٤٢٨) رواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٦ والنسائي في فضائل الصحابة: ص١٥ وفي سننه الكبرى ج٥: ص٤٥ وفي خصائصه: ص٦٤ والطبراني في معجمه الكبير ج١٢: ص٧٨ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٠ والطيالسي في مسنده: ص١١ وابن أبي شيبة الكوفي في المصنف ج٧: ص٥٠٤ وابن حبان في صحيحه ١٥: ص٣٧٤ وابن أبي عاصم في السنة: ص٥٥ وغيرهم.

وهذا الحديث نصّ صريح في أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو وليّ الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و القائم مقامه والمتمتع بكامل صلاحياته المرتبطة بقيادة الأمّة، فهو أولى بالولاية و الوصاية والخلافة، وهو المرجع للأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقائدهم. فقوله صلى الله عليه وآله: «وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي» صريح في الخلافة من بعده، فإنّ لفظ بعدي يدلّ على الولاية والإمامة وكلّ ما كان للنبي صلى الله عليه وآله من القيادة على الأمّة يكون لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي بعض الروايات ورد «من بعدي» كما في رواية ابن عساكر بسنده عن أبي عوانه قال: حدثنا عمرو بن ميمون قال: إني جالس عند ابن عباس إذ أتاه سبعة و هوا فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا و إمّا أنّ تخلونا بهؤلاء، قال: فقال ابن عباس بل أقوم معكم قال وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى فابتدأوا فتحدّثوا فلا يدري ما قالوا؟ فجاء فنفض ثوبه وهو يقول: إنّ اولئك وقعوا في رجل له عشر خصال: قال له النبي صلى الله عليه وآله لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله.... و قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنت وليّ كلّ مؤمن من بعدي.... (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٩٩) ورواه الذهبي في سير الاعلام النبلاء ج٨: ص١٩٩ في ترجمة جعفر بن سليمان البصري وابن حجر في الإصابة ج٤: ص٤٦٧ في ترجمة الامام أمير المؤمنين علي

→

والخبر الذي فسّر آية: **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**[1]، والذي فسّر آية

بن أبي طالب عليه السلام يستحقّ الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل لأنّه هو الولي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) ومن الروايات التي وردت في تفسير قوله تعالى: **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد** (سورة الرعد: ٧) هو ما رواه الطبري في جامع البيان بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت: إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد وضع النبي صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر ولكلّ قوم هاد، وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي (جامع البيان عن تأويل القرآن ج١٣: ص١٤٢). ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٣٨٢ وابن عطيّة الأندلسي في تفسيره ج٣: ص٢٩٧ وابن الجوزي في تفسيره ج٤: ص٢٢٨ والفخر الرازي في تفسيره ج١٩: ص١٤ وأبو حيان الأندلسي في تفسيره ج٥: ص٣٦٠ وابن كثير الشامي في تفسيره ج٢: ص٥٢٠ والسيوطي في الدرّ المنثور ج٤: ص٤٥ والشوكاني في فتح القدير ج٣: ص٧٠ والآلوسي في تفسيره ج١٣: ص١٠٨ وغيرهم.

فإنّ هذه الآية الكريمة بانضمام ما ورد في تفسيرها إحدىٰ الأدّلة التي يستدلّ بها علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن الواضح أنّ الاستدلال لا يكون بالنسبة للآية فقط بل هو الاستدلال بالكتاب والسنة معاً، لكون السنة الصحيحة مفسّرة للآية الكريمة وموضحة للمراد منها. وبعد وضوح شأن نزول الآية لابدّ من توضيح كيفية الاستدلال وبيان الآية الكريمة وكيفية دلالتها علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فنبدأ بتفسير الآية ثمّ ببيان كيفية الاستدلال. أمّا تفسير الآية: فإنّ كلمة «إنّما» الواردة في الآية الكريمة دالّة علىٰ الحصر، وهذا من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى مزيد بيان كما لا يخفىٰ والانذار إخبار فيه تخويف وهو مقابل التبشير الذي هو عبارة عن إخبار فيه سرور

التصدّق في الصلاة[١]

➔

وهذه الآية الكريمة تفيد ما أفادته آيات أخرىٰ كثيرة من أنّ وظيفته ﷺ كوظيفة غيره من الرسل وهي الإنذار والتبشير، وكلاهما إخبار.

وأمّا قوله تعالى: «**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**» فما هو المقصود من هذه الجملة ومن هو الهادي الذي تتحدّث عنه الآية الكريمة؟

لاشكّ أنّ الهادي بالذات هو الله سبحانه ورسوله وذلك لأنّ الرسول مبلّغ عن الله عز وجل، فهو أيضاً هاد إلى هداية ربه، ولكنّ الآية الكريمة ليست بصدد بيان هذه الجهة؛ لأنّ الآية الكريمة ليست في مقام بيان الهداية الذاتيّة، حيث إنّ الآية الكريمة تخاطب النبيﷺ وتقول: إنّما أنت منذر...

والروايات المفسرة للآية قد بيّنت هذه الحقيقة بشكل واضح حيث ورد عن النبيﷺ أنّه قال: أنا المنذر وعليّ الهادي، ومع وجود هذه الرواية الصحيحة لا يمكن قبول تفسير غيرها من كون الهادي النبيّ الأكرمﷺ أو الله تعالى، حيث إنّ خطاب الآية إلى الرسولﷺ، والرسولﷺ قال في هذه الرواية إنّ المراد بالهادي هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه الرواية رواها علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنة في تفسير الآية وهي: عن ابن عباس وغيره من الصحابة عن رسول الله ﷺ قال: أنا المنذر والهادي هو الامام أمير المؤمنين عليه السلام، فلاحظ.

(١) والمراد بذلك الروايات التي وردت في تفسير قوله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** (سورة المائدة: ٥٥) وهي الأحاديث المعتبرة عند علماء الإسلام التي فيها دلالة واضحة علىٰ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعصمته ووجوب طاعته كوجوب طاعة الله ورسوله.

أمّا عند أهل السنة والجماعة ففي تفسير الفخر الرازي بسنده عن أبي ذر قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل

➔

←

يده إلى السماء وقال: اللّهم اشهد أنّي سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعليّ عليه السلام كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمين وكان فيها خاتم فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ فقال: اللّهم إنّ أخي موسىٰ سألك فقال: ربّ اشرح لي صدري (إلى قوله) و أشركه في أمري، فأنزلت قرآنا ناطقاً سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا، اللّهم وأنا محمد نبيك وصفيّك، فاشرح صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري. قال أبو ذر: فوالله ما أتمّ رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتّى نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ... (والى اخرها) (تفسير الفخر الرازي ج١٢: ص٢٦).

قال الآلوسي في تفسير هذه الآية الكريمة: وغالب الأخباريين على أنها نزلت في عليّ كرّم الله وجهه. فقد أخرج الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه بإسناد متصل قال: أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّ منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس، وإنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا بالله تعالى ورسوله ﷺ وصدّقناه رفضونا وآلوا علىٰ نفوسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا، فشقّ ذلك علينا، فقال لهم النبي ﷺ إنّما وليكم الله ورسوله، ثمّ إنّه ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم خاتم من فضة فقال: من أعطاكه؟ فقال: ذلك القائم، وأومأ بيده إلى عليّ كرم الله تعالىٰ وجهه، فقال النبي ﷺ على أيّ حال أعطاك؟ فقال: وهو راكع، بكّر النبي ﷺ ثم تلا هذه الآية فأنشأ حسان بن ثابت رضي الله عنه يقول:

أبا حسن نفديك نفسي و مهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي المجر ضائعاً ... وما المدح في جنب الاله فصائع
وأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... زكاة فدتك النفس ياخير راكع
فانزل فيك الله خير ولاية ... فبيّنها في ميراث الشرائع

(تفسير الآلوسي ج٦: ص١٢٧) والى غير ذلك من الروايات الواردة في تفاسير أهل السنة

←

وخبر الثقلين[1]،

←

ومصادرهم فسنذكر الروايات والاستدلال بها في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) إنّ حديث الثقلين من الأحاديث الصحيحة الذي أخرجه علماء الإسلام بأسناد معتبرة وقد أخرجه علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم بطرق عديدة وأسناد صحيحه عن بضع وعشرين صحابياً قال ابن حجر: والحاصل أنّ الحثّ وقع علىٰ التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة. ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابياً (الصواعق المحرقة: ص ١٥٠).

وقد خصّ العلامة السيد مير حامد حسين مجلدين ضخمين من كتابه عبقات الأنوار بنقل هذا الحديث الشريف من كتب أهل السنة والجماعة، فالباحث لو يراجع هذا الكتاب يجد أنّ هذا الحديث قد أخرجه أكثر علماء الإسلام بحيث لا يكاد يخلو منه مصدر من مصادر الحديث والتفسير والتأريخ و غير ذلك من المصادر الإسلامية.

والحديث صريح بما لا مزيد عليه في أنّ كلّ مسلم لابدّ أن يلتزم بمضمونه و يدرس معطياته بصورة واعية كي يعمل به وإلاّ سوف يكون من المتخلّفين عن أوامر صاحب الرسالة والمرتكسين في الضلال و الخسران والنار، فإنّ الالتزام به واجب ومؤثّر في عقيدة كلّ مسلم و الإيمان بنبوّة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وبما جاء من عند الله عزوجل. والحديث متواتر مضمونه عند الفريقين وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. أخرجه مسلم في صحيحه ج٧: ص١٢٣ كتاب الفضائل باب فضائل عليّ بن أبي طالب والحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٤٦ والترمذي في سننه ج٥: ص ٣٠ وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٣٣١ والبيهقي في سننه ج٢: ص ١٥٠ والطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص٥٥ وغيرهم. والحديث يدلّ على الأمور التالية:

الأوّل: عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام. لأنّ النبي صلى الله عليه وآله جعل فيه عترته الطاهرة عدلاً للقرآن

→

وغير ذلك ممّا مضى وممّا ياتي[١]. فقد علم من سيرة خير الرسل صلى الله عليه وآله ومن قوله إمامة عليّ عليه السلام بعده على أمّته جميعها[٢]، وعدم لياقة أبي بكر حتّى

➔

الكريم ومن الواضح لدىٰ كلّ مسلم أنّ القرآن الكريم معصوم من أيّ زيادة ونقيصة وباطل كما قال تعالى: **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** (سورة فصلت: ٤٢) فالعترة الطاهرة لابدّ أن تكون كذلك، لأنّهم عدل القرآن، وهما في رتبة واحدة من الطهارة والعصمة وإلاّ لم يصحّ كون العترة عدلاً للقرآن.

الثاني: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أمر بالتمسّك بهما معاً وأراد بذلك بأنّ التمسّك بأحدهما لا يغني عن التمسّك بالآخر فلا يعصم الأمّة من الضلال إلاّ بالتمسك بهما معاً.

والثالث: إنّ وجود القرآن إلى يوم القيامة إنّما هو أمر واضح لأنّ القرآن خالد بالإعجاز إلى يوم القيامة فلابدّ أن تكون العترة كذلك خالدة في جنب القرآن إلى يوم القيامة. وهذا أكبر دليل علىٰ إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله الأمّة بالتبعيّة المطلقة لهم كما أمرهم بالتبعيّة لقول الله عزوجل. وخلاصة الكلام أنّ الهداية إنّما منحصرة في التمسّك بالثقلين معاً لا غير، فلاحظ.

(١) وذلك كحديث الغدير وحديث السقيفة وحديث المنزلة وحديث المباهلة وحديث الطير وغيرها من الأحاديث.

(٢) لايخفى أنّ الأدلة القطعية والنصوص القرآنية والروايات المتواترة تدلّ بوضوح علىٰ لزوم الاعتقاد بإمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل وقائم مقامه والإمام المقدم علىٰ كافّة الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والمعاداة له معاداة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه القائم بالقسط في دين الله بمودّته والبراءة من أعدائه والاعتقاد بإمامة الأحد عشر من أولاده من بعده وأنّ الأئمة من بعده الحسن والحسين عليهما السلام والتسعة من ولد الإمام الحسين عليهم السلام فيجب على كلّ مسلم الاعتقاد بإمامتهم والاعتقاد بفرض طاعتهم والقربة إلى الله بولايتهم والبراءة من أعدائهم و

➔

للتقدّم على مثل سالم[(١)]

➔

الانتظار لدولة الحقّ في عاقبتهم.

فبملاحظة الأدلّة الواردة والنصوص الجليّة والبراهين الواضحة لايمكن احتمال غير ذلك، ويجب على جميع الأمّة الالتزام بامامة أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام كما تجب على الأمّة طاعتهم كطاعة الله ورسوله. ومن تلك النصوص قوله تعالىٰ في كتابه العزيز: **أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** (سورة النساء: ٥٩).

فإنّ إطلاق الكلام في الموارد الثلاثة يقتضي لزوم الطاعة في جميع الأوامر والنواهي و الاتباع لهم بصورة مطلقة. وهذا يدلّ على أنّ أولي الأمر هم كالرسول صلى الله عليه وآله معصومون في جميع أقوالهم وأفعالهم و تقاريرهم.

وإليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عندما أتاه رجل وسأله عن أدنىٰ ما يكون به العبد مؤمناً، وأدنىٰ ما يكون به العبد كافراً وأدنىٰ ما يكون به العبد ضالّاً فقال عليه السلام: قد سألت فافهم الجواب: .... وأمّا أدنىٰ ما يكون العبد به ضالاً أن لا يعرف حجّة الله تبارك وتعالى وشاهده علىٰ عباده الذي أمر الله عزوجل عباده بطاعته وفرض ولايته.

قلت: يا أمير المؤمنين.صفهم لي؟ قال: الذين قرنهم الله تعالىٰ بنفسه ونبيه فقال: **أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** .

فقلت له جعلني الله فداك أوضح لي؟ فقال: الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع وفي آخر خطبة يوم قبضه الله عزوجل إليه: إنّي تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي إن تمسّكتم بهما: كتاب الله عزوجل وعترتي (ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ج١: ص٣٥٠).

وهناك نصوص و روايات كثيرة في مصادر أهل السنة والجماعة تدلّ على أنّ أولى الأمر هم الأئمة المعصومون عليهم السلام. وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) فإنّ الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة تدلّ علىٰ أنّ النبي صلى الله عليه وآله قدّم سالماً مولىٰ أبي حذيفة في الصلاة علىٰ أبي بكر فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن

➔

بل وأبي عبيدة[(١)]

←

عمر أنّه قال: كان سالم مولىٰ أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين وأصحاب النبي ﷺ في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وبن عامر بن ربيعة (صحيح البخاري ج٨: ص١١٥ كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم).

وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عمر قال: قدم المهاجرون الأوّلون العصبة موضع بقباء قبل مقدم رسول الله ﷺ وكان يؤمّهم سالم مولىٰ أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآناً (صحيح البخاري ج١: ص١٧٠ كتاب الصلاة باب إمامة العبد والمولىٰ).

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن ابن عمر قال: إنّ سالماً مولىٰ أبي حذيفة كان يؤمّ المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة وفيهم عمر وغيره لأنّه كان أكثرهم قرآناً (المعجم الكبير ج٧: ص٥٩).

وأخرج ابن أبي شيبة الكوفي في المصنف بسنده عن ابن عمر قال: كان المهاجرون حين أقبلوا من مكّة نزلوا إلى جنب قباء وأمّهم سالم مولىٰ أبي حذيفة؛ لأنّه كان أكثرهم قرآنا، وفيهم أبو سلمة بن عبد الأسد وعمر بن الخطاب (المصنف ج١: ص٣٧٩) وغير ذلك وهناك أحاديث كثيرة تدلّ علىٰ أنّ النبي ﷺ أمر المسلمين بأن يؤمّ القوم من كان أكثرهم قرآناً، فقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ يؤمّ القوم أكثرهم قرآناً، فإن كانوا في القرآن واحداً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة واحداً فأفقهم فقهاً، فإن كانوا في الفقه واحداً فأكبرهم سنّاً (المستدرك على الصحيحين ج١: ص٢٤٣) فإنّ هذا الحديث بضميمة حديث تقديم سالم مولىٰ أبي حذيفة على أبي بكر في صلاة الجماعة يدلان علىٰ أنّ سالماً مولىٰ أبي حذيفة كان مقدّماً علىٰ أبي بكر وأنّ تقدّمه عليه كان بأمر رسول الله ﷺ، فسالم مولى أبي حذيفة كان مقدّماً علىٰ أبي بكر وكان من اللازم أن يكون خليفة على أبي بكر لأنّه أفضل منه.

(١) لقد روىٰ المؤرّخون والمحدّثون في حوادث السنة الثانية من الهجرة غزوة ذات السلاسل

←

➔

(انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٣ كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل).

وهذه الغزوة بدأت من حين تجمع قبيلة قضاعة وغيرهم للهجوم على المدينة المنورة فاجتمعوا أطراف المدينة فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة وعقد له لواء وبعثه في سراة المهاجرين والأنصار.... (انظر سبيل الهدىٰ والرشاد للصالحي الشامي ج٦: ص١٦٧)

وأخرج ابن عساكر: إنّ النبي ﷺ عندما بعث عمرو بن العاص إلى بلاد بلي وعذرة وبني القين في غزوة ذات السلاسل فكانوا هؤلاء من أرحام عمرو بن العاص لأنّ أمّ العاص بن الوائل بلوية فأراد النبي ﷺ أن يتألفهم بعمرو.... (انظر تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٢٢).

وأخرج ابن سعد: لمّا وصل عمرو بن العاص مع السريّة التي عبّأها النبي ﷺ وبعثها إلى القوم فقبل أن يصل عمرو إليهم بعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمدّه، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في مائتين وعقد له لواء وأرسل معه سراة المهاجرين والأنصار و فيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعاً، ولا يختلفا فلحق بعمرو. فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ الناس فقال عمرو: إنّما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، فأطاع أبو عبيدة وكان يصلّي بالناس... (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص١٣١).

وأضاف ابن الجوزي إلى ما رواه ابن سعد أنّ عمرو بن العاص قد أجنب في ليلة وصلّىٰ بأصحابه صلاة الصبح وهو جنب... (انظر المنتظم ج٣: ص١٢١).

فهذه الروايات وغيرها تدلّ بالصراحة علىٰ أنّ أبا بكر كان مأموماً في صلاته لعمرو بن العاص وأبي عبيدة، وقد قدّم رسول الله ﷺ عليه أولاً أبا عبيدة ثمّ عمرو بن العاص وقد صلى أبوبكر خلف عمرو بن العاص وهو جنب فهما كانا مقدمين على أبي بكر. فكيف جاز لأبي بكر أن يقدّم نفسه على هؤلاء فضلاً عن أن يقدّم نفسه على أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ؟!

وأسامة[(١)]

---

(١) لقد أجمع أرباب التاريخ والسيرة والحديث على أنّ النبي الأكرم ﷺ جهّز جيش أسامة قبل وفاته ﷺ وأكّد وأصرَّ في بعثه على كلّ حال و بلغ من حرصه صلوات الله وسلامه عليه على إنفاذه مبلغاً عظيماً، قال ابن حجر: كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر ودعا أسامة فقال سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد ولّيتك هذا الجيش و أغر صباحاً على أبني وحرّق عليهم وأسرع السير ؟؟؟ الخبر فإن ظفرك الله بهم فأقلّ البث فيهم.

فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة ودفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف وكان مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم... (فتح الباري ج٨: ص١١٥).

وقال الذهبي فلم يبق من المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزوة وفيهم أبو بكر و عمر وأبو عبيدة... فطعن الناس في إمارته، فقال رسول الله ﷺ: إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إماره أبيه، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وكان من أحبّ الناس إليّ، وإنّ ابنه هذا لمن أحبّ الناس اليّ بعده (ثم قال الذهبي): هذا متّفق على صحّته (انظر تاريخ الإسلام للذهبي ج٢: ص٧١٤).

وروىٰ ابن سعد في الطبقات بسنده عن نافع عن ابن عمر قال: إنّ النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر واستعمل عليهم أسامة بن زيد فكان الناس طعنوا فيه أي في صغره فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر وقد كانوا اطعنوا في إمارة أبيه من قبله وانها لخليقان لها وإنّه لمن أحبّ الناس إليّ ألا فأوصيكم بأسامة خيراً (الطبقات لابن سعد ج٢: ص٢٤٩).

ورىٰ ابن عساكر مثله في تاريخ مدينة دمشق وزاد فيه: وإنّي لأرجوا أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيراً، قال: ومرض رسول الله ﷺ فجعل يقول: أنفذوا جيش أسامة أنفذوا

←

بل وابن العاص[١]،

➔

جيش أسامة (تاريخ مدينة دمشق ج٨: ص٦٢).

وروىٰ الشهرستاني في الملل والنحل أنّ النبي ﷺ قال: أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة (انظر الملل والنحل ج١: ص٢٣).

وإلى غير ذلك ممّا ورد في المقام فإنّ الروايات مصرّحة بأنّ أبابكر وعمر وكثيراً من المهاجرين والأنصار كانوا في جيش أسامة وكان من الواجب عليهم أن يبقوا تحت أمره ويصلّوا خلفه ويذهبوا إلى حيث أمرهم رسول الله ﷺ في تلك المعركة ولا يتخلّفوا عن ذلك وإلّا سوف يشملهم لعن رسول الله ﷺ. فأسامة بن زيد كان مقدّماً على أبي بكر. فكيف يمكن أن يدّعي أحد إمامته وخلافته بعد كونه مأموماً لأُسامة بن زيد، أليس هذه النصوص كافية في عدم لياقة أبي بكر لمنصب الخلافة والإمامة، وبناءً على هذه الروايات الصحيحة عند أهل السنة والجماعة هل يمكن لأهل السنة والجماعة الجواب عن ذلك؟!.

(١) فإنّ النصوص الصحيحة عند أهل السنة والجماعة تؤكّد علىٰ أنّ النبي ﷺ أرسل عمرو ابن العاص في جماعة من الصحابة إلى غزوة ذات السلاسل إلى بلاد بلي وعذرة وبني القين الذين كانوا من أرحام عمرو وذلك حتّى يتألفّهم بعمرو. ولمّا وصل عمرو قريب القرب خاف منهم وأرسل إلى النبي رافع بن مكيث وطلب الاستمداد، فأرسل النبي ﷺ جيشاً بإدارة أبي عبيدة الجرّاح وفيهم أبو بكر وعمر وكبار المهاجرين والأنصار فلمّا وصلوا إليهم أراد أبو عبيدة أن يتقدّم للصلاة فنهاه عمرو وهو تقدّم عليهم، وقد صلّىٰ بالناس جماعة صباحاً على الحال الجنابة (انظر صحيح البخاري ج٥: ص١١٣ كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل وتاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٢٢ والطبقات لابن سعد ج٢: ص١٣١ والمنتظم لابن الجوزي ج٣: ص١٢١ وغير ذلك من المصادر، وبعد هذه النصوص الصريحة من أهل السنة والجماعة بأنّ أبا عبيدة كان مقدّماً على أبي بكر كيف يمكن ادعاء خلافته وإمامته؟!

بل علم كون أبي بكر من بطانة الشرّ[١] . وعلم من تصديقه للحسن عليه السلام بأنّ المنبر منبر أبيه[٢] أنّ الحجّة قد قامت عليه وعلى غيره بأنّ إمامه وإمام عامّة

---

(١) فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما استخلف خليفة إلاّ له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضّه عليه و بطانة تأمره بالشرّ وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله (صحيح البخاري ج٧: ص٢١٣ كتاب الرقاق باب المعصوم من عصم الله).

هذه الرواية صريحة في أنّ كلّ خليفة له بطانتان فمن لم يكن معصوماً فلا يسلم من بطانة الشرّ فحيث إنّ أبابكر لم يكن معصوماً بإجماع أهل السنة والجماعة فكان له بطانة شرّ تحضّه عليه.

وفي بعض الروايات أنّ الأمراء لهم بطانتان كما جاء ذلك في الرواية التي أخرجها النسائي في سننه بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من وال إلاّ وله بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا، فمن وقىٰ شرّها فقد وقىٰ الله وهو من التي تغلب عليه منها (سنن النسائي ج٧: ص٨٥٨).

وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على أنّ جميع الأمراء والحكام لهم بطانة الشرّ لا تألوه خبالا فبناءً على ذلك فهم في زمرة أهل الشّر والفساد.

وعليه فمن يكون له بطانة الشر وهو لا يأمن منها كيف يكون مقدّماً علىٰ من جعله الله تبارك وتعالىٰ نفس رسوله في آية المباهلة وجعله رسول الله صلى الله عليه وآله أخاً له وكان ممّن شمله آية التطهير ودلّت علىٰ عصمته وهو الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) فقد أخرج كبار علماء أهل السنة والجماعة بأسناد صحيحة عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم رووا أنّ أبا بكر كان على المنبر في أيام خلافته فصعد إليه الإمام الحسن عليه السلام وكان صبيّاً فقال له: انزل عن منبر أبي واجلس على منبر أبيك، فقال له أبو بكر: وأبي لا منبر له، وإنّ كلّ ما عندنا منكم. فهل أنبت الشعر علىٰ رؤوسنا إلاّ الله وأنتم؟ (انظر الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج١: ص٢٠٣ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص٤٢ ←

الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وآله هو عليّ عليه السلام من حيث تقريرهم لتصديقه للحسن عليه السلام [(١)]،

←

وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٠: ص٣٠٧ وكنز العمال للمتقي الهندي ج ٥: ص٦١٦ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٣: ص٢٦ وتاريخ المدينة لابن شيبة ج٣: ص٧٩٨ والمنتظم لابن الجوزي ج١٩: ص٤٢٥ والصواعق المحرقة لابن حجر ص١٧٧ وغيرهم).

فهذا الحديث صريح في أنّ أبا بكر اعترف بأنّه قد صعد المنبر الذي هو مكان الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولا منبر له أي لا محلّ له للصعود على أمثال منابر الإسلام و بعد اعترافه على اغتصابه لذلك المكان العظيم كيف يصح ادّعاء تقدّمه؟!

(١) لقد أخرج علماء أهل السنّة والجماعة بأسناد صحيحة عن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله اعتراف أبي بكر بأنّه اغتصب الخلافة من مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ومن تلك الروايات ما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: خطب أبو بكر يوماً فجاء الحسن ابن عليّ فصعد المنبر وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال له ابوبكر: نعم منبر أبيك وأبي لا منبر له... (انظر الرياض النضرة للمحب الطبري ج١: ص ٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤: ص ١٧٥ وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي ج٦: ص٤٢ وكنز العمال للمتّقي الهندي ج٥: ص ٦١٦ وغيرها).

هذه الرواية واضحة الدلالة على اعتراف أبي بكر باغتصابه لحقّ مولانا امير المؤمنين عليه السلام وفي نفس الوقت إنّه أنكر استحقاقه لمقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذه القضية كانت في حضور الناس والصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فكلّ الناس سمعوا ذلك وأقرّوا اعتراف أبي بكر بأنّ المكان الذي كان جالساً عليه هو مكان الامام امير المؤمنين عليه السلام وهو لا يحقّ له أن يصعد إلى ذلك المكان. وهذا أمر واضح، إذ لو كان يحقّ له الصعود الى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله لكان له أو للحضار أن يقولوا للامام الحسن عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل له هذا المقام. ولكن لم يعترض أحد على قول الامام

←

ولـم يقـل مـنهم قائـل بأنّـه هـو المنـصوص عليـه. فعلـم مـن ذلـك[١] كـون المقـصود مـن الكتابـة يـوم الخمـيس هـو تأكيـد البيـان اللـساني فـي إمامـة علـيّ عليه السلام بالبيـان الكتبـي[٢]. فإنّـه مـن الـضروريّ كـون متابعـة خليفـة

→

الحسن عليه السلام بل كلّهم أقروا على ذلك واعترف أبو بكر لساناً بأنّ ما قاله الامام الحسن عليه السلام حقّ.

فالقضية بين الأمرين إمّا أن يكون أبو بكر كاذباً في قوله «منبر أبيك» وإمّا أن يكون صادقاً في كلامه «منبر أبيك» وعلى كلا الحالتين يكون غاصباً لحقّ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام أي يكون المنبر لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام إذ لو كان صادقاً فهو اعتراف منه على ذلك وإن كان كاذباً فهو لايليق بذلك المكان العظيم ففي كلا الحالتين هو غاصب للمنبر. فأهل السنة و والجماعة لابدّ لهم أن يختاروا أحد الأمرين ولا ثالث لهما.

(١) فإن اجماع الصحابة حجّة عند جميع أهل السنة والجماعة وهنا قد حصل الإجماع، لأنّه قد أخبر الامام الحسن عليه السلام عن شيء ثابت واقع واعترف بذلك أبو بكر وأقرّ على ذلك جميع الصحابة حيث إنّهم لم يعترضوا على قول الامام الحسن عليه السلام ولم يرفضه أحد منهم، ومعناه أنّ ما قاله الامام الحسن المجتبى عليه السلام يكون مقبولاً عند جميعهم، إذ لو كان واحد منهم مخالفاً لذلك لكان يذكر مخالفته ويرفض ما قاله الامام عليه السلام، ومع عدم وجود ذلك يعرف أن جميعهم كانوا مقرّين ومعترفين بما ذكره الامام الحسن عليه السلام، فلاحظ.

(٢) فإنّ الأخبار المروية في كتب أهل السنّة والجماعة تدلّ بالصراحة على أنّ عمر بن الخطاب منع من كتابة رسول الله صلى الله عليه وآله لئلا تثبت الوصيّة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام. انظر صحيح البخاري ج٥: ص ١٣٨ كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص ٧٦ كتاب النذور باب الأمر بقضاء النذر. وإن كان قد ثبت ذلك بالبيان الإلهي في القرآن الكريم في آية إكمال الدين وإتمام النعمة و قد

←

→

وضّح الله تعالى الأمر بأحسن الوجه ولا تحتاج الأمّة أكثر من ذلك ولكن بالرغم من تماميّة البيان في يوم غدير خمّ قد طلب رسول الله صلى الله عليه وآله في أواخر حياته من الصحابة الدواة والكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً ففي هذه المرحلة الحسّاسة وقف عمر بن الخطاب بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله ومنع من الكتابة.

ويظهر من المرويات أنّ عمر بن الخطّاب كان فرحاً بما فعله في هذا المجال، فقد أخرج ابن أبي الحديد بإسناده عن ابن عباس و رواه أحمد بن أبي طاهر صاحب تاريخ بغداد مسنداً بإسناد صحيح. وإليك نصّ الحديث: قال ابن عباس: دخلت على عمر بن الخطاب في أوّل خلافته وقد اُلقى له صاع من تمر على خصفة فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة وأقبل يأكل حتّى أتّى عليه ثمّ شرب من جرّة كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد الله يكرّر ذلك، ثمّ قال: من أين جئت يا أبا عبدالله؟

قلت: من المسجد، قالك كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني أبا عبدالله بن جعفر، قلت: خلفته يلعب مع أترابه، قال: لم أعن ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمنح بالغرب على نخيلات (أي يسقي نخيلاته بالدو) من فلان وهو يقرأ القرآن قال: يا أبا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ عليه؟ قلت: نعم وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق: فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول.... لقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك....لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ولو وليها لانقضّت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله الى اني علمت ما في نفسه، فأمسك (شرح نهج البلاغة ج١٢: ص ٢١).

وقال في مكان آخر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة... (شرح نهج البلاغة ج١٢: ص ٧٩).

هذه الرواية أولاً: فيها الصراحة على أنّ النبي صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحيث ما أراد من الصحابة أن يكتب ذلك النصّ فمنع عمر بن الخطاب من ذلك.

←

الرسول ﷺ هي المانعة للناس عن أن تضلّ بعده[١]

←

وثانياً: أنّ عمر بن الخطاب اعترف بأنّ الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كبير وزعيم أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله ﷺ

وثالثاً: أنّ عمر بن الخطاب يصرّح بأنّ رسول الله ﷺ أراد شيئاً وهو منعه والقرآن يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(سورة الأحزاب: ٣٦)

ومن الواضح أنّ إرادة رسول الله ﷺ لم يكن إلاّ كتابة الإمامة لمولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و التأكيد على إمامته ولكن عمر بن الخطاب اعترف على أنّه منع من ذلك فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ الخليفة الشرعي لابدّ أن يمتلك صفات الامامة من العلم والفضل والعبادة والزهد وأمثال ذلك بل ولابدّ أن يكون معصوماً كعصمة رسول الله ﷺ ليسدّ بوجوده جميع الثغرات بعد وفاة رسول الله ﷺ ويصون المجتمع من الانحراف والتفرّق والضياع والضلالة فهو قائم مقام رسول الله ﷺ في جميع الجهات فلابدّ أن يكون متّصفاً بصفاته ليسدّ بوجوده الفراغ الحاصل من وفاة رسول الله ﷺ، فيلزم أن يكون مفسّراً للقرآن الكريم ومبيّناً لمعانيه ومقاصده ومبيّناً للأحكام الشرعية للناس. ولابدّ أن يكون أعلم الناس بالقرآن وأعلم الناس بالأحكام الإلهية وأقضى الناس ليسدّ الفراغ بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ولولا ذلك أصبح المسلمون منحرفين، متشتّتين، متفرّقين في الأفكار والعقائد والآراء كما هو واضح ظاهر.

فالإمام بعد النبي ﷺ لابدّ أن يكون جامعاً لصفات الحاكميّة الذي يهتدي بأنوار هدايته الناس و يؤلف بين القلوب ويزيل منه الضغائن والأحقاد وذلك من أجل أنّه الرحى التي تدور حوله الناس، كالكعبة المعظّمة التي تدور جميع الناس حولها من أجل توحيد

→

➔

الكلمة كما قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**...﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

والنقطة الجديرة بالاهتمام في هذه الآية الكريمة هي التعبير عن أهمّ وسيلة للنجاة والقرب من الله سبحانه بالحبل أو الحبل الإلهي. وهذا التعبير إشارة الى حقيقة لطيفة وهامّة، هي أنّ الإنسان سيبقى في حضيض الجهل، والغفلة، وفي قاع الغرائز الجامعة إذا لم تتوفّر له شروط الهداية ولم يتهيّأ له الهادي والمربّي الصالح. فلابدّ للخروج من هذا القاع، والارتفاع من هذا الحضيض من حبل متين يتمسّك به ليخرجه من بئر الماديّات والجهل والغفلة وينقذه من أسرالطبيعة، وهذا الحبل ليس الّا حبل الله المتين، وهو الارتباط بالله عن طريق الأخذ بالهداة والقادة الرّبانين. ولابدّ أن يكون الهادي إلى الله في أعلى درجة والذروة في سماء التكامل المادي والمعنوي، ولذلك ورد عن الامام الباقرعليه السلام أنّه قال: آل محمّدعليهم السلام هم حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به، فقال: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ (تفسير العياشي ج١: ص ١٠٢).

وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان جالساً في المسجد وحوله جماعة من أصحابه، وفيهم عليّ عليه السلام إذ وقف عليه أعرابي فقال: يا رسول الله جئت إليك أسألك عن آية من كتاب الله تعالى سمعته يأمر فيها بما لم أدر ما هو، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سل يا أعرابيّ، قال: سمعت قول الله عز وجل يقول: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**... فما هذا الحبل الذي أمرنا الله أن نعتصم به؟

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الأعرابيّ فوضعها على كتف عليّ عليه السلام وقال: هذا حبل الله الذي أمركم بالاعتصام به. فدار الأعرابيّ من خلف عليّ عليه السلام، فاعتنقه وقال: اللّهم إنّي أعتصم به. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن ينظر الى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا الأعرابيّ (شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٢: ص ٢٠٧)

فإنّ الإمام عليه السلام هو الحبل الذي أمر الله تعالى بالاعتصام به، وهذا المعنى مستفاد أيضاً من حديث الثقلين المجمع على صحّته جميع المسلمين بجميع فرقهم ومذاهبهم، وقد أخرجه

🡐

فمنعته من ذلك لعلمى بان العرب تنتقض عليه وتحاربه لبغضها له انتهى نقله بالمعنى[(١)].

➔

كبار علماء أهل السنة والجماعة ومنهم مسلم بن الحجاج في صحيحه وغيره من أرباب الصحاح والمسانيد والمجاميع الحديثية وسنذكرها إن شاءالله في محلّه.

وصريح الحديث أنّ كتاب الله عز وجل هو الحبل الممدود بين السماء والأرض، وعدله الذي لا ينفصل عنه أبداً العترة الطاهرة، فإنّهما لا يفترقا إلى يوم القيامة، وإنّ التمسك بهما معاً يوجب النجاة من الضلالة والفوز بالهداية.

فمعنى قولهﷺ لا يفترقا أي من جميع ما يتصوّر وجوده في القرآن من الهداية والموعظة ونحو ذلك يوجد في العترة الطاهرة فمن الجهات التي توجد في القرآن كونه حبلاً ممدوداً من السماء الى الأرض، فمقتضى قوله لا يفترقا كون العترة كذلك.

وكذلك المستفاد من قوله: إنّ التمسّك بهما معاً يكون موجباً للهداية وعدم الوقوع في الضلالة، فلابدّ أن يكونا مرتبة واحدة من الهداية. فإذا كان القرآن حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض فكذلك العترة الطاهرة.

إذن من الواضح أنّ متابعة خليفة رسول اللهﷺ الذي يكون متّصفاً بصفات رسول اللهﷺ تكون مانعةً من الضلالة والوقوع في الانحراف.

وأمّا متابعة من لم يكن له هذه الأوصاف موجب للانحراف والضلالة والفرقة كما لا يخفى.

(١) لم أعثر على هذا الحديث في كتاب تاريخ بغداد، إلا أنّ ابن أبي الحديد المعتزلي روى هذا الحديث في شرح نهج البلاغة ثمّ قال في آخر الحديث ما نصّه: ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً (انظر شرح نهج البلاغة ج١٢: ص ٢١).

فالظاهر من كلام ابن أبي الحديد شهادة ثابتة على وجود الحديث في كتاب تاريخ بغداد فإنّ النسخة التي كانت عنده من تاريخ بغداد فيها هذا الحديث وبهذه الشهادة يتمّ الأمر عند

➔

ويشهد لما نقله له الخطيب ما تقدّم من السنن التي دلّت على إمامة عليّ عليه السلام دون غيره ممّن تقدّم عليه[1]

➔

أهل السنة والجماعة بوجود الحديث في تاريخ بغداد.

والمهم أنّ يد التحريف قد أسقطت هذا الحديث من كتاب تاريخ بغداد والوجه في إسقاطه واضح، لأنّ في الحديث اعتراف من عمر بن الخطّاب على أنّه هو الذي منع رسول الله صلى الله عليه وآله من كتابة الوصية في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولكن أيدي الخيانة والتعصّب أبت أن تبقي هذه الرواية، فأسقطتها حفظاً لكرامة عمر حيث إنّ الحديث صريح في أنّ عمر بن الخطاب ردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما طلب من الصحابة أن يعطوه الكتف والقلم، ووقف أمام طلب رسول الله صلى الله عليه وآله فالقضية واضحة ولا يمكن إنكار قبح ما صنعه عمر بن الخطاب وإن علت مرتبته عندهم، فهم قد رأوا أنّه لا يمكنهم الدفاع عن فعل الخليفة الذي اعترف في هذا الحديث بحقّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وعدم لياقته بذلك المقام فلم يروا طريقاً إلى دفع ذلك إلاّ بحذف هذه الرواية من كتاب تاريخ بغداد لئلا يحتجّ عليهم الشيعة بأحقّيّة الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن ابي طالب عليه السلام كما فعله غيره من علمائهم في كتبهم.

ولكنّ التعصّب والعناد واللجاج لا يفيدهم، لأنّ الشمس مضيئة ولا يمكن الستار عليها فهو دليل على وجوده والنور الذي يضيء منها العالم غير قابل للإنكار.

فمهما كان العناد وعبادة الهوى في إنكار الحقائق والجهود الذميمة تحت سماء الجور الاعتساف لكن حقيقة النور وحقيقة الإسلام واضحة ومبرهنة بالكتاب والسنّة النبويّة الشريفة المقبولة عند جميع المسلمين، فلا يمكن تغطيتها.

ثمّ إنّ الخطيب البغدادي نقل الحديث مسنداً بسند صحيح على مبانيهم كما يفهم ذلك من كلام ابن أبي الحديد فهذا يتمّ الحجّة على جميع أهل السنة والجماعة، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير ذي التحقيق أنّ إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

➔

➔

ثابتة بالنصّ والعقل، وقد تقدّم ذكر بعض هذه النصوص والأدلّة في المباحث السابقة والذي نستخلصه هنا هو أنّ مقتضى الأدلّة القرآنية والروايات المتّفق عليها بين جميع المسلمين هو أنّ الإمامة منصب إلهي وولاية شرعية وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

وكذلك إنّ النصوص القرآنية والروائية أيضاً تدلّ بالصراحة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام إماماً منصوباً من قبل الله عزّ وجلّ، وأنّه وليّ الله وتكون ولايته ثابتة شرعاً كولاية الله ورسوله كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾(سورة المائدة:٥٥).

قد بدأ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بكلمة «إنّما» التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في ثلاث و هم: الله ورسوله صلى الله عليه وآله والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وهم في حالة الركوع في الصلاة.

ومن الواضح أنّ المقصود من جملة: «الذين آمنوا...» شخص واحد لأنّ التعبير وإن كان بصيغة الجمع إلاّ أنّ المقصود منه العامّ الذي يكون منحصراً في مصداق واحد، لأنّ القضية هي قضية خارجية على نحو المشير، أي إشارة إلى شخص معين في الخارج، فيكون مدلول الجمع هوالفرد الواحد والمصداق المنحصر وهو مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأنّه الوحيد الذي أعطى الزكاة في حال الصلاة وبشأنه نزلت هذه الآية الكريمة.

وأمّا استعمال الجمع في مورد مصداق واحد فقد جاء بحثه في كتب الأدب العربي واشتمل القرآن الكريم على مثل هذه الجمل كما في آية المباهلة حيث قال تعالى: ونساءنا ونساءكم بصيغة الجمع مع أنّ المراد من نساءنا بإجماع المسلمين هي فاطمة الزهراء عليها السلام وحدها وكذلك في كلمة أنفسنا وهو الإمام امير المؤمنين عليه السلام وكذلك نقرأ في سورة آل عمران في قوله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً... (سورة آل عمران: ١٧٣). فقد ذكر المفسرون أنّ المقصود ليس إلا شخصاً واحداً وكذلك قوله تعالى: يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ... (المائدة: ٥٢) في حين انّ هذا

🡐

➔
الجزء من الآية نزلت في عبد الله بن أبيّ. وعلى الباحثين أن يراجعوا هذه الآيات ويلاحظوا ما ورد في تفسيرها وما ذكره المفسرون فيها.

فالتعبير بصيغة الجمع عن شخص واحد أمر ثابت في القواعد العربية مستعمل في القرآن الكريم.

وقد ذكر علماء الأدب في وجه ذلك أنّ السبب فيه إمّا أن يكون أهميّة موقع ذلك الشخص الذي عبّر عنه بصيغة الجمع، أو لتوضيح دوره الفعال في المقصد، أو لأجل عرض الحكم عليه بشيء يختصّ به وهو الوحيد والفريد بذلك فيكون منحصراً فيه.

وقد ورد في حقّ الله سبحانه وتعالى ضمير الجمع تعظيماً له جلّ شأنه.

فالآية الكريمة قد بينت أنّ الولاية الشرعية منحصرة في الموارد المذكورة في الآية وهم الله ورسوله والمؤمن الذي أعطى المال للفقير في حال ركوع صلاته إشارة إلى الشخص المعين في الخارج الذي له هذه الخصوصيات المنحصرة به.

ومن الواضح لدى الخبير أنّ الروايات المتواترة لدى الفريقين الواردة في تفسير الآية الكريمة واتفاق المفسرين والمحدثين والمؤرّخين على أنّ الآية الكريمة نزلت في شأن الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام من الأدلّة القطعيّة على إمامة مولانا امير المؤمنين عليه السلام وهناك آيات وروايات كثيرة تدل على إمامة مولانا امير المؤمنين عليه السلام، وسنتعرّض لها إن شاء الله في محلّه.

وكذلك الأدلّة العقلية القطعية أيضاً قائمة على إمامة مولانا امير المؤمنين عليه السلام فإنّها واضحة الدلالة نشير إلى بعضها فيما يأتي:

الأوّل: إنّ العقل يدرك وجوب اللطف على الله سبحانه وتعالى فكما أنّه يدرك وجوب إرسال الرسل بقاعدة اللطف كذلك يدرك وجوب تنصيب الإمام المعصوم من باب اللطف أيضاً، وعلى هذا الأساس فإنّ الله تعالى نصب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إماماً وعلماً لما بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

الثاني: إنّ الإمام يجب أن يكون أفضل الناس لأنّه حافظ للشريعة، فيجب أن يكون عالماً
➔

وما بيّناه بالوجوه السالفة وغيرها التي دلّت على عدم لياقة ابن أبي قحافة لهذه المنزلة[١].

➔

بجميع الأحكام المودعة في الكتاب والسنّة بعد انقطاع الوحي برحلة النبيﷺ وقصور الناس في فهم جميع أحكام الكتاب والسنة.

الثالث: إنّ فعل الأصلح واجب الاتباع عقلاً ويلزم على الله تعالى أن يبيّن الأصلح للعباد. لئلا يقعوا في التحريف والضلال. وهذا لا يتمّ إلّا بنصب الإمام المعصوم الأصلح الذي بوجوده يهتدي الناس إلى ما هو الصلاح، ويخرجهم عن الضلالة والتحريف.

الرابع: إنّ مرتبة الإمامة كالنبوة، فكما لا يجوز اختيار نبيّ كذلك لا يجوز اختيار الإمام ولا تعيينه من قبل الناس، لأنّهم قاصرون عن معرفة ما يصلح به حالهم فالعقل حاكم بأنّ الإمام لابدّ أن يكون بتنصيب الله عز وجل كما أنّ النبيّ يكون بعثه من قبل الله تعالى.

الخامس: كان النبيﷺ إذا سافر الى مكان عيّن على المدينة خليفة. وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز له أن يرحل عن هذه الدنيا إلّا وقد عيّن خليفة.

فلابّد أن يعيّن إماماً قبل رحيله ليرجع إليه الناس في جميع شؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

فهذه بعض الأدّلة النقلية والعقلية الدالّة على إمامة مولانا امير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

(١) لقد تقدّم ذكر بعض الاعترافات الصادرة من أبي بكر الدالّة على أنّه لا يصلح للإمامة، منها:

قوله: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص٨ والصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ص ٧ وكنز العمال للمتقي الهندي ج٣: ص ١٢٦.

فإنّه أخبر عن نفسه بطاعته من للشيطان عند الغضب وأنّ ذلك كانت عادةً جارية، فيشمله قوله تعالى: ألقى الشيطان في أمنيته... (سورة الحج: ٥٢).

➔

➔

والمراد من إلقاء الشيطان هو إغوائه وإضلاله وتسلّطه عليه. فمعنى قوله: إنّ لي شيطاناً يعتريني هو أنّ الإلقاءات الشيطانية والتسويلات النفسانية كانت تعتريه وتجعله إنساناً مطيعاً للشيطان فيما يدعوه إليه لأنّه قد مال إليه ولا يجد مفرّاً من ذلك. ولهذا قال: فقوّموني، فإنّ هذه العبارة صريحة في عدم تمكّنه من دفع الشيطان عن نفسه.

وهل يليق بالمسلمين أن يكون إمامهم مطيعاً للشيطان باعتراف نفسه؟!

ومنها قوله: أقيلوني فلست بخيركم... (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص١٨٣ وسيرة ابن هشام ج٢: ص ٦٦١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٧١.

ولا ريب أنّ هذه الإقالة هي الإقالة من الخلافة. وبعبارة أخرى: إنّ أبابكر نوّه بقوله هذا للمسلمين: فإن كنتم قد بايعتموني على أنّي أفضلكم وخيركم فأقيلوني البيعة، وذلك لأنّي لست بخيركم ولست أفضلكم وهذا عليعليه السلام فيكم (انظر تشييد المطاعن ج١: ص ١٤٩ نقلاً عن أبي حامد الغزالي في كتابه سرّ العالمين وإبطال الباطل لابن روزبهان وكذلك نقل عن الغزالي سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواصّ: ص١٦٢ وكذلك العلامة المجلسي في البحار ج٢٨: ص ٢٠١ نقلاً عن الغزالي وغيرهم).

وذكره القوشجي متكلّم أهل السنة في بيان إقرار أبي بكر قائلاً: وليتكم ولست بخيركم وعليّ فيكم (شرح تجريد الاعتقاد: ص ٢٧١ والمقصد الخامس في الإمامة).

فهذه العبارة أيضاً صريحة في مسألة الخلافة واعتراف منه بعدم لياقته بمنصب الإمامة.

وهذان العبارتان صريحتان في اعتراف أبي بكر بأنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أولى بالخلافة والولاية بعد النبيّصلى الله عليه وآله منه.

ومنها قوله: ليتني سألت رسول اللهصلى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حقّ (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص ٢٦٣).

وهذه عبارة أيضاً واضحة الدلالة على عدم استحقاق أبي بكر للخلافة و للإمامة لأنّه لو كان يعتقد في نفسه أنّه الأفضل فلماذا أراد أن يسأل النبيصلى الله عليه وآله هل كان للأنصار في أمر الخلافة نصيب؟!

وما قاله عمر غير موجب لنقض إمامة عليّ عليه السلام، فإنّ الله سبحانه أعلم بمصلحة عباده منهم وقد جعله إماماً على لسان رسوله ببيانات مختلفة على ما مرّ[١].

---

(١) وتوضيح المقام أنّ ما قاله عمر بن الخطاب بوجه النبي صلى الله عليه وآله في حديث القرطاس المتقدّم ذكره وذلك عندما أراد النبي صلى الله عليه وآله في مرضه أن يصرّح مرة أخرى وكتابةً باسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وطلب من الناس الكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً (فقال عمر): منعت من ذلك (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدج ١٢: ص ٢١).

ولا شكّ أن اعترافه هذا يكشف عن عدم مبالاته لارتكاب أيّ جريمة كانت في سبيل الوصول إلى الرئاسة وإن كانت تلك الجريمة معارضة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي الحقيقة هي معارضة الله ورسوله ودخول في الحرب مع الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿**فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ**﴾(سورة البقرة: ٢٧٩).

وبعبارة أوضح: في الحقيقة إعلان للحرب على الله ورسوله، فلم يبال من ذلك.

ويكفي لكلّ مسلم حرّ أن يلاحظ هذه القضية بالتأمّل ويرى مدى إجرام الخليفة في تجرّيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وتجاسره عليه وكونه بهذا العمل سبباً لضلالة الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يكتب كتاباً لن تضلّ الأمّة بعده، فمنع عمر من ذلك.

ثمّ لابدّ لأهل السنة والجماعة أن يقفوا عند هذه القضية بلا تعصّب إذا كانوا هم يعتقدون أيضاً بأنّ مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله مخالفة لقول الله عز وجل حيث قال تعالى وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (سورة الحشر:٧) وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (سورة آل عمران:٣٢) وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾... (سورة النساء: ٥٩) وإلى غير ذلك من الآيات الآمرة بوجوب طاعة الرسول. ولا ينبغي أن يرتاب أحد في دلالة الآيات على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله على كافّة المسلمين؛ لأنّ المأمور

←

وثالثها: ما زعمه من عدم قول صحابيّ بالنصّ على غير أبي بكر! فإنّه بهتان بيّن[(١)]

➔

بها في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول إطاعة مطلقة غير مشروطة بشرط ولا مقيّدة بقيد وهو الدليل على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء إلّا ما أمر الله به أو نهى عنه ولا يخالف حكم الله في شيء والّا كان فرض طاعته على الإطلاق تناقضاً منه تعالى وتقدّس ولا يتمّ ذلك إلّا بعصمته صلى الله عليه وآله.

فأهل السنة والجماعة لابدّ أن يفقوا عند هذه المعارضة من عمر بن الخطاب تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله ويرجعوا إلى القرآن الكريم وقول الله عز وجل حيث قال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (سورة الاحزاب: ٣٦) وغيرها من الآيات، فإنّ هذه الآية الكريمة صريحة في أنّه لا يحقّ لأحد من المؤمنين والمؤمنات التصرّف في ما قضى الله ورسوله في التشريع.

وبعبارة أُخرى: ليس لأحد من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله ورسوله أمراً في امورهم من الحكم الشرعي الراجع الى أعمال العباد او تصرفاً في شأن من شؤونهم فلا يكون لهم الاختيار في ذلك، أي؛ لابد لهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله والّا سوف يدخلوا في من قال الله تعالى في حقهم: فقد ضل ضلالاً مبيناً وايضاً قال تعالى: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ (سورة القصص: ٦٨).

فعمر بن الخطاب قد خالف القرآن بمعارضته لرسول الله صلى الله عليه وآله وخالف رسول الله صلى الله عليه وآله بالفعل فهو مشمول لقوله تعالى: فقد ضلّ ضلالاً مبيناً، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ الروايات والنصوص الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام متجاوزة عن حدّ التواتر، و قد وردت عن الصحابة بل وحتّى عن الخلفاء والأمراء الذين تصدّوا لإمارة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غصباً،

🡐

➔

ونحن نشير هنا الى جملة من تلك النصوص: منها ما رواه المحب الطبري بسنده عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يا عليّ ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ منّي كمنزلتي من ربّي (الرياض النضرة ج١: ص١٢٤).

ومنها ما رواه ابن مروية باسناده عن سالم موسى أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت مع علي عليه السلام في أرض نعمل إذ جاء أبو بكر وعمر إلى عليّ عليه السلام وقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقيل لهما: أكنتما تسلّمان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين؟ قال عمر: هكذا أمرنا النبي صلى الله عليه وآله (أرجح المطالب للشيخ الحافظ عبيد الله الامرتسري: ص ١٥

ومنها: ما رواه ابن حسنويه بسنده عن أنس بن مالك، قال: لمّا كان يوم المؤاخاة وآخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وعليّ عليه السلام واقف يراه ويعلم مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف عليّ عليه السلام باكي العين، قال صلى الله عليه وآله: يا بلال اذهب به فمضى بلال وأتى علياً وقد دخل منزله فرأته فاطمة عليها السلام فقالت: ما يبكيك لا أبكى الله عينك؟ قال عليه السلام: يا فاطمة، آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعلم مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد، قالت عليها السلام: لا يحزنك، لعلّك إنّما أخّرك لنفسه، فطرق بلال الباب وقال: يا عليّ، وأجب رسول الله صلى الله عليه وآله. فأتى عليّ إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليّ عليه السلام: آخيت بين وبين أحد، فقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّما أخّرتك لنفسي كما أمرني ربّي، قم يا أبا الحسن، فأخذ بيده ورقى المنبر وقال: اللّهم هذا منّي وأنا منه، إلاّ أنّه بمنزلة هارون من موسى، أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ومن كنت وليّه فعليّ وليّه، اللّهم قد بلّغت ما أمرتني به. ثمّ نزل وقد سرّ عليّ عليه السلام، فجعل الناس يبايعونه وعمر بن الخطاب يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة امرأة من يعاديك طالق طلقة (إحقاق الحق ج٦: ص٢٦٨ نقلا عن بحر المناقب لابن حسنويه، والرياض النضرة ج٣: ص ١٢٦ وأرجح المطالب للشيخ عبيد الله الامر تسري: ص١٥ والمناقب لابن المغازلي ص٤٢).

🡐

➔
ومنها: ما رواه محمد صالح الكشفي الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب قال: نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علما فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيد عليهم. قال عمر ابن الخطاب: يا رسول الله وكان في جنبي شابّ حسن الوجه طيّب الريح، قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله صلى الله عليه وآله عقداً لا يحلّه الّا منافق. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال: ياعمر إنّه ليس من ولد آدم لكنّه جبرئيل يؤكّد عليكم ما قلته في عليّ (الكوكب الدرّيّ للكشفي: ص ١٣١ المنقبة رقم ١٥٤) ورواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص ٢٨٤).

أقول: من الجدير بالذكر أنّه لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من مراسيم الغدير وخطبته الغرّاء وتنصيب الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام إماماً وخليفة علماً للمسلمين من بعده، وقوله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعليّ مولاه وسائر فقرات الخطبة ودعائه صلى الله عليه وآله وأمر الحاضرين رجالاً ونساءاً أن يبايعوا الإمام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين والخلافة من بعده، فكان الحاضرون يتهافتون باسم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويتسابقون للبيعة مع الإمام لامتثال أمر النبي صلى الله عليه وآله حتّى النساء بايعنه حيث وضع لهّن طست فيه ماء كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وآله، فكنّ يدخلن أيديهن فيه، وكان عليّ عليه السلام واضعاً يده أيضاً في الطست وهو جالس في الخيمة احترازاً من ملامسة الأجنبيات والتسليم عليهنّ بلا مصافحة.

وهكذا تمّت البيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ممّن حضر في غدير خمّ فأقرّوا جميعهم على أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مولاهم وأقرّوا له بالإتّباع والطاعة والتزام أوامره ونواهيه.

ولا شكّ أنّ حديث الغدير متواتر لدى الفريقين رواه كبار الصحابة وكان فيهم أبو بكر وعمر حتّى أنّهما قالا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وأمره بالبيعة لعلي عليه السلام: بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة وروى هذه الروايات العلامة الأميني في كتابه الغدير ج١: ص ٢٧٢ـ ٢٧٣.
🡐

قد عرفته من الوجوه السالفة، فإنّ كلّ من روى خبر المنزلة[(١)] من الصحابة

➔

ثمّ إنّ أبا بكر استقال عن الخلافة واعترف على المنبر بأولويّة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة: فقال: أقيلوني البيعة ولست بخيركم وعليّ فيكم (رواه أبو حامد الغزالي في سرّ العالمين وابن روزبهان في إبطال الباطل (انظر تشييد المطاعن ج١: ص١٤٩ نقلا عن الغزالي وروزبهان وكذلك سبط ابن الجوزي في التذكرة: ص٦٢). فعلى القارئ الكريم التأمل في القضيّتين، ثمّ الحكم له في ذلك.

(١) وهو قول النبي صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

قد روى هذا الحديث أكثر من ثلاثين صحابيّاً عن النبي صلى الله عليه وآله، وربما يبلغون الأربعين إن أضفنا إليهم النساء كأم سلمة وأسماء بنت عميس وغيرهما.

يقول ابن عبد البرّ في الاستيعاب: هذا الحديث من أثبت الأخبار وأصحّها وطرق حديث سعد بن أبي وقاص كثيرة جداً... ثمّ عدة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال: وجماعة يطول ذكرهم (انظر الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩٧).

وهكذا المزّي في تهذيب الكمال ج٢: ص ٤٨٢ وقال ابن عساكر: وكثيراً من طرق هذا الحديث وأسانيده من عشرين من الصحابة تقريباً (ترجمة الإمام علي عليه السلام ج١: ص ٣٠٦ـ ٣٩٣).

وقال ابن حجر في شرح صحيح البخاري بعد ذكر أسماء عدّة من الصحابة الذين رووا حديث المنزلة: إنّه قد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام... (انظر فتح الباري ج٧: ص ٦٠).

وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم في صحيحهما الذين هما أصح الكتب عند أهل السنة والجماعة بعد القرآن الكريم (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٨ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم وج٥: ص١٢٩ كتاب المغازي باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام).

➔

➔

وقد رواه جميع أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنة والجماعة بأسناد عديدة، فهو متواتر عندهم.

يقول الحاكم النيسابوري: وهذا الحديث دخل في حدّ التواتر (انظر كفاية الطالب للحافظ الكنجي: ص٢٨٣ نقلاً عن الحاكم النيسابوري).

فالحديث من جهة السند معتبر بإجماع المسلمين كافّة من دون استثناء.

وأمّا من جهة الدلالة فهو واضح الدلالة في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث إنّ النبي صلى الله عليه وآله بيّن فيه أنّ جميع منازل هارون من موسى يكون للإمام أمير المؤمنين علي أبي طالب عليه السلام بالنسبة إليه الّا النبوّة، فلابدّ أن نرى ما هي منازل هارون من موسى حتّى نعرف معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى».

ويلزم علينا أن نعرف منازل هارون من موسى من القرآن الكريم ونستفيد من الآيات المباركة منازل هارون من موسى فالمنزلة الأولى النبوة: قال الله تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً**﴾ (سورة مريم: ٥٣).

والمنزلة الثانية: الوزارة، قال الله تعالى عن لسان موسى: وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي (سورة طه: ٢٩) وقال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (سورة الفرقان: ٣٥). وقال تعالى عن لسان موسى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ (سورة القصص: ٣٤).

المنزلة الثالثة: الخلافة: قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة الاعراف: ١٤٢).

المنزلة الرابعة: القرابة القريبة: قال الله تعالة: وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (طه: ٣٢).

هذه المنازل التي يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث المنزلة جميعها للإمام امير المؤمنين عليه السلام إلّا النبوة.

والفارق الوحيد بين الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهارون في المراتب

🡐

وهم يزيدون عن ثلاثين قائلون بإماته عليه السلام(١)

➔

والمقامات والمنازل المعنويّة الثابتة لهارون هو أنّ هارون كان نبيّاً والإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن نبياً لأنّ النبوة ختمت بنبيّ الإسلام، ولذلك ورد في ذيل بعض متون حديث المنزلة: لو كان لكنته (انظر تاريخ بغداد ج٤: ص ٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١٧٦).

يشهد له أيضاً قول أمير المؤمنين في خطبته المعروفة: ولقد علمتم موقفي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني الى صدره ويكتفني في فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرفه وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كزبة يقول ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله له صلى الله عليه وآله من لدن أن كان قطيعاً أعظم ملك من ملائكة يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد يجاورني الجراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوّة.... (نهج البلاغة الخطبة رقم ١٩٢ وهي الخطبة المعروفة بالقاصعة).

إذن من منازل هارون من موسى الخلافة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلاحظ.

(١) قال ابن عبد البرّ: ورواة هذا الحديث من الصحابة أكثر من ثلاثين وربما يبلغون الأربعين رجلاً وامرأة، وهو من أثبت الأخبار و أصحّها.. وطرق حديث سعد بن أبي وقّاص كثيرة جداً، فذكر عدّة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس و جابر بن عبد الله الأنصاري و عبدالله بن مسعود و سعد بن أبي وقاص وعمر بن الخطاب وأبوسعيد الخدري والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو أيوب الأنصاري ومعاوية بن أبي سفيان .. وجماعة يطول ذكرهم (انظر الاستيعاب ج٢: ص ١٠٩٧)

وقال المزّي في تهذيب الكمال ج٢: ص ٤٨٢ وكذلك ابن عساكر في ترجمة الإمام

➔

ومن روى خبر الغدير[١] منهم وهم يزيدون على المائة حسبما خرّجه عنهم ابن عقدة[٢]،

←

علي عليه السلام ج١: ص ٣٠٦ ـ ٣٩٣ وقال ابن حجر العسقلاني بعد ذكر أسماء عدّة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث: إنّه قد استوعب طرقه ابن عساكر في ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب... (انظر فتح الباري ج٧: ص ٦٠)

(١) إنّ حديث الغدير من أشهر الأحاديث المتواترة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم كما لا يخفى ذلك على من راجع المصادر الإسلامية وأسفارهم وجوامعهم الحديثية من الشيعة وأهل السنة والجماعة، بل و يكون تواتره في أعلى درجة عند الباحثين والمحققين حيث صرّح بذلك كبار علماء أهل السنة والجماعة كشمس الدين الذهبي قال في ترجمة المطلب بن زياد: هذا حديث (حديث الغدير) حسن عال جداً ومتنه فمتواتر (سير أعلام النبلاء ج٨: ص ٣٣٥) وغيره من أعلامهم وسنذكر أقوالهم في محلّه إن شاء الله تعالى.

وقد جمعها العلاّمة الأميني في كتابه الغدير ثمّ رواة الحديث قرناً بعد قرن فرواه عن مائة وعشرين صحابياً وتسع وثمانين تابعياً وثلاثة آلاف وخمسمائة من العلماء والمحدّثين من المصنفين من أهل السنة والجماعة الذين رووا هذا الحديث الشريف (انظر الغدير ج١: ص ١٢ ـ ٤١٠) فحديث الغدير من هاتيك الحقائق تجد الناس إلباً واحداً في روايته، ويهتف به الموالي ويعترف به الناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام.

(٢) وهو أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة، قال الذهبي في ترجمته: أبو العباس الكوفي الحافظ العلامة، أحد أعلام الحديث ونادرة الزمان وصاحب التصانيف وهو المعروف بالحافظ ابن عقدة.... مات سنة ٣٣٣هـ.. (انظر سير أعلام النبلاء ج١٥: ص٣٠٤).

وأمّا بالنسبة الى ما قاله ابن عقدة في كتابه الولاية فقد قال ابن حجر العسقلاني: وأمّا

←

بل من حضر غدير خمّ جميعهم عالمون بإمامة عليّ عليه السلام [١]، بل الصحابة

➔

حديث من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جدّاً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحيح وحسان.... (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٧: ص٦١).

وقال في كتاب الإصابة: قد روى ابن عقدة عن مائة وخمس صحابياً رووا حديث الغدير في كتاب الولاية.... (انظر الإصابة ج ٤: ص٣٢٦).

ومثله ابن الأثير في أسد الغابة ج٣: ص٢٧٤. وقد طبع أخيراً كتاب الولاية لابن عقدة وجاء فيه ذلك (انظر الولاية: ص١٣٨).

(١) لا يخفى على الباحث المتتبّع في كتب الأخبار أسماء الصحابة الذين رووا حديث الغدير عن النبي صلى الله عليه وآله فإنّها مذكورة في الآثار الثابتة والجوامع الحديثية، وقد روى أرباب الصحاح والمسانيد والسنن حديث الغدير بأسناد صحيحة طبقة بعد طبقة من الرواة إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وقد أحصى العلامة الأميني في كتابه الغدير مائة وعشرة من الصحابة الذين رووا حديث الغدير عن النبي صلى الله عليه وآله على ترتيب الحروف الهجائية ابتداءً من أبي هريرة وانتهاءً بأبي مرازم يعلى بن مرّة وكلّها من مصادر أهل السنة والجماعة.... (لاحظ الغدير ج ١: ص١٥١).

كما أنّ السيد عبد العزيز الطباطبائي استدرك بعضاً آخر وأضافهم الى من روى حديث الغدير من الصحابة (لاحظ كتاب على ضفاف الغدير).

ثمّ إنّه صرّح كثير من علماء أهل السنة والجماعة بتواتر حديث الغدير. وهذا يكشف عن أنّ حديث الغدير كان من الأحاديث المتفق عليها التي لم تخف على أحد من الصحابة أو التابعين وعلماء الاسلام، فيبدوا أنّ الحديث من الضروريات التي لايمكن إنكاره، لأنّه مذكور في ثلاثمائة وستين مصدراً من مصادر أهل السنة والجماعة ولمن أراد التحقيق حول الموضوع فليراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني قدس سره.

بأسرهم عالمون بإمامته وإمامة ولده من خبر الثقلين[١]؛

---

(١) فإنّ حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة بين الفريقين وهو من أشهر الأحاديث النبوية وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين، وقد تكرّر هذا الحديث من النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في مواضع كثيرة سنذكرها إن شاء الله تعالى.

وهو من أوثق الأحاديث النبوية عند أهل السنة والجماعة وأقواها صحة وقد ذكر المناوي عن السمهودي أنّه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلّهم رووا هذا الحديث... (انظر فيض القدير ج٣: ص١٤).

وقال ابن حجر المكي: ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيّف عشرين صحابياً... (الصواعق المحرقة: ص١٣٦).

وقال السخاوي: إنّ حديث الثقلين هذا مرويّ عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم وجابر وحذيفة بن أسيد الغفاري وخزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وضميرة وعامر بن أبي ليلى وعبد الثرى بن عوف وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعديّ بن حاتم وعقبة بن عامر وعلي بن ابي طالبعليه السلام وأبي ذر وأبي رافع وأبي تسريح لخزاعي وأبي قدامة الأنصاري وأبي هريرة وأبي الهيثم بن التيهان وأم مسلمة وأم هاني بنت أبي طالب و ورجال من قريش... (استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي الشافعي: ص٤٠ مخطوط).

وقد أفرد العلامة السيد ميرحامد حسين قدس سره لحديث الثقلين جزئين من موسوعته؛ عبقات الأنوار

هذا و روى السمهودي بإسناده عن النبيصلى الله عليه وآله قال: قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، سببه بيده وسببه بأيدكم وأهل بيتي (جواهر العقدين: ص١٧٢).

وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سهرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم فما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا

←

لسماعهم له يوم عرفة[1]،

➔

تكلفو فيه ثمّ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فحمدالله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فيه، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي (صحيح مسلم ج٤: ص كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام) وغيرهم.

فهذا يدلّ بالصراحة على حصر الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ويدلّ أيضاً على عصمتهم؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قرن أهل بيته بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن الطبيعيّ أنّ أيّ انحراف منهم عن الدين يعتبر افتراقاً عن الكتاب العزيز، وقد صرّح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الحديث بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (انظر مجمع الزوائدج٩: ص١٦٤) ورواه ابن عساكر في ترجمته الإمام عليّ بن ابي طالب عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ج٢: ص٤٥ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج: ص في الباب الرابع والطبراني في معجمه الكبير ج: ص والسمهودي في جواهر العقدين: ص١٦٩ والسخاوي في استجلاب ارتقاء الطرق: ص٤٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١: ص١٨٨ والحمويني في فرائد السمطين ج٢: ص٢٧٤ وغيرهم.

(١) لقد أخرج الترمذي في سننه بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

ثمّ قال الترمذي: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد... (سنن البيهقي ج٥: ص٣٢٨ رقم ٣٨٧٤).

ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ج٥: ص٨٩ وفي معجمه الكبير ج٣: ص ٦٦ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٢٣٢ وابن كثير في تفسيره ج٤: ص١٢٣ والمزّي في

➔

ويوم الغدير[(١)]، وفي غزوة الطائف[(٢)]، وفـي الحجـرة المقدّسـة وقـد غـصّت

➔

تهذيب الكمال ج١٠: ص٥١ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص٩٩ والمقريزي في إمتاع الأسماع ج٦: ص١٤ وغيرهم.

(١) لقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن الطفيل عن زيد بن أرقم أنّه قال: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فغممن، فقال: كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله عز وجل مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن. ثمّ أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه. وذكر الحديث بطوله.

ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه بطوله (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٠٩) ورواه النسائي في سننه الكبرى ج٥: ص٤٥ وفي خصائصه: ص٩٢ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص١٠٤ والآلوسي في تفسيره ج٦: ص١٩٤ وابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص٢٢٨ وفي سيرته ج٤: ص٤١٦ وغيرهم.

(٢) هناك روايتان، الأولى ما تدلّ على بعد محاصرته في الطائف وهي ما أخرجه الهيثمي بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: لمّا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة انصرف الى الطائف فحاصرها سبع عشرة أو ثمان عشرة لم يفتتحها، ثمّ أوغل روحه أو غدوه ثمّ نزل ثم هجر فقال: يا أيّها الناس إنّي فرط لكم وأوصيكم بعترتي خيراً وإنّ موعدكم الحوض. والذي نفسي بيده ليقيموا الصلاة وليؤتوا الزكاة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً منّي أو لنفسي فليضربنّ أعناق مقاتليهم وليسبينّ ذراريهم قال فرأى الناس أنّه أبو بكر أو عمر! وأخذ بيد عليّ فقال: هذا هو.... (مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٤) ورواه ابن أبي شيبة الكوفي في المصنّف ج٧: ص٤٩٨ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٤٣ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج١: ص١٢٤ وغيرهم.

➔

بهم[1]. إلى غير هذه من النصوص التي علم منها تقدّم عليّ عليه السلام على غيره

←

والثانية ما أخرجه ابن حجر المكي حيث قال: ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً.. في بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنّه قال ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف. ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه صلى الله عليه وآله كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة... (الصواعق المحرقة ص١٣٥).

(١) لقد أخرج السمهودي بسنده عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس! يوشك أن أقبض سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عز وجل، وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض فأسألها ما خلّفت فيهما (جواهر العقدين: ص٢٤٠) ومثله ما أخرجه ابن حجر الهيثمي في صواعقه قال: وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله قال في مرض موته: أيها الناس يوشك أن اقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي (وقد قدّمت إليكم معذرة إليكم) ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عز وجل وعترتي أهل بيتي. ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض، فسألهما ما خلقت فيهما (الصواعق المحرقة: ص١٢٦).

وهناك طوائف أخرى من الروايات التي صدرت من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في أماكن أخرى مثل صدور الحديث عند زمزم في حجّة الوداع (لاحظ تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١٠٢ـ ٩٩).

و في مسجد الخيف في حجّة الوداع (لاحظ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ج١: ص١٠٩).

و في الجحفة (انظر جوهر العقدين للسمهودي: ص٢٣٥).

و في رابغ (انظر الصواعق المحرقة: ص٢٢٨).

و بين مكة والمدينة (انظر كتاب الاعتقاد للبيهقي: ص٢٥٤).

←

بالفضل[1].

فإن قيل: فما الذي أعمى بصائرهم عن هذه النصوص المعروفة المعلومة لديهم فاتفقت كلمتهم وهم اُلوف متألفة على مخالفة هذه النصوص جميعها ولم يصل فضل من أبي بكر إليهم يوجب عليهم رعايته، فمن المحال اتفاق اُلوف عديدة مختلفي المقاصد والهمّ بغتة بغير حجّة شرعيّة بيّنة دعتهم الى ذلك[2]؟

➔

و في المسجد النبويّ في المدينة المنورة (انظر جواهر العقدين للسمهودي: ص٢٣٤) وغيرها من الأمكنة.

كما أنّ هناك روايات أخرى صدرت من النبيﷺ في أزمنة مختلفة وبعبارات مختلفة لا يسعنا المجال لذكرها هنا.

(١) وذلك كحديث السفينة وحديث المؤاخاة وحديث الطير وحديث الكساء، وأنا مدينة العلم وعليّ بابها، وحديث الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ، وحديث سدّ الأبواب وحديث الراية وحديث خاصف النعل وغيرها من الأحاديث، وسيأتي ذكرها إن شاء الله في محلّه.

(٢) وبعبارة أوضح: إنّه قد يتوجه هذا السؤال الى أذهان بعض العوامّ بأنّ الأغلبيّة والأكثريّة في كلّ أمّة أو شعب هل تكون معياراً للحقّ أو لا؟

وإذا استنطقنا القرآن الكريم في صدد الإجابة عن هذا السؤال نجد أنّه قد جعل معياراً واضحاً لمعرفة الحق وميزاناً معيناً لتمييزه عن الباطل فلابدّ من مراجعة القرآن الكريم والدراسة العلمية حول الموضوع. وعند ما نرجع إلى القرآن الكريم نجد هناك آيات عديدة تعطينا المعيار والميزان لمعرفة الحقّ.

منها: قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾ (سورة يونس: ١٠٨).

🡐

➔
فإنّ هذه الآية الكريمة صريحة في أنّ ما جاء من عند الله هو الحقّ وأنّ من يهتد به فهو في طريق الحقّ ومن لم يهتد بما جاء من قبل الله فهو الضالّ. فالميزان والمعيار في الحقّ هو ما جاء من عند الله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**﴾(سورة آل عمران: ص٧).

فإنّ القرآن الكريم كتاب عظيم فيه آيات صريحة واضحة وهي التي تعتبر الأساس والأصل، وهي الآيات المحكمات، والمقصود بها هي أنّ ذات مفاهيمها واضحة صريحة بحيث لا مجال للجدل و الخلاف في شأنها، كقوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وغيرها من الآيات المحكمة المتّفق على مفهومها جميع المسلمين قاطبة وهي التي تتعلّق بها العقائد الأساسية والدينية والأحكام الشرعية الثابتة والمواعظ وغيرها، فهذه الأمور التي جاءت في الآيات المحكمة تسمّى بالمحكمات، وهنّ أم الكتاب، أي الأصل والمرجع والموضح للآيات المتشابهة.

ومن هنا يعرف معنى المتشابه وهي الآيات الغامضة في مفهومها وهي التي تكون معانيها معقّدة وذات احتمالات لعلوّ مفاهيمها وعمق معارفها أو لجهات أُخرى، ولكن قد تتّضح معانيها من خلال الآيات المحكمة أو الروايات الواردة عن النبيﷺ وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم.

فالقرآن يبيّن لنا الميزان والمعيار للحقّ بشكل واضح فيقول: إنّ الإنسان الذي يريد الحقّ والحقيقة يأخذ بالمحكمات ويرجع المتشابهات بالمحكمات. وأمّا من لا يريد الحقّ واقعاً فيتمسّك بالمتشابهات، لانّ المتشابه فيها احتمالات كثيرة، فيريد بذلك إثارة الفتنة والفساد وعين الباطل.

وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم يبيّن الله تعالى فيها المعيار للحقّ والباطل ولم يرد فيها
➔

قيل: إنّ ذلك مردود بما فعله قوم موسى بعد أن جعل أخاه هارون خليفة عليهم فأمرهم بطاعته فعصوه دفعة عابدين للعجل، وقد صدر عزمهم على قتله ولم يصدر منه ما يوجب بغضهم له، ومعصيته وهم ألوف عديدة. فما الذي أعمى بصائرهم بعد علمهم بأنّ هارون خليفة موسى يجب طاعته عليهم فعصوه بأجمعهم دفعة متابعين لما زخرفه السامريّ فتابعوه على عبادة العجل[1]، وقد قال صلى الله عليه وآله للتتبعنّ سنن من كان قبلكم... الخبر الثابت في

←

أنّ المعيار والميزان للحقّ الأكثرية أو الغلبة ولا القلّة بل وهناك آيات محكمة تدلّ على أنّ أكثر الناس لايؤمنون بالله حقّاً كما في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(سورة البقرة: ١٠٠)

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: ١٣)

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الانعام: ٣٧) وإلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّ الأكثرية هم غير المؤمنين. وسنذكر الآيات إن شاء الله في محلّه، فلاحظ.

(١) قد ذكر سبحانه وتعالى قصّة موسى عليه السلام في عدد من سور القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (سورة المؤمنون: ٤٥ـ ٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾(سورة الفرقان: ٣٥ـ ٣٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم

→

➔

مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(سورة الشعراء: ١٠-١٧).

وقال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾(سورة القصص: ٣٥).

وقا ل تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (سورة طه: ٢٤- ٣١).

قال تعالى: وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(سورة الاحزاب: ١٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ (سورة الاعراف: ١٤٨).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(سورة الاعراف: ١٥٠).

وغيرها من الآيات، فإنّ فرعون كان وقومه يعبدون الأصنام ثمّ بعد ذلك ادّعى الربوبيّة فقال لقومه كما في القرآن: أنا ربّكم الأعلى (سورة النازعات: ٢٤). فبعث الله موسى وأخاه هارون الى فرعون وملئه فاستكبروا فأخذهم الله بالعذاب ثمّ آمنت بنو اسرائيل بأجمعهم بموسى عليه السلام. ولمّا أمر الله موسى أن يأتي إلى ميقات ربّه أربعين ليلة أضلّهم السامريّ وجعلهم عبدة العجل مع أنّ موسى عليه السلام أوصى بهم أن يرجعوا الى خليفته هارون ولكن عصوا أمر نبيهم وكادوا أن يقتلوا هارون لكونه مانعاً من عبادة العجل.

➔

الصحيحين وغيرهما[1]،

➔
هذه القصة تدلّنا على أنّ الأكثريّة قد تكون في جانب الكفر وقد تكون في جانب الإيمان، وكم لها من نظير، فلاحظ.

(١) لقد أخرج علماء الحديث من أهل السنة والجماعة الروايات عن النبي الأكرمﷺ أنّه حذر المسلمين مراراً وتكراراً من الانحراف بعده، وفي نفس الوقت أخبرهم بأنّ ذلك سيكون فقال: لتتبعنّ من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم، قلنا: يا رسول اللهﷺ اليهود والنصارى قال: فمن؟ أو قال: وهل الناس إلّا أولئك.

وردت هذه الرواية في عامّة مصادر أهل السنة والجماعة، وإليك بعض ما جاء في أهمّ مصادرهم انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤ كتاب بدء الخلق باب ما ذكر عن بني إسرائيل وج٨: ص١٥١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبيﷺ لتتبعنّ سنن من كان قبلكم وصحيح مسلم ج: ص٥٧ كتاب العلم باب اتّباع سنن اليهود والنصارى ومسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٣٢٧ و ص ٤٥ وص٥١١ وص ٥٢٧ وج٣: ص٨٤و ص٨٩و ص٩٤ و سنن ابن ماجة ج٢: ص ١٣٢٢ والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص٣٧ والمصنف لعبد الرزاق الصفاني ج١١: ص٣٦٩ والمصنف لابن أبي شيبةج٨: ص٦٣٤ وكتاب السنة لابن أبي عاصم: ص٣٦ وصحيح ابن حبان ج١٥: ص٩٥ والمعجم الكبير للطبراني ج٦: ص١٨٦ وتفسير السمعاني ج٢: ص٢٢٦ وتفسير البغوي ج٢: ص٣٠٩ وتفسير القرطبي ج٨: ص٢٠١ وتفسير ابن كثير ج٢: ص٣٨٢ وتفسير الثعالبي ج٣: ص٧٢ وتفسير الطنطاوي ج٦: ص٢٧٢ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٤: ص٤٤١ وفتح الباري لابن حجرج ٦: ص ٣٦٠ وج١٢: ص٢٥٤ وعمدة القاري للعيني ج١٦: ص٤٢ وتحفة الأحوذي للمباركفوري ج٦: ص٣٣٩ والتمهيد لابن عبد البر ج٥: ص٤٥ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١١: ص١٣٣ وفيض القدير للمناوي ج٥: ص٣٣٢ وغيرها من المصادر.

ونصّ في ذيله على كونهم اليهود والنصارى[1]. ومردود أيضاً بما فعله

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيﷺ قال: لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟! (صحيح البخاري ج٤: ص١٤٤ كتاب بدء الخلق باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ورواه في كتاب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبيﷺ، لتتبعنّ سنن من قبلكم صحيح البخاري ج٨: ص١٥١ ورواه مسلم في صحيحه ج٨: ص٥٧ كتاب العلم باب اتّباع سنن اليهود والنصارى

وقال ابن حجر العسقلاني في شرح جواب النبيﷺ عن سؤال السائل((يا رسول الله اليهود والنصارى فقال: فمن؟!)) فإنّ قولهﷺ فمن استفهام إنكاري، أي ليس المراد غيرهم (فتح الباري ج٦: ص ٣٦٠).

وقال في مكان آخر: قولهﷺ: فمن استفهام إنكاري، والتقدير فمن هم غير أولئك؟ (فتح الباري ج١٣: ص٢٥٥).

وقال العيني: لتتبعنّ سنن من قبلكم اتّباعاً بشبر وذراع، هذا كناية عن شدّة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي.... فقالوا: يا رسول الله هم اليهود والنصارى قال: فمن؟! أي قال رسول اللهﷺ: فمن غيرهم؟!، وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي ليس المراد غيرهم (عمدة القاري ج١٦: ص٤٤).

وقال المباركفوري في شرح الحديث: رواه الحاكم عن ابن عباس وفي آخره وحتّى لو أنّ أحدكم امرأته في الطريق لفعلتموه، قال المنادي إسناده صحيح، والسنّة لغة: الطريقة، حسنة كانت أو سيئة. والمراد: هذا طريقة أهل الهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما التي على بني اسرائيل حذوا النعل بالنعل.... (تحفة الأحوذي ج٦: ص٣٣٩).

وقال المناوي: إنّ هذا لفظ (اي لتتبعنّ) خبر معناه النهي عن اتّباعهم ومنعهم من الالتقات لغير دين الإسلام لأن نوره قد بهر الأنوار وشرعته نسخت الشرايع، وذا من معجزاته، فقد اتبع كثير سنن فارس في شيعتهم ومراكبهم وملابسهم....(فتح القدير ج٥: ص٣٢٣).

←

الصحابة بعد المصالحة في الحديبية من عصيان الرسولﷺ وهم ألف وأربعمائة، بعد أمره لهم بالحلق والذبح ثلاث دفعات فلم يطيعوه وهم عالمون بأنّه رسول الله تجب طاعته. فما الذي أعمى بصائرهم يومئذ، فاتفقت بغتة على معصيته بعد تكرير أمره بذلك ثلاث دفعات؟ فهل نزل عليهم وحي بوجوب معصيته وحرمة طاعته؟ فتدبّر يا حبيبي فيما فعله الصحابة في هذه القصة[1] فإنّه قد روى ذلك عنهم في الدر المنثور عن ابن

➔

وفي حديث أخرجه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: والذي نفسي بيده لتتبعنّ سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً فباعا حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه. قالوا: ومن هم يا رسول اللهﷺ، أهل الكتاب؟ قال فمن فمه (مسند أحمد بن حنبل ج٢: ص٣٢٧) رواه الطبري في تفسيره ج١٠ ص٢٢٥ وابن كثير في تفسيره ج٢: ص٣٨٢ وغيرهم.

(١) لقد أخرج المؤرّخون والمحدّثون وغيرهم من علماء الإسلام واقعة صلح الحديبيّة وما ترتب عليها من الأحداث التي بها تأثير واضح في معرفة أحوال الصحابة ومواقفهم عند أوامر النبيﷺ ونواهيه.

ونحن نذكر هنا خلاصة ما ذكره علماء أهل السنة والجماعة ليعرف الباحث حقيقة الصحابة قبال أوامر النبيﷺ ونواهيه. وإليك ملخّص ما جاء في كتبهم:

لما انهزم الكفار والمشركون من الأحزاب وفشلت حملتهم على المدينة غزا النبيﷺ حلفائهم بني قريظة وأجلاهم عن المدينة وغزا بني المصطلق الذين كانوا مجتمعين للغارة على المدينة وسيطر النبيﷺ على شعاع واسع من محيط المدينة حتّى وصل نجداً.

وقد قرّر رسول اللهﷺ أن يسير بأصحابه من المدينة المنوّرة الى مكة لزيارة بيت الله الحرام

➔

➔

بعد أن رأى في منامه أنّه يدخله هو وأصحابه آمنيين من غير قتال كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (سورة الفتح: ٢٧).

وقد توجّه النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نحو مكّة ومعه ما يقرب من ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، وذلك في أوّل من ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وقد ساقوا معهم سبعين بدنة هدياً لتنحر في مكة.

ولمّا وصل الخبر الى قريش أنّ رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عازم للعمرة زعمت وظنّت أنّ رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يريد الهجوم عليها فراحت تتدارس المواقف وتعدّ نفسها لصدّه عن بيت الله الحرام. ولمّا بلغ النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أخبار قريش والتهيوء لقتاله غيّر مسيره وسلك طريقاً غير الطريق الذي سلكته قوات قريش متوجّهة لقتاله إلى أن وصل وادي الحديبيّة، وهي قرية سمّيت ببئر هناك، وبينها وبين مكّة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل. والمرحلة هي المسافة التي يقطعها المسافر في يوم سيراً على الأقدام أو على الدوابّ سيراً معتاداً، و الجمع مراحل. وحسب المحاسبات يقولون: المقصود بها ثمانين كيلومتراً.

ولمّا نزل رسول الله بالحديبية بعث أحد أصحابه ليخبرهم أنّه أتى ليعتمر للقتال فأرسل قريش سهيل بن عمر لعقد الصلح مع رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فلمّا رأى رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ سهلاً قال له: لكم أمركم. فتكلّم سهل طويلاً ثمّ اتفقا على قواعد الصلح.

ولمّا رأى عمر بن الخطاب مصالحة النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عارض النبيصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ معارضة شديدة فجاء الى النبيّصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وقال: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ فقال رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: بلى، قال عمر: فلم تعطي الدنية في ديننا إذن، قال رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري (أي لا اعصي الله وهو ناصري) قال عمر أولست كنت تحدّثنا أن سنأتي البيت فنطوف به؟! قال رسول اللهصَلَّاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: بلى وأخبرتك أنّا نأتيه العام قال عمر: لا قال: فإنّك آتيه.

🡐

➔
ثمّ جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فقال له: يا أبا بكر أليس هذا نبيّ الله حقاً؟! قال: بلى ثمّ سأله عمر نفس الأسئلة التي سألها رسول اللهﷺ وأجابه أبو بكر بنفس الأجوبة (انظر صحيح مسلم ج٥: ص ١٧٥ كتاب المغازي باب صلح الحديبية).

وفي الحقيقة أنّ الباحث لو يلاحظ ما سأل رسول اللهﷺ يذعن بأنّ الرجل لم يكن يؤمن برسول اللهﷺ حقّاً حيث إنّه أنكر على رسول اللهﷺ قوله، ثمّ يذكّره النبي ﷺ بأنّي رسول الله، ومعنى ذلك أنّه لو كنت تعتقد بأنّي رسول الله ما كنت تشكّ في قولي. فهذه الأقوال والتصرّفات من الخليفة عمر بن الخطاب ومعارضته للنبي الأكرمﷺ يكشف بوضوح عن عدم اعتقاد الرجل بعصمة النبيﷺ حتّى في تبليغ الوحي، بل لم يكن يرى بأساً من النهي عمّا يقوله النبيﷺ ويفعله.

وفي روايات عديدة أنّ عمر بن الخطاب عندما تحدّث مع رسول اللهﷺ رجع متغيّضاً رغم ردود النبيﷺ. فقد روي في حديث أنّه قال رسول اللهﷺ: يا ابن الخطّاب إنّي رسول اللهﷺ ولن بضيّعني الله أُبداً. فرجع متغيظاً فلم يصبر حتّى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحقّ... (صحيح مسلم ج٥: ص١٧٥ كتاب المغازي باب صلح الحديبية).

وقال كما في الصحيح: والله ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذٍ، وجعل يردّ رسول اللهﷺ... (انظر سبل الهدى والرشاد ج٥: ص٥٢ والمعجم الكبير ج١: ص٧٨ ومجمع الزوائد ج١: ص١٧٩ وج٦: ص١٤٦ وغيرها).

ثمّ إنّ رجالاً من المسلمين قد دخلوا مكّة بأمر رسول اللهﷺ فأمر رسول اللهﷺ عمر بن الخطّاب أن يذهب معهم إلى مكّة، فرفض عمر قول النبيﷺ وقال: يا رسول الله إنّ عشيرتي قليل وإنّي فيهم على ما تعلم.... (انظر الدرّ المنثور ج٦: ص٧٤).

أقول: إنّ عداوة قريش لعمر كعداوتها لأيّ فرد من المسلمين، بل هي أقلّ وأضعف كما أظهرته الوقائع في حرب أحد حيث إنّ الأمارات العديدة تشير الى أنّ عدّة من قادة قريش كانوا يعطفون على عمر، والمحبّة منهم له وسيعة وكانوا يحفظونه من الضرر.

فقد قال له ضرار بن الخطّاب بعد أن ضربه بالقناة: والله ما كنت لأقتلك. ويضاف إلى ذلك أنّ
🡐

همام وأحمد وعبد بن حميد والبخاري والسجستاني والنسائي و ابن جرير عن المسور بن مخرمة وغيره[1]، فستعلم بأنّ المعيار في معرفة الحقّ وتمييزه عن الباطل هو قول الله وقول رسوله ولو خالفهما أهل الدنيا[2]. وقد عرفت

←

خالد بن الوليد لقي عمر بن الخطاب في اُحد وما معه أحد فنكب عنه وخشي أن يؤذيه أحد ممّن كان معه، فأشار إليه أن يتوجّه إلى الشعب لينجو منهم، وقد هنأه أبو سفيان على ما اعتبره نصراً له في الجولة الأولى، حيث قال له: انعمت علينا بقتلى بدر.... قد انعمت يا بن الخطاب (البداية النهاية ج٤: ص٥٠).

وبعد حصول الاتفاقية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل مكة رجع سهيل من عمر وأصحابه إلى مكة، وأمّا رسول الله صلى الله عليه وآله فقد نحر هديه وحلق وأمر أصحابه بالنحر والحلق، وأقام بالحديبيّة بضعة عشر يوماً، ثمّ رجع إلى المدينة المنوّرة وروى جميع أصحاب الصحاح أنّ الصحابة لم يمتثلوا أمر النبي صلى الله عليه وآله حين ما قال صلى الله عليه وآله: قوموا فانحروا ثمّ احلقوا.... قال الراوي اعترض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه ومنهم عمر بن الخطاب، قالوا: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ (انظر صحيح البخاري ج٣: ص١٨٢ كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب ومسند أحمد بن حنبل ج٤: ص٣٣١ وسنن أبي داود ج١: ص٦٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥: ص٢١٥ والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج٥: ص٣٤٠ والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٨: ص٥١٦ والمعجم الكبير للطبراني ٢٠: ص١٤ وغيرها من المصادر.

(١) انظر الدرّ المنثور للسيوطي ج٦: ص٧٧.

(٢) فإنّ المعيار في كلّ شيء وكلّ موضوع هو قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(سورة الحج: ٦٢). فإنّ الآية الكريمة تعطي الميزان والمعيار العامّ في كلّ شيء وكلّ موضوع على نحو الإطلاق والعموم بأنّ الميزان في الحقّ هو الله وأنّ غيره باطل. أي

←

مخالفة بيعة جمهور الصحابة لقوله ﷺ لوقوعها لغير إمامهم الذي دلّت النصوص العديدة على إمامته(١). فأيّ عبرة في البيعة التي خالفت سنن خير

➔

كل شيء كان قريباً من الله وإلى الله فهو حقّ وكلّ شيء ابتعد عن الله فهو باطل.

وقال تعالى:﴿فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (سورة يونس: ٣٢).

فإنّ الحقّ يشمل جميع البركات النازلة من عند الله سبحانه قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(سورة البقرة: ١٤٧). وهذه الآية الكريمة تبيّن أنّ الدليل على صدق دعوة الرسول ﷺ وصحّة نبوّته هو رسالته وبعثته من قبل الله عزّ وجلّ فهو دليل على حقّانية دعوته لأنّ الحقّ دائماً يكون من الله، وأدلّة أحقّيته واضحة وبيّنة من خلال آياته ولذلك قال تعالى:﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (سورة يونس: ٣٥). فجعل سبحانه وتعالى المعيار والميزان للحقّ هو الاتّباع والانقياد لما جاء به رسول الله ﷺ من قبل الله عز وجل سواء كان قوله تعالى أو قول رسوله ﷺ وقال تعالى عن لسان المؤمنين الذين آمنوا عن بصيرة بقلب ولسان صادق: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(سورة آل عمران: ٥٣).

ولذلك إنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عندما طلب منه الناس أن يكون خليفة لهم بعد قتل عثمان قال: أيّها الناس إنّما أنا أعمل على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ فقط، وقد عمل بذلك، وهذا دليل على أنّ الخلفاء الثلاثة لم يكونوا على نهج الحقّ أي لم يكونوا على نهج الكتاب وسنّة رسول الله ﷺ إذ لو كانوا على نهج الحقّ لكان على الإمام أن يسير بسيرتهم. وبهذه السيرة من الإمام عليه السلام عرف الصحابة بأنّ الخلفاء الثلاثة كانوا على الباطل. فالميزان هو قول الله عز وجل ورسوله، فلاحظ.

(١) فإنّ النصوص الواردة في القرآن الكريم والروايات المتواترة عن الرسول الأعظم ﷺ

←

البشر[١] صلى الله عليه وآله؟ فاتفاق الصحابة إنّما يصير حجّة لو لم يخالف السنن

➔

في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كثيرة جدّاً، وقد اعترف المخالفون بصحّتها وتواترها ولزوم العمل بها منذ الصدر الأوّل إلى يومنا هذا.

ثمّ إنّه قد أحاط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام منذ صغره بعناية خاصّة، حيث تولّى تربيته وإعداده لمنصب خلافته، وبيّن مكانته العظيمة وفضائله الكثيرة في كثير من المواقف حتّى قام بتنصيبه رسميّاً بأمر الله عز وجل في غدير خمّ ليكون خليفة وإماماً للأمّة بعده. وسنذكر الأدلّة والنصوص الواردة في المقام في محلّه إن شاء الله تعالى.

(١) وبعبارة أوضح: لابدّ من تبيين معنى البيعة الشرعيّة التي اعتبرها الإسلام، فهي معاهدة شرعية واجبة الوفاء كاعتبار من يبايع الله عز وجل. كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (سورة الفتح: ١٠).

فالبيعة معناها المعاهدة على اتّباع الشخص المبايع وطاعته، وكان المرسوم أو الشائع بين الناس أنّ الذي يعاهد الآخر ويبايعه يمدّ يده إليه ويظهر وفائه ومعاهدته له عن هذا الطريق.

وذلك لأنّ الناس يمدّون أيدي بعضهم إلى بعض عند البيع أو معاملة من المعاملات ويعقدون المعاملة بمدّ الأيدي والمصافحة. فقد أطلقت كلمة البيعة على هذه المعاهدة والعقد الشرعي لأنّ من يريد البيعة يمدّ يده الى المبايع ليعقد معه الاتفاق على اتّباعه وطاعته والوفاء بذلك العهد الذي يعاهده حتّى لو يقدّم نفسه في سبيله.

وأهميّة الوفاء بهذا العهد وعدم نقضه الى حدّ قد عبّر الله تعالى عنه بالبيعة مع الله فقال تعالى: إنّما يبايعون الله، فكأنّ الله مدّ يده ليبايعونه، فهم لا يبايعون النبيّ صلى الله عليه وآله فحسب بل يبايعون الله، وذلك لأهميّة هذه المعاهدة والالتزام بها شرعاً، ثمّ يضيف تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا

🡐

المعلومة حتّى لديهم[1]. فتبصّر في مخالفة الصحابة لقول الرسول صلى الله عليه وآله في

➔
يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. كلمة نكث معناها الفتح والبسط وقد تستعمل في نقض العهد.

والقرآن يحذّر جميع المبايعين بالبيعة الشرعية أن يثبتوا على عهدهم وبيعتهم ومن بقي ثابتاً على عهده فسيؤتيه أجراً ومن نكث فإنّما يعود ضرره عليه ولا ينال الله ضرره أبداً.

فالبيعة ليست إلّا التأكيد على الوفاء بطاعة من تجب طاعته والإقرار بالإيمان القلبي الذي كان ثابتاً عنده كالإقرار بنبوّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبولاية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وبهذا العمل أي البيعة يبرز الإخلاص والوفاء لهم والاعتراف بهم.

وبعبارة أخرى: إنّ البيعة هي في حدّ نفسها لا تكون مشروعة اي أنّ من يأخذ البيعة لا تكون بيعته شرعية إلّا إذا كان له منصب من قبل الله عز وجل شرعاً، فلا أثر للبيعة بلا مقام شرعي.

فالمسلمون الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله بيعة الرضوان كانوا يعتقدون بنبوّته قبل البيعة، فبايعوا النبي صلى الله عليه وآله على أن يلتزموا و يثبتوا على ذلك الاعتقاد لا أنّ البيعة صارت سبباً لكونهم ملتزمين باعتقاد النبوة.

وهكذا الأمر في بيعة الإمامة فإنّ النصوص صريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الغدير مؤكّدة لها، فمخالفة البيعة لا تؤثّر في أصل الإمامة الشرعية، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّه لا دليل على عصمة اتّفاق الصحابة لا من القرآن الكريم ولا من السنّة النبويّة. وعلى فرض اعتباره فإنّه مشروط بعدم مخالفته للقرآن والسنن المعتبرة الثابتة عند جميع المسلمين، فإجماع الصحابة لا اعتبار له عند مخالفته للقرآن والسنن النبويّة المتواترة و للحكم الضروري الثابت عند المسلمين.

ومن الواضح الضروري أنّ الروايات المتواترة قائمة على إمامة مولانا امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهي مخالفة صريح لبيعة أبي بكر، وهذه الروايات منقولة في كتب أهل
🡐

حياته وبعد وفاته، فهل يعتمد مسلم على قول وفعل من هذه حالهم وسيرتهم[1]؟

السنة والجماعة، وهي كثيرة جدّاً سنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه.

(١) لقد جاء في القرآن الكريم تحريم مخالفة أمر رسول الله ﷺ ضمن آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيه أَجْرًا عَظِيمًا**﴾(سورة النور: ٦٣) هذه الآية الكريمة تدلّ بالصراحة على أنّ مخالفة الرسول ﷺ معصية عظيمة بل وفي بعض الآيات أنّ المخالفة أو ردّ شيءٍ من أوامر الله ورسوله موجب للخروج عن الاسلام، سواء كان ردّه من جهة الشكّ في رسالة النبي ﷺ أو من جهة التمرّد عليه كقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** (سورة الجن: ٢٣) وقوله تعالى: **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء: ٦٠).

قال الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة: المقصود منهم بعض الناس الذين يريدون التحاكم إلى بعض أهل الطغيان ولم يرد التحاكم إلى محمّد ﷺ قال القاضي: ويجب أن يكون التحاكم الى هذا الطاغوت كالكفر، وعدم الرضا بحكم محمّد عليه الصلاة والسلام كفر، ويدلّ عليه وجوه: الأوّل قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**﴾، فجعل التحاكم إلى الطاغوت كفراً بالله، كما أنّ الكفر بالطاغوت إيمان بالله. الثاني: قوله تعالى:﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾(سورة النساء: ٦٥). وهذا نصٌّ في تكفير من يرضى بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام. الثالث: قوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ...**﴾ (تفسير الفخر الرازي ج٥: ص١٥٥).

➔
فهذه الآيات وغيرها والتفاسير المذكورة في كتب أهل السنة و الجماعة تدلّ على أنّ معصية الرسول والخروج عن طاعته ذنب عظيم بل على مذهب بعض علماء أهل السنة كالفخر الرازي كفر وخروج عن الإيمان.

وعليه فإنّ الصحابة الذين خرجوا عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله مشمولون لهذه الآيات الكريمة وهم غير معذورين، لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حذّرهم عن ذلك كراراً ومراراً، ففي حديث رواه أحمد بن حنبل بسنده عن جابر قال: سمعت المقدام بن معدي كرب يقول: حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر أشياء ثم قال: يوشك أحدكم وهو متكئ على أريكته يحدّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإنّ ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما حرّم الله (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص١٣٢).

قال ابن حزم: لو أن امرءاً قال: لا نأخذ إلّا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمّة.... وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال (الأحكام في اصول الأحكام ج١: ص٢٠٨).

ولنا أن نسأل ابن حزم وعلماء أهل السنة ماذا تحكمون في عصيان الصحابة أوامر الرسول صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية وفي رزيّة يوم الخميس وغيرها من الموارد الثابتة عندكم، فهل إنّكم تحكمون عليهم بما قام عندكم من الدليل أو لا؟

هذا مضافاً إلى الأحاديث النبوية الآمرة بوجوب طاعة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كقوله صلى الله عليه وآله يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه للإيمان، قالوا: من هو يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقال أبو بكر: من هو يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال صلى الله عليه وآله: هو خاصف النعل. وكان قد أعطى عليّاً نعله يخصفها (كنز العمال: ج١٣: ص١٧٣).

فكان مسار التعبد هو المسار الصحيح الذي أراده الله لعباده المؤمنين سواء كانوا من الصحابة أم غيرهم. فإن لم يؤمنوا بالله ورسوله، واتّبعوا أهوائهم فهم في الخسران والضلال كما هو واضح من القرآن الكريم والروايات الصحيحة، فلاحظ.

ورابعها: إنّه علم ممّا بيّناه بهتان السنّيّ على أهل العلم بالمنقول في نسبته إليهم القول بإستحقاق أبي بكر لهذه المنزلة فهل مسلم يعلم بما نقلناه من النصوص الشريفة على علي عليه السلام ومن النصوص التي دّلت على ضعة مرتبة أبي بكر حتى عن مرتبة إبن العاص[1] ومن النقول التي دلّت على

(١) وتوضيح المقام: إنّ الباحث لو رجع إلى كتب أهل السنة والجماعة ولاحظ فيها النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يجد بوضوح أنّها تبين المقامات العالية لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي لم يحظ بها أحد من الناس وهي تبيّن أنّه نفس النبي صلى الله عليه وآله في الكمالات النفسانيّة والخصال القدسيّة وجميع الفضائل التي يمتلكها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومعنى ذلك أنّه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوّلين والآخرين وهو المرجع الأعلى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ شيء وقد ورد عن جابر أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله حقّ علي بن أبي طالب على هذه الأمّة كحقّ الوالد على ولده (انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢: ص ٣٠٧ وميزان الاعتدال للذهبي ج٣: ص ٣١٦ وفرائد السمطين للحمويني الجويني ج١: ص ٣٩٧ والمناقب للخوارزمي: ص ٢١٩ والمناقب لابن المغازلي: ص ٤٨ وغيرها).

وأخرج محب الدين الطبري بسنده عن عمّار بن ياسر وأبي أيّوب الأنصاري قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقّ عليّ على المسلمين كحقّ الوالد على الولد (انظر رياض النضرة ج٣: ص ١٣٠) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٣٠٨ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٣: ص ٣١٦ والخوارزمي في مناقبه: ص ٣٢١ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج١: ص ٣٦٩ وغيرهم

فالروايات صريحة في أنّ للامام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حقّ على جميع الأمّة، ويجب على جميع الأمّة مراعاة هذا الحقّ، و على حدّ تعبير القرآن إنّه أعظم حقّ بعد رعاية حقّ الله عزوجل قال تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ (سورة الاسراء: ٢٣) فإنّ الوالد له حقّ على ولده بعد رعاية حقّ الله عزوجل

←

➔
والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وبهذا اعتبار أشار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى هذه الحقيقة بقوله حقّ علي على المسلمين كحق الوالد باعتبار أنّ القرآن جعل حقّ الوالد على الولد بعد رعاية حقّ الله عزوجل، فيجب على الأمّة أن تراعي حقّ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رعاية حقّ الله ورسوله

و يشهد لذلك ما أخرجه إبراهيم بن محمد الثقفي في الغارات عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة ... (الغارات ج٢: ص ٧١٧) فمن المسلّم أنّ المراد لم يكن الأُبوّة النسبيّة، بل الأبوة الناشئة من التعليم والتربية والقيادة والإرشاد فالمقصود بالأُبوّة أنّ علاقة النبي صلى الله عليه وآله من جهة الرسالة والخاتميّة كمن له حقّ الحياة عليكم مثل الأب، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يكون كذلك، أي له حقّ الولاية على الأمّة.

وهذا إشارة إلى حديث واحد من الأحاديث الكثيرة والنصوص العديدة الواردة في عظمة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأمّا بالنسبة إلى أبي بكر فإنّ الروايات والنصوص المسلّمة عند أهل السنة والجماعة تبيّن أنّ أبابكر أقل منزلة من عمرو بن العاص الذي أسلم في السنة الثامنة من الهجرة وقيل بين الحديبية وخيبر (انظر الإصابة لابن حجر ج٣: ص ٢) وقد ورد في الروايات والتاريخ أنّ عمرو بن العاص كان أميراً على أبي بكر في غزوة ذات السلاسل (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٣١٥)

والملفت للنظر هو ما أخرجه ابن كثير في سيرته من أنّ عمرو بن العاص صلّى بهم جماعة وهو جنب! قال: إنّ عمرو بن العاص كان يقول: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك قال: فتيمّمت ثمّ صلّيت بأصحابي الصبح. فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟! (السيرة النبوية لابن كثير ج٣: ص ٥١٧) ورواه الدار قطني في سننه ج١ : ص ١٢٦ وغيره. قال النووي بعد ذكر الحديث: وكلّها أحاديث صحاح وظاهرة في أنّ الحدث ما ارتفع، إذ لو ارتفع لم يحتج إلى الاغتسال... (انظر المجموع للنووي ج٢: ص ٢٢٠)
🡐

مخالفته للشريعة ومشاقّاته لله ورسوله[١] لا يجوز استحقاقه للتأمر على ابن

→

وعليه فإنّ أبابكر قد صلّى خلف الجنب الذي هو أمير عليه وهذا شأن أبي بكر في صفاته النفسانية ومقامه الحقيقي. فلابدّ لابن تيميّة أن يخضع لكلّ ما رواه علماء أهل السنة والجماعة ويعتقد بأنّ أبابكر أقلّ شأناً من عمرو بن العاص الذي حاله معلوم عند الجميع، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ الباحث عندما يقرأ التاريخ يقطع بأنّ أبابكر وعمر قد خالفا النصوص في موارد كثيرة ونقضوا الآيات المحكمة من القرآن الكريم والسنن القطعية الصادرة من النبي الأكرم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه وهي كثيرة جدّاً لا يسع المجال لذكر جميعها إلّا أنّ الباحث المنصف لو أمعن النظر في المصادر الإسلامية يعرف بأنّ المخالفات والمشاقّات من الخلفاء الثلاثة كثيرة، ولذلك إنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ لم يسر على نهجهم، كما صرحوا بذلك في كتبهم.

فقد أخرج ابن كثير في تاريخه قصة الشورى العمريّة التي افتعلها عمر بن الخطاب لتعيين الخليفة من بعده، وفيه أنّه قد توجّه عبد الرحمن بن عوف إلى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ مخاطباً له: لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فرفض الإمام ذلك فقال: لا أسير بسيرتهما بل أسير بكتاب الله وسنة نبيّه ما استطعت ... (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٧: ص ١٠٦) وكذلك الذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص ٣٠٤ وغيره.

وهذا الكلام فيه دلالة واضحة على مخالفة أبي بكر وعمر للكتاب والسنّة النبويّة الشريفة، إذ لو كانت سيرتهما مطابقة للكتاب والسنة فلا داعي للقول إنّه لا يسير بسيرتهما بل يسير بسيرة الكتاب والسنة ونحن نشير هنا إلى بعض مخالفات أبي بكر في هذا المجال ليعرف الباحث أنّ مقصود الإمام هو تبيين حقيقة منويّات الغاصبين للخلافة والإمامة من أنّهم كانوا يخالفون و يعارضون النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بأعمالهم البشعة. ومن تلك المخالفات هي: مخالفة أبي بكر للنصوص القرآنية والسنة النبوية في منع الزهراء عَلَيْهَاالسَّلَامُ فدك. وهذا من أوضح الواضحات التي يمكن تبيينه من أصحّ

←

العاص وحده فكيف يجوز استحقاقه للتأمّر على خيار الصحابة وعبّادهم وزهّادهم؟ فمن زعم إمامة أبي بكر من أهل العلم بالمنقول فقد قامت عليه الحجّة فخالفها عن علم و عمد حسبما عرفت[1]. وهذه أعجوبة ليس مثلها

➔

كتبهم أي صحيح البخاري ومسلم إذ قد ورد فيهما أنّ أبابكر منع الزهراء عليها السلام فدك واستدلّ بحديث مكذوب لم يسمعه أحد من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فأجابته فاطمة الزهراء عليها السلام بقولها: يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريّاً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول تعالى: ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ** ﴾ (سورة مريم: ٥ ـ ٦) ... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦: ص ٢١٠) فمجموعة هذه النصوص دالّة على أنّ أبابكر خالف النصوص القرآنية والروائية في منع فدك من الزهراء عليها السلام مضافاً إلى الآيات الكثيرة الواردة في شأن أهل البيت عليهم السلام من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ (الاسراء: ٢٦) وقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ (سورة الشورى: ٢٣) وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ (الأحزاب: ٣٣) وغيرها من الآيات والروايات التي سنّذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) وتوضيح المقام: إنّه قد اتفق المؤرخون والمحدثون على أنّ أبابكر كان تحت إمرة عمرو ابن العاص في غزوة ذات السلاسل التي وقعت في السنة السابعة من الهجرة ووكان تحت أمره في الجيش جماعة من الصحابة وفيهم أبوبكر وعمر و أبوعبيدة كما نصّ عليه أهل السير والأخبار كافة، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في مستدركه بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبوبكر وعمر، فلمّا انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوّروا ناراً، فغضب عمر

➔

أعجوبة من حيث مخالفة من قال بإمامة ابن أبي قحافة للشريعة بدون عروض شبهة لهم[(١)] !

➔

وهمّ أن ينال منه فنهاه أبوبكر عنه وأخبره أنّه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وآله عليك إلّا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر (ثمّ قال الحاكم) هذا حديث صحيح الإسناد ولخ يخرجها وصححه الذهبي في تلخيصه (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ٤٢).

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن رافع بن أبي رافع الطائي قال: الا كانت غزوة ذات السلاسل استعمل عمرو بن العاص على الجيش وفيهم أبوبكر ... ورواه الطبراني ورجاله ثقات (انظر مجمع الزوائد ج٩: ص ٣٥٢) وفي المعجم الكبير للطبراني ج٥: ص ٢٢ وغيرهم

وممّن روى حديث غزوة ذات السلسل البخاري في صحيحه فإنّه قد عقد باباً في كتاب المغازي بعنوان غزوة ذات السلاسل وفيه الأحاديث الواردة في المقام (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ١١٣)

والذي يلفت النظر هو ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمّمت ثمّ صلّيت بأصحاب الصبح فذكروا للنبي صلى الله عليه وآله فقال: يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟! ... (المستدرك على الصحيحين ج١: ص ١٧٧) ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج١: ص ٢٢٥ وابن حجر في فتح الباري ج١: ص ٣٨٥ والعيني في عمدة القاري ج٤: ص ٣٤ وغيرهم.

فالروايات والتاريخ صريحة في أنّ أبابكر كان تحت إمرة عمرو بن العاص الذي كان يصلّي بالناس جنباً، فأبوبكر أقلّ مرتبة من عمرو بن العاص كما هو واضح ظاهر.

(١) وبعبارة أوضح إنّ أعمال كلّ إنسان دالّة على نواياه حقيقة، فإنّ أبابكر الذي تقلّد السلطة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يصرّح على المنبر ويقول بصوت مرتفع يسمع الخلائق:

➔

←

وليتكم ولست بخيركم ... (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٥: ص ١٨٢ و المعجم الأوسط للطبراني ج٨: ص ٢٦٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١: ص ١٦٩ والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج١: ص ٢٥٤ وغيرها من المصادر).

وكان يقول أيضاً: إنّ لي شيطاناً يعتريني ... (انظر المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج١١: ص ٣٢٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦: ص ٣٠ وكنز العمال للمتقي الهندي ج٥: ص ٥٩٠ وغيرها من المصادر).

فإنّ كلامه وأفعاله يدلان على أنّه كان رجل سياسة لا رجل دين وكان الهدف الرئيسي له التسلّط على رقاب الناس بأيّ وجه تحقّق، فلم يكن يمنعه شيء عن إتيان أيّ موبقة في سبيل الوصول إلى أهدافه السياسية وإن كانت ارتكاب الجرائم بشكل واضح وإظهار رأيه المخالف لكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فتراه كان يفعل ما يريد من الإجرام في سبيل ذلك الهدف السياسي. فأيّ مسلم كان يتجرّأ الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهي سيّدة نساء أهل الجنّة (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١٨٣ كتاب المناقب باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي بضعة النبي صلى الله عليه وآله الذي يغضب لغضبها (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم). فأبوبكر هجم على هذا البيت العظيم وأمر جلاوزته أن يحرقوا باب الدار وآية النور على منارها، ثمّ عصروا الزهراء بين الحائط و الباب بعد أن منعت دخول الجلاوزة في بيتها فكسر ضلعها وأسقطت جنينها وغيرها من الإجرام التي فعلها بآل البيت عليهم السلام.

والجميع كانوا يعلمون بهذه النصوص الواردة من النبي الأكرم في عظمة الزهراء سلام الله عليها وكذلك ما ورد في ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووصايته وإمارته وأخوّته لرسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه صلى الله عليه وآله أمرهم بطاعته في كلّ محفل ومجلس وواقعة وحرب، ولم ينس أحد منهم يوم الدار وغزوة بدر و أحد والخندق وخيبر ويوم غدير خمّ وغير ذلك من المواقف الذي عرّف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته المعصومين عليهم السلام. فكيف يهجم الرجل على بيته وهو بيت النبوّة والوحي

←

وهل تعرض خطره شبهة مع هذه السنن الشريفة التي دلّ نبذة منها على أنّ الخليفة بعد خير الرسل صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ[1]، ومنها جملة دلّت على أقربيّته

➔ ويحرق باب دارهم، أليس أنّ الرجل الذي هو شأنه أقلّ مرتبة من عمرو بن العاص الذي استسلم في السنة السابعة من الهجرة وهو الذي يصلّي بالمسلمين جنباً وأبوبكر يقتدي به في غزوة ذات السلاسل فإنّ من له هذا الشأن ما فعل بمن له شأن رفيع؟! ولا يفعل مثل هذه الإجرام إلّا الوضيع الذي شأنه يكون أقلّ مرتبة من عمرو بن العاص الذي يعرفه كلّ الناس بالنفاق ودنوّ حسبه ونسبه، إذن كيف لا يحصل لابن تيمية وأمثاله أيّ شكّ وشبهة في ما فعله أبوبكر؟!

(١) فإنّ الروايات والنصوص الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ الواردة عن طرق أهل السنة والجماعة كثيرة جدّاً ربما يبلغ عددها فوق الألف حديثاً كما سيأتي ذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى، وقد أخرجها جهابذة أهل السنة والجماعة و فطاحل أعلامهم في صحاحهم ومسانيدهم بطرق كثيرة صحيحة حسنة عن عدّة كبيرة من الصحابة عن رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه، وحيث إنّها كثيرة لا يمكن جمعها هنا نشير إلى حديث واحد رواه علماء أهل السنة والجماعة في مصادرهم المعتبرة بطرق عديدة كثيرة صحيحة و هو حديث الغدير.

ولنذكر هنا ما أورده المحدث السلفي المعاصر الشيخ محمد ناصر الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الرابع حديث رقم (١٧٥٠) حيث أثبت روايته عن عشرة من الصحابة بثلاثة وعشرين طريقاً واستغرق تعداده لتلك الطرق أربعة عشر صفحة من (٣٣٠ إلى ٣٤٤).

والصحابة العشرة الذين ذكر الألباني روايتهم لحديث الغدير هم:

١ـ زيد بن أرقم، وله عنه خمس طرق.

٢ـ سعد بن أبي وقّاص، وله عنه ثلاث طرق.

بالفضل لخير الرسلﷺ من غيره، مثل خبر: ما سألت الله [(١)]، وخبر أخوّته

→

٣ـ بريدة بن الحصيب، وله عنه ثلاث طرق.

٤ـ علي بن أبي طالبعليه السلام، وله عنه تسع طرق.

٥ـ أبو أيوب الانصاري، وله عنه طريق واحد.

٦ـ البراء بن عازب، وله عنه طريق واحد.

٧ـ عبد الله بن عباس، وله عنه طريق واحد.

٨ـ انس بن مالك، وله عنه طريق واحد.

٩ـ أبوسعيد الخدري، وله عنه طريق واحد.

١٠ـ أبوهريرة، وله عنه طريق واحد.

ونصّ حديث الغدير بالطريق الأول من حديث زيد بن أرقم كما أورده عن أبي الطفيل عنه قال: لما رجع النبيﷺ من حجّة الوداع ونزل غديرخم، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: كأنّي دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن ثمّ أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه.

ثمّ يضيف الألباني: للحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع (ج٩: ص ١٠٣ ـ ١٠٨) وقد ذكرت وخرّجت ما تيسر لي منها، ممّا يقطع الواقع عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحّة الحديث يقيناً وإلّا فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وقال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان ... (سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤: ص ٣٤٣ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ الدار السلفية الكويت).

فهذا حديث واحد من تلك الأحاديث الكثيرة الذي رواه أحد مشايخ السلفية المتعصّب وكيف بالآخرين؟، فلاحظ.

(١) لقد أخرج الهيثمي بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: وجعت وجعاً

←

له[(١)]

➔

فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأقامني في مكانه وقام يصلّي وألقى عليّ طرف ثوبه ثمّ قال: قد برئت يا ابن أبي طالب لابأس عليك، ما سألت الله شيئاً إلّا سألت لك مثله، ولا سألت الله عزوجل شيئاً إلّا أعطانيه غير أنّه قيل لي لا نبيّ بعدك (مجمع الزوائد ج٩: ص ١١٠) ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة: ص ٥٨٢ والمحاملي في أماليه: ص ٢٠٣ والطبراني في معجمه الكبير ج٨: ص ٤٧ الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ١١٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٢٥ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٣١٠ والخوارزمي في مناقبه: ص١١٠ وغيرهم.

وروى ابن المغازلي بسنده عن عامر بن وائلة وهو ينقل حديث المناشدة يوم الشورى (إلى أن قال) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما سألت الله إلاّ سألت لك مثله، غيري؟ قالوا: اللّهم لا (مناقب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص ١١٩ ح ١٤٢).

(١) لقد أخرج الترمذي بسنده عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فجاء عليٌّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أخي في الدنيا والآخرة (سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٠) ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٤ والعيني في عمدة القارئ ج٢: ص ١٤٧ وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج٣: ص ١٠٩٩ وفي الدرر: ص ٩٠ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٨ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٩٤ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٥١ وابن الأثير في أسد الغابة ج٤: ص ١٦ والذهبي في ميزان الاعتدال ج١: ص ٤٢١ وابن كثير في البداية والنهاية ج٧: ص ٢٧١ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٨٧ ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص ٩٣ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ص ٦٥).

قال محمد بن عبد الله أبوجعفر الإسكافي المعتزلي في كتابه (المعيار الموازنة) بعد ذكر

➔

وخبر: أحبّ الخلق إلى الله و إلى رسوله...[(١)]

➔

الحديث ما هذا نصّ عبارته: بيان إجمالي في مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، ثمّ بينه وبين عليّ صلوات الله عليهما: ثمّ فكّروا في حديث المؤاخاة وما فيه من الدلالة الواضحة، إذ ميّزهم على قدر منازلهم، ثمّ آخى بينهم على حسب مفاضلتهم، فلم يكن أحد أقرب من فضل أبي بكر من عمر فلذلك آخى بينهما، وأشبه طلحة والزبير وقربت منازلهم، لذلك آخى بينهما، وكذلك بعبد الرحمن بن عوف، آخا بينه وبين عثمان، ثمّ قال لعليّ: إنّما أخّرتك لنفسي، أنت أخي وصاحبي، فلم يكن فيهم أحد أشبه بالنبي عليه السلام من عليّ، ولا أولى بمؤاخاة النبيّ منه، فاستحقّ مؤاخاة النبي عليه السلام لتقدّمه على القوم، وكانت مؤاخاة عليّ أفضل من مؤاخاة غيره لفضله على غيره (المعيار والموازنة: ص ٢٠٨).

(١) وهو معروف بحديث الطير المشوي الذي رواه علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم بطرق عديدة من الصحابة والتابعين ثم بعدهم الحفاظ وعلمائهم طبقة بعد طبقة فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أنس بن مالك، قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله فقدّم لرسول الله صلى الله عليه وآله فرخ مشوي، فقال: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: قلت: اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء عليّ ـ رضي الله عنه ـ فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، ثمّ جاء فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله افتح، فدخل فقال صلى الله عليه وآله: ما حبسك عليّ؟ فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يرددني أنس بزعم أنّك على حاجة، فقال صلى الله عليه وآله: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال: إنّ الرجل قد يحبّ قومه. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٠) وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٦ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٩: ص ١٦٩ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٥٠ والخوارزمي في مناقبه: ص ٨٥ وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص ١٢٦ والقندوزي الحنفي

➔

وخبر أوّلهم سلمّا [(١)]

←

في ينابيع المودة ج٢: ص ٤٨٨ وغيرهم.

وأخرج الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: كان عند النبيﷺ طير فقال: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء عليّ فأكل معه (سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٠) واخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٥ والمحاملي في أماليه ص ٤٤٤ والطبراني في معجمه الأوسط ج٦: ص ٩٠ وفي معجمه الكبير ج٧: ص ٨٢ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١١٤ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ١٠١ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص ١٦٦ وغيرهم.

وأخرج النسائي في سننه الكبرى بسنده عن أنس بن مالك: إنّ النبيﷺ كان عنده طائر فقال: اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء أبوبكر فردّه وجاء عمر فردّه، وجاء عليّ فأذن له (سنن الكبرى للنسائي ج٥: ص ١٠٧) وأخرجه في خصائصه: ص ٥١ واخرجه أبويعلى الموصلي في مسنده ج٧: ص ١٠٥ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٥٤ وابن الأثير في أسد الغابة ج٤: ص ٣٠ وغيرهم فالحديث صحيح متواتر عند علماء أهل السنة والجماعة وسنذكره سنداً ومتناً إن شاء الله في محلّه.

(١) أخرج ابن ابي الحديد بسنده عن معقل بن يسار قال كنت أوضّي النبيﷺ فقال لي: هل لك أن نعود فاطمة؟ قلت: نعم يا رسول اللهﷺ فقام يمشي متوكّئاً عليّ،.... فدخلنا على فاطمةعليها السلام، فقال لهاﷺ: كيف تجدينك؟ قالت: لقد طال أسفي واشتدّ حزني، وقال لي النساء زوّجك أبوك فقيراً لا مال له، فقال لها: أما ترضين أنّي زوجتك أقدم أمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً قالت: بلى رضيت يا رسول اللهﷺ (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣: ص٢٢٧) ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٥: ص٢٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٠١ وابن أبي شيبة الكوفي في المصنف ج٧: ص٥٠٥ والضحاك في الآحاد والمثاني ج١: ص١٤٢ والطبراني في المعجم الكبيرج٢٠: ص٢٣٠

→

➔

والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦٠٥ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص١٢٦ والجاحظ في العثمانية: ص٢٨٩ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج١: ص٢٠٢ وغيرهم.

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّلكم وارداً عليَّ الحوض أوّلكم إسلاماً: عليّ بن أبي طالب(المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٦) ورواه ابن عبد البر في التمهيد ج٢: ص٣٠٥ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٤: ص١١٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦١٦ وغيرهم.

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أبي إسحاق قال: إنّ عليّاً رضي الله عنه لمّا تزوّج فاطمة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله: زوجتنيه اعميش عظيم البطن فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد زوجتكه وإنّه لأوّل أصحابي سلماً وأكثر علماً وأعظمهم حلماً (المعجم الكبير ج١: ص٩٤) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٠٢ والصنعاني في المصنف ج٥: ص٤٠٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦٠٥ وغيرهم.

وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ فقال: إنّ هذا أوّل من آمن بي وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمّة يعسوب الظالمين (مجمع الزوائد ج٩: ص١٠٢) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٦: ص٢٦٩ و وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج١٣: ص٢٣٥ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص١١٠ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص٨١ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦١٦ والمناوي في فيض القدير ج٤: ص٤٧٢ والذهبي في سير أعلام النبلاء ج٢٣: ص٧٩ وابن حجر في الإصابة ج٧: ص٢٩٤ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٢: ص١١٨ وابن مردوية في مناقبة: ص٦٥ والجاحظ في العثمانية: ص٢٨٧ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٤٦: ص٣٩١ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص١٩٥ وغيرهم. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة عن

➔

وغير ذلك[1]. و جملة منها دلّت على عدم قابلية أبي بكر للتأمّر على جماعة فيهم مثل: ابن العاص[2]،

➔

النبيﷺ بهذا المضمون.

فإنّ هذه الروايات وغيرها تدلّ بالصراحة على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام على جميع الناس من الأوّلين والآخرين بعد رسول اللهﷺ. فكيف يمكن أن يقدّم عليه من هو أقلّ من عمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم من الصحابة؟!

(١) وذلك كحديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث السفينة، وحديث عليّ خليفتي ويكون معي في الجنّة، وحديث الوصية وحديث أحبّ أصحابك وإن كان أمراً كنّا معه، وحديث لكلّ نبيّ وصيّ ووراث وحديث لا يؤدّي عنك الّا أنت أو رجل منك وحديث اختصاص المناجاة بعليّ وحديث المباهلة وحديث الراية وحديث برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه وحديث سدّ الأبواب إلّا بابه وحديث إن علياً منّي وأنا منه وحديث إنّ فيك مثلاً من عيسى وحديث لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق وحديث خاصف النعل وحديث أنا مدينة العلم وعليّ بابها وحديث من آذى علياً فقد آذاني وحديث كسر الأصنام وصكّ الولاية وردّ الشمس وحديث أهل بيتي أمان لأهل الأرض وحديث اثني عشر خليفة وغيرها من الأحاديث التي سيأتي ذكرها والاستدلال بها على أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالبعليه السلام.

(٢) لقد أخرج المحدثون والمؤرخون من أهل السنة والجماعة الأخبار والروايات في غزوة ذات السلاسل وفيها أنّ ابابكر كان تحت إمرة عمرو بن العاص. ومن تلك الأخبار ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن بريدة قال: بعث رسول اللهﷺ عمرو ابن العاص في غزوة ذات سلاسل وفيهم أبو بكر وعمر.... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٤٢).

وروى البخاري أنّ عمرو بن العاص كان أميراً على الجيش في غزوة ذات السلاسل (انظر

➔

➔

صحيح البخاري ج٥: ص١١٢ كتاب المغازي غزوة ذت السلاسل).

فهذه القضية من المسلّمات حتّى أن في بعضها أنّ عمرو بن العاص كان يصلّي بهم جماعة وقد احتلم عمرو في ليلة باردة وتيمّم وصلّى بالأصحاب جنباً! (انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج١: ص١٧٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج١: ص٢٢ وفتح الباري لابن حجر ج١: ص٢٨٥ وج٨: ص٥٨ والعيني في عمدة القاري ج٤: ص٣٤ وغيرها من المصادر).

ولذلك حاول بعضهم أن يوجّهوا ذلك بتوجيهات غير علمية فعلى سبيل المثال قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي ما هذا نصّ عبارته: فهل يجوز تولية المفضول على الفاضل؟ وذلك في الدين جايز صحيح ومن غير اختيار الأمّة غير فاسد على حسب ما كان من اختيار النبيﷺ عمرو بن العاص وتولّيه على أبي بكر وعمر في غزوة ذات السلاسل (المعيار والموازنة: ص٤٢).

أقول: أوّلاً إنّ الملاك في الأفضلية عند أبي جعفر الاسكافي هل هو فعل رسول اللهﷺ أم اختيار الأمّة؟ فإذا قدّم الأمّة على رسول اللهﷺ فقد كفر بالله ورسوله، لأنّ الله تعالى يقول: ما آتاكم الرسول فخذوه....

وتقديم الأمّة مخالفة الرسول، والأخذ بقول الأمّة في قبال الرسول كفر واضح.

وثانياً: من أين اكتشف الإسكافي أنّ أبابكر و عمر كانا أفضل من عمرو بن العاص؟ لعل عمرو بن العاص أفضل منهما وإنّ قدّمت الأمّة أبابكر في الخلافة.

وثالثاً: إنّ تفضيل المفضول على الفاضل أمر قبيح مخالف للعقل والعدل والشرع فكيف يمكن نسبته إلى الدين الإسلامي وإلى الرسولﷺ.

ورابعاً: إنّ أبابكر قد صلّى خلفه حتّى مع كون عمرو بن العاص جنباً، ومن المعلوم أنّ المعذور لا يجوز له أن يقدّم لصلاة الجماعة وعمرو بن العاص صلّى بهم في العيان، ولذلك اشتكى جماعة من الصحابة إلى رسول اللهﷺ، وقد استقبح رسول اللهﷺ فعله بقوله: يا عمرو صلّيت باصحابك وأنت جنب؟! فأبو بكر لو كان له فضل لقال لعمرو بن

🡐

ومثل أبي عبيدة [١] ، ومثل أُسامة بن زيـد [٢] ، وبعـضها دلّ علـى تقـدم سـالم

→

العاص لماذا صليت بنا جنباً لا أن يقتدي به في هذه الحالة.

(١) فقد أخرج ابن عساكر بسنده عن عبدالله بن الحصين التميمـي قـال: بعـث رسـول اللهﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الأسلم وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانـت امـرأة مـن بلي، فبعثه رسول اللهﷺ إليهم يستألفهم بذلك حتّى إذا كان على ماء بأرض جذام يقـال لها السلاسل وبذلك سمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلمّا كان عليه خـاف، فبعـث إلـى رسول اللهﷺ يستمدّه فبعث إليه أبا عبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين وفـيهم أبـو بكر وعمر وقال لأبي عبيدة حين وجّهه: لا تختلفا. فخرج أبـو عبيـدة حتّـى إذا قـدم عليـه، قال له عمرو بن العاص إنّما جئت مدداً إليّ، فقـال أبـو عبيـدة: لا لكنّـي علـى مـا أنـا عليـه وأنت على ما أنت عليه. وكان أبو عبيدة رجـلاً ليّنـاً سـهلاً هيّنـاً عليـه أمـر الـدنيا، فقـال لـه عمرو: بل أنت مدد لي فقال له أبو عبيدة: لا يا عمـرو إنّ رسـول اللهﷺ قـال: لا تختلفـا، فإنّك إن عصيتني أطعتك، فقال له عمرو: فإنّي آمر عليك وإنّما أنت ممدّ لي قـال: فـدونك فصلّ، فصلّى عمرو ابن العاص بالناس (تاريخ المدينة دمشق ج٢: ص٢٣).

(٢) إنّ من المسلّمات عند جميع العلماء والمحققين من المحدثين والمؤرخين وأربـاب الـسير من أصحاب جميع المذاهب والملل الإسلامية أنّه عقد رسول اللهﷺ سـريّة لأسـامة بـن زيد بن حارثة في أواخر حياته الشريفة وقد اهتمّ بها رسول اللهﷺ اهتماماً عظيماً بحيـث أمر جميع الصحابة بالتهيّؤ لها وحثّهم على الالتحاق بهـا، ثـمّ عبّـأهم بنفـسه الزكيّـة إرهاقـاً لعزائمهم واستنهاضاً لهممهم، فلم يبق أحداً من وجوه المهـاجرين والأنـصار إلّـا وقـد عبّـأه بالجيش، قال ابن حجر: فبدأ برسول اللهﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأُسامة لواء بيده فأخذ أسـامة فدفعـه إلـى بريـدة وعـسكر بـالجرف، وكـان ممّـن انتـدب مـع أسـامة كبـار المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر و أبو عبيدة وسعد بن أبي وقّاص وسـعيد وقتـادة بن النعمان وسلمة... (فتح الباري ج٨: ص١١٥).

وقد أصرّ النبيﷺ على إنفاذ جيش أُسـامة التـي كـان فيهـا وجـوه المهـاجرين والأنـصار ألاّ

←

➔
يبقى أحد منهم لم يلتحق بالجيش، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرّر ويقول: أنفذوا جيش أسامة، إقامة للحجة عليهم.

قال الباقّلاني: وسأل نقباء المهاجرين والأنصار عمر بن الخطاب أن يسأل أبابكر أن يصرف أسامة يولّي من هو أسنّ وأدرب بالحرب منه فسأله عمر ذلك.... (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:ص ٤٩٠).

فطعن الصحابة في تأمير أسامة بن زيد حتّى وصل خبر ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً فخرج وقد عصّب رأسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد أيها الناس فما مقالة بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان من أحبّ الناس إليّ.... (الطبقات لابن سعد ج٢: ص ١٩٠).

ودخلت أم أيمن وهي أُمّ أُسامة على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتّى تتماثل فإنّ أُسامة إن خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنفذوا بعث أُسامة. جعل يكرّر ذلك حتّى أغمي عليه... (المسترشد للطبري: ص١٣٣).

فكان خبر تثاقل الصحابة عن الالتحاق بجيش أُسامة يصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وكان يتأذّى ويغضب ويقول: أنفذوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه (انظر دلائل النبوة للبيهقي: ص٧) وكنز العمال للمتقي الهندي ج١٠: ص٥٧١ نقلاً عن ابن عساكر وغيرهم.

واستدعى أبابكر وعمر وجماعة ممّن حضر المسجد من المسلمين، ثمّ قال: ألم آمر إلى أن تنفذوا جيش أسامة؟ قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فلم تأخّرتم عن أمري؟ فقال أبو بكر: إنّني كنت خرجت ثمّ عدت لأجّدد بك عهداً وقال عمر: لم أخرج لأنّني لم أحبّ أن أسأل عنك الركب!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنفذوا جيش أُسامة، أنفذوا جيش أُسامة وكرّرها ثلاث مرات، ثمّ أُغمي
➔

مولى أبي حذيفة عليه في الصلاة [1] .

➔

عليه من التعب الذي لحقه فمكث هنيئة مغمى عليه وبكى المسلمون.... (الإرشاد ج١: ص١٨٣).

فكان النبيﷺ يقول بعد ما كان يفيق: أنفذوا جيش أسامة ولعن الله من تخلف عن جيش أسامة (انظر الملل النحل للشهرستاني ج١: ص٢٣)

وملخّص الكلام أنّ أبا بكر كان ضمن جيش أسامة وكان تحت أمره فهو مأموم له، فكيف جعل نفسه إماما وخليفة؟!

(١) إنّ من الأخبار الصحيحة والمتواترة عند أهل السنة والجماعة هي رواية صلاة أبي بكر خلف سالم مولى أبي حذيفة، فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عمر قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين الأوّلين وأصحاب النبيﷺ في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة. (صحيح البخاري ج٨: ص١١٥ كتاب الاحكام باب استقضاء الموالي واستعمالهم) ورواه البيهقي في سننه ج٣: ص٨٩ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٢: ص٦٤ والطبراني في معجمه الكبير ج٧: ص٥٩ وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف ج٢: ص٣٨٨ وغيرهم

وهذه الرواية صريحة في أنّ سالماً كان مقدّماً على أبي بكر وعمر على مبنى القوم أنّ المقدّم في الصلاة يكون مقدّماً في كلّ شيء كما يدّعون ذلك في صلاة أبي بكر. إذن لابدّ لهم من الاعتراف بتقدّم سالم مولى أبي حذيفة على أبي بكر وعمر.

والذي يؤيد ذلك قول عمر بن الخطاب عندما أراد أن يجعل الشورى للخلافة فكان يتمنّى ويقول: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً ما جعلتها شورى (انظر الطبقات لابن سعد ج٣: ص٢٤٨ والتمهيد للباقلاّني: ص٢٠٤ والاستيعاب لابن عبد البرّ ج٢: ص٥٦١).

وقد أراد ابن قتيبة أن يجمع بين حديث الأئمّة من قريش وقول عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لجعلته خليفة فلم يمكنه ذلك لأنّ التناقض واضح ظاهر (انظر تأويل الحديث لابن قتيبة: ص١١٥).

➔

فانظر الى معاني هذه السنن، وهي بأجمعها صحيحة شهيرة عند أهل العلم بالمنقول معروفة لديهم، فسترى ابن أبي قحافة في درجة بينها وبين درجة إمامة الخلق بون بعيد، فما قدر وشأن من يصير بأمر خير الرسلﷺ تابعاً في الصلاة وغيرها لمثل ابن العاص[1]؟ بل ما قدر من دلّت السنة الصحيحة على أنّه من بطانة الشّر[2] حيث أمر بما غضب الرسولﷺ منه

→

وقال ابن الأثير: إنّ ما قاله عمر بن الخطاب من أنّه: لو كان سالم حيّاً ما جعلتها الشورى معناه: أنّه كان يصدر عن رأيه فيمن يولّيه الخلافة (انظر أسد الغابة ج٢: ص٢٤٦).

وعلى كلّ حال فإنّ سالماً مولى أبي حذيفة كان مقدّماً على أبي بكر وعمر بالأخبار المتواترة عند جميع أهل السنة والجماعة وباعتراف عمر بن الخطاب، فكيف يمكن لأبي بكر ادّعاء الخلافة مع وجود من هو إمامه ومقّدم عليه؟!

(١) وبعبارة أوضح: هل إنّ الإمامة في الصلاة عند القوم دليل على تقدّم الرجل في جميع المجالات حتّى الخلافة؟!

الظاهر أنّ المستفاد من كلماتهم ذلك، قال العيني في شرح حديث تقديم سالم مولى أبي حذيفة إنّه بالصلاة خلفه أمر بالسمع والطاعة للعبد إذا استعمل ولو كان عبداً حبشيّاً، فإذا أمر بطاعته فقد أمر بالصلاة خلفه، أو أنّ المستعمل هو الذي فوّض إليه العمل، يعني جعله أميراً أو والياً، والسّنة أن يتقدّم في الصلاة الوالي (انظر عمدة القاري في شرح البخاري ج٥: ص٢٢٧).

وقال في مكان آخر: وفيه دلالة على صحّة إمامة العبد أنّه إذا أمر بطاعته فقد أمر بالصلاة... (عمدة القارئ ج٥: ص٢٢٨).

(٢) وقد اخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبيﷺ قال: ما استخلف خليفة الّا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضّه عليه وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه، والمعصوم من عصم الله (صحيح البخاري ج٧: ص٢١٣ كتاب الرفاق باب المعصوم

←

حسبما تقدّم بيان ذلك [١] ؟

من عصم الله عاصم مانع). ورواه أيضاً صحيح البخاري ج٨: ص ١٢١ كتاب الأحكام باب بطانة الإمام وأهل مشورته، والترمذي في سننه ج ٤: ص ١٤ والنسائي في سننه ج٧: ص١٥٨ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج ٤: ص ١٣١ والبيهقي في سننه الكبرى ج ١٠: ص ١١١ وغيرهم.

هذا الحديث صريح في أنّ بطانة السوء قد تغلب عليه فيكون سيّئاً في أعماله وأقواله ونيّاته. وقد أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من نبيّ ولا وال إلّا له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وبطانة لا تألوه خبالا، ومن وقي شرّهما فقد وقي وهو مع التي تغلب عليه منهما (مسند أحمد بن حنبل ج ٢: ص٢٢٧).

وقال: السندي في الحاشية على سنن النسائي: وقوله «إلّا وله بطانتان...» بطانة الرجل بكسر الباء صاحب سرّه وداخل أمره، قيل المراد ههنا: الملك والشيطان وقوله: «لا تألوه خبالا...» اي لا تعتبره خبالا بفتح الخاء وقوله: «لا تألوه خبالا...» أي لا تعتبره أي لا يقصّر في إفساد أمره. وقوله: «وقي ...» أي من كلّ بلاء وهو أي ذلك وقي من التي تغلب عليه... فإن غلبت عليه بطانة الخير يكون خيراً وإن غلبت عليه بطانة السوء يكون سيّئاً، وهذا أظهر (انظر حاشية السندي على النسائي ج٧: ص١٥٨).

وقال المباركفوري في شرح الحديث، قوله: بطانة تنهاه عن المنكر...: أي ما أنكره الشرع ونهى عن فعله وبطانة لا تألوه خبالا أي لا تقصّر في إفساد أمره: (انظر تحفة الأحوذي ج٧: ص ٢٢).

(١) وتوضيح المقام أنّ كثيراً من أفعال أبي بكر كان يغضب النبي صلى الله عليه وآله في حياة النبي صلى الله عليه وآله كما أنّ كثيراً من أفعاله كان موجباً لغضب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعد وفاته ومن أجل ذلك فهو مشمول لحديث بطانة الشرّ الذي هو من أصحّ الأحاديث عند أهل السنة والجماعة وذلك؛ لأنّ أبا بكر قد أغضب فاطمة الزهراء سلام الله عليها بنصّ البخاري في صحيحه فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمة عليها السلام بنت

➔

رسول اللهﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول اللهﷺ فهجرت أبابكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول اللهﷺ ستة اشهر... (صحيح البخاري ج ٤: ص ٤٢ باب دعاء النبيﷺ) وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحدّ الذي جعلها توصي الإمام امير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام أن لا يصلّي أبوبكر عليها بعد وفاتها، بل ولا حتّى أن يمشي في جنازتها، حيث وارى الإمامعليه السلام جثمانها الطاهر سرّاً في الليل كما أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أنّها قالت: .... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفيت. وعاشت بعد النبيﷺ ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها (صحيح البخاري ج٥: ص ٨٢ وكتب المغازي باب غزوة خيبر).

ثمّ إنّ البخاري نفسه أخرج في صحيحه بسنده عن المسور بن مخرمة أنّ رسول اللهﷺ قال: فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني (صحيح البخاري ج٤: ص ٢١٠ كتب المناقب باب مناقب المهاجرين و...).

وقال ابن حجر: استدلّ بهذا الحديث السهيلي على أنّ من سبّها فإنّه كفر. وتوجيهه أنّها تغضب ممّن سبّها وقد سوّى بين غضبها وغضب رسول اللهﷺ، ومن أغضبهﷺ يكفر.... (انظر فتح الباري ج٧: ص ٨٢).

ولا يخفى على الخبير هذا الاستدلال من العالم السنّي الذي يكون تامّاً على مباني أهل السنة والجماعة لأنّه مطابق لما جاء في القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (سورة الاحزاب: ٥٧).

فإنّ المراد من إيذاء الله ورسوله ليس الاّ الكفر، لأنّ إيذاء الله ليس له معنىً صحيح إلاّ ما يوجب غضب الله ورسوله، ومن الواضح أنّ الكفر والإلحاد إنّما يتحقّقان بسبب إيجاد الغضب لله ورسوله، وهذا ما يراد من الآية الكريمة.

➔

وخامسها: ما زعمه من أنّ عليّاً عليه السلام لم يدّع النصّ [(١)]. فإنّه من غريب

➔

ثمّ إنّ من الواضح أنّ الروايات الصحيحة عند جميع المسلمين دالّة على أنّ غضب فاطمة موجب لغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ولاشكّ أنّ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله موجب للكفر لأنّه موجب لغضب الله، وغضب الله موجب للكفر والإلحاد حسب استدلال السهيلي فلاحظ.

(١) فإنّ ما زعمه ابن تيمية في المقام من أنّ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يستدلّ بالنصوص الدالّة على إمامته وولايته وخلافته بعد النبي صلى الله عليه وآله واضح البطلان أوّلاً: لأنّ عدم الاستدلال لا يدلّ على عدم وجود النصوص حيث إنّ الأدلّة والنصوص قد أتمّت الحجّة على جميع الناس فلا حاجة للاستدلال بعد قيام الحجّة عليهم، فإنّ النصوص القرآنية والروائية موجودة وواضحة الدلالة سواء استدلّ بها الإمام عليه السلام أم لم يستدلّ بها.

وثانياً: إنّ الإمام عليه السلام قد استدلّ على إمامته بالنصوص. واستدلال الإمام عليه السلام كان على نحوين:

الأوّل: استدلال الإمام عليه السلام على إمامته بالأدّلة الدالّة على بطلان خلافة الخلفاء الذين خرجت خلافتهم من سقيفة الغدر و المكر و الاحتيال كما وضّح الإمام ذلك في الخطبة الشقشقية وغيرها و هي كثيرة لا يسع المجال لذكرها وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

الثاني: استدلال الإمام عليه السلام بالنصوص من الآيات الكريمة والروايات المتواترة الدالّة على إمامته وإمامة أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل ومنها حديث المناشدة الذي ناشد الإمام عليه السلام كثيراً من الصحابة الذين حضروا واقعة غدير خمّ وطلب منهم أن يذكروا ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله بأُذنيهم في حقّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقد استخرجها العلامة الأميني في كتابه الغدير من مصادر كبار علماء أهل السنة والجماعة (انظر الغدير ج١: ص ١٥٩ ـ ١٨٦) وهناك روايات وأدلّة أخرى من الاحتجاجات والاستدلالات على إمامته كاحتجاج الإمام عليه السلام يوم الشورى و غير ذلك وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

➔

المقال وعجيبه. فأيّ حاجة الى دعوى النصّ عند قوم جميعهم عالمون به، وقد قامت الحجّة عليهم بنفس بيان الرسولﷺ بإمامة عليّعليه السلام بهذه النصوص المشار إليها ولم يمض زمان طويل من سماعهم لهذه النصوص حتّى يتصوّر نسيانهم لها فيحتاجون الى من يذكّرهم[1]؟ فلِمَ لم يقل لهم

←

وخلاصة الكلام أنّ النصوص والأدلّة القطعية قائمة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ الإمام عليه السلام قد استدلّ بالنصوص على إمامته. ولاشكّ أنّ تلك النصوص والأدلّة ثابتة الحجيّة عند جميع أهل السنة والجماعة بحيث تتمّ الحجّة بها على جميع الناس. وهي أدلّة واضحة تدلّ أوّلاً على أنّ الإمامة منصب إلهي كما أنّ النبوة تكون كذلك وهي ولاية يؤتيها الله من يشاء من عباده ويصطفي من عباده من يشاء، ولا يضرّها تكذيب الناس وتفرّقهم عنها، كما لا تزول نبوّة النبي بذلك فكذلك الإمامة لأنّها غير مشروطة بتصديق الناس له وتسليمهم إيّاه.

وثانياً أنّ الأدلّة والنصوص قائمة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام واستدلّ الإمامعليه السلام بإمامته من الكتاب العزيز وآيات الولاية التي تدلّ على إمامته وإمامة أهل البيت عليهم السلام والأحاديث الواردة في خلافته وإمامته بالصراحة الحجة عند جميع الناس و الصحابة وهي كثيرة بحيث يكون إنكارها إنكاراً للضروري، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ الصحابة الذين سمعوا الروايات من النبي الأكرمﷺ ورووا الأحاديث الدالّة على إمامة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام فهم قد سمعوه من النبي الأكرمﷺ وشهدوا المواقف التي بيّن فيها الرسول الأعظمﷺ أفضليّة أهل بيتهعليهم السلام وأحقّيتهم بالإمامة والخلافة وقد حضر مائة ألف منهم واقعة الغدير وسمعوا من النبيﷺ حديث الغدير وشاهدوا تنصيب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام علماً وإماماً لما بعده وقد ووعوه بقلوبهم، تلك الواقعة التي أثبتها التاريخ بتفاصيلها، وتناقلها الرواة جيلاً بعد جيل عن أناس موثوقين وبطرق مختلفة ومتعدّدة، وقد صرّح

←

الرسـول صلى الله عليه وآله لمّـا عـصوه يـوم الحديبيـة ألـم يوجـب الله سـبحانه طـاعتي

➔

جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة بصحّة هذا الحديث بل بتواتره بحيث لا يمكـن إنكاره حتّى للمعاند من أعداء أهل البيت؛ فقد صرّح الذهبي بتواتره مع أنّه من المتعصبين في الدفاع عن مباني أهل السنة والجماعة وكذلك غيره من علماء أهـل الـسنة والجماعـة، فروى القريب والبعيد مـنهم الحـديث وأثبتـه المؤلفـون فـي الحـديث والتـاريخ والتفـسير وأفرده بالتأليف فيه كبار علماء الإسلام كالذهبي وأمثاله من علماء أهـل الـسنة والجماعـة وقال في كتابه تـذكرة الحفـاظ: رأيـت مجلّـداً مـن طـرق الحـديث لابـن جريـر الطبـري، فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق (تذكرة الحفاظ ج١: ص ٧١٣).

وقال ابن كثير الشامي: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غديرخمّ فـي مجلّـدين ضـخمين وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير (البداية والنهاية ج١١: ص ١٤٧).

وروى ابن كثير بالأسانيد عن أبي هريرة قال: لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ قال: من كنـت مولاه فعليّ مولاه، فأنزل الله عزوجل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**... ﴾ قـال أبـو هريـرة: وهو يوم غدير خمّ، من صام يوم ثمان وعشرين من ذي الحجة كتب له صيام ستّين شـهراً ... (البداية والنهاية ج٥: ص ٢١٣).

وإلى غير ذلك ممّا ورد في كلمات القوم من الاعتراف بصحّة حديث الغدير وتـواتره وغيـره من الروايات الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ النصوص والروايات الـواردة في هذا المجال كثيرة جدّاً لا يمكن إنكارها، وغاية ما فعلوه هو التأويل واختلاق الأعـذار لتركها وإهمال العمل بها.

ولذلك روى الطبري وابن الأثير: إنّ الأنـصار قـالوا يـوم الـسقيفة أو بعـضهم: لا نبـايع إلّـا عليّـاً (انظر تاريخ الطبري ج: ص ٢٠٨ والبداية والنهاية ج٢: ص ١٢٣).

ويبـدو مـن خـلال هـذه الروايـات أنّ هنـاك أبحـاث جذريّـة حـول النـصوص الـواردة عـن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتّـى فـي سـقيفة بنـي سـاعدة، فيلزم على المحقّق أن يبحث ويدرس معطياتها بصورة واعية، فلاحظ.

عليكم[(١)]؟

(١) لا يخفى أنّ طاعة الرسول هي طاعة الله عزوجل وقد قرن الله تبارك وتعالى طاعة الرسول بطاعته فقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (سورة النساء: ٥٩) فبيّن تعالى في هذه الآية الكريمة حقيقة طاعة رسوله حيث جعلها واجبة بعد طاعته أي أنّها من سنخ طاعة الله، فيلزم على كلّ مؤمن ومسلم أن يسلّم أمره إلى الله ورسوله، فأمر الرسول أمر الله عزوجل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ (سورة النساء: ٦٥) فإنّ الآية صريحة في أنّ طاعة الرسول هي طاعة الله عزوجل ومن أطاع الله ورسوله فهو مشمول أيضاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩) وفي هذه الآية الكريمة ميزة من ميزات وهي أن يكون المطيع مرافقاً مع الذين أنعم الله عليهم، وهم طوائف أربع، الطائفة الأولى: الأنبياء: وهم رسل الله تعالى الذين كانوا طليعة السائرين في طريق دعوة الناس والهداية إلى الصراط المستقيم فيكون المؤمن المطيع مرافقاً لهم.

الطائفة الثانية: الصادقون وهم الذين يصدقون في القول و يصدّقون إيمانهم بالعمل الصالح ويثبتون أنّهم ليسوا مجرّد أدعياء الإيمان، بل مؤمنون بصدق بأوامر الله وتعاليمه، فهؤلاء أيضاً مرافقون لمن اطاع الله ورسوله.

الطائفة الثالثة: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وفي سبيل العقيدة الإلهية الطاهرة أو الذين يشهدون على الناس وأعمالهم في الآخرة فأيضاً المؤمنون حقّاً يرافقون هؤلاء الطائفة.

الطائفة الرابعة: هم الذين بلغوا بأعمالهم الصالحة والمفيدة وباتّباع الأنبياء وأوامرهم إلى مراتب عالية ومقامات رفيعة، فهؤلاء أيضاً يرافقون المطيع لله ولرسوله.

وأمّا من عصى أوامر الله ورسوله وتمرّد عن أوامر الرسول وطغى في الحياة الدنيا فهو مشمول لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ

←

ولِمَ لم يقل لمن قال: «يهجر! حسبنا كتاب الله!»[(١)] ألم يحصر الله سبحانه

➔

عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (سورة النساء: ١٤)

ومن الواضح أنّ المقصود من التمرّد على الله ورسوله هو الإنكار لآيات ولمقام الرسالة والنبوة وهو المقصود من قوله تعالى التعدّي عن الحدود الإلهية فإنّه سوف يكون خالداً في النار وهو جزاء الكفّار حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩) وبهذه الآية الكريمة قد بيّن تعالى مصير الكفّار وهو الخلود في جهنّم.

إذن المقصود بمن يعص الله ليس فقط من يرتكب الكبيرة، بل المقصود من عصى أمر الله ورسوله بسبب عدم إيمانه بالله ورسوله، ومعناه هم الذين لم يؤمنوا بالله وإن أظهروا الإيمان أو أنّهم آمنوا بالله ورسوله ثمّ خرجوا عن طاعة الرسول بالعصيان والتمرّد عليه، فإنّ ما حدث في الحديبيّة من عصيان أمر الرسول والتمرّد عن أوامره يعتبر خروجاً عن الطاعة والإيمان، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ من أشهر القضايا وأكبر الرزايا التي حدثت في حياة النبي الأكرمﷺ هي رزيّة يوم الخميس التي أخرجها جميع أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن من أهل السنّة والجماعة، وقد وقعت هذه الحادثة الأليمة قبل وفاة رسول اللهﷺ بأربعة أيّام؛ لأنّه توفّي بأبي وأمي بعدها في اليوم الاثنين بعد حادثة طلب القرطاس والدواة ، وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أنّه قال: لمّا حضر رسول اللهﷺ وفي البيت رجال كان فيهم عمر بن لخطاب، قال النبيﷺ: هل أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده فقال عمر: إنّ النبيﷺ غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغو و الاختلاف عند النبيﷺ قال لهم:

🡐

➔
قوموا. قال ابن مسعود فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (صحيح البخاري ج٧: ص ٩ كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عنّي).

وأخرج أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، لم يكن حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فتنازعوا ولا ينبغي عند النبي التنزاع فقالوا: هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه... (صحيح البخاري ج ٤: ص ٣١ كتاب دعاء النبي ﷺ باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم).

فالحديث مورد اتفاق أهل السنة والجماعة لأنّه قد أخرجه جميع أهل الصحاح والمسانيد.

ولا شكّ أنّ عمر بن الخطاب قد نسب إلى النبي ﷺ الهجر والهذيان ـ والعياذ بالله ـ وإنّ ما فعله مورد اتفاق جميع أصحاب السير والتأريخ والحديث وإن حاولوا إلى توجيه كلامه وتفسيره إلى ما لا تقبله العقول؛ لأنّ المتبادر منه إلى الذهن هو من لا يعتدّ بكلامه ﷺ ـ والعياذ بالله ـ لعدم الفائدة فيه ـ نستجير بالله ـ وهذا جسارة واضحة بشأن نبيّ الإسلام ﷺ حيث إنّه قد ردّ على النبيّ الأكرم ﷺ وانّ الردّ على النبيّ ﷺ ومعارضته ورفض طلبه يعدّ من أكبر الجرائم بساحته المقدسة بل إنّه رفض للسنّة النبويّة وقد قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

فمعنى الشعار الذي رفعه عمر بن الخطاب في وجه النبي ﷺ «حسبنا كتاب الله» مع علمه بأنّ هذا الكلام ردّ على رسول الله ﷺ، موجب للكفر والإلحاد...

وبعبارة أوضح: إنّ عمر بن الخطاب أراد بهذا القول نفي النبوّة عن النبيّ الأكرم ﷺ حيث إنّ نبوته يمنع الهذي والهجران كما هو واضح، ظاهر.

وهذه الجسارة بساحته المقدسة يخبر عن عدم مبالاة الصحابة الذين عصوا أمر النبي ﷺ وعلى رأسهم عمر بن الخطاب باتهام النبي ﷺ بأنّه لا تكون في ذلك الحين نبوّته ثابتة عندهم، فعمدوا إلى إنكار النبوّة لدفع الوصيّة بالإمامة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: قوموا
🡐

نطقي بالوحي [1]؟ ولِمَ لم يقل لهم لمّا نقم الصحابة عليه في تأمير زيد بن

→

عنّي، إذ لو كان يلزم ذلك عليهم للزم عليهم قبول إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنكار النبوّة من عمر كان مقدمة لإنكار الإمامة.

(١) قال الله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**﴾ هذه الآيات صريحة في أنّ كلام النبي صلى الله عليه وآله في جميع الأحوال والأزمان على الإطلاق يكون نفس كلام الله عزّوجلّ؛ لأنّ النطق على الإطلاق منسوب فيه إلى الوحي فيكون كلام النبي صلى الله عليه وآله في جميع الأحوال والأزمان على الإطلاق وحي من الله عزوجل. وهذا المعنى يستفاد من الآيات بشكل واضح، فقد أعطى الله تعالى هذا المقام للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأنّه خليفته في الأرض فيجب طاعته والتسليم لأوامره ونواهيه في جميع الأحوال والأزمان على نحو الإطلاق.

ولا شكّ أنّ الصحابة كانوا يعلمون هذه الحقيقة القرآنية لأنّ القرآن كان بين أيديهم وهو صريح بظاهره ودالّ بآياته الكريمة على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله على الإطلاق. وكلّ انسان يعرف اللغة العربية تكون هذه الحقيقة واضحة عنده كالشمس في رابعة النهار.

ولكن التاريخ والأحاديث وضّحت لنا ولكلّ باحث بأنّ الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب خالفوا أمر القرآن في طاعة النبي صلى الله عليه وآله في مواطن عديدة. منها: عندما طلب النبي صلى الله عليه وآله من أصحابه في أواخر حياته الشريفة أن يأتوه بالدواة والقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً فردّ عليه عمر بن الخطاب ومنع عن طاعة النبي صلى الله عليه وآله بل وقد نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله الهجر والهذيان ـ والعياذ بالله ـ أليس أنّ هؤلاء الصحابة كانوا يعلمون أنّ القرآن الكريم أمر جميع المسلمين بطاعة النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى؟ أليس أنّهم يعلمون أنّ طاعة النبي واجبة كطاعة الله بنصّ القرآن الكريم، ولماذا أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يقل لهم أنا نبيّكم لماذا لا تطيعون أمري؟ أليس قال الله تعالى طاعتي

←

حارثة [١]

➔

واجبة عليكم بنصّ القرآن لماذا لم يستدلّ النبيﷺ بالقرآن مع أنّ القرآن كان بين أيديهم فليجب ابن تيمية وأتباعه، أليس طاعة النبيﷺ كانت واجبة على جميع الصحابة؟ لاشكّ أنّ كلّ باحث لو تأمّل في هذه الواقعة يصل إلى هذه النتيجة بأنّ مرجع ردّ عمر بن الخطاب على رسول اللهﷺ ردّ على نبوّته، ولذلك لم يقل رسول اللهﷺ له لماذا لا تطيع نبيَّك؟ لأنّ عمر بن الخطاب لو كان يعتقد بنبوّة النبيّ ﷺ لم يرد عليه ما ينكر به نبوّته، فإنّ الردّ على النبيﷺ على رؤوس الأشهاد بما هو منكر له ردّ على القرآن وردّ على الله عزّوجلّ، فلا يبقى مجال للسؤال.

وعليه فإنّ الردّ على الرسولﷺ كان لمنع الرسول من الوصيّة في الإمامة.

(١) وهو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب وكان طفلا حين السبي فربّاه النبيﷺ وبعثه في العام الثامن من الهجرة إلى غزوة مؤته في بلاد الشام. فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي قتادة فارس رسول اللهﷺ قال: بعث رسول اللهﷺ جيش الأمراء وقال: عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري ... (مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٢٩٩) وقال الواقدي: ومضى المسلمون مع زيد والأمراء فنزلوا وادي القرى وأقاموا به أياماً وساروا حتّى نزلوا بمؤتة وبلغهم أنّ هرقل ملك الروم قد نزل ماء من مياه البلقاء في جيش من الروم مائة ألف مقاتل العرب عليهم رجل من «بلي» يقال له: مالك، فأقام الملوك ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول اللهﷺ فنخبره الخبر فإمّا أن يردّنا أو يزيدنا ... (انظر كتاب المغازي ج٢: ص ٧٦٠)

وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: أمر رسول اللهﷺ أسامة بن زيد على قوم فطعنوا في إمارته فقالﷺ: إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ... (صحيح البخاري ج٥: ص ٨٤ كتاب المغازي باب غزوة زيد بن حارثة)

فإنّ صريح الحديث طعن الصحابة في تأمير النبيﷺ زيد بن حارثة والطعن في تأميره ردّ

➔

وتأمير ابنه أسامة [(١)]

➔

عليه والردّ على النبيﷺ نقض لوجوب طاعته ومخالفة صريحة لأوامر الله ورسوله، وليس أعظم منه في القبح، ومشمول لقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ (سورة النساء: ١٤) فقد بيّن تبارك و تعالى في هذه الآية المباركة تجاوز الحدود الإلهية بقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا**﴾ . ويتّضح من خلال هذه الآية المباركة أنّ المقصود التمرّد على أمر الله ورسوله والطغيان والتجاوز عن الحدود هو الإنكار لآيات الله وإنكار مقام الرسالة، فهذا معنى تجاوز الحدّ الإلهي وعند ذلك يكون مصيره نار جهنّم خالداً فيها، والخلود في نار جهنّم إنّما هو جزاء الكفّار كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا**﴾ وإنّما يكون الكافر خالداً في النار لأنّ الكفّار لا سبيل إلى هدايتهم لأنّهم غارقون في الفساد والإثم ولا يفيدهم أيّ نصيحة ولا هداية فهم في درجة من ارتكاب المخالفة لله ورسوله بحيث يصبحون منكرين لله ورسوله، فهم الكفار والفاقدين للإيمان ومصيرهم يوم القيامة جهنّم خالدين فيها لردّهم على الله ورسوله ورفضهم أوامر الرسالة والنبوّة ونقضهم لسيرة الرسولﷺ ومنهجه، فهذا كفر و فسوق واضح.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر قال: إنّ رسول اللهﷺ بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته فقام رسول اللهﷺ وقال: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة ... (صحيح البخاري ج٥: ص ١٤٥ كتاب المغازي باب رض النبيﷺ ...ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص ١٣١ كتاب الفضائل باب فضائل زيد والترمذي في سننه ج٥: ص ٣٤١ وغيرهم، وقد صرّح علماء أهل السنة والجماعة بأنّ الطعن في تأمير النبيﷺ

🡐

ألم يأمر سبحانه بطاعتي [١]؟

إيذاء له وأنّه مشمول لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧).

قال القرطبي: قال علمائنا: والطعن في تأمير أُسامة بن زيد أذيّة له ﷺ روى الصحيح عن ابن عمر أنّه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً أمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمارته ... (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤: ص ٢٣٨)

وقال ابن حيان القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ المقصود من الآية الطعن في تأمير أسامة بن زيد: إنّ إيذائه ﷺ وإيذاء الله والرسول فعل ما نهى الله ورسوله عنه من الكفر والمعاصي، وإنكار النبوة ومخالفة الشرع، وما يصيبون به الرسول من أنواع الاذى ... (تفسير البحر المحيط ج٧: ص ٢٣٩).

ومقتضى هذا الاستدلال أنّ الصحابة تمّردوا عن أمر أمير الجيش الذي كان أميراً بأمر الرسول ﷺ ولم يلتحقوا بجيشه وطعنوا في إمارته وبذلك تسبّبوا إيذاء الرسول ﷺ، وقد شملهم قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧).

ولا يخفى على الخبير أنّ هذا اللعن إنّما يدلّ على أنّ من لعنه الله فهو كافر؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول:: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ٥٢) أي أنّه بعيد عن رحمة ربّ العالمين، مع أنّ رحمته تبارك و تعالى واسعة لكلّ شيء فهؤلاء ليس لديهم أيّ سبيل للهداية فهم في أبعد ما يتصوّر من رحمة ربّ العالمين.

(١) لا يخفى على الخبير أنّ الله تعالى قد أمر بطاعة الرسول في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢) ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ

الى غير ذلك [١]؛ وسِرُّ ذلك معلوم، من حيث علمهم بوجوب طاعته وبأنّ

➔

منكُمْ ﴾(سورة النساء: ٥٩)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾(سورة الانفال: ٢٠)

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة النور: ٥٤)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾(سورة محمد: ٣٣) فهذه الآيات وغيرها تدلّ بالصراحة على وجوب طاعة النبيﷺ كوجوب طاعة الله عزوجل ولكن النبي ﷺ لم يستدلّ بهذه الآيات على وجوب طاعته؛ لأنّ القوم الذين خالفوا أوامره كانوا يعلمون بوجوب طاعة النبيﷺ وكذلك كانوا يعلمون بوجود الآيات الصريحة في وجوب طاعة النبي ﷺ ومع ذلك عصوا وخالفوا أوامرهﷺ وهذا يكشف عن كونهم جاحدين بمقام النبوة فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ الله تبارك وتعالى أرسل رسله بالبينات والهدى وأنزل معهم الكتاب والزبر لتحقيق الغرض من خلق الإنسان وهو العبودية والطاعة فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(سورة النساء: ٦٥) فلابدّ لكلّ مؤمن أن يسلّم أمره إلى رسول رب العالمين ولا يخرج عن طاعته وعند ذلك يكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩).

وايضاً قال تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(سورة النساء: ٨٠)

🡐

➔
فتؤكّد هذه الآية الكريمة أنّ المؤمن لا بدّ له من طاعة الله ورسوله وإلّا سوف يكون من المذنبين والعاصين بل من المنحرفين والمرتدّين عن الله ورسوله فإنّ كلّ أحد يعرف بعمله حيث إنّ عمله مبيّن لشخصيّته. فمخالفة الله ورسوله تورث الانحراف عن الجادّة وبها يعرف الناس المنحرف عن جادّة الصواب، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ (سورة الأنفال: ٤٦) فإنّ عصيان أمر الرسول والتنازع موجب للفشل لأنّ النزاع والفرقة يؤدّي إلى تبيين حقيقة كلّ إنسان وما يضمر من نوايا، بخلاف المطيع لأوامر الله ورسوله فلا تجد في عمله أيّ تنازع واختلاف لأنّ عمل المؤمن خالص لوجه الله قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾**النور/٥١**﴾ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ (النور ـ ٥١ ـ ٥٢) فإنّ من يقول أنا مؤمن ولم يكن في مقام العمل مطيعاً فهو كالمستهزئ بآيات الله، إذ معناه أنّه يقول في مقام القول والكلام سمعنا وأطعنا ولكن في مقام العمل فهو عاص، ومعناه أنّه يقول أنا مخالف لما قلته سابقاً وبذلك أشار تعالى بقوله: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون** ﴾ (سورة الروم: ١٠)

ولا يخفى أنّ أمره تعالى بطاعة الرسول والاقتداء به من جهة النجاة والنجاح والفوز بجميع مراحل السعادة قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾(سورة الأحزاب: ٢١)

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦) وإلى غير ذلك من الآيات الدالّة على لزوم الطاعة، فلاحظ.

نطقه منحصر بالوحي فليس في بيان ما علموه ثمرة[(١)]. ومن هذه الجهة قال

(١) وبعبارة أوضح: إنّ الصحابة كانوا يعلمون وجوب طاعة النبيﷺ لأنّ القرآن الكريم أكّد عليهم في عديد من الآيات وجوب طاعة النبيﷺ وكون طاعته دليلاً على إيمان المؤمن، ومن أجل ذلك قال تعالى في ابتداء عدّة من الآيات قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ...﴾(سورة الأنفال: ٢٠) فإنّ الخطاب متوجّه للمؤمنين، والمؤمن لابدّ له من إطاعة الله والرسول، ولولا الطاعة لا يصدق الخطاب بالمؤمن فهذه الآيات تؤكد على ذلك لأنّ من دلائل الإيمان الطاعة والتسليم لأمر الله ورسوله. والوجه في ذلك واضح؛ لأنّ الإيمان الحقيقي يستلزم الطاعة والتسليم كما أنّ الطاعة والتسليم يَستلزم الحبّ والمودّة ولذلك قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(آل عمران: ٣١) فلو كان الصحابة يحبّون الله ورسوله لكانوا يسلّموا الأمر إلى الله وإلى رسوله ويطيعون الله ورسوله ولا يعصون الله والرسول ولا يخالفون أوامر الله ورسوله لأنّهم كانوا يقومون بالواجب عليهم وهو التسليم لأمر الله تعالى فإنّ الله تبارك وتعالى بيّن عصمة النبي الأكرم في قوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾ (سورة النجم: ١ ـ ٥) والصحابة كلّهم يعلمون أنّ القرآن عصم النبيﷺ من أن ينطق عن الهوى بل إن هو إلّا وحي يوحى، فإنّ كلّ ما يقوله النبيﷺ هو كلام الله ومن الله وأيضاً إنّ الصحابة كانوا يعلمون حسب ظاهر القرآن أنّ النبيﷺ لا يقول شيئاً من نفسه، بل كلّ ما يقوله من الله، والدليل على ذلك أمره تعالى بالأخذ بما آتاكم الرسول على نحو الاطلاق فقال تعالى: ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (سورة الشحر:٧) فانّه كون النبيﷺ أمياً كيف يأمر تعالى بالأخذ منه على الاطلاق والأمي هو الذي لم يقرأ و لم يكتب ففي هذه الحالة يأتي بكلام غزير المحتوى كالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكلامه يكون فوق كلام البشر فكل انسان في عصر النبيﷺ لو توجه إلى هذه الجهة

←

عليّ عليه السلام في محضر ألوف من الخلق وفيهم مئات من الصحابة في خطبته[1]: لقد تقمصّها ابن أبي قحافة وهو يعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب

➔

بلا تعصب لآمن برسول الله صلى الله عليه وآله.

والعجيب من الصحابة الذين كانوا يعلمون ذلك وكانوا يرون الإعجاز والحقّ ومع ذلك كانوا يُخالفون أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله .

وينبغي الالتفات إلى أنّ هذه الآيات تشمل حتى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّها وفق الوحي

وكلّ هذه المعلومات ثابتة من القرآن الكريم، والصحابة يعلمون ذلك ولكن لم يعملوا بها بل وكان عملهم على خلاف ذلك.

(١) انظر نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣ المعروفة بخطبة الشقشقية، هذه الخطبة من أشهر خطب نهج البلاغة وقد تحدّث فيها الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عن غصب الخلافة والبرهة التي حكم فيها الخلفاء الغاصبون، ففي الخطبة نوع من الشكاية والتظلّم ونوع من النقد المهذّب واستذكار لوقائع حدثت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ ترجيح صبره عنها.

وإنما سمّيت بالشقشقية لأنّ الإمام قال في آخرها: تلك شقائقه هدرت ثمّ قرّت. قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ٢٠٣)

وربما تعرف هذه الخطبة ب «المقمصة» ايضاً لاشتمالها على لفظ التقمّص الوارد في أوّلها وهو قول الإمام عليّ عليه السلام: «أمّا والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى ...».

وهو نظير التعبير عن السور بأشهر ألفاظها كالبقرة وآل عمران والرحمن والواقعة وغيرها.

وهناك بعض الأُمور التي تتضمّنها الخطبة بما لم يرد شبيهها في سائر خطب نهج البلاغة ورغم قلّة عباراتها، فإنّها تحتوي على مسائل مهمّة، وقد أوجزت عصر الخلافة التي

←

من الرحى[(١)] .... (إلى تمام قوله) حيث بيّن علم أبي بكر بأنّ الخليفة بعد

➔

نهضت بالأمر بعد وفاة رسول اللهﷺ، وإلى جانب ذلك التحليلات الدقيقة والراقية التي تلفت انتباه المحقّقين، ونحن نشير هنا الى بعض تلك التحليلات، التحليل الأوّل: إنّ صدور الخطبة من الامامعليه السلام كان بعد واقعة النهروان عندما قضى زمان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإنّ مضمون الخطبة يؤيد ذلك.

الثاني: إنّ مكان الخطبة مسجد الكوفة، إلّا أنّه ورد في بعض الروايات أن ابن عباس قال: إنّ الإمامعليه السلام ألقى هذه الخطبة في الرحبة.

قال ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ لقد أورد الإمام عليّعليه السلام هذه الخطبة حيث صعد المنبر جواباً لمن سأله «ما الذي أبطأ بك إلى الآن (انظر تذكرة الخواصّ: ص١٢٤) وهذا يدلّ على أنّ الخطبة كانت في مسجد الكوفة.

الثالث: انّ الخطبة تشتمل على عرض ما حدث بعد رحيل الرسول الأكرمﷺ والمشاكل التي أفرزها عصر الخلفاء، ثمّ يتطرّق الإمام عليه السلام صراحة الى أحقّيّته بالخلافة معرباً عن أسفه لخروج الخلافة عن محورها الأصليّ الذي خطّط له الإسلام والنبيﷺ. وأخيراً يتحدّث عن قضية مبايعة الأُمّة له والأهداف الكامنة وراء قبول البيعة بعبارات قصيرة في غاية الروعة والبيان.

(١) وتوضيح المقام: أنّ الامامعليه السلام ابتدأ الخطبة بالاعتراض على من غصب الخلافة بعد وفاة الرسول الأكرمﷺ وتأسّف على هذا الاغتصاب، لأنّ الاغتصاب صار سبباً لإضلال الأمّة وخروج الخلافة عن محورها الأصليّ الذي خطّط له الإسلام والنبيّ الأكرم ﷺ حيث إنّ الخلفاء الثلاثة أحدثوا في الدين البدع بأهوائهم وميولهم فلم يبقوا من الإسلام إلاّ اسمه. ولذلك قالعليه السلام: أما والله لقد تقمصّها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم انّ محلي منها محلّ القطب من الرحى...

لا شكّ أنّ الضمير في «تقمصها» يعود الى الخلافة. ولعلّ التعبير بالقميص إشارة الى أمر يشبه بالتلبّس في غير محلّه، فكما أنّ الانسان لو لبس ثوباً في حجم كبير أو صغير يكون ذلك

➔

الرسول صلى الله عليه وآله هو علي عليه السلام. فبيان النصّ إنّما يفيد عند غفلة المخالف

➔

موجباً للتمسخر ومضحكاً كذلك التلبّس بالخلافة يكون كذلك، فإنّ أبابكر قد أشغل الخلافة كقميص يزين به نفسه، والحال أنّه موجب لاستهزائه و أنّ هذه الرحى تتطلّب محوراً قوياً يحفظ نظامها في المحرّكة ويحول دون انحراف مسارها وتعثر بفعل المطبات التي تواجهها وتسير بما يضمن مصالح الإسلام والمسلمين، فبيّن الإمام عليه السلام بأنّ الخلافة هي رحى الجامعة وليست قميصاً وثوباً يرتديه من لا يليق به.

والخبير عندما يقرأ هذه الخطبة ويلاحظ الأحداث التي حدثت بعد وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله يرى حقيقة كلمات الامام عليه السلام بوضوح حيث إنّ قضية غصب الخلافة بواسطة سياسة قريش وأحفاد أميّة إنّما كانت سياسة مدروسة ضد الإسلام، وهي سياسة البطش والاغتيال والنفاق منذ أن اتسع نطاق الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، فكانت هذه السياسة قد داهمت الجاهلية القرشية واليهودية في قبال الإسلام وبني هاشم.

و اتفقت أبناء قريش وأمية متّحدين مع يهود المدينة من بني نظير وقريظة وقينقاع وغيرهم بإجراء خطط ضد الإسلام. وفي بادي الأمر اتفقوا على اغتيال الرسول صلى الله عليه وآله وبادروا إلى ذلك مرّات عديدة في مكّة والمدينة ففشلوا ولم يتمكّنوا من ذلك؛ لانّ الله تبارك وتعالى دفع كيدهم ومكرهم، ولكن لم يكفّوا عن هذه السياسة المشؤومة فاستمرّت هذه السياسة الدنيّة والنفاقية الدمويّة تتواصل للاجرام وسلب حقوق أهل البيت عليهم السلام حتّى وفات النبي صلى الله عليه وآله فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لغصب الخلافة وذلك لإرجاع الأمّة إلى عصرها الجاهلي، وقد حاكت لهذه المؤامرة أبناء قريش وأمية لتخرق الأمّة بالخداع والاجرام للحصول على مصالحهم الدنيوية.

ومن هنا يعرف كلّ باحث مدقّق في تاريخ الإسلام أنّ أبا بكر كان يعلم أنّه غصب الخلافة والحقّ من الامام امير المؤمنين عليه السلام وهذه العبارات من الخطبة دليل واضح على ذلك، فلاحظ.

ونسيانه له[١] وحيث وجدهم عليّ عليه السلام مصرّين على مخالفة النصّ عزل نفسه عنهم وجلس في بيته ولم يبايعهم ـ وهو الخشن في جنب الله ـ[٢] ستة

---

(١) وبعبارة أوضح: إنّ الاستدلال بالنصوص والأدلّة والحجّة إنّما يفيد لمن كان مسلّماً لأمر الله ورسوله من دون أيّ قيد أو شرط ومصدّقاً لما جاء به الشرع من قبل الله عزّوجلّ.

وبعبارة أوضح: إنّ الاستدلال بالقران والسنّة النبويّة إنّما يفيد للمؤمن بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأمّا المنكرين والجاحدين فهم مشمولون لقول الله تعالى: ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة البقرة: ٤١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة: ٩١).

فإنّ القرآن الكريم يكشف عن زيف هؤلاء ويبيّن أنّ الإقرار بالشهادتين والعمل بحسب ظواهر الإسلام إنّما يفيد إذا كان المؤمن مصدّقاً لما جاء من قبل الله عز وجل، وإلّا فلا فرق بينه وبين الكفّار لأنّ الظاهر من عمل الإنسان يحمل على الصحة ما دام لم يقم قرينة قطعيّة على خلافه. فكما لا يفيد الاستدلال بالقرآن والنصوص مع الكفّار لا يفيد مع المنكر والجاحد ممّن يدّعي الإسلام والإيمان ولا يصدّق بما جاء من قبل الله ورسوله.

(٢) هذه العبارة إشارة إلى الروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بطرق عديدة من الفريقين فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى علياً الناس قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيباً فسمعته يقول: أيّها الناس لا تشكوا فوالله إنّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص٨٦) ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٩ وابن عبد البر في الاستيعاب ج٤: ص١٨٥٧ ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص٢٠٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦٢٠ والآلوسي في تفسيره ج٦: ←

أشهر مدّة حياة فاطمة من حيث وجاهته عند الناس مدّة حياتها. فلمّا ماتت استنكره الناس فالتمس المبايعة حسبما ثبت ذلك في الصحيحين[(١)] وغيرهما[(٢)]. فكيف يتصوّر التجنّب عن متابعة الحقّ لحظة في حقّ من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله[(٣)] ؟

←

ص١٩٤ والطبري في تاريخه ج٢: ص٤٠٢ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٢: ص٣٠١ والذهبي في تاريخه ج٣: ص٦٣١ وغيرهم. وأخرج أبو نعيم الإصفهاني بسنده عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوس في ذات الله (حلية الأولياء ج١: ص٦٨).

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن إسحاق بن كعب بن عجزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ مخشوشن في ذات الله (الاستيعاب ج٣: ص١١١٤) ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص٢٠٦ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ج٢: ص١٨٧ وغيرهم.

ومعنى اخشوشن: اي اشتدّت خشونته، والأخشن مثل الخشن قاله الجوهري في الصحاح.

(١) انظر صحيح البخاري ج٤: ص٤٢ كتاب الخمس باب قرض الخمس وفي ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر وفي صحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه صدقة).

(٢) انظر مسند أحمد بن حنبل ج١: ص٦ وسنن الكبرى للبيهقي ج٦: ص٣٠١ وكنز العمال ج٧: ص٢٤٢ وغيرها من المصادر.

(٣) هذه العبارة إشارة إلى حديث الراية وهو من الأحاديث التي اتّفقت علماء الإسلام على صحّتها وروايتها، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي رضيّ الله عنه تخلّف عن النبي صلى الله عليه وآله في خيبر وكان به رمد فقال أنا أتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج عليّ فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فلمّا كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها

←

→

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطينّ الراية أو قال: ليأخذنّ غداً رجل يحبّه الله ورسوله أو قال: يحبّ الله ورسوله يفتح الله عليه، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه فقالوا: هذا عليّ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله، ففتح الله عليه (صحيح البخاري ج٤: ص١٢ كتاب الخمس باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وآله). و رواه أيضاً في صحيحه ج٤: ص٢٠٧ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم وفي صحيحه ج٥: ص٧٦ كتاب المغازي باب غزوة خيبر، ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٩٥كتاب المغازي باب قول الله تعالى وهو الذي كفّ أيديهم عنكم... في صحيحه أيضاً ج٧: ص١٢٢ كتاب الفضائل باب فضائل عليّ بن ابي طالب عليه السلام وغيرهما من أرباب الصحاح والمسانيد والسنن.

إلّا أنّ الشيخين البخاري ومسلم لم يرويا الحديث بكامله، وقد حذفا قسماً كبيراً ممّا رواه المحدثون من أهل السنة والجماعة، فقد روى الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد بسنده عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر أبا بكر فرجع منهزماً ومن معه فلمّا كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله لا يرجع حتّى يفتح الله فثار الناس فقال: أين عليّ؟ فإذا هو يشتكي عينيه، ثمّ دفع إليه الراية فهزّها ففتح الله عليه (مجمع الزوائد ج٩: ص١٢٤).

وأخرج الحاكم بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية يوم خيبر الى عمر فانطلق فرجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص٣٨).

واخرج ابن أبي شيبة الكوفي في كتابه بسنده عن بريدة الأنصاري عن أبيه قال: لمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بحضيرة خيبر فزع أهل خيبر وقالوا: جاء محمد في أهل يثرب قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب بأناس فلقي أهل الخيبر، فردّوه وكشفوه هو وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطينّ اللواء غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قال: فلمّا كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر: فدعا علياً وهو يومئذ أرمد، فتفل في عينه وأعطاه اللواء، قال: فانطلق بالناس،

←

الذي يدور الحقّ معه حيثما يدور[١]، حسبما ثبتت هذه الفقرة في عدّة طرق

←

قال: فلقى أهل خيبر ولقى مرحباً الخيبري واذا هو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب　　شاكي السلاح بطل مجرّب

إذا الليوث أقبلت تلهب　　أطعن أحياناً وحيناً أضرب

قال: فالتقى هو وعليّ فضربه ضربة على هامته بالسيف عضّ السيف منها الأضراس، وسمع صوت ضربته أهل العسكر، قال: فما تتام آخر الناس حتّى فتح لأوّلهم (المصنّف ج٨: ص ٥٢١).

وكل باحث لو راجع كتب الحديث من أهل السنة والجماعة يرى أنّ الحديث طويل وكلّ من المحدثين روى القصّة مع ما كان فيها من الأحداث وإن كان بعضهم اقتطع من الحديث أيضاً ولكن مجموع الروايات والأحاديث المنقولة عنهم دليل على أنّ القصّة فيها مدح وذكر فضيلة لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام وأنّ بعضهم كالبخاري ومسلم لم يذكرا ما ورد في الحديث من الطعن على أبي بكر وعمر وبعضهم لم يذكروا فضيلة المولى أمير المؤمنينعليه السلام بكاملها

والمهم أنّ أصل هذا الحديث مورد اتفاق جميع علماء أهل السنة والجماعة، وهذه الفقرة: «يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» مذكورة في جميع هذه الروايات المنقولة في كتبهم ومعناها: أنّ من يحبّه الله على الإطلاق معصوم، إذ لا يمكن صدق الكلام في غير المعصوم، لأنّ غير المعصوم قد يرتكب الذنب. فالإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام لم يعص الله أبداً ولو في لحظة واحدة من حياته ولو كان كذلك لما صدق «يحبه الله» على الإطلاق فهذه العبارة تدلّ على عصمة الإمام امير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبويّ المشهور الذي رواه علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنة في المجاميع الحديثية المعروفة والتصانيف الروائية والتفسيرية والتاريخية

←

←

وغير ذلك، فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي حيان التميمي عن أبيه عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ رحم الله عليّاً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار (ثم قال الحاكم): هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحن ج٣: ص١٢٣).

ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٧ وأبو يعلى الموصلي في مسنده ج١: ص٤١٩ والطبراني في معجمه الأوسط ج٦: ص٩٥ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٤٨ والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص٦٤٢ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص٢٤٦ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص٤٦٨ وغيرهم.

وقال المباركفوري في شرح الحديث: قوله: اللّهم أدر الحقّ...:

أي: أمر من الإدارة، أي اجعل الحقّ الحق دائراً وسائراً (حيث دار) أي حيث دار عليٌّ عليه السلام. ومن ثمّ كان أقضى الصحابة وأعلمهم (انظر تحفة الأحوذي ج١٠: ص١٤٩).

وقال المناوي: اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار: ومن ثمّ كان أقضي الصحابة، وأفاد ندب شكر المحسن والاعتراف له في الملأ والمحافل والمجامع (فيض القدير ج٤: ص٢٥).

وروى الخوارزمي عن علقمة والأسود قالا: سمعنا أبو أيوب الأنصاري يقول: سمعت النبي ﷺ يقول لعمّار بن ياسر: قتلت الفئة الباغية، وأنت مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار، إذا رأيت علياً وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليّ ودع الناس، فإنّه لن يدخلك في أذى ولن يخرجك من الهدى، يا عمار انّه من تقلّد سيفاً أعان به عليّاً على عدّوه قلّده الله يوم القيامة وشاحاً من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ عليّ قلّده الله يوم القيامة وشاحاً من نار قال: قلنا حسبك؟ (المناقب للخوارزمي: ص٥٧).

وروى الحمويني الجويني بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ الحقّ مع علي بن أبي طالب حيث دار (فرائد السمطين ج١: ص١٧٧).

وروى أيضاً عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة (رض) إذا استأذن رجل فقالت له:

←

من حديث الغدير[١] وصححها الذهبي على ما قاله ابن حجر مفتى الحجاز في عصره في رده على الشيعة[٢] الذي قد رددناه وبينا ظلمه للحق وترويجه للباطل[٣]. ومن قرنهﷺ بالفرقان العظيم وجعله معه حتّى ورود

من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى علي ابي طالبعليه السلام، فقالت أمّ سلمة: مرحباً بك يا أبا ثابت ادخل، فدخل فرحبت به ثمّ قالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطارّها؟ فقال: مع عليّعليه السلام قالت وفقت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول اللهﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والقرآن والحقّ والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض (فرائد السمطين ج١: ص١٤٠).

(١) لقد أخرج بن حجر المكي في صواعقه في الشبهة الحادية عشر حديث الغدير الذي فيه هذه العبارة، وإليك نصّ ما جاء في الصواعق: النصّ التفصيلي المصرّح بخلافة عليّ قوله يوم غدير خم موضع بالجحفة مرجعه من حجّة الوداع بعد أن جمع الصحابة وكرّر عليهم: ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثاً وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف، ثمّ رفع يد عليّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وابغض من ابغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار.... (الصواعق المحرقة: ص٤٢).

(٢) قد ذكر ابن حجر أسناد حديث الغدير وبيّن أنّ الحديث قد رواه كبار علماء أهل السنة بأسناد صحيحة وبطرق متعدّدة عن ستة عشر صحابيّاً ثمّ ردّ على من قدح في صحة الحديث وفي هذه الزيادة «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» بقوله: إنّه قد ورد ذلك من طرق صحيحة صحّحه الذهبي كثيراً منها (راجع الصواعق المحرقة: ص٤٢).

(٣) وهو أبو العباس أحمد بن محمّد بن علي بن حجر الهيثمي الشافعي المتوفي سنة ٩٧٣هـ فقيه الشافعية مفتي الحجاز متكلّم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة، صاحب كتاب الصواعق المحرقة الذي ردّ عليه الشهيد القاضي نور الله بالصوارم المهرقة.

الحوض[1]، روى ما دلّ عليه السيوطيّ في جامعه الصغير عن الحاكم

➔

وقال ابن حجر في أوّل كتابه الصواعق المحرقة ما هذا نصّ عبارته: فإنّي سئلت قديماً في تأليف كتاب يبيّن حقّية خلاقة الصدّيق وإمارة ابن الخطاب، فأجبت الى ذلك مسارعة في خدمة هذا الباب، فجاء بحمد لله أنموذجاً لطيفاً ومنهاجاً شريفاً ومسلكاً منيفاً.

ثمّ سئلت اقرانه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة الرافضة ونحوها بمكّة المشرّفة أشرف بلاد الإسلام فأحببت الى ذلك رجاء لهداية بعض من زلّ به قدمه عن أوضح المسلاك....(الصواعق المحرقة: ص٣).

وقال في جوابه الشهيد قاضي نور الله التستري: أيها الشيخ الجامد لعمرك ما ذرت بذلك إلّا إبراز زلّة قدمك وإظهار جهلك المركب على الشيعة بحيث يضحكون على تأليفك هذا لما اشرنا اليه من ابتنائه على مجرّد المصادرة وسوء المكابرة الذين أخذتهما بإرث التعصّب من الأشاعرة.... (الصوارم المهرقة: ص١٢).

(١) لقد روى هذا الحديث جمع من كبار علماء أهل السنة والجماعة بأسناد عديدة وبطرق متعدّدة عن الصحابة. ومن تلك الروايات ما ورد عن عمّار بن ياسر، فإنّه خطب خطبة في الكوفة وفيها حَثّهم للالتحاق بأمير المؤمنين عليه السلام لحرب الجمل. وقد روى هذه الخطبة أبو جعفر الإسكافي في كتابه المعيار والموازنة، وإليك نصّ الخطبة: ثمّ أقبل عمّار بوجهه فقال: أيّها الناس إنّا إنّما خشينا على هذا الدين أن يتعرى أديمه، وأن يهن من جوانبه، وقد نظرنا لأنفسنا، ورضينا بعليّ بن أبي طالب خليفة وإماماً ودليلاً ومؤدّباً، فنعم الخليفة ونعم الدليل، مؤدّباً لا يؤدّب وفقيهاً لا يعلّم، وصاحب بأس لا ينكل، وسابقه في الإسلام ليست لأحد، فانهضوا إليه رحمكم الله، فإنّ عصابة من الناس حالفوا عليه فتوجهوا إلى البصرة عاصين له باغين عليه، حاسدين له، ولو قد حضرتموه تبيّن لكم أنّهم ظالمون وهذا ابن بنت نبيّكم قد أتاكم يستنفركم.

أيّها الناس إنّكم بين منظر ومسمع من كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله. والله ما درست المصاحف ولا عفا الأثر ولا قدم العهد ولا بالسنن والأحداث التي حدثت من خفاء فيجهل جاهل أو

➔

➔

يقول قائل:

وقد سمعتهم ما قال صاحبكم والذي نهاكم عنه من الشخوص الى هذين الجمعين، ولعمري ما صدق فيما قال، ولا رضي الله من عباده بالذي ذكره، لقد أنزل الله علينا قرآنا بيّن فيه طاعته من معصيته، وحكم فيها أحكامه ولم يدع ملّة من الملل إلّا وقد حكم فيها بالجهاد حتّى يفيئوا إلى أمر الله، فحكم على المشركين أن يقاتلوا حتّى يدخلوا في الإسلام فقال: واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (سورة التوبة: ٦٦) وقال في ملّة أهل الكتاب: **﴿قَاتلُواْ الَّذينَ لاَ يُؤْمنُونَ باللّه وَلاَ بالْيَوْم الآخر وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ منَ الَّذينَ أُوتُواْ الْكتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغرُونَ﴾ (سورة التوبة: ٢٩).**

فجعل غاية أمرهم أن يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أو يقتلوا أو تسبى ذراريهم ويؤخذ أموالهم.

وقال في آية أخرى: **﴿وَقَاتلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للّه فَإِن انتَهَواْ فَإِنَّ اللّهَ بمَا يَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾**(سورة الانفال: ٣٩).

فلم يرض الله من أهل طاعته من عباده أن يجلسوا في بيوتهم، وأن يخلّوا بين الناس محجبهم، ثمّ انظروا من أولى بالعهد والنصر فيما افترض الله عليكم، فإن أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حقّ الله عليكم والى بغى بعضهم على بعض نظر ثمّ في الفئة الباغية وعرفتموها كما أمركم الله وافترض عليكم. فلمّا سمع الناس قول عمار بن ياسر عرجوا عن أبي موسى وقالوا: يا أبا اليقظان إنّك كنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان الذي تعلم فنسألك بحقّ الله وحقّ رسوله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر هذه الفتنة؟ فقال عمّار: أشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين، وأمرنا بقتال المارقين من أهل النهروان بالطرقات، وسمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة.**

🡐

والطبراني وحسّنه[١]. إلى غير هذه من مناقبه التي دلّت على مسارعته الى الحقّ وترويجه وتشييده وعمله به[٢] فانظر هل تجوز في حقّه تأخّره عن

➔

فانظروا رحمكم الله في أمر من خالف علياً وحاربه كيف كشف ضعفه وبغيه... (المعيار والموازنة: ص١١٧).

وأخرج الهيثمي بسنده عن أم سلمة قالت قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض (مجمع الزوائدج٩: ص١٣٤) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج٥: ص١٣٥ وفي معجمه الصغير ج١: ص٢٥٥. وإلى غير ذلك ممّا ورد بهذا المضمون.

(١) انظر الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص١٧٧ رقم الحديث ٥٥٩٤ ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤ والطبراني في معجمه الأوسط ج٥: ص١٣٥ وفي معجمه الصغير ج١: ص٢٥٥.

(٢) وذلك كقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٧: ص٣٣٥) فإنّ الروايات الواردة في المقام بهذا المضمون كثيرة جداً وسيأتي ذكرها إن شاء الله في محلّه، وهي صريحة في أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الميزان والمعيار للحق، ويجب على كلّ مسلم أن يرصد علياً عليه السلام وما يفعله فيتّبع الإمام عليه السلام. لأنّ مدلول هذا الحديث أنّ كلّ ما يفعله الإمام عليه السلام حقّ على نحو الإطلاق والعموم وكل ما يرفضه يكون باطلاً قطعاً فالمعيار والميزان هو الإمام عليّ بن ابي طالب عليه السلام في الأعمال والأقوال. ولذلك قال أبو القاسم البجلي أحد كبار علماء المعتزلة: إنّه لو نازع عليّ عقيب وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّ سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنّه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها وحكمه في ذلك حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأنّه قد ثبت عنه

←

هذه البيعة لو فرضت أنّها حقّ بعض يوم؟ فكيف بتأخّره عنها ستة أشهر مدّة وجاهته عند الناس[1]؟ وحاشاه من مخالفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه طرفة عين، لما

➔

في الأخبار الصحيحة أنّه قال: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيث ما دار، قال له غير مرّة: حربك حربي وسلمك سلمي. (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ص ٢١٢ نقلاً عن أبي القاسم البجلي).

وقال الفخرالرازي في تفسير قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم.

ثمّ إنّ الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب، وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، وأمّا أنّ عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه كان يجهر التسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: اللّهم أدر الحقّ الحق مع عليّ حيث دار... (تفسير الفخر الرازي ج ١: ص ٢٠٥).

فمدلول الحديث كما استفاده علماء الفريقين أنّ الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام هو قطب رحى الحق، والحقّ يدور معه حيث ما دار، فكلّ طالب للحقّ عليه أن يقتدي بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام كي يتسنى له أن يعرف الحقّ ويتّصل به ويسير على نهجه.

وأخرج الطبراني بسنده عن مالك بن جعونه قال: سمعت أُمّ سلمة تقول: كان عليّ على الحقّ، من اتّبعه اتّبع الحقّ ومن تركه ترك الحقّ عهداً قبل يومه هذا (المعجم الكبير ج٢٣: ص ٣٣٠) ورواه الهيثمي في مجمع الزائد ج٩: ص ١٣٤ والخطيب التبريزي في الإكمال: ص ١٥٦ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٤: ص ٢١٧ والبدخشي في ... النجاء: ٥١ الفصل الثامن عشر من الباب الثالث وغيرهم.

(١) وتوضيح المقام: أنّ رواية «عليّ مع الحقّ...» من الروايات المعتبرة عند أهل السنة والجماعة، ومدلوله واضح عند الكلّ؛ حيث إنّ إطلاق كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه واضح الدلالة على أنّ الحق دائماً يكون ملازماً مع الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام

🡐

➔

كما أنّ الامامعليه السلام في جميع الأحوال يكون ملازماً مع الحقّ، فلا يخلو حال ولا زمان إلّا والإمام عليّ بن أبي طالب على حقّ. وهذا ظاهر واضح. وعليه يتبيّن أنّ ما رواه بخاري في صحيحه من إعراض الإمام عن خلافة أبي بكر كما ورد في نصّ عبارة حديث عائشة دالّ على أنّ أبابكر كان على الباطل؛ لأنّ مقتضى إطلاق حديث عليّ مع الحق أنّه كان مع الحق في جميع أفعاله وأقواله.

ومن أجل وضوح المقام نذكر حديث البخاري ومخالفة الامامعليه السلام لخلافة أبي بكر. وإليك نص الحديث: قالت عائشة: إنّ فاطمةعليها السلام بنت النبيصلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللهصلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر..... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت. وعاشت بعد النبيصلى الله عليه وآله ستة أشهر. فلّما توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها. وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر... (صحيح البخاري ج٥: ص٨٢ كتاب المغازي باب غزوة خيبر) ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير باب قول النبيصلى الله عليه وآله لا نورث. وأيضاً رواه أكثر علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم.

والحديث صريح في أنّ الامامعليه السلام لم يبايع أبابكر مدّة ستّة أشهر فالسؤال المتوجّه الى علماء أهل السنة والجماعة ممّن يكون عنده حديث البخاري معتبراً وكذلك حديث علي مع الحق يكون عنده حديثاً صحيحاً معتبراً فيلزم عليه إنّ يقول: ان الامام امير المؤمنين عليّ بن ابي طالبعليه السلام كان في السّتة أشهر التي لم يبايع فيها أبا بكر كان على حقّ؟

لأنّ حديث علي مع الحق مطلق شامل لذلك الزمان أيضاً وهو قول الرسول الصادق المصدّقصلى الله عليه وآله. فمعناه أنّ الامام امير المؤمنينعليه السلام كان على حقّ وأبابكر على باطل، حيث لم يبايع أبا بكر وهل بعد الحقّ إلّا الضلال، فلاحظ.

سمعته من دور الحق معه حيثما يدور [(١)] ومن مقارنته للفرقان العظيم حتى

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه جمع كبير من علماء أهل السنة والجماعة منهم الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أبي حيان التميمي عن علي بن أبي طالبعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: رحم الله علياً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٥) ورواه الترمذي في سننه ج٥: ص٢٩٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص٢٢٧ والطبراني في معجمه الأوسط ج٦: ص٩٥ وغيرهم.

ومنهم ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن عبيد الله بن عبدالله المديني قال: حجّ معاوية بن أبي سفيان خمّر بالمدينة فجلس فيه سعد بن أبي قاص وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن عباس فالتفت الى عبدالله بن عباس فقال: يا أبا عباس إنّك لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا فكنت علينا ولم تكن معنا وأنا ابن عمّ المقتول ظلماً، يعني عثمان بن عفّان، وكنت أحق بهذا الأمر من غيري.

فقال ابن عباس: اللّهم إن كان هكذا فهذا و أومأ إلى ابن عمر أحقّ بها منك لأنّ أباه قتل ابن عمّك فقال معاوية: ولا سواء، إنّ أبا هذا قتله المشركون وابن عمّي قتله المسلمون، فقال ابن عباس: هم والله أبعد لك وأدحض لحجّتك، فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق انت الذي لم تعرف حقّنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا، قال: فقال: سعد: إني ورأيت الدنيا قد اظلمت فقلت لبعيري اخ فأنختها حتّى انكشف قال: فقال معاوية لقد قرأت ما بين اللوحين، ما قرأت في كتاب الله عز وجل إخ، قال: فقال سعد: أمّا إذا أبيت فإنّي سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول لعليّ: أنت مع الحقّ والحقّ معك حيث مادار قال: فقال معاوية لتأتينّي على هذا بيّنة قال: فقال سعد: هذه أم سلمة تشهد على رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة فقالوا يا أم المؤمنين إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول اللهصلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبيصلى الله عليه وآله ما لم نسمعه أنّه قال، يعني لعلي: أنت مع الحق والحق معك حيث مادار فقالت أم سلمة: في بيتي هذا قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليّ، قال فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق ما كنت ألوم الآن إذا سمعت هذا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله

←

الحوض[١].

➔

لكنت خادماً لعليّ حتّى أموت (تاريخ مدينة دمشق ج ٢٠: ص ٣٦٠).

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث الذي رواه علماء الإسلام وأخرجه كبار علماء أهل السنة والجماعة منهم الهيثمي في مجمع الزوائد بسنده عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣٤) ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ج٥: ص ١٣٥ وفي معجمه الصغير ج١: ص ٢٥٥ والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص ١٧٧ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٠٣ وغيرهم.

ومنهم الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه يوم الجمل فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عنّي ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أمير المؤمنين، فلمّا فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أمّ سلمة فقلت: إنّي والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكنّي مولى لأبي ذر، فقالت: مرحباً فقصصت عليها قصّتي فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عنّي عند زوال الشمس، قال: أحسنت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٤).

وقال المناوي في تفسير الحديث: وهذا (أي الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) كان أعلم الناس بتفسيره قال المولى خسرو الرومي عندما قال القاضي انّه جمع تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة أراد بعظائهم علياً وابن عباس والعبادلة، قال: وصدورهم علي حتى قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير فعن عليّ ويتلوه ابن عباس انتهى ملخّصاً ... (فيض القدير ج٤: ص ٤٧٠) وفي حديث آخر عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض سريعاً وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله

➔

فتخلّفه باختياره هذه المدّة حجّة ظاهرة دلّت على إمامته[١]، كيف وقد شهد لذلك ما تقدّم من السنن التي نصّت على إمامته[٢].

←

عزوجل و عترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض فأسألهما: ما أخلفتم فيهما؟ (الصواعق المحرقة: ص ٧٥)

(١) والوجه في ذلك واضح ظاهر؛ لأنّ الأمر لا يخلو من الحالتين: إمّا أن يكون إماماً و يجب الاقتداء به ولذلك لم يبايع أبابكر وإمّا أن يكون مأموماً فيجب عليه الاقتداء بإمام زمانه، إذ من الواضح أنّه بناءً على هذا لو مات و لم يقتد بأحد مات ميتة جاهليّة لقول النبيﷺ: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة (صحيح مسلم ج٦: ص ٢٢ كتاب الإمارة باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع)

ومن الضروري لا يمكنهم هذه النسبة إلى مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إذ كيف يمكن ذلك مع الروايات التي وردت عن النبيﷺ في المقام حيث قال رسول اللهﷺ عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ وقد ورد عن رسول اللهﷺ بالتواتر، وحديث المنزلة وحديث الطير وغير ذلك من الأحاديث الدالّة على إمامته وخلافته؟ إذن تبقى حالة واحدة و هي الحالة الأولى وهي أنّ الامام عليه السلام لم يبايع أبابكر، لأنّه كان الإمام المفترض الطاعة وأبوبكر كان على الباطل.

(٢) فإنّ النصوص الدالّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة بعضها من الكتاب العزيز كآية التطهير وآية الولاية وآية المباهلة وآية الغدير وغيرها من الآيات النازلة في شأن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وبعضها من السنة الشريفة كحديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث الطير وحديث السفينة وحديث الغدير وحديث عليّ مع الحقّ وحديث خاصف النعل، وحديث إنّ علياً منّي و أنا منه، وحديث لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق، وحديث سدّ الأبواب وحديث

←

وليت شعري ما وجه استنكار الناس له حتّى اضطرّوه الى المبايعة بعد موت فاطمةعليها السلام، فأيّ بدعة صدرت منه وما المنكر الذي فعله فاستنكروه من جهة ذلك [1]؟! فيا عجباً منهم حيث استنكروه من جهة عمله بالسنّة وهي

المؤاخاة وحديث الراية وحديث أنا مدينة العلم وحديث من آذى عليّاً، وغير ذلك من الأحاديث التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى وهي تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنينعليه السلام. فهذه الروايات وغيرها تدلّ بالصراحة على أنّ الامام أميرالمؤمنينعليه السلام كان إماماً واجب الطاعة، ومن هذه الجهة لم يبايع أبابكر.

ثمّ إنّ أبابكر الذي بايع الامام يوم غدير خمّ بنص الروايات التي رواها علماء أهل السنة والجماعة والتي سنذكرها إن شاء الله في محلّه مبيّنة للقضية على نحو التفصيل حيث إنّ تلك الأدلّة تدلّ بوضوح على أنّ أبا بكر الذي بايع الإمام عليه السلام بالإمامة كان من الواجب عليه أن يطيع الإمام عليه السلام ولكنّه نكث بيعته وشمله قوله تعالى ﴿فَمَن نَّكَثَ...﴾

(١) وتوضيح المقام: أنّ الامام أمير المؤمنينعليه السلام حيث كان لا يرى غيره أهلاً للخلافة فاستنكر وجوه الناس ولم يخرج من البيت اعتراضاً على ما فعله الصحابة ولم ير من المصلحة المحاربة معهم فاضطر إلى السكوت والانعزال، لأنّ الموقف كان خطيراً حيث إنّ أغلب الصحابة من المهاجرين والأنصار اجتمعت في السقيفة للتسابق إلى حطام الدنيا والرئاسة إمّا لنفسه وإمّا لعشيرته. وبذلك خالفوا النصوص النبوية التي أوصى فيها النبيصلى الله عليه وآله بإمامة مولانا الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وخلافته وإمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام من وُلده وقد حضروا كلّهم يوم الغدير بعد حجّة الوداع.

ورغم اختلاف المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة فقد تصافقوا على ترك النصوص النبوية وتقديم أبي بكر للخلافة وكلّفهم ذلك زهق النفوس، وشمّروا على سواعدهم لقتل كلّ من تحدّث بمخالفتهم ولو كان من أقرب الناس للنبيصلى الله عليه وآله. ويكفي لإثبات ذلك الرجوع إلى كتب القوم وملاحظة أحداث السقيفة وما بعدها، والتحقيق حول الهجوم

ما دلّ على إمامة نفسه، وتباعده عن البدعة وهي بيعة ابن أبي قحافة[1]، فما

→

على بيت الزهراء عليها السلام.

وفي هذا الحادث الأغلبيّة الساحقة من الصحابة عاضدوا أبابكر وعمر في رفض سنّة نبيّهم وإبدالها باجتهاداتهم، ويكفي في ذلك مراجعة قصّة فدك ما جاء في تاريخ أهل السنة والجماعة في هذا المجال. نعم برز هناك مجموعة قليلة من الصحابة في مقابل الأكثرية ممّن تمسّكوا بالنصوص النبويّة وتخلّفوا عن البيعة لأبي بكر، وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن هنا ظهر في المجتمع الإسلامي اختلاف بين المسلمين وانشقاق عظيم والذي أسّسه أبناء السقيفة إلى فريقين، ففريق منهم بقوا على ما أمرهم الله ورسوله في النصوص وهم شيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهم الاثنا عشرية.

الثاني هم الذين خالفو النصوص النبويّة وهم أتباع الصحابة المخالفين للنصوص و يسمّونهم بأهل السنة والجماعة.

والظاهر أنّ هذه التسمية على خلاف الواقع لأنّهم في الواقع رفضوا السنة النبوية وطمسوها وأبدلوا مكانها البدع في دين الله ومخالفة الله ورسوله وبذلك أرادوا الاعوجاج الديني وإدخال الظلم والجور والفواحش والمنكرات الجاهلية في الدولة الاسلامية. فأقلّ نظرة في تاريخ الإسلام يكشف عن هذه الحقيقة المؤلمة للباحث .. وهذه الحقيقة تعرف من رواية البخاري في صحيحه من قوله: استنكر عليّ وجوه الناس ...

(١) وبعبارة أوضح: إنّ بيعة السقيفة كانت مخالفة عملية للنصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة حيث كانت اتفاقاً بين بعض الصحابة على مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى التدخّل في الدين عقيدةً وحكماً مع علمهم بأنّ الشريعة الإلهيّة منحصرة أمرها بيد الله عزوجل ورسوله، وأنّه ليس لأحد الدخول في تلك الحظيرة أعني حظيرة التشريع، وأنّه ممّا يختص بالله سبحانه و تعالى، فمن تدخّل في أمر الدين فهو مبتدع ومفتر على الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّه كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى

←

يجيبون الله سبحانه حين يسألهم عن هجرهم إمامهم واستنكارهم له فألجأوه الى البيعة لرجل هو أقلّ رعاياه[1]، فهل تجد لهم من عذر مقبول بعد تعمّد

➔

رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّه عَلَى الظَّالمينَ﴾ (سورة هود: ١٨) فإنّ التعبير بأظلم للإشارة إلى ظلم الافتراء على أنّه أكبر الذنوب والآثام لأنّه ظلم لله تعالى ولمقامه الربوبيّ العظيم، وظلم لعباد الله حيث يكون سبباً لتحريف الدين وإضلال الناس وظلم لنفسه لأنّه موجب لتعريض نفسه للعذاب الإلهي.

فهذه الآية الكريمة ونظائرها تدلّ بالصراحة على أنّ البدعة في الدين ضلالة وليس لأحد أن يحكم بغير ما أنزل الله فإنّ الله تعالى يعلم حيث يأمر وينهى ويعلم حيث يجعل رسالته. فمن أدخل في الدين ما ليس في الدين فقد افترى على الله الكذب وكان سبباً للضلالة والبدعة.

وقد ورد عن النبيصلى الله عليه وآله بأسناد صحيحة عن الفريقين أنّ كلّ بدعة ضلالة (انظر مسند أحمد ابن حنبل ج٤: ص ١٢٦ وسنن الدارمي ج١: ص ٤٥ وسنن ابن ماجة ج١: ص ١٦ والمستدرك على الصحيحين ج١: ص ٩٦ وسنن البيهقي ج١٠: ص ١١٤ وغير ذلك).

وقال الإيجي في المواقف: وكلّ بدعة ردّ لما ورد في الحديث وانّه قال عليه الصلاة والسلام: من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو ردّ. أي مردود جداً ... (انظر المواقف ج١: ص ١٥٦)

فاجتماع الصحابة في السقيفة وأخذ البيعة فيها للخلافة مخالفة للنصوص و افتراء على الله؛ لأنّ النصوص القرآنية والروائية تدلّ على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام

وقد بيّن تبارك وتعالى الحقيقة في أمر الإمامة والولاية بأنّها عهد إلهي لا يناله إلّا من اختاره الله عزوجل لهذا المقام الرفيع كما سيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) لا شكّ أنّ الصحابة كانوا أعرف بمسائل الإسلام والخلافة من غيرهم؛ لأنّهم سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله الروايات الكثيرة في باب الإمامة والولاية، وقد بيّن لهم النبيصلى الله عليه وآله في

←

➔

مواقف متعدّدة تنصيب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأفضليته وأفضلية أهل بيته، فسمعوها من النبي صلى الله عليه وآله ووعوه فإنّهم أخذوا النصوص من نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وشاهدوا القرائن والأحوال في هذا المجال كما شاهدوها في مجالات أخرى ... فهم أعلم بما قاله النبي صلى الله عليه وآله من غيرهم وإنّ رواياتهم عن النبي صلى الله عليه وآله في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت النبي صلى الله عليه وآله قد ملأت الكتب و تناقلها علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنة والجماعة.

ومن أجل أهميّة مبحث الامامة فإنّ الباحثين من علماء الإسلام قد كرّسوا لهذا البحث دراسات موضوعية، ومن خلالها بحثوا حول أبعادها وشرائطها وطرق انعقادها.

فذهب فريق من علماء الإسلام إلى لزوم التمسّك بالنصوص والأدلّة الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهي صريحة في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بلا فصل وهم الشيعة الإمامية.

وذهب فريق آخر إلى ترك النصوص و التسليم إلى من استولى على القوّرة والحكومة من طريق القهر والغلبة، ولذلك اتّخذوا ذلك قاعدة في انعقاد الإمامة. قال الإسفرايني: وتنعقد الإمامة بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقاً أو جاهلاً أو عجمياً ... (انظر شرح إحقاق الحقّ للتستري ج٢: ص ٣١٧ نقلاً عن كتاب الجنايات للاسفرايني)

وقال التفتازاني: وتنعقد الإمامة بطرق: أحدها بيعة أهل الحل والعقد.. الثالث: القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف، وقهر الناس بشوكته انعقدت الخلافة له وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر (شرح المقاصد ج٢: ص ٢٧٢).

وقال النووي: إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة، فجاء أخر فقهره، انعزل الأوّل وصار القاهر الثاني إماماً (روضة الطالبين ج٧: ص ٢٦٧)

فهذا عقيدة من ترك النصوص في باب الإمامة

ولنا أن نسأل كيف جاز لهم ترك النصوص والالتزام بإمامة الفاسق الجاهل الذي استولى

➔

المبايعين إمام السقيفة لمعصية الخليفة وتذليله الى حدّ جبروه على مخالفة السنّة بالمبايعة على البدعة[1]؟!

←

بالقهر والغلبة على رقاب الناس وأنّى لهم الجواب عن ذلك.

(١) فإنّ كتب التاريخ تشهد على ما حصل من التوالي الفاسدة لبيعة السقيفة من قتل المسلمين الأبرياء ونهب أموالهم وإباحة أعراضهم واستباحة دماء المسلمين والشهادة عليهم بالكفر والشرك حتّى وصل الأمر إلى أنّ يزيد بن معاوية شارب الخمر يسمّي نفسه بأمير المؤمنين، وكان يشرب الخمور ويترك الصلاة ويعمل كلّ فاحشة محرّمة. فكان حسب ما تقتضي الأهواء والميول للحكومة، من تأسيس السقيفة وخلفائها إلى عهد الأمويين ولا سيّما معاوية بن يزيد الذي لم يبق جريمة لم يرتكبها باسم الدين والاسلام وإدخال ماليس في الدين في الدين، فإنّ أهل المدينة عندما بايعوا أبابكر لم يقصدوا ما فعله يزيد ولكن أعمال يزيد نتيجة مخالفة النصوص والبدع في الدين من أوّل يوم السقيفة. فأهل المدينة وإن بايعوا أبابكر إلّا أنّهم لم يرضوا بما كان يفعله يزيد ولذلك خالفوا يزيد بن معاوية مع أنهم لم يناصروا الامام الحسين عليه السلام ولكن حيث إنّهم ذاقوا مرارة ظلم يزيد وجور وُلاته وان كانوا يذعنون بأنّ يزيد كان ثمرة بيعة السقيفة ولكن أبدوا مخالفتهم ضد يزيد وخلعوه عن البيعة وطردوا الحكّام المنصوبين من قبله.

وعندما علم يزيد بذلك عمل كما أوصاه أبوه في حالة معارضة أهل المدينة، فأرسل إليهم جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة فأباح لجنوده ثلاثة أيام، قاموا خلالها بارتكاب أفظع الجرائم، فقتلوا ما يزيد عن خمسة آلاف من الناس ونهبوا الأموال وحرقوا البيوت، واعتدوا على الأعراض، حتّى قيل إنّهم هتكوا حرمة أكثر من ألف عذراء (انظر البداية النهاية لابن كثير ج٨: ص ٢٦٥).

وفي رواية إنّ ألف امرأة من أهل المدينة ولدت بعد هذه الجريمة النكراء من غير زوج (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص ٢٣٩)

←

والعجيب الغريب من بهتانهم وتناقضهم من حيث نقلهم في الصحيحين وغيرهما عن عليّ عليه السلام أنّه اعتذر عن تأخّره عن بيعه ابن أبي قحافة في هذه المدّة من جهة عدم إدخالهم له في المشورة لتعيين الخليفة فانّه له حقّ فيها! انتهى نقله بالمعنى[1]. وهو مضافاً إلى مخالفته لما مضى من

←

وحتّى أنّ بعض الصحابة المتبقّين كجابر بن عبد الله الأنصاري و أبي سعيد الخدري هربوا إلى كهوف الجبال في تلك الأيام (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ص ٢٣٩)

ثمّ قام مسلم بن عقبة بإكراه أهل المدينة ليبايعوا يزيد على أنّهم عبيد له، وكان يقتل من يعترض على ذلك، و على سبيل المثال رجلان قالا: بل نبايع على كتاب الله و سنة رسوله، فقدّما إلى ابن عقبة وضرب أعناقهما (انظر تاريخ الطبري ج٧: ص ١٣)

أليست هذه البيعة مقتبسة من بيعة السقيفة؟! إذ لمّا رأى يزيد أنّ جماعة أخذوا البيعة من الناس قهراً على خلافة الرسول وتسلّطوا على رقاب الناس بالعنف فبالطبع رأى الجواز لنفسه أن يأخذ البيعة من الناس حسب ما تهوى نفسه بأنّ المسلمين عبيداً له وهذا أحد الجرائم التي ولدت من سقيفة بني ساعدة، وهذه التوالي الفاسدة التي ظهرت في الأمّة الإسلامية نتيجة مخالفة النصوص في السقيفة.

(١) انظر صحيح البخاري ج٥: ص ٨٣ كتاب المغازي؛ باب غزوة خيبر وصحيح مسلم ج٥: ص١٥٤ كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وآله: لا نورث ما تركناه صدقة وصحيح ابن حيان ج١١: ص١٥٣ وغيرها عن المصادر

ولا يخفى ما فيه من الكذب الزور حيث جاء في الحديث أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر: «استبددت علينا الأمر وكنّا نحن نرى لنا حقّاً لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ...».

فمع قطع النظر عن أنّه مناقض لما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن الزهري أنّه قال: إنّ مالك بن أُوس حدثه قال: أُرسل عمر بن الخطاب فجئته... فقال عمر: فاذن لعلي

←

النصوص التي دلّت على إمامة عليّ عليه السلام[(١)] والتي دلّت على عدم لياقة

➔

بن أبي طالب وعباس فدخلوا فقال عباس اقض بين هذا... ثمّ نشد عمر بن الخطاب عباساً وعلياً وقال: ... فلمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبوبكر أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله فجئتما تطلب ميراثك من ابن أختك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبوبكر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما نورث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً ... (صحيح مسلم ج٥: ص ١٥٢ كتاب الجهاد والسير باب الفيء) فإنّ هذا الحديث صريح في أنّ امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يرى أبا بكر كاذباً آثماً غادراً خائناً وذلك بشهادة عمر بن الخطاب. وهل يمكن لأحد من أهل السنة والجماعة تكذيب عمر بن الخطاب؟

إذا كان هذا الحديث صحيحاً عند أهل السنة والجماعة وكان من الواجب عليهم الالتزام بلوازمه، ولازمه إمّا القول بعدم كون عمر بن الخطاب كاذباً في هذه الشهادة فيجب حينئذٍ عليهم تكذيب الحديث الذي رواه البخاري ونسب فيه إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أنّ تأخره عن البيعة كان من أجل المشورة فلا يجتمعان، وإمّا أن يلتزموا بأنّ عمر بن الخطاب كان كاذباً في شهادته، فلابدّ لهم من الالتزام بأحد الأمرين، فإنّ هذا الحديث صريح في أنّ امير المؤمنين علي بن ابي ؟؟؟

فالحديث أولاً وبالذات مناقض ومعارض للأحاديث الصحيحة عند جميع أهل السنة والجماعة.

وثانياً: لايمكن الجمع بينه وبين حديث من مات ولم يكن في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية فالحديث مكذوب وكذبه أوضح من أن يخفى.

(١) لا شكّ أنّ النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرة بحيث لا يمكن إنكارها حتّى من المعاند، غاية ما فعلوه هو تأويل هذه النصوص واختلاق الأعذار لتركها وإهمال

➔

➔

العمل بها وهذا هو الجوّ العامّ الحاكم يوم توفّي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد حكى الزبير بين بكار أخبار السقيفة عن محمد بن إسحاق، فقال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله (الأخبار الموفقيات: ص٥٨٠) ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٥: ٢١ عن الزبير بين بكار.

وروى الطبري وابن الأثير: أنّ الأنصار قالوا يوم السقيفة أو بعضهم: لا نبايع إلّا علياً (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٢٠٨ والبداية والنهاية لابن الأثير ج٢: ص١٢٣) والى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ إمامة امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت ثابتة عندهم.

وكيف لا يكون كذلك وقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله في عشرات الروايات بل المئات على امامة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وأعلن إمامته وخلافته من بعده، وقد شحنت منها كتب أهل السنة والجماعة. ومن تلك الروايات حديث الثقلين وحديث السقيفة وحديث المنزلة وحديث الغدير وحديث الراية وحديث الطير وحديث المؤاخاة وحديث عليّ مع الحقّ، وغيرها من الأحاديث. وعلى سبيل المثال إنّ مسلم بن الحجّاج روى في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ألا أيها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فاجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله استمسكوا به... وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي... (صحيح مسلم ج٧: ص١٢٣ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام).

وروى الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله حينما في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب، فسمعته يقول: يا أيها الناس إنّي تركت فيكم ما إن غسلتم به لن تضلّوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي (سنن الترمذي ج٢: ص٣٠٨).

🡐

أبي بكر لهذه المنزلة بالنظر الى نفسه [(١)] بهتان لعدم وجود مشورة في البين

←

ويكفي للباحث التأمل في هذين الحديثين وما ورد بمضمونهما في كتب القوم فإنّ حديث الثقلين من الأحاديث الصحيحة الدالّة على امامة أهل البيت عليهم السلام كما سيأتي بيان الاستدلال في ذلك، و لو لم يوجد غيره لكفى هذا الحديث في إثبات أحقّية مذهب الشيعة حيث إنّ الحديث فيه دلالة واضحة على وجوب التمسّك بأهل البيت عليهم السلام كما يجب التمسّك بكتاب الله الكريم حيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن فيه هداية الناس إلى يوم القيامة إن هم تمسّكوا بالقرآن والعترة، وبالرغم من أنّ مسلم بن الحجاج وكثير من علمائهم رووا هذا الحديث في صحاحهم ومسانيدهم، ولكن يجهلونه وينكرونه عند سماعهم به وكأنّه غير موجود.

والحقّ أنّ هذا الأُسلوب من التفكير والتحليل يدلّ على التعصب ومتابعة الهوى، فلاحظ.

(١) لقد اعترف أبو بكر بعدم لياقته للخلافة وعدم تدبيره للأمور في الحكومة في الأخبار الكثيرة والروايات العديدة التي رواها علماء أهل السنة والجماعة، فمنها ما رواه ابن سعد بسنده عن هشام بن عروة قال: حدثنا عبيد الله عن أبيه: إنّه لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد أيها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن وسنّ النبي.... أيها الناس، إنّما أنا متبع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني (الطبقات لابن سعد ج٣: ص١٨٢).

ومنها ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن ابن راهوية عن الحسن البصري قال: إنّ أبابكر خطب فقال: أما والله ما أنا بخيركم... أفتظنّون أنّي أعمل فيكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ إذن لا أقوم بها. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعصم بالوحي وكان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في إشعاركم وايشاركم (كنز العمال ج٥: ص٥٨٩).

ومنها ما رواه عبد الرزاق الصنعاني في حديث: إنّ أبابكر خطب فقال: أما والله ما أنا

→

حسبما ثبت في الصحيحين من قول أبي بكر: إنّي أختار لكم أحد هذين الرجلين فقال له عمر: بل نحن نبايعك، مُدّ يدك، فمدّها، فبايعه[(١)]، وما صبَر حتّى يشاور من حضر في ذلك المجلس[(٢)]. ومن هذه الجهة قال عمر على

➔

بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت أنّ فيكم من يكفيني، فتظنّون أنّي أعمل بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجيبوني.... فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني. (المصنف لعبد الرزاق الصفاني ج١١: ص٣٣٦).

ومنها ما رواه ابن قتيبة بسنده عن أنس بن مالك قال: لمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس على المنبر... فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثمّ تكلّم أبو بكر... ثمّ قال: أمّا بعد: أيّها الناس فإنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني.... فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا الى صلاتكم يرحمكم (الإمامة والسياسة ج١: ص٢١) ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١: ص١٦٩.

(١) انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب المهاجرين وفضلهم وصحيح البخاري وصحيح مسلم ج٣: ص٩٧ كتاب الزكاة باب من تحلّ له المسألة.

(٢) وبعبارة أوضح أنّه مع قطع النظر عن أنّ خلافة أبي بكر كانت مخالفة صريحة للنصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة إنّها لم تكن على أساس أيّ قاعدة عقليّة أو عقلائية كي تكون سنّة متّبعة للعرف والعقلاء بغضّ النظر عن الدين؛ لأنّ أهل السقيفة كانوا في حال التنازع كما هو صريح الأخبار والنصوص الواردة عن الفريقين ومن طريق أهل السنة والجماعة حيث احتجّ الأنصار على المهاجرين وقالوا: منّا أمير ومنكم أمير (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

➔

المنبر: بمحضر من الصحابة كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها [(١)] ومعنى الفلتة مناقض لما زعموه من المشورة، فإنّها إمّا بمعنى الزلّة [(٢)] وإمّا بمعنى البغتة[(٣)]، فيعلم من ذلك وقوعها بدون مشورة [(٤)]، بل وقوعها زلّة

➔

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات من الاختلاف فاستغلّ عمر بن الخطاب الفرصة وقال لأبي بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون ثمّ بايعه الأنصار... (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤).

وعليه فإنّ عمر بن الخطاب خالف حتّى السيرة وطريقة العقلاء في الانتخاب ولم يشاور أحداً من المهاجرين والأنصار في ذلك، فكيف يمكن لأهل السنة والجماعة أن يدّعوا بأنّ خلافة أبي بكر كانت عن مشورة، فلاحظ.

(١) انظر صحيح البخاري ج٨: ص٤٥ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت).

(٢) انظر مجمع البحرين ج٢: ص٢١٣.

(٣) انظر تاج العروس ج٣: ص١٠١ وفتح الباري ج٦: ط٤٦ وعمدة القاري ج٤: ص٢٣٤.

(٤) وتوضيح المقام أنّ المستفاد من اللغة وكلمات الشرّاح للأحاديث النبويّة أنّ معنى الفلتة عبارة عن: الزلة أو البغتة أو الفجاءة. فبيعة أبي بكر قد تمّت فجأة أو بغتة أعني بدون تأمّل ولا مشورة ولا تدبّر فنستنتج من هذا المعنى أنّ ما حصل في السقيفة لم يكن أمراً مقبولاً عند العرف والعقلاء، هذا مع قطع النظر عن كونها مخالفة للشرع.

والدليل الآخر على ذلك أنّه جاء في رواية البخاري منع عمر بن الخطاب عن تحقّق مثل ما حصل في السقيفة من البيعة حيث إنّه قال: من بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا (صحيح البخاري ج٨: ص٢٦

➔

عظيمة، لمخالفتها السنن العديدة حسبما عرفت فيما سلف [١] .

فالنظر الى بهتانهم وتناقشهم وتعجب من ذهابهم الى امامة أبي بكر بعد علمهم بما بيناه [٢] بل لو فرض وجود مشورة في البين فالمتعين فيها

➔

كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) فكيف يدّعي ابن تيمية وأهل السنة بأنّها عن مشورة.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ خلافة أبي بكر وقعت من غير مشورة المسلمين وتحقّقت بغتة، وقد وصفها عمر بن الخطاب بأنّها فلتة أي وقعت فجأةً، وعليه كيف يستقيم هذه البيعة مع ما بني عليه أساس مذهب أهل السنة والجماعة من لزوم كون الخلافة بالمشورة والانتخاب.

لأنّ البيعة عبارة عن العهد على الطاعة، فالمبايع يعاهد أميره على أن يسلّم له أمر نفسه وأمور المسلمين ولا ينازعه في شيء تشبيهاً له بفعل البايع والمشتري في الرضا حيث إنّهما بعد المعاملة يتصافحان لإبراز رضاهما بالبيع بعد إجراء العقد.

ولكن البيعة في السقيفة كانت غير هذا النوع من البيعة فإنّ أبا بكر قد سَنّ طريقة أخرى في البيعة حيث إنّ بيعته كانت فلتة وبغتة بلا رغبة من المسلمين ولا عهد للسمع والطاعة؛ لأنّ كثيراً ممّن حضر السقيفة كانوا مخالفين لبيعة أبي بكر ولكن استبدّ عمر بن الخطاب في تحقّق خلافة أبي بكر بقوله: ابسط يدك فبسط يده فبايعه (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٩٤ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وقضلهم).

ومن الواضح لدى الخبير أنّ هذا النوع من البيعة لاتتحقّق عرفاً وعقلاً فضلاً عن كونها مخالفة للنصوص القطعية مع قطع النظر عن عدم قبول الصحابة لها، فلاحظ.

(٢) لا يخفى على الخبير الباحث في الروايات والتأريخ التدليس والتستّر وتغطية الحقائق من جانب أبناء السقيفة لانتشار الدعوة إلى بيعة السقيفة وأنّ عنصر

➔

➔

المفاجأة في قضية خلافة أبي بكر لعب دوراً كبيراً في تسلّط الحزب الحاكم على رقاب المسلمين لأنّ مؤتمر السقيفة انعقد على حين غفلة من الصحابة الذين كانوا مشغولين بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسائر بني هاشم والمقداد وسلمان وأبي ذر وعمّار والزبير وغيرهم.

والشاهد على ذلك أنّه عندما خرج أصحاب السقيفة يزفّون أبا بكر إلى المسجد داعين له الناس بالبيعة وقد تركوا جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله بلا تغسيل وتكفين وتجهيز فاستتبّ الأمر لأبي بكر بعد أخذ البيعة من عامّة الناس طوعاً وكرهاً فلم يبق من لم يبايع أبابكر إلاّ قليلاً، لأنّ أخذ البيعة كان بالقهر والتخويف والإرعاب فأكثر الناس كانوا يخالفون السلطة لئلا يصير مصيرهم كسعد بن عبادة الذي قتلوه في السقيفة وكان سعد بن عبادة من وجوه الأنصار فيكف بالناس العاديين ومن هنا يعرف أنّ القانون والضابطة في البيعة عند أتباع السقيفة هو تحقّق مسمى البيعة لا نفسها أي من سبق إليها من المسلمين فيجب على الآخرين متابعته ومن عصى منهم فهو خارج من الإسلام على حدّ زعمهم ويجب قتله؛ وهذا ما يستفاد من حديث البخاري حيث روى ما وقع في السقيفة عن لسان عمر بن الخطاب قائلاً: «فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتّى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم فقتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال: عمر: وإنّا والله ما وجدنا حينما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى وإمّا نخالفهم فيكون فساد. فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه بعتغرَة ان يقتلا» (صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت).

فالمسألة عند عمر بن الخطاب ليست انتخاباً واختياراً وشورى وإنّما هي مبادرة أحد

➔

عليّ عليه السلام [1]،

➔

الناس كائناً من كان لأخذ القدرة والسيطرة على الناس وتغليب على الآخرين ولو بالعنف وإن كان فاسقاً بل وإن كان ملحداً و...

ولذلك قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها ... (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥).

وعند ما رأى أمير المؤمنين عليه السلام عمر بن الخطاب يحمل الناس قهراً لبيعة أبي بكر قال له: احلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره يردّه عليك غداً (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج١: ص٢٢).

فإنّ ما وقع في السقيفة من البيعة لأبي بكر كانت خطّة مدروسة من قبل عمر بن الخطاب لإبعاد الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، ولذلك شيّد بيعة أبي بكر على حين غفلة في حين الامام امير المؤمنين عليه السلام كان مشغولاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله، وحمل الناس على تلك البيعة التي سمّاها هو فلتة بالقهر والتهديد والزور والدجل وقد تمّت البيعة بمساعدة المنافقين الحاضرين في المدينة بين المسلمين.

ونحن نسأل أهل السنة والجماعة بالله عليكم هل هذا النوع من البيعة تسمّى مشورة عندكم؟!

فلابدّ لكلّ متتبّع أن يدرس الحقائق في موضوع الخلافة وأيضاً يدرس معنى البيعة في الإسلام ثمّ يطبّق الحقيقة على ما حدث في التأريخ فيرى بوضوح أنّ مسألة خلافة السقيفة لم تكن عن مشورة ولا انتخاب وإنّما تحقّقت عن غفلة ودجل وزور كما هو في رواية البخاري، فلاحظ.

(١) لقد أجمع المؤرخون والمحدثون والمفسرون من علماء الإسلام على أنّ النبي صلى الله عليه وآله جمع الناس يوم غدير خم موضع بين مكّة والمدينة بالجحفة وذلك بعد رجوعه من حجّة الوداع وكان يوماً شديد الحرّ حتّى أنّ الرجل يضع ردائه تحت قدميه من

➔

←

شدة الحرّ، وجمع الرجال، وصعد المنبر الذي كان من هوادج الإبل وقال مخاطباً الناس: معاشر المسلمين: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللّهم بلى، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله...

ثم نزل من المنبر فبايع الناس أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام طوعاً ورغبة في مقدّمهم الشيخان أبو بكر وعمر كلّ منهما يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان بن ثابت ائذن لي يا رسول الله أن اقول في علي أبياتاً تسمعهنّ، فقالصلى الله عليه وآله: قل على بركة الله. فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة من رسول اللهصلى الله عليه وآله في الولاية ماضية ثمّ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم ... بخمّ فأسمع بالرسول منادياً

إلى آخر أبياته.

هذا مجمل القول في واقعة الغدير وقد أصفقت الأمة عليه وليس في العالم كلّه اتفاق على صحة حادثة مثل ما في واقعة الغدير بحيث لو أطلق اسمه ويومه فلا ينصرف إلّا إليه.

وقد ذكر هذه الواقعة أئمة علماء الاسلام من الحديث والتفسير والتأريخ من كبار علماء أهل السنة والجماعة كأحمد بن حنبل وأبي عبدالله الشافعي ومسلم بن الحجاج وابن ماجة والترمذي والنسائي والحاكم النيسابوري وغيرهم، وسنذكر المصادر والروايات إن شاء الله تعالى في محلّه.

والمهم أنّ من راجع كتب أهل السنة والجماعة يرى بوضوح أنّه لا يخلو مصدر من مصادرهم من ذكر الغدير وما وقع في الغدير وإن كان بعضهم قد ذكر جانباً من الواقعة وترك الجوانب الأخرى إلّا أنّ مجموع الروايات مبيّنة لهذه الحقيقة التي لا يمكن إنكارها.

→

فإنّه هو أحبُّ الخلق إلـى الله ورسوله [(١)] وأوّلهـم سلماً وأكثرهم علماً

➔

مضافاً إلى المناشدات والاحتجاجات التي وردت في الروايات في شأن هذه الوقفة المهمة وسيأتي ذكرها إن شاء الله في محلّه.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الطير وهو من الأحاديث المتواترة لدى الفريقين الخاصّة والعامّة بطرق عديدة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المحدثين والمؤرخين والمفسرين وغيرهم من علماء الاسلام.

وقد أجمعت أئمة الحديث والحفّاظ من أهل السنة على صحّته وتوثيق أسناده.

وهو من أقوى الأدلّة سنداً ودلالة على امامة مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واليك نص بعض ما جاء في كتبهم: فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله فقدّم لرسول الله صلى الله عليه وآله فرخ مشويّ فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء عليّ فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة ثم جاء فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة ثمّ جاء فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله افتح فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما حسبك عليّ: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردّني أنس، يزعم أنّك على حاجة فقال: ما حملك على ماصنعت فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي.... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٣١).

وأخرج ابن المغازلي بسنده عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: أهدي الى النبي صلى الله عليه وآله نحامة مشوية فقال: اللّهم ابعث إليّ أحبّ خلقك إليك والى نبيّك يأكل معي من هذه المائدة فأتى عليٌّ....(المناقب المغازلي: ص١٣٢).

وروى الهيثمي بسنده عن سفينة وكان خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله طوائر فصنعت له بعضها فلمّا أصبح: أتيته به فقال: ألم أقل لك لا تدّخرنّ لغد طعاماً؟ لكلّ يوم رزقه، ثمّ قال: اللّهم أدخل عليّ أحبّ خلقك إليك يأكل معي

➔

وأعظمهم حلماً [(١)]،

➔

من هذا الطير، فدخل عليّ رضي الله عنه فقال: وإليّ (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٦)
وإلى غير ذلك ممّا جاء في كتبهم.

والاستدلال بالحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واضح ظاهر حيث إنّ هذا الحديث يدلّ بالصراحة على أفضلية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من الأولين والاخرين أمّا الآخرين فالأمر فيهم سهل وأمّا الأولون فإنّه يشمل الأنبياء من الأولين والآخرين حتّى يشمل أولى العزم منهم إلّا أنّ النبيّ الأكرم خارج بالدليل القطعي حيث إنّه أشرف المخلوقات فخليفته من بعده هو أشرف من الناس جميعاً.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الرواية التي رواها علماء الإسلام في كتبهم المعتبرة بطرق مختلفة عن الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وإليك بعض ما رواه علماء أهل السنة والجماعة:

منها: ما رواه الهيثمي بسنده عن معقل بن يسار قال: وضّأت النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام: أما ترضين أن أزوّجك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟ ثمّ قال الهيثمي ورواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٠١) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٢٠: ص ٢٣٠.

ومنها: ما رواه ابن أبي شيبة الكوفي بسنده عن شريك عن أبي اسحاق قال: قالت فاطمة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله زوّجتني حمش الساقين عظيم البطن أعمش العين قال: زوّجتك أقدم أمتي سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً (المصنّف لابن أبي شيبة ج٧: ص ٥٠٥) ورواه الضحاك في الاحاد والمثاني ج١: ص ١٤٢ وابن أبي الحديد ج١٣: ص ٢٢٧ وكنز العمال ج١١: ص ٦٠٥ وغيرهم.

هذه الرواية تدلّ بالصراحة على أنّ الامام أمير المؤمنين أفضل أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله من الأولين والآخرين.

➔

→

وبعبارة أوضح: إنّ الامام لابدّ أن يكون أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن الواضح أنّ هذه الرواية وغيرها من النصوص تدلّ بالصراحة على أنّ مولانا الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولذلك استدلّ مأمون العباسي بأنّ أفضل الناس أعمالاً هو أقدم الناس إسلاماً فقال لإسحاق بن إبراهيم القاضي: يا إسحاق: أيّ الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قال: قلت: الإخلاص بالشهادة، قال المأمون: أليس السبق إلى الإسلام؟ قال: قلت: نعم، قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى: يقول: السابقون السابقون أولئك المقربون إنّما عنى من سبق إلى الاسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الاسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إنّ علياً أسلم وهو حديث السنّ لا يجوز عليه الحكم... فقال المأمون: إمّا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟ قال: فأطرقت، فقال لي: يا اسحاق لاتقل إلهاماً فتقدّمه على رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى قلت: أجل بل دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاسلام، قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكليف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى التكليف فإنّ الله تعالى يقول: وما أنا من المتكلفين، قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله، قال: فهل من صفّة الجبّار جل ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله، فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إنّ علياً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم، وقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله دعاء الصبيان إلى ما لا يطيقونه فهو يدعوهم الساعة ويرتدّون بعد ساعة، فلا يجب عليهم ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول صلى الله عليه وآله أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عزوجل؟ قلت: أعوذ بالله، قال: يا إسحاق فأراك إنّما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الخلق أبائه بها منهم ليعرف مكانه وفضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعاه علياً؟ قلت: بلى قال:

←

باب مدينة علم الرسولﷺ[١]

➔

فهل بلغك أنّ رسول اللهﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته، لئلا تقول، إنّ علياً ابن عمّه؟ قلت: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل، قال: يا إسحاق أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تُسأل عنه؟ قلت: لا قال: فدع ما قد وضعه الله عنّا وعنك (العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج٥: ص ٩٤).

فتبيّن من خلال ما تقدّم من الروايات وما في ألسنة العلماء وحتى خلفاء الجور أنّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو أوّل من آمن بالله ورسوله، و هذا الموضوع من الأدّلة الدالة على امامته حيث إنّ هذه الفضيلة مختصّة به دون غيره من أصحاب رسول اللهﷺ فيكون هو الأفضل والأفضل هو المتعيّن للإمامة والخلافة، وهذه القاعدة مسلّمة عند الكل و معتبرة عند جميع العقلاء حيث لا يقدّم المفضول على الفاضل كما هو واضح ظاهر.

(١) إنّ من الأحاديث المشهورة التي بلغت حدّ التواتر ورواه الخاصّة والعامّة بأسانيد شتى هو قول رسول اللهﷺ أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب (انظر المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣: ص ١٢٦ و١٢٧ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص ١١٤ والطبراني في معجمه الكبير ج١١: ص ٥٥ وابن عبدالبرّ في الاستيعاب ج٣: ص ١١٠٢ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ج٧: ص ٢١٩ وج٩: ص ١٦٥ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٥٩ والسيوطي في الجامع الصغير ج١: ص ٤١٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٣: ص ١٤٨ والمناوي في فيض القدير ج١: ص ٦٩ وغيرهم) وقال العيني في عمدة القارئي في شرح البخاري: ومن خواصّ علي رضي الله عنه فيما ذكره أبو الشاء : أنّه كان أقضى الصحابة وأنّ رسول اللهﷺ تخلّف عن أصحابه لأجله، وأنّه باب مدينة العلم، وأنّه لمّا أراد كسر الأصنام التي في الكعبة المشرفة أصعده النبيﷺ برجليه على منكبه، وأنّه حازمهم جبرئيل عليه الصلاة والسلام بتبوك فقيل فيه:

➔

الـذي يـدور الحـقّ معـه حيـث يـدور[1]، قـرين الفرقـان العظـيم إلـى ورود

➔

علـيّ حـوى سـهمين مـن غيـر أن غـــزاة تبـــوك، جنـــدا مـــسهم

وأنّ النظر الى وجهه عبادة، روى هذه الرواية علماء الاسلام عن عائشة وهي عن رسول الله ﷺ... فيدلّ الحديث على أنّه أحبّ الخلق إلى الله بعد رسـول الله ﷺ ورواه أنس بن مالك في حديث الطائر، وسمّاه النبـي ﷺ يعسوب الـدين وسـمّاه أيـضاً جمال الانسان، فكأنّه رويت هذه اللفظة مهموزة وملينة، ولكلّ واحد منهما معنـى، فمن همز أراد الصوت والصوت جمال الإنـسان، فكأنـه قـال: أنـت جمـال الأرض، والملين هو المنفرد الوحيد، كأنّه قـال: أنـت وحيـد الأرض ... (عمـدة القـارئ فـي شرح البخاري ج١٦: ص ٢١٥).

أقول: إنّ حديث أنا مدينة العلم وغيره من الأحاديث التي أشار إليها العينيّ ممّـا تـدلّ بالصراحة على تقدم الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على عامـة النـاس بعد رسول الله ﷺ لأنّ العالم مقدم على الجاهل قال الله تعـالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ (سورة الزمر: ٩) وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (سورة الانعام: ٥٠) وقال تعالى: ﴿ **هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ...** ﴾ (سورة الرعد: ١٦).

(١) وهو قول الرسول ﷺ: اللهم أدر الحقّ معـه حيـث دار (انظـر المـستدرك للحـاكم النيسابوري ج٣: ص١٢٤) هذه الرواية من الروايات المتواترة لـدى علمـاء الإسـلام وقد رواها علماء أهل السنة والجماعة بأسانيد عديدة وقد صحّحها علماء أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعين بحيث لا يكاد مصدر من مصادر علماء الإسلام يخلو من ذلك ولذلك قال الفخر الرازي: ومن اقتدى في دينه بعلـي بـن أبـي طالـب فقـد اهتدى، والدليل عليه قوله ﷺ: اللهم أدر الحقّ مع عليّ حيث ما دار (تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥).

➔

الحوض[1]،

➔

وفي بعض الروايات عن النبيﷺ قال: عليّ مع الحق والحق مع علي. فقد أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧: س٢٣٤).

وقال الهيثمي: رواه أبو يعلي ورجاله ثقات ورواه ابن حجر في المطالب العالية ج٤: ص٦٦).

ومثله في الدلالة ما رواه الهيثمي: عن حذيفة قال: انظروا الى الفرقة التي تدعوا الى أمر علي فألزموها فإنّها على الهدى (مجمع الزوائد٧: ٢٣٦) وقال الهيثمي: ورواه البزاز ورجاله ثقات.

ومثله ما رواه الحاكم النيسابوري: عن النبيﷺ قال لعليعليه السلام: أنت تبيّن لأمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٢) ومن الواضح أنّه لا يكون مبيّناً لهم ما اختلفوا فيه الّا إذا كان مع الحقّ، فيكون قوله رافعاً للاختلاف.

ومثله ما رواه الحاكم يضاً عن رسول اللهﷺ قل: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤).

وقد وردت أحاديث كثيرة تدلّ ايضاً على أنّهعليه السلام مع الحقّ والقرآن وأنّهما معه، منها قولهﷺ: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢١).

ففي هذه الرواية بيّن رسول اللهﷺ أنّ امير المؤمنينعليه السلام مع الحق حيث إنّ طاعته طاعة رسول الله وعصيانه عصيان رسول الله كما أنّ طاعة رسول الله طاعة الله وعصيانه عصيان الله تبارك وتعالى وهناك روايات كثيرة تدلّ على المقام سنذكرها إن شاء الله تعالى في محلّه.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الذي رواه علماء الإسلام في كتبهم منهم أبو عبد الله الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع

➔

➔

عليّ رضي الله عنه يوم الجمل فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس فكشف الله عنّي ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين فلمّا فرغ ذهبت الى المدينة فأتيت أمّ سلمة فقلت: إنّي والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكنّي مولى لأبي ذر فقالت: مرحباً. فقصصت عليها قصتي، فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها. قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عنّي زوال الشمس قالت: أحسنت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض (المستدرك على الصحيحينج٣: ص١٢٤) ورواه الهيثمي حتى مجمع الزوائد ج٩: ص١٣٤ والطبراني في معجمه الكبير ج٥: ص١٣٥ والسيوطي في الجامع الصغير ج٢: ص١٧٢ والمتقي الهندي كنز العمال ج١١: ص ٦٠٣ وغيرهم.

والكلام في دلالة الحديث واسع جداً حيث يلزم علينا أن نعرف القرآن وعظمته وعصمته من الخطأ أولاً، ثمّ نعرف معنى المعيّة في قول رسول الله ﷺ عليّ مع القرآن ثمّ نعرف معنى عدم تفرّقهما الى يوم القيامة فيطلب هذا البحث مجالاً واسعاً ولكن نكتفي هنا بكلام المناوي في شرح هذا الحديث المبارك قال: علي مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، وقال: ولهذا كان أعلم الناس بتفسيره (أي تفسير القرآن) قال المولى خسرو الرومي: عندما قال القاضي إنّه جمع في تفسيره ما بلغه عن عظماء الصحابة ـ: أراد بعظمائهم علياً وابن عباس والعبادلة وأبي وزيد قال: وصدرهم عليّ، حتى قال ابن عباس: ما أخذت من تفسيره فعن علي، ويتلوه ابن عباس... (فيض القدير ج٤: ص ٣٥٧)وهذا ما يؤكّد أنّ الامامة كانت فيه لأنّه أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله ﷺ باعتراف علماء أهل السنة والجماعة وهذا هو مدلول الحديث عن لسان علماء أهل السنة والجماعة وأمّا شرح مفردات الحديث وبيان معناه يحتاج إلى مجال أوسع وسنذكر ذلك إن شاء الله في محلّه.

وهو من جعله الرسول صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ نفسه [١]،

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى النصوص العديدة المصرحة بأنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ نفس النبي الأكرم وإليك بعض تلك النصوص:

منها: ما رواه علماء الاسلام في تفسير آية المباهلة وهي أشار إليه تعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

وكان سبب نزول هذه الآية أنّه لما قدم وفد نجران على رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وتنازعوا عند رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ ... قال ابن الصباغ المالكي بعد نقل القصة وسبب نزول الآية قال جابر بن عبد الله الأنصاري(أنفسنا وأنفسكم) محمّد رسول الله وعليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ، وأبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة صلوات الله عليهم أجمعين هكذا رواه الحاكم في مستدركه عن عليّ بن عيسى وقال: صحيح على شرط مسلم و رواه أبوداود الطيالسي عن شعبة عن الشعبي ... (أنظر الفصول المهمة ج١: ص ١١٣).

وروى الحميدي أنّه لمّا أراد المباهلة مع النصارى احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ يمشي خلفها وهو يقول لهم: إذا دعوت فأمّنوا (الجمع بين الصحيحين ج١: ص ١٩٨).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ .... ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ... دعا رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ علياً وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي (صحيح مسلم ج٧: ص ١٢١ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب).

←

وآخاه[1]

→

وملخّص الكلام أنّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله أكّدوا على أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله، ومن يكون نفس النبي صلى الله عليه وآله في جميع الصفات والفضائل فهو اولى بالخلافة والامامة.

وبعبارة أوضح: إذا كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله نفس النبي موجوداً لا حاجة إلى تعيين الخليفة والامام؛ لأنّ نفس النبي موجود بين الناس فالإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بنص القرآن والروايات خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث المؤاخاة الذي رواه علماء الإسلام في كتبهم وتعتبر المؤاخاة من إحدى الأعمال الإبداعية المهمّة في التأريخ والسيرة النبوية.

وقد أجمعت المصادر التاريخية والروائية على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يؤاخي بين الرجل ونظيره فكان يؤاخي بين أبي بكر وعمر وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وبين طلحة والزبير وبين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة وبين عمار وحذيفة وبين سلمان وأبي ذر و...

فأوّل مؤاخاة وقعت في الإسلام كانت في مكة قبل الهجرة حيث آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين خاصّة، فقد أخرج القندوزي الحنفي بسنده عن سعيد بن المسيب قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه في مكّة فآخى بين أبي بكر وعمر وقال لعلي: أنت أخي (ينابيع المودة ج١: ص ١٧٨).

والثانية: هي التي وقعت في المدينة بعد الهجرة بخمسة أشهر وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار فقد أخرج كبار المحدثين من أهل السنة والجماعة على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المسجد فجعل يقول: أين فلان أي فلان إلى أن اجتمعوا فجعل يؤاخي بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر وبين عثمان وعبد الرحمن وبين طلحة والزبير وبين أبي عبيدة الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وبين أبيّ بن كعب وابن مسعود وبين معاذ وثوبان وبين عمار وحذيفة و بين سلمان وأبي الدرداء

←

دون غيره. والسابّ له سابّ للرسول صلى الله عليه وآله[1]

➔

وبين أبي ذر والمقداد وبين سعد بن أبي وقّاص و صهيب ...

فقال عليّ يا رسول الله ذهب روحي وانقطع ظهري، رأيتك فعلت ما فعلت بأصحابك

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحقّ ما اخّرتك إلّا لنفسي ... فأنت أخي في الدنيا والآخرة (انظر المعجم الكبير للطبراني ج٥: ص ٢٢١ والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج١: ص ٢٥ وكنز العمال للمتقي الهندي ج٩: ص ١٦٧ والدر المنثور للسيوطي ج٤: ص ٣٧١ والثقات لابن حبان ج١: ص ١٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١: ص ٤١٥ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١: ص ١٤٢ وغيرهم)

فحديث المؤاخاة من الأحاديث المتواترة لدى علماء الإسلام إذ هو مروي عن عشرات من الصحابة والتابعين كما يتضح ذلك لمن راجع المصادر. (انظر دلائل الصدق ج٦: ص ١٢٢ ـ ١٢٣)

ثم إنّه لا ريب أنّ حديث المؤاخاة يدلّ بوضوح على امامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لدلالته على تقدّم الامام عليه السلام على جميع الصحابة لأنّ النبي صلى الله عليه وآله لم ير من أصحابه من يكون نظيره في الخُلق والإيمان والصفات الحميدة غير مولى الموحدين أميرالمؤمنين عليه السلام فقد وجده وحيداً لائقاً لهذا المقام العظيم أعني مقام الأخوة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومن له شأن أخوّته، فلم يؤاخ أحداً إلّا هو فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الرواية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله المرويّة بطرق عديدة وصحيحة عن الشيعة وأهل السنة والجماعة بحيث لا يكاد مصدر من مصادر الإسلام إلاّ وفيه هذه الرواية فمنها ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله الجدلي قال: دخلت على أمّ سلمة، فقالت لي: أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سبّ علياً فقد سبّني (مسند أحمد بن حنبل ج٦: ص ٣٢٣) ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه،

➔

والمبغض له مبغض لهﷺ [(١)]

➔

والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣٠ والنسائي في سننه الكبرى ج٥: ص ١٣٣ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١٢٣ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٦٦ وغيرهم.

ومنها مارواه الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي عبدالله الجدلي قال: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أُمّ سلمة زوج رسول اللهﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي فأجابها رجل حلف جاف، لبّيك يا أُمّتاه، قالت: يسبّ رسول اللهﷺ في ناديكم؟! قال: وأنّى ذلك، قالت: فعلي بن أبي طالب قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا، قالت: فإنّي سمعت رسول اللهﷺ يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبني فقد سبّ الله تعالى (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢١).

ومنها مارواه المحبّ الطبري بسنده عن ابن عباس أنّه مرّ بعدما حجب بصره بمجلس من مجالس قريش وهم يسبّون عليّاً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟ قال: سبّوا علياً، قال: فردّني إليهم، فرده قال: أيّكم الساب الله؟ قالوا: سبحان الله من يسبّ الله فقد أشرك قال: أيّكم الساب لرسول اللهﷺ؟ قالوا: سبحان الله من سبّ رسول اللهﷺ فقد كفر، قال: أيكم الساب لعلي؟ قالوا: أمّا هذا فقد كان قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول اللهﷺ يقول: من سب عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزوجل أكبّه الله على منخره في النار (الرياض النضرة ج٣: ص ١٢٣) وإلى غير ذلك من الروايات بهذا المضمون، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات العديدة التي وردت بأسانيد عديدة وصحيحة عن رسول اللهﷺ.

منها ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ من أحبّني فليحبّ علياً، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني ومن أُبغضني فقد أبغض الله

➔

➔

عزوجل ومن أبغض الله أدخله النار (تاريخ بغداد ج١٣: ص ٣٤ في ترجمة موسى بن داود أبوعبدالله الضبّي الخلقاني).

ومنها: ما رواه ابن الأثير في أُسد الغابة بسنده عن معاوية بن ثعلبة الحماني قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: يا علي من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد ابغضني (أسد الغابة ج٤: ص ٣٨٣).

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن عوف بن أبي عثمان الهندي قال: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعلي؟ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: من أحبّ علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٠).

ومنها: ما رواه الهيثمي بسنده عن سلمان قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعليّ: محبّك محبّي ومبغضك مبغضي (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣٢).

ومنها: ما رواه الحاكم النيسابوري بسنده عن ابن عباس قال: قال النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعلي عَلَيْهِالسَّلَامُ: حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٢٨).

ومنها: ما رواه المحب الطبري بسنده عن أم سلمة قالت: اشهد أنّي سمعت رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: من أحبّ علياً فقد احبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عزوجل (الرياض النضرة ج٣: ص ١٢٢).

ومنها: ما رواه ابن عساكر بسنده عن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: خطبنا رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يوم الجمعة فقال: أيّها الناس قدّموا قريشاً ولا تقدموها وتعلّموا منها ولا تعلّموها، قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم .. أيّها الناس أُوصيكم بحبّ ذي أقربيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فإنّه لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق، من أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني عذّبه الله عزّوجلّ (تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٧٩).

➔

←

ومنها: ما رواه الذهبي بسنده عن أنس بن مالك عن النبيﷺ قال: من أحبّني فليحبّ عليّاً ومن أبغضني أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي (ميزان الاعتدال ج٢: ص ٤١٠ في ترجمة عبدالله بن حفص، الوكيل، الضرير، السامري).

ومنها: ما رواه المتقي الهندي بسنده عن ابن عباس قال: مشيت وعمر بن الخطاب في بعض أزقّة المدينة، فقال: يا ابن عباس استصغروا صاحبكم إذ لم يولّوه أموركم. فقلت: ما استصغره رسول اللهﷺ إذ اختاره لسورة براءة على أهل مكة، فقال عمر: الصواب تقول: والله لسمعت رسول اللهﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: من أحبك أحبني ومن أحبني أحب الله ومن أحب الله أدخله الجنّة مدلا (كنز العمال ج١٣: ص ١٠٩ ح ٣٦٣٥٧) ومنها: ما رواه المتقي الهندي أيضاً بسنده عن عمر بن الخطاب قال: قال النبيﷺ لعلي: إنّ الأمّة ستغدر بك من بعدي، وأنت تعيش على ملّتي وتقتل على سنّتي، من أحبّك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإنّ هذا سيخضّب من هذا يعني لحيته من رأسه (كنز العمال ج١١: ص ٦١٧ ح ٣٢٩٩٧).

ومنها: ما رواه ابن المغازلي بسنده عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال النبيﷺ في علي عليه السلام : محبه محبي ومبغضه مبغضي، ووليّه وليي، وعدوّه عدوّي، وزوجته ابنتي، وولده ولدي، وحزبه حزبي وقوله قولي، وأمره أمري وهو سيد الوصيين وخير أمتي (انظر احقاق الحق ج٦: ص ١٤ نقلاً عن مناقب ابن المغازلي) ومنها: ما رواه ابن حجر العسقلاني بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله من أحبّني فليحبّ علياً ومن أبغض علياً فقد أبغض الله (لسان الميزان ج٦: ص ١٢٠ في ترجمة موسى بن سهل الراسبي).

ومنها: ما رواه ابن عبدالبر قال: روى طائفة من الصحابة أنّ رسول اللهﷺ قال لعليّ رضي الله عنه: لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق، وكان عليّ رضي الله عنه يقول: والله إنّه لعهد النبي الأمّي إليّ أنّه لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق (الاستيعاب ج٣: ص ١١٠١) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام فإنّها

←

والذي يحلّ له من المسجد ما حلّ لهﷺ[1]، والمتّحد نوره مع نورهﷺ

➔

كثيرة جداً لا يمكننا استقصائها، فالحديث من الأحاديث المتواترة، فلاحظ.

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة الواردة عن الفريقين وإليك بعض ما رواها علماء أهل السنة والجماعة:

منها: ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين بسنده عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: سمعت سعد بن مالك وقال له رجل إنّ علياً يقع فيك أنّك تخلّفت عنه فقال سعد: والله لرأى رأيته وأخطأ رأيي، إنّ علي بن أبي طالب أُعطي ثلاثاً لأن أكون أُعطيت واحداً هن أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول اللهﷺ يوم غديرخمّ بعد حمد الله والثناء عليه هل تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين قلنا: نعم قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه. وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر فقال: يا رسول الله إنّي أرمد، فتفل في عينيه ودعا فلم يرمد حتّى قتل، وفتح عليه خيبر. وأخرج رسول اللهﷺ العباس وغيره من المسجد فقال له العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليّاً فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته ولكنّ الله أخرجكم وأسكنه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١١٦).

ومنها: ما رواه الطبراني بسنده عن ابن عباس قال: لما أخرج أهل المسجد وترك عليّاً قال الناس في ذلك فبلغ النبيﷺ فقال: ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ولكنّ الله أخرجكم وتركه، إنّما أنا عبد مأمور ما أُمرت به فعلت، إن أتّبع ما يوحي إليّ (المعجم الكبير ج١٢: ص ١١٤) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١١٥ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٠٠ وغيرهم.

ومنها: ما رواه النسائي بسنده عن عبد الله بن شريك عن الحارث بن مالك قال: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص، فقلت: هل سمعت لعليّ منقبة قال: كنّا مع رسول اللهﷺ في المسجد فنودي فينا ليلاً ليخرج من المسجد إلّا آل رسول اللهﷺ وآل علي، قال: فخرجنا فلمّا أصبح أتاه عمّه فقال: يا رسول الله أخرجت أصحابك

➔

حتى افترقا في صلب عبدالمطّلب فصار نصفه في صلب عبدالله ونصفه في صلب أبي طالب [١] إلى غير هذه من خصائصه وفضائله المعروفة الثابتة

وأعمامك وأسكنت هذا الغلام؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنا أمرت بإخراجكم ولا باسكان هذا الغلام إنّ الله هو أمر به (السنن الكبرى للنسائي ج٥: ص ١١٨) ورواه في الخصائص: ص ٧٥ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ١١٧ وغيرهم.

ومنها: ما رواه القندوزي الحنفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أخرج الناس عن مسجده ما خلا العترة الطاهرة حتّى تكلّم الناس والعباس في ذلك فقال العباس: يا رسول الله تركت علياً وأخرجتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم ولكن الله عزوجل تركه وأخرجكم (ينابيع المودة ج١: ص ١٢٦)، وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا المجال، وهي صريحة بما لا مزيد عليها من أنّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان له خصوصيات وامتيازات رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن تلك الخصوصيات التي امتاز به عن غيره سكونته في المسجد لأنّه كان طاهراً ومطهراً دائماً وكذلك الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت المعصومين عليهم السلام. فهذه الروايات تدلّ على أنّ هذه المرتبة العظيمة والشأن الرفيع منحصر بالمعصومين عليهم السلام، فأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً معصومون ومن الواضح أنّ العصمة شرط من شرائط النبوة والامامة، فلاحظ.

(١) لقد روى ابن المغازلي بسنده عن سلمان الفارسي قال: سمعت حبيبي محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزوجل يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق الله آدم بألف عام فلمّا خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبدالمطلب؛ ففيّ النبوّة وفي عليّ الخلافة

➔

(المناقب لابن المغازلي: ص ٩٤ ح ١١٤).

وروى أيضاً بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنزل قطعة من نور فأسكنها في صلب آدم، فساقها حتى قسمها جزئين: جزءاً في صلب عبد الله وجزءاً في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج عليّاً وصيّاً (المناقب لابن المغازلي: ص ٩٥ ح١١٦).

وروى الكنجي الشافعي بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال: لقد سألتني عن خبر مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام، إنّ الله تبارك وتعالى خلق علياً نوري وخلقتني من نوره وكلانا من نور واحد، ثمّ إنّ الله عزوجل نقلنا من صلب آدم في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيّة، فما نقلت من صلب إلّا ونقل عليّ معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنه، واستودع عليّاً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد. وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان، وقد عبد الله تعالى مأتين و سبعين سنة لم يسأل الله حاجة، فبعث إليه أباطالب، فلمّا أبصره المبرم قام إليه وقبلّ رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال له: من أنت؟ فقال: رجل من تهامة، فقال: من أيّ تهامة؟ فقال: من بني هاشم، فوثب العابد فقبّل رأسه ثانية، ثمّ قال: يا هذا إنّ العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً، قال أبوطالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو وليّ الله عزوجل، فلمّا كان الليلة التي ولد فيها عليٌّ أشرقت الأرض، فخرج أبوطالب وهو يقول: أيّها الناس ولد في الكعبة وليّ الله عزّ وجلّ. فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربّ هذا الغسق الدجيِّ ... والقمر المنبلج المضيِّ

بيّن لنا من أمرك الخفيِّ ... ماذا نرى في إسم ذا الصبيِّ

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيِّ ... خُصِصتُمُ بالولد الزكيِّ

➔

بالطرق الصحيحة والحسنة[١].

➔

إنّ اسمه من شامخ عليٍّ عليٌّ اشتُقّ من العليِّ

(كفاية الطالب: ص ٤٠٦)

وروى ابن مردويه بسنده عن عليّ عليه السلام قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق أدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء عليّ(مناقب عليّ بن أبي طالب لابن مردويه: ص ٢٨٥ ح٤٥٠) وروى الخوارزمي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب على باب الجنّة: لا اله إلّا الله محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أخو رسول الله، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام (المناقب للخوارزمي: ص ١٤٥) وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على أنّ أصل خلق رسول الله صلى الله عليه وآله والامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان من نور واحد قبل أن يخلق الله الخلق.

ومن الواضح حيث إن نور رسول الله صلى الله عليه وآله كان موجوداً بعد وفاته بوجود مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام فما معنى اختيار الخليفة؟!

(١) فإنّ الأحاديث الواردة في فضائل مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخصائصه كثيرة جدّاً لا يمكننا استقصائها في هذه العجالة وإنّ كلّ واحد منها صالحة لاستدلال بها على إمامته وخلافته فعلى سبيل المثال لو تأمّلنا في حديث إنّ علياً صاحب الحوض أو اللواء وحديث كسر الأصنام أو حديث صكّ الولاية أو حديث ردّ الشمس أو حديث خاصف النعل أو حديث الراية أو حديث المنزلة، فكلّ واحد من هذه الأحاديث يصلح للاستدلال به على امامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، فلاحظ.

وسنذكر هذه الأحاديث إن شاء الله في محلّه.

وقد عرفت حال أبي بكر وعدم لياقته [(١)] حتّى للتقدّم على مثل ابن العاص [(٢)].

ففي مقام المشورة يتعيّن تقديم من نبّهنا على بعض فضائله هنا

---

(١) لقد تقدّم ذكر بعض الاعترافات الصادرة من أبي بكر بعدم لياقته لمنصب الخلافة والامامة، والروايات في هذا المجال كثيرة جدّاً، منها ما رواه أرباب السير والتاريخ والحديث من أنّ أبابكر قال: أقيلوني ولست بخيركم وعليٌّ فيكم (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٦٨).

ويكفي هذا الاعتراف في عدم لياقته إذ لو كانت إمامته حقاً كانت استقالته منها معصية، لإنّ الامامة كالنبوة لا تنعزل بالانخلاع. فيبقى الشقّ الثاني وهو بطلان خلافته، إذ مع اعترافه بعدم لياقته لهذا المقام العظيم قد أثبت عدم استحقاقه له.

(٢) لقد تقدّمت الروايات المعتبرة عند أهل السنة والجماعة في تقدّم عمرو بن العاص على أبي بكر في بعض الحروب، منها ما رواه الطبري في تأريخه من أنّه ورد في الروايات والتأريخ أنّ عمرو بن العاص كان أميراً على أبي بكر في غزوة ذات السلاسل وهو قد صلّى بالقوم واقتدى به أبوبكر (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٣١٥).

والذي يلفت نظر الباحث هو ما قاله ابن كثير من أنّ عمرو بن العاص كان يصلّي بهم جماعة وهو جنب! قال عمرو بن العاص: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك قال: فتيمّمت ثمّ صلّيت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟! (انظر السيرة النبوة لابن كثير ج٣: ص ٥١٧)

وقال النووي: إن هذا الحديث وما ورد بمضمونه من الأحاديث الصحاح ... (انظر المجموع ج٢: ص ٢٢٠).

وعليه فإنّ أبابكر الذي شأنه أن يقتدي بمن يصلّي جنباً كيف يكون لائقاً بإمامة الأمّة؟!

المعلوم منها تقدّم صاحبها بالفضل على عامّة الصحابة [1]، فقد بان منها ظلم

---

(١) لقد اختص مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بفضائل ومناقب لا تدانى، و منزلة لا تضاهى وفضائل لا تعدّ و لا تتناهى، فهو أخو الرسول صلى الله عليه وآله وأوّل من آمن به وصدّقه، وأحبّ الناس إلى الله تعالى ورسولهصلى الله عليه وآله وهو وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثه ووزيره وباب مدينة العلم ووليّ كلّ مؤمن بعده.

وإنّ فضائله مبيّنة لشأنه العظيم عند الله عزّ وجلّ. وهذه الروايات كثيرة تفوق حدّ الإحصاء، أفردها بعض العلماء والمحدثون بالتصنيف والتأليف (كالنسائي في كتابه الخصائص وابن المغازلي في كتابه المناقب والخوارزمي في كتابه المناقب والسيد الرضيّ في كتابه الخصائص وغيرهم.

وإليك بعض ما جاء في كتب أهل السنة والجماعة:

فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن أحمد بن حنبل قال: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله من الفضائل أكثر ما جاء لعلي بن أبي طالب (انظر المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٠٧) ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣: ص ١٨٣ والثعلبي في تفسيره ج٤: ص ٨١ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج: ص ٢٦ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص ٦٣٨ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ١٨٤؟؟؟ والخوارزمي في مناقبه: ص ١١ وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص ١٧٢ وغيرهم.

وقال ابن أبي الحديد: إعلم أنّ أمير المؤمنينعليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي أتاه الله تعالى إيّاها واختصّه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافّة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص ١٦٦)

وروى الخوارزمي بسنده عن ابن عباس قال: لو أنّ الأشجار أقلام والبحر مداد والجنّ والإنس كتاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب (المناقب للخوارزمي: ص ٣٢) ورواه الذهبي في ميزان الاعتدال ج٣: ص ٤٦٦ وابن حجر في لسان الميزان ج٥:

←

من قدّم عليه غيره(١)

➔

ص ٦٢ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ٣٦٤ وغيرهم.

وروى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لرهط من أصحابه: إنّ الله تعالى جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثيرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك الكتاب رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع... (ينابيع المودّة ج١: ص ٣٦٤) وإلى غير ذلك من الروايات والأحاديث بهذا المضمون الوارد في كتب القوم، فلاحظ.

(١) إذ من الواضح أنّ مفهوم الظلم ومعناه تجاوز الحدّ الذي يشمل كلّ ذنب، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم في الآيات العديدة ومنها قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (سورة البقرة: ٢٢٩) وقد بيّن تبارك وتعالى في سورة النساء معنى حدود الله فقال تعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ (سورة النساء: ١٣و ١٤).

ومن الواضح أنّ معصية الله مهما كانت كبيرة لا توجب الخلود والعذاب الأبديّ لأنّ الخلود في النار يختصّ بمن لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. فعلى هذا الأساس المقصود في الآية الكريمة هو التمرّد والطغيان لا إنكار آيات الله عزّ وجلّ، إذ في الحقيقة أنّ الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فهم الذين يتعدّوا حدود الله، وإنّ من يتعدّ حدود الله فقد خسر خسراناً مبيناً قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ (سورة الطلاق:١) فالتعدّي عن حدود الله ظلم سواء كان الظلم

➔

وظلم من تقدّم عليه[1]. ولو ضممت هذه النصوص الى التي صرّحت بإمامته

➔

منه إلى المجتمع أو لنفسه. فعلى أيّ حال فإنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ التعدّي عن حدود الله عز وجل مساوق للظلم، وهو في زمرة الظالمين.

وقد بيّن تبارك وتعالى من خلال الآيات ظلم الظالمين وعندما أراد تعالى أن يذكر الذنب قال: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (سورة الزمر: ٥٣) وهذه الآية تَعُمّ في شمولها جميع المعاصي ولكن يعرف من قوله تعالى: إنّ الشرك لظلم عظيم أنّه أعظم من الذنب، حيث قال تعالى عن لسان لقمان في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (سورة لقمان: ١٣) فإنّ مجموع الآيات تبيّن لنا حقيقة الظلم وهي إنكار التوحيد أو النبوّة أو ما يعادل ذلك في الاعتقاد، لأنّ القرآن أشار إلى أنّ أهمّ المسائل الاعتقادية التوحيد بالله عزّ وجلّ، فإنكاره ظلم كما قال تعالى إنّ الشرك ظلم، وكذلك إنكار النبوّة والإمامة، فإنّ الإعتقاد في الدين ركن و أساس الإيمان، فمن قدّم أبا بكر على أمير المؤمنين عليه السلام فقد ارتكب ظلماً عظيماً، لانّه خالف الإيمان والاعتقاد الذي يكون من أهمّ مسائل الاسلام.

(١) لا شكّ أنّ من قدّم نفسه على الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قد ارتكب ظلماً عظيماً ليس فوقه ظلم لأنّ الناس بحاجة إلى من يقرّبهم الى الله تعالى بهدايته وإلى السعادة الأبدية ولا شكّ أنّ من يريد أن يقرّب الناس إلى الله لابدّ أن يكون له مقاماً عظيماً عند الله عزّ وجلّ، لأنّ فاقد الشيء لا يكون معطياً له، فيلزم أن يكون الشخص مقدّماً في التقرّب إلى الله تعالى من الجميع حيث قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (سورة الواقعة: ١١٠) فإنّ السبق مطلق في الآية الكريمة يشمل الإيمان وأعمال الخير

➔

لحصل اليقين الضروري بأنّ خليفة الحقّ بعد خير الرسلﷺ هو عليّعليه السلام

➔

والأخلاق والإخلاص وغيره كي يكون أُسوة وقدوة للناس. ولا يخفى على الخبير ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ من أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام كان أوّل القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأحسنهم خلقاً (انظر الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج٣: ص١٤٤ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١٨٧ وتاريخ ابن خلدون ج٤: ص٤ وغيرها من مصادر أهل السنة والجماعة). ولاشكّ أنّ أبابكر الذي قدّم نفسه على الامام أميرالمؤمنينعليه السلام كان فاقداً لجميع صفات الامامة والقدوة باعتراف نفسه حيث اعترف بأنّه ليس بخير من غيره على الإطلاق والعموم الذي هو ظاهر من كلامه، فكيف جاز له التقدّم على من هو أوّل القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً...

وقد روى علماء أهل السنة والجماعة أنّ ابابكر لم يسلم حتى أسلم قبله جماعة من الناس ومن روى ذلك الطبري في تاريخه بسنده عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: قلت لأبي: كان أبو بكر أوّلكم إسلاماً؟ فقال سعد: لا قد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً (انظر تأريخ الطبري ج٢: ص٢١٦ والسيرة النبويّة لابن كثير ج١: ص٤٣٦ وغيرهم).

وقد ورد في كتبهم أنّ زيد بن حارثة تقدّم على أبي بكر في الإسلام (انظر الكامل في التاريخ ج٢: ص٥٩).

وقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عباد بن يزيد قال: سمعت علياًعليه السلام يقول: لقد صلّيت مع رسول اللهﷺ سبع حجج ما يصلّي معه غيري إلّا خديجة بنت خويلد... (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١١١) ورواه الطبرسي في تاريخه ج٢: ص٣١٠ وابن كثير في سيرته ج١٠: ص٤٣١ وإلى غير ذلك من الروايات الدالّة على تقدّم الناس على أبي بكر في القبول والدخول في الإسلام، وهي كثيرة جدّاً لا يسعنا المجال لذكرها كلّها.

دون غيره [١].

---

(١) لا شكّ أنّ النصوص الواردة في إمامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته عن الرسول بلا فصل قد ملأت الآفاق والأقطار بحيث لم يخل مصدر من مصادر الإسلام إلّا فيه النصوص الدالّة على إمامته وولايته عليه السلام وقد أحاط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام منذ صغره بعناية خاصة حيث تولّى تربيته وإعداده ودأب على الإشادة بمكانته وفضائله في كثير من المواقف حتى قام بتنصيبه رسميّاً يوم غدير خمّ ليكون خليفة و إماماً وعلماً للإمامة بعده.

وقد نزلت قبل ذلك آية البلاغ وذلك بعد أن أدّى الرسول صلى الله عليه وآله حجّته الأخيرة في السنة الحادية عشرة للهجرة والتي عرفت بـ «حجّة الوداع» وحضرها معه صلى الله عليه وآله ما لا يقل عن تسعين ألفاً حسب أقلّ ما روي في ذلك، وقبل أن تتفرّق هذه الجموع الغفيرة نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في مكان يدعى غدير خمّ وهو المكان الذي تتفرّق منه الطرق إلى المدينة والشام والعراق ومصر قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...** ﴾ (سورة المائدة: ٦٧).

ووردت الروايات المجاوزة حدّ التواتر في تفسير الآية بأنّها نزلت في الثامن عشر من ذي الحجّة والتي هي نصّ في أنّ الله تعالى أمر نبيه باعلان بلاغ عامّ إن لم يفعله الرسول فكأنّما لم يبلّغ رسالته أصلاً! و على أثر ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالتوقّف و خطب الناس فقال: أيها الناس إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب .... (إلى أن قال): ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول الله فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه... (وقد أخرج هذا الحدث في تفسير آية البلاغ جميع المفسرين من علماء الإسلام قاطبة).

ثمّ بعد تنصيب الإمام امير المؤمنين عليه السلام نزل قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِينًا** ﴾ (سورة

←

وسادسها: ما نقله عن أبي سفيان وغيره من عدم رضا علي عليه السلام بذلك[1]. فإنّه من عجيب الغشّ والتلبيس على الجهَلة والغفَلة، لما عرفته من السنن التي دلّت على إمامة عليّ عليه السلام [2]

➔

المائدة:٣)، فإنّ الروايات الواردة في تفسيرها والتي تدلّ على أنّ الآية نزلت بعد تنصيب الامام عليه السلام مجاوزة حدّ التواتر. ونتعرّض لذلك إن شاء الله عند ذكر أدلّة إمامة مولانا امير المؤمنين عليه السلام.

فهذا نصّ صريح واحد ثابت عند جميع المسلمين وهناك نصوص كثيرة لا يمكن ان تعد وتحصى وسنذكرها ان شاء الله في محله.

(١) لا شكّ أنّ ما نقله ابن تيميّة عن أبي سفيان وخالد بن الوليد واضح البطلان عند جميع المسلمين حتى عند أعداء أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ أدلّة الامامة الدالة على امامة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة - في أقلّ تقدير - تدلّ على أفضلية الامام عليه السلام على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة حيث إنّها تدلّ بالصراحة على أفضلية الامام عليه السلام على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يمكن للعاقل أن يصدّق ما قاله أبو سفيان وخالد بن الوليد فيما نسبا من الافتراء إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فإنّ ما نسباه إليه مخالف لقول الله ورسوله. فهل يصدّق بأنّ الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام خالف رسول الله صلى الله عليه وآله في النصوص الصحيحة الصريحة في امامته وخلافته؟!

كلاّ ثمّ كلاّ، فإنّ نفس النصوص الدالة على امامته تمنع عن هذه الدعوى البائسة كما هو واضح ظاهر.

(٢) فإنّ النصوص الدالّة على إمامة مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ووجوب طاعته كوجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله قد ملأت الآفاق وهي على كثرتها على أصناف عديدة..

➔

➔
منها: الأحاديث الواردة في عدد الأئمّة والخلفاء بعد النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وهي كثيرة جدّاً، وقد أخرجها جميع علماء الإسلام من المحدّثين والمفسرّين والمؤرّخين وجمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم كالبخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والحاكم والطبراني وغيرهم وسنتعرّض له في محلّه إن شاء الله تعالى.

ومنها: حديث الثقلين المتواتر بين جميع علماء الإسلام الدالّ على أنّ العترة الطاهرة عِدل لكتاب الله عز وجل ولا يتفرّقان إلى يوم القيامة، وأنّ التمسك بهما معاً موجب للنجاة من الضلالة والفوز بالسعادة وعدم التمسّك بهما أو بأحدهما موجب للضلالة. فالتمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة هما المرجعان والخليفتان بعد رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وهما ينقذان الأمّة من الضلالة ويهديان الى السعادة، كما جاء هذا التعبير في النصوص لاحظ ما رواه ابن أبي شيبة الكوفي بسنده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: إنّي تارك فيكم الخليفتين من بعدي كتاب الله وعترتي، أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض (المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧: ص٤١٨ ح٤١) ورواه ابن أبي عاصم في كتابه السنة: ص٣٣٧ والطبراني في معجمه الكبير ج٥: ص١٥٤ وغيرهم. فالحديث صريح في أنّ الخلفاء بعد النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ منحصرة في القرآن والعترة الطاهرة وهم أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ الذين لا يفترقون عن القرآن الكريم، كما أنّ الروايات الكثيرة المتواترة تدلّ أيضاً على إمامة أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ بعد النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

ومنها: حديث الغدير الذي اعترف بتواتره كبار علماء أهل السنة والجماعة كالذهبي وأمثاله.

قال الذهبي: وأمّا حديث من كنت مولاه... متواتر اتيقن أنّ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قاله، أمّا: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فزيادة، قوية الإسناد (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٥ عند ذكر ترجمة محمد بن جرير الطبري: إنّه كما بلغه أنّ ابن أبي داود
➔

ومن بعده ولده[1]. فإنّ صدق ما نقلوه عن أبي سفيان وعدم رضا عليعليه السلام

تكلّم في حديث غدير خمّ وعمل كتاب الفضائل وتكلّم على تصحيح الحديث، قلت: رأيت مجلّداً من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق... (تذكرة الحفّاظ ج٢: ص٧١٣).

أقول: ويظهر من كلام ـ الذهبي الذي هو المعوّل عليه في الرجال والحديث عند علماء أهل السنة والجماعة ويدور الرحى عليه حيث إنّه من أكبر علمائهم في الحديث والرجال ـ أنّ كتاب الولاية لابن جرير الطبري لم يكن مجلّداً واحداً بل هو أكثر من ذلك، فعندما لاحظ الذهبي كثرة الطرق في المجلّدات العديدة اندهش من ذلك، وهذا لا يمكن لمثل الذهبي إلّا أن تكون أسناد الحديث صحيحة وبطرق عديدة بحيث يوجب القطع بصدوره لاسيّما وكان كتاب الولاية في مجلّدات عديدة، ولذلك قال في كتابه سير الأعلام: إنّه لم يتمّ الكتاب وكان ممّن لا تأخذه في الله لومة لائم من عظيم ما يلحقه من الأذى (سير أعلام النبلاء ج١٤: ص٢٧٤) وسنذكر مصادر الحديث في محله ان شاء الله تعالى.

(١) لقد تواترت النصوص عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في امامة مولانا الامام الحسن المجتبىعليه السلام بعد وفاة أبيه أمير المؤمنينعليه السلام وبعد الامام الحسنعليه السلام الامام الحسينعليه السلام وهكذا الى الامام الثاني عشر الإمام المهدي من آل محمدعليه السلام فالأدلّة صريحة في أنّهم أئمة الهدى وحجة الله على الخلق أجمعين، والنصوص الواردة في هذا المجال كثيرة منها ما رواه الحمويني في كتابه فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودي يقال له نعثل فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك، قال: سل يا أبا عمارة، فسأله عن أشياء (الى ان قال): صدقت ثم قال: فأخبرني عن وصيّك من هو، فما نبي إلّا وله وصي وإنّ نبينا موسى بن عمران أوصى ليوشع بن نون؟

فقال: إنّ وصيّي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من

به فذلك محمول على أنّه علم أنّه متى نازعهم في الخلافة نشبت الحرب بينهم وبينه عليه السلام بعد فوت النبي صلى الله عليه وآله بدون فاصلة [1]، ووقوعها حينئذ

➔

صلب الحسين، قال: يا محمد فسمّهم لي، قال: إذا مضى الحسين فابنه عليّ، وفإذا مضى عليٌّ فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر فإذا مضى جعفر فابنه موسى فإذا مضى موسى فابنه عليّ فاذا مضى عليّ فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه عليّ فإذا مضى عليّ فابنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدى، فهؤلاء اثنا عشر...

قال اليهودي: أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله وأشهد أنّهم الأوصياء من بعدك، ولقد وجدت في كتب الأنبياء المتقدّمة وفيها: عهد إلينا موسى بن عمران أنّه إذا كان آخر الزمان يخرج نبيّ يقال له أحمد ومحمّد، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، فيكون أوصيائه بعده اثنا عشر، أوّلهم ابن عمه والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، وتقتل أمّة النبيّ الأوّل بالسيف والثاني بالسمّ والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة..... يصبر على القتل لرفع درجاته... وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث، فهؤلاء اثنا عشر عدد الأسباط.

قال صلى الله عليه وآله: أتعرف الأسباط؟ قال: نعم كانوا اثنا عشر أوّلهم لاوي بن برخيا... فقال صلى الله عليه وآله: كائن في أمّتي ما كان في بني اسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وإنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه ولا من القرآن إلاّ رسمه... (فرائد السمطين ج٢: ص١٣٢ ح ٤٣١)، إلى غير ذلك من الروايات.

(١) لا يخفى على من قرأ التأريخ أنّ أباسفيان كان من ألدّ أعداء الإسلام قبل استسلامه وبعد استسلامه، واستسلام معاوية، فكانوا من أشدّ أعداء مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام ، كما يشهد لذلك مواقفهم العدائيّة بعد وفاة النبي

➔

➔

الاكرم صلى الله عليه وآله ومن أبرز تلك المواقف موقفه في الخلافة فإنّه رفع الستار عن حقيقة نفسه و بيّن أنّه لم يدخل الإيمان في قلبه حتّى بمقدار لحظة واحدة. فقد أخرج كبار علماء أهل السنة والجماعة كابن أبي الحديد المعتزلي وغيره أنّه لمّا اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنّي لا أرى عجالة لا يطفئها إلّا ألدّ، بالعبد مناف فيم أبو بكر، أين المستضعفان؟ أين الأذلآن ـ يعني علياً وعباس ـ ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟ ثمّ قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فو الله إن شئت لأملأنّها على بي فضيل ـ يعني أبا بكر ـ خيلا ورجالاً ... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٧٣ـ ٧٤).

وروى أيضاً أنّه لمّا سمع العباس ذلك من أبي سفيان قال للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: يا بن أخي، هذا شيخ قريش قد أقبل فامدد يدك وبايعه و وأبايعك، وإن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد مناف، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قريش، وإذا بايعك قريش لم يختلف عليك بعدها أحد من العرب.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعمّه العباس: لا والله يا عمّ إني أحبّ أن أصحر بها، فأكره أن أُبايع وراء رتاج وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصاني أن لا أُجرّد سيفاً حتّى يأتيني طوعاً، وأمرني بجمع القرآن والصمت حتى يجعل الله لي مخرجاً... (شرح نهج البلاغة ج٥: ص٨٤).

وروى الطبري هذه الرواية ثم قال: قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي سفيان: يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضرّه بذلك شيئاً... (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٩).

وفي رواية أُخرى عن الإمام عليه السلام أنّه قال لأبي سفيان: إنّك والله ما أردت بهذا إلّا الفتنة وإنّك والله لطال ما بغيت الإسلام شرّاً، لاحاجة لنا في نصيحتك...(تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٩).

فهذه الروايات وأمثالها صريحة في نفاق أبي سفيان وأنّ هدفه كان محو الإسلام .

موجب لذهاب الدين من أصله[1]، فإنّ الناس تعتقد وتتحدّث بأنّ خاصّة الصحابة قد علمت أنّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ليس بنبيّ بل طالب سلطنة

---

(١) ألا يتعجّب العاقل وينتبه الغافل كيف أنّ ابا سفيان الذي لم يستسلم إلاّ بعد أن لم يرَ بدّاً من إظهار الإسلام لماذا يريد أن يبايع عليّاً مع شدّة عداوته للامام أميرالمؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام وقد عادى النبي صلى الله عليه وآله نحو عشرين سنة يهجوه ولم يتخلّف عن قتاله (انظر سيرة الحلبية ج٢: ص٧٧). فيأتي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ويريد أن ينصح الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي كان من أوّل ولادته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ساعده الأيمن في جميع المواقف وعضده الأقوى في تحقّق جميع مآربه.

فإنّ كلّ إنسان يعرف سوابق أبي سفيان يعلم بوضوح أنّه لم يرد النصيحة وإنّما أراد المكر والخدعة ليثير الفتنة بين المسلمين وليحصد ذلك ناراً في اواسط المسلمين، ولذلك روى الطبري بسنده عن عوانه أنّه قال: لمّا اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنّي لا أرى عجالة لا يطفئها الّا دم يا ال عبد مناف فيما أبو بكر من أُموركم وقال: يا أبا حسن ابسط يدك حتّى أبايعك فأبى عليّ عليه السلام فجعل يتمثل بشعر المتلمس:

هذا على الخسف معكوس برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد

قال: فزجره عليّ وقال: إنّك والله ما أردت إلّا الفتنة وإنّك والله طال ما بغيت الإسلام شرّاً لا حاجة لنا في نصيحتك. (تاريخ الطبري ج٢: ص٤٤٩) ورواه ابن الأثير في تاريخه ج٢: ص٣٢٦. وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١: ص١١٠ وغيرهم.

وجعل أبو سفيان يطوف في أزقّة المدينة ويقول: بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم لا سيّما يتم ابن مرة أو عدي

فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم وليس لها أبو الحسن عليّ ....

(انظر العقد الفريد لابن عبد البر ج٣: ص٢٧١).

فحال أبي سفيان واضح عند الكلّ حيث إنّه أراد ذهاب الدين من أصله.

ورياسة، ومن هذه الجهة صارت صحبه من بعده تتحارب على سلطنته[1]،

---

(١) لأنّ الناس على دين ملوكهم، فإذا انحرف الحاكم عن مسير الحقّ والعدالة وأشاع بين الناس الظلم والمنكر والبدع في الدين وتحفّظ على قدرته الظاهرية بالجنود والخوف والإرهاب فبالطبع أنّ الناس يتبعونه إمّا خوفاً منه أو طوعاً للمنكر وبذلك يتحقّق أهداف السلطان الجائر.

وفي المقام حيث إنّ أباسفيان والمنافقين الذين كانوا يعيشون بين المسلمين وكانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والشرك ويترصّدون الأحداث كي تحصل لهم الفرصة لإرجاع الناس إلى الجاهليّة الأُولى، كانوا يبحثون عن الطرق التي تؤدّي إلى الفتنة بين المسلمين ووقوع الحرب والقتال بينهم.

فكان أبوسفيان في مقدّمهم كما كان في حروب الإسلام في الصدر الأوّل رافعاً لراية الكفر والشرك ولذلك كان يحرّض المسلمين على القتال والمحاربة بينهم وأراد بذلك إشاعة الفتنة بين المسلمين حتّى لا يبقى من الموحّدين أحد، والناس بعد ذلك يرجعون إلى الجاهليّة الأولى.

ولذلك عندما طلب من الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يبايعه، وكان الامام عليه السلام يعرف نيّته الخبيثة قال له: إنّك والله ما أردت إلّا الفتنة، وإنّك طالما بغيت الإسلام شرّاً ولا حاجة لنا في نصيحتك (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٢٣٧ وتاريخ ابن الأثير ج٢: ص ١٨٩) والشاهد على ذلك ما جاء في التأريخ من أنّ أبابكر استرضاه بتولية ابنه، كما روى ذلك الطبري في تاريخه بسنده عن ثابت قال: لمّا استخلف أبوبكر قال أبوسفيان: ما لنا ولأبي فصيل، إنّما هو بنو عبد مناف، قال فقيل له: إنّه قد ولّى ابنك، قال: وصلته رحم (تاريخ الطبري ج٢: ص ٤٤٩).

فإنّ الظاهر من كلام أبي سفيان: «ما لنا ولأبي فصيل» الاحتجاج على أبي بكر بأنّه أراد أن يفهم أنّ ابابكر أقلّ مرتبة منه في قريش وليس له رفعة حتّى بمقدار ما كان لأبي سفيان نفسه، ولم يقف أبوبكر مقابل هذا الصوت، لأنّه كان يراه احتجاجاً صحيحاً على مبناه الذي ادّعاه في السقيفة من أنّه شيخ وكبير قريش، ولذلك استرضاه، قال ←

➔

ابن أبي الحديد: إنّ أباسفيان لم يتبع أبابكر وخلافته إلّا بعد ما رشوه فصار تابعاً لهم ... (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٤٤) فهذا حال أبي سفيان الذي واضح عند الكلّ، فكيف لا يعرفه أمير المؤمنين عليه السلام باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

وقد ظهر ممّا تقدّم أنّ أباسفيان الذي كان من المنافقين وكان في صدد تشويه سمعة الإسلام وتمويه الحقيقة الناصعة والإسائة بالساحة القدسية للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لإيجاد الفتنة بين المسلمين وترويج الداعية بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يؤمنوا به حقّاً وإنّما آمنوا به لمطامع دنيوية ولمقامات حكومية، ولكي يجعل هذا التوهّم في أذهان الناس قام بالمشاجرة مع أصحاب السقيفة والردّ على احتجاجاتهم للإشعار بأنّ النزاع في الخلافة انّما يكون الأهواء والميول حتّى يستنتج من ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقصد الحكومة والسلطة على الناس.

فهذه الحقيقة الواضحة معلومة من كلمات أبي سفيان. فكلّ باحث لو تأمّل في ذلك يصل إلى هذه النتيجة كما يصل إلى أهداف المنافقين وعلى رأسهم أبي سفيان الذي كان لا يترك فرصة للفتنة بين المسلمين، ولذلك قال له مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام: والله ما أردت إلّا الفتنة، وإنك طالما بغيت الإسلام شرّاً ... (تاريخ الطبري ج٢: ص ٢٣٧).

ومن هنا يعرف أنّ ابن تيمية كان يعلم غرض المولى أمير المؤمنين عليه السلام من عدم قبول بيعته حيث إنّ العلّة مذكورة في الخبر ولكن ابن تيمية لم يذكر العلّة للغشّ والتلبيس حيث إنّ الامام عليه السلام صرّح في الخبر بأنّ أباسفيان لا يريد إلّا الفتنة وهو في صدد محاربة أصل الإسلام فلا يريد البيعة الواقعيّة، بل يريد أن يؤجّج نار الفتنة والحرب بينهم حتّى تعتقد الناس بأنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا بصدد تحصيل القدرة الدنيويّة لا الإيمان الواقعي.

وأيضاً أراد بذلك أن ينشر التوهّم بين الناس من أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا

➔

فإنّه على فرض صدقه في دعوى النبوة وقد صدّقه خاصّته على نبوته عن يقين، لحصل لهم اليقين بخليفة بعينه ولتابعوه. فصدور المحاربة بينهم دليل على معرفتهم في هذه المدّة كون دعوى نبوته ليس لها مبنى صدق، بل هي رياسة صرفة[1].

➔

يحاربون على المطامع والمقامات الدنيوية ليس ما فعله الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بدعة منهم وإنّما كان مأخوذاً من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ فأراد بتلك الإشاعة الإسائة بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. وهذا أمر واضح يعرفه كلّ من تأمّل في كلامه.

فانظر إلى كلام ابن تيمية الذي يعرف العلّة من ردّ أميرالمؤمنين عليه السلام بيعة أبي سفيان كيف يدلّس ويغشّ الجهال؟

(١) وبعبارة أوضح: إنّ استدلال ابن تيمية بفعل الامام أميرالمؤمنين عليه السلام وردّ بيعة أبي سفيان واضح البطلان حيث إن وجه الردّ مذكور في كلام الامام عليه السلام، لأنّ الامام عليه السلام قال له: والله لا تريد إلّا الفتنة ... فكل انسان منصف لو تأمّل في كلام المولى عليه السلام ثمّ لاحظ ما قصده أبوسفيان من إثارة الفتنة سوف يذعن بأنّ أباسفيان لم يريد إلاّ ابراز النفاق واشتعال الحرب بين الصحابة و المسلمين لأنّه أراد بذلك أن يفتح المجال للحرب والفتنة بين المسلمين ليحصد من ذلك رجوع الناس إلى الجاهلية الأُولى وليأخذ بذلك ثاره من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه المخلصين.

وبعد هذه الحقيقة الثابتة وذلك بملاحظة كلام أبي سفيان وعرضه الى العرف والعقلاء إنّ المستفاد من كلامه بالقرينة القطعية هو اشاعة الفتنة بين المسلمين لأنّ المعروف عند الناس: وكلّ إناء بالذي فيه ينضح، فيكفي في الاستدلال أن يشيروا إلى ما فعله أبو سفيان قبل استسلامه وبعد إظهار إسلامه وأقواله الثابتة في التأريخ كما نشاهد

➔

ومن هذه الجهة لم يحاربهم عليٌّ عليه السلام[(١)]، بل بيّن مشاقّتهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله

←

ذلك في عصرنا الحاضر من أنّ أعداء الإسلام يدعمون المجرمين في أقصى بلاد العالم ليباشروا عملية الإرهاب باسم الإسلام كي يشوّهوا سمعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لئلا يدخل أحد في الإسلام فكان هدف أبي سفيان تشويه سمعة رسول الله صلى الله عليه وآله وايجاد الفتنة بين المسلمين ولكن الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يعلم ما يبطنه أبوسفيان من الشرّ فقال له: والله ما أردت إلّا الفتنة وإنّك طالما بغيت الإسلام شرّاً ... (تاريخ الطبري : ج٢: ص ٢٣٧). وهذا دليل على نفاقه وعدم إيمانه حقيقةً.

ويدلّ أيضاً على نفاقه ما رواه ابن أبي الحديد عن الجوهري: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد بعث أباسفيان ساعياً، فرجع من سعايته وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله فلقيه قوم فسألهم، فقالوا: مات رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: من ولي بعده؟ قيل: أبوبكر، قال: أبوفصيل؟ قالوا: نعم... إلى أن قال: فكلّم عمر أبابكر فقال: إنّ أباسفيان قد قدم وإنّا لا نأمن شرّه، فدفع له ما في يده، فتركه فرضي (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٤٤). ولم يقف الأمر على الرشوة المالية حتّى تعدّاه إلى الرشوة السلطوية إذ يظهر أنّ أباسفيان لم يقنعه المال وحده، بل طمح إلى أبعد من ذلك، فقد ورد في رواية أخرى على ما رواه الطبري بسنده عن ثابت أنّه قال أبوسفيان: ما لنا ولأبي فصيل؟ إنّما هي بنو عبدمناف!! فقيل له: إنّه قد ولّى ابنك، قال: وصلته رحم (تاريخ الطبري ج٢: ص ٤٤٩) وإلى غير ذلك ممّا يدلّ على نفاقه حتى عند أهل السنة والجماعة.

(١) لا شكّ أنّ الإمام امير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل الغاصبين للخلافة لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أنّ مقاتلة القوم كانت تؤدّي إلى وقوع الفتنة والحرب بين المسلمين وفي النتيجة هلاك المسلمين بأيدهم، وكان هذا هو هدف المنافقين الذين كانوا يعيشون بين المسلمين فكانت الأمّة في المنزلق الخطر ومحو الدين بسبب ذلك

←

➔

القتال كما يظهر هذ المعنى من الخطبة الشقشقية وغيرها من الروايات التي رواها علماء أهل السنة والجماعة منها ما رواه ابن أبي الحديد بسنده عن ابن أبي شيبة أنّه قال: حدّثنا أبو قبيصة قال: لمّا توفّي النبيﷺ وجرى في السقيفة ما جرى تمثّل علي: وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا، ويطغون لما غال زيداً غوائله... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدج٦: ص١٤) وقال: وروى الزبير بن بكار عن محمد بن اسحاق أنّ أبابكر لما بويع افتخرت بنو تيم بن مرّة قال: وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول اللهﷺ فقال الفضيل بن العباس: يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيم، إنّكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوّة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإنّا نعلم أنّ عند صاحبنا عهداً هو منهي اليه... (شرح نهج البلاغة ج٦: ص٢١).

وروى ابن أبي الحديد أيضاً عن امير المؤمنينعليه السلام أنّه قال: كلّ حقد حقدته قريش على رسول اللهﷺ أظهرته وستظهره في ولدي من بعدي. مالي وقريش إنّما وترتهم بأمر الله ورسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين؟ (شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٢٠: ص٣٢٨).

وروى أيضاً في شرح النهج: قال قائل للامام امير المؤمنينعليه السلام : يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول اللهﷺ ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟

قال: لا، بل كانت تقتله إن يفعل ما فعلتُ إنّ العرب كرهت أمر محمدﷺ وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيّامه حتّى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم منّه عندها، واجتمعت مذ كان حيّاً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته. ولو لا أنّ قريشاً جعلت اسمه دار بيعة الى الرئاسة وسلماً الى العز والإمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدّت في حاضرتها... (شرح

➔

بتخلّفه عن بيعته ابن أبي قحافة ستّة أشهر مدّة وجاهته عند الناس[1]. فلو

➔

نهج البلاغة ج٢٠: ص٢٩٩). وإلى غير ذلك من الروايات.

(١) لقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: إنّ فاطمةعليها السلام بنت النبيصلى الله عليه وآله أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللهصلى الله عليه وآله فما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت. وعاشت بعد النبيصلى الله عليه وآله ستّة أشهر. فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها. وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر... (صحيح البخاري ج٥: ص٨٣ كتاب المغازي باب غزوة خيبر) ورواه مسلم في صحيحه ج٥: ص١٥٤ كتاب الأنفال باب قول النبيصلى الله عليه وآله لا نورث.

وهنا يلزم أن نشير إلى عدّة أُمور: الأمر الأوّل: معنى البيعة، وهي العهد على الطاعة، فكأنّ المبايع يعاهد من تجب طاعته على أن لايخالفه أصلاً قال القرطبي في شرح صحيح مسلم: البيعة مأخوذة من البيع وذلك أنّ المبايع للامام يلزمه أن يلقيه بنفسه وماله فكأنّه بذل نفسه وماله لله.... (مواهب الجليل للشيخ محمد الخطاب المالكي ج٨: ص٣٦٧ نقلاً عن القرطبي في شرح صحيح مسلم).

وقال النووي: قال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء.... فتلازم البيعة والطاعة (شرح صحيح مسلم ج١٢: ص٢٢٣).

فبناءً على مسلك القوم أنّ البيعة تلازم الطاعة على نحو الإطلاق أي وإن كانت البيعة إكراهية فإنّها تلازم الطاعة عند القوم ووجوب الطاعة عندهم تلازم ولاية الأمر فإنّ من على هرم القدرة يجب طاعته عندهم ويعتقدون بأنّه المقصود من قوله تعالى: أولي الأمر (انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج٩: ص٤٦).

فإذا كانت البيعة تلازم الطاعة فمعناه أنّ عدم البيعة في لحظة واحدة من الحياة ملازم

➔

←

لعدم الطاعة والإيمان والسؤال الذي يتوجّه هنا إلى أهل السنة هو أنّ صريح حديث البخاري أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يبايع أبا بكر مدّة ستّة أشهر، ومن ناحية أُخرى ثبت عندهم أنّ عدم البيعة ملازم لعدم الطاعة، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين والحال أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حقّه : لو أنّ السماوات والأرضين وضعا في كفّة ووضع إيمان علي بن ابي طالب في كفّة ترجّح عليٌّ (المناقب لابن المغازلي: ص٢٣٠ ح٢٩٧) ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة وقال بعد ذكر الحديث: وأخرجه السمان والحافظ السلفي في المشيخة البغدادي والفضائلي... (الرياض النضرة ج٣: ص٢٠٦).

الأمر الثاني: إنّ عدم بيعة أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر لم يكن مختصّاً به بل الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تبايع أبا بكر حتّى استشهدت، وهذا أيضاً صريح في رواية البخاري حيث ورد فيها: فهجرت فاطمة أبا بكر فلم تكلّمه حتّى توفّيت. وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة أشهر...

بل ولم يبايعه أحد من بني هاشم. قال المسعودي: لمّا بويع في يوم السقيفة وجدّدت البيعة يوم الثلاثاء على العامّة خرج عليٌّ فقال: أفسدت علينا الأمور ولم تستشر ولم ترع حقّنا.... ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتّى ماتت فاطمة رضي الله عنها (مروج الذهب ج٢: ص٢٠٧) ورواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج١" ص٣٠.

فأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً لم يبايعوا أبا بكر، وبناءً على مسلك أهل السنة والجماعة لم يدخلوا في الطاعة إذ البيعة عندهم ملازمة للطاعة كما تقدّم و هل يمكن الالتزام بذلك؟!

الأمر الثالث: إنّ الروايات الصحيحة عند جميع المسلمين بل المتواترة عندهم تدلّ بالصراحة على أنّ من لم يبايع الامام ومات على تلك الحالة مات ميتة جاهلية. قال ابن حجر: والمراد بالميتة الجاهلية حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع... (فتح الباري ج١٣: ص٥).

←

←

ومن ناحية أخرى إنّ رواية البخاري المتقدّم ذكرها صريحة في أنّ الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها لم تبايع أبا بكر حتّى توفّيت، بل وجدت على أبي بكر وهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت واستشهدت. فالسؤال الذي يتوجّه هنا إلى علماء أهل السنة هو أنّه كيف يمكن لهم الجمع بين الروايتين مع أنّهم رووا في البخاري بسند صحيح عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (انظر صحيح البخاري ج٤: ص١٨٣ كتاب المناقب باب علامات النبوّة في الإسلام) وقوله صلى الله عليه وآله وإنّ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنّة (انظر صحيح البخاري ج٤: ص٢٠٩ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

فإذا كانت فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة مع أنّها لم تبايع أبا بكر رغم ما ورد من أنّ من مات ولم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهلية فكيف يمكنهم الجمع بين الامرين؟!

الأمر الرابع: هل إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بايع أبا بكر أو لم يبايعه كما أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لم تبايع أبا بكر؟

المستفاد من حديث البخاري أنّه بايع أبابكر بعد ستّة أشهر ولكنّه مردود.

أوّلاً: لأنّ عدم البيعة لو كان ملازماً لعدم الطاعة فلا فرق بين الموقّت والدائم في ذلك إذ لا شكّ أنّه لو كان يموت في تلك الحالة مات ميتة جاهلية، و معناه بناءً على هذه الرواية أنّ امير المؤمنين علي بن ابي طالب الذي هو الخليفة الرابع عندهم لم يبايع أبا بكر مدّة ستّة أشهر، وفي هذه المدة كأنّما لم يتحقّق منه الطاعة. فهل يلتزمون بذلك؟!

ثانياً: إنّ البيعة من الأمور الحادثة فلابدّ من إثباتها وإحرازها بالدليل المعتبر عند العامّة والخاصّة.

من الواضح لدى الخبير أنّه ليس هناك سند تاريخي صحيح يدلّ على أنّ الامام عليه السلام بايع أبا بكر، بعد وجود الإتّفاق التام على عدم تحقّق البيعة طوعاً منه بلا ريب عند

→

➔

الكلّ.

وأمّا الشيعة الإمامية فإنّهم يعتقدون حسب الأدلّة القطعية بأنّ الإمام أمير المؤمنين وجميع بني هاشم رجالاً ونساءاً وعدة من الصحابة لم يبايعوا أبابكر أصلاً. في حين أنّهم لا يحتاجون إلى إثبات عقيدتهم بالدليل فإنّ أصل العدم موافق لقولهم، ومع ذلك كلّه يستدلّون بالأدلّة القطعيّة على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يبايع أبابكر كما أنّ الصديقة الطاهرة سلام الله عليها لم تبايع أبابكر. وسنذكر أدلّة الشيعة في محله ان شاء الله تعالى.

أمّا أهل السنة والجماعة فإنّهم يدّعون بأنّ البيعة تحقّقت بالإكراه والإجبار بعد ستة أشهر.

قال اليعقوبي: ولم يبايع علي إلّا بعد ستة أشهر، وقيل أربعين يوماً.... (تاريخ اليعقوبي ج٢: ص١١٦).

وقال ابن أبي الحديد: والذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم فإنّه امتنع عن البيعة ستة أشهر ولزم بيته فلم يبايع حتى ماتت فاطمة عليها السلام... (شرح نهج البلاغة ج٢: ص٢٢).

والى غير ذلك من أقوالهم، فإنّها قريبة من هذين القولين.

أقول: هذا الادعاء باطل ولا حجّة عليه أوّلاً: إنّ جميع هذه الأقوال طريقها قول عائشة بنت أبي بكر. فهي التي قالت إنّ الامام عليه السلام بايع بعد ستة أشهر بالإكراه وليس هناك قول من الصحابة يؤيد قولها. فيعلم أنّها كانت تريد طريقاً لمشروعية خلافة أبيها كالمثل المعروف: كل يريد النار الى قرصه.

وثانياً: إنّ جميع أهل السنة صرّحوا بأنّ البيعة كانت بالإكراه والإجبار، فقد روى البلاذري بسنده عن عون قال: إنّ ابابكر أرسل عمر الى عليّ يريده للبيعة، فلم يبايع، فجاء عمر بقبس، فتلقته فاطمة على الباب فقالت: يا بن الخطاب أتراك محرقاً عليّ بابي؟

➔

كانت هذه البيعة حقّاً لما تخلّف عنها [(١)]

➔

قال: نعم وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء عليٌّ فبايع... (أنساب الأشراف ج١: ص٥٨٦).

وحتى البخاري الذي روى هذه الرواية ذكر أنّ الامام عليه السلام تخلّف عن بيعة أبي بكر مدة ستّة أشهر، وبهذا تمّت الحجّة على جميع أهل السنة والجماعة بأنّ بيعة أبي بكر كانت عند الامام عليه السلام مخالفة لقول الله ورسوله وبدعة في الدين، فخالفهم الامام عليه السلام لله رسوله بتخلفه عن البيعة مدّة ستّة أشهر بناءً على أقلّ التقادير عند أهل السنة والجماعة وأما بناءً على الصحيح عند الشيعة وجماعة من أهل السنة والجماعة أنّ الإمام عليه السلام لم يبايع أبابكر أبداً وذلك كي يعرف الناس أنّ أبا بكر غصب الحقّ من أهل البيت عليهم السلام، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ تخلّف الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بيعة أبي بكر أمر مسلّم ومفروغ عنه بين الكلّ ومقبول عند جميع علماء أهل السنة والجماعة، فلا محالة لابدّ من التزام علماء أهل السنة بذلك وأيضاً لابدّ لهم من أن يختاروا أحد أمرين لا ثالث لهما:

إمّا أن يلتزموا بأنّ ما فعله مولانا امير المؤمنين عليه السلام من التخلّف حقّ، وإمّا أن يلتزموا بأنّه خلاف الحقّ.

فإنّ التزموا بأنّ فعل الإمام حقّ فمعناه أنّ بيعة أبي بكر كانت باطلة، والامام تخلّف عن البيعة الباطلة. ومقتضى ذلك أنّ الامام عليه السلام لم يبايع أصلاً حيث إنّ البيعة كانت عنده محرّمة وباطلة.

وإن التزموا بأنّ فعل الامام عليه السلام ـ العياذ بالله ـ خلاف الحقّ فإنّه تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ حيث ما دار. وقد روى ذلك ابن عساكر في تاريخه بسند صحيح عن عبيد الله بن عبد الله المديني، قال: حجّ معاوية ابن أبي سفيان خمّر بالمدينة فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقّاص وعبد الله

🡐

➔

بن عمر وعبد الله بن عباس، فالتفت الى عبد الله بن عباس فقال: يا أبا عباس إنّك لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا فكنت علينا ولم تكن معنا، وأنا ابن عمّ المقتول ظلماً يعني عثمان بن عفان، وكنت أحقّ بهذا الأمر من غيري.

فقال ابن عباس: إن كان هكذا فهذا ـ وأومأ الى ابن عمر ـ أحقّ بها منك؛ لأنّ أباه قتل قبل ابن عمك.

فقال معاوية: ولا سواء إنّ أبا هذا قتله المشركون وابن عمّي قتله المسلمون.

فقال ابن عباس: هم والله أبعد لك وأدحض بحجّتك. فتركه و أقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق أنت الذي تعرف حقّنا وجلست فلم تكن معنا ولا علينا، قال: فقال سعد: إنّي رأيت الدنيا قد أظلمت فعلت لبعيري أخ فأنختها حتى انتكشفت، قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين ما قرأت في كتاب الله عز وجل أخ؟ قال: فقال سعد: أمّا إذا أبيت فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ: أنت مع الحق والحق معك حيث مادار، قال معاوية: لتأتيني على هذا ببيّنة، قال: فقال سعد: هذه أمّ سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاموا جميعاً فدخلوا على أُمّ سلمة فقالوا: يا أُمّ المؤمنين إنّ الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ما لم نسمعه، إنّه قال: يعني لعليّ: أنت مع الحق والحق معك حيث مادار. فقالت أُمّ سلمة في بيتي هذا قال رسول الله لعلي، قال: فقال معاوية لسعد يا أبا إسحاق ما كنت ألوم المدن إذا سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وجلست عن علي وسمعت هذا من رسول الله لكنت خادماً لعلي حتى أموت (تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص٣٦٠) وقريب منه ما رواه الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد وفيه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي علي مع الحق والحق مع علي حيث كان... (مجمع الزوائد ج٧: ص٢٣٥).

ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص١٢٤) ومنها ما رواه الطبراني في مجمعه الكبير بسنده عن أُمّ سلمة قالت كان عليّ على الحق و من

➔

➔
اتّبعه اتّبع الحقّ ومن تركه ترك الحقّ عهداً معهوداً قبل يومه هذا (المعجم الكبير ج٢٣: ص ٣٣٠).

وروى الهيثمي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا عند بيت النبيّ صلى الله عليه وآله في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: ألا أُخبركم؟ قالوا: المؤمنون المطيعون انّ الله يحبّ الحفي التقي قال: ومر عليّ بن أبي طالب فقال: الحقّ مع ذا الحقّ ذا. ثمّ الهيثمي: ورواه ابو يعلي الموصلي ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ج٧: ص١٣٥).

وقال الفخر الرازي في تفسيره عند ذكر الحجّة الخامسة في تفسير قوله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم»: إنّه روى البيهقي في سننه الكبرى عن أبي هريرة أنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر في صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم ثمّ إنّ الشيخ البيهقي روى... وأمّا علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار (تفسير الفخر الرازي ج١: ص٢٠٥).

وقال ابن ابي الحديد: قد ثبت عنه صلى الله عليه وآله في الأخبار الصحيحة أنّه صلى الله عليه وآله قال: علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار (شرح نهج البلاغة ج٢: ص٢٩٧) وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في كتبهم وهي تدلّ على أنّ الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع الحق والحق معه يدور حيث ما دار، و مقتضى ذلك أنّ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام مع الحق على نحو الإطلاق أي في جميع أفعاله وحالاته، ومن حالات الإمام تخلّفه عن بيعة أبي بكر، ومقتضى هذه النصوص شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ ما فعله الامام عليه السلام حقّ فتخلّف الامام عليه السلام عن بيعة أبي بكر تخلّف حقّ بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعليه فبعد الالتزام بصحة هذا الحديث لابدّ من الالتزام بلوازمه، فأحد لوازمه هو أنّ الحكم بتخلّف الامام عن بيعة أبي بكر كان حقّاً وأنّ أبابكر كان على باطل، وإلاّ يلزم تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله.

من يدور الحقّ معه حيثما يدور [(١)]

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى الروايات المتواترة الواردة عن النبي الاكرمﷺ بألفاظ متقاربة وبأسانيد كثيرة عن رسول اللهﷺ فقد روى ابن عساكر بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أُمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً وقالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة (تاريخ مدينة دمش ج٤٢: ص٤٤٩).

وروى أبو جعفر الاسكافي في المعيار والموازنة في باب خطبة عمّار بن ياسر وفيه: ... فقال عمار أشهد أنّ رسول اللهﷺ أمرنا بقتال الناكثين والقاسطين، وأمرنا بقتال المارقين من أهل النهروان وسمعنا رسول اللهﷺ يقول: علي مع الحق والحق مع عليّ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة (المعيار والموازنة: ص١١٠).

وروى ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة عن محمّد بن ابي بكر: أنّه دخل على أخته عائشة قال لها: أما سمعت رسول اللهﷺ يقول: عليّ مع الحق والحق مع علي؟ ثمّ خرجت تقاتله (الامامة والسياسة ج١: ص٦٨).

ومنها: ما رواه ابن مردوية بسنده عن عائشة أنّها لما عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها أخوها محمد: أنشدك الله أتذكرين يوم حدّثني عن النبيﷺ انّه قال: الحق لن يزال مع علي، وعلي مع الحق، لن يختلفا ولن يفترقا؟ قالت: نعم (انظر مناقب علي بن أبي طالب لابن مردوية: ص١٦٤ ح ٢٠٥) ورواه البدخشي في مفتاح النجا: ص٦٥).

وروى الزمخشري في ربيع الأبرار بسنده عن أبي ثابت موسى علي بن ابي طالب‹ع› استأذن أبو ثابت على أُمّ سلمه، فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت، ثمّ قالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً، قالت: وفّقت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول اللهﷺ يقول: علي مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ج٢: ص ١٧٣).

وروى محمد بن رستم (معتمد خان البدخشاني) في كتابه تحفة المحبين بإسناده عن ←

أحبّ الخلق إلى الله ورسوله[(١)]

➔

عائشة أنّها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحق لن يزول مع علي وعلي مع الحق، لن يختلفا ولن يفترقا (تحفة المحبّين بمناقب الخلفاء الراشدين: ص٢٠٢).

و المتقي الهندي بإسناده عن كعب بن عجزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تكون بين أمتي فرقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحق يعني عليّاً (منتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ٢٤) وإلى غير ذلك من الروايات التي وردت بهذه المضامين، وكلّها تدلّ على أنّ الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب مع الحق وأفعاله حقّ، ومن تلك الأفعال تخلّفه عن بيعة أبي بكر.

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث الطير الذي هو من الأحاديث الصحيحة والتي أجمعت الأمّة على صحّتها، وقد رواه أئمة الحديث وحفّاظ أهل السنة والجماعة وصرّحوا بصحة أسانيده وتوثيق رواته، وقد ورد بطرق شتى وكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله، فقد رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بسنده عن ثابت البناني قال: إنّ أنس بن مالك كان شاكياً فأتاه محمد بن الحجّاج يعوده في أصحاب له فجرى الحديث حتى ذكروا علياً رضي الله عنه فتنقّصه محمد بن الحجاج فقال أنس: من هذا؟ أقعدوني، فأقعدوه فقال: يا ابن الحجاج ألا أراك تنقّص علي بن أبي طالب والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق لقد كنت خادم رسول الله صلى الله عليه وآله بين يديه وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله غلام من أبناء الأنصار فكان ذلك اليوم يومي فجاءت أُمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله بطير فوضعته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم جئني بأحب خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر وضرب الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أنس انظر من على الباب، قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فذهبت فإذا عليٌّ بالباب قلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجة. فجئت حتّى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب فقال: يا أنس انظر من على الباب، فقلت: اجعله رجلاً من الأنصار. فذهبت فإذا عليٌّ

➔

الخشن في جنب الله[1]، المؤمن الممتحن، من دعا له خير الرسل. بأن ينصر

➔

بالباب، فقلت: إنّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ على حاجة. فجئت حتّى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: يا أنس، اذهب فأدخله فلست بأوّل رجل أحبّ قومه، ليس هو من الأنصار. فذهبت فأدخلته فقال: يا أنس قرّب إليه، قال: فوضعته بين يدي رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فأكلا جميعاً. قال محمد بن الحجاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم أعطى بالله عهداً أن لا أنتقص علياً بعد مقامي هذا ولا أعلم أحداً ينتقصه إلّا اثنت له وجهه (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣١) وروى حديث الطير الترمذي في سننه بسنده عن أنس بن مالك (انظر سنن الترمذي ج٥: ص ٣٠٠) والنسائي في سننه ج٤: ص ١٤٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٥ وابن حجر في فتح الباري ج٢: ص ٤٤ والمباركفوري في تحفة الأحوذي ج١٠: ص ١٥٣ والصنعاني في المصنف ج٤: ص ٢٣٠ وأبوجعفر الإسكافي: ص ٢٢٤ وابن أبي شيبة في المصنف ج٥: ص ٥٦٣ وأبويعلى الموصلي في مسنده ج٧: ص ١٠٥ والطبراني في معجمه الأوسط ج٢: ص ٢٠٧ وفي معجمه الكبير ج١: ص ٢٥٧؟؟ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٣: ص ٢٦٤ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ١١٤ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ١٠١ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١٢: ص ٦٢٧ وإلى غير ذلك من المحدثين والمؤرخين الذي رووا هذا الحديث وقد صحّحه كثير منهم وإن كان الحديث مجاوز حدّ التواتر، فإنّه من الأحاديث المعتبرة عند جميع المسلمين.

وعليه إذا كانت بيعة أبي بكر حقّاً لماذا تخلّف عنه من يحبه الله ورسوله، فإنّ من تخلّف عن بيعته من يحبّه الله ورسوله بالنصّ المتواتر عند جميع المسلمين معناه أنّ بيعته كانت باطلة، ومن الواضح أنّ من يحبّه الله ورسوله على الإطلاق هو من يكون معصوماً في جميع أفعاله وأقواله، وإلاّ لا يصح الإطلاق، فلاحظ.

(١) الظاهر أنّ هذه العبارة نقل بالمعنى لقوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «خشن في ذات الله» قال الفيومي:

➔

➔

فيقال ذات الشيء بمعنى حقيقته وماهيته وأمّا قولهم في ذات الله فهو مثل قولهم: في جنب الله ولوجه الله... (المصباح المنير ج١: ص ٢١٢) إذن هذه العبارة إشارة إلى ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى علياً الناس، قال: فقام رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خطيباً فسمعته يقول: يا أيّها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله (مسند أحمد بن حنبل ج٣: ص ٨٦) ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٣٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٢٩ وابن عبدالبر في الاستيعاب ج٤: ص ١٨٥٧ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج٣: ص ٢٠٥ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ١١٩ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٢٠ وابن كثير في البداية والنهاية ج٥: ص ٢٢٨ وفي سيرته ج٤: ص ٤١٥ والآلوسي في تفسيره ج٦: ص ١٩٤ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٢٠٠ والطبري في تاريخه ج٢: ص ٤٠٢ وابن الأثير في تاريخه ج٢: ص ٣٠١ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص ٦٣١ والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص ١٩١ وابن هشام في سيرته ج٤: ص ١٠٢٢ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ج١: ص ٢٤٥ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج٢: ص ٨٤ وغيرهم.

ومن الواضح أنّ معنى قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنّه خشن في ذات الله: أي ليس الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أهل التسامح والتساهل في الدين، وبعبارة أخرى: لم يكن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أهل المساومة على الأمور الدينية ولا أهل المداهنة فيها بل له غيرة دينية لا يتعامل على الدين بشيء. ونظير هذه الرواية ما رواه الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن إسحاق بن كعب بن عجزة عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا تسبّوا علياً فإنّه ممسوس في ذات الله (المعجم الأوسط ج٩: ص ١٤٢) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ج١١: ص ٦٢١ وغيرهم.

➔

الله من ينصره ويخذل من خذله ويحبّ وليّه ويبغض عدوّه[(١)]، من ساوى

➔

ومعنى الممسوس في ذات الله أي يمسّه الأذى والشدّة في رضا الله تعالى وقربه ويتحمّل ذلك في سبيل الله ورضاه.

إذن كيف يعقل أن يكون الإنسان خشناً في ذات الله و ممسوساً في ذاته تعالى ومع ذلك يداهن غاصب الخلافة.

(١) هذه العبارة إشارة إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله في حديث الغدير المتواتر بين الفريقين الذي قاله النبي صلى الله عليه وآله بمحضر سبعين ألفاً من المهاجرين والأنصار عند رجوعه من حجة الوداع في غديرخمّ وقد رواه علماء الإسلام. قال محمد بن جرير الطبري صاحب التأريخ: إنّه روي حديث الغدير من خمس وعشرين طريقاً وأفرد له كتاباً سمّاه الولاية، وفي بعض رواياته أنّ النبي صلى الله عليه وآله جمع الرحال وصعد عليها، فقال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: بعد إشارته إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، ثمّ قال: اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله قاله النبي صلى الله عليه وآله ثلاث مرات أو أربع مرات وقد روى هذا الحديث أكثر علماء أهل السنة والجماعة من محدثيهم ومفسريهم ومؤرخيهم والأئمة الأربعة وأصحاب الصحاح وغيرهم وسنذكر إسناد الحديث وثبوت تواتره في محلّه إن شاء الله تعالى.

وأمّا دعاء النبي صلى الله عليه وآله فلا ريب في عمومه وإطلاقه بالنسبة للأشخاص والأزمان.

ومن الواضح حيث إنّ دعاء النبي صلى الله عليه وآله يشمل جميع من والاه بالنصرة، وجميع من خذله بالخذلان إلى يوم القيامة فيشمل الدعاء لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام الى يوم القيامة ويشمل الدعاء على من أنكر ولايته وخلافته من زمن الصحابة الى يوم القيامة؛ لأنّ الإطلاق محكّم.

وعليه فإنّ الصحابة الذين انكروا خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وقد اعترفوا بأنّ الامام لم يبايع ستّة أشهر فمعناه شمول دعاء النبي صلى الله عليه وآله عليهم، لأنّهم خذلوه فيشمل أبا بكر

➔

➔

أيضاً حتى على فرض ادّعاء القوم من القول بأنّ الولي بمعنى المحبّ فإنّ هذا المعنى أيضاً يستفاد من حديث الغدير كونهم مشمولين للدعاء عليهم، إذ أنّ قول رسول الله ﷺ: فهذا عليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه يعني على فرض مدّعاهم أنّ الحبّ والموالاة لعلي عليه السلام مشمول لدعائه ﷺ كما أنّ العداء له مشمول لدعائه عليهم. وقد جاء في صحاحهم أنّ الإمام عليه السلام استنكر وجوه الناس مدّة ستّة أشهر. ففي هذه المدّة كان دعائه عليه السلام مشمولا بحالهم باعتراف جميع أهل السنة والجماعة.

وهل يصحّ استنكار وجوه الناس مع حبّهم وموالاتهم له فهل الناس طبّقوا وصيّة رسول الله ﷺ أم لا؟!

فأين ذهب الحب والموالاة، وأين ذهبت وصيّة رسول الله ﷺ؟!

وهل من المعقول أنّ الإمام أميرالمؤمنين يستنكر وجوه الناس مع حبهم وموالاتهم له؟!

والسؤال الأخير: من هم الذين والوا علياً خلال تلك الأشهر الستة وتذكّروا قول رسول الله ﷺ واتّبعوه في قوله ﷺ: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟

وبكلّ صراحة إنّ من تأمّل في هذا الدعاء من رسول الله ﷺ يعترف بأنّ من والى الامام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب فهو مشمول لدعاء النبي ﷺ ومن لم يواله فهو مشمول للدعاء عليه بالخذلان. ولابدّ لابن تيميّة من التأمّل في معنى هذا الدعاء ولكن نحن نقطع بأنّه تأمّل في معنى هذا الدعاء ولذلك قال: إنّه مخالف لأصل الإسلام... (انظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج٤: ص ٤١٨) فحيث إنّه لم يجد إشكالا في دلالة الحديث وسنده ولم ير مخرجاً من شموله للخلفاء الثلاثة وجميع من عادى الامام عليه السلام من الخلفاء والصحابة والتابعين قال: إنّه مخالف للإسلام ولم يقل مخالف لما فعله الصحابة، لأنّه يعلم أنّ الصحابة ليس لهم منزلة في الإسلام إلاّ بإيمانهم بالله، فإذا ثبت سلب الإيمان عنهم فيثبت بطلان خلافتهم ويثبت قول الشيعة، فلاحظ.

خير الرسل صلى الله عليه وآله في عامّة الفضائل سوى النبوة [١] حسبما روى ما دلّ عليه

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى حديث المنزلة الذي هو من أشهر الأحاديث المتواترة عند المسلمين وقد رواه أكثر من عشرين صحابيّاً وصحابية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخرجه عنهم الرواة والحفّاظ طبقة بعد طبقة فأخرجه جميع أهل الصحاح من أهل السنة والجماعة وأهل المسانيد في جوامعهم الحديثية بلا استثناء، ففي صحيح البخاري بسنده عن شعبة عن سعد قال: سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنّه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ (صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٨ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وأخرج في موضع آخر بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه ليس نبيّ بعدي؟ (صحيح البخاري ج٥: ص ١٢٩ كتاب المغازي باب غزوة تبوك) ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب وغيرهما من أرباب الصحاح من أهل السنة والجماعة فلاريب في صحة الحديث سنداً بل في تواتره عند جميع علماء أهل السنة والجماعة.

وأمّا من جهة الدلالة ففيه دلالة واضحة على أنّ جميع المقامات والمنازل التي كانت لهارون من موسى تكون للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حيث ذكر صلى الله عليه وآله فيه عموم المنازل الثابتة لهارون، وجميع المزايا الموجودة بين موسى و هارون تكون للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلّا النبوة.

فكلام النبي صلى الله عليه وآله إشارة إلى الآيات الواردة في منازل هارون من موسى وهي: الأخوّة، والوزارة، واشتراكه في أمره، وشدّ أزره، وخلافته، وإمامته في غياب أخيه موسى. فأوضح النبي صلى الله عليه وآله أنّ كل هذه المنازل تكون للامام امير المؤمنين عليه السلام من نفسه إلّا النبوّة. وظاهر عموم الكلام والاستثناء يدلّ على شمول جميع المنازل عدا ما

←

جماعة من عمدهم مثل ابن جرير[(١)]

←

استثناه في الكلام.

وبذلك يثبت أنّ للامام امير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ما كان لهارون من موسى من المنازل إلّا ما استثناه من النبوة، ومن تلك المنازل أنّ الله تعالى فرض طاعة هارون على أمّة موسىعليه السلام ففرض طاعة الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام على أمّة محمدصلى الله عليه وآله كما فرض طاعة هارون على أمّة موسى في غيابه وجعله اماماً لهم و كما أنّ هارون كان اماماً لقوم موسى فكذلك يكون الامام أمير المؤمنينعليه السلام.

فهذه المنازل تدلّ على أنّ الامام امير المؤمنينعليه السلام نفس النبيصلى الله عليه وآله في الفضائل ومكارم الأخلاق والعصمة وغير ذلك من الصفات الحميدة، ولازم ذلك العمل بمقتضى ما يدلّ الحديث عليه، ومقتضى ذلك أنّه إذ لم يوجد النبيعليه السلام بين الناس فنفسه موجود ولابدّ للناس من طاعته كطاعة رسول اللهصلى الله عليه وآله.

(١) وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد المحدث، المؤرّخ صاحب المصنّفات الكثيرة منها: التفسير والتأريخ الشهير وكتاب طرق حديث الغدير المسمّى بكتاب الولاية الذي قال الذهبي: إنّي وقفت عليه فاندهشت منه لكثرة طرقه (تذكرة الحفاظ ج٣: ص٧١٣) وقال ابن كثير في ترجمته: إنّي رأيت كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خمّ في مجلدين ضخمين وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير.... (البداية والنهاية ج١١: ص١٦٧).

وعن أبي محمد الفرغاني: إنّ قوماً من تلامذة محمد بن جرير حسبوا لأبي جعفر منذ بلغ الحلم إلى أن مات، ثمّ قسمّوا على تلك المدة أوراق مصنّفاته، فصار لكلّ يوم أربع عشرة ورقة (طبقات القراء للذهبي ج٢: ص١٠٨).

وحكي عن محمد بن خزيمة أنّه قال: ما أعلم على أديم الأرض أعلم منه، وكان مجتهداً حرّ الفكرة صريح القول، اذا اعتقد أمراً جاهر به فكثر خصامه من العامة

→

وصحّحه [١]، وأبي نعيم [٢]

➔

ولا سيّما الحنابلة، لانّه ألّف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل، فقيل له ذلك فقال: لم يكن فقيهاً وإنّما كان محدّثاً، فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدداً في بغداد فنقموا عليه واتّهموه بالإلحاد وهو لا يهمّه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قريه خلّفها أبوه في طبرستان. فلمّا توفّي في شوّال سنة ٣١٠ هـ دفن ليلاً في داره، لأنّ العامّة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً (انظر تذكرة الحفاظ ج٢: ص٧١٢).

(١) انظر تاريخ الطبري ج٢: ص٣٦٨.

(٢) وهو أبو نعيم مصغراً أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإصبهاني من المحدّثين والرواة والحفّاظ له كتاب حلية الأولياء وتأريخ إصفهان. توفّي في ٢١ محرم سنة ٤٣ بإصبهان (لاحظ سير أعلام النبلاء ج١٧: ص٤٥٣ رقم الترجمة ٣٠٥).

وعن الشيخ محمّد القرشي صاحب كتاب نظام الأقوال وتلميذ الشيخ البهائي أنّه ذكر الرجل في القسم الثاني من كتابه (نظام الأقوال) وقال: ورأيت قبره في إصبهان وكان مكتوباً عليه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مكتوب على ساق العرش لا إله إلّا الله وحده لا شريك له محمّد بن عبد الله عبدي ورسولي أيّدته بعلي بن أبي طالب. رواه الشيخ الحافظ المؤمن الثقة العدل أبو نعيم أحمد بن محمد بن عبدالله سبط محمد هو الصوفي الإصبهاني المدفون في محلة خاجو من محلات إصبهان.. (الكنى الألقاب للشيخ عبّاس القمي ج١: ص١٦٦).

وقد روى أبو نعيم بسنده عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن ابي طالب: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي... قال أبو نعيم: صحيح مشهور من حديث شعبة عن الحكم (انظر حلية الاولياء ج٧: ص١٩٦).

وابن شاهين [(١)] وابن السنّي [(٢)]، الى غير هذه من خصاله ومناقبه التي دلّت على لزومه للحقّ ولزوم الحقّ له وعدم المفارقة بينهما [(٣)].

---

(١) وهو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين أصله من مروذ من كور خراسان ولد سنة ٢٩٧ وكان ابتداء كتابة كتابه للحديث سنة ٣٠٨ وله إحدى عشرة سنة، ومات يوم النظر سنة ٣١٧ ودفن بباب التبن في بغداد (انظر تاريخ بغداد ج١١: ص٢٨٤ رقم الترجمة ٦٠٣٨).

وقيل: له ثلاثمائة وثلاثون مصنفاً. منها التاريخ؛ مائة وخمسون جزءاً. وتفسير القرآن نحواً من ثلاثين مجلداً، والمسند في الحديث ألف وثلاثمائة جزء (انظر هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ج١: ص٧٨١).

(٢) وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن اسباط المعروف بابن السنّي ولد سنة ٢٨٠ من المحدّثين. وكان كثير الترحال، فقد رحل الى العراق ومصر والشام والحجاز. ومن أبرز شيوخه النسائي وزكريا الساجي وأبي القاسم البغوي وله كتب وآثار منها كتاب الصراط المستقيم وفضائل الأعمال (انظر تذكرة الحفّاظ للذهبي ج٣: ص٩٢٩ وسير أعلام النبلاء ج١٦: س٢٥٥ رقم الترجمة ١٧٨).

(٣) وتوضيح المقام أنّه لا شكّ أنّ الأخبار الواردة في المصادر الاسلامية من الشيعة وأهل السنة والدالّة على أنّ الحقّ مع علي وعلي مع الحق ـ إمّا بلفظه أو بمعناه ـ أكثر من أن تحصى، بل هي متواترة معنىً وقد تقدم ذكر طرقها من كتب أهل السنة والجماعة وما فيها من الدلالة الواضحة على أنّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع أقواله وأفعاله وحالاته مع الحق والحق معه على الإطلاق، ومقتضى ذلك أنّه حيث ما كان مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو المدار للحقّ فيكون الحق دائماً معه.

وعليه يلزم بطلان خلافة أبي بكر؛ لأن الامام عليه السلام امتنع عن بيعته لا سيما باعتراف جميع أهل السنة والجماعة من امتناع الامام عليه السلام عن البيعة ستّة أشهر كما جاء

←

➔ ذلك في صحاحهم، ومعناه أنّ أبابكر كان على الباطل إذ أنّه كان في مقابل الحق، فالنصوص دالّة على بطلان بيعة أبي بكر.

هذا مع قطع النظر عن البيعة الصحيحة التي وردت في الإسلام، وأمّا بناءً على اعتبار الاختيار في البيعة كما حدثت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وعمل بها المسلمون وبايعوا النبي صلى الله عليه وآله باختيار، فإنّ الإجماع قائم على أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام امتنع عن تلك البيعة، ولذلك هجموا على داره وأحرقوا باب داره وفعلوا ما فعلوا من الإجرام و الأعمال الإرهابية ضدّ أهل البيت عليهم السلام لإجبارهم وإكراههم على البيعة ولو كانت بشكل صوري مع اعترافهم بعدم صحة البيعة الصورية ومع كونها غير صحيحة وغير مشروعة لم تتحقق في الخارج أبداً وقد امتنع مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن ذلك حتى بناءً على مسلك القوم ستّة أشهر، وهو كاف لإثبات بطلان خلافة أبي بكر، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي مع الحق والحق مع علي حيث ما دار فمقتضى هذه الرواية أنّ فعل الامام عليه السلام حقّ أي أنّ مخالفته لبيعة أبي بكر حق، وليس بعد الحق إلاّ البطلان فإدعاء ابن تيمية يكون باطلاً بنص النبي صلى الله عليه وآله الصادق المصدق، فكان من اللازم على الأُمّة أن تتّخذ موقف الامام أميرالمؤمنين عليه السلام، لأنّ الحق كان معه حيث ما دار، وهو الفارق بين الحق والباطل في هذه الأمّة كما ورد في النصوص الصحيحة من طرق أهل السنة والجماعة، فقد أخرج الطبراني بسنده عن أبي سخيلة عن أبي ذر وسلمان أنهما قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي رضي الله عنه فقال: إنّ هذا أوّل من آمن بي و هو أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الاكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل ... (المعجم الكبير ج٦: ص ٢٦٩).

ومقتضى هذه الرواية وأمثالها هو وجوب متابعة الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما وجدت الأمّة أنّه امتنع عن بيعة أبي بكر، لأنّ مقتضى هذه النصوص أنّ الحق معه وأنّ بيعة أبي بكر باطلة، فلاحظ.

فإن قيل: فلم حارب أهل الجمل وصفّين والمارقة؟ [(١)] قيل: لذهابهم

---

(١) لا يخفى أنّ الحروب المذكورة قد وقعت في زمان الخلافة الظاهرية لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد بايع الناس الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيعة صحيحة ومشروعة عند جميع أهل السنة والجماعة ومعناه أنّ الحروب التي وقعت بعدها كانت بغياً وخروجاً على الإمام وخليفة المسلمين الذي كانت إمامته مشروعة عند جميع المسلمين باختلاف مذاهبهم.

وعليه فإنّ الصحيح في السؤال أن يقال: فلِمَ حارب الامام أميرالمؤمنين عليه السلام البغاة من أهل الجمل وصفين والمارقة؟

وتوضيح المقام: أنّه قد أجمع المؤرخون على أنّ عائشة هي التي قادت جيشاً لقتال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعدما بايعه الناس على الامامة والخلافة. وقال بعض: إنّ طلحة والزبير أغرياها. وقال آخرون: إنّها كانت مستعدّة لذلك من غير إغراء، لبغضها وعدائها للإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فاجتمع حولها كلّ من في قلبه مرض وكلّ من كان حاقداً على الامام أميرالمؤمنين سلام الله عليه، وخرجت إلى البصرة فألقوا القبض على عثمان بن حنيف الأنصاري الصحابي الجليل وكان عاملاً عليها من قبل مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام فنتفوا لحيته الكريمة وشعر رأسه، وحاجبيه وضربوه بالسياط حتّى أدمي ثمّ أخرجوه من البصرة بحالة يرثى لها، وقتلوا أكثر من مائة نسمة من أهلها من غير أن يصدر منهم ذنب أو أيّ عمل يبيح لعائشة وجيشها سفك تلك الدماء البريئة. ولو أردتم التفاصيل فراجعوا كتب التاريخ كتأريخ ابن الأثير ج٣: ص ٢٠٦ وتاريخ المسعودي ج٢: ص ٣٥٩ وتاريخ الطبري ج٤: ص ٤٤٨ وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي ج٢: ص ٤٨١ وغيرها، فإنّ هذه المصادر وغيرها نقلت الواقعة بتفصيلها، وفيها أنّ هذه المعركة تركت الآف القتلى من المسلمين وكان سببها عائشة كما لا يخفى ذلك على أحد. وكذلك الحرب مع معاوية بن أبي سفيان، فإنّ معاوية خرج على إمام زمانه و سفك دماء الأبرياء، وعندما فشل في الحرب توسّل بالخدعة ورفع ←

إلى الباطل وعدم وجود المحذور الذي نبّهنا عليه وغيره [(١)] من حيث

➔

المصاحف على الرماح وإلى أخر ما تحقّق في واقعة صفين. وكذلك الخوارج فإنّهم أيضاً خرجوا على امام زمانهم. فكلّهم من البغاة حتى عند أهل السنة والجماعة بلا كلام.

ومن الواضح أنّ قتال البغاة واجب إجماعاً (انظر المجموع للنووي ج٤: ص ٤٠٤ ومغني المحتاج للشربيني ج١: ص ٣٥٠ وج ٤: ص ١٢ أمانة الطالبين للبكري الدمياطي ج٣: ص ٩٧ والمواهب الجليل للخطاب الرعيني ج٤: ص ٢٠٥ وإلى غير ذلك من أقوال فقهاء من أهل السنة والجماعة.

وخلاصة الكلام أنّ السؤال لابدّ أن يطرح بعنوان أهل البغي، ولوطرح بهذا العنوان فإنّ جوابه واضح عند الكلّ حيث إنّ قتال هؤلاء واجب بلا ريب.

(١) وبعبارة أوضح: إنّ من حارب الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أهل الجمل وصفين ونهروان كلّهم بغاة بتصريح علماء أهل السنة والجماعة. قال الفضل بن روز بهان: وأمّا من خالف علياً من البغاة، فمذهب أهل السنة والجماعة أنّ الحق كان مع عليّ وهم كانوا على الباطل ولا شكّ في هذا (دلائل الصدق ج٦: ص ٢٣٠).

أقول: هذا إقرار واضح من أحد المتعصّبين من علماء أهل السنة والجماعة على أنّ صاحبة الجمل وأصحابها ومعاوية وأنصاره كانوا مبطلين ومطالبين عند الله عزوجل بأمر عظيم، وأنّ عملهم إثارة للفتنة بين المسلمين، وما ترتّب على هذه الفتنة فهي على عاتقهم إلى يوم الدين، من ازهاق نفوس الآلاف من المسلمين وهتك الأعراض وغصب الأموال وما شابه ذلك. ولا نجد في التأريخ مايدلّ على خروج هؤلاء البغاة عن تلك المظالم العظيمة وردّ الحقوق إلى أهلها والتراجع عمّا فعلوا بالتوبة عنها، فإنّها ثابتة في التاريخ باعتراف علماء أهل السنة والجماعة على صاحبة الجمل ومعاوية وأصحابهما وأهل نهروان ومن جهة أخرى عدم وجود ما يثبت

➔

→

خروجهم عن تلك المظالم ورجوعهم عمّا فعلوه من الإجرام. فمع هذه المظالم نجد أنّ كثيراً من أتباع الخلافة الغاصبة يعظّمون صاحبة الجمل ومعاوية والخوارج ويقدّسونهم تقديساً بالغاً حتّى من عموم الصحابة، ويجعلون لهم المقام والشأن فوق ما يتصوّر، وهذا لا يناسب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله والانقياد له ولا ينسجم مع قولهم في باب الامامة والخلافة، فإنّ صريح قولهم: من بغى على الامام الشرعي والخليفة هو محارب لله لقد حكى ابن أبي الحديد عن أبي القاسم البجلي وتلامذته أنّهم قالوا: لو نازع علي عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّ سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ـ إلى أن قالوا ـ : وحكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنّه قال: علي مع الحق، والحق مع علي، يدور حيثما دار(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٢٩٧).

فهذا الحديث وأمثاله برهان قاطع من رسول الله صلى الله عليه وآله على أنّ الحق على نحو الاطلاق والعموم مع الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان الصحابة يعلمون ذلك فقد روى جمهور أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لعمّار: ستكون في أمتي بعدي مناة واختلاف حتى يختلف السيف، حتى يقتل بعضهم بعضاً، ويتبرّأ بعضهم من بعض، يا عمّار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، أنّ علياً يدينك من رديّ ولن يخرج من هدى.

يا عمّار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا عن يميني ـ يعني علياً ـ وإن سلك الناس كلّهم وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك وادياً سلكه عليّ وخلّ الناس طرّاً.

يا عمّار إن علياً لايزال على الهدى، يا عمّار إنّ طاعة عليّ طاعتي وطاعتي من طاعة الله تعالى (انظر تاريخ بغداد ج١٣: ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢: ص ٤٨٢ والبداية والنهاية ج٧: ص ٢٤٤ وغيرهم) إذن لا إشكال في دلالة هذه النصوص

←

مسارعة الناس إلى مبايعته بعد قتل عثمان وتبين إمامته لدى القريب والبعيد(١)

➔

وغيرها على أنّ من خالف الامام أميرالمؤمنين فهو على باطل.

(١) لا شكّ أنّ الأنظار توجّهت إلى الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان، وقد بايعه أهل المدينة وجائته البيعة من جميع الولايات والأمصار باستثناء عدد قليل كابن عمر ومعاوية وأهل الشام، فجاء المسلمون متظاهرين ومصرّين على أن يبايعوا الامام عليه السلام بعد ما وجدوا ربع قرن مخالفات صريحة للقرآن الكريم والسنن النبوية والبدع الكثيرة في الدين من خلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة من مولانا أمير المومنين عليه السلام فبايع الامام عليه السلام وقد استحكمت من هذه البيعة الأسس للتطبيق العملي للنصوص القرآنية والروائية بهذه البيعة.

وقد أراد الله تعالى أن يتمّ الحجّة على جميع الخلق بأن تكون خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام بالنص من الله ورسوله وكذلك الانتخاب من المسلمين حيث أجمعت الأمّة الاسلامية على خلافته في يوم الثامن عشر من ذي الحجة بعد مقتل عثمان كما تحقّقت البيعة له بالامامة في واقعة غديرخم بنفس التاريخ قبل سنين، ولكن اختلفوا في خلافة غيره كما لا يخفى.

وقد ذكرت النصوص الكثيرة أنّ الناس قد ازدحمت على بيت الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان يطلبون منه المبايعة فامتنع الامام عليه السلام حتّى اجتمع المهاجرون والأنصار، وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً عليه السلام وقالوا له: لابدّ للناس من إمام.

فقال الامام عليه السلام: لا حاجة لي في أمركم .... فقالوا ما نختار غيرك وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحق به منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال عليه السلام: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم القلوب

🡐

فالمحارب له يومئذ عات عليه معلوم ظلمه له [(١)].

←

ولا تثبت عليه العقول وإنّ الافاق قد أغامت والحجة قد تنكرت ... (نهج البلاغة الخطبة رقم ٩٠).

فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك. (تاريخ الطبري ج٣: ٤٥٠)

وروى الطبري أنه بعد إصرار الناس على المبايعة قال لهم: ففي المسجد يوم الجمعة ... (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص ٤٥٠).

وقال في الخطبة الشقشقية: فما راعني إلّا والناس رسل إليّ لعرف الصنيع ينثالون عليّ من كلّ وجه وجانب حتّى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجمعين حولي كربيضة الغنم (نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢).

فقال عليه السلام: فإذا بايعوا فلا خيار لهم... (المعيار و الموازنة لأبي جعفر الإسكافي: ص ١١٠).

ومن الواضح أنّه بناءً على مسلك القوم لا خيار للرعيّة بعد تسليمهم لخلافته وبيعة عامة الناس له فإنّه بناءً على مسلك القوم قام الإجماع على بيعة الامام بلا شبهة، ومعناه أنّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة الشرعي للأمّة فمن رغب عن إمامته وخلافته فقد رغب عن الإسلام واتّبع غير سبيل أهله، فكان من اللازم على جميع الامة التسليم لخلافة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بالأدلّة القطعية الثابتة عندهم.

(١) وتوضيح المقام أنّه أجمع المسلمون على أنّ من قاتل مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان بغاة ظالمون له الّا أنّهم اختلفوا في تكفيرهم.

قال المنادي الشافعي في كتابه فيض القدير: قال عبد القاهر الجرجاني في كتاب الامامة: أجمع فقهاء الحجاز والعراق في فريقي الحديث والرأي منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلّمين والمسلمين أنّ علياً مصيب في قتاله لأهل صفين، كما وهو مصيب في أهل الجمل وأنّ الذين

←

→

قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يكفرون ببغيهم، وقال الامام أبو منصور في كتاب «الفرق» في بيان عقيدة أهل السنة: أجمعوا أنّ علياً مصيب في قتاله أهل الجمل؛ طلحة والزبير بالبصرة، وأهل صفين؛ معاوية وعسكره... (انظر فيض القدير ج٦: ص٤٧٤).

بل قال بعض علماء أهل السنة والجماعة بوجوب مقاتلة هؤلاء البغاة، قال أبو بكر الجصاص في كتابه أحكام القرآن: لم يدفع أحد من علماء الأُمّة وفقهائها سلفهم وخلفهم وجوب ذلك إلّا قوم من الحشو وجهّال أصحاب الحديث فإنّهم أنكروا قتال الفئة الباغية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسلاح وسمّو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة إذا احتيج فيه إلى حمل السلاح وقتال الفئة الباغية مع ما قد سمعوا من قول الله تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾(سورة الحجرات: ٩) وما يقتضيه اللفظ من وجوب قتالها بالسيف وغيره وزعموا مع ذلك أنّ السلطان لاينكر عليه الظلم والجور وقتل النفس التي حرّم الله وإنّما ينكر على غير السلطان بالقول أو اليد بغير سلاح، فصاروا شرّاً على الأُمّة من أعدائها المخالفين لها، لأنّهم أقعدوا الناس عن قتال الفئة الباغية وعن الإنكار على السلطان الظلم والجور حتى أدّى إلى تغلّب الفجّار بل المجوس وأعداء الإسلام، حتّى ذهبت الثغور وشاع الظلم وخربت البلاد وذهب الدين والدنيا وظهرت الزندقة والغلوّ ومذاهب الثنوية والخرمية والمزدكية والذي جلب ذلك كله عليهم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإنكار على السلطان الجائر والله المستعان (أحكام القرآن للجصاص ج٢: ص٤٣) والى غير ذلك من أقوالهم والمستفاد منها أنّ من حارب الإمام امير المؤمنين عليه السلام فهو من البغاة بإجماع المسلمين، فيجب على المسلمين محاربته على اختلاف مذاهبهم في ما أفتى بعضهم بكفر البغاة وبعضهم بعدم الكفر.

وهناك روايات صحيحة عند أهل السنة والجماعة تدلّ على أنّ من حارب أمير

←

وممّا بيّناه علم فساد ما قاله بعضهم من أنّ عدم محاربة عليّ عليه السلام لمن تقدّم عليه، على عظم شجاعته وشدّة بسالته، دليل على حقّية إمامتهم؛ فإنّ مثله لن يرضى بالذلّ والصغار على تقدير أنّه هو الخليفة، فيصير تحت طاعة رعاياه، فقبحاً للرفضة حيث نسبوه إلى الجبن والذلّ وطاعة أهل الباطل وحاشا من هو دونه عن ذلك. انتهى نقله بالمعنى [(١)].

←

المؤمنين عليه السلام فهو المحارب لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي هريرة انه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم (مسند احمد بن حنبل ج٢: ص٤٤٢) ومقتضى ذلك أنّ المحارب للامام امير المؤمنين او الامام الحسن أو الامام الحسين أو الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام محارب للرسول والمحارب لرسول الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

(١) وبعبارة اخرى: إنّه قد تبيّن مما تقدّم الجواب عن السؤال الذي قد يُطرح من أنّه لماذا سكت الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عن خلافة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ولم يسكت عن معاوية وحاربه؟

فتقدّم الجواب عن ذلك وملخّصه أنّه: أولاً إنّ سكوت الامام عليه السلام في عهد الثلاثة كان لدرء الفتنة والحفاظ على المصلحة العليا للمسلمين ولكن بعد أن وقعت الفتنة وتحقّق قتل المسلمين ووقعت سيوف المسلمين فيما بينهم عند ذلك أشهر الامام أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وقاتل أهل الفتنة من أهل الجمل وصفين والنهروان.

وثانياً: قد أجاب الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عن هذا السؤال فيما ورد عنه عليه السلام وكان جالساً في بعض مجالسه بعد رجوعه من نهروان فجرى الكلام حتّى قيل له: لم لا حاربت أبا بكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟

فقال علي عليه السلام: إنّي كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً على حقّي، فقام إليه الأشعث بن قيس

←

←

فقال: يا أمير المؤمنين لم تضرب سيفك ولم تطلب بحقك.

فقال عليه السلام: يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه واستشعر الحجّة، إنّ لي أسوة بستّة من الانبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) أوّلهم نوح حيث قال: «ربّ إنّي مغلوب فانتصر» فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلاّ فالوصيّ أعذر.

وثانيهم لوط حيث قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلّا فالوصيّ أعذر.

ثالثهم إبراهيم خليل الله حيث قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فإن قال قائل: انّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، والا فالوصيّ اعذر.

ورابعهم موسى عليه السلام حيث قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، والّا فالوصي أعذر.

وخامسهم أخوه هارون حيث قال: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر والا فالوصي أعذر.

وسادسهم: أخي محمد خير البشر صلى الله عليه وآله حيث ذهب الى الغار ونوّمني على فراشه. فإن قال قائل: إنّه ذهب الى الغار لغير خوف فقد كفر، والّا فالوصي أعذر.

فقام اليه الناس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين قد علمنا أنّ القول قولك ونحن المذنبون التائبون، وقد عذرك الله (الاحتجاج ج١: ص٢٧٩).

وثالثاً: عدم وجدان أمير المؤمنين عليه السلام للأعوان في عهد الثلاثة الغاصبين للخلافة فإنّه عدا سلمان وأبي ذر ومقداد وعمّار وبني هاشم كان أغلب الناس قد عقدوا البيعة مع الخلافة الجائرة، فلم يكن من المصلحة مع وجود هذه الفئة القليلة من الأعوان أن يجاهد ويقاتل ظالميه مع أنّه سلام الله عليه لو شاء انتزاع حقّه من دون حاجة إلى أعوان لسلّ سيفه وأخذ حقّه بلا حاجة إلى معونة الآخرين، فانّ من فتح خيبر وحده وأخذ باب خيبر وحده بيده قادر على أخذ حقّه ولكنّه ليس من الحكمة أن

←

➔

يفعل ذلك الامام عليه السلام لأنّه لا قيمة للإيمان الإجباري.

ورابعاً: أنّه قد سأل بعض أصحاب الإمام الرضا عليه السلام هذا السؤال من الإمام عليه السلام فقال له: لِمَ لم يجاهد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام أعدائه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ جاهد في أيام ولايته؟

فأجاب الإمام عليه السلام: إنّ الامام أمير المؤمنين عليه السلام اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله في تركه جهاد المشركين بمكّة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة تسعة عشر شهراً، وذلك لقلّة أعوانه عليهم وكذلك ترك علي مجاهدة أعدائه لقلّة اعوانه عليهم، فلمّا لم تبطل نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله مع تركه الجهاد ثلاثة عشر سنة وتسعة شهراً كذلك لم تبطل إمامة عليّ عليه السلام مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة إذا كانت العلّة المانعة من الجهاد واحدة (عيون أخبار الرضا ج٢: ص٨٧).

وخامساً قول الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فيما أجاب عن هذا السؤال في خطبه وكلماته وهو قوله عليه السلام: لو لا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله تعالى على أوليائه أن لا يغاروا على كظة ظالم، أو شغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها.... (انظر شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج١: ص٢٠٣).

وسادساً: قد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ألا يحارب الغاصبين للخلافة إلاّ أن يكون له مدافعون أكثر من أربعين رجلاً ولكن حيث لم يتجاوز المدافعون عن المولى عددهم من أربع أو خمس أو سبع نفرات فلم يقدم الإمام عليه السلام على الجهاد، ولكن أمره رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث متواتر لدى جميع المسلمين أن يحارب القاسطين والمارقين والناكثين. وسنذكر هذه الأدلة بالتفصيل في محلّه إن شاء الله تعالى.

وخلاصة الكلام أنّ الامام عليه السلام لو كان له أعوان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لجاهد وقاتل كما جاهد وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين أو جاهد وقاتل مع قلة الناصر.

والذي يؤيد المقام أنّ لمعاوية كتاب إلى امير المؤمنين عليه السلام وفيها قال: وأعهدك أمس

🡐

والمنصف بعد نظره إلى ما بيّناه من المصلحة العظيمة الموقوف حصولها على عدم محاربة من تقدّم عليه يعلم يقيناً بأنّ عليّاًعليه السلام قد فعل ما هو المطلوب منه شرعاً من المحافظة على الدين [(١)] أما علم المعترض بأنّ

➔

تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يد ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر، فلم تدع من أهل بدر والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامراتك وأذللت بانبيك، فلم يجبك إلّا أربعة أو خمسة، ومهما نسيت فلا نسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيّجك: لووجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم.... (انظر كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ص ١٨٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص٣٢٧).

وقد أجابه المولى في كلام مفصّل ومنها: إنّه لا يعاب المرء بتأخير حقّه إنّما يعاب من أخذ ما ليس له...

المهمّ أنّه اتضح مما تقدّم الجواب عن هذا السؤال وسيتّضح أكثر من خلال ما قاله الماتن..

(١) لاشكّ أنّ من أهمّ وظائف الإمام والخليفة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله المحافظة على الدين، وإنّ أهمية حفظ الدين من أوضح الضروريات الثابتة عند جميع المسلمين، إذ كلّ مسلم مطالَب بالحفاظ على الدين ولا شيء يقدم عليه، فإذا كان الجهاد واجباً في الإسلام وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّها من أجل المحافظة على أصل الدين وصيانته.

وبعبارة أوضح: إنّ الدين بمثابة الروح من الجسد وحيث إنّ الجسد بلا روح لا يستطيع أن يعيش فإنّ بقاء الأُمة الإسلامية بلا دين لا يمكن فرض بقائه، فأصل حفظ الدين من أوجب الوجبات بالضرورة والامام هو المسؤول من قبل الله تعالى في الأُمة لحفظ الدين في كلّ زمان ومكان، فإذا اقتضت المصلحة سكوت الامام لحفظ

🡐

➔

الدين يجب عليه ذلك وإذا اقتضت المصلحة الأمر بالجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب عليه ذلك، فالمحور الأساسي هو الدين، وأمّا الحكومة والقيام بها إنّما هي من أجل حفظ الدين، فالحكمة إذا اقتضت أن لا يكون الإمام متصدّياً للحكومة وبقاء الإسلام كان مرتهناً بسكوته فيجب على الامام السكوت وإن كان ذلك صعباً كما قال مولانا امير المؤمنينعليه السلام: فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً...(نهج البلاغة الخطبة رقم ٣ وهي الخطبة المعروفة بالشقشقيّة).

إذن لا يقال لماذا سكت الامامعليه السلام ولماذا لم يجاهد، فإنّ الإمام هو الحافظ للدين فإذا كان أصل الدين في معرض الفناء يجب عليه حفظه وإن كان غيره جالساً على كرسيّ الحكومة، كما أنّ الأنبياء كانوا كذلك، فإنّ سكوت بعضهم واعتزالهم عن الحكم والحكومة في الأمم السابقة يبيّن حقيقة هذا الأمر حيث إنّ النبوّة لا تنعزل عنهم بانعزالهم عن الحكومة وهكذا الإمام والخليفة فإنّه لا ينعزل عن الإمامة والخلافة وإن كانت الحكومة الظاهرية في يد غيره، فالأنبياء والأوصياء يعلّمون المجتمع وبتعاليم سماوية وبهذه التعاليم السماوية ينتشر الدين، فالحفاظ على الدين أصله بانتشار الدين السماويّ، وعلى هذا الأساس كانت الأمم السابقة تنشر معارف دينها، ولذلك يجب علينا أن لا نعترض عليهم ولا ننتقد أعمالهم بأنّهم لماذا سكتوا أو لماذا لم يقاتلوا أو لماذا قاتلوا؟

وإذا راجعنا تأريخ الأنبياء نجد كثيراً منهم كانوا مغلوبين مقهورين ومنعزلين بحسب الظاهر، فهذا القرآن الكريم يحدّثنا عن نوح الذي هو من أنبياء أُولى العزم و هو شيخ الأنبياء: ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ**﴾(سورة القمر: ١٠).

وكذلك يحدّثنا عن اعتزال إبراهيم الخليل لقومه قائلاً: ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي**﴾ (سورة مريم: ٤٨).

وغيرهم من الأنبياء.

➔

➔

ومخلص الكلام أنّ وظيفة الامام حفظ الدين وصيانته من التحريف والتبديل كما أنّ وظيفة الأنبياء كذلك وأمّا الحكومة الظاهرية فهي ليست من وظائفهم الأوّلية على الإطلاق، بل هي من وظائفهم المشروطة بالقدرة والتمكّن منها، ففي صورة وجود الشرط يجب المشروط وإلّا فلا.

إذن الحكم ليس منحصراً في الحكومة الظاهرية حيث إنّ ممارسة تنفيذ الأحكام الإلهية وتجذيب الناس على اتّباع الدين والشريعة السماوية نوع من الحكومة في الأبعاد المختلفة وهي نوع من المباشرة للولاية والقيام بها.

وتعتبر في الحقيقة ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام استمراراً لقيادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واستمراراً للولاية الإلهية.

ومن الواضح أنّ إعمال هذا النوع من الولاية سيكون سبباً لسعادة البشريّة وسيعود نتيجته وفائدته إلى الناس.

قال السلمي في تفسيره: قال ابن بنان: لله خالصة من خلقه انتخبهم للولاية واستخلصهم للكرامة به له، فجعل أجسادهم دنيوية وأرواحهم نورانية وأذهانهم روحانية، وأوطانهم ارواحهم غيبية وجعل لهم فسوحاً في غوامض غيوب الملكوت الذي اوجدهم لديه في كون الازل ثم دعائهم فأجابوا سراعاً... (تفسير السلمي ج١: ص٢٥٠).

فالولاية الإلهية مجعولة لمن جعله الله إماماً وخليفة في الأرض ليحكم بين الناس بالحق كما جعل الله تعالى أنبيائه كذلك.

وأخرج السيوطي في كتابه الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾... (سورة ص: ٢٦) عن الثعلبي من طريق العوام بن حوشب قال: حدثني رجل من قومي شهد عمر بن الخطاب أنّه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان ما الخليفة من الملك؟ قال طلحة والزبير: ما ندري فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعيّة يقسّم بينهم بالسويّة ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله

➔

خير الرسلﷺ قد بلي بأعظم من ذلك ولم يحارب حفظاً للدين[1]؟ فإنّه

➔

ويقضي بكتاب الله تعالى، فقال كعب: ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري!

وأخرج ابن سعد من طريق مردان عن سلمان رضي الله عنه أنّ عمر بن الخطاب قال له: أنا ملك ام خليفة؟ فقال له سلمان: الخليفة الذي يعدل إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ثمّ وضعته في غير حقّه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر... (الدر المنثور ج٥: ص ٣٠٦).

(١) لا يخفى أنّ النبي الأكرمﷺ قد تحمّل ألواناً من الأذى والتنكيل في بداية دعوته إلى الاسلام ولم يجاهد الكفار والمشركين في سبيل إعلاء الدين وكلمة التوحيد أمام تألّب السواد الأعظم من أهل مكة وقبائلها بقيادة الزعماء والأقوياء والأغنياء وغيرهم.

فالحديث عن صبره ﷺ في الحقيقة حديث عن حياته كلّها بجميع تفاصيلها فحياتهﷺ كلّها صبر ومصابرة وجهاد ومجاهدة ولم يزل ﷺ في جهد دؤوب وعمل متواصل وصبر لا ينقطع منذ نزلت أوّل آية وحتى آخر لحظة من حياته.

ومن المواقف التي يتجلّى فيها صبره ﷺ ما تعرّض له من الأذى الجسدي من قومه وعشيرته وهو بمكّة عندما كان يبلّغ رسالة ربّه، وبالرغم من أنّهﷺ قد صانه الله تعالى وحماه بعمّه أبي طالبعليه السلام إلّا أنّه أُوذي وحوصر وضيّق عليه أشدّ الضيق.

ففي السنة السابعة من البعثة دخل النبيﷺ الشعب مع عمّه أبي طالب عليه السلام وبني هاشم ما عدا أبي لهب فلمّا دخلوا الشعب أجمعت قريش على حصارهم وألاّ يقبلوا لهم صلحاً أبداً وقطعوا عليهم الأسواق ومنعوهم الطعام وما يحتاج إليه كلّ إنسان فتحاصر النبيﷺ ثلاث سنوات وبلغ الأذى قمّته في شعب أبي طالب وتهجّمت عليه الأحزان المتوالية ففقد زوجته خديجة الكبرى أمّ المؤمنينعليها السلام التي كانت خير ناصرة ومعينة، ثمّ يفاجأ بموت عمّه الذي كان يحوطه ويدافع عنه ويضاعف حزنه

🡐

←

ثم يخرج من بلده مهاجراً بعد عدة محاولات لقتله واغتياله، وأشدّ من ذلك كلّه الأذى النفسي المتمثّل في ردّ دعوته وتكذيبه بأنّ ما أتى به من آيات الله ما هي إلّا أساطير الأوّلين و...

ومن ذلك ما قاله أبوجهل: اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ (سورة الأنفال: ٣٣ ـ ٣٤) روى هذا الحديث البخاري في صحيحه ج٥: ص ١٩٩ كتاب التفسير تفسير سورة الأنفال ومسلم في صحيحه ج٨: ص ١٢٩ كتاب التوبة باب قوله تعالى ما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وغيرهما.

وقد حدّثﷺ عن موقف من مواقف الأسى والكرب حين يبلغ بالانسان الحدّ أن ينسى نفسه، وذلك بعد ما ضاقت عليه مكّة فخرج إلى الطائف ليطلب منهم الدخول في الإسلام فلم يجد منهم إلّا العناد والسخرية والأذى ورموه بالحجارة حتى أدموا عقيبة. فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت للنبيﷺ: هل أتى عليك يوم أشدّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم ... فإذا أنا بسحابة وقد أظلّني فنظرت فإذا جبرئيل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ... فقال النبيﷺ بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً (صحيح البخاري ج٤: ص ٨٣ كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ... وصحيح مسلم ج٥: ص ١٨١ كتاب المغازي باب ما لقي النبيﷺ من أذى المشركين.

وإلى غير ذلك من الموارد التي فيها إشارة إلى ما تحمّله النبيﷺ من الأذى فكانت

←

→

الوقايع كثيرة، وإنّ سيرته ﷺ مدرسة للصابرين يستلهمون منها حلاوة الصبر وبرد اليقين ولذّة الابتلاء في سبيل الله.

ثمّ يأتي بعد تحمّل الصبر من الكفّار والمشركين دورة صبر النبيﷺ على إيذاء المنافقين في المدينة والذين كانوا حوله وكان النبيﷺ يعرفهم ويعلم نواياهم وما كانوا يفعلون من النفاق في حياته وما سيفعلونه بعد وفاته فكان ينظر إليهم ويتحمّل الأذى صبراً وتحملاً لا تتحمّله الجبال الرواسي، فمن ناحية كان يرى انهزامهم في الحروب وتخذيلهم لجيوش الإسلام وإلحاق الضرر منهم إلى المسلمين وإلى النبي الأعظمﷺ وأهل بيته عليهم السلام ومن ناحية كان يشهد ما كانوا يضمرون من المؤامرات التي لا يحجزهم عن فعلها إلّا خوف الفضيحة من الناس، فكانوا يحاولون إيقاع الهزيمة بالنبيﷺ بكلّ ما يمكنهم من الأسباب وبكلّ فرصة تسمح لهم في هذا المجال فكانﷺ يصبر على أذيّتهم ويدافع شرّهم بما لايحدث الفتنة في المدينة ويعفو عن كثير منهم ليعطينا درساً في الصبر بجنب الله تعالى حيث قال تعالى: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ (سورة يوسف: ١٨).

فالصبر هي الوسيلة الوحيدة التي تتحطّم على أعتابها كلّ البلايا وتتحوّل كلّ المآسي إلى محطة للعبور إلى الأمن والإيمان فلا مستقر للنفوس إلّا بصبرها.

ثمّ إن المنافقين من أصحابه نصبوا له كميناً ليقتلوه ويغتالوه حين رجوعه من أحد الحروب والغزوات حقداً وحسداً، فلمّا طوقه أخزاهم الله تعالى فكان يشاهد أعدائه في أصحابه ويصبر ولم يعرّفهم للناس.

فالمحن والصعوبات التي واجهها النبي الاكرمﷺ كثيرة لا يمكن إحصاؤها والسبب الرئيس في ذلك هو أنّ قريشاً كانت منغمرة في الجاهليّة وعبادة الأصنام وشرب الخمور و... فكانت مؤثرة بالأجواء العصبية الجاهلية، والتقاليد الذميمة حاكمة على قريش آن ذاك، ولذلك كانوا ينتظرون الفرصة للقضاء على النبيﷺ والإسلام

←

قد بلي بأن يمحي اسمه الشريف من النبوّة في مسألة المصالحة في الحديبية فمحاه ولم يحاربهم، وعدّة الصحابة الذين معه ألف وأربعمائة على ما في الصحيحين وغيرهما. وفيهم عليّ عليه السلام وغيره من عيون الشجعان ومشاهير الفرسان الذين عبدهم الضرب والطعان. فلم يرض بمحاربتهم بل رضي بهذه المذلّة الظاهرية[1] عند من لم يعلم بما يترتّب على هذه المصالحة من

→

لإرجاع تلك السنن الجاهلية، وقد أدهش العالم رسول الله صلى الله عليه وآله في تعامله مع أعدائه وهو متمكّن منهم فلم يظهر في التأريخ أرحم منه على أعدائه رغم ما كان يلاقيه منهم من الأذى إلّا أنّه كان مثالاً للأخلاق الحسنة متمثّلاً لشعار العفو عند القدرة، لأنه بعث ليتمّم مكارم الأخلاق.

وعلى أيّ تقدير فإنّ كلّ ما تحمّله من صبر وأذى إنّما كان من أجل حفظ الدين فلاحظ.

(١) ومجمل القصة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في أواخر السنة السادسة من الهجرة يريد العمرة مع أصحابه، فتوجّه إلى مكّة ومعه ما يقرب من ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار وبعض قبائل الجزيرة وذلك في شهر ذي القعدة وساقوا معهم سبعين بدنة لتنحر في مكّة وعندما وصلوا إلى ذي الحليفة أمرهم النبي صلى الله عليه وآله أن يضعوا سيوفهم ويحرموا منها وقلّدوا الهدي ليعلم قريش أنّه إنّما جاء النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه زائراً معتمراً وليس محارباً.

ولمّا وصل الخبر إلى قريش فزعت وظنّت أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله يريد الهجوم عليها وأخذت تخطّط لصدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله استعداد قريش وتهيّؤها لقتاله، فغيّر النبي صلى الله عليه وآله مسيره وسلك طريقاً غير الطريق التي سلكته قريش حتّى استقر في وادي الحديبية فشكا أصحابه انعدام الماء في هذا الوادي فأظهر الله سبحانه معجزة على يده المباركة حيث توضّأ صلى الله عليه وآله وألقى ماء المضمضة في البئر

←

➔
التي جف ماؤها فانفجر الماء وارتوى الجميع.
فاستقر النبيﷺ في ذلك الوادي ليبدأ حواره مع قريش فأكّد لهم أنّه لم يخرج لغزوهم وإنّما جاء ليزور البيت ويعتمر، فأرسلت قريش عدّة أشخاص إلى النبيﷺ للتفاوض والتفاهم معه وأرسل النبيﷺ رجلاً من خزاعة ليبلغهم القصد من تلك الزيارة فقامت قريش بإرسال عروة بن مسعود الثقفي مع جماعة إلى المسلمين فرجع إلى أصحابه فقال: يا قوم والله لقد وفدت على الملوك كسرى وقيصر والنجاشي والله ما رأيت ملكاً يعظّمه أصحابه كما يعظّم أصحاب محمّد محمداً، والله ما انتخم نخامة إلّا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمر ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له... قال: وقد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها.
ثمّ أسرعت قريش في إرسال وفد يرأسه سهيل بن عمرو العامري ممثّلاً عنهم للتفاوض وطلبوا من النبيﷺ أن يرجع في هذه المرّة من حيث أتى على أن يتركوا له مكة في العام القادم ثلاثة أيام، وقد اشترطوا شروطاً قاسية قبلها النبيﷺ لاقتضاء المصلحة التي أوصى بها إليه ربّه عزوجل.
وبعد حوار استجابت قريش لنداء النبيﷺ وثبّتت النقاط التي اتفقوا عليها وأمر النبيﷺ الامام أميرالمؤمنين عليه السلام أن يكتب وثيقة الصلح فكتبها، وكان مضمونها: إنّ الطرفين اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين وأنّ من أتى قريشاً من أصحاب النبيﷺلم تردّه إليه وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة لا يكره أحد على دينه، وأنّ محمداًﷺ يرجع عنهم عامه هذا ثم يدخل في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام...
وبعد كتابة الوثيقة وإبرام الاتفاق أمر النبيﷺ بالحلق والتقصير وذبح الهدي خارج مكّة وقبل الصلح وفق ما ورد في نصوص المعاهدة.
➔

➔
ولكن بعض الصحابة لم يعجبهم هذا التصرّف من النبيﷺ وعارضوه في ذلك معارضة شديدة وجائه عمر بن الخطاب فقال: ألست نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى، قال عمر: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا أبداً، قال رسول اللهﷺ: إنّي رسول اللهﷺ ولست أعصيه وهو ناصري، قال عمر: أولست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنّا نأتيه العام. قال عمر: لا، قال: فإنّك آتيه ومطوف به، ثم أتى عمر إلى أبي بكر فقال: يا أبابكر أليس هذا نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى ثم سأله عمر نفس الأسئلة التي سألها رسول اللهﷺ وأجابه أبوبكر قائلاً: أيّها الرجل إنّه لرسول الله وليس يعصي ربّه وهو ناصره... (انظر صحيح البخاري ج٣: ص ١٨٢ كتاب الصلح، باب الشروط في الجهاد والمصالحة والسنن الكبرى للبيهقي ج٩: ص ٢٢٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٦: ص ٤٦٢ وصحيح ابن حبان ج١١: ص ٢٢٤ وغيرها من المصادر الإسلامية).

هذه مجمل قصّة صلح الحديبيّة وهي من الأحداث المتّفق عليها عند العامة والخاصة، و وردت هذه القصة بأسانيد وألفاظ مختلفة في مصادر الشيعة وأهل السنة والجماعة ونحن ذكرنا ما في مصادر أهل السنة والجماعة من صحيح البخاري وغيره من المصادر الأخرى من الصحاح والسنن والتفاسير والسير وغيرها فإنّها مذكورة فيها، وهي من الحوادث المتفق عليها بين جميع المسلمين وذات النتائج الهامة.

ولاشكّ أنّ صلح الحديبية كان من أعظم الإنجازات والفتوحات التي حقّقها النبي الأكرمﷺ حيث إنّ هذا الاتفاق أعطى نتائج وآثار حاسمة ومرضيّة وحقّق كلّ ما كان يريده رسول اللهﷺ أولاً: إنّه كان إعلاماً عامّاً لجميع الناس يشمل العرب والعجم أنّ دين الإسلام قائم على السلام والكلمة الطيبة واحترام العقل وتقديس الحوار والعهود.

وثانياً: إيجاد الفضاء الحرّ للتفكّر إذ تحقّق الحوار الجدي المجرد عن تفكر الجاهلية
➔

الحِكم العظيمة. ومن هذه الجهة[1]

➔

يبعث كلّ إنسان حرّ إلى التفكّر في روح الإسلام ويجعل الحريّة في أفكار الناس ويرفع الحرج عنهم إذ أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقارنوها مع حجّة قريش والأجواء التي كانت حاكمة آن ذاك، وعندما وجدوا أنّ الحقّ مع رسول الله في تعامله وأخلاقه تمايلوا إليه فطرة.

وثالثاً: أنّ الناس عرفوا بذلك الصلح رأفة رسول الله صلى الله عليه وآله بأمّته ورحمته بهم كما قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (التوبة: ١٢٨).

وقد تغيّرت الأفكار وسعت لتعرف حقيقة الإسلام ورسالة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن كانت معزولة عن تلك الأجواء فلذلك كان هذا الاتفاق فتحاً حقيقيّاً لمكة وهزيمة ساحقة للقريش والقبائل المحاربة للإسلام، وكان نصراً مؤزراً لدبلوماسية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التي حصدت من ثماره أفضل الحصاد وأقرب الطرق وأيسرها لكلّ ما كان يتمنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا واقع الأمر.

وأمّا ظاهر القضية فإنّه كما تخيّل بعض الصحابة كعمر بن الخطاب حيث إنّهم فزعوا من هذه الحادثة واعترضوا على النبي صلى الله عليه وآله حتى تجاسر عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وآله وقال مقالته القبيحة حيث تصوّر أنّه قد أذلّه رسول الله صلى الله عليه وآله -والعياذ بالله- مع ما كان للنبي صلى الله عليه وآله من القدرة والشوكة ومع ما كان يعرف من عدم إمكان قريش للمقابلة مع النبي صلى الله عليه وآله فلذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وآله يصالح ولم يحارب لأن المصلحة كانت تقتضي ذلك، فلاحظ.

(١) لاشكّ أنّ معاهدة الحديبيّة أصبحت من المعاهدات الاسلامية المبرمة ونموذجاً فريداً للمعاهدات الدوليّة في جميع العصور، فإنّ ما سبقها وما تحقّق من المفاوضات وماحوته من شروط وما تمثّل بها من خلق النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في كيفية

➔

➔
الصياغة والالتزام بها قد تفوّقت جميع المعاهدات والمفاوضات التي وقعت بين المسلمين والمشركين.
قال ابن كثير: قال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ (الفتح: ٢٧) صلح الحديبية قال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنّما كان القتال حيث التقى الناس، فلمّا كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلّا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.
قال ابن هشام: والدليل على ما قاله الزهري أنّ رسول اللهﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف ... (السيرة النبويّة لابن كثير ج٣: ص ٣٢٤).
وقال ابن حجر بعد ذكر قول الزهري: إنّه دخل في تلك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، يعني من صناديد قريش. وممّا ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكره الزهري أنه مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله أفواجاً وكانت الهدنة مفتاحاً لذلك، ولمّا كانت قصّة الحديبية مقدمة للفتح سمّيت فتحاً كما سيأتي في المغازي، فانّ الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقاً حتى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت وكان في الصورة الظاهرة ضيماً للمسلمين وفي الصورة الباطنة عزّاً لهم، فإنّ الناس لأجل الأمن الذي وقع بينهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلّمون عندهم بذلك إلّا خفية، وظهر من كان يخفي إسلامه فذلّ المشركون من حيث أرادوا العزّة، وأقهروا من حيث أرادوا الغلبة .. (فتح الباري ج٥: ص ٢٥٧) وإلى غير ذلك من أقوال علماء أهل السنة والجماعة في هذا المجال فقد أجمعوا على أنّ
➔

قال سبحانه: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا [١]. فسمّى سبحانه هذه المصالحة فتحاً عظيماً [٢].

➔

صلح الحديبية كان واقعه فتحاً عظيماً وظاهره المصالحة مع المشركين.

(١) سورة الفتح: ١.

(٢) لا يخفى على الخبير الباحث أنّ أكثر المفسرين من علماء الإسلام يرون أنّ الآية الأولى من سورة الفتح إشارة إلى الفتح الكبير الذي حصل على أثر صلح الحديبية.

وإليك بعض كلمات علماء أهل السنة والجماعة في هذا المجال:

قال مجاهد: قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يعني نحره بالحديبية وحلقه رأسه (تفسير المجاهد ج٢: ص ٦٠١).

وقال ابن مقاتل: إنّا فتحنا لك (يوم الحديبية) فتحاً مبيناً ... (تفسير مقاتل بن سليمان ج٣: ص ٢٤٤).

وقال الصنعاني: عن مغيرة عن الشعبي في قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: نزلت بعد الحديبية ... (تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ج٣: ص ٢٢٥)

وقال الطبري: أمّا الفتح الذي وعد الله جلّ ثنائه نبيّهﷺ هذه العدة على شكره إيّاه عليه، فإنّه فما ذكر الهدنة التي جرت بين رسول اللهﷺ وبين مشركي قريش بالحديبية ...(جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج٢٦: ص ٨٩).

وقال النحاس: روى قتادة عن أنس قال: نزلت إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ... بعد رجوع النبيﷺ من الحديبية ...(معاني القرآن للنحاس ج٦: ص ٤٩٢).

وقال السمرقندي: إنّا فتحنا لك ... يعني فتح الحديبية، والحديبية بئر سمّي المكان بها... (تفسير السمرقندي ج٢: ص ٢٩٣).

وقال الثعلبي: إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً بغير قتال وكان الصلح من الفتح ... (تفسير الثعلبي ج٩: ص ٤٢).

➔

بل قل: أما درى وأما علم المعترض بما قد تحمّل خير الرسلﷺ وصحبه في مكّة المعظمة في مدّة ثلاث عشر سنة من الصدمات من العتاة المردة الطغاة ومن ضروب التعذيبات التي تتفطّر من عظمها وشناعتها القلوب(١)، مثل شدّ أبي جهل لعنه الله يدي ورجلي جارية مسلمة بأربعة

➔

وقال الواحدي: إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً نزلت عند رجوعه ﷺ من الحديبيّة، نزلت وأصحابه مخالطون الحزن ... (أسباب نزول الآيات للواحدي: ص ٢٥٦).

وقال السمعاني: وهي (الآية) مدنية في قولهم جميعاً وعن بعضهم أنّها نزلت بين مكة والمدينة عند منصرفه من الحديبيّة ... (تفسير السمعاني ج٥: ص ١٨٨).

وقال البغوي: والأكثرون على أنّ صلح الحديبية ومعنى الفتح فتح المنغلق والصلح مع المشركين بالحديبية ... (معالم التنزيل ج٤: ص ١٨٨).

وقال الفخر الرازي: فتحاً أي أعلمناك بما أنزلناه من القرآن ... بفتح مكة ووعده بذلك عند مرجعه من الحديبية ... (تفسير الفخر الرازي ج٢: ص ٢٠٢) وإلى غير ذلك من أقوالهم. فأكثر المفسرين ذهبوا إلى أنّ الفتح الكبير هو ما حدث في الحديبية، فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ النبي الأكرمﷺ قد تحمّل المشاقّ والمحن والمصائب والأذايا التي لم يواجهها أحد قبله، فقد أُوذي الرسول ﷺ إيذاءً شديداً لم يتعرّض له نبيّ من الأنبياء السابقين كما قالﷺ: ما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذيت (انظر الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص٤٨٨).

لانّه قد تفرّد عن الأنبياء السالفين بأنواع جديدة من الأذى لم تكن في تلك العهود السابقة، فانّه قد واجه الجبابرة والطغاة من كلّ الناس حتّى أعمامه وأقربائه.

وقد تمادى إيذاء المشركين له درجة ينادونه بالمجنون كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾ (سورة الحجر: الآية٦).

➔

➔

او كانوا يستهزئون به و يقولون ساحر كذاب، كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (سورة ص: الاية ٤)

أوكانوا لا ينظرون له إلاّ نظرات كلّها استحقار كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾

ثمّ تطوّرت عداوتهم الى حالة فرض الحصار الاقتصادي والمقاطعة الاجتماعية عليه وعلى أسرته بني هاشم، فاتّفقت قبائل قريش وتعاهدت على ذلك وكتبوا صحيفة علّقوها في جوف الكعبة بأن لا يتحكموا من بني هاشم ولا ينكحوا منهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتّى يسلّموا رسول الله صلى الله عليه وآله للقتل. وقد قرّروا اختيار عدّة من الفتية يمثّل كلّ فتى منهم عشيرته ليشتركوا في قتل النبي صلى الله عليه وآله ولتكون جبهة واحدة ضد الهاشميين لئلا يقوون على المطالبة بدمه أو الاقتصاص من قاتله، وبهذا التدبير أرادوا أن يضيعوا دم النبي صلى الله عليه وآله بين العشائر وينجون من ردّ الفعل الهاشمي.

فكان زعماء قريش ورؤساؤهم يجتمعون عند كل نائبة في دار الندوة ويتّخذون القرار بالتشاور والرأي لإيذاء جديد واختيار أصعب الأنواع منها من خلال تضافر الجهود للقضاء الكامل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فكان النبي صلى الله عليه وآله يعاني هذه المواجهات من قريش والقبائل العربية، ويتحمّل الأذى منهم مدّة ثلاث عشر سنة في مكّة المكرّمة بعد ما أعلن نبوّته، مع أنّ الله تبارك وتعالى كان قادراً على أن يهلك أعدائه أو يربط بالإعجاز على جميع القلوب الإيمان كي يؤمنوا بالله وبرسوله ولا يتأذّى النبي صلى الله عليه وآله ولا يتحمّل تلك المشاقّ والمحن والمصائب والأذى ولكن قد اقتضت حكمة ربّ العالمين أن تحتجب عنه الملك خصوصاً بعد الحصر في شعب أبي طالب عليه السلام وبعد ما اتفقت جميع القبائل على قتله وتعذيبه وقتل أهل بيته وأصحابه وقد قتلوا عدّة من أصحابه وعذّبوا جماعة منهم فقد تحمّل جميع تلك الأذايا وكان يقول: اللّهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون (انظر مجمع الزوائد٦: ص١١٧) وهل

←

أوتاد ثمّ طعنها في فرجها حتّى ماتت(١). وصبر على عامّة الفادحات وعنده

←

يمكن أن يقال أنّ ابن تيمية غفل عن هذه الأمور الواضحة التي تعدّ من الضروريات في تاريخ الاسلام؟!

(١) المراد بالجارية هي سميّة بنت خيّاط زوجة ياسر بن عامر العنسي وهي أوّل شهيدة في الإسلام والمرأة التي خلّد التأريخ ذكرها وأعلى الإسلام قدرها ومنزلتها مثالاً للصبر على البلاء وتحمّل أشد أنواع التعذيب والتنكيل.

وقصّة إسلام سميّة تبدأ عندما قدم ياسر ـ والد عمار ـ من اليمن مع أخويه الحارث ومالك إلى مكّة ليبحثوا عن أخ لهم فقدوه منذ سنوات، ومن ذلك الوقت وهم يطوفون في البلدان بحثاً عنه فانتهى بهم المطاف إلى أرض مكّة وكانوا قد بحثوا عنه فلم يجدوه فعاد الحارث ومالك إلى اليمن. أمّا ياسر فلم يعد وبقي في مكّة ولا يعلم أنّه بذلك قد دخل التأريخ من أوسع أبوابه بل وأشرفها.

وكان من عادة العرب أنّه إذا دخل رجل غريب إلى بلدة واستقرّ بها فلابدّ أن يحالف سيّداً من سادات القوم ليمنعه من أذى الناس ليستطيع أن يعيش حياة هادئة في ذلك المكان.

ولهذا حالف ياسر بن عامر أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي أحد رجال قريش فأحبّه الرجل من أعماق قلبه لما رأى من نبيل خصاله وكريم أفعاله ونفاسة أخلاقه وكان ياسر عربيّاً قحطانياً مذحجياً من بني عنس يحمل في عروقه سمو أخلاق العرب وأفضل خصالها. وأراد أبو حذيفة بن المغيرة أن يقترب من ياسر أكثر فرشّح له أمة من إمائه تدعى سميّة بنت خياط، وكانت ذا جمال وحسن خلق وإخلاص في العمل، فانجذب ياسر لجمال المرأة وكمالها فتزوّج من سميّة وأثمر زواجهما غلاماً مباركاً سمّوه عمّارا وكان قرّة عين أبيه وأُمّه وكان هذا المولود المبارك ذا فأل حسن على أُمه حيث أعتقها أبو حذيفة بعد ولادة عمار.

وبدأت هذه الأسرة الصغيرة تكبر، وقد رزق الله سميّة وياسر مولودهما الثاني عبد الله،

→

مشاهير الشجعان؛ عليّ عليه السلام وحمزة وزيد بن حارثة والزبير وسعد وغيرهم[1].

➔

ثمّ حان أوان إشراق شمس الإسلام على مكّة بل على الأرض كلّها فبزغ نور الإسلام ونوّر القلوب الصافية بحقيقة الإسلام والإيمان فبدأت هذه الأُسرة المتحابّة تتلقّى نور دين الله وهديه إذ شمس الإسلام أشرقت على الأرض لا سيّما الجزيرة العربية وقد أخرج الناس من الظلمات الجاهليّة والشرك إلى أنوار التوحيد والإيمان ولتنقلهم من البؤس والشقاء إلى سعادة الدنيا والآخرة، كيف لا والإسلام طوق النجاة للإنسانية جمعاء. وكانت سميّة وزوجها وابنيهما على موعد مع حياة جديدة، فأظهروا الإسلام وجاهدوا وصبروا في سبيل الله حقّ جهاده حيث كان أبو جهل يكيل لسمية وهذه الإسرة الطيبة السباب والشتائم والضرب والتعذيب ولكن هذه الأُسرة لا ترى من ذلك الاستخفاف بل ترى الاستعلاء بدينها.

وقد صبرت سميّة على البلايا والرزايا بكلّ صمود ويقين وثبات لعلمها أنّ الجزاء العظيم عند الله عزّ وجلّ، فجاء أبو جهل و وكّل أمر تعذيب ياسر إلى بني مخزوم وهم مخرجون بهم جميعاً كلّ يوم إلى رمضاء مكة الملتهبة يصبّون عليهم ألواناً من العذاب، وكان نصيب سمّية من ذلك فادحاً مهيباً، ولن تفيض في الحديث عنها إلّا الجزء اليسير منها وهي شدّها بالأوتار، وفي آخر مرحلة طعنها أبو جهل بحربة في فرجها حتّى استشهدت رضوان الله تعالى عليها. (راجع ترجمتها في الطبقات لابن سعد ج٤: ص ١٣٦ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٣: ص ٣٥٣ ـ ٣٥٦ وتهذيب الكمال للمزي ج٢١: ص ٢١٨ وأنساب الأشراف ج١: ص ١٥٧ والمنتظم لابن الجوزي ج٢: ص ٣٨٤ وغيرها من المصادر).

(١) لا شكّ أنّ سكوت النبي صلى الله عليه وآله كأفعاله وأقواله فيه الحكمة و المصلحة؛ اذ جميع ذلك يكون بأمر الله عز وجل وذلك بمقتضى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**

←

➔

مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف: ١١٠).

ففي هذا التعبير القرآني العموم والاطلاق بالنسبة الى جميع أفعال النبيﷺ وأقواله وسكوته، إذ تقول الآية صحيح أنّني بشر مثلكم ولكن الله آتاني رحمة وبيّنة ودليلاً واضحاً من عنده في جميع حركاتي وسكناتي فلا تمنع بشريّتي هذه من أداء الرسالة العظيمة في أيّ حالة من الأحوال.

فجميع أفعال النبيﷺ وأقواله وسكوته كان بأمر الله عز وجل وبتأييد الله تبارك وتعالى.

وعليه فإنّ سكوت النبيﷺ كأفعاله وأقواله حجة شرعية على جميع المسلمين حيث إنّه لم يصدر منه إلاّ بأمر الله عزوجل وليس فيه إلاّ المصلحة والحكمة ويكون رحمة لعامّة الناس، لأنّه ﷺ بعث رحمة للعالمين قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ (الاية: ١٠٧) فالآية فيه العموم والإطلاق، ومعناه أنّ الجميع مشمولون لرحمتهﷺ لأنّ النبيﷺ تكفّل بنشر الدين الذي ينقذ الجميع من الضلالة والهلاكة.

أجل، إنّ أوامره ونواهيه وسكوته وأخلاقه كلّها رحمة للعالمين.

وإذا كان الأمر كذلك لمذا سكت عن تعذيب الصحابة المؤمنين في مكة المكرمة ولا سيما قتل سمية وزوجها ياسر مع أنّ شجعان العرب كأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام كان في جنبه، فإنّ عمّه حمزة وأبوطالب و الامام أمير المؤمنينعليه السلام كانوا تحت أمره ولاسيّما الامام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان في جميع الحروب والغزوات حامياً للرسولﷺ وساعده الأيمن، ولا شكّ أنّ أكثر حروب صدر الإسلام فتح بسيف أمير المؤمنينعليه السلام لا سيما في المواطن التي كان الصحابة يهربون كغزوة أحد وخيبر وأمثال ذلك التي سجلها التأريخ.

فكان الامامعليه السلام في جنب رسول الله في مكة المكرمة وكذلك عمّه حمزة سيد الشهداء

➔

بل قل: لو حاربهم هو بنفسهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه لم يبق لهم باقية لتقدّمه في الشجاعة على عامّة أهل الدنيا[١]، بل رضي بالذلّ بحسب الظاهر فأمر صحبه

←

وكفيله أبو طالبعليه السلام وابن عمه جعفر الطيار وكثير من بني هاشم وهم شجعان العرب لو حملوا السيف لهرب جميع أوباش قريش من أطراف النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه فكيف سكت النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه عمّا وقع؟!

من الواضح البديهي أنّ ما فعله رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه فيه الحكمة والمصلحة فإنّ وجود النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه كان رحمة للعالمين و لعامّة البشر في الدنيا سواء المؤمن أو الكافر، وكلّهم مشمولون لرحمته، فالمؤمن الذي كان يدخل في الرحمة كان متنعّما بكلّ الخير وأمّا من لم ينتفع من الرحمة فإنّ ذلك يتعلّق به نفسه ولا يخدش في عموميّة الرحمة وهذا يشبه تماماً بأنّ إنساناً خيّراً يؤسّس مستشفى مجهّزة لعلاج كلّ مريض وفيها الأطباء المهرة لكلّ الأمرض وفيها الأدوية، فيفتح الخيّر باب المستشفى بوجه كلّ الناس بلا استثناء فهذه المستشفى أعدّت رحمة لكلّ أفراد المجتمع، فإذا امتنع بعض المرضى العنودون من قبول هذا الفيض العامّ فسوف لا يؤثّر في كون ذلك المستشفى عامّة المنفعة، وإنّما يتوجّه الضرر به لامتناعه عن شمول الخير له. والمقام يكون كذلك.

(١) لقد كان رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه أشجع الناس فكانت جيوش الأعداء وقادة الكفر تفرّ في كثير من المواجهات الحاسمة ففي رواية أنّ أعرابياً دخل مكّة فأخذ أبو جهل ماله فذهب الى قريش يطلب منهم أن يعيد له ماله، فقالوا اذهب إلى ذلك الشخص الذي يصلّي وهو سيعيد لك مالك، فذهب الى الحبيبصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه فقال له: أخبروني بأنّك سوف تعيد افصل لي مالي من أبي جهل، فنهضصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وقال: قم معي. وذهب إلى أبي جهل وقال له: أعد للرجل ماله، فذهب أبو جهل مسرعاً خائفاً وجاء بالمال وأعاده للرجل، فلمّا سألوا أبا جهل عن سبب ذلك؟ قال: ويحكم ما هو إلّا أن

←

➔
ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ثمّ خرجت إليه وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه أفحل قط، فلو أبيت لأكلني (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٣: ص٦٠). ورواه ابن هشام في سيرته ج١: ص٢٠٦٣ وغيرهم.

وفي رواية عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: كنّا نخاف في الحروب نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله وهو أقربنا الى العدوّ وكان من أشدّ الناس بأساً (مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ص١٢) ورواه الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين ج١: ص٦٢ والقاضي عياض في الشفا بتعريق المصطفى ج١: ص١١٦ وغيره.

ولا شكّ أنّ القائد الذي لا يتحلى بالشجاعة لا ينتصر؛ لانّ جنوده لا يثقون به، ولأنّه لا يستطيع أن يكون مثالاً شخصياً لرجاله في الإقدام والتضحية، ولانّه لا يخاطر بروحه فلا يخاطر أتباعه بأرواحهم، والقائد الشجاع يتبعه رجاله إلى الموت والقائد الجبان يسبقه جنوده إلى النجاة والفرار، فالنبي صلى الله عليه وآله كان أشجع الناس ومع ذلك كان لايخطو خطوة إلاّ عن حكمة ومصلحة.

وفي رواية قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت في المعركة قرب النبي صلى الله عليه وآله فقال لي صلى الله عليه وآله: ناولني كفّاً من حصى فرمى بها في وجوههم وقال لهم: شاهت الوجوه، فلم يبق أحد منهم إلّا ولّى الدبر لذلك منهزماً (انظر الدر النظيم: ص١٥٢).

ويؤيد ما سبق موقفه صلى الله عليه وآله حين تأمّر به كفّار قريش على قتله وما أعدوا له من القوة والرجال حتى أحاطوا بمنزله قرابة خمسين رجلاً فثبت عندها رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يصبه الخوف، بل نام ولم يهتمّ بشأنهم حتى نزل الوحي والأمر من الله تعالى للهجرة فخرج في منتصف الليل بشجاعة وقوة مخلّفاً الإمام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه فلم يمكن لقريش أن يمنعه من ذلك، فذهب إلى الغار والمشركون وصلوا إلى الغار و اجتمعوا مطوّقين حوله وكان بينهم رجال شجعان وأهل الاعتداء من العرب الجاهلية الذين كانوا معروفين بالفتك والقتل والغارة
🡐

بالهجرة إلى الحبشة هرباً من شرور الفجرة[1]، وهرب هو بنفسهﷺ من

→

والاعتداء الوحشي ومع ذلك كلّه لم يبال النبيﷺ بهم. وإلى غير ذلك ممّا ورد في التاريخ ولكن لم يقابلهم، فلماذا سكت النبيﷺ مع قدرته على المقابلة؟!

(١) فإنّ الأحاديث والآثار المنثورة في السنن والمسانيد والتأريخ تدلّ على أنّه لمّا جائت الرسالة المحمّدية وقف المشركون بوجه هذه الرسالة الإلهية وحاربوها بكلّ قوّة وشدّة، وإن كانت المواجهة في بداية أمرها محدودة إلّا أنّها سرعان ما بدأت تشتدّ وتتعاظم العداوة والمحنة بالرسول الأعظمﷺ والمسلمين حتّى ضيّقت قريش الخناق على المسلمين واضطهدتهم وأرهقتهم فضاقت عليهم مكّة بما رحبت وصارت الحياة في ظلّ هذه المواجهة لا سيّما لمن لم يكن له عشيرة من المسلمين تمنع عنهم التعذيب والقتل والإرهاب فازدادت قريش استكباراً وعناداً في تلك المواجهة يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر.

الى أن اختار النبي الأكرمﷺ للمسلمين الهجرة الى حبشة وكان السرّ في ذلك أنّ لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام، لما كان لها من علاقات تجارية واقتصادية معها، فالهجرة الى هذه البلاد كانت تسهّل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذي بهم، ولا سيّما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأيّ من الأُصول الأخلاقية والإنسانية ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور، وعلى الأخصّ بالنسبة لمن ينتسب الى دعوة يرون أنّها تضرّ بمصالحهم الشخصية وتهدّد كيانهم.

وأمّا بلاد اليمن وبعض المناطق العربية والقبلية الأُخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي المتجبّر والظالم ولذلك قد أشار رسول اللهﷺ إلى السرّ في المهاجرة الى الحبشة بقوله: إنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق وانّه يحسن الجوار (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٧٠).

فالمستفاد من قولهﷺ: «إنّها أرض صدق» أي إنّه قد كان فيها شعب يعيش على

←

←

الفطرة ويتعامل بالصدق والصفاء وعلى أثر ذلك كان يمكن لهؤلاء الثلّة من المسلمين المهاجرين أن يعيشوا مع هؤلاء الناس، وأن يتعلموا معهم معاملة الصدق والوفاء الناشئة عن الفطرة، لا سيّما وأنّها بلاد لم يكن فيها من الانحرافات والأفكار التي كانت في الروم والفرس من الأديان المنحرفة والشرك والمفاهيم والنظريات اللا إنسانية، فلم تتعرّض بلاد الحبشة لمثل ذلك، حيث لم يكن فيها أمثال فلاسفة الروم ولا كهَنة الفرس ولا رجال المشركين.

فكانت هيمنة الفطرة ساتراً على بلاد الحبشة، وليس معناه أنّ بلاد الحبشة كانت خالية عن الانحراف بل النسبة فيها مع البلدان الأُخرى نسبة بعيدة.

فهاجر المسلمون بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة ويقال: انّه قد سافر أوّلاً عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مضعون ثمّ خرج الآخرون وتكاملوا إلى اثنين وثلاثين رجلاً وتسعة عشر امرأة (انظر السيرة النبوية لابن كثير ج٢: ص١٧ والبداية والنهاية له ج٣: ص٧٣ وسيرة ابن هشام ج١: ص٣٤٥ والسيرة النبوية الحلبية ج١: وكيف كان فإنّ هذا العدد كان مجموع المهاجرة من الصحابة سواء كانت هجرة واحدة أو تدريجيّة، وكانت عليها جعفر بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يكن غيره من بني هاشم وهذا معناه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه للإمارة على المهاجرين ويستفاد ذلك من الرسالة التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وآله الى ملك الحبشة وفيها: قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأمرهم... (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٣: ص٨٣ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٨: ص٤١٨ وإعلام الورى للطبرسي: ص٤٦ وغيرهم).

وبعد أن وجدت قريش استقرار المسلمين في الحبشة حاولت استردادهم بطرق دبلوماسية وقرّرت إرسال رجلين عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد الى ملك الحبشة. ولمّا دخلا عليه قالا له: قد بعث إليكم غلمان سفهاء من قريش فارقوا

←

➔
دينهم ولم يدخلوا في دينك وجائوا بدين ابتدعوها لا نعرف نحن ولا أنت له أصل، وقد بعثنا اليك من أشراف قريش بالهدايا لنرجعهم ونردّهم إلى بلادنا.
ولكن رفض الملك تسليمهم فألحّوا عليه حتّى قرر أن يسألهم عن صحّة ما جاء به عمرو وعمارة، فجاء المسلمون في المجلس والرجلان كانا حاضرين فسألهم الملك عن عقيدتهم؟
فقال جعفر بن ابي طالب عليه السلام: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأحارم ونُسيء الجوار ويأكل منّا القويّ الضعيف، فكنّا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحّده، ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.
ثمّ قرأ عليه جعفر بعض آيات سورة الكهف فبكى النجاشي حتّى اخضلت لحيته، وكذلك أساقفته، ثمّ قال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلّمهم إليكما ولا يكادون ...(انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٣: ص٧٤ وحلية الأولياء لأبي نعيم ج١: ص١١٤ والسيرة الحلبية ج١: ص٣٤٠ والسيرة لابن هشام ج١: ص٣٦٠ وغيرها).
ومن هنا علمت قريش أنّ رسالة الإسلام عالميّة لأنّ دعوتها إنسانية وخطيرة فتكون عالمية لا سيّما بعد ما هاجر المسلمون إلى الحبشة فقامت بالمواجهات الرهيبة ضدّ النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وآله الى يثرب والمدينة المنورة.
وخلاصة الكلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان له القدرة على مقابلة كفّار قريش ولكن لم يقابلهم بل اختار الهجرة إلى الحبشة و المدينة من مكّة، فلاحظ.

شرّهم مختفياً في الليل وهو نبيّ السيف، ولم يحارب في غالب زمن البعثة لعدم وجود المصلحة في المحاربة ووجودها في تحمّل عقوبات المرَدة، فصبر هو وصحبه عليها[١].

---

(١) لا شكّ أنّ هجرة النبيﷺ من مكّة إلى المدينة كانت هجرةً منسجمةً مع مقتضيات العقل السليم، لأنّ الظروف والأحداث قد بيّنت الحقيقة بصورة واضحة حيث إنّ أرض مكّة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة، إذ خرجت جماعات من المسلمين ولم يبق فيها إلّا من كان يحامي النبي الأكرمﷺ وبني هاشم وكانوا مهدّدين بالقتل والتعذيب لدخولهم في الإسلام وحمايتهم للنبي الاكرمﷺ.

ولمّا علم كفار قريش أنّ رسول اللهﷺ صارت له شيعة وأنصار ولم يمنعهم أيّ عمل إرهابيّ من الدخول في الإسلام والثبات عليه اجتمع رؤساؤهم وكبارهم في دار الندوة وهي دار بناها قصيّ بن كلاب، وكانوا يجتمعون فيها عند ما ينزل بهم حادث مهمّ، فاجتمعوا فيها ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبي الأكرمﷺ فقال قائل منهم: نحبسه مكبّلاً بالحديد حتّى يموت، وقال آخر: نخرجه وننفيه من بلادنا.

قال أبو جهل لا هذا ولا ذاكن لأنّه لو حبس ظهر خبره فيأتي أصحابه وينتزعونه من بين أيديكم وإن نفي لم تأمنوا أن يتغلّب على من يحلّ بحيّهم من العرب بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يتّبعوه فيسير بهم إليكم، ثم قال أبو جهل: الرأي أن نختار من كلّ قبيلة فتى جلداً ثمّ يضربه أولئك الفتيان ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه في القبائل جميعاً فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل. فأعجبهم هذا الرأي واتفقوا جميعاً وعيّنوا الفتيان والليلة التي أرادوا فيها تنفيذ هذا الأمر سحرها.

فأعلم الله رسولهﷺ بما أجمع أعداؤه على سوء قصدهم لنبي الاكرمﷺ فأمره بالهجرة الى المدينة وقد نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

←

➔

(سورة الانفال: الاية ٣٠).

والمكر الإلهي هنا هو التدبير السرّي لإفشاء عمل القوم. فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وأخبره بما نزل به جبرئيل وقال له: أمرني الله أن آمرك بالمبيت في فراشي لكي تخفي بمبيتك عليهم أثري فما أنت صانع؟

فأهوى الإمام عليه السلام الى الأرض ساجداً معلنا رضاه وقال: فدتك نفسي يا رسول الله ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّـهِ وَاللّـهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ (سورة البقرةك الاية ٢٠٧).

وقد خرج رسول الله ﷺ في أوّل الليل والرصد من قريش قد أحاطوا بداره ينتظرون انتصاف الليل ونوم الأعين، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾(سورة يس: الآية ٩).

فأخذا النبي ﷺ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم فما شعر منهم أحد خروجه حتّى تجاوزهم، وفي طريقه الى غار ثور وفي الطريق واجه أبا بكر فأخذه النبي ﷺ معه لئلا يخبر الأعداء ولا تتسرّب من خلاله معلومات حول طريق الهجرة.

ولمّا دخلوا في نصف الليل بيت رسول الله ﷺ وجدو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نائماً مكان رسول الله ﷺ فجعلوا يرمونه بالحجارة ولفّ الامام رأسه صوناً من إصابة حجر ودفع عن نفسه، حتى خرجوا وأخبروا قومهم وركبوا في طلب النبي ﷺ الصعب والذلول واقتفوا أثره حتّى وصلوا إلى غار ثور وقد بعث الله العنكبوت فنسجت في وجه الغار فسترته وبعث الله حمامتين بفم الغار فآيسهم ذلك من الطلب، وقال بعضهم إنّ عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمّد، فأقام النبي ﷺ في الغار ثلاثة أيّام، وبعد ذلك توجه الى المدينة.

ثمّ إنّ النبي الأكرم ﷺ عندما هاجر من مكة ترك ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام عند فاطمة

🡐

بـل الناقـد المنـصف بعـد نظـره إلـى الـسنن التـي دلّـت علـى إمامـة عليّ عليه السلام[1] والتي دلّت على عدم لياقة أبي بكر لها[1]، وإلى النقول التي

➔

بنت أسد، لم يدخل المدينة حتى التحق به الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام مع الفواطم فإنه صلى الله عليه وآله كان يخشى أن يستخدم المشركون حجز ابنته ورقة ضغط عليه، فأودعها عند عائلة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وبعد مدّة جمع الإمام عليه السلام العائلة وهنّ الفواطم؛ فاطمة بنت رسول الله عليه السلام وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير، وبعض الضعفاء من المسلمين، يريدون المدينة، وعندما ابتعدوا عن مكّة أميالاً علم أهل مكّة بالأمر فجهّزوا سريّة سريعة إلى الركب لإعادته قسراً وكانت السرية بقيادة جناح مولى حارث بن أمية.

فجاءت السريّة حتّى بلغت الركب لتفت إليهم أمير المؤمنين عليه السلام، فحمل عليه جناح بسيفه فأسرع الإمام عليه السلام وأخذ السيف من يده وضربه ضربة فأرداه قتيلا، واستسلم سائر الأفراد لما رأوا من شجاعة الإمام عليه السلام وقوّة بأسه، فتركوا الإمام عليه السلام فسار وحثّ راحلته إلى المدينة.

(١) لا يخفى على الباحث الخبير أنّ الأدلّة الدالّة على إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الأدلّة الواضحة في الإسلام؛ لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد صرّح بإمامته في أحاديث وروايات كثيرة من بداية الدعوة الإسلامية إلى آخر لحظة حياته الشريفة. ومن أهمّ وأشهر تلك الروايات رواية الغدير الذي نزل في شأنه آيات عديدة من القرآن الكريم فنزل قبل واقعة الغدير:

آية البلاغ: وهي الآية التي نزلت بعد أن أدّى الرسول صلى الله عليه وآله حجه الأخير في السنة الحادية عشرة للهجرة والتي عرفت بـ«حجّة الوداع» وحضرها معه ما لا يقل عن تسعين ألفاً حسب أقلّ ما روي في ذلك، وقبل أن تتفرّق هذه الجموع الغفيرة نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله عند مكان خارج مكّة يدعى غديرخمّ ـ وهو المكان الذي

➔

➔

تتفرّق منه الطرق إلى المدينة، والشام، والعراق، ومصر ـ قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ (المائدة: ٦٧) وكانت نزول هذه الآية الكريمة في الثامن عشر من ذي الحجة. والتي يظهر منها أنّه سبحانه وتعالى يأمر نبيّه بإعلان بلاغ على أثر ذلك بالتوقّف، وخطب فيهم: «يا أيّها الناس إنّي أوشك أن أدعى فأُجيب وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنّ جنته حق وناره حق، وأنّ الموت حق وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد أيّها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: إنّي فرط على الحوض فانظروني في الثقلين، فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله، والأصغر عترتي، وأنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها، وعرفه القوم أجمعون فقال: أيّها الناس، من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ـ قالها ثلاث مرات ـ اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب. وإلى اخر الرواية وما نزل في شأنها من الآيات...

وقد أخرج الرواية العشرات من رجال الحديث بألفاظ متعددة فراجع سنن الترمذي ج٦: ص ٢٩٨ وسنن ابن ماجة ج١: ص ٤٢ ومسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٢٨١ والصواعق المحرقة لابن حجر: ص ٢٥ وخصائص أميرالمؤمنين للنسائي: ص ٩٣ وغيرهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين وهناك نصوص كثيرة كحديث

➔

➔

الثقلين وحديث المنزلة وحديث الطائر وحديث يوم الدار وحديث الراية وحديث المؤاخاة وحديث خاصف النعل وحديث أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها وحديث المباهلة وحديث الكساء وعليٌّ مع الحق وغيرها من الأحاديث.

(١) فإنّ الأدلّة الدالّة على عدم صلاحية أبي بكر للخلافة كثيرة جداً، منها: ما ورد في النصوص المجمع عليها بين المسلمين من أنّ أبابكر تخلّف عن جيش أسامة وشموله للعن والغضب من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ورد في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنفذوا جيش اسامة لعن الله من تخلّف عن جيش اسامة (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ١٤).

ولا شكّ و لاريب أنّ المتخلّف عن جيش اسامة متخلّف عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله والمتخلف عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله مشمول لقوله صلى الله عليه وآله: لعن الله من تخلف عن جيش اسامة.

كما لا شك ولا شبهة في أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لم تكلّم أبابكر حتى توفّيت غاضبة عليه وقد روى ذلك البخاري في صحيحه (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ٨٢ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر).

وروى البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ٢١٠ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك (مجمع الزوائد ج٩: ص ٢٠٣) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج١: ص ١٠٨ وغيره.

فغضب فاطمة غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وايذاء فاطمة إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله كما أنّ غضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضب رب العالمين وايذائه ايذاء رب العالمين وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (الأحزاب: ٥٧).

🡐

وردت من قول أبي بكر وقول عمر وغيرهما التي دلّت على عدم إمامة أبي بكر حتّى بتصديق منه[١]، يعلم علماً يقيناً بأنّ عدم محاربة عليّ عليه السلام له

➜

والآية فيها جهتان للعذاب والخلود في جهنّم، الجهة الأولى: ايذاء النبي صلى الله عليه وآله: كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).

الجهة الثانية: مضافاً إلى الخلود في جهنم والعذاب الأليم قد لعنهم الله ورسوله في الدنيا والآخرة، ولا شكّ أنّ المراد من أذى الله سبحانه هو الكفر والإلحاد الذي يكون موجباً لغضب ربّ العالمين لأنّ الأذى لا يعني في شأن الله تعالى إلّا اغضابه ولذلك قال تعالى في شأن الكفار: ﴿... بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ ...﴾(البقرة: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٢).

فالآية تشير إلى من وقف بوجه الرسالة يشمله اللعن والعذاب الأليم وذلك لأنّه موجب لغضب الله عزوجل وغضب الرسول صلى الله عليه وآله

وفي النتيجة إنّ الملحدين والكفّار الخالدون في العذاب هم الذين غضب الله عليهم ورسوله.

وبعد وضوح هذه الآيات يتّضح أنّ من شمله اللعن من الله ورسوله لا يليق بمقام الخلافة، لأنّه في زمرة أهل جهنم ومن الخالدين فيها، بل بتصريح القرآن إنّه من الكفّار الملحدين. إذن من تخلّف عن جيش اسامة أو من أغضب فاطمة الزهراء عليها السلام مشمول لهذا الحكم القرآني والسنة القطعية الثابت عند جميع المسلمين قاطبة، فلاحظ.

(١) لقد روى مشاهير علماء أهل السنة والجماعة بأسناد صحيحة عن أبي بكر وعمر

➜

➔

اعترافهما بعدم صلاحية أبي بكر للخلافة والامامة ومنها: ما رواه ابن سعد بسنده عن هاشم بن عروة عن أبيه، قال: لمّا ولي أبو بكر خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، أيّها الناس، قد وليت أمركم ولست بخيركم، أيّها الناس، إنّما أنا متّبِع ولست بمبتَدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني... (الطبقات لابن سعد ج١: ص١٨٢ـ ١٨٣).

ومنها: ما رواه الطبراني بسنده عن زيد بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويع الناس فخطب الناس فقال: يا أيّها الناس إنّي قد أقلتكم رأيكم، إنّي لست بخيركم، فبايعوا خيركم... (ثمّ قال): أيّها الناس إنّ الناس دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، فهم عوّاد الله وجيران الله، فان استطعتم أن لا يطلبنّكم الله بشيء من ذمّته فافعلوا. وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني ... ألا وراعوني بأبصاركم فإن استقمت فاتّبعوني وإن زغت فقوّموني، وإن أطعت الله فأطيعوني وإن عصيت الله فاعصوني (المعجم الأوسط ج٨: ص٢٦٧).

ومنها: ما رواه محب الدين الطبري بسنده عن عروة قال: خطب أبو بكر فحمد الله وأثني عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّي وَليت أمركم ولست بخيركم (الرياض الثغرة ج١: ص٢٥٤).

وروى أيضا بسنده عن سويد بن غفلة قال: لما بايع الناس أبا بكر قال خطيباً: أيّها الناس أذكّركم بالله أيّما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه ... (الرياض النضرة ج١: ص٢٥٢).

وروى أيضاً بسنده عن الحسن البصري أنّه قال: لما بويع أبوبكر قام دون مقام رسول الله ﷺ قال: أيّها الناس إنّي شيخ كبير فاستعملوا عليكم من هو أقوى منّي على هذا الأمر وأضبط له فضحكوا ... (الرياض النضرة ج١: ص٢٥٢) الى غير ذلك من اعترافات أبي بكر وأمّا الموارد التي اعترف فيها عمر بن الخطاب بعدم صلاحية أبي بكر للخلافة فمنها: ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس قال في خطبة طويلة:

➔

مصالحها العظيمة وبالمحاربة تفوت[1].

➔

... إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت ولكن الله وقى شرّها... (صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى إذا أحصنت).

ومنها: ما رواه الطبري بسنده عن الضحاك بن خليفة قال: لمّا قام الحباب بن منذر الحكيم: انتضى سيفه وقال: أنا جذيلها المحلّ وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عرينه الأسد يعزي الأسد، فحامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه ثمّ وثب على وسعد وثبوا على سعد وتتابع القوم البيعة وتابع سعد وكانت فلتة كفلتات الجاهلية (انظر تاريخ الطبري ج٣: ص٤٥٩) والى غير ذلك من الروايات الكثيرة الواردة في المقام وهي صريحة في اعتراف أبي بكر وعمر بعدم صلاحيّة أبي بكر للخلافة، وسنذكر جميع الوجوه في المقام إن شاء الله في محلّه، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّه لمّا لم يجد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ناصراً لأخذ حقّه غير أهل بيته وعدة معدودة من الصحابة لاذ بالصبر حفظاً للإسلام من الفتنة كما قال في خطبته المعروفة: أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، ووطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جزاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً... (نهج البلاغة الخطبة: رقم ٣ وهي الخطبة المعروفة بالشقشقية).

فاختار الإمام عليه السلام الصبر وكان هذا الاختيار من الامام عليه السلام منطقاً عالياً مشرّفاً وهو تفضيل بقاء أصل الإسلام على إقامة القسط والعدل.

ولقد كان هذا الاختيار إستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وآله الذي أمره بالقيام إذا اجتمع الناس لنصرته وبالقعود إذا تفرّقوا عنه ولم ينصره أحد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فامتثل

➔

منها: تولّد الشيعة من مبايعي أبي بكر[1]؛ ولذلك قال الذهبي في

→

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وصبر حفظاً لبيضة الإسلام وصيانةً لكيان المسلمين، لا سيّما أنّ الإسلام كان غضّاً في أوّل عهده.

وكثير ما كان عليه السلام يقول: إذا كانت التضحية منحصرة في فقده لحقّه، فهو أوّل المضحّين بحقّهم فداءً للإسلام والمصالح العظمى التي تستدعي ترجيحها والصبر على المصائب التي يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير.

وفي كلام آخر عليه السلام قال: فنظرت في أمري فإذا طاعتي (لرسول الله صلى الله عليه وآله) قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق لغيري (الخطبة: رقم ٣٧).

يصف الإمام عليه السلام حال نفسه في هذه العبارات فيقول: فنظرت في أمري بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي وليس أمامي سوى الوفاء بهذا العهد. وقد عهد له النبي صلى الله عليه وآله بالسكوت والصبر على ذلك، والعهد الذي كان معهوداً إليه هو ألاّ ينازع في الأمر ولا يثير الفتنة بين المسلمين بل يطلبه بالرفق فإن حصل له فهو وإلّا أمسك. فالمراد بقوله: فنظرت فإذا طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله، أي وجوب طاعتي له، وقد سبقت بيعتي، أي وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وامتثال أمره سابق على كلّ شيء وإذا الميثاق في عنقي لغيري أي رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ عليّ الميثاق بترك الشقاق والمنازعة، فلم يحلّ لي أن أتعدّى أمره أو أُخالف نهيه. فأشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة الى العهد الذي عهده اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو السكوت وعدم المحاربة والنزاع مادام لم يكن له ناصر ومعين فهذه المصلحة العظيمة اقتضت عدم محاربة الامام الخلفاء الغاصبين، فلاحظ.

(١) لا شك أنّ شيعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كانوا من عهد النبي صلى الله عليه وآله فكان جماعة من الصحابة معروفون في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. قال أبو حاتم الرازي في كتابه الزينة: وكان لقب أربعة من الصحابة، أبوذر وعمار ومقداد وسلمان الفارسي (كتاب الزينة لأبي حاتم السجستاني ج٢: ص٨٣ـ ٨٣).

←

➔

وقال السيد علي خان المدني في كتابه الدرجات الرفيعة: اعلم أنّ كثيراً من الصحابة رجع الى أمير المؤمنين عليه السلام وظهر له الحقّ بعد أن عانده وتزلزل بعضهم في خلافة أبي بكر وبعضهم في خلافته عليه السلام وليس الى إستقصائهم جميعاً سبيل وقد اتفقت نقلة الأخبار على أنّ أكثر الصحابة كانوا معه في حروبه.

وقال المسعودي في مروج الذهب: كان ممّن شهد صفّين مع علي عليه السلام أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار وشهد ممّن بايعه تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار ومن الصحابة تسعمائة وكان جميع من شهد من الصحابة ألفين وثمانمائة... (انظر الدرجات الرفيعة: ص٣٩ ومروج الذهب ج٢: ص٣٥٢).

وحكى المسعودي أيضاً عن المنذر بن الجارود قال: لمّا قدم علي رضي الله عنه البصرة دخل ممّا يلي الطفّ، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه فورد موكب في خوالف فارس يتقدّمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلّد سيفاً معه راية، واذ تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح، فقلت من هذا؟ فقيل: هذا أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهؤلاء الأنصار وغيرهم، ثمّ تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلّد سيفاً متنكّب قوساً ومعه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس كُمَيت معتمّ بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلّد سيفاً متنكّب قوساً في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية، فقلت من هذا؟ فقيل لي: أبو قتادة بن ربعي، ... ثمّ مر بنا فارس آخر... في ألف من الناس... فقلت: من هذا؟ فقيل: عمّار بن ياسر في عدّة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثمّ مرّ بنا فارس... تخطّ رجلاه في الأرض في ألف من الناس..، فقلت: من هذا؟ فقيل

➔

ترجمة أبان بن تغلب: ولقد كثر التشيّع في التابعين، فلو لم نقبل نقلهم لذهبت آثار النبوّة[1]،

➔ قيس بن سعد بن عبادة في عدّة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان. ثمّ مرّ بنا فارس... قلت: من هذا؟ قيل: هو عبد الله بن العباس ثمّ أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً... (انظر مروج الذهب للمسعودي ج٢: ص ٣٦٠).

والباحث لو تأمّل في هذه الرواية وأمثالها يعرف أنّ كثيراً من الصحابة والتابعين وإن كانوا يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غديرخم للامامة والخلافة من بعده وقد نكثوا بيعتهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنّهم بعد ما شاهدوا الظلم والجور والمخالفة للاسلام من الخلفاء الثلاثة رجعوا الى مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فما ذكره الذهبي من أنّ تولّد الشيعة كان من مبايعي أبي بكر بهذا المعنى صحيح عند أهل السنة والجماعة إذ أنّ الناس عرفوا مقام أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما شاهدوه من الخلفاء، فلاحظ.

(١) قال الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب: أبان بن تغلب الكوفي شيعيّ جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته، وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين... فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والاتقان؟

وجوابه أنّ البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلوّ التشيّع، أو كالتشيّع بلا غلو ولا تحرّف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية ... (ميزان الاعتدال ج١: ص ٥)

أقول: ما ذكره الذهبي من أنّ كثيراً من رواة التابعين وتابعيهم هم نقلوا عمّن تشيّع، وعمّن كانوا يعتمدون على قول الشيعة في الحديث والعلوم الدينية فإنّه مطابق للأصل المعتمد عندهم وهو إصالة العدالة في الصحابة، فإنّ تعديلهم للصحابة ←

➔

والرواة وحجيّة أقوالهم إنّما يكون مبنياً على اصالة العدالة فبمقتضى القاعدة والأصل لابد أن يكونوا عدولاً.

وحيث إنّهم واجهوا الاشكال في مورد أبان وأمثاله التجأ الذهبي إلى توجيه سخيف في تقسيم البدعة على ضربين، ولكن لا يخفى على الخبير أنّ البدعة صغيرها وكبيرها خارجة عن الدين. والظاهر أنّ الذهبي نسي القسم الثالث من البدعة وهي التي سمّاها عمر بن الخطاب بالبدعة الحسنة، وهي ما قاله في صلاة التراويح: بأنّها بدعة حسنة.

ولا يخفى على الخبير أنّ البدعة في الدين معناه إدخال ماليس في الدين في الدين فإنّها بجميع أقسامها ضلالة حيث جاء في الحديث المروي عن النبي الأكرم ﷺ: كلّ بدعة ضلالة لاحظ مسند أحمد بن حنبل ج٤: ١٢٦ وسنن ابن ماجة ج١: ص١٦). فإنّ مقتضى إطلاق الحديث ضلالة جميع أنواع البدعة.

وكيف كان فإنّ الذهبي وأمثاله من أهل السنّة والجماعة لا يمكنهم القدح في وثاقة المحدّثين الشيعة وكبار الإمامية.

ومن ناحية أُخرى لو التزموا بصحّة قاعدة عدول الصحابة والتابعين فلا يمكنهم رفع اليد عنها إذ أنّ القاعدة الكلّية جارية ولامانع من ذلك عند العقلاء في سيرتهم الممضاة من قبل الشرع عندهم.

ثمّ إنّ العدالة تكفي في الاعتماد عليهم لوثاقة الراوي وحصول الاطمئنان من أقوال الصحابة والتابعين بالقاعدة المذكورة، وبعد ثبوت الوثاقة والعدالة لا أثر لما يعتقدون به في بعض الأشخاص، إذ الوثاقة موجودة بالقاعدة المسلّمة عندهم، والقاعدة جارية بجريان السيرة العقلائية فلامحيص من جريانها في جميع الموارد لأنّ القاعدة عندهم عدالة جميع الصحابة والتابعين ومعنى ذلك كونهم ضابطين في القول ولايخونون في الإمامة، وعليه فتجري السيرة العقلائية على صحّة أقوالهم، والسيرة الممضاة من قبل الشرع عندهم قائمة على لزوم الاعتماد بهم والأخذ

🡐

والمحاربة سبب لقتل آبائهم قبل تولدهم[(١)].

ومنها: عود الكثير من الصحابة إلى الحقّ بعد حين، ويدلّ على ذلك إظهارهم للسنن التي دلَّت على إمامة عليّ عليه السلام والسنن التي دلّت على عدم

➔

بكلامهم.

ولكن الذهبي حيث يعلم أنّه لو اتّخذ هذا المبنى كقاعدة كليّة وأصلا في قبول الحديث يلزم عليه توثيق أكثر المحدّثين من الشيعة الإمامية، وقبول هذا الأمر موجب لانتشار التشيّع عند العلماء وأهل العلم ممّن يراجع الأحاديث المرويّة عن الشيعة، فمن أجل ذلك قام تأويل باردّ وتقسيم البدعة إلى ما لا يقبله العاقل.

والمهم في المقام قول المصنف رحمه الله حيث استدلّ بقول الذهبي في ترجمة أبان من أنّ التشيع كثر في التابعين ولذلك حارب أميرالمؤمنين عليه السلام الناكثين والقاسطين والمارقين ولم يحارب الخلفاء الثلاثة لأنّه بناءً على ما ذهب إليه الذهبي لم يوجد شيعيّ في عصر خلافة أبي بكر وإنّما تولّد التشيّع بعد خلافة أبي بكر، هذا بناءً على زعم الذهبي.

وإذا كان هذا الأمر صحيحاً عند أهل السنة فالجواب عن الشبهة يكون واضحاً، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح: أنّه لو حارب مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام الصحابة الذين بايعوا أبابكر لكان حربه سبباً لقتل آباء الذين تولد منهم الشيعة؛ حيث إنّ الشيعة على حدّ قول الذهبي قد تولّدوا من مبايعي أبي بكر؛ فإذا كان أميرالمؤمنين عليه السلام لم يصبر على جور الظالمين قد لا يتولّد الشيعة أصلاً.

أقول: هذا أحد الأسباب التي لم يقاتل الامام أميرالمؤمنين عليه السلام الخلفاء الثلاثة وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وهناك أسباب عديدة أخرى سنذكرها إن شاء الله في محلّه.

لياقة من تقدّم عليه[١].

---

(١) وتوضيح المقام أنّ عنوان التشيّع ظهر من بداية ظهور الإسلام، لأنّ التشيع عبارة عن الإيمان بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي عليه السلام وهو عنوان أطلق على الذين عرفوا تاريخياً بـ«شيعة علي» أو «أتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأحد عشر إماماً من ولده عليهم السلام» وهؤلاء الشيعة كانوا موجودين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم بقوله: يا علي أنت وشيعتك في الجنّة (تاريخ دمشق ج٤٢: ص ٣٣٤).

وبقوله صلى الله عليه وآله: أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواة مرويّين بيضة وجوهكم، وإنّ عدوّك على الحوض ظمأ مقمحين (مجمع الزوائد ج٩: ص ١٣١) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج١: ص ٣١٩ وغيره.

وبقوله صلى الله عليه وآله: قد أتاكم أخي ثمّ التفت إلى الكعبة فصبرها بيده ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ثم قال: إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمرالله وأعدلكم في الرعيّة، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مرتبة... (تاريخ دمشق ج٤٢: ص ٦٧٢).

وبقوله: يا عليّ إنّ الله غفر لك ولذريّتك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، فأبشر أنت فإنّك الأنزع البطين (الصواعق المحرقة ج٢: ص ٦٧٢).

وبقوله عند ما شكى الامام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس فقال له صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريّتنا خلف أزواجنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا (تخريج الأحاديث للزبعلي ج٣: ص ٣٣٦) وإلى غير ذلك من الروايات والنصوص الواردة عنه صلى الله عليه وآله بهذا المضمون ولكن حيث إنّ هذه الروايات المتواترة كانت مخالفة مع سياسية الحكومة والخلافة الغاصبة فلم ترو الناس هذه الروايات خوفاً من الحكومة الخلفاء الغاصبين. وهذه القضية واضحة لمن له أدنى تدبّر في منع أحاديث النبيّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

←

ومنها: وصول هذه السنن منهم إلى التابعين ومنهم إلى تابعي التابعين ومنهم إلى من أتى بعدهم طبقة بعد طبقة حتّى وصلت إلينا فعرفنا الحقّ منها[(١)]، فلو فرض محاربة عليّ عليه السلام لهم وقتلهم لذهبت هذه السنن قبل تولّد

←

ثمّ إنّ النصوص القرآنية والروائية الدالة على امامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام تؤكد هذا المعنى.

وبعبارة أوضح إنّ النصوص والروايات صريحة في إمامة مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بلا فصل وإنّ من اعتقد بذلك فهو من الشيعة الامامية بنصّ الروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فلاحظ.

(١) لا يخفى على الخبير الروايات والأخبار الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في إمامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام من العترة الطاهرة، بل لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها لكثرتها وتواترها وهي دالّة بالصراحة على إمامتهم ولزوم التمسك بهم وعظمة شأنهم وعلوّ مكانهم، وهي أحاديث كثيرة وردت في المصادر الشيعية والسنية. وفيما يلي نستعرض بعض تلك الأدلّة والأحاديث النبوية من كتب أهل السنة من باب ذكر الشاهد والمثال.

١ـ حديث الثقلين: وله ألفاظ متقاربة، في الصحاح والسنن والمسانيد من كتب أهل السنة والجماعة منها: قول النبي صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس، إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي (انظر سنن الترمذي ج٥: ص ٣٢٧).

ومنها: قول النبي صلى الله عليه وآله: قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله سببه بيده، وسببه بأيديكم وأهل بيتي (انظر المطالب العالية لابن حجر العسقلاني ج٤: ص٢٥٢).

ومنها: قول النبي صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله عزوجل، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يتفرّقا

←

➔
حتّى يردا عليّ الحوض (انظر مسند أحمد بن حنبل ج٥: ص ١٨١) وإلى غير ذلك من الألفاظ، وقد جمعها العلامة مير حامد حسين الهندي في كتابه العبقات في مجلّدين ضخمين، وفيه البحث الواسع حول دلالة الحديث وصحّة إسناده.

٢ـ حديث السفينة: وهو قول النبيﷺ انّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له (انظر المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣: ص ١٥٠) ورواه الطبراني في معجمه الكبير ج٣: ص ٤٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص ١٦٨والمحب الطبري في ذخائر العقبي: ص ٢٠ وغيرهم.

٣ـ حديث الأمان: وهو قول النبيﷺ: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمّتي (انظر الجامع الصغير للسيوطي ج٢: ص ٦٨٠).

٤ـ حديث الغدير وهو أكثر الروايات تواتراً، وقد اعترف بتواتره عدد كبير من علماء السنة، وهو من أوضح الدلائل على أنّ رسول اللهﷺ نصب الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام للامامة والخلافة في يوم غديرخم عند رجوعه من حجة الوداع. ولا بأس بنقل كلمات بعض كبار الحفاظ والمحدثين من علماء السنة بشأن الحديث: يقول الذهبي: صدر الحديث متواتراً تيقن أنّ رسول اللهﷺ قاله، وأمّا (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فزيادة قوية الإسناد (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٥: ص ٢٣٣ نقلاً عن الذهبي) وقال أيضاً في ترجمة محمد بن جرير الطبري: ولمّا بلغه أنّ أبابكر بن أبي داود تكلّم في حديث غديرخم عمل كتاب الفضائل، فبدأ بفضل الخلفاء الراشدين، وتكلّم على تصحيح غديرخم واحتجّ لتصحيحه (انظر تاريخ الإسلام ج٢٣: ص ٢٨٤ رقم الترجمة ٨٤٦ وفيات عام ٣١٠هـ)

وقال أيضاً في تذكرة الحفاظ: ولمّا بلغه أنّ ابن أبي داود تكلم في حديث غدير خم عمل كتاب الفضائل وتكلم على تصحيح الحديث، قال الذهبي: قلت: رأيت مجلداً
➔

➔
من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة طرقه (تذكرة الحفاظ ج٣: ص ١٠٤٣ رقم ٩٦٢).

وقال ابن كثير أثناء كلامه عن الطبري: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غديرخم في مجلّدين ضخمين (انظر البداية والنهاية ج١١: ص ١٥٧)

وقد صنّف الذهبي أيضاً كتاباً مستقلاً في طرق حديث الغدير (انظر تذكرة الحفاظ ج٣: ص ١٠٤٣) وقال ابن حجر العسقلاني: وأمّا حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدّاً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان (انظر فتح الباري ج٧: ص٩٣).

فالكلمات بهذا الشأن كثيرة جداً وقد ذكرها العلامة الاميني قدس سره في كتاب الغدير وتتبّع في طرقه عن مائة وعشرة من الصحابة. فللمتتبع أن يراجع المجلد الأوّل من كتاب الغدير. ثمّ إنّ حديث الغدير فيه جهات عديدة، الجهة الأولى نزول الآية من القرآن الكريم قبل خطبة الغدير وهو قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ (المائدة: ٦٧).

وبعد الخطبة نزل قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا** ﴾ (المائدة: ٣).

فهذه الآيات متعلقة بقضية الغدير، ولكلّ آية مبحث مستقل، ولو أردنا أن نذكر الروايات الواردة في شأن نزولها لطال بنا المقام، فعلى الباحث الرجوع إلى التفاسير والتحقيق حول الروايات الواردة فيها.

النقطة الثانية: الأسانيد التي يروى بها حديث الغدير فإنّها لا تحصى ولا تعد من كثرتها، وهي فوق حدّ التواتر بكثير وللباحث أن يراجع كتاب الغدير للعلامة الاميني في هذا المجال.

النقطة الثالثة: متن حديث الغدير فقد أخرج النسائي بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن
➔

التابعين[١].

➔

الأرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله عن حجة الوداع ونزل غديرخم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأنّي قد دعيت فأجبت، وإنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الأخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرَقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إن الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقلت لزيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا رأه بعينيه وسمعه بأذنيه (انظر الخصائص للنسائي: ص ٩٣) ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٠٩ و الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩: ص١٦٤ وغيرهم. فهذه بعض تلك النصوص الدالة على الامامة.

(١) وبعبارة أوضح أنّه بناءً على مسلك أهل السنة والجماعة يلزم عليهم كما يلزم على الذهبي الذي قال: إنّ التشيع كثر في عهد التابعين التزام بما أقرّوا في الإقرار بوصول النصوص والسنن النبوية في الخلافة والامامة من الصحابة إليهم، لأنّ التابعين بناءً على مسلك أهل السنة لم يكن لهم طريق إلى النصوص النبوية إلّا عن طريق الصحابة.

فبناءً على قول الذهبي لابدّ من العمل بالروايات الصحيحة المتواترة كحديث الثقلين وحديث السفينة وحديث الغدير وغيرها من الأحاديث الصريحة في إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام. فهم يعلمون أنّ الشيعة الامامية تعتقد بأنّ الخلافة والامامة لا تكون إلّا بالنص، وهذه المسألة من الواضحات الأوّلية، لأنّ الشيعة من أوّل يومها كانت تتركّز على هذه العقيدة في قضية الإمامة أي: على النصّ. فتثبيت الخلافة والامامة للتابعين من طريق النص وهذا كان سبباً لتشيّعهم.

ومن الواضح أنّ أهل السنة يعتقدون بأنّ السنن النبوية إنّما يكون طريق وصولها إليهم

➔

ومنها: تبيّن عدم إمامة الثلاثة بنفس ما صدر منهم من المبتدَعات المخالفات لنصوص الفرقان العظيم وسنن خير البريّات صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ من يوم السقيفة إلى حين محاصرة عثمان[1]، فانّ صدور المبتدعات من الثلاثة دليل

➔

عن الصحابة، باعتبار أنّهم أخذوا من النبي الاكرم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ثمّ نقلوا إلى التابعين فأخذ التابعون من الصحابة وتشيّعوا بسبب هذه النصوص المنقولة عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ الامام أميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ لو كان يحارب الصحابة لم يبق أحد منهم لينقل السنن والروايات إلى التابعين، فإنّ الامام لم يحارب خلفاء الجور الذين غصبوا الخلافة منه كي لا تقع الحرب بين الصحابة لأنّهم سمعوا روايات النبي الأكرم ووعوها فتركهم المولى باعتبار أنّهم شهود عيان على ما ذكره رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في امامة أميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ والمنصف منهم قد يروي بعض الأحاديث التي سمعها من النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في إمامة مولانا أميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ.

ولذلك فقد ناشد مولانا أميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ بعض الصحابة في جمع التابعين بحديث الغدير أكثر من مرّة وفي كلّ مرّة قام إليه عدّة من الصحابة واعترفوا بأنّهم سمعوا من رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ حديث الغدير. وقد روى العلامة الاميني هذه الروايات في باب وسمّاه (باب مناشدة أميرالمؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ) (انظر كتاب الغدير ج١: ص ١٩٥ ـ ٢١٢) فإنّه قد ذكر في الباب الروايات بأسنادها عن طرق أهل السنة والجماعة.

ومن الواضح أنّ هذه الروايات إنّما وصلت من الصحابة الذين اعترفوا عند التابعين ثمّ التابعين إلى الطبقة الأخرى وهكذا وصلت إلى المحدثين والمفسرين والمؤرخين من أهل السنة والجماعة.

فلو حارب الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ لم تصل هذه النصوص من الصحابة إلى علماء أهل السنة والجماعة.

(١) لا يخفى على الباحث في الكتب الاسلامية مخالفات الخلفاء الثلاثة للقرآن والسنة

➔

➔

النبوية، فقد روى علماء الإسلام بعض هذه المخالفات في كتبهم، واختصّ بعضهم بالتأليف في ذلك من طرق أهل السنة والجماعة.

ومن تلك الموارد منع الخلفاء الثلاثة لتدوين السنّة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع والمعارف الاسلامية بعد القرآن الكريم.

وقد التجأ بعض علماء أهل السنة والجماعة بالتأويلات والتوجيهات الباردة لفعل الخلفاء من منع تدوين الحديث، بل وحتّى بالنسبة إلى إحراقها، والخبير يعلم أنّ إحراق تلك الأحاديث إنّما كانت من أجل عدم انتشار الأحاديث والأدّلة الواردة في إمامة المعصومين من أهل البيتعليهم السلام عند الصحابة وهذه الروايات والحقائق كانت ثابتة في باب الخلافة والإمامة، وهي صريحة فيها.

وقد منع الخلفاء الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سواء كانت من باب السنن أو من الأحاديث المفسّرة للقرآن الكريم وذلك لئلا تنكشف الحقائق في باب الإمامة والخلافة، بل قد فتحوا باباً وطريقاً لتأويل الآيات القرآنية حسب أهوائهم، كما أنّهم منعوا السنة النبوية لئلا يعرف الناس الامام والخليفة المنصوب من قبل النبي صلى الله عليه وآله وعظمة أهل البيتعليهم السلام.

والشاهد على ذلك إصرار الخليفة الثاني لمنع كتابة حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله عند ما طلب رسول اللهصلى الله عليه وآله منهم الدواة والكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده، فقال عمر بن الخطاب النبي صلى الله عليه وآله ـ العياذ بالله ـ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله (صحيح البخاري ج ٤ : ص ٢١ كتاب الدعاء باب هل يستشفع إلى أهل الذمة.

فكان عمر بن الخطاب يعلم بأنّ كتاب الله يمكن فيه التأويل حسب ما يرتئيه أهوائه ولذلك قال حسبنا كتاب الله، وأمّا نقل الحديث وتدوينه حيث لم يمكن التأويل فيه فقد منع الناس منه، ولذلك ترى في التاريخ منع الناس الحديث من بداية خلافة أبي بكر، فقد روى الذهبي في ترجمة أبي بكر قال: انّ الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيّهم، فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أحاديث تختلفون فيها والناس

➔

→

بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، فمن سألكم؟ فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه (تذكرة الحفاظ ج١: ص ٣).

أقول: أوّلاً مدلول الحديث النهي عن التحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله على نحو العموم، لأنّ كلمة «شيئاً» تدلّ على العموم إذ هي نكرة والنهي قد تعلّق بهذه النكرة فتفيد العموم كما ثبت ذلك في الاصول.

ثانياً: قوله: بيننا وبينكم كتاب الله، هذه الجملة خطيرة للغاية، إذ فيها الدعوة ـ علناً ـ إلى الاكتفاء بكتاب الله في مقابل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والعجيب أنّ هذا مخالف صريح للقرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ (النساء: ٥٩).

فإنّ الآية تدلّ على أنّ الطريق الوحيد لرفع النزاع والخلاف هو القرآن الكريم والسنة النبوية، لا القرآن وحده؛ بل قال تعالى: «فردّوه إلى الله والرسول» ولكن الخليفة قال: بيننا وبينكم كتاب الله فالتزموا به فقط، ولا تحدّثوا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله. ولا يخفى بطلان هذه الدعوة على أحد. ولذلك عقد البيهقي في كتابه دلائل النبوة باباً وسماه: باب ما جاء في أخباره صلى الله عليه وآله بشبعان على أريكته يحتال في سننه، بالحوالة على ما في القرآن من الحلال والحرام دون السنّة فكان كما أخبر به ابتدع من ابتدع وظهر الضرر (دلائل النبوة ج٦: ص ٥٤٩) وفيها روايات تحذير رسول الله صلى الله عليه وآله الأريكة حيث قال: يوشك الرجل متّكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي: بيننا وبينكم كتاب الله ... (انظر سنن ابن ماجة ج١: ص ٦).

ثم إنّه يظهر من الحديث ما حصل للنبي صلى الله عليه وآله من الأذى والحزن على ما قاله القائل من الجسارة إلى ساحته المقدسة بعبارات شتى كقوله صلى الله عليه وآله قوموا عنّي وغيرها من العبارات كما ردّ النبي صلى الله عليه وآله بقوله: ألا ما حرّم رسول الله، كما حرّم الله (انظر سنن ابن ماجة ج١: ص٦).

بل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من رغب عن سنّتي فليس منّي (انظر الفقيه والمتفقّه للخطيب

←

➔

ج١: ص ١١٤)

أمّا عمر بن الخطاب وهو أوّل من منع رواية رسول الله ﷺ كما هو صريح حديث القرطاس فإنّه منع من تدوين الحديث في حضور رسول الله ﷺ وذلك بعد أن أراد رسول الله ﷺ أن يكتب كتاباً من أحاديثه الشريفة، فمنع عمر بن الخطاب من كتابة حديث رسول الله ﷺ

وفي أيام خلافته قد شاور الصحابة في ذلك، وأشار أوّلاً إلى الإذن في التجميع وبعد تجميعها أمر بحرقها ومنع الناس عن كتابتها رسميّاً، وسنذكر جميع هذه الموارد إن شاء الله تعالى في محلّه.

وقد وقف عمر من رواية الحديث ونقله موقفاً شديداً فرويت هناك أخبار كثيرة في منعه، منها أنّه منع وفد الصحابة الذين أرسلهم إلى الكوفة، عن الرواية عن رسول الله ﷺ.

قال قرظة بن كعب: بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وشيّعنا إلى موضع قرب المدينة يقال له: صرار، وقال: أتدرون لِمَ شيّعتكم، أو مشيت معكم؟ قال: قلنا: نعم، لحقّ صحبة رسول الله، أو: نحن أصحاب رسول الله ﷺ ولحقّ الأنصار.

قال عمر: لكنّي مشيت معكم لحديث أردت أن أحدّثكم به، فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم، إنّكم تقدمون على قوم أو تأتون قوماً ـ تهتزّ ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النخل ـ أو للقرآن في صدروهم هزيز كهزيز الرجل أو: أنّهم دوي بالقرآن كدويّ النحل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم، وقالوا: أصحاب محمد ﷺ ـ أو : فيأتونكم، فليسألونكم عن الحديث ... فأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم أو فلا تصدّوهم بالحديث عن رسول الله ﷺ (انظر الطبقات لابن سعد ج٦: ص ٧ وسنن الدارمي ج١: ص ٧٢ وسنن ابن ماجة ج١: ص ١٢) وإلى غير ذلك من الروايات التي هي صريحة في أنّ الخليفة عمر بن الخطاب منع من نقل وتدوين حديث رسول الله ﷺ وسنذكرها إن شاء الله في محلّه.

➔

➔
والسؤال الذي يتوجّه هنا للمدافعين عن الخليفة هل الصحابة الذين منعهم عمر بن الخطاب عن نقل حديث رسول الله كانوا يعلمون القرآن حقّ معرفته كما أنّ النبيﷺ كان يعلم مفاهيم القرآن وكان يعلّم الصحابة مفاهيمه ومعارفه، أو لم يكونوا يعلموا مفاهيم القرآن وحقائقه وعند ذلك كانوا يلتجئون إلى التفاسير الباطلة والتأويلات غير صحيحة؟

وبعبارة أخرى: هل كانوا يفسّرون القرآن برأيهم ولا يحدّثون حديث رسول اللهﷺ كي يفسروا القرآن بكلام رسول اللهﷺ أولا؟!

وأمّا عثمان بن عفان فإنّه أيضاً منع رواية الحديث عن رسول اللهﷺ قال محمود بن لبيد: سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحلّ لأحد يروي حديثاً عن رسول اللهﷺ، لم أسمع في عهد أبي بكر ولا عهد عمر (انظر الطبقات لابن سعد ج٢: ص ٢ ومسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٢).

وهذا النصّ يدلّ على أنّ الممنوع في عهد عثمان هو الممنوع في عهد أبي بكر وعمر، وقد أثبتنا أنّ الممنوع في ما سبق عهد عثمان إنّما هو أصل حديث رسول اللهﷺ لا أمر آخر.

وقد فعل عثمان بأبي هريرة ما فعل به عمر، من التهديد والإبعاد و ...، فقال له: ما هذا الحديث عن رسول اللهﷺ، لقد أكثرت، لتنتهينّ أو لألحقنّك بجبال دوس (انظر أضواء على السنة المحمّدية: ص ٤٥٩) وكذلك معاوية وبنوأمية استمروا في منع الحديث عن رسول اللهﷺ بل إنّ معاوية اشتد في المنع وحدد بما رضي به عمر بن الخطاب ففي صحيح مسلم بسنده عن اليحصبي قال: سمعت معاوية يقول: إياكم وأحاديث إلّا حديثاً كان في عهد عمر، فإنّ عمر كان يخيف الناس في الله (صحيح مسلم ج٢: ص ٧١٨ كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة).

وهذه السيرة كانت مستمرّة بعد الخلفاء الثلاثة في بني أمية. قال ابن الأثير: كان الحجاج الثقفي قد ختم في يد جابر بن عبد الله الأنصاري وفي عنق سهل بن أسعد
➔

على عدم إمامتهم[(١)]؛ لأنّ امام الخلق هو المسيّس للناس بما جائت به

➔

الساعدي وأنس بن مالك، يريد إذلالهم وأن يجتنبهم الناس ولا يسمعوا منهم (انظر أسد الغابة ج١٠: ص ٤٧١) وإلى غير ذلك من الأحاديث، فإنّ من قرأ التاريخ وتابع الأحداث في القرن الأوّل وتدبّر مجرياته، لا يخفى عليه هذا الأمر وهذا مورد واحد من الموارد الكثيرة من مخالفات الخلفاء للقرآن والسنة النبوية الشريفة وهي من الأدلّة الواضحة على عدم مشروعيّة إمامتهم، فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ منصب الامامة منصب فضيلة لا يليه إلّا من توفّرت فيه الشرائط التي اعتبرها الشرع والعقل.

فلا ينال هذا المقام العظيم من لا يؤهّل له؛ لأنّ الإمام يرتجى منه صيانة الدين من التحريف وصيانة الأمّة من الضلالة، فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي به يسدّ جميع الفراغ الحاصل بوفاة النبي صلى الله عليه وآله فيجب أن يتحمّل جميع المسؤوليات التي كان النبي صلى الله عليه وآله يتحملّها من بيان الأحكام والمعارف الدينية ودفع الشبهات وغير ذلك.

ومقتضى ذلك أن يكون موصوفاً بصفات النبي صلى الله عليه وآله وشبيهاً له في الصفات الكمالية وعالماً بجميع الأحكام حتّى يكون خليفة له حقيقةً.

وبعبارة أخرى: إنّ الإمام يجب أن يمتلك جميع صفات النبي صلى الله عليه وآله من الفضائل والكمالات لأنّه يتكفّل جميع مسؤوليات النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته.

ومن الواضح أنّ من لم يكن له القدرة على تحمّل مسؤوليات النبي صلى الله عليه وآله بأيّ جهة من الجهات لا يؤهّل لمقام الإمامة، لأنّه لا يمكنه أن يتكفّل بذلك المقام العظيم.

ومن أجل وضوح الأمر نمثّل مثالاً بالأحكام الشرعية فإنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يعلّم الناس الأحكام الشرعية وفي كلّ مستحدث كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وآله عن حكم الواقعة الحادثة وكان الأمر مستمراً عليه إلى وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وأمّا بعد وفاته صلى الله عليه وآله يجب أن يكون شخص مثل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحيث يسدّ فراغ رحلته، فلابدّ للناس من إمام وخليفة يعرف الأحكام مثل ما كان يعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله ليسدّ

➔

الشريعة من الحقّ دون من ساسهم بالمبتدعات المناقضة للشريعة[١] حسبما

➔

الفراغ الحاصل بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ويجب على الناس الرجوع إليه كما كانوا يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث لم يبق إشكال بين الناس، وهذه المسؤولية يتحمّلها الخليفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذن لو قلّد الإمامة من لم يكن يعرف الأحكام الشرعية وعند عروض المسائل المستحدثة لا يمكنه الجواب عن السؤال فسيقع الناس في التحيّر بل وينجرّ أمرهم إلى الضلالة، لأنّ الأحكام الشرعية إنّما هي أحكام تعبّدية من قبل الله عزوجل بواسطة النبي صلى الله عليه وآله أو من يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله بالوصاية.

وعليه فلو كان الإمام لا يعرف الأحكام الشرعية لا يخرج من حالتين:

إمّا أن يكذب على الله ورسوله ويرتكب البدعة في الدين وإمّا أن يقول: لا أعلم.

ففي كلا الحالتين لا يليق بمقام الامامة؛ أمّا قوله لا أعلم فواضح، فإنّ غير العالم لا يليق بهذا المقام إذ كيف يرجع الإنسان إلى الجاهل؟!

وامّا إذا كان أهل البدعة في الدين فإنّه مضافاً إلى كونه جاهلاً بالحكم الشرعي يكون سبباً لاضلال الناس، ومن الواضح أنّ الغاية من الإمامة هي هداية الناس وأهل البدعة يدعون الناس إلى الضلالة فهم يضلّون الناس فالالتزام بإمامة أهل البدعة يكون نقضاً للغرض لأنّ من التزم بامامة أهل البدعة معناه الإلتزام على خلاف ما بعث الله الأنبياء إذ الغرض من بعث الأنبياء هداية الناس كما أنّ الغرض من نصب الامام هداية الناس، وأمّا أهل البدعة فهم سبب لإضلال الناس فيلزم منه نقض الغرض فما أفاده المصنّف من أنّ كون الشخص أهل البدعة دليل على عدم إمامته معناه أنّ بالبدعة تحصل نقض للغرض فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام أنّ البدعة هي الفعلة المخالفة للشريعة وإنّما سمّيت البدعة بدعة لأنّها إبداع في الدين بلا وجه شرعي.

وبعبارة أخرى: إنّ البدعة احداث ما ليس في الدين فيه بقصد أنّه منه، ومعناه نقض

➔

➔

الدين وردّه، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ (صحيح البخاري ج٣: ص١٦٧ كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ في الإسلام سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء (صحيح مسلم ج٣: ص ٨٧ كتاب الزكاة، باب الحثّ على الصدقة ولو بشقّ تمرة)

قال النووي في شرح هذا الحديث: فيه الحثّ على الابتداء بالخيرات وسنّ السنن الحسنات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وسبب هذا الكلام في الحديث المرويّ عن النبي ﷺ: كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة (شرح صحيح مسلم ج٧: ص ١٠٤).

وقال المباركفوري: أيّ طريقة غير مرضيّة لا يشهد لها أصل من أصول الدين (تحفة الأحوذي ج٧: ص ٣٦٥).

ومن هنا يعرف أنّ البدعة في مقابل السنّة النبويّة أو السنّة الشرعيّة التي جاء به الإسلام أو جاء به رسول الله ﷺ.

ومن الواضح أنّ السنن النبوية والسنن الشرعية هي الطريقة إلى المعارف الدينية والأحكام الشرعية وأساس هذه الطريقة إنّما يكون من الله سبحانه فالنبي ﷺ هو الواسطة بين الله عزوجل والناس لإيصال المعارف الدينية ولابدّ أن يكون الامام والخليفة هو العالم بالسنن الإلهية ليهدي الناس إلى طريق الحقّ والشريعة الإلهيّة وأمّا أهل البدعة فهم مخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله وهم العاملون برأيهم وأهوائهم وهذه الطريقة هي الطريقة المناقضة لفعل رسول الله ﷺ وفعل خليفته الحقّ، بل إنّ فعل أهل البدعة ردّ على الله ورسوله كما في حديث البخاري المتقدّم

🡐

مضى بيان نبذة منها وسيأتي بيان نبذة.

فلو فرض قتلهم قبل تبيّن مبتدعاتهم لم يعلم الناس عدم لياقتهم لسياسة الخلق من هذه الجهة[1].

➔
ذكره فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام يتوقّف على بيان مقدّمات، الأولى: إنّ أصحاب السقيفة الذين غصبوا الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنكروا الامامة جهاراً فإنّ كثيراً منهم رافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ انحرفوا عمّا رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه الكثيرة والمتعدّدة في شأن الامامة والخلافة، مع قطع النظر عما جاء في القرآن الكريم في هذا الشأن، فلم يصمدوا أمام غربال التمحيص والاختبار، فأخذوا الدين لعبة بأيديهم وقاموا بتأويل النصوص على ضوء المصالح التي يرتئونها لأنفسهم وبدأت الناس تتلاعب بالاستدلالات الناشئة من ميولهم حتى صار الدين لعبة تلعب بها الأيادي، وتحقّق قول النبي صلى الله عليه وآله حيث أخبر عن أصحابه في حديث رواه الشيخان البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله: قال يرد عليّ قوم يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنّه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى (صحيح البخاري ج٧: ص ٢٠٨ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله إنّا أعطيناك الكوثر وصحيح مسلم ج٧: ص ٦٨ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا صلى الله عليه وآله وصفاته).

ومن أجل وضوح الأمر والوقوف على هذه الحوادث المرّة لاحظ تاريخ الطبري واليعقوبي ومروج الذهب والكامل لابن الأثير والامامة والسياسة لابن قتيبة وغير ذلك ممّن روى حديث السقيفة وما وقع من المشاجرات والمنازعات في أمر الخلافة.

وعلى سبيل المثال إنّه قد أطبق المفسرّون بأنّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن
➔

←

﴿يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتي اللّهُ بقَوْمٍ يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ أَذلَّة عَلَى الْمُؤْمنينَ أَعزَّة عَلَى الْكَافرينَ يُجَاهدُونَ في سَبيل الله﴾ (المائدة: ٥٤) أن المقصود بقوله تعالى: ومن يرتدّ منكم هو الوليد بن عقبة الذي ولاّه عثمان أيام خلافته على الكوفة فشرب الخمر، وقام يصلّي بالناس صلاة الفجر أربع ركعات! وكان يقول في ركوعه وسجوده: اشربي واسقني ثمّ قام في المحراب ثمّ سلّم وقال: هل أزيدكم؟ إلى آخر ما ذكروه في التاريخ (انظر الكامل لابن الأثير ج٢: ص ٥٢ وأسد الغابة له ج٥: ص ٩١ وغيرها من المصادر) وليس الوليد شخصاً وحيداً بين من عاصر النبيﷺ، بل كان فيهم أصناف مختلفة من وجوه قريش وغيرهم من المنافقين ومرضى القلوب والمؤلّفة قلوبهم الذين كانوا يعيشون بين المسلمين، فقد عمد خلفاء الجور من أوّل يوم السقيفة بالاستدلالات حسب أهوائهم وأخذوا الدين لعبة بأيديهم، فقاموا بإدخال ما ليس في الدين تأويلاً لما كانوا يصنعون وعمدوا أيضاً إلى العطاء تحت سلطان ذلك المنهج ليجذبوا الناس عن طريق حبّ الدنيا ومتعلّقاتها، فبدت البدع في الدين وتغيير أحكام الله وفق ما أرادت السلطة، وهكذا شاعت البدع في الأعصار المتأخّرة من عصر خلفاء الجور حتّى أصبحت البدعة في الدين أمراً عادياً.

الثانية: نصوص حرمة البدعة في الكتاب والسنة وتحديد مفهومها: أمّا حرمة البدعة من الكتاب فآيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذينَ فَرَّقُواْ دينَهُمْ وَكَانُواْ شيَعًا لَّسْتَ منْهُمْ في شَيْءٍ إنَّمَا أَمْرُهُمْ إلَى اللّه ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٩) وقد فسّرت الآية بأهل البدعة والضلالة من هذه الأمّة فقد روى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ في هذه الآية: إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم ... هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمّة (جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج٨: ص ١٣٩) ورواه الثعلبي في تفسيره ج٤: ص ٢١٠ والسمعاني في تفسيره ج٢: ص ١٦٠ وابن كثير في تفسيره

←

➔

ج٢: ص ٢٠٣ وغيرهم.

ومعناه أنّهم جعلوا دين الله أدياناً لإكفار بعضهم بعضاً وصاروا أحزاباً وفرقاً فيقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيّه: ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ وأنّه على المباعدة التامّة من أن يجتمع معهم، لأنّهم قد اجتمعوا في معنى الباطل وافترقوا عن الحقّ. إذن ليس الرسول منهم لأنّ الرسول مع الحق والحق معه. وقد روى ابن ماجة بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خطب احمرّت عيناه ثمّ يقول: أمّا بعد فإنّ خير الأمور كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة (انظر سنن ابن ماجة ج١: ص ١٧).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته، واشتدّ غضبه، حتّى كأنّه منذر جيش، يقول: صبحكم ومسّاكم، ويقول: بُعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه: السبابة والوسطى، ويقول: أمّا بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة، ثمّ يقول: أنا أولى بكلّ مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ (صحيح مسلم ج٣: ص ١١ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والجمعة).

وروى النسائي مثله وفيه: إنّ أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار ... (سنن النسائي ج٣: ص ١٨٨) وإلى غير ذلك من الروايات التي تدلّ على أنّ البدعة والمحدث في الدين هم أهل الضلالة والنار وهم الذين يعني بهم قد بدّلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الدين من الصحابة وقد عبّرت عنهم الرواية في صحيح البخاري و مسلم بأنّهم ارتدّوا على الدين (انظر صحيح البخاري ج٧: ص ٢٠٨ وصحيح سملم ج٧: ص ٦٨)

وصريحها أنّ التدخّل في الدين بزيادة أو نقصية هو البدعة وصاحبه في النار، ومقتضى

🡐

هذه الأدّلة أنّ أصحاب السقيفة ارتكبوا هذه الجريمة افتراءً على الله ورسوله وصاروا سبباً لضلالة الأمّة إلى يوم القيامة كما وضّحناه في المقدمة الأولى.

الثالثة: إنّ سياسة كلّ دين سماوي يؤخذ من طريق الوحي هو إظهار الحقّ للناس وتبيّنه لهم حتّى يتّضح الأمر لهم ويعرفوه بعد البيان المتكرّر، قال الله سبحانه: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...**﴾ (الحديد: ٢٥) فالبينات هي الدلائل الواضحة ولها معنى واسع يشمل المعجزات والدلائل العقلية التي تسلّح بها الأنبياء والرسل الإلهيّون.

وبالاضافة إلى هذه البينات قد أنزل الله تعالى الكتب السماوية التي جمع فيها الحق والحقيقة، وهو الميزان لمعرفة الحقّ والباطل، بل وهو المعيار لقياس الأعمال الصالحة والسيّئة حتّى يستطيع كلّ إنسان أن يعمل كلّ الأعمال حسب ما جاء من عند الله من الأحكام والقوانين وغير ذلك فالكتب السماوية هي المعيار لقياس الحقّ بالباطل والجيّد من الرديّ.

والإسلام كذلك فإنّ الله تعالى لم يبق شيئاً يعتبر في هداية الناس وسعادتهم لم يذكرها في كتابه العزيز وفي السنة النبوية الشريفة بواسطة الرسول الأعظمصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ وهذا معنى العدل الإلهي. فالسياسة الإلهية قد اقتضت تبيين جميع الأمور المربوطة بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة وتوفير جميع سبل الهداية والرشاد كما قال تعالى: ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ (النساء: ١٦٥)

وأمّا عصيان الناس ومخالفتهم لأوامر الله ورسولهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ إنّما هو باختيار الناس. وحيث إنّ القرآن والسنة النبوية الشريفة هما الميزان لقياس الحقّ بالباطل فيمكن معرفة أفعال الناس حقّاً وباطلاً بهذا الميزان الثابت من الله تعالى، والنتيجة التي توصّلنا إليها في المقام هي أنّه مع وجود القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي سمعها الصحابة من رسول اللهصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ كان تشخيص الحقّ من الباطل في أعمال المسلمين والصحابة أسهل شيء، لوجود الميزان والمعيار الثابت.

ومنها: تبيّن غصبهم لحقّ إمامهم[1] وعدم وجود نصّ على إمامتهم من

→
وبعد ارتحال النبيّ الأكرم إلى الرفيق الأعلى بد التنافس من الصحابة في تلقّي القدرة والسلطة بيده فالتجأوا إلى إدخال ما لم يكن في الدين في الدين لتمشية أمورهم وصدرت منهم البدع الكثيرة للتغطية على مخالفتهم لأمر الله ورسوله، وهذه البدع أصبحت معياراً لبطلان أعمالهم السيّئة وقد تبيّنت هذه المخالفة والبدع من خلال أعمالهم الشنيعة بعد وفاة رسول الله ﷺ ولو كان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حاربهم وقتلهم لما عرف الناس هذه البدع والمخالفات للدين والشريعة المحمدية فلاحظ.

(١) لا شكّ أنّ أوّل انقلاب في الإسلام هو مؤامرة السقيفة وغصب الخلافة والامامة والانقلاب على الرسول الأكرم ﷺ رغم تحذير الله ورسوله ﷺ.

فقد أخبر سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ما يجري على المخالفين لأوامر الرسول الأعظم ﷺ منها تحذير الأمة من الانقلاب والارتداد بعد وفاة رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ (أل عمران: ١٤٥).

فالقرآن الكريم استخدم تعبير الردّة إلى الجاهلية وكلمة الانقلاب على الأعقاب وهي جمع عقب بمعنى مؤخّرة القدم، وهذا التعبير موح يصوّر التراجع إلى الوراء والارتداد الواقعي، لأنّه بمعنى السير القهقرى، فالآية توضّح بأنّه لو مات رسول الله ﷺ أو نال الشهادة لا ينتهي الإسلام بموته بل كلّ واجب مستمرّ والإسلام دين الحقّ الذي أنزل ليبقى خالداً إلى الأبد.

وأمّا من ارتدّ عن دينه فلن يضرّ الله شيئاً لأنّ هذا التراجع والردّة منكم لا يوجب توقّف طريق الخير والسعادة بل الخروج عن جادّة الحقّ موجب لخسرانكم.

وكذلك الرسول الأعظم ﷺ حذّر أمّته مراراً وتكراراً وأصحابه من الارتداد
←

➔

والانقلاب، وقد أخبرهم بأنّهم سينقلبون بعده وأنهم سيأخذون بسنن اليهود والنصارى.

ومن المعلوم أنّ رأس تلك السنن اليهودية والنصرانية هو تحريف الدين السماوي، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري: لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموها! قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ١٤٤ كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني اسرائيل وصحيح مسلم ج٨: ص ٥٧ كتاب العلم، باب اتّباع سنن اليهود والنصارى).

كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: أنا فرطكم على الحوض وليرفعنّ رجال منكم ثمّ ليختلجنّ دوني، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك (صحيح البخاري ٧: ص ٢٠٦ كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا اعطيناك الكوثر)ورواه مسلم في صحيحه ج٧: ص ٦٥ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصفاته.

وقد اختار الله تبارك وتعالى أهل بيت النبوة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فأعطاهم دوراً خاصّاً ومميّزاً لقيادة الأمّة بأمر من الله وتبيين من الرسول الأعظم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ باستحالة إدراك الأمة الهدى من بعده إلّا بالتمسّك باثنين وهما كتاب الله (باعتبار أنّه القانون النافذ في مجتمع الامة الإسلامية) وبأهل بيت النبوة (باعتبار عميدهم في كلّ زمان وقائدهم وإمامهم ومرجعهم إلى يوم القيامة) فبيّن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّ التجنّب منهما ساوٍ للوقوع في الضلالة.

ولم يكتف الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بذلك بل حدّد عدد الأئمّة من بعده باثني عشر وسمّاهم بأسمائهم، وكلّهم من ذريته (انظر فرائد السمطين ج٢: ص ١٣٢ ح ٧٦ وينابيع المودة ج٣: ص ٢٨١).

وقد تضمّن هذا بقاء الإسلام بوجود اثنى عشر خليفة أو أميراً أو إماماً بعد رسول

🡐

➔

الله ﷺ، وقد ذكر رسول الله ﷺ بأنّ كلّهم من قريش، و في بعض الروايات كلّهم من بني هاشم.

وأيضاً ضمن لهم الرسول ﷺ بقاء الإسلام بأن يكون لهم الوليّ من بعده وبيّن الله تعالى وليّه للناس في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ (المائدة: ٥٥).

وأيضاً ضمن بقاء هذا الإسلام بأخذ البيعة للامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير، فتلقّى رسول الله ﷺ أمراً من ربّه ليعلن علي بن أبي طالب عليه السلام ولياً لعهده وإماماً من بعده قبل أن ينتقل النبيّ ﷺ إلى جوار ربّه فأكّد النبي ﷺ عهده لعلي عليه السلام ووجّه الامامة أمام مائة ألف صحابي لإعلان البيعة له، وكان ذلك بغدير خم في حجّة الوداع كما اشتهر ذلك في التاريخ وتواتر في الحديث وستتّضح دلالة حديث الغدير وما نزل بشأنه من الآيات وما حدث في التاريخ إن شاء الله في محلّه.

وكيف كان فقد نصب رسول الله ﷺ الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً وإماماً وخليفة لما بعده ولابد للامة من الالتزام بما أمرهم الله ورسوله وما جاء به الإسلام والحفاظ على أحكامه القيّمة ومفاهيمه وعقائده وسياساته وتنفيذ أوامر الله ورسوله.

لاسيما بعد ما أخبر رسول الله ﷺ بأنّ اُمته ستفرق من بعده إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والباقون في النار (انظر المعجم الكبير الطبراني ج١٩: ص ٢٧٧).

فإذا كان أهل السنة والجماعة يرون هذه الأحاديث صحيحة عندهم فلابد من الالتزام بها، ومن الواضح المعلوم لدى الخبير أنّ بالالتزام بهذه الأحاديث والروايات الصحيحة لا يمكن الدفاع عن فعل الصحابة وغصبهم الخلافة؛ لأنّ الآية والروايات صريحة في ارتدادهم والارتداد عن طاعة الرسول والتخلّف عن أوامره وعدم

➔

نفس ما صدر منهم من أقاويلهم المتقدّمة، مثل قول ابن أبي قحافة: إنّي أختار لكم أحد هذين الرجلين[1]،

➔

الوفاء بعهدهم وببيعتهم التي بايعوا الامام أميرالمؤمنين عليه السلام يوم غدير خم وقد اختاروا بذلك الرجوع إلى الجاهلية والانقلاب إلى أعقابهم والانتكاص على الأدبار وغيّروا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله واستبدلوا سننه بالبدع في الدين واتخذوا الظالمين أولياء بدل المعصومين وزعموا بأنّ من اختاروا من آل أبي قحافة هو أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله بهتاناً وزوراً، وبذلك غصبوا حقّ إمام زمانهم.

(١) لقد روى المؤرخون والمحدثون عند ذكر أحداث السقيفة، وما وقع فيها من التنازع والاختلاف لطلب الدنيا قول أبي بكر وذلك عندما أشتدّ الجدال بين الأنصار و المهاجرين حول أمر الخلافة، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب في خطبة طويلة قال: ... فتكلّم أبوبكر وقال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح وهو جالس ... (صحيح البخاري ج٨: ص ٢٧ كتاب المحاربين باب رجم الحبلى إذا أحصنت) ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٨: ص ١٤٢ عبدالرزاق الصنعاني في كتابه المصنف ج٥: ص ٤٤٣ وابن حبان في صحيحه ج٢: ص ١٥٠ وغيرهم.

وروى البخاري أيضاً بسنده عن عائشة قالت: ... تكلّم أبوبكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبوبكر: لا ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوساط العرب داراً وأعراقهم أحساباً فبايعوا عمر بن الخطاب أو أباعبيدة بن الجراح ... (صحيح البخاري ج٤: ص ١٩٤ كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم) ورواه البيهقي في سننه الكبرى ج٨: ص ١٤٢ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص ٢٣٥ وابن سعد في الطبقات ج٢: ص ٢٦٩ والذهبي في تاريخ الإسلام ج٣: ص ٦ وغيرهم.

➔

واستقالته[١] منها، وقوله بأنّ له شيطاناً يغويه[٢]،

➔

والجدير بالذكر أنّ العيني ذكر في شرح هذا الحديث وقول أبي بكر: «فبايعوا عمر...» ما هذا نصّ عبارته: هذا قول أبي بكر، يقول للمهاجرين والأنصار: بايعوا عمر أو بايعوا أباعبيدة، إنّما قال هذا الكلام حتّى لا يتوهموا أنّ له غرضاً في الخلافة... (عمدة القاري ج١٦: ص ١٨٦).

أقول: ولو كان نصّ على خلافة أبي بكر يلزم عليه أن يقول بايعوني لأنّ العمل بالنص واجب.

ثمّ إنّ ما قاله العيني من أنّ أبا بكر لم يكن غرضه الخلافة فلو نفرض فرض المحال أنّه كان النصّ موجوداً في خلافته فلا أثر لتوهّم القوم حيث إنّ الملاك هو النصّ سواء توهّم الناس أم لم يتوهموا، فإنّ الغرض الامتثال لأمر الشارع.

وكيف يصدق العاقل وجود النصّ مع أنّ المعارضة كانت بين المهاجرين والأنصار لطلب السلطة فإنّ الأدلّة تدلّ على أنّ الأسلوب المستخدم في السقيفة هو الجدال والنزاع الشديد بحيث كلّ من الطرفين أراد اجبار الطرف المقابل لقبول إمارته وسلطته بالضرب والقتل والاضطهاد لا بالاستدلال وبالنصّ والحجّة الشرعية.

(١) لقد أخرج الهيثمي بسنده عن عيسى بن عطية قال: قام أبوبكر الغد حين بويع فخطب الناس فقال: أيها الناس إنّي قد أقلتكم رأيكم إنّي لست بخيركم فبايعوا خيركم ...(مجمع الزوائد ج٥: ص ١٨٣) ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ج٨: ص ٢٦٧ والقرطبي في تفسيره ج١: ص ٢٧٢ وج٧: ص ١٧٢ والآلوسي في تفسيره ج ٢٧: ص ١٨٠ والسيوطي المحاضرات والمحاورات: ص ٤٢٧ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١: ص ٢١ وغيرهم.

(٢) لقد أخرج الطبراني بسنده عن عيسى بن عطية قال: قام أبوبكر الغد حين بويع فخطب الناس... فإن استطعتم أن لا يطلبكم الله بشيء من ذمته فافعلوا إن لي شيطاناً يحضرني فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني لا أمثّل بأشعاركم وأبشاركم ...

➔

وغير ذلك[1].

➔

(المعجم الاوسط ج٨: ص ٢٦٧) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥: ص ١٨٣ وعبدالرزاق الصنعاني في المصنّف ج١١: ص ٣٣٦ الإسكافي في المعيار والموازنة: ص ٣٢١ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص ٢٠ وج١٧: ص ١٥٦ وص١٥٨ وغيرهم.

(١) لقد ورد في كثير من المصادر السنية اعتراف أبي بكر بعدم صلاحيّته للخلافة، منها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بكر أنّه قال: إنّ النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ بعثه بالبراءة لأهل مكة وإبلاغهم ببعض الآيات من سورة التوبة... فسار بهم ثلاثاً متوجّهاً نحو مكّة ثمّ قالصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ لعليّ: الحقه فردّ عليٌّ أبابكر وبلّغها أنت، قال: ففعل عليّ ما أُمر، فلمّا قدم أبوبكر على النبيصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ بكى وقال يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قالصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: ما حدث فيك، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلاّ أنا أو رجل منّي (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٣) ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣: ص ٢٣٩ وأبويعلى الموصلي في مسنده ج١: ص ١٠٠ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ وغيرهم.

قال العلامة الأميني قد أخرج هذا الحديث كثير من أئمة الحديث وحفّاظه وعددهم ٧٣ نسمة (انظر الغدير ج٦: ص ٣٣٨ ـ ٣٥٠) وزاد العلامة التستري على هذا العدد جمعاً آخر من مؤلفي أهل السنّة والجماعة (انظر إحقاق الحقّ ج٣: ص ٣٩٩) ومنها اعترافه بأنّ حرب عليّ حرب رسول الله وسلمه سلم رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ فقد أخرج المحب الطبري بسنده عن أبي بكر قال رأيت رسول اللهصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ خيّم خيمة وهو متّكئ على قوس عربية وفي الخيمة عليّ وفاطمة وحسن وحسينعَلَيْهِمُالسَّلَامُ فقال: يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجدّ طيب الولادة، ولا يبغضهم إلا شقي الجدّ، رديء الولادة. وزاد العلامة الخطيب الخوارزمي فيما أخرجه رجل لزيد ـ راوي الحديث ـ أنت سمعت هذا من

➔

➔

ابي بكر؟ قال زيد إي وربّ الكعبة (انظر الرياض النضرة ج٣: ص١٥٤). ورواه الخوارزمي في مناقبه: ص٣٩٦ ومنها: طلب أبي بكر استقالته من الناس واعترافه بأولوية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أخرج أبو حامد الغزالي وابن روزبهان الشيرازي ـ وهو من مستشكلي أهل السنة عن أبي بكر أنّه قال وهو علي المنبر: أقيلوني ولست بخيركم وأفضلكم وهذا عليٌّ فيكم (انظر سرّ العالمين لأبي حامد الغزالي: ص١٨ـ ١٩ وإبطال الباطل لابن روز بهان أورده في الجواب على الطعن السابع.

وأخرج سبط ابن الجوزي هذا الحديث عن بن الغزالي في كتابه سرّ العالمين بزيادة في الشرح والبيان فقال: قول أبي بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله أقيلوني فلست بخيركم قال: فقال أبو بكر ذلك هزلاً أو جداً أو أمتحاناً؟

فإن كان هزلاً فاكلناء منزهّون عن الهزل، وإن كان جدّاً فهذا نقض للخلافة، وإن كان امتحاناً فالصحابة لا يليق بهم الامتحان لقوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ (سورة الاعراف: ٤٣) تذكرة الخواص: ص٦٩).

ولتوضيح المراد أنقل للقارئ ما ذكره متكلّم أهل السنة العلاّمة القوشجي في بيان إقرار أبي بكر فإنّه قال: وليتكم ولست بخيركم وعليٌّ فيكم. فهذه العبارة صريحة في مسألة الخلافة كما ترى (شرح التجريد: ص٣٧١ المعقد الخامس في مبحث الإمامة).

وكيف كان فإنّ قول أبي بكر أقيلوني أو وليتكم ولست بخيركم صريح في اعتراف أبي بكر بأنّ الامام امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام أولى بالخلافة والإمامة والولاية بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ومنها: اعتراف أبو بكر وعمر بأنّ عليّ بن ابي طالب عليه السلام هو أمير المؤمنين فقط. أخرج عبد الله الآمر شري الحنفي عن ابن مردوية باسناده عن سالم مولى امير المؤمنين عليه السلام قال: كنت مع عليّ عليه السلام في أرض نعمل، إذ جاء أبو بكر وعمر إلى

➔

ومثل قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة[1]، وقوله إن أستخلف فقد

→

عليّ وقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقيل لهما: أكنتما تسلّمان عليه في عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بإمرة المؤمنين؟ قال عمر هكذا أمرنا النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (أرجح المطالب: ص١٥). وإلى غير ذلك من الاعترافات.

(١) هذه العبارة إشارة الى ما أخرجه أئمة الصحاح والمسانيد كالبخاري في صحيحه وغيره بأسناد صحيحة عن عمر بن الخطاب: إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المؤمنين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (انظر صحيح البخاري ج٨: ص٢٥ كتاب المحاربين باب الحبلى من الزنا إذا أحصنت) ورواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ج٧: ص٤٣١ وغيرهم.

قال المحب الطبري: الفلتة: ما وقع عاجلاً من غير تروٍّ ولا تدبير في الأمر ولا احتيال فيه، وكذلك كانت بيعة أبي بكر، كأنّهم استعجلوا خوف الفتنة، وإنما قال عمر ذلك لأنّ مثلها من الوقائع العظيمة التي ينبغي للعقلاء التروّي في عقدها لعظم المتعلّق بها، فلا تبرم فلته من غير اجتماع أهل الحلّ والعقد من كلّ قاص ودان لتطيب الأنفس ولا تحمل من لم يدع إليها نفسه على المخالفة والمنازعة وإرادة الفتنة، لا سيما اشراف الناس وسادات العرب فلمّا وقعت بيعة أبي بكر على خلاف ذلك قال عمر ما قال، ثمّ إنّ الله وقى شرّها، فإنّ المعهود في وقوع مثلها في الوجود كثرة الفتن ووقع العداوة والاحسن قال عمر: وقى الله شرها (انظر الرياض النضرة ج١: ص٢٣٧).

أقول: إذا كانت بيعة أبي بكر فلتة ووقعت بلا تدبير ولا تروٍّ فهذا يدلّ على أنّها غير مشروعة عند أهل السنة والجماعة وحيث إنّ المعتبر عندهم البيعة بأهل الحلّ والعقد والمشورة وأنّ عمر بن الخطاب هو بنفسه يردّ على مشروعية هذه البيعة التي هي أساس لخلافة خلفاء أهل السنة والجماعة حيث نفس هذه البيعة الفلتة صارت سبباً لانتخاب عمر بن الخطاب وإنّ أبابكر الذي كانت بيعته غير مشروعة فقد

←

استخلف من هو خير مني[1] الى آخره. وتصديقهما للحسن والحسين عليه السلام

➔

اختار عمر بن الخطاب للبيعة وعمر بن الخطاب الذي عيّن الشورى أيضاً لم تكن بيعته مشروعة وليس من حقّه أن يعيّن أهل الشورى وهذا لا ينتج إلا عدم مشروعية كلّ من قلّد الخلافة بعد أبي بكر شرعاً لأنّ اعتبار كلّ منهم متوقّف على اعتبار من اختاره للخلافة على مبنى القوم.

ثمّ إنّ الفلتة وصف للبيعة و هذا مشعر بأنّ أبا بكر لم يكن عند الصحابة أفضل، لأنّ العبارة دالّة على وجود من هو أفضل منه، ولذلك وقع التشاجر بينهم حتّى وقعت هذه البيعة الفلتة. مضافاً إلى أنّ مجموع الأدلّة المعتبرة عند القوم تدلّ على عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر كما هو واضح ظاهر.

(١) إن ممّا يدلّ على عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر قول عمر بن الخطاب لولده عبدالله عند موته وذلك حينما سأله: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي؛ أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي؛ رسول الله صلى الله عليه وآله... (صحيح البخاري ج٨: ص١٣٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف) ورواه مسلم في صحيحه ج٦: ص٤ كتاب الامارة باب الاستخلاف وأحمد بن حنبل في مسنده ج١: ص٤٣ والنسائي في سننه ج٧: ص١٥٨ والحاكم في المستدرك ج٣: ص٩٥ والبيهقي في سننه ج٨: ص١٤٨ وغيرهم.

قال النووي: وفي شرح هذا الحديث إنّه دليل على أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم ينصّ على خلافة أبي بكر وهو إجماع أهل السنة، ومن خالف في ذلك فزعم أنّه نصّ على أبي بكر فهذا باطل وخسارة... (شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢: ص٢٠٦).

وقال: كذلك رووا عن عائشة وقد سئلت: من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر، قال النووي في شرحه: فيه دلالة لأهل السنة أنّ خلافة أبي بكر ليست بنصّ من النبي صلى الله عليه وآله على خلافته صريحاً بل اجتمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله، ولو كان هناك نصّ عليه أو على غيره لم تقع

➔

بأنّ المنبر منبر أبيهما[١]، وغير ذلك ممّا تقدّم نقله وبيانه ودلّ على عدم

➔

المنازعة من الأنصار وغيرهم، أولاً، لابد لهم من الرجوع إلى النصّ إذ لو كانوا يعتقدون بوجود النصّ على إمامة أحد لابدّ لهم من الرجوع إليه وحيث انّهم تنازعوا في أمر الخلافة فمعناه على حدّ زعمهم أنّه لم يرد نصّ من رسول الله على خلافة أحد ولذلك قال النووي فتنازعوا ثمّ اتفقوا على أبي بكر (المنهاج في شرح صحيح مسلم ج١٥: ص١٥٤).

أقول: وبغضّ النظر عن اعتراف عمر بن الخطاب وعائشة من عدم وجود النصّ على خلافة أبي بكر وإن كان اعترافهما دليل على عدم وجود النصّ على أبي بكر عند أهل السنة والجماعة، لكن السؤال الذي يتوجّه هنا إلى علماء أهل السنة والجماعة هو أنّه لماذا جعل عمر ما يصدر عن أبي بكر بمثابة ما يصدر عن النبيﷺ وقد أعطاه صفة السنة التي يستنّ بها، كما يستنّ بالذي صدر عن رسول اللهﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير مع أنّه أصرّ على أنّ بيعة أبي بكر فلتة؟

من الواضح لدى الباحث أنّ ما قاله عمر هنا يعتبر من خططه السياسية للوصول الى شرعية خلافته لأنّه ارسل كلام أبي بكر إرسال المسلّمات كي ينتقل إلى الأذهان أنّ ما قاله أبو بكر نصّ كما قاله النبيﷺ بينما كل عالم ديني يعلم أنّ حجيّة كلام رسول اللهﷺ يكون نصّاً شرعيّاً كنصّ القرآن لأنّ الله تبارك وتعالى قال: ما آتاكم الرسول فخذوه **(مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)** (سورة الحشر: ٧) فكلام الرسول ﷺ نصّ القرآن الكريم وأمّا قول أبي بكر ليس بحجة، لأنّه لا دليل على حجيته بإجماع المسلمين ولكن لا أعلم كيف يستند أهل السنة بقول عمر وأبي بكر ويعتبرون قولهما حجة؟!

(١) لقد وردت في المصادر السنية بأسناد صحيحة أنّ أبابكر كان على المنبر فصعد اليه الامام الحسن عليه السلام وكان صبيّاً فقال له: انزل عن منبر أبي واجلس على منبر أبيك فقال له أبو بكر: نعم إنّه منبر أبيك وأبي لا منبر له، كلّ ما عندنا منكم، فهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلاّ الله وأنتم وقد أخرج هذا الحديث جمع كثير من علماء ➔

إمامتهما ودلّ على إمامة عليّ عليه السلام من نفس قوليهما وتناقضهما في ذلك في

➔

الشعر على رؤوسنا إلاّ الله وأنتم وقد أخرج هذا الحديث جمع كثير من علماء أهل السنة والجماعة منهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦: ص٤٢ والمحب الطبري في الرياض النضرة ج١: ص٢٠٣ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٣٠: ص٣٠٧ والبلاذري في أنساب الأشراف ج٣: ص٢٦ وابن شبة في تاريخ المدينة ج٣: ص٧٨٩ وابن الجوزي في المنتظم ج١٩: ص٤٢٥ وغيرهم.

وكذلك ورد بأسناد صحيحة أنّ عمر بن الخطاب كان على المنبر وهو يخطب فصعد إليه الإمام الحسين عليه السلام وقال له: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك فقال عمر: إنّ أبي لم يكن له منبر، إنه منبر أبيك والله إنّما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله وأنتم (انظر تاريخ مدينة دمشق ج١٤: ص١٧٥ وتاريخ الخلفاء: ص١٥٩ وتاريخ المدينة ج٣: ص١٩٨ وغير ذلك من المصادر

ومن الواضح أنّ ما قاله أبو بكر وعمر في جواب الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام من أنّ المنبر الذي صعدا عليه لم يكن من حقّهما أن يصعدا عليه لأنّه كان مكان الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما اعترفا وقالا: بأنّه منبر أبيك، ومعنى ذلك أنّه ليس من حقّنا أن نصعد منبر أبيك.

وبعبارة أخرى: مرجع قول أبي بكر وعمر إلى أنّ صعودهما على المنبر ـ الذي لم يكن من حقّهما أن يصعدا عليه ـ كان الغصب وهو إقرار منهما على أنّهما غصبا.

وأنّ الخلافة حقّ شرعيّ لمولانا امير المؤمنين عليه السلام حيث إنّهما اعترفا بمحضر الصحابة أنّه ليس من حقّهما أن يصعدا المنبر الذي أعدّ لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّما صعداه من غير حقّ وكان من الحقّ أن يصعده الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

فقول أبي بكر وعمر تصديق لما قاله الامام الحسن والحسين عليهما السلام كما هو واضح.

هذه الجهات[1] مضافاً إلى ما سبقها، هي التـي جعلـت خليفـة الحـقّ جلـيس

---

(١) وتوضيح المقام أنّ قول أبي بكر للامام الحسنعليه السلام: إنّه منبر أبيك وأبي لا منبر له، وكذلك قول عمر بن الخطاب للإمام الحسينعليه السلام اعتراف منهما بغصب الخلافة من الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وعدم لياقتهما بمقام الامامة والخلافة، وكذلك اعترافهما بعظمة أهل البيتعليهم السلام وولايتهما من الله تعالى ونهم اليـق النـاس بمقام الامامة والخلافة لا سيّما ان الروايات صريحة في أنّ أبا بكر وعمر كانـا فـي حال الخطبة ومعناه أنّ هذين الواقعتين كانتا بمحضر الصحابة، واعتـراف الـشيخين كان على رؤوس الأشهاد.

وملخّص الكلام أنّ المستفاد من هذه الروايات الأُمور التالية:

١ـ اعتراف أبي بكر وعمر بعدم لياقتهما لمقام الخلافة والامامة.

٢ـ تصريح واعتراف أبي بكر وعمر بأنّ الخلافة الشرعية هي للامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام.

٣ـ أنّ أبا بكر وعمر قد غصبا الخلافة والحقّ الشرعي من الامام امير المؤمنين علي بـن أبي طالبعليه السلام لأنهما اعترفا بأنّ المنبر منبر أبيهما وهما ليس من شأنهما أن يصعدا المنبر.

٤ـ اعتراف أبي بكر وعمر بأنّ كلّ شيء في الأُمور التكوينية والتشرعية بإذن الله يكون بيد أهل البيتعليهم السلام حيث قالا: هل أنبت الشعر على رؤوسـنا إلّـا الله وأنـتم؟ ومعنـى ذلك أنّ جميع الأمور التكوينيّة والتشريعيّة بإذن الله يكـون فـي أيـديكم أنـتم أهـل البيت، وهذا اعتراف بأنّ الولاية التي كانت لله عز وجل ولرسولهصلى الله عليه وآله كما في الآية الشريفة إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ... (سورة المائدة:٥٥). حيث إنّ هذه الولاية تكون لأهل البيت ومن له الولاية من الله عز وجـل علـى الخلـق تجـب طاعتـه لأنّ مـن لـه الولاية لابدّ أن يقوم بأمور الناس من قبل الله عز وجل، ومن الواضـح أنّ مـن يقـوم بأمور الناس من قبل الله عزوجل لابدّ أن يكون له ولاية من الله عزوجل ومن يكون له ولاية من الله عزوجل لابد أن يكون عالماً بجميع المصالح ويكون علمه من قبل

←

بيته على عظم شجاعته وبسالته[1] فالعبرة بالدليل الشرعيّ الذي جعله الله

←

الله عزوجل، إذن إنّ الذي له ولاية شرعية يكون عالماً بجميع مصالح البشر بإذن الله تعالى.

وبعبارة أخرى: من له الولاية على الخلق له الأمر المولوي لأنّ الأمر المولوي إنّما يكون لمن له الولاية من قبل الله عزّ وجلّ، فاعتراف أبي بكر وعمر لولاية أهل البيتعليهم السلام واضح في الحديث المذكور، فلاحظ.

(١) وبعبارة أوضح إنّ البيعة التي تحقّقت في السقيفة هي أساس جميع الانحرافات في الإسلام حيث إنّ البيعة التي عبّر عنها عمر بن الخطاب أنّها كانت فلتة، صارت سبباً وأساساً لغصب الخلافة الحقّة وتغيير القيادة الإسلامية بعد الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله.

فهذه البيعة التي أُسّست على أساس الباطل كيف يمكن الإيمان بها وترتيب الأثر عليها؟

وهل يجوز لمن يعتقد بالكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم أن يلتزم بالبيعة المخالفة للإسلام ويستبدل الخير بالشر؟!

فإنّ القران الكريم قد بيّن معنى الهداية بما جاء من قبل الله عزّ وجلّ، فكيف يمكن تاويلها وصرفها عن ظاهرها والأخذ على خلاف ظاهر القرآن؟ فإنّ حجية الظهور هي التي تدور مدارها الإفادة والاستفادة والاحتجاج والإعذار ولو لا حجية الظواهر لاعتذر كلّ ملحد عن ظاهر كلامه بما يتخلّص به عن المؤاخذة.

ثمّ لا يخفى على الخبير أنّ البيعة الصحيحة المشروعة التي لا يستطيع لأحد من أهل السنة إنكارها بيعة الصحابة مع النبي الاكرمصلى الله عليه وآله التي كانت تسمّى ببيعة الحرب، فإنّها كانت عهد من الصحابة بالاختيار وطيب النفس للطاعة الى حدّ أن يفدي نفسه في سبيل تلك البيعة والوفاء بالعهد الذي تحقّق في البيعة.

وأمّا البيعة التي تحقّقت في السقيفة كانت بالغدر والقتل والمكر والإرهاب وعلى حدّ تعبير عمر بن الخطاب كانت فلتة وكانت شرّاً وقى الله المسلمين شرّها، وقال عمر:

→

سبحانه ورسولهﷺ آية للخلق على الحقّ[1]، فلقد محىﷺ اسمه في

➔

فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، أو قال: فمن دعا إلى مثلها فلا بيعة له ولا بمن بايعه. على ما ذكره جميع المؤرخين من الطبري وابن الأثير والسيوطي وابن عبد البر وغيره.

فهذه البيعة التي يهتف بها أتباع السقيفة هي التي صارت سبباً لغصب الخلافة من مولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وبهذه البيعة صار مولانا امير المؤمنينعليه السلام جليس البيت وقد أحاطت بالإمامعليه السلام مجموعة من العوامل الرهيبة دعته الى الجلوس في البيت حفظاً لأصل الإسلام مع أنّه أشجع الناس ولم ينكر أحد شجاعته وبسالته في حروب الإسلام.

فالنصوص الاسلامية المتواترة لا تبقي مجالاً للشكّ في المقام، وعليه يلزم على كلّ باحث في الإسلام أن يتأمّل في النصوص ويقطع بأنّ الغاصبين للخلافة قد نقضوا عهد الله ورسوله، فكيف يمكن أن يدّعي أحد وجود النصّ فيهم؟!

(١) والوجه في ذلك واضح؛ لأنّ المعارف الدينية إنّما تثبت بالأدلّة المعتبرة شرعاً، فيجب تحصيل اليقين من الأدلّة والقائمة على ثبوت الاعتقاد، لأنّ الاعتقاد ممّا يقف عليه حقن الدماء والحكم بطهارة الانسان وحلّ ذبيحته وغير ذلك ممّا يترتب عليه.

ويجب أن يكون الدليل في الاعتقادات ممّا يقبله جميع العقول ويرتاح إليه النفوس من جهة عدم ورود الاشكال عليه.

وذلك مثل قول الشيعة في الامامة حيث إنّهم يعتقدون بأنّ الامامة كالنبوة من المناصب الالهية التي تحتاج إلى النصب من الله عزوجل وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق فكما أنه ليس للناس أن يتحكّموا في من يعيّنه الله هادياً ومرشداً لعامّة البشر وليس لهم تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه في النبوة كذلك الأمر في الامامة.

فقول الشيعة الامامية بلزوم وجود النص الصريح على خلافة مولانا أميرالمؤمنين علي

➔

الكتابة من النبوّة لمصلحة[١]، ومعناها في حقّه ثابت بآيات الله سبحانه التي

➔

بن أبي طالب عليه السلام من الكتاب والسنة النبوة القطعية وحكم العقل القطعي المتفق عليه بين جميع الناس مع اختلاف المشارب ما لا يمكن إنكارها.

ويكفي للباحث المنصف أن يلاحظ الأدلّة والبراهين بلا تعصّب، فلا يبقى لديه شكّ بأنّ التراث العقائدي في الإسلام بوسعته واضح وأنّ أبواب التحقيق مفتوحة.

ومن هنا يثبت قول الشيعة الامامية من أنّ الامامة في الاسلام ثابتة بالأدلة القطعية كما أنّ التوحيد والنبوة يكونان ثابتين بالأدلّة القطعية كذلك حيث إنّ امامة مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثابت بالنصّ والدليل القطعي فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ الامامة ممتدّة من بعده في أولاده المعصومين الأئمة الأحد عشر عليهم السلام فالأدّلة موجودة في كتبهم، وإذا كان هناك من ينفر من كلمة الحق، وتعمى عليه الحقائق فما باله بالشواهد، وقد شهد حادثة الغدير عشرات الألوف من المسلمين كما نزل بها الآيات من القرآن الكريم وشهدت بذلك الروايات الصحيحة المتواترة لدى الفريقين بل وحتى وردت الروايات التي تنقل تهنئة الصحابة للامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب بأمرة المسلمين بأسانيد صحيحة لا يمكن رفع اليد عنها (انظر أنساب الأشراف للبلاذري ج١: ص ٣١٥ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٣: ص ٨١ وتفسير الرازي ج١٢: ص ٥٠ وغيرها من المصادر.

وحقاً إنّ هذا الأمر لا يخفى على أحد بالرغم من أنّهم لم يألوا جهداً في طمس تلك الحقائق الناصعة، فلاحظ.

(١) لقد ذكر المحدثون والمؤرخون وأصحاب السير: أنّه لما كانت هدنة الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وآله ومشركي مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكتب كتاب الصلح، فقال النبي صلى الله عليه وآله في بداية كتاب الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم فاعترض على ذلك سهيل بن عمرو ممثّل المشركين قائلاً: لا أعرف هذا ولكن اكتب: باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: اكتب باسمك اللهم،

➔

جعلها جارية على يديه. فاعتبر بالدليل فإنّه الهادي إلى سويّ السبيل، ومن

➔

فكتب الامام عليه السلام ذلك، ثم قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسهيل بن عمرو فاعترض عليه سهيل بن عمرو وقال: لو نعلم أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله ما قاتلناك ولا صددناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمر النبي صلى الله عليه وآله علياً بمحوها ... (انظر صحيح البخاري ٣: ص ١٨١ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة).

فقال عليّ عليه السلام: لا أمحى اسمك ابداً .. (انظر تاريخ الطبري ج٢: ص ٢٨٢) أو قال: إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة (مسند أحمد بن حنبل ج١: ص ٣٤٢) أو قال: ما أمحو اسمك من النبوّة أبداً ... (حبيب السير ج١: ص ٣٧٢).

أو قال: ما كنت لأمحو اسمك من النبوة ... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٢٧٥) أو قال: لا أمحوه أبداً (خصائص أميرالمؤمنين للنسائي: ص ١٥٠) وفي نص البخاري عن البراء بن عازب: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله صلى الله عليه وآله .. (صحيح البخاري ج٣: ص ١٦٧ كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة) أو فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ضع يدي عليها (أسد الغابة ج١: ص ٢١٦) أو قال: أرني إياه، فأراه إياه فمحاه بيده ... (السنن الكبرى للبيهقي ج٧: ص ٤٢) أو فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل ... (مسند أحمد بن حنبل ج٤: ص ٢٩٨) وعن محمد بن كعب أنّ علياً عليه السلام جعل يتلكّأ ويبكي، ويأبى أن يكتب إلّا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اكتب مثلها، تعطيها وأنت مضطهد فكتب ما قالوا (السيرة الحلبية ج٣: ص ٢٠) وإلى غير ذلك مما جاء في الروايات مع الاختلاف في مضامينها. ولا نريد التحقيق بجميع الجهات وإنّما نريد أن نشير إلى أنّ أصل القضية وهي أمر النبي صلى الله عليه وآله بمحو اسمه من النبوة لمصلحة، وسيأتي البحث في هذا الحديث مفصلاً في محله ان شاء الله تعالى.

الله سبحانه التوفيق[1].

(١) من المعلوم أنّ النبوة منصب إلهي واصطفاء رباني وسفارة الهية يجعلها لمن يشاء من عباده الصالحين فيرسلهم إلى سائر الناس لإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم وخيرهم ومصلحتهم من الأعمال المحبوبة لله عزوجل قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ** ﴾ (النحل: ٣٦) تشير الآية الكريمة باختصار إلى دعوة الأنبياء وأساس دعوتهم التوحيد وإظهار الوحدانية وتعليم العبودية وترك الطاغوت، فإنّ التوحيد يطرد أسس الطواغيت وكلّ معبود دون الله كالشيطان، ورفض التوحيد خروج عن الهداية وابتلاء بالضلالة.

فالنبوّة تكون بجعل من الله سبحانه قال الله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (القصص: ٦٨) فلا شأن للبشر في اختيار النبوة بل النبوة فضل اللهي وهبة ربانية يخصّ الله بها من يريد من خلقه، فلا تكون إلّا لمن اختاره الله واصطفاه.

وعليه فإن إمحاء اسم النبيﷺ من كتابه لا يلغي نبوّته كما أنّ الغلبة عليه بحسب الظاهر لا يسلب رسالته فمن أنكر النبوة إنّما خرج من الهداية، وخروج الناس جميعاً عن الهداية لا يقلّل من شأن النبي أبداً.

من أجل وضوح المقام نذكر هنا المحاورة الواقعة بين ابن عباس والخليفة عمر بن الخطاب على ما ورد في التاريخ، فاحتجّ ابن عباس بالآية المباركة وهي قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ على الخليفة الثاني أيام خلافته في كلام دار بينهما فقال عمر بن الخطاب: أتدري ما منع الناس منكم بعد رسول اللهﷺ؟ قال: لا، قال: لكنّي أدري، قال: ما هو؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجفخوا الناس جفخاً (فتكبروا تكبراً) فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت

←

➔

فأصابت! فقال ابن عباس: أيميط أميرالمؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء، قال: أما قولك: إنّ قريشاً كرهت أن تجمع لنا النبوة والخلافة، فإنّ الله تعالى قال لقوم: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ (سورة محمد: ١٠) وأمّا قولك كنّا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة جحفا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقّة من خلق رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم: ٥) وأمّا قولك فنظرت قريش ولأنفسها فاختارت ووفّقت وأصابت فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** ﴾ (القصص: ٣٦) وقد علمت أنّ الله قد اختار من خلقه من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفّقت وأصابت فقال عمر على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا حسداً وغشّاً في أمر قريش لا يزول، فقال ابن عباس: مهلاً لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الحسد والغشّ فإنّ قلوبهم من قلب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طهّره الله وزكّاه وهم أهل بيت الذين قال الله تعالى لهم: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾(الأحزاب: ٣٣) وأمّا قولك حقداً فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره، فقال عمر: أمّا أنت ياابن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي، قال: ما هو أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يكن حقّاً فإنّ منزلتي لا تزول به، قال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر منكم حسداً وظلماً، قال: أمّا قولك حسداً فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجنّة فنحن بنو آدم المحسود، وأمّا قولك ظلماً يعلم صاحب الحقّ من هو! ثمّ قال: ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أحقّ برسول الله من سائر قريش، فقال عمر: قم الان ارجع إلى منزلك!! فقام، فلمّا ولّى هتف به عمر وقال: أيها المنصرف إنّي على ما كان منك لراع حقّك! فالتفت ابن عباس فقال: إنّ لي عليك وعلى كلّ المسلمين حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله فمن حفظه

➔

فعلم ممّا مضى بهتان دعوى السني: عدم وجود نصّ يدلّ على أنّ الخليفة في بطن خاصّ من قريش[1]، ودعوى عدم وجود من يستحقّ ذلك

➔

فحقّ نفسه حفظ ومن أضاعه فحقّ نفسه أضاع. ثمّ مضى فقال عمر: لجلسائه: واهاً لابن عباس ما رايته لاحى أحداً إلّا خصمه ...(انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٢: ص ٥٣) ويلاحظ في هذا النص أنّ الحجّة كانت واضحة للجميع وإنكار الحق من خصم ابن عباس أوضح من أن يخفى، فكان إنكاره كإنكار الملاحدة الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ (النحل: ١٤) فإنّ إنكار النبوة لا يلغي النبوة والرسالة وما دامت النبوة اختيار مولوي لا شأن للبشر فيه فالامامة كذلك فإنّ الامامة هي استمرار الرسالة السماوية حيث إنّ رسالة خاتم الأنبياء استمرّت في أوصيائه الأئمة المعصومين من أهل بيتهعليهم السلام وهم الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا الله، فإنّ غصب الخلافة وإنكار إمامة اميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لا يلغي إمامته وخلافته كما أنّ النبوة لا تلغى بإنكاره فلاحظ.

(١) وتوضيح المقام: أنّ إنكار ابن تيمية للنصوص النبويّة وما ورد عنه صلى الله عليه وآله من أنّ الخلفاء اثنا عشر وكلّهم من بطن خاصّ من قريش وهم بنو هاشم إنكار للضروري إذ أولاً: إنّ النص الوارد في الصحاح فيه عدد اثنى عشر، وهذا القيد يخرج خلفاء أهل السنة والجماعة بالضرورة القطعية، فلا مجال لدعوى ذلك.

وثانياً: إنّ كثيراً من بطون قريش كانوا أعداء الإسلام ولم يؤمنوا بالله ورسوله وإنّما استسلم بعضهم دون بعض سوى بني هاشم وإنّ بطون قريش كانت ضد البطن الهاشمي في حياة النبيصلى الله عليه وآله وبعد وفاته، وقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمّتي قتلاً وتشريداً وإنّ أشدّ قومنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو المخزوم ...

➔

سوى أبي بكر[١]، ودعوى رضا الله ورسوله بإمامته، ودعوى كونها ثابتة

➔

(المستدرك على الصحيحين ج٤: ص ٤٨٧) فإنّ بطون قريش كلّها كانت معادية للنبي وأهل بيته وذلك لقوله صلى الله عليه وآله : «أشدّ قومنا...» فهؤلاء البطون من قريش كانوا أشد بغضاً من غيرهم من قريش كبني تيم وبني عدي وغيرهم فكيف يمكن للنبي صلى الله عليه وآله أن يقول الخلفاء من قريش ويقصد من ذلك أعداء الإسلام؟!

وثالثاً: إنّ حديث الخلفاء من بعدي اثنا عشر، قد ورد في بعضها كلّهم من بني هاشم. لاحظ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢: ص ٣١٥. فإنكار ابن تيمية للنص بهتان على رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) لاشكّ أنّ أبابكر ممّن خالف رسول الله صلى الله عليه وآله مخالفات عديدة منها تخلّفه عن جيش اسامة وقد أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله أبابكر تحت أمر اسامة بن زيد ولم يزل يكرر الأمر بالخروج ويقول: جهّزوا جيش اسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة (الملل والنحل للشهرستاني ج١: ص ٢٣ و السيرة الحلبية ج٣: ص ٢٠٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ٥٣ والكامل لابن الأثير ج٢: ص ٢١٥ وغيرهم).

أقول: كيف يمكن أن يكون أفضل الناس الذي يستحقّ الخلافة ملعوناً على لسان النبي صلى الله عليه وآله وكيف يمكن ادعاء أنّ من خالف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر لحظة حياته يكون مستحقّاً للخلافة؟!

ومنها قول أبي بكر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني (انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢: ص ٨ والصواعق المحرقة لابن حجر المكي: ص ٧ ونور الابصار للشبلنجي: ص ٥٣ وكنز العمال للمتقي الهندي ج٣: ص ١٢٦ وغيرهم).

وكيف يكون أفضل الناس من يطلب الرشاد من غيره وإن لم يرشده أحد فيكون تابعاً للشيطان؟!

➔

➔

ومنها: قوله: أقيلوني ولست بخيركم وفي بعض الروايات وعليٌّ فيكم (انظر شرح نهج البلاغة ج١: ص ٥٨ و ج٤: ص ١٦٦ وص ١٦٩).

أقول: كيف يمكن أن يكون هو أفضل الناس مع أنّه يعترف بعدم صلاحيته للامامة؟ هل كان أبوبكر كاذباً في قوله أو صادقاً؟ فعلى كلا الأمرين لا يليق بمقام الخلافة.

ومنها: تمنّياته عند موته: ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتني في ظلة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر فكان هو الأمير وكنت أنا الوزير (انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١: ص ٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣: ص ٤٢٠ ومنها: أنّ النبيﷺ لم يولّه شيئاً من الأعمال وولّى غيره وأنفذه لأداء سورة براءة ثمّ ردّه (أنظر مسند أحمد بن حنبل ج١ ص ٢ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٣: ص ٢٣٩).

فمن لم يصلح لأداء سورة أو آية من آيات الله كيف يصلح للرياسة العامة المتضمّنة لأداء جميع الأحكام إلى عموم الرعايا في سائر بلاده ؟!

ومنها: منع فاطمة إرثها (انظر صحيح البخاري ج٥: ص ٢٥ كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشراق وج٨: ص ٣ كتاب الفرائض باب قول النبيﷺ لانورث).

وقالت فاطمة: يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريّاً (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤: ص ٨٦).

فإنّ هذا الاحتجاج دليل على قلّة علمه ومعرفته بالقرآن حيث إنّ الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام استدلّت على أنّ منعه خلاف القرآن، ولم يمكنه الجواب عن ذلك فمن لم يعرف القرآن كيف يصلح للخلافة والامامة؟!

ومنها: قوله عند موته: ليتني سألت رسول اللهﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حقّ؟ (انظر مروج الذهب ج٢: ص ٣٠٢ والامامة والسياسة ج١: ص ١٨ وص ١٩ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١: ص ١٣٠ وج٤: ص ١٣٠ و ص ١٦٩ والعقد الفريد ج٢: ص ٢٥٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢: ص ١٢٧).

➔

بالنصّ عليها وبإجماع المسلمين. وهذه الدعاوي وما بمعناها تعرّض لها بعد النبذة المتقدّمة، وهي في المعنى تكرير لها بعبائر غير العبائر السابقة[١].

←

أقول: هذا شكّ في صحة ما كان عليه وبطلانه، وهو الذي دفع الأنصار لمّا قالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فلو كان يستحقّ الخلافة لما تمنّى أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار في هذا الأمر حقّ؟

ومنها: جهله بالأحكام الشرعية لما سئل عن الكلالة قال: أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمنّي، ولم يعرف ميراث الجدّة فقال لجدة سألته عن إرثها: لا أجد لك في كتاب الله وسنّة نبيّه، فأخبره المغيرة ومحمد بن مسلمة أنّ الرسول أعطاها السدس وقال: أطعموا الجدّات السدس (انظر سنن ابن ماجة ج٢: ص ٩١٠ وسنن أبي داود ج٢: ص ٥ وسنن الترمذي ج٣: ص ٢٨٤ والمستدرك على الصحيحين ج٤: ص ٣٣٨).

أقول: ومن يجهل حكماً من الأحكام الشرعية التي جائت في القرآن كيف يصلح أن يكون خليفة لرسول الله وكيف يكون أفضل الناس؟!

(١) وخلاصة الكلام أنّ دعوى أهل السنة والجماعة في الامامة متوقّفة على ما حدث في التأريخ وكيفية أخذ الخلفاء الحكم والرئاسة بأيديهم وليست هناك آية أو رواية معتبرة شرعية تحدّد خصوصية الامام عندهم، بل إن فكرة الامامة عندهم فكرة عامة غير محددة بشخص، فيمكن أن تطلق على الحاكم كما يمكن أن تطلق على الفرد العادي من أفراد الرعية، فإنّ الظروف هي التي تقود هذا المقام والحكم بطريق السيف أو الوراثة أو الاختيار فيصبح الشخص هو الامام للامة ويجب على جميع المسلمين أن يدينوا له بالسمع والطاعة حتّى وان كان فاجراً وظالماً (انظر العقيدة الطحاوية في باب الامامة والعقيدة الواسطية والأحكام السلطانية وشرح المقاصد للتفتازاني والتمهيد الباقلاني ومنهاج السنة لابن تيمية وغيرها من الكتب).

←

←

قال ابن تيمية: تثبت الامامة بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة. فإنّ الإمامة إنّما تحصل بالقدرة والسلطان فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار اماماً... (أنظر منهاج السنة ج١: ص ١٤١).

وقال القاضي الإيجي: تثبت الامامة ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة (ثمّ قال): فإذا ثبت حصول الامامة بالاختيار والبيعة فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذا لم يقم دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف ... (انظر المواقف: ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠) قال الماوردي بعد قبوله بأنّ الامامة تكون باختيار الناس إنّه اختلف علماء أهل السنة في عدد من تنعقد به الامامة، فقالت طائفة: لا تنعقد إلّا بجمهور أهل الحلّ والعقد من كلّ بلد، ليكون الرضا به عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً ... وقالت طائفة أخرى أقلّ من تنعقد به منهم الامامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأمرين:

أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثمّ تابعهم الناس.

الثاني: أنّ عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة ... (انظر الأحكام السلطانية: ص ٦ ـ ٧) وإلى غير ذلك من أقوالهم في هذا المجال.

ولو لاحظت جميع الأقوال لوجدت أنّهم مجمعون على أنّ الأصل في الامامة عندهم ما حدث في التاريخ من خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فكأنّما الدليل على إمامتهم نفس عملهم.

وبعبارة أخرى: إنّ الدليل عندهم نفس المدّعى إذ لم يعتمد أحد منهم على اعتبار ذلك نصّاً صريحاً من كتاب الله وسنة رسوله.

فقضية الامامة عندهم قضية غير مبتنية على دليل شرعي، بل إنّها حسب ما وقعت في التأريخ، وهي قضية فرضت نفسها على واقع المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله منذ اجتماع السقيفة وما جرى فيها من نقاش وانعقاد الحكم ببيعة عمر بن الخطاب لأبي

←

ومن هذه الجهة لم ننقلها بألفاظها، فإنّه تطويل بغير طائل[1].

ولو فرض وجود نصّ عليه لمّا تمنّى المسألة عن الخليفة في مرض

بكر، وهذه الحادثة صارت أساس شرعية الامامة والولاية عند أهل السنة والجماعة في مقابل نظرية النصّ التي يتبناها الشيعة الامامية.

والشاهد على عدم اشتراط الإمامة بالنص الشرعي هو أنّ المتتبع لو لاحظ جميع كتب أهل السنة والجماعة في باب الامامة لا يجد فيه ذكر لزوم الإذن الالهي في الامامة بل المذكور فيها: هو التغلّب على الأمر سواء كان باختيار الناس أو بالعنف والقوّة.

إذن كلّ هذه الدعاوي من القول برضا الله أو رضا رسوله أو أنّها ثابتة بالنص أو بالاجماع وغيرها من الدعاوي مردودة بنفس كلمات علماء أهل السنة والجماعة بما أجمعوا عليه في باب الامامة. وسيأتي البحث في هذا المجال مفصّلاً ان شاء الله تعالى.

(١) لأنّ هذه الدعاوي مناقضة لما أسس أهل السنة والجماعة في باب الامامة فإنّ اعتقادهم في باب الامامة متوقّف على ما حدث في التاريخ بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله وبما بنى أهل السقيفة على خلافة أبي بكر من عدم وجود أيّ بعد شرعي في ذلك يعطي الخصوصية للامام عندهم، فانّ الامام عندهم كبقيّة أفراد الرعيّة تقوده الظروف إلى الحكم بطريق السيف أو الارهاب أو الوراثة أو الاختيار إن شئت فسمّه فيصبح ذلك الشخص إماماً للأمة ويعتقدون بأنّه يجب على جميع المسلمين أن يدينوا له بالسمع والطاعة حتّى لو كان فاجراً وفاسقاً وظالماً كما ذكره جميع كتب أهل السنة والجماعة في باب الامامة.

وكيف يمكن الجمع بين عدم وجود الدليل الشرعي ورضا الله ورسوله فإنّ الأمرين متناقضان وعدم اجتماع المتناقضين لا يحتاج إلى الردّ لأنّه أوضح من أن يخفى على أحد فلاحظ.

موته[1].

---

(١) هذه العبارة إشارة إلى ما رواه جمع من كبار علماء أهل السنة والجماعة من أنّ أبابكر تمنّى في مرض موته أُموراً منها ما ذكره المصنف رحمه الله واليك نصّ الحديث فقد روى الهيثمي بسنده عن عبدالرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه فسلّمت عليه وسألته كيف أصبحت؟

فاستوى جالساً فقال: أصبحت بحمد لله بارئاً ... أما إنّي لا آسى على شيء إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهنّ وثلاث لم أفعلهنّ وددت أنّي فعلتهنّ وثلاث ووددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهنّ. فأمّا الثلاث التي وددت أنّي لم أفعلهنّ فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر وكان أميرالمؤمنين وكنت وزيراً.

ووددت أني حين وجّهت خالد بن الوليد إلى أهل الردّة أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا وإلّا كنت ردءاً ومدداً.

وأمّا الثلاث اللاتي وددت أني فعلتها فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث أسيراً ضربت عنقه فإنّه يخيّل إليّ أنّه لا يكون شرّ إلّا طار إليه.

ووددت أنّي يوم أتيت الفجاءة السلمي لم أكن أحرقته وقتلته بالحديد أو أطلقته.

ووددت أنّي حين وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام وجّهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله عزوجل.

وأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهنّ فوددت أنّي سألته فيمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أهله.

ووددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر سبب؟

ووددت أنّي سألته عن العمّة وبنت الأخ فإنّ في نفسي منهما حاجة (مجمع الزوائد ج٥: ص ٢٠٢) ورواه الطيالسي في مسنده: ص ٧٦ والطبراني في معجمه الكبير ج١: ص ٦٢ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج٢: ص ٤٦ والمتقي الهندي ←

ولو فرض ثبوت إمامته بإجماعهم لم يبق معنى لمنّيه المزبور، فإنّه في المعنى نصّ على ما قام عليه. فعلم من تمنّيه عدم صيرورته خليفة بإجماعهم[١]. بل هل يتصوّر عاقل منصف صحّة هذه الدعاوي وما بمعناها بعد علمه بما مضى نقله وبيانه من النصوص، ومن حال عليّ عليه السلام وفضله[٢]

➔

في كنز العمال ج٥: ص ٦٣١ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج٢٠: ص ٣٠ والذهبي في ميزان الاعتدال ج٣: ص ١٠٩ والطبري في تاريخه ج٢: ص ٦١٩ وغيرهم.

أقول: فلو كان أبوبكر يستحقّ الخلافة عند أهل السنة والجماعة لما تمنّى أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله في من يكون أمر الخلافة حتّى لا يقع التنازع فيها وأيضاً ما تمنّى أن يسأل رسول الله هل الأنصار في أمر الخلافة نصيب أم لا؟ كلّ ذلك دليل على عدم استحقاقه، فلاحظ.

(١) بعبارة أوضح هذا الحديث نصّ في أنّ أبا بكر ندم على أنّه لماذا لم يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الامامة وفيمن يكون هذا الأمر؟ كي لا يقع التنازع فيه كما وقع الخلاف في السقيفة، فلو كان امامته بالنصّ أو بالإجماع لما تمنّى أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن يكون هذا الأمر كما أنّه لو كان هناك النص أو الإجماع قائم على إمامته لا معنى للتمنّي من أن يكون وزيراً وأحد الرجلين أبي عبيدة وعمر خليفة وأيضاً لو كان النص والاجماع قائم على امامته لما تمنّى أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله هل للأنصار في أمر الخلافة نصيب أم لا؟

(٢) لقد اختصّ مولانا امير المؤمنين عليه السلام علي بن ابي طالب عليه السلام بفضائل لا تداني ومنزلة لا تضاهى، فهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وأوّل من آمن به وصدّقه وأحبّ الناس الى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وهو وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثه وصفيه ووزيره وباب مدينة العلم ووليّ كلّ مؤمن بعده.

➔

➔
وفضائله المبينة عن منزلته السامية عند الله تعالى كثيرة تفوق حدّ الإحصاء، أفردها كثير من العلماء والمحدثين من العامة والخاصة بالتصنيف والتأليف.

وقد روى الحاكم باسناده عن أحمد بن حنبل قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل أكثر ما جاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام (المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٠٧) ورواه ابن عساكر في كتابه ترجمة الامام علي عليه السلام ج٣: ص ٨٣ والثعلبي في تفسيره ج٤: ص ٨١ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص ٢٦ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٣: ص ٣٩٩ والخوارزمي في مناقبه: ١١ ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ص ١٧٢ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١: ص ٩ وغيرهم.

وقال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها واختصّه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافّة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩: ص ١٦٦).

وفيما يلي بعض تلك الفضائل التي اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام من بين أفراد الأمّة:

١ـ أنّه أحبّ الخلق إلى الله تعالى، وذلك في حديث الطائر المشهور المتواتر التي نقلتها المصادر الحديثية المعتبرة عند مختلف فرق المسلمين بأسانيد كثيرة وقد صححوا سنده منهم ابن كثير في تاريخه ج٧: ص ٣٥٥ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣: ص ١٤١ وابن حجر العسقلاني كما ذكره الخطيب التبريزي في مصابيح المشكاة ج٣: ص ١٧٨٧ فراجع مصادر أهل السنة والجماعة.

٢ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً لأميرالمؤمنين عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ٢٠٨ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم وج٥: ص ١٢٩ كتاب المغازي باب غزوة تبوك وصحيح مسلم ج٧: ص ١٢٠ كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام).
➔

وحال أبي بكر ومشاقّاته لله سبحانه ورسوله، ومن بعد منزلته عن ذلك [(١)].

➔

الظاهر من القرآن الكريم أنّ هارون كان وزير موسى عليه السلام وخليفته في قومه وكذلك أميرالمؤمنين عليه السلام فهو نصّ صريح في خلافته.

٣ـ حديث الراية الذي صدر من النبي صلى الله عليه وآله في يوم خيبر ومجيئه بالفتح والظفر (انظر صحيح البخاري ج٤: ص ٥ باب دعاء النبي وج٤: ص ٢٠٧ كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين ج٥: ص ٧٦ كتاب المغازي باب غزوة خيبر وصحيح مسلم ج٥: ص ١٩٥ كتاب المغازي باب قوله تعالى وهو الذي كفّ أيديهم عنكم).

فراجع هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي قد تقدّم قسم منها وسيأتي الاستدلال بها إن شاء الله في محله.

(١) فإنّ مطاعن أبي بكر كثيرة قد ذكرها علماء الإسلام في كتبهم ولابدّ لكلّ عاقل أن يبحث عن ذلك ثمّ يحكم هل أنّ من له المطاعن الكثيرة يستحقّ الخلافة أم لا؟

الفهرس